تُحفة الأَديب

في نحاة مُغني اللَبيب

تأليف

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ

المتوفى سنة ٩١١ هـ - ١٥٠٥م

الجزء الأول - الثاني

دراسة وتحقيق

الدكتور حسن الملخ

الدكتورة سهى نعجة

عالم الكتب الحديث

جدارا للكتاب العالمي

الطبعة الثانية

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع
إربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي
تلفون: 00962-27272272 خلوي: 079/5264363
فاكس: 00962-27269909
صندوق بريد (3469) الرمزي البريدي (21110)
البريد الإلكتروني almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com

جدارا للكتاب العالمي
للنشر والتوزيع
عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس
خلوي: 079/5264363

تُحفة الأديب
في نُحاة مُغني اللبيب

تأليف

جلال الدين عبدِ الرحمن بن أبي بكر السَيوطي
(المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م)

دراسة وتحقيق

الدّكتور حسن الملخ الدّكتورة سهى نعجة

الجزء الأوّل

٢٠٠٨

جدارا للكتاب العالمي
عمان- الأردن

عالم الكتب الحديث
إربد- الأردن

الإهداء

إلى مُحَمّد كَرْمَة العقل والقلب والروح

والداك

الجزء الأوّل

المقدّمة

يعدّ الإمامُ الحافظ جلال الدين السيوطيّ المتوفّى سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) مَعْلَمة بارزة من المعالم الثقافيّة المهمة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، فلم يكن حافظاً للتراث العربيّ الإسلاميّ أو مُعيداً إنتاجه فحسب بل كان مجتهداً قدر استطاعته في الإضافة إليه، ولا سيّما في النحو والفقه والحديث؛ إذ يكاد يكون أبرز علماء المسلمين في هذه العلوم في العصور المتأخرة، بما رفد به مكتبة الحضارة العربيّة الإسلاميّة من موسوعات مهمة في هذه العلوم، ومن هذه الموسوعاتِ موسوعاتُ تراجمِ حَمَلةِ العلمِ في الحديث والنحو واللغة والأدب، فقد كان مُعْتنيًا بتتبّع سِيَرِ العلماء، ومعرفة مؤلّفاتهم، وموقعهم العلميّ في حضارتنا الخالدة.

فجاء كتابُه الذي ننهض بشرف تحقيقه لأوّل مرّة "تُحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب" موسوعةً مهمة في تراجمِ علماء النحو واللغة والأدب والبلاغة والتفسير المذكورين في كتاب "مُغني اللبيب عن كُتب الأعاريب" لابن هشام الأنصاريّ المتوفّى سنة (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)؛ لأنّ كتابَ "مُغني اللبيب" من أبرز كُتب النّحو في موروثنا اللغويّ، فهو قمّةُ الدراسات النحويّة حتى عصره بما فيه من إضافةٍ حقيقيّة في منهج بناءِ النّحو العربيّ، وانتخابِ الآراء الأقوى وَفْقَ رؤية مُتحرّرة من العصبيّة المذهبيّة في النّحو، لهذا كان النحاةُ المذكورون فيه أبرزَ أئمة النّحو العربيّ؛ فسعى السيوطيّ إلى التعريف بهم بإسهاب وتوسّع لكي لا يترك لأحد بعده فرصة للإضافة عليه، فكشف لنا معلوماتٍ كثيرةً مهمة عن حياة النّحويّين وكُتبهم ومجالسهم ومناظراتهم وآراء بعضهم ببعض، ورسم لنا صورةً زاهية لحياة النّحو العربيّ في حواضر العالم الإسلاميّ بين الخلفاء والأمراء والولاة والعلماء، وقد أصبح في كثيرٍ من المعلومات التي ذكرها المصدرَ الوحيد لها بعد فقدان المصادر الأصلية؛ لهذا من المؤمّل لهذا الكتاب أن يصبحَ مُوجّهاً نحو صورةٍ أكثر دقة وعمقاً وشمولاً لدراسة أئمة نُحاة النّحو العربيّ من القرن

الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجريَ عدا أنّه يقدم ترجماتٍ مسهبةً للنّحاة الموسوعيّين الذين تميّزوا بالفقه أو الحديث أو الأدب أو البلاغة إضافة إلى النّحو، لهذا يمتدّ اختصاصُ هذا الكتاب الضخم إلى هذه العلوم المهمة.

وقد كنا في تحقيقنا للمخطوط على وعي تامّ بنصيحة أستاذنا المحقّق الكبير الدكتور المرحوم إحسان عباس عندما قال لنا: إن من عيوب التحقيق الإكثار من الحواشي، لهذا كانت الحواشي حيث تدعو الحاجةُ العلميّة، لكنّنا أشرنا إلى مصادر الترجمة والدراسات الحديثة عنها في رأسِ كلّ ترجمة، وقدّمنا للكتاب بدراسة علميّة، وذيّلناه بفهارس فنيّة متنوعة.

ويطيب لنا أن نذكرَ بالعرفان والتقدير والشكر الوفير فَضْلَ أستاذنا الكبير المحقّق الدكتور علي حسين البواب الذي ساعدنا في الحصول على المصورة الثانية عن المخطوط، وأمدّنا بخبرته الواسعة في فنّ تحقيق المخطوطات، فلم يبخل علينا بنصيحةٍ أو بتوجيهٍ أو بتشجيعٍ بل كان ملاذنا في كلّ ما صادفنا في تحقيق هذا المخطوط من صعوبات جمّة كثيرة حتى رأى هذا المخطوط النّور، فالحمد لله على ما يسّر وأعان.

المحقّقان

الدراسة العلميّة

جلال الدين السيوطيّ

يحارُ الباحثُ عندما يحاول رَسْم صورةٍ علميّةٍ دقيقةٍ لجلال الدين السيوطي[(١)] رحمه الله، ذلك أنّه مَعْلمةٌ بارزةٌ من معالم الحضارة العربيّة الإسلاميّة؛ إذ متّعه اللهُ جلّ وعلا بقدرةٍ علميّة فائقة، مكّنتْه من هضم جوانبَ كثيرةٍ من جوانبِ التراث العربيّ الإسلاميّ؛ فهو معدود بين أئمة الفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة والتاريخ و...إلخ من العلوم، وهو في علومه جميعها عالِمٌ راسخ القدم في علمه، ثاقب النظر في فهمه وجَمْعِه واختياره وتحليله واجتهاده، وقد درسه الباحثون من زوايا علميّة مختلفة، لكن الدراسة الشاملة الكاملة له لم تُكتَبْ بَعْدُ، ذلك أنّ رسم صورته العلميّة الكاملة يستدعي بالضرورة الانطلاق من زوايا علومه الموسوعيّة كلها، وهو أمر عسير على باحث واحد، فدونه خَرْط القتاد.

وتزداد الحيرةُ عندما يتنبّه الباحثُ إلى حقيقةِ أنّ السيوطيّ -بما رَزَق اللهُ كتبَه

---

(١) انظر ترجمته في: ترجمة الشعرانيّ لشيخه السيوطيّ، مجلة مؤته للبحوث والدراسات، مج ٨، ع ٦، ١٩٩٣م، ٢١٩-٢٩٢. والكواكب السائرة: ١/٢٢٧-٢٣٢. وطبقات المفسّرين (الأدنه وي): ٣٦٥-٣٦٦. ودرة الحجال: ٣/٩٢. وشذرات الذهب: ٨/٨٧-٩٠. والبدر الطالع: ٣٢٧-٣٤٣.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- السيوطيّ النحويّ.
- جلال الدين السيوطيّ: مسيرته العلميّة ومباحثه اللغوية.
- جلال الدين السيوطيّ: عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغويّ.
- جلال الدين السيوطيّ وأثره في الدراسات اللغويّة.
- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطيّ: مَعْلمة العلوم الإسلاميّة.
- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطيّ وجهوده في الحديث وعلومه.
- حياة جلال الدين السيوطيّ مع العلم من المهد إلى اللحد.
وقد وافق العام الهجريّ ١٤١١هـ الذكرى نصف الألفيّة لوفاته، فعقدت عدة ندوات ومؤتمرات لدارسة السيوطي، ونتاجه العلميّ المتنوع، منها الندوة التي أقامتها المنظمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع جامعة الأزهر في القاهرة وقد نشرت بحوث مختارة منها في كتاب مستقل عنوانه "الإمام جلال الدين السيوطيّ فقيهاً ولغوياً ومحدّثاً ومجتهداً".

من شهرة واسعة- قد أضحى معروفاً في عقليّة العرب والمسلمين، ففي عقل كلّ مثقّف عربيّ صورة للسيوطيّ، تختلف من شخص لآخر، لكنها تتفق على احترامه وتقدير دوره في تراثنا العلميّ، ولهذه المفارقة نعجز عن تقديم صورته الكاملة، كما نعجز عن تقديم صورته عند المثقّف العربيّ، فيكون من الإنصاف العلميّ لنا وله أن نقدّم ملامحَ من شخصيته، تضيء جوانب من حياته العلميّة في اللغة والنحو.

اسمه ونسبه:

هو أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبي بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيّوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهُمام الخُضَيْريّ الأسيوطيّ.

اشتُهرَ السيوطيّ بين العلماء والباحثين قديماً وحديثاً باسم جلال الدين السيوطيّ، وقد يقال: الجلال السيوطيّ، أو السيوطيّ، فتسهيل النسب إلى "أسيوط" بحذف الهمزة ينصرف أوّل ما ينصرف إلى الإمام جلال الدين السيوطيّ، وإن كان السيوطيّ نفسه قد ساق في سيرته الذاتية طائفة من الفُضلاء الذين خرجوا من أسيوط، ونُسبوا إليها في الحديث والأدب والنحو والشعر والتصوّف(١).

ولادته ووفاته:

وُلِد السيوطيُّ ليلة الأحد مُستهلّ شهر رجب سنة تسعٍ وأربعين وثمانمائة للهجرة الموافق الحادي عشر من شهر تشرين الأوّل سنة خمس وأربعين وأربعمائة وألف للميلاد.

وتوفّي ليلة الجمعة التاسع عشر من جُمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة

---

(١) انظر: التحدّث بنعمة الله: ٤٦ – ٤٧.

للهجرة الموافق السابع عشر من تشرين الأوّل سنة خمس وخمسمائة وألف للميلاد.

علومه وفنونه ومَلَكاته:

ذكر السيوطيّ ما أنعمَ الله به عليه من التبحّر في العلوم، فقال: «رُزِقتُ، ولله الحمد، التبحّر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع على طريقة العرب البُلغاء، لا على طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفة، بحيث إنّ الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه أحد، ولا وقف عليه أحدٌ من أشياخي فضلاً عمّن دونهم»(١).

وثمة علومٌ لم يدّعِ السيوطيّ التبحّر فيها غير أنّ المطّلع على كتبه يجزم بأنّه كان راسخ القدم فيها، كعلم التاريخ، والتراجم، والسِّيَر، والأخبار، واللغة، والأنساب، والتصوّف، وغيره من علوم عصره.

وكان متصرّفاً في الأدب والشعر، يُحسِنُ سَبْك الكلام على طريقة أئمة الأدب في العربيّة، ولا سيما أصحاب المقامات مع اهتمام ظاهرٍ بما جُبِل عليه علماء عصره من المحسّنات البديعيّة، عدا أنّه يحسن فنّ الإجمال والتفصيل، فله متونٌ مُجْملة كمتن "جَمع الجوامع" في النحو، وشروحٌ مُفصّلة مبسوطة كشرحه "جمع الجوامع" باسم "همع الهوامع".

وقد أوتي القدرة على قول الشعر ونظْمه، لكن منزلته فيه منزلة العلماء لا منزلة الشعراء.

وقد كان -رحمه الله- سريعَ الحفظ، سريعَ الاستحضار، سريعَ الكتابة، حَسَنَ الجمع بينها مع دقّةٍ وأمانة.

وأحسنُ معارف السيوطيّ حسب رأيه النحوُ والفقهُ؛ إذ قال: «ومهرتُ في النحو

---

(١) التحدّث بنعمة الله: ١٤٩.

بحيث طالعتُ فيه كتباً جمّة، وعلّقتُ فيه تعليقاتٍ كثيرةً، وأظنّ أنّ كُتب العربيّة التي وقفتُ عليها لم يقف عليها غالبُ أهل العصر، ولا كثير ممّن قبلهم... ثم انتقلتْ تلك الهمّة إلى الفقه، ولله الحمد، فهما الآن -يقصد سنة ست وتسعين وثمانمائة- أحسنُ معارفي»[١].

وثمة ظاهرتان لافتتان في علوم السيوطيّ وفنونه:

الأولى: الموسوعيّة في علوم عصره؛ فقد أكثر من التأليف في شتّى العلوم والفنون حتى أضحى في عِداد من ثبتَ أنّهم ألّفوا المئات من الكتب لأسباب مختلفة أفردها بالبحث والتحليل صديقنا الأستاذ الدكتور سمير الدروبي[٢]، ويهمّنا في هذه الظاهرة الإشارة إلى أنّ السيوطيّ يمثّل دليلاً من أدلة التحوّل في منهج البحث العلميّ عند العلماء العرب والمسلمين من منهج العقل والدراية إلى منهج النقل والرواية، فيصبح التأليف جمعاً واستقصاءً وتنبيهاً وشرحاً لغامض وزيادة على ناقص، وتدقيقاً في عبارة وتوجيهاً لاصطلاح ودلالة، وهو جهد علميّ محمود، لكنه لا يأخذ من الوقت والجهد العقليّ إلا القليل إذا ما وُزِنَ بالوقت الذي تحتاج إليه الأعمالُ الإبداعيّة المعتمدة على الابتكار، آية ذلك أمران:

أولهما: قول تلميذه شمس الدين الداووديّ: «عاينتُ الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً»[٣] فإذا عرفنا أنّ بعض كتبه لايتجاوز الكراسة الواحدة تحصّل معنا أنّه يستطيع في يومٍ واحدٍ أن يؤلّف ثلاثةَ كتبٍ، ذلك أنّ تأليف مثل هذه الكتب -على أهميته- يحتاج إلى سرعة الاستحضار وحُسن الاختيار والسبك - وهذهِ من مَلَكات السيوطيّ- وغالب كتب السيوطيّ من هذا الضَّرْب.

---

(١) التحدّث بنعمة الله: ١١٧، ١٦١.

(٢) انظر بحثه: ظاهرة التعدّد والكثرة في مؤلفات السيوطيّ، مجلة المنارة، المجلد الرابع، العدد الثالث، ١٩٩٩م، ١٠١-١٦٦.

(٣) انظر: الكواكب السائرة. ١/٢٢٨-٢٢٩. وشذرات الذهب: ٨/٨٨.

وأمّا ثانيهما فهو أنّه عندما أراد أن يبدع ما يدلّ على تبحّره في النحو، ودرايته العميقة فيه، تعب تعباً شديداً، فقال عن تأليف كتابه "جمع الجوامع في العربيّة": «ولم أتعبْ في شيء من مصنّفاتي كتعبي فيه»[١]، لأنّه رامَ في هذا الكتاب الخالد أن يأتي بمنهج جديد في ترتيب أبواب النحو العربيّ وعرض مسائله، فاستقام له ما رامه بعد أن أفاد من علم أصول الفقه، وضبط تصوّره لعلم أصول النحو ومسالك النحاة في صناعتهم منهجاً وعرضاً وترجيحاً واجتهاداً وتوجيهاً.

وأما الظاهرة الثانية فهي دعوى الاجتهاد، إذ قال: «فقد بلغتُ، ولله الحمد والمِنّة، رتبة الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية، وفي الحديث النبويّ، وفي العربيّة»[٢].

والاجتهاد -وحديثنا مقصور على الاجتهاد في العربيّة- بابُ تجدّدِ علوم العربيّة، ومَدِّها بما تحتاج إليه من نظرات ثاقبة جديدة، تحافظ على التوازن المطلوب دائماً بين العلم وتطوّرات الحياة؛ لأنّ تطوّرات الحياة إنْ سبقت تطوّرات أيِّ علمٍ، صار ذلك العلم جزءًا من التاريخ الثقافيّ، وتراجع عن أداء وظائفه المعرفيّة، أمّا إنْ واكب تطوّرات الحياة باجتهادات أهله، بقي متجدّدًا، فيه روح المعاصرة من جهة، وأصالة التراث من جهة أخرى. والسيوطي عندما ادّعى الاجتهاد في العربيّة لم يخرج عن هذه الرؤية إذ اشترط في المجتهد أمرين:

أولهما: الإحاطة بنصوص أئمة الفنّ من سيبويه إلى زمانه.

وثانيهما: حفظ شعر العرب الذين يُحتجّ بأشعارهم في العربيّة، ولو على سبيل سرعة المراجعة في المظانّ.

وأضاف إلى هذين الشرطين اشتراط الإحاطة بالقواعد التي بنى عليها النحاة

---

(١) التحدّث بنعمة الله: ١١٨.
(٢) المصدر نفسه: ١٥٠.

قوانين النحو العامة، وآراءَهم الخاصة[١] أي أنّ شرط الاجتهاد الإحاطة بالعلم ونظريته عبر تاريخه، وهذا الشرط غير بعيد عن السيوطيّ، ومن قرأ كتابيه: "همع الهوامع"، و"الأشباه والنظائر" تحقّق من أنّه يكتب وكُتب النحو من ورائه تدفعه للتميّز وتوجّهه للاختيار والاجتهاد، ولا سيّما بعد أن اهتدى إلى نَسج كتاب "الاقتراح في علم أصول النحو".

بيد أنّ الاجتهاد عند السيوطيّ في النحو بقيَ أسير إعادة إنتاج التراث النحويّ برؤيةٍ فيها جِدّة، لكنها لم تصل به إلى معالجة مشكلات عصره النحويّة.

شيوخه:

يُعرَفُ العالِمُ بكُتبه وبشيوخه وبتلاميذه، وقد رُزِق السيوطيّ الشهرة من الزوايا الثلاث، فكتبه سيّارة في الآفاق منذ حياته إلى ما شاء الله، وقد تحدّث تلامذته بنعمة الله عليهم في الإفادة من علم شيخهم[٢]، مثل: محمد بن أحمد المعروف بابن إياس (ت٩٣٠هـ)، ومحمد بن علي المصريّ المعروف بالداووديّ (ت٩٤٥هـ)، وعبدالوهاب بن أحمد المعروف بالشعرانيّ (ت ٩٧٣هـ) فلكل واحدٍ منهم ترجمة مسهبة للسيوطيّ خلّدت سيرته ووثّقت كتبه وبيّنت جوانب الفرادة عنده.

أمّا شيوخه فهم كُثر، أفرد لهم ثلاثة كتب، منها كتابه المتداول المطبوع: "المنجم في المعجم"[٣] ويهمّنا منهم في العربيّة اثنان: الشُّمُنّيّ، والكافيَجي.

أمّا الشُّمُنّيّ فهو تقي الدين الحنفيّ[٤]، ولد في أوّل القرن التاسع الهجريّ وتوفّي سنة ٨٧٢هـ، برع في النحو حتى وُصِف بأنّه خليلُ زمانه، وشيخُ العلماء في أوانه، قال

---

(١) انظر: التحدّث بنعمة الله: ١٥٠-١٥٢.

(٢) عمل إياد خالد الطباع معجماً لتلاميذ السيوطيّ، انظر كتابه: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطيّ: ٤٠٩-٤٢٤.

(٣) حقّقه: إبراهيم باجس عبدالمجيد.

(٤) انظر ترجمته في: بغية الوعاة: ١/٣٧٥-٣٨١. والمنجم في المعجم: ٨٢-٩٢.

السيوطيّ: «لازمتُ الشيخ مدّة سنتين في الرواية والدِّراية، فقرأتُ عليه، وسمعت منه الكثير»[١] كحاشيته على المغني المعروفة بـ "المنصِف" بعد قراءة "المغني" نفسه، وقراءة أوضح المسالك لابن هشام.

أمّا الكافيَجي فهو محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد الروميّ البرعميّ الحنفيّ[٢]، ولِد سنة ٧٨٨هـ، وتوفي سنة ٨٧٩هـ، اشتُهر بشرح كافية ابن الحاجب حتى نُسِب إليها، قال السيوطيّ: «لزمْتُه أربع عشرة سنة، فما جئته من مرّة إلا وسمعتُ منه من التحقيقات والعجائب ما لم أسمعْه قبل ذلك»[٣]، قرأ عليه كتابه: "شرح قواعد الإعراب" لابن هشام، وكشّاف الزمخشريّ وحواشيه، ومُغني اللبيب وحاشيته، والتلويح، وغير ذلك.

عنايته بكتاب مُغني اللبيب:

تدلُّ الكتب التي درسها السيوطيُّ في النحو على اشتغال نحاة عصره بكُتب ابن هشام، كقواعد الإعراب، ومُغني اللبيب؛ لهذا يغدو طبيعياً أن يتابع هو الاشتغال بهذه الكتب، ولا سيّما كتاب مُغني اللبيب؛ إذ خدمه بخمسةِ كتبٍ هي:

١- تحفة الغريب - وقيل: القريب - في الكلام على مغني اللبيب[٤].

٢- الفتح القريب على مغني اللبيب، وهو حاشيته المشهورة على مغني اللبيب، حقّقها: عبدالمجيد فلاح في رسالته للماجستير في جامعة دمشق سنة ١٩٩٩م[٥].

٣- شرح شواهد المغني، وهو شرح مطبوع متداول لشواهد المغني، شرح فيه السيوطيّ شواهد المغني، وعرّف بقائليها، وذكر شيئا من أبيات قصيدة الشاهد مع

---

(١) المنجم في المعجم: ٨٦.
(٢) انظر ترجمته في: بغية الوعاة: ١/١١٧-١١٩. والمنجم في المعجم: ١٨٣-١٨٦.
(٣) بغية الوعاة: ١/١١٨.
(٤) انظر: كشف الظنون: ٢/١٧٥٣. وهدية العارفين: ٥/٥٦٧ وهو مطبوع مع كشف الظنون.
(٥) توجد نسخة من الرسالة في قاعة الرسائل الجامعيّة في الجامعة الأردنيّة.

نكتٍ لغويّة ونحويّة وتاريخيّة.

٤- نكت على شرح شواهد مغني اللبيب[١]، يبدو كحاشية على كتابه السابق.

٥- تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب، وهو الكتاب الذي ننهض بتحقيقه.

ابن هشام وكتابه مغني اللبيب

ابن هشام الأنصاريّ نحويّ ذو تميّز وافتراق عن سائر النحاة قديماً وحديثاً، وكتابه "مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب" ظاهرة فريدة في التأليف النحويّ.

ابن هشام الأنصاريّ:

هو جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاريّ، المعروف بـ "ابن هشام"[٢]، نحويّ متخصّص في النحو العربيّ بكلّ ما تحمله كلمة التخصّص من سعيٍ دؤوب وراء الإحاطة بالنحو العربيّ في عصر امتاز بالعلماء الموسوعيّين الذين تتنوّع معارفهم وعلومهم؛ ذلك أنّ انصرافه في عصره عن ظاهرة موسوعيّة المعرفة إلى ظاهرة موسوعيّة التخصّص يجعل منه نحويّاً خالصاً عقله لدراسة النحو ومُدارسته، فإنْ تعلّق بعلوم أخرى كالفقه والقراءات؛ فلكي تكونَ طريقاً يسلكها في الوصول إلى كُنه النحو العربيّ، كأنّه وعى قولة الخليل بن أحمد الفراهيدي: «إنّك لن تعرف النحو حتى تعرف ما لا تحتاج إليه من غير النحو».

وُلِد ابن هشام في ذي القعدة سنة ثمانٍ وسبعمائة للهجرة الموافق شهر أيّار سنة

---

(١) كشف الظنون: ٢/١٧٥٣.

(٢) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة: ٢/١٨٧-١٨٨. والنجوم الزاهرة: ١٠/٢٦٢-٢٦٣. وبغية الوعاة: ٢/٦٨-٧٠.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن هشام الأنصاريّ: آثاره ومذهبه النّحويّ.
- ابن هشام النحويّ: عصره، بيئته، فكره، مؤلفاته، منهجه، ومكانته في النحو.
- تطوّر الآراء النحويّة عند ابن هشام الأنصاريّ.

تسع وثلاثمائة وألف للميلاد، وتوفي في ذي القعدة سنة واحدة وستين وسبعمائة للهجرة الموافق شهر أيلول سنة ستين وثلاثمائة وألف للميلاد.

أخذ النحو عن عبداللطيف بن المرحِّل، وتاج الدين التبريزيّ، وتاج الدين الفاكهانيّ، وأبي حيان الأندلسيّ، ولم يلازمه، «وكان منفرداً بالفوائد الغريبة، والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البارع، والاطلاع المفرط، والاقتدار على التصرّف في الكلام، والملَكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصوده بما يريد مُسهباً ومُوجِزاً مع التواضع والبرّ والشفقة ودماثة الخلق ورقّة القلب»(١).

وبلغ من شهرة ابن هشام في النحو أن قال فيه ابن خلدون: «ما زلنا نسمع أنّه ظهر بمصر عالِمٌ بالعربيّة، يُقال له: ابن هشام، أنحى من سيبويه»(٢).

إنّ صدور هذه المفاضلة في النحو بين سيبويه وابن هشام من عالمٍ خبيرٍ بتصنيف العلوم ومراتب العلماء كابن خلدون تختصر نحاة العربيّة في اثنين: سيبويه، وابن هشام، فالأوّل تهيّأ له إبداع الكتاب، والثاني تهيأ له إبداع "مغني اللبيب" ولكن طريق ابن هشام نحو الإبداع كانت تمرّ بالاطلاع على تجارب التأليف النحويّ قبله، والقيام بتجارب في التأليف النحويّ، عبّرت عنها كتبُه، فالشروح كشرح الألفية المعروف بأوضح المسالك، وشرح التسهيل، وشرح اللمحة البدريّة تعلِّمُ التدقيق في آراء النحاة، والمحاولات الخاصة تدلّ على شخصيّة تبحث عن الإبداع والتميّز. ففي: "قطر الندى وبل الصدى" رؤية نحويّة لا تخرج عن الرؤية العامة لترتيب أبواب النحو العربيّ وعرض مسائله وقضاياه. وفي: "شرح شذور الذهب" محاولة لتصنيف النحو العربيّ وفق نظريّة الأحكام الإعرابيّة كالمرفوعات، ثم المنصوبات، ثم المجرورات، ثم المجزومات، ثم ما يعمل عمل الفعل من المصادر والمشتقات وأسماء الأفعال، ثم التوابع أي أحكام

---

(١) بغية الوعاة: ٢/٦٩.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٦٩.

الاسم والملحق به والتوابع. وفي: "قواعد الإعراب" اتكاء على نظريّة الجملة في عرض المادّة النحويّة.

إنّ هذه الرؤى المختلفة لمنهجيّة عرض المادّة النحويّة دليل واضح على أنّ الهمّ الذي كان يستولي على عقل ابن هشام هو البحث عن منهج جديد في عرض المادة النحويّة، إذ أدرك أنّ أزمة النحو العربيّ ليست في قوانينه وأحكامه وأبوابه وأقيسته وتعليلاته بل هي في الحقيقة أزمة منهج، يؤلّف بين مسالك النحو العربيّ من جهة، ومتطلبات تعليمه من جهة أخرى، وكان خروج ابن هشام من هذه الأزمة ابتداعاً في نسْج كتابٍ، يُعدُّ نسيج وحده بين كتب النحو، سمّاه "مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، وقد وقف عليه ابن خلدون، فقال: «فوقفنا منه على علمٍ جمٍّ يشهدُ بعلوّ قدره في هذه الصناعة، ووفور بضاعته منها»[١].

ومُغني اللبيب هو النسخة الثانية المعادة من كتاب ألّفه ابن هشام في علم الإعراب سنة تسع وأربعين وسبعمائة بمكّة المكرّمة، ثم أصيب به عند مُنصرفه منها، فلما عاد إلى مصر استأنف العمل بلا كسل حتى أهدى المكتبة النحويّة كتاب المغني[٢]، فكأنّه عندما أعاد بناء الكتاب، أعاد التفكير فيه منهجاً وحجماً وهدفاً ووسيلةً عدا إفادته من تطبيق رؤاه في كتبه الأخرى، فجاء بكتاب ناضج الرؤية، آية ذلك أنّه حدّد في فاتحة الكتاب الأدوار الثلاثة لكتب النحو الطوال، وهي: كثرة التكرار، وإيراد ما لا يتعلّق بالإعراب، وإعراب الواضحات[٣].

وكان ابن هشام يشعر بثقل أمانة علم النحو في صدره؛ فكان دائم المراجعة لأغلاط المُعْربين الذين يعلّمون النحو، فالنحو ليس متعةً تجريديّة يستمتع بها بعضُ العلماء بل هو وسيلة تعليميّة هدفه المحافظة على ديمومة اللغة العربية؛ لهذا لا ينبغي

(١) مقدمة ابن خلدون: ٤٧١.
(٢) انظر خطبة كتاب مغني اللبيب: ٢٧/١.
(٣) انظر: المصدر نفسه: ٢٨/١-٣١.

للعلماء أن يترفّعوا عن أداء واجبهم في الإشراف على مُعلّمي العربيةِ الذين يعلّمون الناشئة لغة القرآن الكريم، كما ينبغي عليهم الاهتمام بما يصدر عن مُعلّمي العربيّة من ملحوظات تعليميّة عدا الاهتمام بمشكلات عصرهم في النحو، فابن هشام يحمل في صدره خلاصة الفِكر النحويّ عبر تاريخه كما يحمل خلاصة تجارب تعليم النحو حتى عصره، وقد أعمل عقله فيما يحمله صدره، فأتى بعدة كتب أهمّها "مغني اللبيب".

مُغني اللبيب:

"مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" كتابٌ له من اسمه النصيبَ الأوفى، فغاية مؤلّفه أن يستغني الفقير إلى النحو بهذا الكتاب عن غيره من كتب النحو، شرطَ أن يكون المتعلّم لبيباً قابلاً للتعليم والفهم، وقد حصره ابن هشام في ثمانية أبواب تشكّل منهجاً تكاملياً في الخروج من أزمة النحو وفق رؤيته واجتهاده، وهي:

الباب الأوّل: في تفسير المفردات وذِكر أحكامها؛ لأنّ جمهور النحاة درجوا على تشتيت أحكام المفردات حسب أبوابها، فكانوا يتحدّثون عن الواو في باب المفعول معه، والحال، والعطف، والقَسَم وغيره من أبواب النحو، من غير أن يفردوا هذه الأحكام في باب واحد يسهِّل على الطالب إدراك تصوّر النحاة الكليّ لها.

الباب الثاني: في تفسير الجُمل وذِكر أقسامها وأحكامها، فجمهور النحاة أهملوا الحديث عن طول الجملة العربيّة التي قد تتكوّن من عدة جمل صغرى، كما وزّعوا أحكامها حسب أبواب النحو، كالخبر، والمفعول به، والحال، والنعت، وغيره من أبواب النحو.

الباب الثالث: في تفسير شبه الجملة وذِكر أحكامها، فكثرة دوران شبه الجملة في التعبير اللغويّ العربيّ يجعل منها ظاهرة تستأهل التقنين.

الباب الرابع: في توضيح الأحكام التي يكثر دَوْرُها ويقبح بالمُعْرب جهلُها؛ لأنّ

بعض الأحكام تبدو كأنها سرُّ صنعةٍ يعرفها النحاة الراسخون في علمهم في حين يتداولها عن غير إدراك صحيح كثيرٌ من المشتغلين بالعربيّة، فكأنّه يريد أن يحوّل معرفة بعض الأحكام من مرحلة الأعراف غير المكتوبة إلى مرحلة الأحكام المتداولة.

الباب الخامس: في ذِكر مزالق الخطأ في الإعراب؛ وهو معالجة دقيقة لجدلية العلاقة بين النحو والمعنى.

الباب السادس: في التحذير من أمورٍ اشتُهرت بين المُعْربين والصواب خلافها، وهو معالجة للأخطاء العلميّة في تعليم النحو في عصره.

الباب السابع: في كيفية الإعراب، وهو بحث في الموازنة الضروريّة بين القواعد من جهة (النحو)، وتحليلها من جهة أخرى (الإعراب) لهذا جاء الحديث في هذا الباب تقنيناً لمعادلات الإعراب في العربيّة.

الباب الثامن: في الكليات والجزئيّات، وهو حصر للقواعد الكليّة التي تنبثق منها القوانين الجزئيّة في النحو العربيّ بتوضيح العلاقة بين الأصل والفرع في مستوى النظريّة النحويّة وتطبيقاتها.

"مغني اللبيب" منهج جديد في النحو العربيّ، لاقى قبولاً حسناً عند العلماء قديماً وحديثاً، لكن المشكلة الكبرى في نظرنا أنّ ضوءَ "مغني اللبيب" أبهر علماء كثراً فوقفوا أمامه بين كاتب شرح، أو حاشية، أو نكت، أو تعليقات، أو محوّل إيّاه من نثر إلى شعر منظوم مع وجود استثناءات قليلة لم تصل إلى مستواه كهمع الهوامع للسيوطيّ.

وقيمة كتاب "مغني اللبيب" في منهجه، وقيمة الكتب التي دارت حوله مستمدة منه بيد أنّ في ثنايا هذا المنهج منهجاً لافتا في البحث العلميّ، تمثّل بموضوعيّة ابن هشام؛ إذ كان خالياً من التعصّب لمذهب نحويّ، أو إمام نحويّ، أو نحاة إقليم من أقاليم

الإسلام.

كما لم تؤثّر مذاهب النحاة في الفقه والأصول والفكر في أخذه للآراء أو ردّها؛ لهذا جاء "مغني اللبيب" خلاصة للفكر النحويّ حتى عصره، فيه مناقشات لآراء البصريين والكوفيّين والأندلسيّين وغيرهم.

وفيه مناقشة لبعض آراء سيبويه، وأبي علي الفارسيّ، وابن مالك، وأبي حيان الأندلسيّ، وغيرهم.

وفيه تنوّع في استقصاء المادّة النحويّة من كتب نحاة العراق والشام ومصر والأندلس وغيرها.

وفوق هذا كلّه فيه ترجيح وفق أصول النحو العربيّ، فإن استقام له الرأي وفق أصول النحو العربيّ فهو رأيه ومنهجه من غير ليٍّ للشواهد ودلالتها، أو تحريف لمفهوم نظريّة أو علة أو مصطلح، لهذا اعتنى العلماء به[١]، ومنهم السيوطيّ الذي خصّه بخمسة كتبٍ، فصار أكثر النحاة تأليفاً على "مغني اللبيب"، ورأى أنّ لكتاب "مُغني اللبيب" ثلاثة مداخل، هي:

١- مدخل الأحكام النحويّة، وقوانينها.

٢- مدخل الشواهد الشعريّة.

٣- مدخل النحاة المذكورة أراؤهم فيه.

فولج إلى المدخل الأوّل بحاشيته "الفتح القريب"، وإلى المدخل الثاني بكتابه "شرح شواهد المغني"، وإلى المدخل الثالث بكتابه "تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب". وزاد على هذه الكتب كتابين.

---

(١) انظر أسماء الكتب المؤلفة على "مغني اللبيب" في "كشف الظنون": ٢/١٧٥٣.

تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب

تدقيق اسم الكتاب:

الاسم المثبتُ على جزأي المخطوط: الأول والثاني هو: "تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب" بخطِّ السيوطيِّ نفسه، وهذا الإثبات وحدَه كافٍ لتوثيق اسم الكتاب، لكنَّ المشكلة أنَّ بعض المصادر أشارت إلى تسمية أخرى تُحْوِجُ إلى التدقيق في اسم الكتاب، ثم توثيقه؛ ذلك أنَّ حاجي خليفة سمّى الكتاب "تحفة الحبيب بنحاة مُغني اللبيب"[(١)] ووافقه على هذا الاسم إسماعيل باشا البغداديّ[(٢)].

وأشار إياد خالد الطبّاع وأحمد الشرقاويّ إلى وجود مخطوط للسيوطيّ -لم يحدِّدا مكانه- اسمه "تحفة الحبيب بنحاة مُغني اللبيب"[(٣)].

كما أشار محمد الشيباني وأحمد الخازندار إلى وجود مخطوط للسيوطيّ في المكتبة السليمانيّة باستانبول بعنوان: "تحفة الحبيب بنحاة مُغني اللبيب" برقم (١٤١٤)[(٤)]، وهي إشارة غير دقيقة لأنَّ هذا الرقم هو رقم الجزء الثاني من المخطوط الذي ننهض بتحقيقه، والعنوان المثبت عليه هو: "تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب" لكنَّ مُفهرسي المكتبة السليمانيّة قرأوا حرف الدال راءً، فكتبوا في بطاقة فهرسته Tuhfat al-arib fi nukat mujni al-Labib، وهي قراءة غير دقيقة من وجهة نظرنا؛ لأنَّ السيوطيّ لا يكتب حرف الراء بالرسم المكتوب على غلاف هذا الجزء، ولا سيّما أنَّ العنوان الراجح الصريح ورد مرتين في الجزء الأوّل بالدال الصريحة: مرة على غلاف الجزء، وأخرى في خطبة الكتاب.

واللافت أنَّ السيوطيّ نفسه في فهرس مؤلفاته الذي كتبه قبل سبع سنوات من

---

(١) كشف الظنون: ١٧٥٣/٢.

(٢) هدية العارفين: ٥٣٧/٥.

(٣) الإمام الحافظ جلال الدين السيوطيّ: ٣٣٠. ومكتبة الجلال السيوطيّ، ١٢٣.

(٤) دليل مخطوطات السيوطيّ: ١٢٩.

وفاته(١) أثبت عنوان: "تحفة الحبيب بنحاة مُغني اللبيب"(٢)، وهذا يدلّ على أنّ حاجي خليفة ومن تابعه اطّلعوا على فهرست مؤلفات السيوطيّ هذا، ولم يطّلعوا على الكتاب نفسه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فليس ببعيد أن تكون لدى السيوطيّ رغبة في تغيير اسم الكتاب، لكنّ يد المنون القاضية كانت أسرع من يده الكاتبة.

فاسمُ الكتاب "تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب" للأدلّة السابقة إضافةً إلى دليلين جديدين:

أولهما: أنّ السيوطيّ نفسه قد أشار في الفتح القريب إلى اسم الكتاب صراحة، فقال عن المالقي: "هو صاحب رصف المباني، واسمه أبو جعفر أحمد بن عبدالنور بن رشيد المالقيّ، أحد شيوخ أبي حيان، وترجمته في كتاب: تحفة الأديب بنحاة مُغني اللبيب"(٣) مع التنبّه إلى تغيير يسير بإحلال حرف الباء محل حرف الجرّ (في) ضمن موضعه من العنوان، وهذا التغيير من الهنات التي لا ينبغي الالتفاتُ إليها.

وأمّا ثانيهما فهو أنّ عبدالقادر البغداديّ قد نقل شيئاً من ترجمة الرياشيّ عن تحفة الأديب، ثمّ قال: «... كذا في تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب، ومن خطّه - يقصد السيوطي- نقلتُ»(٤).

لكنّ الغريب أنّ عبدالقادر البغداديّ في موضع آخر ذكر اسم الكتاب بالراء لا بالدال، فقال بعد أن ذكر شيئاً من ترجمة ابن الأخضر، وابن الأبرش: «نقلتُ ترجمتهما من تحفة الأريب في نحاة مُغني اللبيب للسيوطيّ»(٥)، وهذا سهو من عبدالقادر البغداديّ، أو من النُسّاخ، أو من المحقّقَيْن؛ لأنّ ترجمة ابن الأخضر، وابن الأبرش

(١) انظر: معجم طبقات الحفّاظ والمفسّرين: ١٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢١. وفهرس مؤلفات السيوطيّ المنسوخ في عام ٩٠٣هـ، مجلة عالم الكتب، مج١٢، ع٢، ٢٤٠. وفهرس مخطوطات السيوطيّ: مجلة عالم الكتب، مج١٢، ع٤، ٦٤٢.

(٣) الفتح القريب: ١٤٤.

(٤) شرح أبيات مُغني اللبيب: ١/٢٥٦.

(٥) المصدر نفسه: ٧/١٣٠.

تقعان في الجزء الأوّل، وهو بلا خلاف " تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب"، وقد أثبت هذا العنوان مفهرسو مكتبة شهيد علي باشا، فكتبوا بالحروف اللاتينيّة.[١] Tuhfat al-Adib fi nuhat mugni al-Labib

توثيق نسبة الكتاب للسيوطيّ:

لا مشكلة في إثبات صحّة نسبة الكتاب للإمام الحافظ جلال الدين السيوطيّ، لأنّ معظم الكتاب بخطّ السيوطيّ نفسه، وقد أشار إليه في مقدمة كتابه "الفتح القريب" فقال في تعليل عدم التعرّض لبسط تراجم مغني اللبيب في حاشيته "الفتح القريب": «اكتفاءً بالكتاب المبسوط الذي أفردته في ذلك»[٢].

وأحال عليه في تضاعيفه[٣]، عدا ورود اسمه في أحد الفهارس التي ألّفها السيوطيّ لكتبه، وتأكيد صحّة هذه النسبة عند عبدالقادر البغداديّ في شرح أبيات مُغني اللبيب[٤]، إضافةً إلى أنّ منهج كتاب تحفة الأديب لا يخرج عن المنهج العام الذي عُرف به السيوطيّ، من حديث النقل، والإحالة، واعتماد منهج المحدّثين، والأسلوب العام في الكتابة، كما لا توجد شبهة في أن يكون الكتاب منحولاً على السيوطيّ لكي نقوم بمناقشتها، لكنّ الحقيقة العلميّة تقتضي ذكر معلومةٍ مهمةٍ، فثمة في المخطوط خطٌّ آخر غير خطّ السيوطيّ يمتاز بصغر الحجم والمبالغة بوضع نُقط الإعجام حتى على الأحرف المهملة كالألف المقصورة، وهذا الخطّ يشكّل من المخطوط قرابة الخُمس، ويبرز عادة في نقل النصوص الطويلة من المظانّ من غير تصرّف، كما في نقل نصّ المناظرة الكبرى بين النحو العربيّ والمنطق اليونانيّ التي جرت بين أبي سعيد السِّيرافيّ، ويونس بن متّى القُنّائيّ؛ إذ نُقلتْ هذه المناظرة من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان

---

(١) لا يغيب عن القارئ المدقّق أنّ ثمة اختلافاً في الكتابة بالحروف اللاتينيّة بين الجزء الأوّل والثاني من المخطوط.

(٢) الفتح القريب: ١.

(٣) انظر: المصدر نفسه: ١٤٤.

(٤) انظر: شرح أبيات مُغني اللبيب: ٢٥٦/١، ١٣٠/٧.

التوحيديّ، وهي تقع في ستّ عشرة صفحة مزدوجة من مصورة المخطوط تعادل اثنتين وثلاثين صفحة مفردة.

وتفسير هذه الظاهرة فيما نرجح أنّ السيوطيّ كان لسببٍ ما يعهد بنقل النصوص الطويلة إلى من يثق به، بدليل أنّه كان يُراجعُ النقل، فإذا بدا له أن يصحّح غلطة، أو يضيف شيئاً، أو يحذف شيئاً، فَعَل ذلك بخطّه المعروف في سائر المخطوط. أمّا التصرّف والتلخيص والاختصار فلا يكون إلا بخطّه هو، كما في اختصاره شرح قصيدة ذات الحلل لعلم الدين السخاويّ.

زمن تأليف الكتاب:

من الواضح أنّ السيوطيّ لم يؤلّف الكتاب دفعة واحدة، كما لم يذكر زمن بدء تأليفه الكتاب، لأنّ الكتاب في الحقيقة مسوّدة غير تامّة نرجّح أن يكون عمل في تسويدها على مراحل، وفي الوقت نفسه كان يعمل في إنشاء كتبٍ أخرى فعندما أحال في "الفتح القريب" عليه في ترجمة المالقيّ[1]، كانت إحالتُه على ما سيكون لا على ما هو كائن بالفعل؛ لأنّه أفرد للمالقيّ في تحفة الأديب صفحتين لم يكتب فيهما شيئاً سوى اسم شهرته.

فيكون السيوطيّ قد شرع في تأليف "تحفة الأديب" قبل تأليف "الفتح القريب" لكنه لم ينتهِ منه، كما أنّه لم يعدّه من كتبه التامة أو غير التامة إلاّ في الفهرس الذي كتبه قبل سبع سنوات من وفاته، إذ ذكر اسمه من غير تعليق.

وتفسير عدم اكتمال الكتاب فيما نرجّح عائد لأمرين:

أولهما: انشغال السيوطيّ بأمور أخرى كالتدريس، أو التأليف، أو الردّ على مناوئيه في عصره.

---

(١) انظر: الفتح القريب: ١٤٤.

وثانيهما: عدم وجود مصادر علميّة يتكئ عليها في عمل ترجمة مسهبة مبسوطة لبعض النحاة، ولا سيما نحاة الأندلس مثل: ابن معزوز، والمالقيّ، وابن يسعون، عدا أنّ بعض النحاة اشتُهروا بكتبهم لا بمعرفة العلماء لأخبارهم مثل السكّاكيّ، فقد طارت شهرته في العالم الإسلاميّ بسبب كتابه "مفاتح العلوم" لكن سيرته شبه مطوية.

طبقات السيوطيّ الثلاث في تراجم النحاة:

للسيوطيّ ثلاثة كتبٍ في طبقات النحويّين واللغويّين، هي: طبقات النحاة الكبرى، وطبقات النحاة الوسطى، وطبقات النحاة الصغرى، ومصطلح "الطبقات" لا يشير إلى اسم الكتاب بل يشير إلى منهج ترتيب تراجم مَنْ فيه من النحاة واللغويّين، وثمة خلطٌ كبيرٌ في تحديد اسم كلّ طبقة من الطبقات الثلاث، فالسيوطيّ في سيرته الذاتيّة التي كتبها سنة ستّ وتسعين وثمانمائة[١] يقول في مَسْرَدِ أسماء المصنّفات التي صنّفها، وادّعى فيها التفرّد بعدم وجود نظير لها في الدنيا ما نصّه: «طبقات النحاة الكبرى: تُسمّى: بغية الوعاة»[٢]، ويورد في أسماء المصنّفات التي لها ما يماثلها، ويمكن للعلاّمة أن يأتي بمثلها، ومنها ما تمّ، أو كُتبتْ منه قطعةٌ صالحة من الكتب المعتبرة التي تبلغ مجلداً وفوقه ودونه ما نصّه: «طبقات النحاة الصغرى، مجلّد»[٣].

وذكر في سيرته أنّه اجتمع في مكّة المكرّمة سنة تسع وستين وثمانمائة بتاج الأصحاب الحبيب في الله الحافظ نجم الدين عمر بن تقي الدين محمد بن فهد، فوقفه على كتاب "طبقات النحاة الكبرى" فحثّه الحافظ نجم الدين على اختصارها[٤]، فحمدَ السيوطيُّ رأيَه، وشكر لذلك سعيه، ولخّص منها اللباب في كتاب جديد سمّاه "بغية

---

(١) التحدّث بنعمة الله: ١٦١.
(٢) المصدر نفسه: ٩٩.
(٣) المصدر نفسه: ١٠١.
(٤) المصدر نفسه: ٨٣-٨٤.

الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"[١]، وترك مسوّدة طبقات النحاة الكبرى على حالها مدّة من الزمان، ولم يُدخل شيئاً منها في حاشيته على مُغني اللبيب المسماة بالفتح القريب[٢].

فالسيوطيّ سمّى طبقات النحاة الكبرى باسم: "بغية الوعاة" ثم اختصرها قبل سنة ستّ وتسعين وثمانمائة بالاسم نفسه بحذف الأسانيد والأحاديث والفوائد والفرائد والمحاورات والمناظرات والألغاز والزوائد[٣]، بدليل أنّه صرح في مقدمة "بغية الوعاة" بأنّه «ألغى عن الطبقات الكبرى الاسم الأوّل»[٤]؛ فيكون كتاب "بغية الوعاة" المتداول المطبوع هو "الطبقات الصغرى" بالنسبة لأصله، وبالاسم نفسه، وذلك قبل تأليف الكتاب الثالث في طبقات النحاة، وهو تحفة الأديب.

ويوجد من طبقات النحاة الكبرى نسخة مخطوطة في مكتبة رئيس الكتّاب بتركيا برقم (١١٦١)[٥]، وهذه النسخة لم يتيسّر لنا الاطلاع عليها، أو التأكد من وجودها ومحتواها.

أمّا كتاب "طبقات النحاة الوسطى" فهو تالٍ لأخويه السابقين في التسمية؛ ذلك أنّ السيوطيّ عندما عزم على تأليف كتاب جامع مبسوط في أخبار النحاة المذكورين في "مُغني اللبيب" عاد إلى مسوّدة طبقات النحاة الكبرى، وانتقى منها تراجم نحاة مغني اللبيب، فكانت من حيث الحجم ثلث تلك المسوّدات[٦]، ومن حيث العدد كانت أقلّ من ٦٪ من تراجم "البغية الكبرى" والصغرى؛ لأنّهما متماثلتان في عدد التراجم لكنهما مختلفتان في الحجم؛ فهل "تحفة الأديب" هي الطبقات الوسطى باعتماد مبدأ الحجم أم

(١) بغية الوعاة: ١/٥-٦.
(٢) المصدر نفسه: ١/٦.
(٣) المصدر نفسه: ١/٦.
(٤) المصدر نفسه: ١/٦.
(٥) دليل مخطوطات السيوطيّ: ١٣٢.
(٦) انظر: بغية الوعاة: ١/٦.

هي الصغرى باعتماد مبدأ العدد؟

ذهب جرجي زيدان إلى أنّ الطبقات الصغرى هي بغية الوعاة[١]، وذهب بروكلمان ووافقه عدنان محمد سلمان وأحمد الشرقاوي إلى الرأي نفسه[٢]، لكنّ بروكلمان ذكر ثانيةً أنّ طبقات النحاة الصغرى هي بعنوان "بغية الوعاة" أتمّها السيوطيّ عام واحدٍ وسبعين وثمانمائة، وتضمّ المذكورين في الفتح القريب شرحَه على مُغني اللبيب[٣]. وهو وَهْمٌ ناتجٌ عن الخلط بين "بغية الوعاة" و"تحفة الأديب" من جهة، وإعادة تسمية السيوطيّ طبقاته من جهة أخرى؛ ذلك أنّه توجد من طبقات النحاة الوسطى بخطّ السيوطيّ نفسه نسخةٌ خطّية في المكتبة الوطنيّة في باريس رقم (٢١١٩)، وقد صوّر مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية نسخة عنها، اطّلعنا عليها، فإذا هي من أفضل النسخ الخطّيّة من "بغية الوعاة" المطبوعة، أي أنّ الرأي الذي استقرّ عليه السيوطيّ في تسمية طبقاته هو: "الطبقات الكبرى" التي لم تبيّض، و"الطبقات الوسطى" وهي: بغية الوعاة، و"الطبقات الصغرى"، وهي: تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب.

هل استوفى السيوطيّ نحاة مُغني اللبيب؟

عدد تراجم النحاة في تحفة الأديب واحدة وعشرون ومائة ترجمة، بما فيها التراجمُ المهملة التي عَنْوَنَ لها السيوطيّ من غير تعريف بها، كالصفّار، والسكّاكيّ، وابن يسعون، لكنّ هذا العدد لا يمثّل نحاة مغني اللبيب جميعهم، فقد غفل عن الترجمة للنحاة التالية أسماؤهم:

١- أبو الأسود الدؤليّ، ظالم بن عمرو.

٢- الجزوليّ، عيسى بن عبدالعزيز.

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربيّة: ٣/٢٤٠.
(٢) انظر: تاريخ الأدب العربيّ: ٦/٦٧٥. والسيوطيّ النحويّ: ١٧٣. ومكتبة الجلال السيوطيّ: ٢٤٨.
(٣) تاريخ الأدب العربيّ: ٦/٦٧٥.

٣- الجلوليّ، الحسن بن علي القيروانيّ.

٤- الزّياديّ، إبراهيم بن سفيان[١].

٥- ابن سعدان، محمد بن سعدان الكوفيّ.

٦- ابن عمرون، محمد بن محمد الحلبيّ.

٧- الكَرْمانيّ، محمود بن حمزة.

٨- ابن هشام الخضراويّ، محمد بن يحيى.

٩- ابن هشام اللخميّ، محمد بن أحمد[٢].

١٠- الواسطيّ، القاسم بن محمد الضرير[٣].

أمّا أبو الأسود الدؤليّ، فقد استشهد ابن هشام بشعره في أربعة مواضع[٤] من غير أن يصرّح باسمه، لهذا لم يترجم له السيوطيّ.

وأمّا الجزوليّ فقد جاء اسمه عَرَضاً في سياق حكاية يرويها الشلوبين عن نحويّ -لم يسمِّه- من كبار طلبة الجزوليّ[٥]، ولم يعرض ابن هشام أيّ رأي للجزوليّ.

وأمّا الجلوليّ، فقد ذكره ابن هشام في حديثه عن تاء التأنيث الساكنة المفتوحة،

---

(١) وهم محقّق كتاب مغني اللبيب عندما ظنّ أنّ الزياديّ هو عبدالله بن أبي إسحق الحضرميّ.
انظر: مغني اللبيب: ٣/٢٠٤.

(٢) ظنّ محقّق كتاب مغني اللبيب أنّ ابنَ هشام الخضراوي، وابنَ هشام اللخميّ شخصيةٌ واحدةٌ، فترجم للثاني منهما، وأحال على مواضع ذكر الاثنين معاً.
انظر: مغني اللبيب: ٣/٢٦١/

(٣) سمّى محقّق مغني اللبيب الواسطيّ: القاسم بن القاسم بن عمرو. وهو وهم وسهو، والصواب ما أثبتنا.
انظر: مغني اللبيب: ٣/٢٦٣. وبغية الوعاة: ٢/٢٦٢. وله شرح على لمع ابن جنّي محقّق مطبوع.

(٤) انظر فهرس مواضع وروده في مغني اللبيب: ٣/١٧١.

(٥) انظر: مغني اللبيب: ٢/٢٥٠.

فقال: «والتاء الساكنة في أواخر الأفعال حرفٌ وُضِع علامةً للتأنيث كـ "قامتْ"، وزعم الجلوليُّ أنّها اسمٌ، وهو خرقٌ لإجماعهم»[١]، ويمكن تعليل إغفال السيوطيِّ له بعدم معرفته به حتى إنّه لم يذكره في "بغية الوعاة"؛ ذلك أنّ الجلوليَّ مستورٌ ذِكْرُه في كتب النحو باستثناء كتب أبي حيان الأندلسيِّ، وهو معدود بين القرّاء لا النحويّين.

وأمّا الزياديّ، فقد ذكر له ابن هشام رأياً في جواز حمل الاسم المرفوع المنوّن بعد اسم الإشارة المنادى على عطف البيان، نحو: «يا هذانِ زيدٌ وعمرٌو»[٢]، ولا وجه لإغفال السيوطيِّ الترجمة له.

وأمّا ابن سعدان فقد ذكر ابن هشام أنّه أنكر أن يكون نحو: «يا ابن أخي لا ابنَ عمّي»[٣] من كلام العرب، وهو نحويٌّ متقدّم معروف لا وجه لإغفال الترجمة له.

وأمّا ابن عمرون فقد ذكر له ابن هشام رأياً في عمل همزة الاستفهام، ورأياً ثانياً في توجيه إعراب بيت للحريريِّ، ورأياً ثالثاً في تعلّق الظرف بالمعنى، ورأياً رابعاً في تأويل جملة الحال بمفرد[٤]؛ فلا وجه لإغفال الترجمة له.

وأمّا الكَرْمانيّ فقد ذكره ابن هشام في توجيه إعراب آية قرآنيّة[٥]، وهو مفسّر ونحويّ[٦].

وأمّا ابن هشام الخضراويّ فقد ذكره ابن هشام في تحديد معنى من معاني "حتى" الداخلة على الفعل المضارع المنصوب[٧]، وفي نَقْلِ شَرْطٍ انفرد به من شروط

---

(١) مغني اللبيب: ١/٢٢٨.
(٢) انظر: المصدر نفسه: ٢/٣١٦.
(٣) انظر: المصدر نفسه: ١/٤٦٨.
(٤) انظر: المصدر نفسه: ١/٢٨١، ٢٨٢، ٢/١٠٧، ١٥٠.
(٥) انظر: المصدر نفسه: ٢/٢٧٨.
(٦) بدليل الترجمة له في بغية الوعاة. انظر: ٢/٢٧٧-٢٧٨.
(٧) انظر: مغني اللبيب: ١/٢٤٨.

"حتى" العاطفة، وهو أن يكون المعطوف ظاهراً لا مضمراً، كما أنّ ذلك شرط مجرورها[١]، وذكره ثالثة في تفسير معنى الامتناع في "لو" الشرطيّة بأنّه "التعليق في الماضي" وفاقاً للشلوبين[٢]. وهو نحويّ مشهور لا وجه لإغفال الترجمة له.

وأمّا ابن هشام اللخميّ فقد ذكر ابن هشام عنه أنّه ذهب إلى أنّ من معاني "لو" التقليل[٣]، وهو نحوي مشهور لا وجه لإغفال الترجمة له.

وأمّا الواسطيّ فقد ذكره ابن هشام في مسألة: إذا دار الأمرُ بين كون المحذوف مبتدأ، وكونه خبراً، فأيُّهما أَوْلى؟ لأنّ الواسطيّ ذهب إلى أنّ الأَوْلى كون المحذوف المبتدأ؛ لأنّ الخبر محطّ الفائدة[٤]، ولا وجه لإغفال الترجمة له.

فالسيوطيّ لم يكن دقيقاً في استقصاء نحاة مُغني اللبيب، ولا نجد لهذا الأمر علّةٍ مقنعة إلاّ أن يكونَ قد سها؛ لأنّ المخطوط الذي ننهض بتحقيقه مسوّدة أُولى، وليس ببعيد عن دقّة السيوطيّ المعروفة أنّه لو أتمّه لجاء به أكثر تنسيقاً وتدقيقاً، وأدقّ استقصاءً، فالمسوّدات يقع فيها السهو والخطأ.

أمّا تراجم "تحفة الأديب" فجميعها واردة في "مُغني اللبيب" باستثناء ترجمة صاحب المستوفى: علي بن مسعود؛ ذلك أنّنا لم نقع على اسمه في كتاب مُغني اللبيب، وقد بيّنا في موضع ترجمته أن ترجمته مقحمة على الكتاب بعد وفاة السيوطيّ، وليست من أصل الكتاب، والله أعلم.

بيدَ أنّ اختيار السيوطيّ لمن يترجم له، ولمن لا يترجم له يطرحُ قضية خطيرة في الدراسات اللغويّة عموماً، وهي مفهوم "النحويّ"؛ ذلك أنّ بعض الشخصيات المترجم

---

(١) انظر: مغني اللبيب: ١/٢٥١.
(٢) انظر: المصدر نفسه: ١/٤٩٠.
(٣) انظر: المصدر نفسه: ١/٥٠٧.
(٤) انظر: المصدر نفسه: ٢/٣٨٣. وراجِع كلام الواسطيّ في كتابه: شرح اللُمع: ٣٢.

لها غير معروفة بنشاطها النحويّ، كالخطيب القزوينيّ المعدود بين البلاغيّين، والجاحظ أحد أئمة الأدب، وحفص، وابن مُحَيْصِنِ المعدودَيْنِ بين كبار القرّاء، وغيرهم. ويبدو أنّ السيوطيّ يعدّ كلّ من له تعلّق بالنحو على نحوٍ ما نحوياً بالاتّكاء على قرينة ورود اسمه في كُتب النحاة والنحو، وهو بهذه الرؤية يأخذ بالمنحى التكامليّ الذي يجمع العلوم المتقاربة في دائرة معرفيةٍ واحدة كالفقه والتفسير والحديث والنحو والبلاغة والمنطق. وهو منحى لا نرضى عنه لأنّ إفادة العلوم بعضها من بعض لا تلغي الحدود التخصّصيّة الفاصلة بينها، وإنْ كان السيوطيّ بهذا المنحى التكامليّ للمعرفة يقدّم فائدة جلّى للمشتغلين في الدراسات الشرعيّة كالفقه والحديث والتفسير، والأدبيّة، والبلاغيّة، كما في ترجمته للطبريّ، والجاحظ، والخطيب القزوينيّ.

ولا تتعارض رؤيتنا التخصّصيّة إلى النحو مع حقيقة أنّ بعض النحاة هم في الوقت نفسه من أئمة العلوم الأخرى كالزمخشريّ، وأبي حيان الأندلسيّ.

منهج الكتاب:

لا يستوي منهجُ كتبِ تراجم النحاة واللغويين إلاّ بعد أن يختطَّ المؤلّف خطّة مناسبة لترتيب التراجم، ولعرض ما يراه مناسباً من أخبار المترجَم له، ولتحليل بعض آرائه وأخباره؛ ولهذا يستخدم المؤلّف غالباً ثلاث تَقْنيات منهجيّة: أولاها تقنية الترتيب أو منهجيّته، وثانيتها: تقنية عرض المعلومات، وثالثتها: تقنية تحليل المعلومات.

وهذه التقنيات الثلاث في جوهرها حلولٌ اجتهاديّة من المؤلّف للمشكلاتِ الثلاث التي تستوقفه قبل الشروع في بناء الكتاب: مشكلةِ الكشف السريع عن الترجمة، ومشكلة طريقة عرض أخبار المترجَم له، ومشكلةِ الإضافة الاجتهاديّة التي يضيفها المؤلّف عدا تحليله لأخبار المترجَم له، ولأعماله، ولدَوْره في العلم الذي اشتُهر به. وفي

حلّ هذه المشكلة تظهر شخصية المؤلّف العلميّة في التعامل مع المصادر، والروايات، والأخبار.

ولم يخرج السيوطيّ في بناءِ كتاب "تحفة الأديب" عن هذا النهج العامّ في بناء كُتبِ تراجم النحاة واللغويّين، فاختار منهجيّةً لترتيب التراجم، ونسقاً لعرض أخبار المترجَم له، وموقفاً من المصادر والروايات وَفْق التفصيل الآتي:

١- منهجيّة الترتيب:

حدّد السيوطيُّ في خطبة "تحفة الأديب" منهجَ ترتيبِ تراجم نحاةِ مُغني اللبيب، فقال: «ورتّبتُهُ على حروف المعجم في الشُّهرة»[(١)]، ودافعَ عن اختيار الشُّهرة معياراً لترتيب التراجم بحُجتين: أولاهما: أنّ جمال الدين الإسنويّ اتخذ من الشهرة معياراً في ترتيبِ تراجم الفقهاء في كتابيه في طبقات الفقهاء. وثانيتهما أنّ هذا المعيار في الترتيب «أسهل للكشف».

فالسيوطيّ في منهجيّة الترتيب مُتَّبِع لا مُبْتدِع، كأنّه بخبرته الواسعة في كتب التراجم رأى أنّ هذه المنهجيّة هي الأفضل في ترتيب التراجم؛ لأنّها تسهِّل الوصول إلى الترجمة، ذلك أنّ كثيراً من النحاة عُرِفوا باسم الشهرة لا بالاسم الحقيقيّ، مثل: سيبويه، وثعلب، والمبرِّد، وغيرهم.

وانتبه إلى أنّ اسم الشُّهرة قد يكون الاسم الأوّل مثل الخليل بن أحمد، أو الكنية مثل: أبي حاتم، وأبي حيان، أو النسب: مثل: التبريزيّ، والحوفيّ، والطبريّ، أو التركيب الإضافي مثل: صدر الأفاضل، وصاحب التوشيح، فقسّم مسالك اسم الشهرة الأربعة -الاسم، والكنية، والنسب، والإضافة - إلى قسمين:

١- اسم الشهرة المفرد، مثل الاسم الأوّل غير المركّب والاسم المنسوب، وهذا

---

(١) تحفة الأديب: ١.

يُرَتّب وفق الحرف الأول بعد إسقاط أل التعريف.

٢- اسم الشهرة المركّب مثل الكنية والتركيب الإضافيّ، وهذا يرتّب وفق الجزء الثاني منه، لقوله: «معتبراً في الكنية والإضافة الجزءَ الثاني»[(١)].

وانتبه السيوطيّ إلى سنة الوفاة، واتخذ منها معياراً داخليّاً ضمن الحرف الواحد في الترتيب باعتماد مبدأ أقدميّة الوفاة؛ لقوله «وأُقدِّمُ في كلّ حرفٍ الأقدمَ وفاةً فالأقدم»[(٢)] بترتيب تصاعديّ باتجاه عصر ابن هشام في القرن الثامن الهجريّ.

إذن؛ فاسم الشهرة يحدِّد حرف البحث كالهمزة، والباء، والتاء و.... إلخ، وأقدمية الوفاة تحدِّد الترتيب ضمن الحرف الواحد، فيأتي حفص، وأبو حاتم، والحريريّ، وابن الحاجب، وابن الحاج، وحازم القَرْطاجَنيّ، وأبو حيّان ضمن حرف الحاء، ويكون الترتيب الداخليّ في ترتيب تراجمهم وفق أقدميّة الوفاة، فيكون حفص المتوفّى سنة ٢٤٦هـ أولاً، وأبو حاتم المتوفّى سنة ٢٥٥هـ ثانياً، والحريريّ المتوفّى سنة ٥١٦هـ ثالثاً، وابن الحاجب المتوفّى سنة ٦٤٦هـ رابعاً، وابن الحاجّ المتوفّى سنة ٦٤٧هـ خامساً، وحازم القرطاجَنيّ المتوفّى سنة ٦٨٤هـ سادساً، وأبو حيّان المتوفّى سنة ٧٤٥هـ سابعاً.

فالباحث يحتاج إلى مفتاحين للكشف السريع عن الترجمة التي يريدها: تحديد حرف الشهرة الأوّل، ومعرفة سنة الوفاة ثانياً، مع ضرورة الإلمام بسنوات وفاة بعض النحاة لكي يعرف موقع ترجمة ابن الحاجّ مثلاً ضمن حروف الحاء.

مآخذ على منهجيّة الترتيب:

من حقّ السيوطيّ -رحمه الله- قبل أن نأخذ عليه شيئاً في كتابه "تحفة الأديب" أن نحترس من أمرين يجعلانِ مآخذنا على كتابه نسبيّة ظنيّة غير مطلقة ولا قطعيّة،

---

(١) تحفة الأديب: ٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢.

وهما: أنّ هذه النسخة الوحيدة التي نعتمدها في التحقيق مُسَوَّدة لا تمثّل الصورة النهائيّة للكتاب، وأنّنا لا نستطيع الجزم بعدم امتداد يد العبث إلى صفحات الكتاب، مما جعل الترتيب مختلاً في بعض التراجم، وكيف دار الأمر، فالكتاب عليه المآخذ الآتية في الترتيب:

١- اسم الشهرة مَدْخل قَلِقٌ في الترتيب؛ لأنّه نسبيّ قابل للاختلاف من شخص لآخر، ومن زمان لآخر، ومن مكان لآخر، فصاحب الإيضاح البيانيّ الذي ترجم له السيوطيّ في حرف الهمزة معروف باسم "الخطيب القزوينيّ"، وصاحب التوشيح الذي ترجم له في حرف التاء معروف باسم "خطّاب الماردي"، وابن طاهر الذي ترجم له في حرف الطاء معروف باسم "الخِدَبّ"، قال في بغية الوعاة: «محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاريّ الإشبيليّ أبو بكر المعروف بالخِدَبّ»[1].

وقد يشترك في اسم الشُّهرة أحياناً اثنان من النحويّين واللغويين مثل: الرازيّ أبو الفضل عبدالرحمن بن أحمد العجليّ، والرازيّ فخر الدين محمد بن عمر الطبرستانيّ، وقد حلّ السيوطيّ هذا الإشكال بتقييد الرازي الأوّل باسم "أبي الفضل الرازي" والثاني باسم "الفخر الرازيّ" لكنّ هذا التقييد يجعل الاسم الأول في حرف الفاء حسب منهجه، وكذلك الثاني، ولا يكونان في حرف الراء كما هو حاصل في الكتاب.

ويلفت الانتباه في ترتيب تراجم النحويين أنّ أبناء النحويين إذا كانوا معدودين بين نحاة مغني اللبيب تأتي الترجمة لهم عقب الترجمة لآبائهم كما في مجيء ترجمة يوسف بن الحسن السِّيرافيّ بعد ترجمة أبيه أبي سعيد السِّيرافي، ومجيء ترجمة بدر الدين محمد بن محمد بعد ترجمة أبيه ابن مالك، وهو بهذا المسلك كأنّه يمدّ اسم الشهرة من الأب إلى الابن، وهو امتداد حاصل في امتداد اسم "السِّيرافيّ" من الأب

---

(١) بغية الوعاة: ٢٨/١.

إلى الابن حتى حصل اللبس والخلط بينهما عند بعض النحويّين قديماً والباحثين حديثاً، لكنّ هذا الامتداد غير حاصل بين ابن مالك وابنه بدر الدين لأنّ الثاني اشتُهِر باسم "ابن الناظم".

٢- حصل لبْسٌ يسير في ترتيب التراجم حسب الحروف، إذ جاءت ترجمة الحوفيّ -وهو من حرف الحاء- قبل ترجمة ابن جنّي -وهو من حرف الجيم-، وجاء هامش التعريف بـ "صاحب المستوفى" قبل ابن الضائع، مع أنّ "صاحب المستوفى" يأتي ضمن حرف الميم حسب منهجية الترتيب عند السيوطيّ لأنّه يعتبر الاسم الثاني في اسم الشهرة المركّب، وقد يكون هذا الخطأ في الترتيب دليلاً جديداً على أنّ هذه الترجمة مقحمة على أصل الكتاب وليست منه.

٣- فات السيوطيُّ الحسُّ التاريخيَّ في الترتيب حسب أقدميّة الوفاة، فقد توالتْ ترجمة ابن البادش، ثمّ ابن بابَشاذ، ثمّ ابن بَرْهان، ثمّ ابن بريّ، مع أنّ ابن البادش توفّي سنة ٥٢٨هـ، وابن بابشاذ توفّي سنة ٤٦٩هـ، وابن برهان توفّي سنة ٤٥٦هـ، وابن بريّ توفّي سنة ٥٨٢هـ، أي أنّ الترتيب الصحيح هو: ابن بَرْهان، فابْن بابَشاذ، فابْن البادش، فابْن بريّ.

وحصل هذا الخلل في إقحام ترجمَتَي ابن خروف المتوفّى سنة ٦٠٩هـ، وابن الخبّاز المتوفّى سنة ٦٣٩هـ بين خلف الأحمر المتوفّى سنة ١٨٠هـ، وابن الخيّاط المتوفّى سنة ٣٢٠هـ؛ ذلك أنّ موقعهما الطبيعيّ في آخر حرف الخاء بعد ترجمة ابن الخشّاب المتوفّى سنة ٥٦٧هـ.

وفي حرف الزاي قدّم ترجمة الزمخشريّ المتوفّى سنة ٥٣٨هـ على ترجمة أبي عمر الزاهد المتوفّى سنة ٣٤٥هـ، كما قدّم ترجمة أبي عمر الزاهد المتوفّى سنة ٣٤٥هـ على ترجمة الزجّاج المتوفّى سنة ٣١١هـ، والزَجّاجيّ المتوفّى سنة ٣٣٩هـ.

وترجم في حرف السين لعشرة نحاة جعل موقع سيبويه المتوفّى سنة ١٨٠هـ التاسع بينهم مع أنّه حسب الأقدمية يقع في الموقع الأوّل.

٢- منهجيّة العرض:

كشفت هذه النسخة المسوّدة الأصليّة من المخطوط سراً من أسرار السيوطيّ في ضبط حجم كلّ ترجمة طالت أم قصرت، فكيف كان السيوطيّ يحدِّد حجم كلّ ترجمة؟

يتبادر إلى الذهن أن يكون السيوطيّ قد جمع معلومات أولاً ثم نظر فيها، ثم رتبها وسبكها؛ فجاءت كما هي في الكتاب، لكنّ الحقيقة أن السيوطيّ في كتاب "تحفة الأديب" عمد إلى مجلدين فارغين يقع كلّ واحدٍ منهما في حدود ثلاثمائة ورقة، ثم أحصى أسماء نحاة "مُغني اللبيب" ورتّبها خارج المجلدين ترتيباً أوليّاً، ثم فتح المجلد الأول، فكتب المقدمة في صفحة واحدة، ثم وضع في أعلى الصفحة التي تليها تعبير "حرف الهمزة" وتحته كتب بخط كبير مقروء بوضوح اسم الأصمعيّ، ثمّ ترك للأصمعيّ أربعين صفحة فارغة، ثم عَنْون صفحة باسم "الأخفش الأكبر شيخ سيبويه"، وترك بعدها ثلاث صفحات فارغة، كتب بعدها في رأس الصفحة "الأخفش الأوسط" ثم ترك له خمس صفحات فارغة، ثم... إلخ، أي أنّه حَدَس بخبرته حجم كلّ ترجمة، ثم بدأ بعد ذلك بتسويد هذه الصفحات، فإنْ تمّت كان المُراد، وإلاّ ترك صفحة بيضاء أو أكثر، أو شطب اسم الترجمة التالية، وأكمل الترجمة السابقة حتى إذا ما تمّ له المُراد، كتب من جديد اسم الترجمة التالية، وهذا يُعني أنّه أعدّ لعرض ما سيجمعه من معلومات عن الشخصيّة المترجم لها قبل أن تكون تلك المعلومات متوافرة بين يديه فعلاً، وهذا هو التفسير العلميّ لوجود صفحات بيضاء لا شيء فيها عدا اسم شهرة النحويّ في رأس الصفحة. فالكتاب مشروع بحث غير مكتمل، كما في عدم تسويد شيء عن السكّاكيّ، والصفّار، وابن الضائع، وطاهر بن القزوينيّ، وابن معزوز، والمالقيّ، وابن يسعون، وهؤلاء جميعاً تقع تراجمهم في المجلد الثاني من المخطوط، فكأنه كان يبدأ بتحشية

الصفحات كلّ ترجمة على حدة، وبالترتيب، فإن واجهته مشكلة بحثية انتقل إلى ترجمة أخرى.

والهيكل العام في عرض الترجمة يبدأ عند السيوطيّ بذِكْر اسم المترجَم له ونسبه، ثم استقصاء شيوخه وأساتذته، ثمّ استقصاء أسماء تلامذته ورواة أحاديثه وأخباره، ثم تحديد سنة ولادته ووفاته، ثم عمل فهرست بأسماء مصنفاته ومؤلّفاته، ثم ذِكْر صفاته، وأخباره، ثمّ ذِكْر نتف من أشعاره وأقواله السائرة، ثمّ ذكر الأحاديث التي رواها إنْ كان له تعلّق برواية الأحاديث النبويّة.

ويبدو أنّ السيوطيّ في هذا الهيكل العام لعرض الترجمة يتبعُ المنهج الذي سار عليه جمهور علماء التراجم قبله، ولعل أوضح ما يمثل هذا المنهج ما ذكره السيوطيّ في ترجمة الزمخشريّ عندما كتب إليه الحافظ السلفيّ قائلاً: «... ويذكر مولده ونسبه إلى أعلى أبٍ يعرفه، ... مضافاً إليه ذكر ما صنّفه، وذكر شيوخِه الذين أخذ عنهم، وما سمع عليهم من أمهات الأمهات حديثاً كان أو لغة أو نحواً،... وإنْ تَمَّمَ إنعامه بإثبات أبيات قِصار، ومقطوعات مُستفادة في الحِكم والأمثال والزهد، وغير ذلك من نظمه، ومما أنشده شيوخه من قولهم أو قول شيوخهم بعد تسميته كلاً منهم، وإضافة الشعر إليه، والشرط في كلّ هذا أن يكون بالإسناد المتّصل إلى قائله، كان له الفضل، وكذلك إنْ صحبه شيءٌ من رواياته أنعمَ بكتُبِ أحاديثَ عاليةٍ، و...»[1].

والسيوطيّ في عرضه للترجمة مَسُوقٌ بما يقع عليه من معلومات في المظانّ والمصادر، لهذا قد يهمل في بعض التراجم تحديد سنة الولادة والوفاة، وقد يذكرهما معاً بتحديد اليوم والشهر، وقد يرتّب مَسْرَد الشيوخ ترتيباً هجائياً أو تاريخيًا أو عُرفيًا حسب المصدر الذي ينقل عنه، كما في ترتيبه الشيوخ الذين روى عنهم الأصمعيّ ترتيباً هجائياً دقيقاً، لأنّه ينقل هذا الترتيب عن المزّيّ في كتابه "تهذيب الكمال في

---

(١) تحفة الأديب: ٣٧٩.

أسماء الرجال"[١]، وكما في تحلُّله من أي منهج علميّ في الترتيب في ذِكْر شيوخ الخطيب التبريزيّ، لأنّه نقل هذا الترتيب عن الحافظ السلفيّ في "شيوخ بغداد"[٢].

وقد يذكر مصنّفات مَنْ يترجم له دفعَة واحدةً أو على دفعتين في موضعين مختلفين حسب المصدر الذي ينقل عنه، كما في ذِكْره مصنّفات الأخفش الأوسط في موضع واحد[٣]، وذِكْره مصنفات الزمخشريّ في موضعين[٤].

وأما الأشعار والأقوال فيذكر منها ما له قيمةٌ أخلاقيّة؛ لأنه يسعى إلى عرض نماذج للاقتداء بها لهذا كان يستر من الأقوال والأخبار ما طيّه أحسن من نشره، كما في استطراده ذكر أقوال الأصمعيّ، وأبي عمرو بن العلاء، واختزاله ذِكْر بعض أخبار مَبْرَمان لسوء تصرّفه.

وأمّا الأحاديث فيسردُها جميعا من غير تحقيق لصحّتها، أو لدلالتها المذهبيّة والفكريّة مُكتفياً بالإسناد، ومَنْ أسندَ لكَ فقد أحالَكَ.

وثمة مواضع كان السيوطيّ يستطرد فيها إلى ذكر الفوائد والفصول الاعتراضيّة، كذكره في ترجمة الأعلم الشنتمريّ أسماء الذين عملوا الحماسات[٥]، وكذِكره في ترجمة الحريريّ أسماء الذين عملوا مقامات[٦]، وكذِكره في ترجمة سيبويه بعد قصة وفاته شاباً أسماء السبعة المشهورين الذين ماتوا عن ستّ وثلاثين سنة[٧]، وكذِكره في ترجمة أبي عليّ الفارسيّ فائدة في أهمية كتابه "التذكرة"[٨]، وكنَقْله في

---

(١) تحفة الأديب: ٣ - ٤.
(٢) المصدر نفسه: ١٢٠.
(٣) المصدر نفسه: ٦٣.
(٤) المصدر نفسه: ٣٧٧، ٣٩٨
(٥) تحفة الأديب: ١٠٥.
(٦) المصدر نفسه: ٢١٥.
(٧) المصدر نفسه: ٥٣.
(٨) المصدر نفسه: ٦٦١.

ترجمة الأصمعيّ فصلاً عن أبي الطيب الحلبيّ في كتابه "مراتب النحويّين" يتحدث فيه عن جهل الناس بمراتب العلماء، وشيوع الخلط بين العلماء، وعدم تدقيق نسبة الكتب إليهم[١]، وكنقْله في ترجمة أبي بكر التاريخيّ فصلاً فيمن ألّف في تاريخ الأدباء والنحاة عن معجم الأدباء لياقوت الحمويّ[٢].

مآخذ على منهجيّة العرض:

١- عدم وجود خُطّة علميّة محدّدة ناضجة واضحة لما يجب أَنْ يُكتب في الترجمة، ولما لا يجب أن يُكتب في الترجمة للنحاة واللغويين؛ ذلك أنّ كُتب تراجم الأدباء والنحويين عامة، ومنها "تحفة الأديب" تهتمُّ بجمع المعلومات عن المترجم لهم من غير وجود رؤية واضحة للهدف من وراء هذه المعلومات، ذلك أنّ معظم المعلومات تتعلّق بوصف النشاط العلميّ، كأن يُقال: «فلان نحويّ أخذ عن فلان ودرس عليه فلان وله من المصنفات كذا، ومن أشعاره» لأننا نطمح في الترجمة للأعلام إلى تحديد العلاقات العلميّة، ما الذي أخذه بالتحديد عن فلان، وما موقفه منه، وما تأثيره في بنائه العلميّ، وما أبرز آرائه في مصنفاته، وكيف أثّر في تلامذته، وما مكانته في تاريخ العلم وتطوّره. أي أنّ كتب التراجم عامة لم تتجاوز وصف النشاط العلميّ إلى تحليله وتقييمه، ولهذا لا نستطيع أن نتحدث عن تطوّر نوعيّ في كتب التراجم في الوقت الذي نستطيع أن نتحدث فيه عن التطوّر الكمّيّ في بناء تراكميّة هرميّة من الأخبار عن أعلام النحو والأدب، فترجمة الأصمعيّ في التحفة تضاعف حجمها الكميّ أكثر من عشرين مرّة عما هو عليه في كتاب بغية الوعاة وما دونه.

٣- منهجيّة التحليل:

تبرز منهجيّة التحليل في انتقال السيوطيّ من التعامل مع المصادر والمظانّ إلى

(١) تحفة الأديب: ٢٤-٢٦.
(٢) المصدر نفسه: ١٢٨-١٢٩.

تحليل ما تورده هذه المصادر والمظانّ من روايات وأخبار تتفق تارة، وتفترق أخرى، والتعامل مع المصادر يحتاج إلى خبرة في المكتبة العربيّة لفرز الكتب المعتبرة في الموضوع، ولتحديد النسخ الصالحة منها، وقد كان السيوطيّ خبيراً متميّزاً في المجالين حتى إنّ الباحث ليخال أنّ كثيراً من كتب العربيّة كانت مجتمعة بين يديه يقرأ كُتبها ويمحّصها، فعبارة «ومن خطّه نقلتُ» من العبارات المعهودة المكرورة في كتاب تحفة الأديب، والافتخار بالنسخة الأجود من الكتاب ظاهرة بارزة في الكتاب، فقد افتخر بأنّ له نسخة متصلة السند من كتاب أمالي ثعلب المعروف باسم "مجالس ثعلب" وهي النسخة الجيدة التي حرص البغداديّ بعده على اقتنائها[١]، كما افتخر بنسخته الجليلة من كتاب "التذكرة" لأبي عليّ الفارسيّ[٢].

وقد اختار لبناء كتابه أهمّ مجموعة من كتب التراجم والطبقات والبلدان والأخبار ومجاميع الأدب في المكتبة العربيّة، مثل: مراتب النحويّين لأبي الطيب الحلبيّ، وأخبار النحويّين البصريّين لأبي سعيد السيّرافيّ، وطبقات النحويّين واللغويّين للزّبيديّ، وفهرست محمد بن إسحق النديم، ونزهة الألباء لأبي البركات الأنباريّ، والألقاب للشيرازيّ، وتاريخ بغداد للخطيب البغداديّ، ولابن النجّار، وتاريخ دمشق لابن عساكر، ومعجم الأدباء لياقوت الحمويّ، ووفيات الأعيان لابن خلّكان، والوافي بالوفيات للصفديّ، وأمالي الزجّاجي الكبرى والوسطى والصغرى، وأمالي القالي، وتذكرة ابن مكتوم في أخبار النحاة، وشُعب الإيمان للبيهقيّ، وأهمّ هذه المصادر كتابا: تاريخ بغداد، و معجم الأدباء.

ومنهجه في الأخذ عن هذه المصادر ذكر المعلومات مرّة واحد، فيأخذ من مراتب النحويّين كلّ ما يتعلق بالأصمعيّ، ولا يرجع للكتاب في الترجمة الواحدة مرة أخرى، على أنّ أهم ما انماز به السيوطيّ استقصاء أخبار المترجم له في الكتاب، ذلك أنّه كان

---

(١) انظر: تحفة الأديب: ١٤٧ المتن والحاشية.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ٦٦١.

يأخذ الأخبار الواردة في ترجمة المترجم له، ثم يستخرج الأخبار الواردة في تراجم غيره مما له علاقة به، وهو جهد علمي محمود عجيب يدلّ على سعة اطلاعه ومحفوظه، ففي ترجمة المبرِّد استقصى ترجمة المبرِّد من موضعها في كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ، ثمّ أضاف إليها معلومات من ترجمة أبي الحسين السيَّاريّ أحمد بن إبراهيم، ومن ترجمة أبي إسحق الحربيّ إبراهيم بن إسحق، كما استقصى ترجمة المبرد من كتاب معجم الأدباء لياقوت الحمويّ في موضعها، ثم أضاف إليها معلومات مهمة من ترجمة الزجّاج إبراهيم بن السريّ، وأبي حنيفة الدِّينَوريّ أحمد بن داوود، وابن طيفور أحمد بن أبي طاهر، وأبي العباس ثعلب أحمد بن يحيى.

إنّ هذه المتابعة في استقصاء أخبار المترجم له حتى خارج ترجمته جعلت كتاب تحفة الأديب يتفوق حجماً ونوعاً على سائر كتب تراجم النحاة تقريباً بتقديم معلومات نحسب أنّها مهمة عن الشخصية المترجم لها إضافة إلى جمع المعلومات من كتب مختلفة ولا سيّما كتب الأمالي التي قد تعرض نُبذاً من أخبار النحاة وأرائهم يصعب الوصول إليها.

وقد كان السيوطيّ أميناً في نقله عن المصادر حتى إنه كان يشير إلى أنّ النقْل من ترجمة المترجم له أو من موضع آخر، فعبارة "في ترجمته" كثيرة الدوران في الكتاب، وتقابلها عبارات من نحو: «وقال ابن مكتوم في جزء آخر من تذكرته»[١]، أو «وفي معجم الأدباء لياقوت في ترجمة أبي عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسيّ»[٢] في سياق الترجمة لأبي علي الشلوبين.

ومن أساليبه المنهجيّة توثيق الرواية الواحدة من عدة مصادر، فقد ذكر خبراً عن الأصمعي من مصدرين فقال: «وأخرج الخطيب وابن عساكر»[٣]، وذكر في ترجمة ابن

---

(١) تحفة الأديب: ٨٥.

(٢) المصدر نفسه: ٥٦٠.

(٣) المصدر نفسه: ٣٢، ٤٤.

بريَ إجازته تخفيف "حائجة" إلى "حاجة"، ثم ذكر متابعته لهذا الرأي في معجم العين للخليل بن أحمد، واللُمع لابن جنّي، وكتاب الألفاظ لابن السكّيت[١].

وبعد أنْ ذكر قصة المبرِّد مع المجنون العجيب، قال: «أورد هذه الحكاية السِّيرافيَ في كتابه، والمرزبانيَ في مقتبسه، وابن أبي الأزهر في حدائق المجالس، وياقوت في معجمه»[٢]. وهو عندما يحدِّد المصادر في هذا الشكل يتكفّل بعدم وجود اختلاف في الرواية، وكفالته مقبولة؛ إذ لم نجد فيها مطعناً أو مثلباً، أمّا إذا كان ثمة اختلافٌ بين الروايات فإنّه يذكرها جميعها، ويترك للباحثين بعده التمحيص بينها، كما في ذِكره قصّة شُخوص المازني إلى الخليفة الواثق بالله على أثر الاختلاف في البيت المشهور:

أظَلُيْمُ إنّ مُصابَكم رجلاً   أهدى السلامُ تحيةً ظلمُ

من طريق ياقوت الحمويَ في معجم الأدباء، والجهشياريَ في كتاب الوزراء والكُتّاب، والزبيديَ في طبقات النَحويِّين واللغويِّين، وكان إذا وجد اختلافاً في المصدر الواحد ذَكره، إذ قال عن رواية الزبيديَ: «وروى الزَبيديَ هذه القصّة من طرقٍ إلى قوله: «ومن عند الخليفة بالنجاح» وزاد: ....»[٣].

ويعتمد السّيوطي في تحليل الروايات غيره من المؤرخين والمترجمين أكثر مما يعتمد رؤيته العلميّة، فقد ذكر خلافاً في سنة وفاة الأصمعيَ بين أبي الطيب الحلبي، وأبي سعيد السِّيرافيَ، والخطيب البغداديَ، وخليفة بن خياط خرج منه بترجيح البخاريَ وجزمه بصحة أحد الآراء[٤].

---

(١) انظر: تحفة الأديب: ١١٧.

(٢) المصدر نفسه: ٧١٣.

(٣) انظر: المصدر نفسه: ٦٩٩-٧٠٤.

(٤) انظر: المصدر نفسه: ٩.

مآخذ على منهجيّة التحليل:

١- النقل غير المباشر؛ إذ يذكر أسماء كتب لم يطلع عليها مباشرة، وإنّما نقل عمّن اطّلع عليها، ويبرز هذا المأخذ في نقله عن ياقوت الحمويّ في معجم الأدباء؛ ذلك أنّ ياقوت الحمويّ كان دقيقاً في عَزْو الأخبار إلى مصادرها، فكثر عنده ذِكر المصادر والمظانّ، إلا أنّ السيوطيّ قليلاً ما كان يقرّ بنقله غير المباشر كما في نقله عن كتاب الفصوص لصاعد عن طريق تذكرة ابن مكتوم، فقال: «في تذكرة ابن مكتوم عن كتاب الفصوص»[١].

٢- عدم تحقيق الأحاديث والآثار، فالسيوطيّ محدِّث، وهو بهذه الصفة قادر على الحُكم على الأحاديث النبويّة والآثار؛ لكنّه انصرف إلى سَرْد الأحاديث التي رواها النّحاة واللغويون والأدباء مكتفياً بتحديد المصدر كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وشُعب الإيمان للبيهقيّ، ولعل السبب أنّه كان يعرف أنّ معظم هذه الأحاديث فيها نظر.

٣- إغفال التعليق على تعارض بعض الأخبار والآراء والروايات فذكر عن الأصمعيّ أنّه يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة تارة، واثني عشر ألف أرجوزة تارة أخرى، من غير التعليق على وجود فرق بين المعلومتين[٢].

وفي ترجمته لابن خروف خلط بين ابن خروف النحويّ الأندلسيّ، وابن خروف القيسي القيذافيّ، ولم يتنبّه إلى الخلط إلاّ عندما نقل عن المراكشي صاحب المغرب إشارته إلى الخلط بينهما، فلم يرجع إلى ما قدّمه من معلومات ليمحّصها، واكتفى بأنّ صاحب المغرب أعرف بالمغاربة[٣].

---

(١) تحفة الأديب: ٦٢٩.
(٢) انظر: المصدر نفسه: ١٤.
(٣) انظر ترجمة ابن خروف في تحفة الأديب: ٢٨٤-٢٨٧.

شخصيّة السيوطيّ في كتابه:

يبدو السيوطيّ في كتابه "تحفة الأديب" جامعاً حسنَ الجمع، دقيقَ العزوِ، والتوثيق، مختفياً في معظم صفحات الكتاب خلف ما يجمعه، وقليلاً ما يظهر بشخصيته العلميّة، فقيمةُ السيوطيّ بما حفظه لنا من معلومات، أما ما أضافه هو فقليل جداً إذا ما قيس بما جمعه، لكنّ هذا القليل على جانب كبير من الأهمية، فبعد أن عرض لمهارة ابن الحاجب في استخراج المعمّى قال: «قلتُ: وفي هذا دلالة على شرف هذا العلم، أعني علم المعمّى، حيث كان مثل ابن الحاجب يقوم به، وينظر فيه، وهذا العلم له أصول وقواعد»(١).

واستدرك على ابن عساكر شيئاً من تصانيف أبي حيّان، فقال: «قلتُ: ومن تصانيفه التي لم يذكرها ههنا: النهر المادّ من البحر، في التفسير. إعراب القرآن، أربع مجلدات، رأيته كاملاً، وفي مُلكي منه الجزء الأوّل انتهى إلى آخر البقرة. ارتشاف الضَّرَب من كلام العرب. النُّضار في المسألة عن نُضار. نقبة الظمآن من فوائد أبي حيّان»(٢).

وأكّد معرفته بكتاب النضار بقوله: «قلتُ: ورأيتُ في كتابه النُّضار الذي ألّفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته أنّ مما قوّى عزمه على الرحلة من غرناطة أنّ...»(٣).

وقوّى رأي أبي حيّان في صحّة تقدير الفعل المضمر بعد "لو" الشرطيّة شَرْطَ أن يفسّره الفعل المذكور(٤).

وأثار قضية رجوع الزمخشريّ عن اعتزاله، فقال: «أقول: ما زلنا نسمع من

---

(١) تحفة الأديب: ٢١٩.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢٦١-٢٦٢.

أشياخنا أنّ الزمخشريّ رجع عن الاعتزال قبل موته وانخلع. وقد رأيت مقاماته فرأيتُ فيها ما يدلّ على ذلك، وهي خمسون مقامة، كلّها زهديات ونصائح، قال في خطبتها:...»[١].

وعقّب على قول الشيرازيّ في الألقاب: إن اسم سيبويه هو: بشر بن سعيد، ويقال: عمرو بن عثمان، يكنى أبا بشر، مولى الحارث بن كعب[٢]، بقوله: «وتسميته بشر بن سعيد غريبٌ جداً، لم أرَه في غير كتاب الشيرازيّ»[٣].

وبعد أن نقل عن تذكرة أبي علي الفارسيّ حديثاً عن الباء الزائدة في المستغاث به استطرد إلى ذكر بقية مواضع زيادة الباء تتميماً للفائدة[٤].

واستدرك على منظومة في مؤلفات ابن مالك، فقال: «وقد رأيتُ له غير ما ذكر في هذه الأبيات كتاباً سمّاه "نَظْم الفوائد" وهو ضوابط وفوائد منظومة ليست على رَويّ واحد»[٥].

وفي سياق ذِكره مُصنّفات ابن الناظم بدر الدين، قال: «وقيل: إنّه وضع أكبر منه -يقصد كتاب المصباح- وسمّاه: روضة الأذهان. وإلى الآن لم أرَه، ورأيتُ له مقدمة في المنطق، ومقدّمة في العروض»[٦].

إذن، فشخصية السيوطيّ في الكتاب محدودة الظهور، وإن ظهرت فهي غالباً في استدراك أسماء المصنّفات والكتب.

---

(١) المصدر نفسه: ٤١٠-٤١١.
(٢) انظر: تحفة الأديب: ٥٢٣.
(٣) المصدر نفسه: ٥٢٣.
(٤) انظر: المصدر نفسه: ٦٦٣-٦٦٤.
(٥) المصدر نفسه: ٧٥٥.
(٦) المصدر نفسه: ٧٥٧.

قيمة الكتاب

قيمة كتاب "تحفة الأديب مستمدّة من قيمة الكتاب الأمّ "مُغني اللبيب"، ذلك أنّ "المغني" بمادته النحويّة يمثّل أرقى ما توصّل إليه الدرسُ النحويّ للعربيّة حتى زمن ابن هشام. وبرجاله من النحاة والبلاغيين واللغويين والأدباء والمفسّرين يمثّل نخبة علماء العربيّة حتى زمن ابن هشام في واسطة القرن الثامن الهجريّ، فيكون التعريف بنُحاته تعريفاً بالنخبة التي ينبغي أن نعرف سيرتها العلميّة لنَعِيَ سيرورة التطوّر في علم النحو أحدِ أبرز العلوم التي أبدعها العقل العربيّ المسلم في حضارته كاملة كما قال المستشرق آدم متز في تحليله للحضارة العربيّة الإسلاميّة.

يقدّم كتاب "تحفة الأديب" أوسع ترجمة معروفة للنحاة الواردة أسماؤهم في كتاب "مُغني اللبيب"؛ ذلك أنّ السيوطيّ كان معنيّاً بتقديم أوسع دائرة معرفيّة عن كلّ نحويّ، وهذا الاتساع في الحجم اتّساع في المعلومات العلميّة يساعدُ أوّلَ ما يساعدُ في رسم صورة أكثر دقةً وكمالاً للنحويّ، وفي الجدول الآتي مقارنة بين "تحفة الأديب" وبعض أشهر كتب التراجم المطبوعة في حجم الترجمة لبعض النحاة من حيث عدد الصفحات[1]:

---

(١) مع التحفّظ على حجم الخطّ وسعة الحواشي.

الرقم	اسم الكتاب / اسم النحويّ	نزهة الألبّاء	معجم الأدباء	إنباه الرواة	بغية الوعاة	تحفة الأديب
١-	الأصمعيّ	١١	-	٩	٢	٥٣
٢-	ثعلب	٣	١٨	١٤	٣	٣١
٣-	ابن جنّي	٢	١٦	٦	١	١١
٤-	الحريريّ	٣	١٤	٥	٣	١٢
٥-	الزمخشريّ	٣	٤	٨	٢	٣٥
٦-	السِّيرافيّ	٢	٣٥	٣	٣	٣٢
٧-	السخاويّ	-	١	٢	٣	٣٠
٨-	الفارسيّ	٣	١١	٣	٢	١٣
٩-	الكسائيّ	٦	١٥	١٨	٣	١٨
١٠-	المبرِّد	١٠	٧	١٢	٣	٢٨

إنّ تفوق كتاب "تحفة الأديب" في حجم التراجم يجعل منه أوسع كتاب معروف في تراجم النحاة المذكورين فيه، ويحمل هذا التفوق في ثناياه معلومات جديدة عن معظم نحاة "مغني اللبيب" استقاها السيوطيّ من مصادر متنوعة كثيرة يعزّ وجود بعضها، كما يصعب الوصول إلى كثير منها؛ فقد حفظ لنا نصوصاً كثيرة من الكتب غير المطبوعة مثل كتاب "الألقاب" للشيرازيّ، و"غرر الأخبار" لوكيع، وغيرهما، عدا وقوفه على معلومات من مجاميع أدبيّة ولغويّة لا نعرف عنها شيئاً كالمجموع الذي جمعه بعض تلامذة المبرِّد، يضم أخباراً وأقوالاً في اللغة والنحو والتفسير.

لقد تمكن السيوطيّ في كتابه "تحفة الأديب" من الاستدراك على الكتب المطبوعة، فقد أورد منها معلومات وأخباراً ونصوصاً لا وجود لها في الأصل المطبوع من

الكتاب؛ إذ أحال السيوطيّ مرّات كثيرة إلى معجم الأدباء لياقوت الحمويّ إحالات لم نجدها في الأصل المطبوع من الكتاب، وتكاد هذه المادة المستدركة على كتاب "معجم الأدباء" تشكّل كُتيّباً صغيراً في الاستدراك على معجم الأدباء[١].

كما احتفظ بترجمة الصفديّ للجاحظ، فالنسخة المطبوعة "الكاملة" من كتاب "الوافي بالوفيات" تخلو من هذه الترجمة القيّمة للجاحظ.

واحتفظ بنصوص كثيرة وتراجم قيمة من كتاب ابن النجّار في تاريخ بغداد عدا ما لم نجده من نصوص أمالي الزجّاجيّ، ونزهة الألباء.

وقد استدرك السيوطيّ على أصحاب كتب التراجم والتاريخ وفهارس الكتب أسماء كتبٍ لبعض النحاة لم ترد في المظانّ السابقة، وكان أحياناً يؤكّد استدراكه بذكر اطّلاعه على الكتاب، وافتخاره باقتناء نسخة منه بخطّ أحد العلماء الأعلام، وهو في تعليقاته ونُكته على أسماء الكتب يؤكد أمراً مهماً، وهو أنّ هذه الكتب كانت موجودة غير مفقودة في عصره.

ويُحمد للسيوطيّ اهتمامه البارز بإظهار أنّ النحاة من العلماء الأجلاّء الذين يحفظ المجتمع مكانتهم، ويظهر ذلك في الاستفاضة في ذكر عناية أُولي الأمر بهم، ورثاء الشعراء لهم عدا مدحهم وهم أحياء، فكتاب "تحفة الأديب"، خير مصدر لصورة النحاة في الشعر العربيّ كما يتضح في القصائد التي ذكرها في رثاء ابن جنّي، والزمخشري، والفخر الرازيّ، وأبي حيّان، وابن مالك وغيرهم.

وقد حفل الكتاب بإثبات شعر كثير للنحاة لم يرد في معظم المظانّ التاريخيّة والأدبيّة حتى إنّ كثيراً من الشعر لم يرد في دواوين النحاة المطبوعة كديوان ابن دريد، وحازم القرطاجنيّ، وأبي حيّان، والزمخشريّ، وغيرهم من النحاة الشعراء، وهذا

---

(١) انظر المواضع الآتية من كتاب "تحفة الأديب" على سبيل المثال: ٣٥٧، ٣٥٩، ٤١٦، ٥٦٠، ٦٢٨، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٧٣١، ٧٣٨.

الشعر يعدّ إضافة حقيقيّة مهمة للمطبوع من دواوين هؤلاء النحاة، ولا سيما أنّ بعض القصائد على جانب كبير من الأهمية التاريخيّة والعلميّة والأدبيّة والنحويّة، كقصيدة أبي حيان الأندلسيّ في فضل النحو وتاريخ رجاله، فهي تاريخ منظوم مفصّل للنحو العربيّ حتى عصر أبي حيّان في واسطة القرن الثامن الهجريّ.

وللسيوطيّ ذوقٌ أخلاقيّ رفيع في الحرص على إيراد شعر الزّهد والحِكم والملح العلميّة، وشعر العلاقات بين النحاة والعلماء، كما أنّه حريص على إيراد كلّ ما يستطيع الوصول إليه من الحِكم النثريّة التي تشبه التوقيعات فقد أورد عدداً كبيراً منها في ترجمة الأصمعيّ، وثعلب، والخليل بن أحمد، وأبي عمرو بن العلاء، وغيرهم، واللافت أنّه يكشف أنّ بعض الأقوال السيّارة المنتشرة على الألسن وفي ثنايا الكتب هي في الأصل من أقوال النحاة وحِكمهم.

والميزة التي يكاد كتاب "تحفة الأديب" ينفرد بها هي إيراد الأحاديث النبويّة والآثار التي رواها النحاة بالسند إن استطاع، وهو في حرصه على هذا الجانب يكشف عن بعد معرفيّ مستور عند كثير من النحاة، كما كشف لنا في هذه الأحاديث عن روايات جديدة لبعض الأحاديث والآثار حتى إنّها تشكّل ظاهرة مهمة تستأهل دراسة حديثيّة منفصلة، و لاسيما أنّه أورد أحاديث لا نعرفها إلا من هذا الوجه الذي أورده، كما سجّل لنا بالسند عن شيوخه "جزء الزمخشريّ".

وكتاب "تحفة الأديب" حافل بالمناظرات العلميّة، والمجالس اللغويّة والنحويّة، والفوائد اللغويّة، والاستطرادات المهمة في التدقيق في أسماء العلماء وكتبهم إضافة لما يمكن تسميته بالتفسير اللغويّ والنحويّ لبعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبويّة عدا أنّ السيوطيّ كان مهتماً بالحديث عن مكانة علم النحو وموقعه بين العلوم، والآليات المنهجيّة عند بعض النحاة، مثل ابن الخشّاب، وثعلب، والفرّاء، وأبي حاتم، وغيرهم من أئمة النحو.

ويبقى الكتاب مصدراً جديداً مهماً في مكتبة التراجم العربيّة يسدّ النقص، ويصحّح الخلل، ويفتح أبواباً جديدة في البحث العلميّ في النحو واللغة والأدب والتفسير والفقه والحديث؛ ذلك أنّه يطرح مع كلّ معلومةٍ، أو قضية، أو ظاهرة سؤالاتٍ جديدة في آفاق المعرفة العربيّة الإسلاميّة تستأهل البحث، وتنتظر الجواب من الباحثين.

وفي الجوانب غير العلميّة نجد السيوطيّ معنيًا كلّ الاعتناء بوصف بيئة النحاة الاجتماعية، وتحديد طرائقهم في الحياة؛ مما يجعل منه مصدراً واسعاً لما يمكن تسميته بالحياة الاجتماعية للنحاة واللغويّين.

وصف المخطوط:

يقع مخطوط "تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب" في جزأين منفصلين، ومكانين مختلفين في تركيا:

١- الجزء الأوّل: جزء مكتبة شهيد علي باشا

يوجد هذا الجزء في مكتبة شهيد علي باشا في إستانبول تحت الرقم (١٦٦٧)، ويتكون من (٣٤٩) صفحة، حجم الصفحة الواحدة (١٥,٥سم × ٢٢,٢سم)، وهو مصنّف ضمن كتب النحو والتراجم، كُتب في صفحة الغلاف بخطّ واضح كبير "تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب" وتحته: "للفقير عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطيّ الشافعيّ لطف الله به" وتحته من جهة اليمين تملّكٌ مكتوب بخط نسخي جميل دقيق، نصّه: «من نِعم الله على عبده الفقير إليه عبدالقادر بن عمر البغدادي»، ومقابله من جهة اليسار ما نصّه: «استصحبه الفقير: عارف كمال العدل»، وفي أسفل منه من جهة اليمين تحديد لأوّل الجزء وآخره، نصّه: «من حرف الهمزة إلى قوله: في الشعر حذف

ألف الاستفهام» ويقابله ملحوظة بخطّ السيوطيّ -رحمه الله- نقلها عن كتاب "الفصوص" لصاعد، وفي وسط الصفحة من جهة اليمين ختم وقف مكتبة الوزير الشهيد علي باشا، وفي الأسفل منه في المنتصف تملّك نصّه: «برّ من الله تعالى على العاجز الضعيف عبدالجواد بن صهيب الرافعيّ الأنصاريّ، عُفي عنهما وعنهم في أواخر شعبان المبارك سنة ١٠١٩»، ثمّ ختم المكتب السليمانية التي تقع ضمنها مخطوطات شهيد علي باشا.

يبدأ هذا الجزء بخطبة الكتاب، ثم تراجم حرف الهمزة، وأولها ترجمة الأصمعيّ، وينتهي بترجمة الزجّاجيّ، وبعدها فراغ سوّد فيه السيوطيّ شيئاً من مسائل الاستفهام.

وهذا الجزء بخطّ السيوطيّ نفسه إلاّ في مواضع قليلة اعتمد فيها على غيره في النقل، ثم قام بالمقابلة والتعديل والتعليق بخطّه المعتاد، وهو خطّ تعليق مقروء بوضوح إلاّ عندما تختلط حواشي الصفحة بالمتن فيتداخل الخطّ ويصبح عِسر القراءة.

متوسّط عدد الأسطر في الصفحة الواحدة خمسة عشر سطراً تقريباً، ومتوسط عدد الكلمات عشر كلمات في السطر الواحد.

٢- الجزء الثاني: جزء المكتبة السليمانيّة

يوجد هذا الجزء في المكتبة السليمانية في إستانبول ورقمه الأصليّ (١٤١٤)، وعلى غلافه بخط كبير مقروء: «الثاني من تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب للسيوطيّ»، ويتكون من (٣٣٦) صفحة، بحجمين من الصفحات هما: (١٥سم × ٢١سم) و (١٠ × ١٧,٥سم) وعلى يمين صفحة الغلاف تملّك باسم المفتي في السلطنة العثمانية بقسطنطينية سنة (١١١٣) وحولها إلى جهة الأسفل حِكَمٌ غير واضحة.

ويبدو أن القائمين في المكتبة السليمانية بعد أن ضمّوا مخطوطات شهيد علي

باشا إليها انتبهوا إلى أنّ هذا الجزء هو الجزء الثاني من المخطوط السابق، فغيّروا الرقم إلى (١٦٦٧/٢)، وهذا الجزء لا يختلف عن الجزء الأوّل إلاّ أنّه غير تامّ، فقد تركت صفحات الترجمة للسكّاكيّ، والصفّار، وابن الضائع، وطاهر بن القزوينيّ، وابن معزوز، والمالقيّ، وابن يسعون بيضاء لا شيء فيها سوى اسم صاحب الترجمة، مع وجود سقط من أول ترجمة سيبويه، وأول ترجمة أبي شامة بما لا يقلّ عن صفحة.

وفي الصفحة الخامسة والسبعين منه ما نصّه: «طالع في هذه الكراريس العبد الفقير إلى الله تعالى: محمد بن عبدالباقي عفا الله عنه سنة ١١١٩».

يبدأ هذا الجزء بترجمة ابن السرّاج، وينتهي بترجمة ابن يعيش الحلبيّ، والخطّ الغالب عليه هو خطّ السيوطيّ نفسه.

متوسّط عدد الأسطر في الصفحة الواحدة خمسة عشر سطراً، ومتوسّط عدد الكلمات عشر كلمات في السطر الواحد.

مصوّرتا المخطوط:

حصلنا في سنة ١٩٩٨م على نسخة مصوّرة على شكل ميكروفيلم من الجزء الأوّل والثاني من المخطوط تفضّلت علينا بتصويرها المكتبة السليمانيّة في إستانبول، وقد قمنا باستنساخ صورة ورقيّة عن الميكروفيلم، واطّلعنا على مضمونه، فأدركنا أنّه إضافة حقيقيّة مهمة للمكتبة العربيّة في تراجم النحاة، لكننا بقينا متوجّسين خيفة من أمر تحقيقه بالاعتماد على نسخة واحدة مع أنّها النسخة الأصليّة والغالب عليها خطّ السيوطيّ نفسه، فاجتهدنا في البحث في فهارس المخطوطات العالميّة علّنا نقع على نسخة ثانية، تسمح لنا بخوض مغامرة تحقيق الكتاب، لكننا لم نجد شيئاً سوى ما راودنا من شكّ بشأن أن تكون "طبقات النحاة الوسطى" المحفوظ مخطوطها بخطّ السيوطيّ نفسه في المكتبة الوطنيّة في باريس تحت الرقم (٢١١٩) نسخة ثانية من

مخطوط "تحفة الأديب"، وقد قطعنا الشك باليقين بعد أن حصلنا على مصورة عنها، فإذا بها نسخة متميزة من بغية الوعاة.

ثمّ اطّلعنا على كتاب "معجم مؤلّفات السيوطيّ المخطوطة بمكتبات المملكة العربيّة السعوديّة العامّة" لناصر بن سعود بن عبدالله السلامة، فوجدنا فيه إحالة على مخطوط "تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب" نصّها «تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب، مكتبة جامعة أمّ القرى (١/٤٥١٨) عن مكتبة سيد علي باشا، إستانبول (٢/٤٥٨١) عن المكتبة نفسها. مركز البحث العلميّ بجامعة أمّ القرى (١٠٥٣) عن مكتبة سيد علي باشا، استانبول»[١].

وقد فهمنا هذه الإحالة على أنّها ترقيم جديد للنسخة الأصليّة الموجودة في المكتبة السليمانيّة في تركيا، وتأكّد لنا هذا الفهم بعد أن يسّر الله سبحانه وتعالى لنا الحصول على مصورة عن نسخة جامعة أم القرى فإذا هي صورة عن الأصل الأوّل في تركيا.

وهكذا اجتمع لدينا مصورتان عن أصل واحد، ولا فرق بينهما إلاّ في جودة التصوير الذي تمتاز به المصورة السعوديّة باستثناء أول صفحة من الجزء الأوّل، فاتكلنا على الله العليّ القدير في النهوض بأمر تحقيق هذا السِّفر العظيم من أسفار السيوطيّ رحمه الله، ليكون إضافة إلى المكتبة السيوطيّة خاصة، ومكتبة التراجم النحويّة عامة.

منهج تحقيق المخطوط:

لم نخرج في منهجنا في تحقيق كتاب "تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب" عما

---

(١) معجم مؤلفات السيوطيّ المخطوطة: ٤٢.

تعارفه كبار المحقّقين في العربيّة، ولا سيّما محققي كتب التراجم من أعرافٍ علميّة مَرّتْ مع الزمن والتجربة حتى غدت أصولاً لعلم تحقيق النصوص ودراستها، فبعد أن حصلنا على مصورتين متطابقتين عن الكتاب: واحدة من المكتبة السليمانيّة في إستانبول من تركيا حيث أصل المخطوط، وأخرى عن مصورة جامعة أمّ القرى في المملكة العربيّة السعودية عن أصل المخطوط في تركيا، قمنا بالخطوات العلميّة الآتية:

١- نسخ المخطوط كاملاً مع الرجوع في الكلمات غير الواضحة إلى المقابلة بين المصورتين معاً؛ إذ ثمة اختلاف في جودة التصوير بين المصورتين: التركية والسعودية؛ فالثانية أفضل.

٢- المقابلة بين النُسْخ، والمخطوط، وفي هذه الخطوة أفدنا من بعض المصادر في قراءة بعض الأسطر والكلمات التي اعتاصت قراءتها علينا؛ لأنّ السيوطيّ -رحمه الله تعالى رحمةً واسعة- كان حريصاً على توثيق ما يكتبه بذكر مصدره، فقدّم لنا خدمة جلّى في قراءة المعتاص من الكلمات، ولا سيما عندما يكتب الخطّ السريع، إذ يهمل غالبا الإعجام وتنسيق الشعر.

٣- تخريج التراجم من المصادر التي ذكرها السيوطيّ، وفي هذه الخطوة كنا أمام خيارين: أولهما: أن نشير إلى موضع كلّ معلومة يذكرها السيوطيّ في المصدر الذي يُحيل إليه، وبذا يتضخم حجم الحواشي كثيراً؛ لأنّه لم يكن ينقل الترجمة كاملة حسب ترتيب المصنّف الأوّل، بل كان يقدّم تارة، ويؤخر أخرى، ويختصر ثالثة، ويجمع إلى المصدر مصدراً آخر رابعة، ويفصّل المجمل خامسة، و... إلخ حسب منهجه هو في الترتيب والعرض والتحليل.

وأما ثانيهما: فأن نشير في الحاشية الأولى من كلّ ترجمة إلى مصادره التي رجع إليها، ونحدّد موضع الترجمة، فإذا ذكر معلومة خارج موضع الترجمة التزمنا بتخريجها وتحديد موضعها.

وقد أخذنا بالخيار الثاني، وزدنا عليه، فكنّا نذكر مصادر كلّ ترجمة، سواء أذكرَ السيوطيّ تلك المصادر في مصادره، أم لم يرجع إليها لكننا استعنا بها في التحقيق ورأينا أنّ من الفائدة للباحثين والقرّاء الإشارة إليها، وتحديد موضع الترجمة فيها.

وطوّرنا في هذا الخيار أمراً نرجو أن يلقى قبولاً عند العلماء والباحثين والقرّاء، فذكرنا في ذيل مصادر كلّ ترجمة أهمّ الدراسات التي تناولت الشخصية المترجَم لها، وكنا في اختيارنا لها نصدر عن معرفتنا التخصصيّة في النحو والصرف؛ لهذا كنا ننتقي الأفضل علميّاً من وجهة نظرنا، فمن حقّ القارئ علينا ألاّ ننسى أنفسنا فننصحه بما هو متميز من الدراسات، وقد شرطنا على أنفسنا ثلاثة شروط: أولها: أن تكون الدراسات كتباً مطبوعة أو أبحاثاً متداولة؛ فاستبعدنا الرسائل الجامعيّة لأنها غير متداولة. وثانيها: أن تكون هذه الدراسات والأبحاث مما اطلعنا عليه وقرأنا ما فيه، فاستبعدنا الدراسات التي سمعنا عنها ولم نتمكن من الاطلاع عليها وتقييمها مع أنها قد تكون متميزة مهمة. وثالثها: أن تكون هذه الدراسات دراسات علميّة لا انطباعية أو انفعاليّة؛ لهذا كان أصل معظم الدراسات التي ذكرناها رسائل علميّة حاز مؤلفوها بها شهادات جامعيّة عُليا.

وهذا المسلك الذي سلكناه في ذكر الدراسات الحديثة يحقّق عدة أهداف، منها: تحديد ما دُرِس، وما لم يدرسْ من أعلام النحو والصرف واللغة، ومنها ربط الباحثين بأحدث ما كُتِب عن صاحب الترجمة من دراسات وأبحاث، ومنها الاعتراف بفضل الباحثين المحدثين في التعريف بأعلام النحو واللغة وتحديد مكانتهم في تاريخنا العلميّ.

٤- الإشارة إلى الفروق الجوهريّة بين منقول السيوطيّ وأصل النقل من حيث الاختصار والإجمال والتفصيل واختلاف المعنى مع إهمال الإشارة إلى ما لا يؤثر مثل الواو والفاء، فكثيراً ما يقع الاختلاف بينهما في المخطوطات العربيّة،

ومثلها قراءة (إنّ) بهمزة فوقيّة أو تحتيّة.

٥- تخريج الآيات القرآنية ضمن متن الكتاب بذكر اسم السورة، ثم رقم الآية بين حاصرتين.

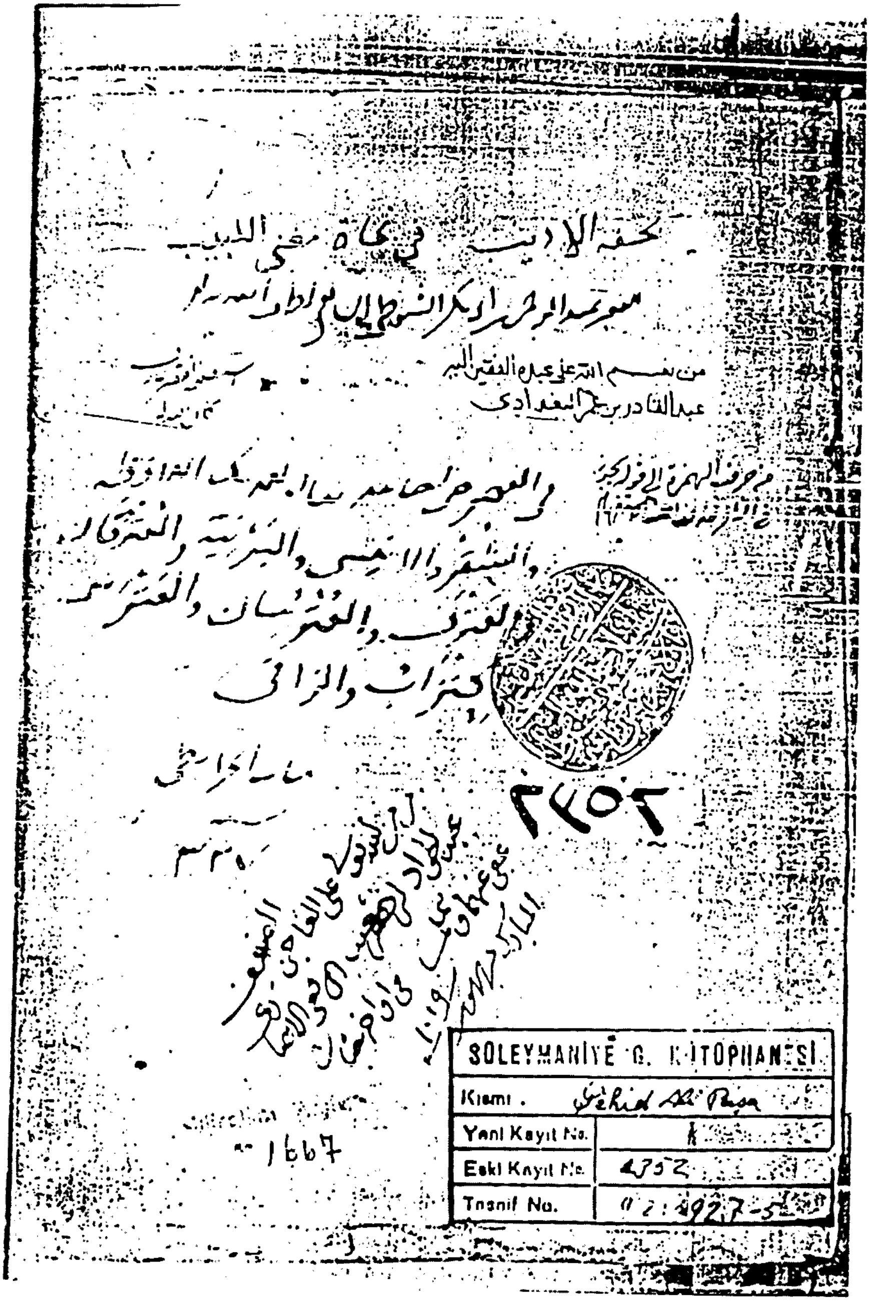
٦- الاكتفاء بردّ الأحاديث والآثار إلى مظانّها، كأن نحيل في تخريج حديث إلى كتاب شُعب الإيمان للبيهقيّ أو السنن الكبرى للطبرانيّ، أو مسند الإمام أحمد، أو ما شابه من كتب الحديث النبوي الشريف، وإذا كان الحديث النبويّ في أحد مصادر الترجمة اكتفينا بتحديد موضع الترجمة المذكور في حاشية مصادر الترجمة كأن يكون الحديث من كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ.

٧- تخريج شعر النحاة من دواوينهم إذا كانت لهم دواوين مطبوعة كديوان ابن دريد، وحازم القرطاجنيّ، وأبي حيّان.

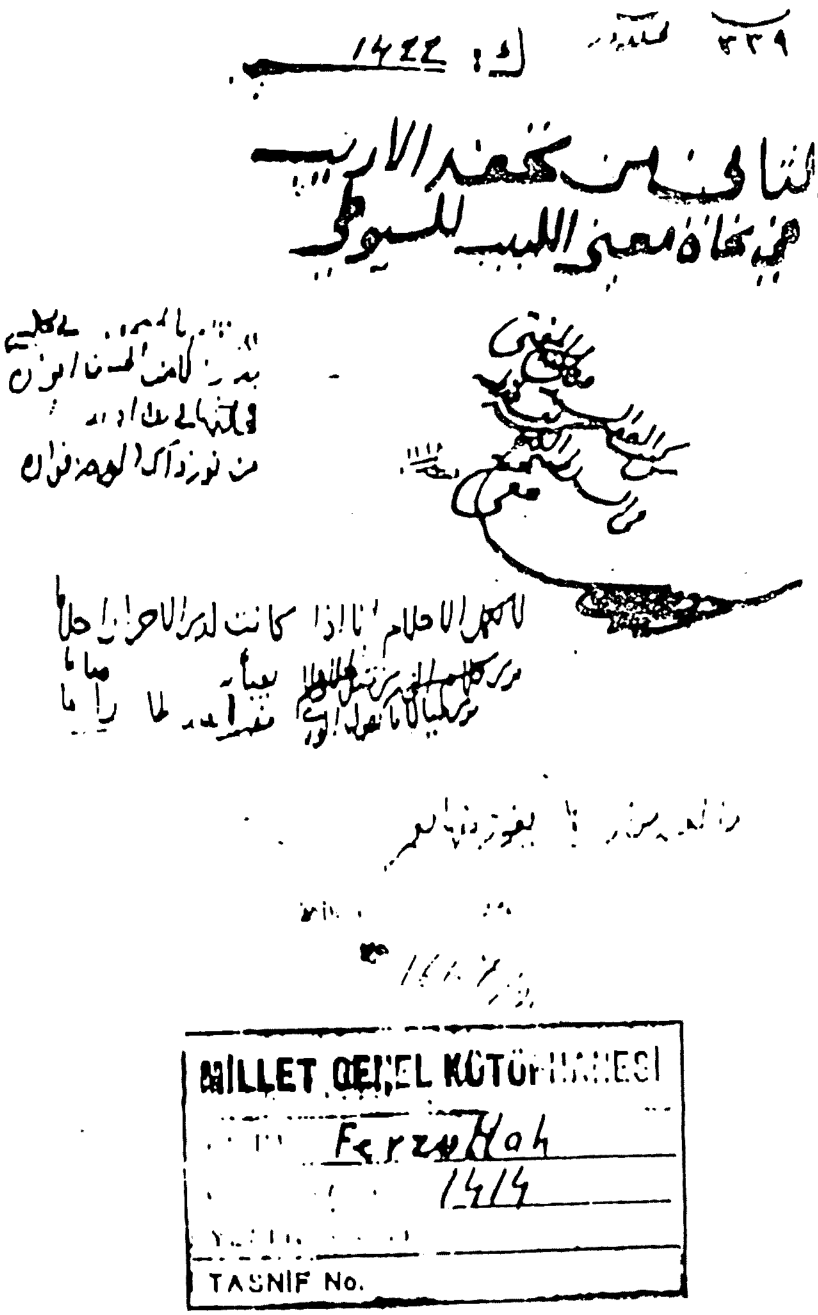
٨- شرح الألفاظ والتراكيب المستغلقة الصعبة مع الإقلال منها ما أمكن ثقة بالقارئ من جهة، ورغبة في تقليل الحواشي من جهة أخرى.

٩- عمل دراسة علميّة تقديميّة للتعريف بالسيوطيّ وكتابه ومنهجه وقيمته.

١٠- عمل فهارس علميّة متنوعة تسهّل على الباحثين الوصول إلى مبتغاهم من الكتاب، كفهرس الآيات القرآنية، والأحاديث والآثار، والأقوال السيارة، والشعر، والأمثال، ومصادر السيوطيّ، ومسائل اللغة، وغيرها من الفهارس التي اجتهدنا أن تكون مفاتيح للدخول إلى عالم هذا الكتاب القيّم.



صورة عن الصفحة الأولى من الجزء الأول



صورة عن الصفحة الأولى من الجزء الثاني



الطبري

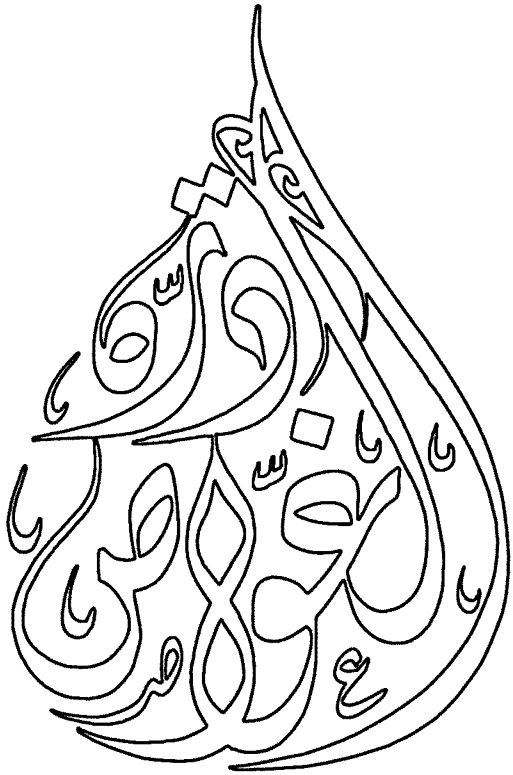
محمد بن جرير بن يزيد [illegible] بن كثير بن غالب

الإمام المجتهد أبو جعفر مولده سنة أربع وعشرين ومائتين [illegible]

[illegible]

صورة عن بداية ترجمة الطبريّ في الجزء الثاني

النّصّ المحقّق



بسم الله الرحمن الرحيم

سُبحانَ[1] الله رافعِ الطِّباق، والحَمدُ لله[2] بالعَشيِّ والإشراق، ولا إله إلا الله[3] الملكُ الخَلاّق، والله أكبرُ أملأ بها الآفاق، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ أفضلِ مَنْ رَكب البُراق، وعلى آله وصَحبِهِ إلى يومِ التَّلاق.

هذا الكتابُ الثالثُ[4] الموعود به على مُغْني اللبيب للإمامِ جمالِ الدين بن هشام[5]، وهو تراجم مَنْ فيه مِنْ النُّحاة على وجهٍ بسيطٍ كثيرِ الفوائد جَمِّ العوائد، يُسمَّى "تُحفة الأديب في نُحاةِ مُغني اللبيب"، ورتَّبتُه على حروف المعجم في الشُّهرة، كما صنعَ جمال الدين[6] الإسنويّ[7] في تراجم الفقهاء الذين في شرح الرافعيّ[8]

(١) تقع هذه المقدِّمة في الصفحة الثانية من الجزء الأوّل من المخطوط، تسبقها صفحةُ الغلاف التي فيها الاسم الصريح للمخطوط والمؤلف، وعدّة تمليكات، وخَتْم وَقْف خزائن الوزير الشهيد علي باشا، عدا خَتْم المكتبة السليمانيّة.

(٢) بعدها في الأصل "الملك الخلاّق" لكنَّ المؤلف شطب العبارة بخطٍّ صغير، ووضع إشارة تعديل تشير إلى حاشية الصفحة، وفيها "بالعشيِّ والإشراق".

(٣) بعدها في الأصل "الذي بيده مفاتيح الأرزاق، والله أكبر بالعشيِّ والإشراق" لكنَّ المؤلف شطب العبارة وعدلها كما هو مُثبت.

(٤) خدم السيوطيّ -رحمه الله- كتاب "مُغني اللبيب" بخمسة كتبٍ، منها هذا الكتاب الذي ننهض بتحقيقه.وكلمة "الثالث" إشارة إلى أنّه مسبوق بكتابيه: الفتح القريب، وشرح شواهد المغني راجِع تفصيل جهود السيوطيّ في العناية بكتاب "المغني" في موضعه من الدراسة.

(٥) راجِع حديثنا عن ابن هشام وكتابه "مُغني اللبيب" في موضعه من الدراسة.

(٦) جمال الدين: زيادة من الحاشية.

(٧) هو جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الأمويّ القرشيّ الإسنويّ المتوفّى سنة ٧٧٢هـ، فقيه، مؤرِّخ، عالمٌ بعلوم العربيّة، اشتُهر بكتبه في الفقه الشافعيّ وتراجم رجاله.
انظر: الدرر الكامنة: ٢/٢١٥-٢١٦. والبغية: ٢/٩٢-٩٣.

(٨) هو كتابُ "العزيز في شرح الوجيز" شرح فيه مؤلِّفُه عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم المعروف بالرافعيّ المتوفّى سنة ٦٢٣هـ كتابَ "الوجيز في الفقه الشافعيّ" للغزاليّ شرحاً مبسوطاً طار ذكرُه في الآفاق. وهو مطبوع.
انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٢/٢٥٢ - ٢٥٥.

والروضة[1] في أول المهمات[2]، وفي طبقاته[3] أيضاً؛ لأنَّه أسهل للكشف، فأذكرُ مثلاً الأخفش والأصمعيّ وابن إياز في حرف الهمزة، وصاحب الإيضاح ابن الحاجب، وأبو حَيَّان، والحريريّ في حرف الحاء، والزَّجَّاجيّ والزَّمَخْشَريّ في حرف الزاي [اسماً كان أو كُنيةً أو نَسَباً أو إضافة مُعتَبراً في الكُنيةِ والإضافةِ الجزءَ الثاني][4]، وأقدِّمُ في كلِّ حرفٍ الأقدم وفاةً فالأقدم.

ومِن الله المعونة، وله الحمدُ على ما مَنَّ وأنعمَ.

---

(١) هو كتاب "روضة الطالبين وعمدة المفتين" في الفقه الشافعيّ ليحيى بن شرف النوويّ الشافعيّ المتوفى سنة ٦٧٧هـ.

(٢) هو كتاب ضخم شرح فيه الإسنويّ كتاب الرافعيّ والنوويّ شرحاً موسوعيّاً بدأ فيه بترجمة الفقهاء المذكورين في الكتابين.

(٣) هو كتاب طبقات الشافعيّة للإسنويّ، محقق مطبوع.

(٤) ما بين معقفين زيادة من الحاشية.

[١]*

الأصمعيّ

عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مُظَهِّر - بظاء معجمة، وهاء مشدّدة مكسورة، كذا ضبطه ابنُ ماكولا(١) - بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد غنم بن قُتيبة بن معن بن مالك بن أعصُر بن سعد بن قيس عَيلان بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان الباهليّ البصريّ أبو سعيد صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والمُلَح والنوادر. وقيل: إنَّ قُرَيباً لَقَبُ والدِه، واسمه عاصم، وكُنيته أبو بكر.

قال الحافظ جمال الدين المزّيّ في كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال: روى عن أبي أُميـة إسماعيل بن يَعلى الثَّقفيّ، وبكّار بن عبد العزيز بن أبي بكرة الثَّقَفيّ، وأبي الأشهب جعفر بن حيّان العُطارديّ، وحمّاد بن زيد، وحمّاد بن سَلَمة، والخليل بن أحمد، وسُفيان بن عُيَينة، وسَلَمة بن بلال، وسُليمان التَّيْميّ، وسُليمان بن المُغيرة،

---

[*] انظر ترجمته في: المعارف: ٥٤٣-٥٤٤. الجَرْح والتَّعديل: ٥/ ٣٦٣. مراتب النحويّين: ٨٠-١٥٠. الثقات: ٨/٣٨٩. أخبار النحويّين البصريّين: ٧٢-٨٠. طبقات النحويّين واللغويّين: ١٦٧-١٧٤. الفهرست: ٨٦-٨٧. نور القبس: ١٢٥-١٧٠. تاريخ أصبهان: ٩٤-٩٥. تاريخ العلماء النحويين: ٢١٨-٢٢٤. تاريخ بغداد: ١٠/ ٤٠٩-٤١٨. تاريخ دمشق ٣٧/٥٥-٩٠. نزهة الألباء: ٩٠-١٠١. الأنساب: ١/١٧٧-١٧٨. المنتظم: ١٠/٢٢٠-٢٣٠. المنتقى من أخبار الأصمعيّ. إنباه الرواة: ٢/١٩٧-٢٠٥. وفيات الأعيان: ٣/١٧٠-١٧٦. البلغة: ١٢٩-١٣٠. تهذيب الكمال: ١٨/٣٨٢-٣٩٤. إشارة التّعيين: ١٩٣-١٩٤. تاريخ الإسلام: (وفيات: ٢١١-٢٢٠): ٢٧٤-٢٨١. سير أعلام النّبلاء: ١٠/ ١٧٥-١٨١: الكاشف: ١/٦٦٨. مسالك الأبصار: ٧/٢١-٢٢. الوافي: ١٩/ ١٢٦-١٣٠. غاية النّهاية: ١/٤٧٠. البغية: ٢/١١٢-١١٣. طبقات المفسّرين: ١/٣٥٤-٣٥٦.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- الأصمعيّ اللغويّ.
- الأصمعيّ وجهوده في رواية الشّعر العربيّ.
- الأصمعيّ صاحب اللغة وإمام الرّواة.

(١) الإكمال: ٧/٢٦٢.

وشُعبة بن الحَجَّاج، وعبدالله بن عَون، وعبد الرحمن بن أبي الزِّناد، وعبد الصمد بن شبيب، وعبد العزيز بن أبي حازم، وعبد العزيز بن أبي سَلَمة المَاجَشون، وعثمان الشحَّام، وعديّ بن الفَصيل، وعمر بن أبي زائدة، والعلاء بن حريز العنبريّ، وغسَّان بن مُضَر الأزديّ، وقُرَّة بن خالد السَدوسيّ، وكثير العابد، وكَيسان مولى هشام بن حسَّان، ومالك بن أنس، والمبارك بن سعيد الثوريّ، ومَسعر بن كدام، ومعتمر بن سُليمان، ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ، وهشام بن سعد المدنيّ، ويعقوب بن محمد طحلاء، وأبي عمرو بن العلاء المازنيّ.

روى عنه: إبراهيم بن سُفيان الزِّياديّ، وأبو مسلم إبراهيم بن عبدالله الكشّيّ، وأحمد بن إبراهيم الدَورقيّ، وأحمد بن عبد الرحمن بن المفضّل الحرَّانيّ، وأحمد بن عبيد بن ناصح النحويّ أبو عصيدة، وأحمد بن عمر بن بكير النحويّ، وأحمد بن محمد اليزيديّ، وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ، وبشر بن موسى الأسديّ، والخضر بن أبان الهاشميّ، ورجاء بن الجارود، وأبو يعلى زكريا بن يحيى المنقريّ، وسَلَمة بن عاصم صاحب الفرَّاء، وأبو داود سُليمان بن معبد السنجيّ، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستانيّ، وعباس بن عبد العظيم العنبريّ، وأبو الفضل عباس بن الفرج الرِّياشيّ، وأبو هِفَّان عبدالله بن أحمد بن حرب الشاعر، وعبدالله بن الحسن بن إبراهيم الأنباريّ، وابن أخيه عبد الرحمن بن عبدالله بن قُرَيب الباهليّ، وعبد الرحمن بن هانئ النحويّ، وأبو قُلابة عبد الملك بن محمد الرَقاشيّ، وأبو وهب علي بن ثابت البصريّ، وعلي بن سعيد بن جرير النسائيّ، وعلي بن عَثَّام العامريّ، وعمر بن شَبَّة بن عبيدة النميريّ، وعمرو بن مرزوق الباهليّ، وأبو عُبيد القاسم بن سلاّم، وقعنب بن المحرَّر الباهليّ، ومحمد بن إدريس الشافعيّ ومات قَبلَه، وأبو حاتم محمد بن إدريس الرَّازيّ، ومحمد بن إسحاق الصاغانيّ، ومحمد بن الحسين بن أبي حليمة الأحنفيّ، ومحمد بن عبد الرحمن مولى الأنصار، وأبو بكر محمد بن عبد الملك بن زَنجوَيه، ومحمد بن عبيد بن سفيان القُرَشيّ والد أبي بكر بن أبي الدنيا، وأبو العَيناء محمد بن القاسم بن

خلاّد، ومحمد بن مسلم بن وارة الرّازيّ، ومحمد بن يونس الكديميّ، ومسعود بن بشر المازنيّ، ونصر بن علي الجهضميّ، ويحيى بن حبيب بن عربيّ، ويحيى بن معين، ويعقوب بن سُفيان الفارسيّ، ويعقوب بن شَيبة السّدوسيّ.

قال عباس الدوريّ عن يحيى بن معين: سمعتُ الأصمعيّ يقول: سمع مني مالك بن أنس.

وقال أبو عوانة الإسفرايينيّ عن أبي أُمَية الطرسوسيّ: سمعتُ أحمد بن حَنبل، ويحيى بن معين يُثنيانِ على الأصمعيّ في السُّنَّة. قال: وسمعتُ علي بن المدينيّ يُثني عليه.

وقال الرّياشيّ عن الأصمعيّ: قال لي شُعبة: لو أتفرّغ لجئتُكَ.

وقال أبو بكر بن أبي خُثيمة عن يحيى بن معين: الأصمعيّ ثقة.

وقال أبو معين الحسين بن الحسن الرّازيّ: سألتُ يحيى بن معين عن الأصمعيّ، فقال: لم يكنْ ممن يكذب، وكان من أعلم الناسِ في فنّه.

وقال الربيع بن سُليمان: سمعتُ الشافعيّ يقول: ما عبَّرَ أحدٌ عن العرب بأحسنَ من عبارة الأصمعيّ.

وقال محمد بن أبي زكير الأسوانيّ: سمعتُ الشافعيّ يقول: ما رأيتُ بذلك العسكر أصدقَ لهجةً من الأصمعيّ.

وقال أبو عبيد الآجريّ: سُئل أبو داود عن الأصمعيّ، فقال: صَدوق.

وقال إبراهيم الحربيّ: كان أهلُ البصرة أهلَ العربيّة منهم أصحابَ الأهواء إلا أربعة فإنَّهم كانوا أصحاب سُنّة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعيّ.

وقال أبو العَيناء: قال الجاحظ: كان الأصمعيّ منّانياً[1]. فقال له العباس بن

---

(١) في تاريخ بغداد: "مانيًا". وفي معجم الأدباء: "منّانيًا". وفي اللسان: النسبة إلى ماني: منّانيّ ومانيّ، والقياس مانويّ. انظر: تاريخ بغداد: ٤١٦/١٠. ومعجم الأدباء: ٢١٠٩/٥. واللسان: مادة (حرن).

رستم: لا والله، ولكن تذكرُ حين جلست إليه تسأله، فجعل يأخذ نعليه بيده وهي مخصوفة بجريدة، ويقول: نعم قِناع القدريّ، نعم قناع القدريّ. فعلمتُ أنَّه يعنيك، فقمت.

وقال أبو سعيد السيرافيّ في طبقات النحاة البصريين: كان الأصمعيّ صدوقاً في الحديث، عنده عن ابن عَون، وحمَّاد بن سلَمة، وحمَّاد بن زيد، وغيرهم، وعنده القراءات عن أبي عمرو، ونافع، وغيرهما، ويتوقّى تفسيرَ شيءٍ من القرآن والحديث على طريق اللغة.

حدثنا أبو علي الصفَّار حدثنا نصر بن علي، قال: حضرتُ الأصمعيّ وقد سأله سائل عن معنى قول النبي (ﷺ): «جاءكم أهل اليمن وهم أبخع نفساً». قال: يعني: أَقْتَل نفساً. ثم أطرقَ مُتَنَدِّماً على نفسه كاللائم لها، فقال: ومن أخذني بهذا وما علمي به؟ فقلتُ له: لا عليكَ؛ فقد حدثني سُفيان بن عُيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فلعلَّك باخِعٌ نفسَكَ﴾ [سورة الكهف، الآية ٦] أي: قاتِل نفسَك. فكأنَّه سُرِّيَ عنه.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد: حدثنا أبو عمر الجَرميّ[1]، قال: صِرتُ إلى الأصمعيَّ ومعي كتاب "المجاز" لأبي عُبيدة، فقال لي: هاتِه. فأعطيتُه، فنظرَ فيه حتى انتهى إلى آخره، ثم رجعتُ إليه، فقال لي: قال أبو عُبيدة في أوّل كتابه: ﴿ألم ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه﴾ [سورة البقرة، الآية ١-٢] أي: لا شكَّ فيه[2]. فما يُدريه أنَّ الريبَ الشكُّ؟ قال: فقلتُ له: أنتَ فسَّرتَ لنا في شعر الهُذَليين:

قالوا تركْنا القومَ قد حُصِروا به فلا ريبَ أن قد كان ثَمَّ لجيمُ

قال: فأمسكَ ولم يقل شيئاً، وردَّ الكتابَ.

حدثنا أبو بكر بن السرَّاج، قال: حدثنا أبو العباس المبرِّد، قال: قال الأصمعيّ:

(١) في أخبار النحويين البصريين: "أبو قلابة". انظر: ٧٥.

(٢) مجاز القرآن: ١/٢٩.

رآني أعرابيٌّ وأنا أكتبُ كلَّ ما يقول، فقال: ما تدع شيئاً إلا نمصتَه. أي: نَتَفتَه. وقال له بعض الأعراب وقد رآه يكتب كلَّ شيءٍ:

مــــــا أنتَ إلا الحُـــــــفَظهْ   تــكــتــبُ لَـفْـظَ الـلُـفَـظَـهْ

وقال له آخر: أنتَ حتفُ الكلمة الشرُود.

وقال وكيع في الغُرَر: حدثني الحسين بن إبراهيم بن سعدان حدثني محمد بن عبادة الواسطيّ، قال: حدثني عمر، قال: أتيتُ في زمن سُليمان بن عبد الملك صبيحاً النسَّابة، فقال لي: من أنتَ؟ فقلتُ: أنا إبراهيم. قال: ابن مَن؟ قلتُ: ابنُ عبد الملك. قال: ابن من؟ قلتُ: ابن علي. قال: ابن من؟ قلتُ: ابن أصمع. قال: أصمع بن مُظَهِّر؛ قد رأيتُ مُظَهِّراً يُدفَن بكاظمة مسلماً(١). قال الأصمعيّ: هذا قبل أن يقدمَ بنو أصمع البصرة.

وقال الإمام أبو عمرو عمر بن سعيد الدانيّ في ترجمته من طبقات القُرَّاء: روى القراءة عن نافع بن أبي نُعَيم، وأبي عمرو بن العلاء، وله عنهما نسخة، وروى عن الكسائيّ حروفاً، وسمع ابن عَون، والثوريّ. روى عنه الحروف أبو حاتم، ونصر بن علي، وعبد الرحمن بن محمد الحارثيّ.

وقال أبو الطيِّب اللغويّ في مراتب النحويين: كان في هذا العصر ثلاثة، هم أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب، لم يُرَ قبلهم مثلهم ولا بعدهم، عنهم أخِذَ جُلّ ما في أيدي الناس من هذا العلم، بل كلّه، وهم: أبو زيد، وأبو عُبيدة، والأصمعيّ، وكلّهم أخذوا عن أبي عمرو بن العلاء اللغةَ والنحو والشعر، ورَوَوا عنه القراءة، ثم أخذوا بعد أبي عمرو عن عيسى بن عمر، وأبي الخطّاب الأخفش، ويونس بن حبيب، وعن جماعة من ثقات الأعراب وعلمائهم مثل أبي مهدية، وأبي طفيلة، وأبي البيداء، وأبي خيرة واسمه إياد بن لقيط، وأبي مالك عمرو بن كَركَرة صاحب النوادر من بني نمير، وأبي

---

(١) انظر: طبقات النحويين واللغويين: ١٦٧.

الدُّقَيْشِ الأعرابيّ، وقد أخذ الخليل أيضا عن هؤلاء، واختلف إليهم[1]، وكان أبو زيد أحفظَ الناسِ للغة بعد أبي مالك، وأوسعَهم رواية، وأكثرَهم أخذاً عن البادية[2].

وقال ابن مناذر: كان الأصمعيّ يُجيبُ في ثلثِ اللغة، وكان أبو عُبيدة يُجيب في نصفها، وكان الأصمعيّ يُجيب في ثُلثيها، وكان أبو مالك يُجيب فيها كلّها.

قال أبو الطيب: وإنّما عنى ابن مناذر توسّعَهم في الرواية والفُتيا؛ لأنَّ الأصمعيّ كان يُضَيِّق ولا يجوّز إلا أصحّ اللغات، ويلِجّ في ذلك، ويمحك، وكان مع ذلك لا يجيب في القرآن وحديث النبي (ﷺ) فعلى هذا يزيد بعضهم على بعض[3].

قال: وكان الأصمعيّ أتقنَ القومِ للغة، وأعلمَهم بالشعر، وأحضرَهم حفظاً، وكان أبوه قد رأى الحسنَ وجالَسَه، وكان تعلَّمَ نقدَ الشعر من خلفٍ الأحمر.

أخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا علي بن سهل أخبرنا أبو عثمان الأشناندانيّ أخبرنا الثوريّ، قال: خرجتُ إلى بغداد، فحضرتُ حلقة الفرّاء، فرأيته يحكي عن الأعراب ويُمَثِّل بشواهدَ ما كان أصحابنا يحفلون ببعضها، فلما أنِسَ بي قال: ما فعل أبو زيد؟ قلتُ: مُلازمٌ لبيته ومسجده وقد أسَنّ. فقال: ذاك أعلمُ الناسِ باللغة وأحفظُهم لها. ما فعل أبو عُبيدة؟ قلتُ: ملازمٌ لبيته ومسجده على سوء خُلقه. فقال: أما إنّه أكملُ القومِ وأعلمُهم بأيام العرب ومذاهبها. ما فعل الأصمعيّ؟ قلتُ: ملازمٌ لبيته ومسجده. قال: ذاك أعلمُهم بالشعر وأتقنُهم للغة وأحضرُهم حفظاً. ما فعل الأخفش؟ يعني سعيد بن مسعدة. قلتُ: معافى تركته عازماً على الخروج إلى الريّ. قال: أما إنّه إن كان خرج فقد خرج معه النحو كلّه والعلم بأصوله وفروعه.

قال أبو الطيب: ولم يرَ الناسُ أحضرَ جواباً وأتقنَ لما يُحفَظ من الأصمعيّ، ولا أصدق لهجةً، وكان شديدَ التألّه؛ فكان لا يفسِّرُ شيئاً من القرآن، ولا شيئاً من اللغة له نظير أو اشتقاق في القرآن، وكذلك الحديث تحرُّجاً، وكان لا يفسِّر شعراً فيه هجاء،

(١) مراتب النحويين: ٧٠-٧١.

(٢) المصدر نفسه: ٧٣.

(٣) المصدر نفسه: ٧٣.

ولم يرفع من الحديث إلا الأحاديث اليسيرة، وكان صدوقاً في كلِّ شيءٍ، من أهلِ السُّنَّة.

وُلِدَ سنة ثلاثٍ وعشرين ومائة، وعُمِّرَ نيّفاً وتسعين سنة. وقال ابن أخيه عبد الرحمن: مات عمي في صفر سنة ستّ عشرة ومائتين وله إحدى وتسعون سنة. انتهى.

وقال السيرافيّ في طبقاته: قال أبو العَيناء: توفّي الأصمعيّ بالبصرة وأنا حاضر سنة ثلاث عشرة ومائتين، وصلّى عليه الفضل بن إسحاق، ويُقال: مات سنة سبع عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة. انتهى. وبهذا جزم البخاريّ[1]، أعني أنّه مات سنة ستّ عشرة. وقال خليفة بن خياط[2]: مات سنة خمس عشرة. وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: بلغني أنَّ الأصمعيّ بلغ ثمانياً وثمانين سنة.

وقال أبو الطيب: قال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يهجو الأصمعيّ، وحسبك بالأصمعيّ[3]:

أليسَ من العجائبِ أنَّ شخصاً أُصَيمعَ باهليّاً يستطيلُ
ويزعم أنّه قد كان يفتي أبا عمرو ويسأله الخليلُ

قال أبو الطيب: وأمّا ما يحكي العوامّ وسُقّاط الناس من نوادر الأعراب، ويقولون: هذا مما اختلقه الأصمعيّ. ويحكون أنَّ رجلاً رأى عبد الرحمن ابن أخيه، فقال: ما فعل عمّك؟ فقال: قاعد في الشمس يكذب على الأعراب. فهذا باطل ما خلق الله منه شيئاً، ونعوذ بالله من معرّة جهلِ قائله وسقوط الخائض فيه، وكيف يقول ذلك عبد الرحمن ولولا عمّه لم يكنْ شيئاً مذكوراً؟ وكيف يُكَذِّبُ عمّه وهو لا يروي إلا عنه؟ وأنّى يكون الأصمعيّ كما زعموا وهو لا يفتي إلا فيما أجمعَ عليه العلماء، ويقف عما يتفرّدون به عنه، ولا يجيز إلا أفصح اللغات، ويلجّ في دفعِ ما سواه.

(١) التاريخ الكبير: ٥/ ٢٧٠.
(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ٤٧٥.
(٣) مراتب النحويين: ٦٨-٦٩، وفيه "أنّ كلباً" بدل "أنّ شخصاً".

أخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا علي بن سهل الجنديسابويّ أخبرنا الزياديّ، قال: وردَ رجلٌ من خراسان على الأصمعيّ، فلما أنِسَ به، قال له يوماً وهو في داره: أين كتبُك؟ فأشار إلى شيءٍ في زاويةٍ، استقلَّه الرجل، فقال: ليس إلا؟! قال: لا وإنَّه من حقٍّ لكثير.

وكان أبو زيد وأبو عُبيدة يخالفانه ويناوئانه كما يناوئهما، فكلّهم كان يطعن على صاحبه بأنَّه قليل الرواية، ولا يذكره بالتزيّد، وكان أبو زيد أقلُّهم طعناً على غيره، وكان أبو عُبيدة يطعن على الأصمعيّ بالبخل وضيق العطن، وكان الأصمعيّ إذا ذكر أبا عُبيدة، قال: ابن الحائك.

أخبرنا جعفر بن محمد، قال: أخبرونا عن أبي حاتم قال: أملى علينا أبو عُبيدة بيت عبد مناف بن ربع الهُذَليّ:

حتى إذا أسلكوهمْ في قُتائدةٍ شلاً كما تطرد الجمّالة الشردا

قال: وهذا كلام لم يجئ له خبر، وهذا البيت آخر قصيدة. قال: ومثله قول الله تعالى: ﴿ولو أنَّ قرآناً سُيِّرتْ به الجبالُ﴾ [سورة الرعد، الآية ٣١] إلى قوله: ﴿بل لله الأمرُ جميعاً﴾ [سورة الرعد، الآية ٣١] قال: فجئتُ إلى الأصمعيّ، فأخبرته بذلك، فقال: أخطأ ابن الحائك، إنَّما الخبر في قوله "شلاً" كأنَّه قال: "شلّوهم شلاً" قال: فجعلتُ أكتبُ ما يقول، ففكر ساعةً، ثم قال لي: اصبرْ؛ فإني أظنّه كما قال؛ لأنَّ أبا الجوديّ الراجز أنشدني:

لو قد حداهنَّ أبو الجوديِّ برجزٍ مسحنفر الرويِّ
مستوياتٍ كنوى البَرْنيِّ

فهذا كلام لم يجئ له خبر[1]. فانظرْ إلى هذا الاتفاق مع شدة المنافسة، ثم لا يتهم

---

(١) المقصود بالخبر حذف جواب الشرط إن اكتنفه ما يدل عليه. انظر: مغني اللبيب: ٢/٤٣٣. وقد ذكر المبرّد الآية والرجز ثم قال: «لم يأتِ بخبر لعلم المخاطب. ومثل هذا الكلام كثير. ولا يجوز الحذف حتى يكون المحذوف معلوماً بمَا يدلّ عليه من متقدّم خبر أو مشاهدة حال». انظر: المقتضب: ٢/٨١.

أحدٌ صاحبه بالكذب، ولا يقذفه بالتزيّد؛ لأنّهم يبعدون عن ذلك.

فأما حضورُ حفظِه وذكاؤه فإنّه كان في ذلك أعجوبة، أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا القاسم بن إسماعيل حدثنا التوزيّ، قال: كنا عند الأصمعيّ، فوقف عليه أعرابيّ من بني أسد، فقال له: ما معنى قول الشاعر:

لا مــــــالَ إلا العِطاف تؤزِرُهُ أمٌّ ثلاثين وابنة الجبلِ

فاندفع الأصمعيّ ينشد باقي الشعر، فعجب الأعرابيّ، وقال: ما رأيتُ عُضْلَةً كاليوم.

أخبرنا أبو روق الهزانيّ: أخبرنا الرياشيّ، قال: كنا عند الأصمعيّ، فوقف عليه أعرابيّ، فقال: أأنتَ الأصمعيّ؟ فقال: نعمْ. قال: أنتَ عالِم أهلِ الحَضَر بكلام العرب؟ قال: كذلك يزعمون. قال: ما معنى قول الأول:

وما ذاك إلا الديك شاربُ خمرةٍ نديمُ الغُـراب لا يملّ الخـوابيا

فلما استقلَّ الصبحُ نادى بصوته ألا يا غـرابُ هل رددتَ ردائيا

فقال الأصمعيّ: إنّ العرب كانت تزعم أنّ الديكَ في ذلك الزمان الأول كان ذا جناحٍ يطير به في الجوّ، وأنّ الغراب كان ذا جناح كجناح الديك لا يطير به، وأنّهما تنادما ذات ليلة في حانة يشربان، فنفد شرابُهما، فقال الغراب للديك: لو أعرتني جناحك لأتيتك بشرابٍ. فأعاره جناحه، فطار ولم يرجع، فزعموا أنّ الديك إنّما يصيح عند الفجر استدعاءً لجناحه من الغراب. فضحك الأعرابيّ، وقال: ما أنتَ إلا شيطان. وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت[1].

وأخبرونا عن أبي حاتم، قال: قلتُ للأصمعيّ: نقول الرِّبّة والرُّبّة للجماعة من الناس. فلم يتكلّم فيه؛ لأنّ في القرآن: ﴿رِبِّيُّون كثير﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٤٦] .

أخبرنا جعفر بن محمد قال: أخبرنا محمد بن الحسن الأزديّ أخبرنا أبو حاتم:

(١) انظر: أمية بن أبي الصلت: حياته وشعره: ٢٣٠. وفيه إشارة إلى أنّ عجز البيت الثاني مختلّ الوزن والصواب «نديم غرابٍ».

سمعتُ الأصمعيّ يقول: تسعةُ أعشار شعر الفرزدق سرقةٌ، وكان يُكاثِر، فأما جرير فله ثلاثمائة قصيدة ما علمته سرق شيئاً إلا نصفَ بيت. قلتُ: ما هو؟ قال: هجاء. وتحرَّج أن يذكره.

أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن العباس حدثني الخليل بن أسد قال: كنا عند الأصمعيّ، فجاءه رجلٌ، فقال: زعم أبو زيد أنَّ النَّدى ما كان في الأرض، والسَّدى ما سقط من السماء، فغضب الأصمعيّ، وقال: ما يصنع بقول الشاعر:

ولقد أتيتُ البيتَ يُخشى أهلُه ... بعدَ الهدوِّ وبعد ما سقط النَّدى

أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا محمد بن يزيد حدثنا عبد الصمد بن المعذل، قال: رأيتُ الأصمعيّ بمكة وقد جاءه الأحمر الكوفيّ، فألقى عليه مسائل من الغريب، فجعل يجيبه والأحمر كأنَّه مجنون من سؤاله وحركته، فلما انقضتِ المسائل تمثَّل الأصمعيّ بقول ابن مقبل:

ما لكَ تجري [إلينا] غيرَ ذي رسنٍ ... وقد تكون إذا نجريكَ تُعيينا
وقد بريتَ قداحاً أنتَ مُرسلها ... ونحنُ راموك فانظرْ كيفَ ترمينا

ثم سأله الأصمعيّ عن بيت، فلم يجبْ، فسأله عن ثانٍ فلم يجب، فسأله عن ثالثٍ فلجلج، فقال الأصمعيّ متمثلاً:

يُلجلجُ مضغةً فيها أنِيضٌ ... أصلَّتْ فهيَ تحتَ الكشحِ داءُ
غصصتَ بنيئها وبشمتَ عنها ... وعندي لو طلبتَ لها شفاءُ

فقال الأحمر: ما يعرض لك في اللغة إلا مجنون.

أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا محمد بن الرياشيّ أخبرنا أبي، قال: حدثنا الأصمعيّ، قال: تذاكرنا "أُمَّات وأمهات" عند الرشيد، فقالوا: الأمهات للآدميين، والأمّات للبهائم. فقلتُ: معاذ الله، ثم أنشدتُ في أمات الآدميين وأمهات البهائم حتى قال لي الرشيد: حسْبك حسْبك.

أخبرنا عبد القدوس بن أحمد أخبرنا المبرِّد أخبرنا الرياشيّ، قال: رأيتُ في النوم كأني أسأل الأصمعيّ بعدما مات: ما معنى قول الشاعر:

وكلُّ جديدةٍ فإلى بِلاها ... وكلّ جديدةٍ فإلى جديدِ

فقال لي: إلى يومٍ جديد يأتي عليها أو إلى بِلى جديد، لا بدَّ من ذاك.

قال الرياشيّ: حتى في النوم وبعد الموت لم يخطئ.

أخبرنا محمد أخبرنا المبرِّد أخبرنا الرياشيّ، قال: ذُكِرَ أبو عطاء السنديّ عند الأصمعيّ، فطعن رجلٌ على شعره، فقال الأصمعيّ: أخبرني جندل بن الراعي، قال: لما دُفِن يزيد بن عمر بن هُبيرة، قال أبو عطاء السنديّ:

ألا إنَّ عيناً لم تَجُدْ يومَ واسطٍ ... عليك بجاري دمعها لجَمودُ
عشيةَ راحَ الدافنون وضُرِّجتْ ... جيوبٌ بأيدي مأتمٍ وخدودُ
فإن تُمسِ مهجورَ الفِناءِ فطالما ... أقام به بعد الوفودِ وفودُ
وإنَّكَ لم تبعدْ على متعهِّدٍ ... بلى إنَّ من تحتَ الترابِ بعيدُ

أفيُقال لهذا: لا يُحسن! وكان في الأصمعيّ لِجاج وخلاف، فقال الرجل: والله ما ظننتُ عطاءً يُحسِنُ هذا، وإذا كان الله تعالى قد علَّمك من شعر كلِّ شاعر أحسنَه، فما حِيلتُنا؟

أخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا أحمد بن غياث النحويّ حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه، قال: كنتُ عند الرشيد، فدخل العباس بن الأحنف، فقال: يا أميرَ المؤمنين، قد عملتُ شعراً لم يسبقني إلى معناه أحدٌ. قال: هات. فأنشده:

إذا ما شئتَ أن تصنـ ... ـعَ شيئاً يُعجِبُ الناسا
فصوِّرْ ههنا فَوزاً ... وصوِّرْ ثَمَّ عبَّاسا
ودعْ بينهما شِبراً ... فإن زادَ فلا باسا
فإن لم يدنوا حتى ... ترى رأسيهما راسا
فكذِّبْه وكذِّبْها ... بما قاستْ وما قاسا

قال: فنظر إليَّ الرشيدُ، فقلتُ له: يا أميرَ المؤمنين، قد سُبِق إليه. قال: هاتِ. فأنشدتُه:

لو أنَّ صـــورةَ من أهوى ممثَّلةٌ ... وصورتي لاجتمعنا في الجدار معا
إذا تأمّلتنا ألفيتنا عجبا ... إلفانِ ما افترقا يوماً وما اجتمعا

قال: فأعرضَ عنه الرشيدُ، فقال: والله يا أميرَ المؤمنين، وحقِّ رأسك، ما سمعتُ بهذين البيتين. وجعل يتنصّل والرشيد ساكت، فلما خشيت أن يحرمه، قلتُ: صدق يا أميرَ المؤمنين، أنا عملتُ البيتين الساعةَ. فأمر له بجائزة ولي بضعفها.

أخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا محمد بن الحسن الأزديّ أخبرنا أبو حاتم، قال: كان الأصمعيّ أدرى الناسِ للرجز؛ سمعتُ مرة نجرانيّاً[1] كان قد طاف بنواحي خراسان يسأله، فقال: أخبرني فلانٌ بالريِّ أنَّك تروي اثني عشر ألف أرجوزة. قال: نعم، أروي أربعة عشر ألف أرجوزة. فعجبتُ، فقال: أكثرها قِصار؟ فقلتُ: اجعلها بيتاً بيتاً أربعة عشر ألف بيت.

وكتب إليَّ أبو روق الهزانيّ، قال: سمعتُ الرياشيَّ يقول: سمعتُ الأصمعيَّ يقول: أحفظُ اثني عشرَ ألفَ أرجوزة. فقال له رجل: منها البيت والبيتان؟ فقال: ومنها المائة والمائتان.

حدثنا جعفر بن محمد أخبرنا عسل[2] بن ذكوان عن المازنيّ، قال: قلتُ للأصمعيّ: إنَّك لتحفظ من الرجز ما لا يحفظه أحد. فقال: إنَّه كان همَّنا وسَدَمنا.

حدثنا جعفر بن محمد حدثنا محمد بن الحسن الأزديّ حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ، قال: كنتُ عند شعبة بن الحجّاج، فروى حديثاً، قال فيه: «فيسمعون جَرْشَ طيرِ الجَنَّة» بالشين المعجمة، فقلتُ: "جرس" بالسين غير المعجمة، فالتفتَ يتنَظَّرُني، فلما رآني، قال: خذوها عنه فإنَّه أعلم بها منا. والجرس الصوت.

---

(١) في مراتب النحويين: "بحرانيًا". انظر: ٩٥.
(٢) في المصدر نفسه: "علي". انظر: ٩٥.

أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا القاسم بن إسماعيل حدثنا محمد بن سلاَّم الجُمَحيّ، قال: حدثنا بعضُ كَتَبةِ الفضل بن الربيع، قال: كنا عند الفضل بن الربيع وعنده أبو عُبيدة، فسأله عن قول عمر (رضي الله عنه) للمؤذّن - وهو أبو محذورة -: أما خشيتَ أن ينشَقَّ مُرَيطاؤك؟ أيُقصر أم يُمدّ؟ فقال أبو عُبيدة: يُمَدّ. فقال علي الأحمر وكان حاضراً: بل يُقصَرُ. فقال أبو عُبيدة: وما يُدريك يا مُذبذب؟ ودخل الأصمعيّ، فسأله عن ذلك، فقال مثلَ قول أبي عُبيدة، فقال الأحمر: بل يُقصَرُ. فقال له الفضل بن الربيع: اسكتْ؛ فإنَّك لا تكون بإجماع هذين خلافاً.

أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن موسى اليزيديّ(١) حدثني حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، قال: كنتُ عند أبي يوماً وبين يديه جارية تغني بشعر ابن الأحنف:

أمــا عــجبٌ أنَّ جـيـرانـنا ... أعـدُّوا لوقتِ الغـروب غـروبا
فلو كنتُ بالشـمسِ ذا طاقـةٍ ... لطال على الشمسِ حتى تغيبا

فقال لي: يا بُني، عجائب الدنيا معروفة معدودة، منها الأصمعيّ، وهو مما لا يعرفه الناس؛ اجتمعنا عند جعفر بن يحيى يوماً، فجرى ذكر هذين البيتين لابن الأحنف، فقلتُ أنا كالعابث: لستُ أشكّ أنَّ أبا سعيد يعرف أصلَ هذا الفرع، فإنَّه معنى مليح. فنظر إليَّ نَظَرَ تمقُّتٍ، ولم يُجبني، فقال له جعفر: ألهذا أول قبل العباس؟ فقال: أوله عندي قول النابغة:

لا مـرحـبـاً بغـدٍ ولا أهلاً بهِ ... إن كـان تفـريقُ الأحـبـةِ في غـدِ

وآخر من أتى به أبو إسحاق يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله التيميّ. قال له جعفر: فماذا قال؟ فأنشده:

نجـمتْ نجـومي أمسِ طالعُـهـا ... سـعـدٌ ونجـمي اليـوم ذو نحسِ

---

(١) في مراتب النحويين: "البربريّ". انظر: ٩٨.

يا ليتَ ربّي مَدُّ أمسِ لنا أبداً وكان اليومُ ذا حبسِ
هذاك جمّعنا وفرَّقَ ذا شتّان بين اليوم والأمسِ
بينا تراني في نعيم هوى أرجو تأخُّرَ غَيبةِ الشمسِ
عَجِلَ المساءُ له ففارقني فيه أعزُّ عليَّ من نفسي

قال: فأمر له جعفر بألف دينار. وخرج الأصمعيّ، فقال لي جعفر: يا إسحاق، في المنام ترى ما جرى؟ أظننتَ أنَّ مثلَ الأصمعيّ يكون في الدنيا؟ ثم حدّث الرشيد بذلك، فوصله بألف دينار، فأخذ بكلمتين ألفي دينار.

قال أبو الطيب: ولم يحكِ الأصمعيّ، ولا صاحباه عن الخليل شيئاً من اللغة؛ لأنّه لم يكن فيها مثلهم، ولكنَّ الأصمعيَّ قد حكى عنه حكايات، وكان الخليلُ أسنَّ منه.

قال: وكان علي بن أصمع جدُّ أبي الأصمعيّ يتولّى محوَ المصاحف المخالفة لمصحف عثمان من قِبَل الحجّاج، وإياه عنى الشاعر بقوله:

وإلا رسومُ الدارِ قفراً كأنّها كتابٌ محاه الباهليّ ابن أصمعا

أخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا محمد بن الحسن الأزديّ أخبرنا أبو حاتم، قال: قال الأصمعيّ: كلُّ شيءٍ في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حمّاد الراوية إلا شيئاً سمعناه من أبي عمرو بن العلاء[1].

قال أبو حاتم: قال الأصمعيّ: جالستُ حمّاداً فلم أجد عنده ثلاثمائة حرف، ولم أرضَ روايته[2].

أخبرنا عبد القدوس بن أحمد أخبرنا محمد بن يزيد حدثنا المازنيّ قال: قال لي الأخفش: أتلزمُ الأصمعيّ؟ قلتُ: ما أفارقُه. قال: أتتعلّم منه النحو؟ قلتُ: لا، ولكني أتعلّم منه المعاني واللغة والشعر. قال: مما ليس عندنا؟ قلتُ: نعمْ، مما ليس عندك. قال: فسَلني عن شيء منه؟ قلتُ: أعن صعبه أم سهله؟ قال: عن سهله أولاً. قلتُ: ما يريد

(١) مراتب النحويين: ١١٧.
(٢) المصدر نفسه: ١١٨.

الشاعر بقوله:

أمِـن زيـنـبَ ذي الـنـارُ قُـبـيلَ الصبحِ ما تخبو
إذا ما خـمـدت يُلقى عليـهـا المَندَلُ الرَّطبُ

ولم أعرف[1] نصف البيت الأول؟ فقال الأخفش: "أمن زينب" أي: من نحو زينب، وقوله "ذي النار" يريد صاحبة النار. فقلتُ: ليس هكذا عنده، وإنَّما يقول: "ذي النار" معناه هذه النار. قال: الزمْه، فهذا أحسن.

أخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا محمد بن الحسن الأزديّ، وإبراهيم بن حميد قالا: حدثنا أبو حاتم، قال: كان الأصمعيّ أقام بالمدينة زماناً مع جعفر بن سليمان الهاشميّ واليها، فقال الأصمعيّ: ما رأيتُ بالمدينة قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحَّفة أو مصنوعة[2].

أخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا علي بن محمد الحنفيّ أخبرنا أبو حاتم، قال: قال الأصمعيّ: العجبُ من ابن دأب حين يزعم أنَّ أعشى همدان قال:

من دعـا لي غـزيِّلي أربحَ اللـهْ تجـارتُهْ
وخـضـابٌ بكفِّـه أسـود اللون قـارتُهْ

ثم قال: يا سبحان الله! يحذف الألف التي قبل الهاء في "الله" ويرفع "تجارته" وهو منصوب، ويُجَوِّز هذا عنه، ويروي الناس عن مثله![3].

وقال السيرافيّ: حدثنا محمد بن سهل الكاتب حدثنا أبو جعفر أحمد بن عبيد، قال: سمعتُ ابنَ الأعرابيّ يقول: شهدتُ الأصمعيّ وقد أنشد نحواً من مائتي بيت ما فيها بيتٌ عرفناه.

وفي كتاب التصحيف للعسكريّ[4]: أنَّ الأصمعيّ سأل الكسائيّ بحضرة الرشيد

(١) في مراتب النحويين: "ولم أعرب". انظر: ١٢٥.
(٢) لم يرد في مراتب النحويين ذكرٌ للسند. انظر: ١٥٦.
(٣) المصدر نفسه: ١٥٦-١٥٧.
(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف: ق١، ١٥٦-١٥٧.

عن قول الراعي:

قتلوا ابنَ عفَّانَ الخليفةَ مُحْرِماً ودعا فلم أرَ مثلَه مخذولا

أيُّ إحرامٍ هذا؟ فقال الكسائيّ: كان محرِماً بالحجِّ. فقال الأصمعيّ: والله ما أحرم، ولا عنى الشاعر هذا، ولو قلتَ: "أحْرَمَ" دخل في الشهر الحرام كما يُقال: "أشْهَرَ" دخل في الشهر كان أشْبَه. قال الكسائيّ: فما أراد بالإحرام؟ قال: كلُّ من لم يأتِ شيئاً يستحلُّ به عقوبته فهو محرِم. خبِّرني عن قول عديّ بن زيد:

قتلوا كسرى بليلٍ محرِماً فتولَّى لم يُمَتَّعْ بكفَنْ

أيُّ إحرامٍ كان لكسرى؟ فسكت الكسائيّ، فقال الرشيد: يا أصمعيّ، ما تُطاقُ في الشعر.

وأخرجه الخطيب عن إسحاق الموصليّ، قال: سأل الرشيد، فذكره، وزاد في آخره: لا تعرضوا للأصمعيّ في الشعر.

وفي طبقات السيرافيّ: قال ابن أخي الأصمعيّ: كان عمّي إذا وردَ عليه شيءٌ ينكره، قال: جحفلْ به. أي ارمِ.

وقال أبو العباس المبرِّد: كان الأصمعيّ كثيراً ما يُذاكر أصحابه بمعاني الشعر، قال: ومرَّ به رجلان كانا يتناظران في المعاني، فلما رأياه قال أحدهما لصاحبه متمثِّلاً:

وما يُنْجي من الغَمَراتِ إلا بَرَاكاءُ القِتالِ أو الفِرارُ

وقال أبو العباس: كان الأصمعيّ إذا أنشد هذه الأبيات يومئ كأنَّه يقوم على أربع، والأبيات له:

يا أمةَ الله ألم تسمعي ما قال عبد الملك الأصمعي
واحدةٌ أثقلني حملُها فكيفَ لو قمتُ على أربعِ

يريد أربع نسوة.

وقال أبو العباس: دخل الأصمعيّ يوماً على الرشيد بعد غَيبة كانت منه، فقال له:

يا أصمعيّ، كيف كنتَ بعدي؟ فقال: ما ألاقتني بعدك أرضٌ. فتبسَّمَ الرشيد، فلما خرج الناس، قال له: ما معنى قولك: "ما ألاقتني[١] أرض" قال: ما استقرَّت بي، كما يُقال: فلان لا يليق شيئاً، أي لا يستقرّ معه شيء. فقال له: هذا أحسن، ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين الناس إلا بما أفهمه، فإذا خلوت فعلِّمني؛ فإنَّه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالماً؛ إما أن أسكت فيعلم الناسُ أني لا أفهم إذا لم أجِبْ، وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم من حولي أني لم أفهم ما قلت. قال الأصمعيّ: فعلَّمني أكثر مما علمته.

وقال أبو العباس: نُميَ إليَّ أنَّ الرشيد مازَح أمَّ جعفر، فقال لها: كيف أصبحتِ يا أمَّ نَهَر؟ فاغتمت لذلك، ولم تدرِ ما معناه، فوجَّهت إلى الأصمعيّ تسأله عن ذلك، فقال لها: الجعفر النهر الصغير، وإنَّما ذهب إلى هذا. فطابت نفسُها.

[وقال] أبو العباس: كان رجلٌ يألفُ حلقة الأصمعيّ، ويهدي إليه من ضَيعته، فترك حلقة الأصمعيّ، وألف حلقة أبي زيد، فمرَّ الرجلُ يوماً بالأصمعيّ، فأنشده الأصمعيّ للفرزدق:

ولجَّ بكَ الهجرانُ حتى كأنَّما ... ترى الموتَ في البيتِ الذي كنتَ تألفُ

قال: وكان الأصمعيّ يقول اليسير من الشعر؛ قال في واقعة البرامكة:

أيُّها المغرورُ هل لكْ ... عبرةٌ في آلِ بَرمكْ
غرَّهُمْ عن قَدَرِ الله ... حِسابُ الهَشْتَمَرُكْ

في أبيات آخرها:

عبرةٌ لم ترَها أنتَ ... ولا قبلُ أبٌ لكْ

قال: وأكثر سماعه عن الأعراب وأهل البادية.

وفي تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر الخطيب من طريق أحمد بن كامل القاضي، قال: حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن أحمد بن عمر بن بكير النحويّ، قال:

(١) في أخبار النحويين البصريين: "لاقتني"، ورواية اللسان: "الاقتني". انظر: أخبار النحويين البصريين: ٧٧. واللسان: مادة (ليق).

لما قدم الحسن بن سهل العراقَ، قال: أحبُّ أن أجمعَ قوماً من أهل الأدب، فيجرون بحضرتي في ذلك، فحضر أبو عُبيدة معمر بن المثنى، والأصمعيّ، ونصر بن علي الجهضميّ، وحضرتُ معهم، فابتدأ الحسن، فنظر في رقاعٍ كانت بين يديه للناسِ في حاجاتهم، ووقَّع عليها، وكانت خمسين رقعة، ثم أمر فدُفِعت إلى الخازن، ثم أقبل علينا، فقال: قد فعلنا خيراً، ونظرنا في بعض ما نرجو نفعه من أمور الناس والرعية، فنأخذ الآن فيما نحتاج إليه، فأفضنا في ذِكر الحُفَّاظ، فذكرنا الزُّهريّ، وقَتادة، ومررنا. فالتفتَ أبو عُبيدة، فقال: ما الغرضُ أيُّها الأمير في ذِكر ما مضى؟ وإنَّما نعتمد في قولنا على حكاية عن قومٍ [مضوا] ونترك ما نحضره؟ ههنا من يقول إنَّه ما قرأ كتاباً قطّ فاحتاج إلى أن يعود فيه، ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه. فالتفتَ الأصمعيّ، فقال: إياي يريد بهذا القول أيُّها الأمير، والأمر في ذلك على ما حكى، وأنا أقرِّب عليه. قد نظر الأميرُ فيما نظر فيه من الرقاع، وأنا أعيد ما فيها.

وقال أبو سليمان الخَطَّابيّ عن محمد بن يعقوب المتوثيّ عن أحمد بن عمرو الزنبقيّ عن أبيه عن الأصمعيّ، قال: قال لي شعبة: إني وصفتك لحماد بن سلمة وهو يحبُّ أن يراك. فوعدته يوماً، فذهبتُ معه إليه، فسلَّمتُ عليه، فحيًا ورحَّبَ، فقال له شعبة: يا أبا سلمة، هذا ذاك الفتى الأصمعيّ الذي ذكرته لك. فحيَّاني بعدُ وقرَّب، ثم قال: كيف تنشد هذا البيت:

أولئك قومي إن بنَوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا

يعني: بكسر الباء. فقال لي: انظر جيداً. فنظرتُ، فقلتُ: لستُ أعرفُ إلا هذا. فقال: يا بني:

أولئك قومي إن بنَوا أحسنوا البُنا

القوم إنَّما بنوا المكارم ولم يبنوا باللبْنِ والطين. قال: فلم أزل هائباً لحمَّاد بن سلمة، ولزمته بعد ذلك.

وقال أبو القاسم الزّجّاجيّ في أماليه[١]: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن منصور المعروف بـ "ابن الخيّاط" النحويّ أخبرني أبو الحسن بن الطيّان عن أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السّكّيت عن الأصمعيّ وأبي زيد وغيرهما لما يذكر من أسماء الشجاج، دخل كلام بعضهم في بعض، قالوا: الشجّ في الوجه والرأس خاصّة دون سائر الجسد، فأول الشجاج الحارصة وهي التي تشقّ الجلد شقّاً خفيفاً ولما يجرِ منه دمٌ، ومنه قيل: حرص القصّارُ الثوبَ إذا شقّه شقّاً خفيفاً، ثم الدامية وهي التي ظهر دمها ولم يَسِلْ، ثم الدامعة وهي التي تطرد دمها كما تدمع العين، ثم الباضعة وهي التي جاوزت الجلد إلى اللحم فقطعته، ثم المتلاحمة وهي التي أخذت في اللحم، ثم السمحاق وهي التي جاوزت اللحم إلى الجلدة الرقيقة وهي التي بين اللحم والعظم، وتلك الجلدة يُقال لها السمحاق، فسُمّيت الشُّجة بها، ويقال للسمحاق أيضا الملطاء، يُمَدُّ ويُقْصَر، ومنه الحديث: «الملطاء بدمها» أي يُحكَمُ فيها لوقتها ولا يُنظَر إلى ما يؤول أمرها، ثم الموضّحة وهي التي خرقت السمحاق وأوضحت عن العظم أي أظهرته، ثم المقرشة إقراشاً بالقاف وهي التي قد صدعت العظم ولم تهشّمه، ثم الهاشمة وهي التي هشمت العظم، ثم المنقلة وهي التي يخرج منها عظام، ثم الآمّة ويُقال لها المأمومة والأميم أيضاً وهي التي بلغت الرأسَ وهو مجمع الدماغ، وصاحبها يصعق بصوت الرعد ورغاء الإبل ولا يمكنه البروز إلى الشمس، ثم الدامغة وهي التي تخسف العظم ولا بقاء لصاحبها.

وقال القالي في أماليه[٢]: قال الأصمعيّ: سألتُ أبا يوسف القاضي بحضرة الرشيد عن الفرق بين عقلتُه وعقلتُ عنه. فلم يفهم حتى فهّمته، فقال: عقلتُ فلاناً إذا غرمت ديته، وعقلتُ عن فلان إذا غرمت عنه دية جنايته.

وقال[٣]: حدثنا أبو بكر حدثنا أبو حاتم، قال: سمعتُ الأصمعيّ كثيراً ما يقول:

(١) أمالي الزجاجي: ٢٣-٢٤. ورواية السيوطي فيها زيادة المتلاحمة، والهاشمة، والمنقلة.
(٢) الأمالي: ١/١٠٣.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٧٠.

مَن قعد به نسبُه نهضَ به أدبه.

وبه عن الأصمعيّ، قال[1]: قال بعض الحكماء: إنَّ مما سخَّى بنفسِ العاقل عن الدنيا علمه بأن الأرزاق لم تُقَسَّم فيها على قدر الأخطار.

حدثنا[2] أبو بكر أخبرنا عبد الرحمن عن عمّه الأصمعيّ، قال: مَنْ أمَّلَ رجلاً هابَه، ومَنْ قصَّرَ عن شيءٍ عابه، وإنَّما يعيب الشيء الذي يقصر عنه حسداً.

وبه عن الأصمعيّ[3]، قال: التهنئة على أجل الثواب أوْلى من التعزية على عاجل المصيبة.

حدثنا[4] أبو بكر بن الأنباريّ حدثنا عبدالله بن خلف حدثنا محمد بن الفضل حدثنا العباس بن الفرج، قال: سمع الأصمعيّ رجلاً يدعو ربَّه؛ ويقول في دعائه: يا ذو الجلال والإكرام. قال له: ما اسمك؟ قال: ليث. فقال الأصمعيّ:

يُناجي ربَّه باللحنِ ليثٌ ... لذاك إذا دعاهُ لا يُجابُ

حدثنا[5] أبو بكر بن دُريد حدثنا أبو عثمان الأشنانداني، قال: كنا يوما في حلقة الأصمعيّ إذ أقبل أعرابيٌّ، فقال: أين عميدُكم؟ فأشرنا إلى الأصمعيّ، فقال: ما معنى قول الشاعر:

لا مالَ إلا العطاف تؤزرُهُ ... أمُّ ثلاثينَ وابنةُ الجبلِ
لا يرتقي النزُّ في ذَلاذلِه ... ولا يُعَدِّي نعليه عن بَلل

قال فضحك الأصمعيّ، وقال:

عُصْرتُهُ نطفةٌ تضَمَّنُها ... لِصبٌ تلقّى مواقعَ السَّبَلِ
أو وجبةٌ من جناة أشكَلَةٍ ... إن لم يُرْغها بالقوسِ لم تُنَلِ

(١) الأمالي: ١/٢٨٨.
(٢) المصدر نفسه: ٢/١٠٨.
(٣) المصدر نفسه: ٢/١١٢.
(٤) المصدر نفسه: ٣/٣٥.
(٥) المصدر نفسه: ٢/ ٢٩٥.

قال: فأدبر الأعرابيّ وهو يقول: تالله ما رأيتُ كاليوم عُضْلة.

وقال أبو بكر محمد بن خلف المعروف بـ "وكيع" في كتاب الغُرَر من الأخبار: أخبرنا أبو العَيناء، قال: قال الأصمعيّ ونحن نتذاكر أشعار النساء: لا يوجد للرجال شعر جيد إلا وللنساء مثله.

وقال: أخبرنا أبو العَيناء، قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: قدمتُ البصرة في الشهر الذي مات فيه حمّاد بن زيد، فأتيته، فنُعيَ له رجلٌ من أترابه، فاسترجعَ وبكى، ثم أنشأ يقول:

واستُحصِد القرنُ الذي أنا منهم وكفى بذاك علامةٌ لحصادي

وقال: أخبرني محمد بن زكريا حدثنا إبرهيم بن عمر حدثنا الأصمعيّ، قال: كنتُ عند الرشيد بالرُّقة، فبعثَ إليّ عشيّةً، فقُمتُ وأنا وَجِل، فدخلتُ وجُوَيريّة خماسيّة جالسة، فسلّمتُ، فلم يرُدّ عليّ، وقال: يا أصمعيّ، ألا ترى مروان بن أبي حفصة يقول لمعن بن زائدة، وإنّما هو عبدٌ من عبيدي:

أقمنا باليمامة إذ يئسنا مقاما لا نريد به زِيالا
وقلنا أين نذهبُ بعد معنٍ وقد ذهب النوالُ فلا نوالا
وكان الناسُ كلّهم لمعنٍ إلى أن زار حفرته عيالا

فجعلني وحشمي عيالا لمعنٍ، وقال إنّ النوال ذهب، فما يُصنَعُ بنا؟ قلتُ: يا أمير المؤمنين، عبدك وهو بالباب. فأُدخِلَ، وقال: السياط. فقال: يا أميرَ المؤمنين، اذكرْ قولي فيك وفي أبيك. قال: وما قلتَ؟ فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

هل تطمسون من السماء نجومها أم تمحقون من السماءِ هلالها
أم تدفعون مقالةً عن ربّه جبريلُ بلّغها النبيُّ فقالها
شهدت من الأنفال آخر آيةٍ بتراثها فأردتم إبطالها

فأمر له بثلاثين ألف درهم، وخلاّه، فلما خرج قال: يا أصمعيّ، مَن هذه؟ قلتُ: لا

أدري. قال: مؤنسة بنت أميرِ المؤمنين، قُم فقبِّلْ رأسها. فقلتُ: أفلتُّ من واحدة ووقعتُ في أخرى، إن فعلتُ أدركته الغَيرةُ فقتلني، فقمتُ وما أعقلُ ووضعتُ كُمّي على رأسها وكفّي على كُمّي. فقال: والله لو أخطأتها لقتلتك؛ أعطوه عشرة آلاف درهم[1].

وقال الزّجّاجيّ في أماليه[2]: قال الأخفش أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ، قال: دخلتُ على سعيد بن سلم وعنده الأصمعيّ ينشده قصيدة العجّاج حتى انتهى إلى قوله:

فإن تبدّلتُ بآدي آدا   لم يك ينآد فأمسي أنآدا

فقد أراني أصل القُعّادا

فقال له: ما معنى "القعّاد"؟ قال: النساء. قلتُ: هذا خطأ إنّما يُقال في جمع النساء "قواعد" قال الله عزّ وجلّ: ﴿والقواعد من النساء﴾ [سورة النور، الآية ٦٠] ويُقال في جمع الرجال: القُعّاد، كما يُقال: راكِب ورُكّاب، وضارِب وضُرّاب. فانقطع. قال: وكان سبيله أن يهيج عليَّ فيقول: قد يُحمَلُ بعض الجمع على بعض، كما قالوا في جمع المذكّر: هالِك وهوالِك، وكما قال القطاميّ في المؤنث:

أبصارُهنّ إلى الشبابِ مائلةٌ   وقد أراهنّ عني غيرَ صُدّادِ

فَصْلٌ: قال أبو الطيب عبد الواحد بن علي الحلبيّ اللغويّ في كتاب مراتب النحويين[3]: قد غلبَ على الجُهّال، وفشا في الرُّذّال الجهلُ بمراتب العلماء حتى إنّ كثيراً من أهل دهرنا لا يفرّقون بين أبي عُبيدة وأبي عُبيد، ولا بين الشيء المنسوب إلى أبي سعيد الأصمعيّ أو أبي سعيد السُّكّريّ، أو أبي سعيد الضرير، ويحكون المسألة عن الأحمر، فلا يدرون أهو الأحمر البصريّ أو الأحمر الكوفيّ، ولا يصلون إلى العلم بمزيّة ما بين أبي عمرو بن العلاء، وأبي عمرو الشيبانيّ، ولا يفصلون بين أبي عمر

---

(١) انظر: نور القبس: ١٣٨-١٣٩. ومرآة الجنان: ٢/٥٥-٥٦.

(٢) أمالي الزجاجي: ٥٨-٥٩.

(٣) من خطبة كتاب مراتب النحويين، بتصرّف. انظر: ١٧-٢٢.

عيسى بن عمر الثَّقَفيّ، وبين أبي عمر صالح بن إسحاق الجَرميّ، ويقولون: قال الأخفش؛ فلا يُفرِّقون بين أبي الخطّاب الأخفش وأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش البصريين، وبين أبي الحسن علي بن المبارك الأخفش الكوفيّ وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش بالأمسِ صاحب المبرِّد وثعلب، ويظنُّ قومٌ أنَّ القاسمَ بن سلاّم البغدادي ومحمد بن سلاّم الجُمَحيّ صاحب الطبقات أخوان، وقد رأيتُ نسخة من كتاب الغريب المصنَّف أعلى ترجمته: تأليف أبي عُبيد القاسم بن سلاّم الجُمَحيّ. وليس أبو عُبيد بجُمَحيّ ولا عربيّ، وإنَّما الجُمَحيّ محمد مؤلِّف كتاب طبقات الشعراء، وأبو عُبيد في طبقة مَن أخذ عنه، إلى غير هذا مما أرى الناسَ يتهافتون فيه خَبْطَ عشواء وصيد ظَلماء.

وأكثر آفات الناس الرؤساء الجُهَّال والصدور الضُّلاّل، وهذه فتنة الناسِ على قديم الأيام، وغابر الأزمان، فكيف بعصرنا هذا وقد وصلنا إلى كَدر الكدر، وانتهينا إلى عكر العكر، وأُخِذ العلمُ عمَّن لا يعلم ولا يفقه ولا يُحسِن ولا يَنْقه، يُفَهِّم الناسَ ما لا يفهم، ويعلِّمهم عن نفسه وهو لا يعلم، يتقلَّد كلَّ علمٍ ويدَّعيه، ويركبُ كلَّ إفكٍ ويحكيه، ويجهل ويرى نفسَه عالِماً، ويعيب من كان من العيب سالِماً:

يتعاطى كلَّ شيءٍ وهو لا يُحسِنُ شَيَّا
فهوَ لا يزدادُ رُشداً إنَّما يزدادُ غَيَّا

ثم لا يرضى بهذا حتى يحتقر العالمين، وينال من المتأدبين، إن روى كذب، وإن سئل تذبذب، وإن نُوظِرَ صخب، وإن خولِفَ شغب، وإن قُرِّرَ عليه الكلام سبَّ:

يُصيب ولا يدري ويخطئ وما درى وكيفَ يكون النَّوْكُ إلا كذلكا

فالواحد من هؤلاء في طبقة من الجهل لا تُدرك بالمقياس، ولم يهتدِ إليه الخليل حين طبَّق الناس.

ولقد بلغني عن بعض من يختصُّ بهذا العلم ويرويه، ويزعم أنَّه يتقنُه ويدريه أنَّه

أسند شيئاً، فقال: "عن الفرَّاء عن المازنيّ" فظنّ أنّ الفرَّاء الذي هو بإزاء الأخفش كان يروي عن المازنيّ!

وحُدِّثتُ عن آخر أنّه روى مناظرةً جرت بين ابن الأعرابيّ والأصمعيّ، وهما ما اجتمعا قط، وابن الأعرابيّ بإزاء غلمان الأصمعيّ، وإنّما كان يردُّ عليه بعدَه. انتهى.

وقال الزّجّاجيّ في أماليه[1]: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه، قال: مرَّ الحسنُ البصريّ بباب عمر بن هُبيرة وعليه القُرَّاء، فسلَّم، ثم قال: ما لكم جلوساً قد أحفيتم شواربكم، وحلقتم رؤوسكم، وقصَّرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم؟! أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنّكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم؛ فضحتم القُرَّاء فضحكم الله.

وقال المعافى بن زكريا في كتاب الجليس والأنيس[2]: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ حدثنا محمد بن القاسم بن خلاّد، قال: قال الأصمعيّ: دخلتُ على جعفر بن يحيى بن خالد يوماً من الأيام، فقال لي: يا أصمعيّ، هل لك من زوجة؟ قلتُ: لا. قال: فجارية؟ قلتُ: جارية للمهنة. قال: فهل لك أن أهبَ لك جارية نظيفة؟ قلتُ: إني لمحتاج إلى ذلك. فأمر بإخراج جارية إلى مجلسه، فخرجت جارية في غاية الحسن والجمال والهيئة والظَّرف، فقال لها: قد وهبتك لهذا. وقال: يا أصمعيّ، خذها. فشكرته وبكت الجارية، وقالت: يا سيدي، تدفعني إلى هذا الشيخ مع ما أرى من سماجته وقبح منظره؟ وجزعت جزعاً شديداً، فقال: يا أصمعيّ، هل لك أن أعوضك منها ألف دينار؟ قلتُ: ما أكره ذلك. فأمر لي بألف دينار، ودخلتِ الجارية، فقال لي: يا أصمعيّ: إني أنكرتُ على هذه الجارية أمراً، فأردتُ عقوبتها بك، ثم رحمتها منك. فقلتُ: أيُّها الأميرُ، فألا أعلمتني قبل ذلك؛ فإني لم آتِكَ حتى سرّحتُ لحيتي، وأصلحتُ عمّتي، ولو عرفتُ لصرتُ إليك على هيئة خِلقتي، فوالله لو رأتني كذلك لما عاودت شيئاً تنكره منها أبدا ما

(١) أمالي الزجاجي: ١٣.
(٢) الجليس الصالح: ٢/٦١-٦٢.

بقيت.

وقال وكيع في الغُرَر: أنشدني أبو العَيناء، قال: أنشدني أبو العالية الحسن بن مالك الشاميّ لنفسه يوم مات الأصمعيّ في سنة ستّ عشرة ومائتين[1]:

ألهفي لفقدِ الأصمعيّ لقد مضى حميداً له في كلِّ صالحةٍ سَهمُ
تقضّتْ بشاشات المجالسِ بعده وودّعنا إذ وُدِّعَ الأنسُ والعلمُ
وما زال نجمَ العلمِ فينا حياته فلما انقضت أيامُه أفل النجمُ

قال: وأنشدني أبو العالية أيضاً[2]:

لا دُرَّ درُّ بناتِ الدهرِ إذ فجعتْ بالأصمعيّ لقد أبقتْ لنا أسفا
عشْ ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الناس منه ولا من علمه خَلَفا

قال أبو العَيناء: ورأيتُ أبا قلابة الجَرميّ في جنازة الأصمعيّ يقول[3]:

قبَّحَ الله أعظُماً حملوها نحوَ دارِ البِلى على خشَباتِ
أعظُما تبغض النبي وأهل الـ ـبيت والطيبين والطيباتِ

وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق أبي أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكريّ: أخبرني محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس حدثنا محمد بن يزيد المبرِّد حدثنا التوزيّ، قال: كنا عند الأصمعيّ وعنده قومٌ قصدوه من خراسان، وأقاموا على بابه، فقال له قائل منهم: يا أبا سعيد، إنَّ خراسان ترجف بعلم البصرة وعلمك خاصة، وما رأينا أصحَّ من علمك. فقال: لا عذرَ لي إن لم يصحَّ علمي؛ دع من لقيت من العلماء والفقهاء والرواة للحديث والمحدثين، ولكن قد لُقِّنت من الشعراء الفصحاء وأولاد الشعراء: رؤبة، ومشرد بن اللعين، وبلالاً ونوحاً ابني جرير، ولبطة بن الفرزدق، ومحمد بن علقمة التيميّ، وأبا نائل إهاب بن عمير، وقطينة اللخميّ، ونظاماً المجاشعيّ، وابن

(١) انظر: تاريخ دمشق: ٨٩/٣٧.
(٢) انظر: المصدر نفسه: ٨٩/٣٧.
(٣) انظر: المصدر نفسه: ٨٨/٣٧.

ميّادة، والحسين بن مطير، وابن هرمة، وابن أذَينة، والحكم الخضريّ، ومكيناً العذريّ، وابن شوذب المدنيّ، وأبا الأفرز الحمانيّ، وجندل بن المثنى، وأبا نخيلة، والذي هاجاه وهو الأبرش، ولقيتُ أبا الزحف، ومقاتل بن داود، وأبا خَيرة، وأبا العراف، وأبا العذافر، وعمّار بن عطية، وطُفَيلاً الكنانيّ، وقتادة بن معزب اليشكريّ، وابن الدُّمينة، وأبا حيّة ......[1]، وابن الطَّثريّة، وأبا ترسيس وبفصاحته يُضرَب المَثَل، والمرار، ومصرف بن الحارث، وابنه الحارث بن مصرف، وأبا العُميثِل بن الحارث، ومخيس بن أرطأة، وعريفاً الكلبيّ، وعلاكم بن نهيد، وابن شراد الغطفانيّ، والعجيف العجليّ، وأبا القرين الفزاريّ.

وحفظتُ عنهم، وسمعتُ منهم، وسبقني أبو النجم، وذو الرمّة، ومعبد بن طوق، والرعيليّ بن كليب، وزياد الأعجم، ونهار بن توسعة، وصخر ومغيرة ابنا حبناء، وابن عرادة هليل؛ ولي ببعضهم رؤية لا رواية، وما عرف هؤلاء غير الصواب، فمن أين لا يصحّ علمي، وهل تعرفون أحداً له مثل هذه الرواية؟

قال العسكري[2]: فهذا الأصمعيّ يفتخر في علم الشعر واللغة والعربيّة بكثرة الرواية ويعتقد أنَّ العلمَ يصحّ بالرواية والأخذ عن أفواه الرجال.

وأخرج ابن عساكر عن أبي حمزة الأنصاريّ، قال: قال الأصمعيّ: رآني أعرابيّ وأنا أطلب العلم، فقال: يا أخا الحَضَر، عليك بلزوم ما أنتَ عليه؛ فإنَّ العلمَ زينٌ في المجلس، وصلة بين الإخوان، وصاحب في الغربة، ودليل على المروءة، ثم أنشأ يقول:

تعلَّمْ فليس المرءُ يُخلَقُ عالِماً ... وليسَ أخو علمٍ كمن هو جاهلُ
وإنَّ كبيرَ القومِ لا علمَ عنده ... صغيرٌ إذا التفَّتْ عليه المحافلُ

وأخرج الحافظ زكي الدين المنذريّ في تاريخ مصر بسنده من طريق محمد بن

---

(١) بياض في الأصل وفي تاريخ دمشق، ولعل المقصود به أبو حية النميريّ، فقد روى الأصمعي بعض أخباره في الأغاني. انظر: تاريخ دمشق: ٦١/٣٧. والأغاني: ١٦/٣٣١-٣٣٥.
(٢) انظر: تاريخ دمشق: ٦١/٣٧.

عبد العزيز:حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا الأصمعيّ، قال: كانتْ زيتونةٌ أدركها المسلمون بفلسطين من غرسِ أُمّةٍ قبل الروم، ثم قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: تبقى الزيتونة أربعة آلاف سنة.

وقال المعافى بن زكريا في كتاب الجليس والأنيس: حدثنا محمد بن الحسن بن دُريد حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ، قال: دخلتُ على هارون الرشيد ومجلسه حافل، فقال: يا أصمعيّ، ما أعملك عنا وأجفاك لحضرتنا؟ قلتُ: والله يا أمير المؤمنين، ما ألاقتني بعدك بلاد حتى أتيتك. فأمرني بالجلوس، فجلستُ، وسكتَ عني، فلما تفرَّق الناسُ إلا أقلّهم نهضتُ للقيام، فأشار إليَّ أن أجلس، فجلستُ حتى خلا المجلس ولم يبقَ غيري وغيره ومَنْ بين يديه مِنْ الغلمان، فقال لي: يا أبا سعيد، ما "ألاقتني"؟ قلتُ: أمسكتْني يا أميرَ المؤمنين، قال الشاعر:

كفّاك كفٌّ ما تليق درهما　　　جوداً وأخرى تقطر بالسيف الدما

أي: ما تمسك درهماً. فقال: أحسنت، هكذا فكُن في الخلاء، وعلِّمنا في الخلاء. وأمر لي بخمسة آلاف دينار.

وفي تعليق أبي علي الآمديّ، ومن خطّه نقلتُ: قال الأصمعيّ: خيرُ العلمِ ما أطفأتَ به الحريق، وأخرجتَ به الغريق. أي: لم يفارقك.

وفيه: قال أبو عمر بن سعد: سألتُ أبا العباس ثعلباً عن الأصمعيّ وابن الأعرابيّ، فقال: كان الأصمعيّ أحلى، وابن الأعرابيّ في العلم أوسع، ولم يلحقه أحدٌ من أهل صناعته في الذكاء وصحّة الطبع واستخراج المعنى.

وحدثني أبو العباس، قال: كان أبو توبة مؤدباً لعمرو بن سعيد بن سلم، فقدم الأصمعيّ من البصرة، فنزل على سعيد بن سلم، فحضر يوماً وأخذ يسائله، فدعا سعيد بأبي توبة، فجعل أبو توبة إذا مرَّ شيءٌ من الغريب بادر إليه، فيأتي بكلٍّ ما في الباب أو أكثره، فشقَّ ذلك على الأصمعيّ، فعدل إلى المعاني، فسأل أبا توبة عنها، فقال

له سعيد: لا تتبعه يا أبا توبة في هذا الفنّ؛ فإنّ هذه صناعته. فقال: وما عليّ، إذا سألتي عما أحسنه أجبته، وما لم أحسنه تعلّمته. فلم يزلْ الأصمعيّ يسأله وأبو توبة يجيبه حتى سأله عن هذا البيت:

واحــــدةٌ أعــــضلكمْ أمــــرُها ... فــكـيـف لــو دُرتُ عــلــى أربــعِ

قال: ونهض الأصمعيّ، فدار على أربع ليلبس على أبي توبة، فأجابه أبو توبة بجوابٍ يشاكل ما فعل، فضحك الأصمعيّ من جوابه، فقال له سعيد: ألم أقل لك يا أبا توبة؟ ألم أقل لك يا أبا توبة؟ ومعنى البيت أنّه تزوّج امرأة واحدة، فقال: قد شقّ عليكم أن تزوّجتُ واحدة، فكيف لو تزوّجتُ أربعاً. ذكره الزّبيديّ أيضاً(١).

وقال الخلعيّ: أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن النحّاس إملاءً أخبرنا أبو الفضل يحيى بن الربيع العبديّ حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا أبو الطيب الضرير أحسبُه عن الأصمعيّ عبد الملك(٢):

العلمُ زَينٌ وتشــريفٌ لصــاحبــه ... فــاطلبْ هُديتَ فنونَ العلمِ والأدبا
لا خــيــرَ في من له أصلٌ بلا أدبٍ ... حــتى يكون على مــا زانه حــدبا
كم من حــسيبٍ أخي عيٍّ وطمطمة ... فدمٍ لدى القوم معروفٌ إذا انتسبا
فـي بيتِ مكرمــــةٍ آباؤه نُجُبٌ ... كانوا رؤوساً فأمسى بعدهم ذَنبا
وخــاملٍ مــقــرفِ الآباء ذو أدبٍ ... نال المعــالي والأمــوال والنشــبا
العلمُ كنزٌ وذخــر لا نفــاد له ... نعْمَ القرينُ إذا ما عاقلٌ صحبا
قــد يجــمع المرءُ مــالاً ثم يُسلَبُــه ... عــمّـا قليل فيلقى الذلَّ والحــرَبا
وجــامع العلمِ مــغــبــوطٌ به أبدا ... فــلا يُحــاذر منه الفــوتَ والسَّلَبــا
يا جامعَ العلمِ نِعْمَ الذّخرُ تجمعه ... لا تعــــدلَنَّ بــه دُرّاً ولا ذهَبــــا
فــاشــددْ يديك بــه تَحــمــد مــغبّــتــه ... به تنال الغنى والدينَ والحــســبا

---

(١) طبقات النحويين واللغويين: ١٩٨.
(٢) انظر: نور القبس: ١٢، فالأبيات فيه باستثناء البيت الأخير.

وأخرج الخطيب في كتاب البخلاء[١] من طريق ابن دُريد عن عبد الرحمن بن علي أخي الأصمعيّ عن عمّه، قال: مرَّ أعرابيّ برجُلٍ قد وضع بين يديه غداءه وهو يأكل، فقال: لو تعرّضت له لعلّه يدعوني إلى الغداء. فقال: السلام عليكم. فقال: كلمة مقولة. ثم طأطأ رأسَه يأكل، فقال له الأعرابيّ: أما إني مررتُ بأهلك. قال: عليهم كان طريقك؟ قال: وهم صالحون. قال: كذلك خلّفتهم. قال: إنَّ امرأتك حبلى. قال: كذلك عهدتها. قال: إنّها ولدت غلامين. قال: كذلك كانت أمُّها. قال: مات أحدهما. قال: ما كانت لتقوى على رضاع اثنين. قال: ثم مات الآخر. قال: ما كان ليبقى بعد أخيه. قال: ثم ماتت الأم. قال: ما كانت لتبقى بعد ولديها. قال: ما أطيبَ طعامَك! قال: نفعُه لغيرك. قال: أفٍّ لك. قال: اللئيم سبَّاب.

وأخرج الخطيب في كتاب البخلاء[٢] عن الأصمعيّ، قال: قدم أعرابيّ على غير حيِّه، فقدم على رجلٍ من حيّه، فنزل عليه، فقال: كيف تركتَ كلبي بُلَيْقاً؟ قال: قد ملأ الحيَّ نباحاً. قال: طاب خبرُك، فكيف تركتَ بعيري الأحمر؟ قال: قد ملأ الحيَّ رغاء. قال: طاب خبرُك، فكيف تركتَ ابني عَمْراً؟ قال: صالحاً، قد ملأ الحيَّ أنساً. قال: طاب خبرُك، فما فعلت الدار؟ قال: عامرة بأهلها. قال: طاب خبرُك، ثم قال: يا جارية، هاتِ العشاء. فجعل الأعرابيَّ يأكل أكل الهِيم، فغاظ الرجلُ الرجلَ ذلك، فأراد أن يشغله بالحديث عن الأكل، فقال له: عُد في حديثك. قال: سلْ عمَّا بدا لك. قال: ما فعل كلبي بُلَيْق؟ قال: صالح لو كان حيّاً. قال: وقد مات؟ قال: نعمْ. قال: من أيِّ شيءٍ؟ قال: أكلَ من لحم الجملِ الأحمر السقاء. قال: ومات الجملُ الأحمر؟ قال: نعمْ. قال: من أيِّ شيءٍ؟ قال: مات من نقله الماء إلى قبر أمِّ عمرو. قال: وماتت أمُّ عمرو؟ قال: نعمْ. قال: ومن أيِّ شيءٍ كان موتها؟ قال: من جزعها على عمرو. قال: ومات عمرو؟ قال: نعمْ. قال: وما أماته؟ قال: سقطت عليه الدار. قال: وسقطت الدار؟ قال: نعمْ. قال: يا جارية،

(١) البخلاء: ١٤٦.
(٢) المصدر نفسه: ١٤٦-١٤٧.

ارفعي العشاء، وهاتِ العصا. فذهب الأعرابيّ، ولم يلحقه.

وأخرج الخطيب[1] من طريق عبدالله بن المعتز، قال: قال اليزيديّ للأصمعيّ:

وما أنتَ إلا امرؤٌ ... إذا صحَّ أصلُكَ من باهلهْ

وللباهليّ على خبزه ... كتابٌ لآكله الآكلهْ

وأخرج ابن عساكر في تاريخه[2] من طريق أبي القاسم الزّجّاجيّ، قال: أخبرنا أبو بكر بن دُريد أخبرنا أبو حاتم السجستانيّ عن الأصمعيّ، قال: أربعة لم يلحنوا في جدّ ولا هزل: الشعبيّ، وعبد الملك بن مروان، والحجّاج بن يوسف، وابن القِرِيّة.

وأخرج الخطيب وابن عساكر[3] عن أبي الحسن الأخفش، قال: قال لنا ثعلب: قال الأصمعيّ: ختم الشعراء بإبراهيم بن هِرمة، وهو آخر الحُجَج.

وأخرج ابن عساكر[4] عن أبي بكر بن أبي الأسود، قال: سألتُ الأصمعيّ عن خالد بن الوليد؛ متى أسلم؟ قال: ما بين الحُدَيبية وخَيْبَر.

وأخرج ابن عساكر[5] عن أبي علي الباهليّ، قال: قرأنا على الأصمعيّ شعر العجّاج، فمرَّ بنا:

فإن تبدّلتُ بآدي آدا ... لم يك ينآد فأمسي أنآدا

فقد أراني أصل القُعّادا

قال: ودخل أعرابيّ، فأومأ إلينا سلوةً: ما "القُعّادا"؟ فسألناه، فقال: الشيوخ الذين قعدوا عن الغزل كِبَراً، وكذلك هو في النساء. فقال ابن الأعرابيّ: أمّا "القُعّاد" من الرجال فصحيح، وأما النساء فـ"قواعد" كما قال الله تعالى: ﴿والقواعد من النساء﴾ [سورة النور، الآية ٦٠] قال: فوالله ما التفتَ إليه الأصمعيّ، ثم أنشد للقطاميّ:

(١) البخلاء: ١٦١.
(٢) تاريخ دمشق: ٣٤/ ٢٠٣.
(٣) المصدر نفسه: ٧/ ٦٤.
(٤) المصدر نفسه: ١٦/٢٢٩.
(٥) المصدر نفسه: ٢٨/١٣٣.

أبصــارُهنَّ إلى الشــبــابِ مــائلةٌ وقــد أراهنَّ عني غــيــرَ صُــدَّادِ

فما الفرق بين صُدَّاد وقُعَّاد؟ فما نطق ابن الأعرابيّ بحرف، وقام فخرج.

وأخرج ابن عساكر[1] من طريق ابن دُريد عن أبي حاتم، قال: بلغ الأصمعيَّ عن رجلٍ ما يكره، فأنشد:

وأغضي على العوراء حتى يُقال لي بـأذنـي وَقــــرٌ عندها حـين أطرقُ

وعندي جــوابٌ حــاضــرٌ لو أردته من الصــاب في فــيـه أمــرٌّ وأعلقُ

حـيـاءً وإكـرامـاً لعـِرضـي أصـونه ولا خـيـرَ في عِـرضٍ يزال يُمَـزَّقُ

أأعطيــه عــرضــاً لا يذمّ مــهــذَّباً وآخــذ مـذمــومـاً به اللؤم يلصقُ

وقال عمر بن شَبَّة: سمعتُ الأصمعيَّ يقول: أحفظُ ستة عشرة ألفَ أرجوزة.

وقال أبو داود السنجيّ: سمعتُ الأصمعيَّ يقول: إنَّ أخوفَ ما أخافُ على طالبِ العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبيِّ (ﷺ): «مَن كَذَبَ عليَّ فليتبوأْ مقعده من النار» لأنَّه لم يكن يلحن، فما رويتَ عنه ولحنتَ فيه كذبتَ عليه.

وقال أيضاً: سمعتُ الأصمعيَّ يقول: مَن لم يحتمل ذُلَّ التَّعلُّم ساعة بقي في الجهل أبداً. وقيل[2]:

ومَنْ لم يذُقْ ذُلَّ التَّــعلُّم ســاعــةً تجـرَّع كـأسَ الذُّلِّ طولَ حـيــاتِهِ

وقال نصر بن علي الجهضميّ: سمعتُ الأصمعيَّ يقول لعفَّان وجعل يعرض عليه شيئاً من الحديث: اتَّقِ الله يا عفَّان، ولا تفسِّر حديث رسول الله (ﷺ) بقولي. قال نصر بن علي: وكان الأصمعيّ يتقي أن يفسِّر حديث رسول الله (ﷺ) كما يتقي أن يفسِّر القرآن.

وقال أبو العَيناء: سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول: لم أرَ الأصمعيَّ يجيء شيئاً من

---

(١) تاريخ دمشق: ٥٢/١٠٩.

(٢) البيت من تعليقات السيوطيّ، ولم يذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، وهو للشافعيّ في ديوانه. انظر: ٥٩.

العلم فيكون أحدٌ أعلم به منه.

وقال الرياشيّ: سمعتُ الأخفشَ يقول: ما رأينا أحداً أعلمَ بالشعر من الأصمعيّ وخلف. فقلتُ له: فأيّهما كان أعلم؟ فقال: الأصمعيّ ؛ لأنّه كان معه نحو.

وقال أبو العَيناء: حدثني كيسان، قال: قال لي خلف الأحمر: ويلَكَ الزمِ الأصمعيّ ودعْ أبا عُبيدة؛ فإنّه أفرس الرجلين بالشعر.

وقال المبرِّد: كان أبو زيد الأنصاريّ صاحبَ لغة وغريب ونحو، وكان أكبر من الأصمعيّ في النحو، وكان أبو عُبيدة أعلم من أبي زيد والأصمعيّ بالأنساب والأيام والأخبار، وكان الأصمعيّ بحراً في اللغة لا يُعرَفُ مثله فيها، وفي كثرة الرواية، وكان دون أبي زيد في النحو.

وقال أبو العَيناء: أخبرني الدعلجيّ غلام أبي نُواس، قال: قِيل لأبي نُواس: قد أشخِصَ أبو عُبيدة والأصمعيّ إلى الرشيد. فقال: أما أبو عُبيدة فإنَّهم إن يُمَكِّنوه من شعره قرأ عليهم أخبار الأوَّلين والآخرين، وأما الأصمعيّ فبُلبل يطربهم بنغماته.

وقال أبو العَيناء: قال الأصمعيّ: دخلتُ أنا وأبو عُبيدة على الفضل بن الربيع، فقال: يا أصمعيّ، كم كتابُكَ في الخيل؟ قلتُ: جلد. فسأل أبا عُبيدة عن ذلك، فقال: خمسون جلداً. فأمر بإحضار الكتابين، ثم أمر بإحضار فرس، فقال لأبي عُبيدة: اقرأْ كتابكَ حرفاً حرفاً وضَعْ يدك على موضعَ موضعَ [من الفرس]. فقال أبو عُبيدة: لستُ أنا ببيطار، إنَّما هذا شيءٌ أخذته وسمعته من العرب وألَّفته. فقال لي: يا أصمعيّ، قمْ فضع يدكَ على موضعَ موضعَ من الفرس. فقمتُ، فحسرتُ عن ذراعي وساقي، ثم وثبتُ، فأخذتُ بأذني الفرس، ثم وضعتُ يدي على ناصيته، فجعلتُ أقبضُ منه بشيء شيء، وأقول: هذا اسمه كذا. وأنشدُ فيه حتى بلغَ حافره، فأمر لي بالفرس، فكنتُ إذا أردتُ أن أغيظَ أبا عُبيدة ركبتُ الفرسَ وأتيته.

وقال الحارث بن أبي أسامة عن يحيى بن حبيب عن الأصمعيّ، قال: بلغتُ ما بلغتُ بالعلم، ونلتُ ما نلتُ بالمُلَح.

وقال أبو بكر بن دُريد: أخبرنا أبو عثمان الأشنانداني، قال: كان أبو عُبيدة يقول: كان الأصمعيّ بخيلاً، فكان يجمع أحاديث البخلاء، ويحدِّث بها، ويوصي بها ولَده.

وقال أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحيّ عن محمد بن سلاّم الجُمَحيّ: كنا مع أبي عُبيدة في جنازة ننتظر إخراج الميت ونحن بقرب دار الأصمعيّ، فارتفعتْ ضجّة من دار الأصمعيّ، فبادر الناسُ ليعرفوا ذلك، فقال أبو عُبيدة: إنّما يفعلون ذلك عند الخبز، كذا يفعلون إذا فقدوا رغيفاً.

وأخرج البيهقيّ[(١)] في شُعب الإيمان عن إبراهيم بن عبدالله السعديّ، قال: سألتُ الأصمعيّ عن "السفلة" فقال: الذي لا يبالي ما قال، وما قيل فيه.

وأخرج البيهقيّ[(٢)] من طريق أبي بكر محمد بن القاسم الأنباريّ، قال: أنشدني أبي، قال: أنشدني أحمد بن عبيد، قال: أنشدني الأصمعيّ:

وما شيءٌ أحبُّ إلى لئيمٍ ... إذا شَتَمَ الكريم من الجوابِ
متاركة[(٣)] اللئيم بلا جوابٍ ... أشدُّ على اللئيم من السِّبابِ

وقال محمد بن الحسن الآبريّ: سمعتُ أبا علي الحسين بن أحمد البيهقيّ الفقيه يقول: سمعتُ حسّان بن محمد يحكي عن الأصمعيّ، قال: صحّحتُ أشعار الهُذَليين على رجلٍ من قُريش يُقال له محمد بن إدريس الشافعيّ. أخرجه ابن النجّار في تاريخه من طريقه[(٤)].

وقال الخطيب: أخبرنا الحسن بن علي الجوهريّ أخبرنا محمد بن عمران الكاتب، قال: قال أبو الحسن الأخفش: قال لنا ثعلب مرة أنَّ الأصمعيّ قال: ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة، وهو آخر الحُجج.

وفي طبقات النحويين لأبي بكر الزّبيديّ، قال أبو حاتم، قال الأصمعيّ: لم أرَ

(١) شعب الإيمان: ٧/١١٢.
(٢) المصدر نفسه: ٦/٣٤٤.
(٣) في المصدر نفسه: "مشاركة". انظر: ٦/٣٤٤.
(٤) معجم الأدباء: ٦/٢٤٠٢-٢٤٠٣.

أحداً بعد أبي عمرو أعلمَ مني. قال أبو حاتم: وكثيراً ما كان يقول لي: يا بُني، إن طُفئت شحمة عيني لم ترَ مثلي. وربُّما قال: لم ترَ أحداً يشفيك من هذا الحرف أو من هذا البيت.

وفي التذكرة الحمدونيّة[1]: قال الأصمعيّ: سمعتُ بيتين لم أحفل بهما، ثم قلت: هما على حال بخير من وضعهما بين الكتاب؛ فإني كنتُ عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر، فأقبل على مسرور، فقال: يا مسرور، كم في بيت مالِ السرور؟ فقال: ما فيه شيء. قال عيسى: هذا بيت مال الحزن. فاغتمَّ لذلك الرشيد، وأقبل على عيسى، وقال: والله لتعطيَنَّ الأصمعيَّ سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار. فوجم عيسى وانكسر، فقلتُ في نفسي: جاء موقع البيتين، وأنشدتُ الرشيد:

إذا شئتَ أن تلقى أخاكَ معبَّساً ... وجدَّاه في الماضين كعبٌ وحاتمُ
فكشِّفْه عمَّا في يديه فإنَّما ... تكشِّف أخبارَ الرجالِ الدراهمُ

قال: فجُلِّيَ عن الرشيد، وقال: يا مسرور، أعطِه على بيتِ مال السرور ألفي دينار. فأخذتُ بالبيتين ألفي دينار.

قال ابن عساكر: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن علي بن الحسين أخبرنا أبو علي الحسن بن عمر بن الحسن بن يونس أخبرنا أبو الحسن علي بن القاسم بن الحسن النَّجَّاد بالبصرة حدثنا أبو روق أحمد بن محمد بن بكر الهزانيّ أخبرنا الرياشيّ أبو الفضل العباس بن الفرج حدثنا الأصمعيّ عن يعقوب بن طحلاء عن أبي الرجال عن أمّه عمرة عن عائشة، قالت: قال رسول الله (ﷺ): «بيت لا تمرَ فيه جياعٌ أهلُه».

وقال: أخبرنا أبو القاسم بن السمرقنديّ أخبرنا أبو الحسين بن النقور، وأبو منصور عبد الباقي بن محمد بن غالب قالا: أخبرنا أبو طاهر المخلص أخبرنا عبيدالله بن عبد الرحمن أخبرنا زكريا بن يحيى المنقريّ أخبرنا الأصمعيّ أخبرنا كيسان مولى

(١) التذكرة الحمدونية: ٢/٣٣٦-٣٣٧.

هشام بن حسّان عن هشام بن حسّان عن محمد بن سيرين عن عمرو بن وهب عن المغيرة بن شُعبة، قال: كان أصحاب رسول الله (ﷺ) يقرعون بابَه بالأظافر.

قال[1]: وأنبأنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن عمر أخبرنا أبو رافع مياس بن مهري بن كامل بن الصقيل أخبرنا خلف بن أحمد بن الفضل الحوفيّ حدثنا أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الهرويّ حدثنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن صالح الأبهريّ المالكيّ، حدثنا عبدالله بن محمد بن وهب الدِّيْنَوَريّ حدثنا عبد الرحمن ابن أخي عبد الملك بن قريب الأصمعيّ حدثنا عمّي عبد الملك عن جعفر بن سليمان الضُّبعيّ عن ثابت عن أنس، قال: أتى النبي (ﷺ) رجلٌ يريد سفراً، فقال: أوصِني. فقال: اتقِ الله حيثما كنتَ، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسنٍ. فلما ودّعه، قال: زوّدك الله التقوى، وجنّبك الردى، وغفر لك ذنبك، ووجّهك للخير حيثما توجّهت.

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر[2]: أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم حدثنا عبد العزيز بن أحمد أخبرنا أبو الحسن بن السمسار أخبرنا أبو الحسن محمد بن يوسف البغداديّ الأديب حدثنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن حبيب بأرُّجان حدثنا أبو عبدالله الحسين بن إبراهيم حدثنا محمد بن يونس الكديميّ حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعيّ حدثنا محمد بن مروان السُّدّيّ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): «مَن صلّى عليَّ عند قبري، وكَّل الله به ملَكاً يبلّغني، وكُفيَ أمرَ دُنياه وآخرته، وكنتُ له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة».

وفي الأصمعيّات: أخبرنا أبو الغنائم محمد بن أحمد المقرئ البصريّ الربعيّ أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بندار القزوينيّ حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان حدثنا أبو محمد عبيدالله بن عبد الرحمن بن عيسى السكّريّ حدثنا أبو

---

(١) تاريخ دمشق: ٦١/٣١٤.

(٢) المصدر نفسه: ٥٦/٣٠٢.

يعلى زكريا بن يحيى بن خلاّد المنقريّ حدثنا الساجي حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعيّ حدثنا عبدالله بن المبارك عن مجالد عن الشعبي، قال: قال أعرابيّ: يا رسول الله، أرأيتَ أهلَ الجَنّةِ ينسجون ثيابهم بأيديهم؟ فضحك القوم، فقال رسول الله (ﷺ) ما يضحككم من جاهل يسأل عالِماً؟ يا أعرابيّ، لا، ولكن هُنَّ ثمرات.

وبه إلى الأصمعيّ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن بديل عن ميسرة عن أبيه عن أنس بن مالك عن رسول الله (ﷺ) قال: إنَّ لله تعالى أهلين من الناس. فقالوا: يا رسول الله، من أهل الله؟ قال: أهل القرآن.

وبه إلى الأصمعيّ، قال: حدثنا أبو أميّة بن يعلى، قال: حدثني محمد بن يعقوب عن أبيه قال: قال رسول الله (ﷺ): هل تدرون على مَن حرِّمت النارُ؟ فقالوا: لا يا رسول الله، قال: على الهَيِّن اللَّيِّن السهل القريب.

وبه إلى الأصمعيّ، قال: حدثنا نائل بن مطرق بن العباس بن مرداس السّلميّ عن أبيه عن جدّه العباس أنّه أتى النبي (ﷺ) يطلب إليه أن يحفره ركية بالدّثينة، فأحفره إياها على أنّه ليس له منها إلا فضل ابن السبيل.

وبه إلى الأصمعيّ، قال: حدثنا عبيدالله بن حسّان أبو الجنيد العنبريّ، قال: حدثنا حبّان بن عاصم وكان جدّه حرملة أبا أمه أنَّ حرملة خرج حتى أتى رسول الله (ﷺ) ليزداد من العلم، فجاء حتى قام بين يديه، ثم قال: يا رسول الله، ما تأمرني أن أعمل به؟ فقال: يا حرملة، ائتِ المعروفَ، واجتنب المنكر، وانظر الذي سمعته أذنُك يقوله القوم من الخير إذا قمتَ من عندهم، فأته، وانظر الذي تكره أن يقوله القوم إذا قمت من عندهم فاجتنبه. قال حرملة: فلما قمتُ من عندهم نظرتُ، فإذا هما أمران لم يتركا شيئاً: إتيان المعروف، واجتناب المنكر.

وبه إلى الأصمعيّ، قال: حدثنا إسماعيل بن موسى بن عُلَيّ عن أبيه أنَّ النبي (ﷺ) قال لسُراقة بن مالك: ألا أدلّك على أفضل الصدقة، أو أعظم الصدقة؟ ابنتُكَ مردودةٌ إليكَ ليس لها كاسبٌ غيرك.

وبه إلى الأصمعيّ، قال: حدثنا أبو يعلى حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك حدثنا الهيثم بن رزيق حدثني مالك بن كعب قال: شهدتُ الحسنَ صلَّى على جنازة، فلما صلَّى زوى إلى القبر جلس ناحيته، فلما ألقوا التراب، قام فحثا بيده، ثم قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله (ﷺ): «من حثا على ميت حثوة، كتب الله بكلِّ ترابٍ حسنة».

وبه إلى الأصمعيّ، قال: حدثنا أبو يعلى داود بن جميل عن كثير بن قيس، قال: أتيتُ أبا الدرداء وهو جالس في مسجد دمشق، فقلتُ: يا أبا الدرداء، إني جئتُك من مدينة رسول الله (ﷺ) في حديث بلغني أنَّك تحدِّثه عن رسول الله (ﷺ) فقال: ما جاءت بك حاجة ولا تجارة ولا جاء بك إلا هذا الحديث؟ قلتُ: نعمْ. قال: إني سمعتُ رسول الله (ﷺ) يقول: «مَن سلكَ طريقاً يطلبُ به علماً سلكَ الله به طريقاً من طُرق الجَنة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإنَّ فضل العالِم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب، وإنَّ العالِمَ ليستغفر له من في السماوات والأرض حتى الحيتان في جوف الماء، ألا وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء؛ إنَّ الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً ورُثوا العلمَ، من أخذَه فقد أخذ بحظٍّ وافرٍ».

وفي تاريخ قَزوين للإمام أبي القاسم الرافعي[(١)]: روى علي بن أحمد بن صالح، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد العبدريّ القزوينيّ حدثنا الحسن بن الفضل حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان البغداديّ حدثنا الأصمعيّ حدثنا مالك بن مغول عن الشعبيّ عن ابن عباس قال: لطمَ أبو جهل فاطمةَ بنت الرسول (ﷺ) فشكت إلى أبيها، فقال: إئتي أبا سفيان . فأتته، فأخبرته، فأخذ بيدها، وقام معها حتى وقفت على أبي جهل، وقال لها: الطمِيه كما لطمَكِ. ففعلت، فجاءت إلى النبي (ﷺ) فأخبرته، فرفع يديه، وقال: اللهُمَّ لا تنسَها لأبي سفيان. قال ابن عباس: ما شككتُ أن كان إسلامه إلا لدعوة النبي (ﷺ).

وقال محمد بن زاهر: سمعتُ الشاذكونيّ يقول: إذا بعث الله الخلقَ لم يبقَ

(١) التدوين في تاريخ قزوين: ١/٢٠١.

بالبادية أعرابيّ إلا تظَلَّمَ إلى الله من كذبِ الأصمعيّ عليه.

وقال الأصمعيّ: كنتُ عند الرشيد، فشرب ماءً بثلج، فاستطابه، فقال: الحمدُ لله. ثم قال لي: أتحفظُ في هذا شيئاً يا عبد الملك؟ فقلتُ: نعمْ. وأنشدتُه:

وشـــربة الثلجِ بماءٍ عـــذب تستخرج الشكر من أقصى القلب
شكراً من العبدِ لنعمى الربّ

فقال لي: يا أصمعيّ، ما سُمِعَ بمثلكَ.

قال الصفديّ: هذا الذي دعا الناسَ إلى قولهم أنّه يضع؛ فإنَّ هذا الاتفاق يُستغرَبُ جداً.

وقال الأصمعيّ: لا ينبغي للإنسان أن يدخل على الملوك بغير المُلَح من الشعر؛ فإنَّ الرشيد أعطاني في أبيات أنشدته في ليلة ثلاثة آلاف دينار. وقد أوردتُها في مناضر الأيك.

وقال: ذكرتُ يوماً للرشيد نهمة سليمان بن عبد الملك، وقلت أنَّه كان يجلسُ وتحضَرُ بين يديه الخِراف المشوية، وهي كلّما أخرجت من تنانيرها، فيريد أخذ كُلَئِها فتمنعه حرارتها، فيجعل يده في طرف حلته، ويدخلها في جوف الخروف، فيأخذ كَلاَه، فقال لي: قاتلك الله، ما أعلمك بأخبارهم؟ اعلمْ أنَّه عرضت عليّ ذخائر بني أمية، فنظرتُ إلى ثيابٍ مذَهَّبة ثمينة، وأكمامها زمكة بالدهن[1] فلم أدرِ ما ذلك حتى حدّثتني بهذا الحديث، ثم قال: عليّ بثياب سليمان. فنظرنا إلى تلك الآثار فيها، فكساني حُلَّة منها. وكان الأصمعيّ ربَّما خرج فيها أحياناً، فيقول: هذه جبة سليمان[2].

ومن تصانيف الأصمعيّ: كتاب خلق الإنسان. كتاب الأجناس. كتاب الأنواء. كتاب الهمز. كتاب المقصور والممدود. كتاب الفرق. كتاب الصفات. كتاب الأثواب. كتاب المَيسِر والقِداح. كتاب خلق الفرس. كتاب الخيل. كتاب الإبل. كتاب الشاء. كتاب

(١) زمكة بالدهن: ملينة. انظر: اللسان: مادة (زمك).
(٢) انظر: وفيات الأعيان: ٣/١٧٤.

الأخبية. كتاب الوحوش. كتاب فَعَل وأفعَلَ. كتاب الأمثال. كتاب الأضداد. كتاب الألفاظ. كتاب السلاح. كتاب اللغات. كتاب مياه العرب. كتاب النوادر. كتاب أصول الكلام. كتاب القلب والإبدال. كتاب جزيرة العرب. كتاب الاشتقاق. كتاب معاني الشعر. كتاب المصادر. كتاب الأراجيز. كتاب النخل. كتاب النبات. كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه. كتاب نوادر الأعراب.

وقال الزّجّاجيّ في أماليه(١): أخبرنا أحمد بن الحسن عن ثعلب، قال: اجتمع الكسائيّ والأصمعيّ بحضرة الرشيد، وكانا ملازمين له يقيمان بإقامته ويظعنان بظعنه، فأنشد الكسائيّ:

أنّى جَزَوا عامراً عني بفعلهم ... أم كيف تجزونني السوءَ من الحسن
أم كيف ينفع ما تُعطى العَلوق به ... رئمانُ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللبنِ

فقال الأصمعيّ: إنّما هو "رئمانَ أنفٍ" بالنصب. فقال الكسائيّ: ما أنتَ وهذا؟ يجوز "رئمانُ أنفٍ ورئمانَ أنفٍ ورئمانِ أنفٍ" بالرفع والنصب والجرّ؛ أما الرفع فعلى الردّ على ما لأنّها في موضع رفع بـ"ينفع" فيصير التقدير: أم كيف ينفع رئمانُ أنفٍ. والنصب بـ"تعطى" والخفض على الردّ على الهاء التي في "به". فسكت الأصمعيّ.

وأخرج الخطيب البغداديّ في كتاب البخلاء(٢)، وابن عساكر من طريق ابن دُريد عن أبي عثمان الأشناندانيّ، قال: كان أبو عُبيدة يقول: كان الأصمعيّ بخيلاً، فكان يجمع أحاديث البخلاء، ويتحدّث بها. وكان أبو عُبيدة إذا ذُكِرَ الأصمعيّ أنشدَ:

عَظُمَ الطعام بعينه فكأنّه ... هو نفسه للآكلين طعامُ

قال أبو بكر الصوليّ: قال ثعلب: حدثني أبو مسحل، قال: كنتُ يوماً مع بعض ولد طاهر أذكر شيئاً في التصريف، فمرَّ بنا الأصمعيّ، فقال: مَن هذا الداخل في علمنا؟ فقلتُ له: والله إنّك لتعلم أنّه ليس من علمك، إنّما علمك الشعر واللغة. فقال:

(١) أمالي الزجاجي: ٥٠-٥١.
(٢) البخلاء: ٧٨.

وهذا أيضا. فقلتُ له: فإن كنتَ كما تزعم فابْنِ لي من "رأيت" مثل:

وصاليات ككما يؤثفين

فسكت وخرج.

وأخرج الخطيب في كتاب البخلاء[1]، وابن عساكر عن أحمد بن عبيد، قال: كان جعفر بن يحيى يعيب الأصمعيّ برثاثة الهيئة، وذلك بعد أن أوصل إليه خمسمائة ألف درهم، وقد كان جعفر في يوم من الأيام ركب ليقصد الأصمعيّ في منزله، وأمر خادماً له بحمل ألف دينار ليصله بها عند انصرافه، فلما دخل منزله ورأى رثاثة حاله ووسخ منزله ورأى في دهليزه حَبّاً مكسوراً، أمر الخادم بردّ الألف دينار، فقيل لجعفر في ذلك، فقال: إنّ لسانَ النعمة أنطقُ من لسانه، وإنّ ظهور الصنيعة أمدح وأهجى من مديحه وهجائه، فعلامَ نعطيه الأموال إذا لم تظهر الصنيعة عنده وتنطق النعمة بالشكر عنه، ويتزيّا بزيّ أهل المروءات، ويتغدى عند أهل الجدّات؟

وأخرج الخطيب عن محمد بن موسى القرشيّ، قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: ثلاثة لا يسألون الحوائج: رجل استغنى بعد فقر؛ فإنّه يرى إن قضاها عاد إلى فقره، وعبد؛ فإنّه يقول ليس الأمر إليّ، إنّما الأمر إلى مواليّ، وصيرفيّ؛ فإنّ مروءته أن يتربح على إخوانه في مائة دينار حبة ذهب.

وأخرج الخطيب[2] عن الخلنجيّ، قال: قال الأصمعيّ: ست يضنين بل يقتلن: انتظار المائدة، ودمدمة الخادم، والسراج المظلم، والركن من أول الليل إلى آخره، وخلاف من تحبّ، والنظر إلى بخيل.

وأخرج ابن عساكر من طريق السيرافيّ عن المبرِّد، قال: هجا أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيديّ الأصمعيّ بقصيدة أولها:

---

(١) البخلاء: ٧٨-٧٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٣. وفيه "الوكف" بدل "الركن".

ألا هبلتْ كلّ من ينتمي ... إلى أصمعٍ أمُّه الهابلهْ
فكيف بمن كان ذا دعوةٍ ... وكفّة نسبته شائلهْ
أبِنْ لي دَعيّ بني أصمعٍ ... أقفرٌ رباعُك أم آهلهْ
ومن أنتَ هل أنتَ إلا امرؤٌ ... إذا صحّ أصلُكَ من باهلهْ

وزاد الزّبيديّ بعد هذه الأبيات(١):

وحسبُكَ لؤمُ قَبيلٍ به ... لمن هي في كفّه حاصلهْ
فكيف لمن كان ذا جفوةٍ ... وكفّةُ نسبته شائلهْ

قال السيرافيّ: ويُقال إنّ الرشيد كان يسميه شيطان الشعر.

وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن معين، قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: سمع مني مالك بن أنس. قال يحيى بن معين: قد روى مالك بن أنس عن شيخ يُقال له عبد الملك بن قريب وهو الأصمعيّ، ولكن في كتاب مالك "عبد الملك بن قرير" وهو خطأ، إنّما هو ابن قريب، وهو الأصمعيّ. قال ابن عساكر: ووهم يحيى في ذلك إنّما هو عبد الملك بن قرير أخو عبد العزيز بن قرير.

وأخرج ابن عساكر عن أبي بكر الدُريديّ قال: أبو سعيد الأصمعيّ عند أهل الأدب أشهر من أبي عُبيدة، وأبو عُبيدة عند أهل الحديث أصدق من الأصمعيّ.

وأخرج ابن عساكر عن حمّاد بن زيد، قال: الأصمعيّ يصلح للقضاء إن استشار.

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن ثعلب، قال: زعم الباهليّ صاحب المعاني أنّ طلبة العلم كانوا إذا أتوا مجلسَ الأصمعيّ اشتروا البعر في سوق الدرّ، وإذا أتوا أبا عُبيدة اشتروا الدرّ في سوق البعر. والمعنى أنّ الأصمعيّ كان حسنَ الإنشاد والزخرفة لرديء الأخبار والأشعار حتى يحسن عنده القبيح، وأنّ الفائدة عنده مع ذلك قليلة، وأنّ

---

(١) طبقات النحويين واللغويين: ٦٣.

أبا عُبيدة كان معه سوء عبارة وفوائد كثيرة، والعلم عنده جَمّ.

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن عمرو بن مرزوق، قال: رأيتُ الأصمعيّ وسيبويه يتناظرانِ، فقال يونس: الحقُّ مع سيبويه، وهذا يغلبه بلسانه في الظاهر.

وأخرج ابن عساكر عن نصر بن علي، قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: كنتُ يوماً أمرُّ في سِكّة من سكك البصرة، فرأيتُ كنّاساً يحمل العَذرة وهو ينشدُ هذا البيت:

وأكـرِمُ نفـسي أنّني إن أهنتُـها لعـمـرُكَ لا تكرُمُ على أحدٍ بعدي

فقلتُ: يا هذا، أيُّ كرامةٍ لنفسِكَ عندك وأنتَ من قَرنِك إلى قدمكَ في الخَراء؟ عن سفلة مثلِك لا آتيه أستقرضُ منه دانقاً فيردّني. فأُفحِمتُ، فلم أجئ بجواب.

وأخرج ابن عساكر عن سَلَمة بن عاصم، قال: ما لقيني الأصمعيّ قط إلا قال: أرجو أن تكونَ من أهل الجَنَّة. فقال لي جليس له: إنّما أراد أنّك أبْلَه؛ لأنَّ أكثرَ أهل الجنّة البُلْه. قال: لا يبعد؛ فقد كان ماجناً.

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن عباس بن الفرج، قال: ركب الأصمعيّ حماراً دميماً، فقيل له: أبعدَ براذين الخلفاء تركبُ هذا؟ فقال: هذا وأملك ديني ونفسي أحبّ إليَّ من ذلك مع ذهابهما، وأنشدَ متمثّلاً:

ولما أبتْ إلا إطراقـاً بودِّها وتكديرها الشّرْب الذي كان صافيا
شـربنا برنق من هواها مُكَدَّرا وليس يعاف الرنقَ من كان صاديا

وأخرج الخطيب وابن عساكر من طريق أبي بكر بن الأنباريّ: أنبأنا محمد بن أحمد المقدميّ أخبرنا أبو محمد التميميّ أخبرنا محمد بن عبد الرحمن مولى الأنصار أخبرنا الأصمعيّ، قال: بعث إليَّ محمد الأمين وهو وليُّ عهدٍ، فصرتُ إليه، فقال: إنَّ الفضلَ بنَ الربيع كتبَ إليَّ عن أمير المؤمنين يأمر بحملك إليه على ثلاثِ دوابَّ من دوابِّ البريد. وبين يديه محمد السندي بن شاهك، فقال له: خذه فاحمله وجهِّزه إلى أمير المؤمنين. فوكل به السنديّ خليفته عبد الجبّار، فجهَّزَني وحملني، فلما دخلتُ

الرِّقة، أُوْصِلتُ إلى الفضل بن الربيع، فقال: لا تلقين أحداً ولا تكلمه حتى أوصلك إلى أمير المؤمنين. وأنزلني منزلاً أقمتُ فيه يومين أو ثلاثة، ثم استحضرني، فقال: جئني وقتَ المغرب حتى أدخِلَكَ على أمير المؤمنين. فجئته، فأدخلني على الرشيد وهو جالسٌ منفرد، فسلّمتُ، فاستدناني وأمرني بالجلوس، فجلست، وقال لي: يا عبد الملك، وجّهتُ إليكَ بسبب جاريتين أُهديتا إليَّ وقد أخذتا طرفا من الأدب، أحببتُ أن تبوِّر ما عندهما وتشيرَ عليَّ فيهما بما هو الصواب عندك. ثم قال ليمضَ إلى عاتكة، فيقال لها أحضري الجاريتين. فحضرت جاريتان ما رأيتُ مثلهما قط، فقلت لإحداهما: ما اسمك؟ قالت: فلانة. قلتُ: ما عندك من العلم؟ قالت: ما أمر الله عزَّ وجلَّ به في كتابه، ثم ما ينظر الناس فيه من الأشعار والآداب والأخبار. فسألتها عن حروفٍ من القرآن، فأجابتني كأنها تقرأ الجواب من كتاب، وسألتها عن النحو والعروض والأخبار، فما قصرت، فقلتُ: بارك الله فيك، فما قصرتِ في جوابي في كلِّ فنٍّ أخذتِ فيه، فإن كنتِ تقرضين الشعر، فأنشدينا شيئاً، فاندفعتْ في هذا الشعر:

يا غَـيـاثَ البـلادِ في كلِّ مَـحْلٍ ... مـا يريد العـبـادُ إلا رضـاكـا

لا ومن شـرّف الإمـام وأعلى ... مـا أطاع الإله عـبـدٌ عـصـاكـا

ومرّت في الشعر إلى آخره، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ما رأيتُ في مِسكِ رجلٍ مثلِها. وقالت الأخرى، فوجدتها دونها، فقلتُ: ما تبلغ هذه منزلتها إلا أنَّها إن وُوظِبَ عليها لحقت. فقال: يا عباسيّ. فقال الفضل: لبّيكَ يا أميرَ المؤمنين. فقلت: لتردَّ إلى عاتكة، ويقال لها: تصنع هذه التي وصفتها بالكمال لتُحمل إليَّ الليلة. ثم قال لي: يا عبد الرحمن، أنا ضجر وقد جلستُ أحبُّ أن أسمع حديثاً أنفرجُ به، فحدِّثني بشيءٍ؟ فقلتُ: لأيِّ الحديث يقصد أميرُ المؤمنين؟ قال: لما شاهدت وسمعتَ من أعاجيب الناس وطرائف أخبارهم. فقلت: يا أمير المؤمنين، صاحب لنا في بَدوٍ كنتُ أغشاه وأتحدّث إليه، وقد أتت عليه ستٌّ وتسعونَ سنة أصحَّ الناس ذهنا وأجودهم أكلاً وأقواهم بَدَنا، فغبرت عليه زماناً ثم قصدتُه، فوجدته ناحلَ البدنِ كاسفَ البال متغيِّرَ الحال، فقلتُ له:

ما شأنُكَ؟ أصابتكَ مصيبةٌ؟ قال: لا. قلتُ: أفمرضٌ عراك؟ قال: لا. قلتُ: فما سبب هذا التغيّر الذي أراه بك؟ فقال: قصدتُ بعض القرابة في حيٍّ بني فلان، فألفيت عندهم جاريةً قد لاثت رأسَها وطلّت بالوَرْس ما بين قرنها إلى قدمها، وعليها قميص وقناع مصبوغان، وفي عنقها طبلٌ توقّع عليه، وتنشد هذا الشعر:

محاسنُها سهامٌ للمنايا — مريّشةٌ بأنواع الخطوب
بَرَى ريبُ المنونِ لهم سهاما — يصيب بنصله مُهَجَ القلوب

فأجبتها:

قفي شفتي في موضع الطبل ترتقي — كما قد أبحتِ الطبلَ في جيدك الحسنْ
هَبيني عُوداً أجوفاً تحت شنَّة — يُمتِّعُ فيما بين نحرك والذقنْ

فلما سمعتْ الشعرَ مني نزعتِ الطبلَ، فرمت به في وجهي، وبادرت إلى الخباء، فدخلَتْ، فلم أزل واقفاً إلى أن حميتِ الشمسُ على مفرق رأسي، لا تخرج إليَّ ولا تُرجِعُ إليَّ جواباً. فقلتُ: أنا معها والله كما قال الشاعر:

فوالله يا سلمى لطال إقامتي — على غير شيءٍ يا سُلَيمى أراقبُه

ثم انصرفتُ سخينَ العين [قريح] القلبِ بهذا الذي ترى بي من التغيّر من عشقي [لها]. فضحك الرشيد حت استلقى، وقال: ويحك يا عبد الملك، ابن ستٍّ وتسعين سنة يعشق؟ قلتُ: قد كان هذا يا أمير المؤمنين. قال: يا عباسيّ. فقال الفضل بن الربيع: لبّيكَ يا أمير المؤمنين. فقال: أعطِ عبد الملك مائة ألفِ درهم، ورُدَّه إلى مدينة السلام. فانصرفتُ، فإذا خادمٌ يحملُ شيئاً ومعه جارية تحمل شيئاً، فقال: أنا رسول بنتِكَ - يعني الجارية التي وصفتها - وهذه جاريتها وهي تقرأ عليك السلام، وتقول أنَّ أمير المؤمنين أمر لي بمالٍ وثيابٍ، هذا نصيبك منهما. فإذا المال ألف دينار. وهي تقول: لن نُخليك من المواصلة بالبرّ. فلم تزل تعهّدني بالبرّ الواسع الكثير حتى كانت فتنة محمد، فانقطعت أخبارها عني، وأمر لي الفضل بن الربيع من ماله بعشرة آلاف درهم.

وفي طبقات الزّبيديّ: كان الأصمعيّ أوثقَ الناسِ في اللغة، وأسرعَ الناسِ جواباً، وأحضرَ الناسِ ذِهناً، وزعموا أنَّ الرشيد في بعض أسفاره رأى ناراً بالليل من بعيد، فقال للأصمعيّ والكسائيّ واليزيديّ: أنشدوني في هذه النار. فأنشد الأصمعيّ عدة أبيات، ولم يذكر اليزيديّ ولا الكسائيّ شيئا في الوقت، فلما فرغ الأصمعيّ من إنشاده، قالا للرشيد: والله والله يا أمير المؤمنين، ما أنشدك شيئاً إلا وقد عرفناه، ولكنه أحضر ذِهناً منا.

وقال الرياشيّ: سمعتُ الأصمعيّ يقول: رُبَّ رجلٍ أدخله الله جنّات النعيم لا يدري من هذا شيئاً.

وقال إسماعيل بن بشير بن سليمان: سمعتُ الأصمعيّ يقول: سمعتُ من سفيان الثوريّ ثلاثين ألف حديث.

وقال الخشني: كان أبو عُبيدة أكثرَ علماً من الأصمعيّ، وأكثرَ أخباراً وكتباً، وكان الأصمعيّ أحضرَ جواباً وأرضى عند الناس، ولم يُتَّهم الأصمعيّ في شيءٍ من دينه، وكان الشعر للأصمعيّ، والأخبار لأبي عُبيدة.

وقال الرياشيّ: قال الأصمعيّ: لم تنصل لحيتي حتى بلغتُ ستين سنة. قال الأصمعيّ: ولم تنصل لحية ابن الزبير حتى بلغ ستين سنة.

حدثني أبو علي القالي من حفظه، قال: دخل الأصمعيّ على أبي عمرو الشيبانيّ في منزله ببغداد وهو جالسٌ على جلود فراء، فأوسع له أبو عمرو، فجرَّ الأصمعيّ يده على الفراء، ثم قال: يا أبا عمرو، ما يعني الشاعر بقوله:

بضربٍ كآذان الفِراء فضوله وطعنٍ كإيزاغ المخاضِ تنورها

فقال: هي هذه الفراء التي تجلسُ عليها يا أبا سعيد. فقال الأصمعيّ: يا أهل بغداد، هذا عالِمُكم؟ والفراء ههنا الحمار الوحشيّ. وكانت رواية أبي عمرو "كآذان الفَراء" فتغفّله الأصمعيّ بغير روايته، فزلَّ. ويُقال: فَرا وفَراء بالقصر، ويمَدّ. انتهى.

وقال ياقوت في معجم الأدباء[1]: كان بين الأصمعيّ وبين أبي قلابة حبيش بن عبد الرحمن الجَرميّ مماظّة لأجل المذهب؛ لأنّ الأصمعيّ كان سُنياً حسنَ الاعتقاد، وكان أبو قلابة شيعياً رافضياً، ولما بلغته وفاة الأصمعيّ شمت به، وقال:

أقولُ لما جاءني نعيُهُ ... بُعداً وسُحقاً لك من هالكِ
يا شرَّ ميتٍ خرجتْ نفسُه ... وشرَّ مرفوعٍ إلى مالكِ

وقال ياقوت[2]: قرأتُ بخطّ أبي منصور الأزهريّ في كتاب نظم الجُمان: حدثنا أبو جعفر محمد بن الفرج الغسانيّ حدثنا أحمد بن عيسى مؤدب ولد إسحاق بن إبراهيم، قال: كان أستاذ الأصمعيّ وأبي عُبيدة عطاء الملط رجل من أهل البصرة، فكانوا يقعدون إليه ويتعلمون منه، فبلغه أنّ الأصمعيّ اتخذَ حلقةً، واجتمعت إليه جماعة، فغاظه ذلك، فلما انصرف من حلقته استتبع أصحابه، فقال: مرّوا بنا إلى ظاهر البصرة. فخرجنا حتى مررنا بشيخ معه أعنُز يرعاها وعليه جبّة صوفٍ، فقال له: يا قريب، فقال: لبّيك. قال: ما فعل الأصمعيّ ابنك؟ قال: هو عندكم بالبصرة. هذا أبو الأصمعي لا يقول غداً أنّه من بني هاشم.

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن يزيد، قال: قال أبو عمر الجَرميّ يوماً: أنا أعلمُ الناسِ بكلام العرب. فسمعه الأصمعيّ، فقال: كيف تنشد هذا البيت:

قد كُنَّ يخبِئنَ الوجوه تستُّرا ... فالآنَ حين بدأْنَ للنُّظارِ

أو "حين بَدَيْنَ"؟ قال أبو عمر: "حين بدأْنَ". فقال له الأصمعيّ: أخطأت يا أعلمَ الناسِ بكلام العرب، إنّما هو "حين بَدَوْنَ".

وأخرج ابن عساكر عن أبي قلابة، قال: سألتُ الأصمعيّ عن قوله (ﷺ): «الجارُ أحقُّ بسقبه» فقال: أنا لا أفسّر حديث رسول الله (ﷺ) ولكن العرب تقول: السقب اللزيق.

---

(١) معجم الأدباء: ٢/٨٠٤.

(٢) المصدر نفسه: ٤/١٦٢٢-١٦٢٣.

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن نصر بن علي، قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول لعفّان وجعل يعرض عليه شيئاً من الحديث، فقال: اتقِ الله يا عفّان ولا تفسِّر حديث رسول الله (ﷺ) بقولي.

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن أبي حاتم السجستانيّ، قال: أهديتُ إلى الأصمعيّ قدحاً، فجعل ينظر إليه ويقول: ما أحسنه! فقلتُ: إنَّهم يزعمون أنَّ فيه عرقاً من الفضة. فردُّه عليّ وقال: إنَّ رسول الله (ﷺ) نهى أن يُشرَبَ في آنية الفضة.

وأخرج ابن عساكر عن الرياشيّ، قال: قال الأصمعيّ: مررتُ بصنعاء اليمن على مزرعة ويجنبها عين، وإذا غلام قد ملأ قِربته وهو متعلّق بعزليها، وهو يصيح يا أبَه يا أبَه فاها فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها. وإذا به قد أتى بوجوه الإعراب في حال الرفع والنصب والخفض.

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعيّ، قال: أتى أعرابيّ إلى نخّاس، فقال له: اشترِ لي حماراً ليس بالقصير المحتقر، ولا بالطويل المشتهر، إذا ركبته هام، وإذا ركبه غيري حام، إن خلا الطريقُ تدفّق، وإن كثر الزحام ترفّق، لا يقدم بي السواري، ولا يقحمني في البراري، إن أكثرتُ علفه شكر، وإن أقللتُه صبر. فقال النخاس: اصبر حتى إذا مُسِخَ أبو يوسف القاضي حماراً اشتريته لك.

وأخرج ابن عساكر عن علي بن هشام، قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: مررتُ بالبادية على رأسِ بئر، وإذا على رأسه جَوارٍ، وإذا واحدة فيهنّ كأنَّها البدر، فوقع عليَّ الرِّعدة، وقلتُ لها:

يا أحسنَ الناسِ إنساناً وأملحَهم ... هل باشتكائي إليك الحبُّ من باسِ
فبيِّنَنْ لي بقولٍ غيرِ ذي خلفٍ ... أبا الصريمة يمضي عنك أم ياسِ

قال: فرفعت رأسَها، وقالت لي: اخسأْ. فوقع في قلبي مثل جمر الغضا، فانصرفتُ عنها وأنا حزين. قال: ثم رجعتُ إلى رأسِ البئر، فإذا هي على رأسِ البئر،

فقالتْ:

هلُمَّ نمحُ الذي قــد كـــان أوله ... ونحدث الآنَ إقبـالاً من الراسِ

حــتى نكون ســواءً في مــودّتنا ... مثلَ الذي يحتذي نعلاً بمقياسِ

فانطلقتُ معها إلى أبيها، فتزوجتها، فابني عليٌّ منها.

وأخرج ابن عساكر(١) عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن النعمان، قال: قلنا لأبي أمية الطرسوسيّ وقد أملى علينا: زِدنا رحمك الله. فقال لنا: كُنا عند الأصمعي وقد أملى علينا مجلساً، فقلنا له: زِدنا يا أبا سعيد، فقال لنا: لا والله ولا زيادة طرف زَغبة في عنفقة جرذ.

وأخرج ابن النَّجَّار في تاريخ بغداد من طريق أبي بكر محمد بن القاسم الأنباريّ: حدثنا محمد بن علي بن دماذ أخبرنا أبو الفضل الربعيّ الهاشميّ حدثني أبو حاتم السجستانيّ حدثنا الأصمعيّ، قال: خرج رجل في طلب الرزق، وله أمٌّ عجوز وأخوات، فكتب إلى أمّه يشكو إليها شوقَه، وشدة الغربة عليه، وقلة ما أفاد من سفره، فكتبتْ إليه:

ألاقَيتَ أهوالاً وهيَّجت كربةً ... وأورثتَ أحزاناً لهنَّ كروبُ

فإن كنتَ مشتاقاً إلينا فإننا ... إليكَ ظِماء والحبيب حبيبُ

لنا عبرات للغريب عَنَ اهله ... لأنَّك في أقصى البلاد غريبُ

تعجَّل على أمٍّ عليك شفيقة ... بوجهك لا تترى وأنت غريبُ

فإنَّ الذي يأتيك بالرزق نائياً ... يجيء به والحيّ منك قريبُ

عليك لنا قلبٌ يحن بنانه ... له كلّ يوم زفرةٌ ونحيبُ

وأخرج ابن النَّجَّار عن أبي عمران الحوفيّ، قال: أنشدنا ولاد بن محمد التميميّ النحويّ عن الأصمعيّ:

---

(١) تاريخ دمشق: ٥١/٢٤٥.

أمـــا لو أعي كلّ مـــا أســـمعُ | وأحـــفظ من ذاك مـــا أجـــمعُ
ولم أستزد غير ما قد جمعت | لكنت أنا العـــالم المقنعُ
ولكنّ نفـــسي إلى كلّ شيءٍ | من العلم تسـمـعـه تنزعُ
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت | ولا أنا من جمعه أشبعُ
وأحضرت بالجهل في مجلس | وعلميَ في الكُتْب مستودعُ
إذا لم تكن حافظاً واعيا | فجمعك للعلم ما ينفعُ
ومن يكُ في علمه هكذا | يكن دهره القهقرى يرجعُ

وأخرج ابن النّجّار في تاريخه من طريق ثعلب أنّه أنشد للأصمعيّ:

نعم المحدّث والنديمُ كتابُ | تلهو به إذ خانك الأحبابُ
لا مفشياً سراً إذا استكتمته | وتُنار منه حكمة وصوابُ

وقال أبو القاسم علي بن حمزة في كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة(١): أخبرني أبو روق أحمد بن بكر الهزانيّ، قال: أخبرني أبو حاتم سهل بن محمد السجستانيّ، قال: سأل سائل الأصمعيّ يوماً ونحن عنده عن قول القائل:

أجرُّه الريحَ ولا تِهالهُ

ما معناه؟ فقال: يُقال: أجرّه الريح إذا طعنه وترك الرمح فيه، ألم تسمع قول عنترة:

وآخـر منهم أجـررتُ رمـحي | وفي البَجَليِّ معبلةٌ وقيع

فناداه أعرابيٌّ كان في جانب الحلقة: أخطأت يا شيخ، إنّما هو البَجلي، وما لعبسٍ وبجيلة، إنّما أراد بَجْلة سُليم. فكان الأصمعيّ لا ينشده بعده إلا كما قال الأعرابيّ.

وقال الشيرازيّ في الألقاب: أخبرني أبو أحمد عبد الواحد بن أحمد بن عبدالله

---

(١) التنبيهات: ٨٣.

بن مسلم بن قُتيبة عن أبيه وجدّه، قال: بلغني عن الجاحظ أنَّ المفضّل بن محمد أنشد جعفر بن سليمان بيتَ أوس بن حجر:

وذات قدمٍ عارٍ نواشرُها ... تصمتُ بالماء تَولباً جدِعا

فأنشده "جذعا" بالذال المعجمة، والأصمعيّ حاضر، فقال الأصمعيّ: إنَّما هو "تَولباً جدعاً" بالدال مكسورة غير معجمة. وأنشد لأبي زبيد:

[صدّتْ وصدّاف] لا غيلٌ ولا جَدِعُ

فضجَّ المفضل ورفع صوته وتكلّم وهو يصيح، فقال له الأصمعيّ: لو نفختَ بالثبور ما نفعك تكلّمْ كلامِ النمل وأصِبْ[1].

وقال: حكى أبو العباس أحمد بن يحيى أنَّ ذا الرّمّة لما قال:

وعينانِ قال الله كونا فكانتا ... فعولانِ بالألباب ما تفعل الخمرُ

قال الأصمعيّ: "فعولين بالألباب" فقال له إسحاق بن سويد الأفلت: "فعولان" فقال: لو شئت أن أسبّح سبّحت.

وقال الشيرازيّ في الألقاب: سمعتُ أبا بكر محمد بن إبراهيم بن عمران الجوريّ يقول: سمعتُ محمد بن سعيد بن إسحاق الحنفيّ يقول: حدثنا أبو زكريا يحيى بن يونس حدثنا العباس النرسيّ، قال: سألتُ الأصمعيّ عن "الثغروق" فقال: القشرة المتعلقة من القمح بالنواة، أما سمعتَ قول الشاعر:

شكراً لمن هو بالثناءِ حقيقُ ... قُضِيَ القضاءُ وبويع الصديقُ
من بعد أن زلّت بسعد نعله ... ورجا رجاءً دونه العيّوقُ
حفّت به الأنصار عاصب راية ... فأتاهمُ الصِّدّيق والفاروقُ
وأبو عُبيدة والذين إليهمُ ... نفس المؤمّل بالبقاء تتوقُ
إنَّ الخلافة في قريش ما لكم ... فيها وربَّ محمد ثغروقُ

---

(١) انظر: العقد الفريد: ٢/٣١٢. والتنبيهات: ٨٦.

وقال علي بن حمزة[1]: أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الربعيّ عن أبي الفضل العباس بن الفرج الرياشيّ، قال: دخل الأصمعيّ يوماً على سعيد بن مسلم وابن الأعرابيّ حينئذٍ يؤدب ولده، وقال لبعضهم: أنشِدْ أبا سعيد. فأنشده الغلام رَوَّاه إياه ابن الأعرابيّ، فيه:

سمين الضواحي لم تؤرّقه ليلةٌ وأَنْعَم أبكار الهموم وعُونها

ورفع "ليلة" فقال له الأصمعيّ: من رَوَّاك هذا؟ قال: مؤدبي. فأحضره واستنشده البيت، فأنشده ورفع "ليلة" فأخذ ذلك عليه، وفسَّر البيت، فقال: إنَّما أراد "لم تؤرقه ليلةً أبكارُ الهموم" و"عونها" جمع "عوان" وأنعم أي زاد على هذه الصفة، وقوله "سمين الضواحي" يريد ما ظهر منه وما بدا، ثم قال لابن مسلم: مَن لم يحسن هذا المقدار فليس موضعاً لتأديب ولدك.

وقال ابن عساكر[2]: أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم أخبرنا أبو الحسن المقدسيّ أخبرنا أبو محمد المصريّ أخبرنا أحمد بن مروان حدثنا الجرميّ حدثنا أبو زيد عن الأصمعيّ، قال: سمع النبي (ﷺ) عائشة وهي تتمثّل بقول زهير بن جناب الكلبيّ:

ارفعْ ضعيفَك لا يَحُرْ بكَ ضعفُه يوماً فتدركه العواقب ما جنى
يجزيك أو يثني عليك وإنَّ من أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال لها النبي (ﷺ): «الشعر الذي كنتِ تتمثلين به» فأنشدته إياه، قال: يا عائشة، «إنَّه لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

وقال الشيرازيّ في الألقاب: في كتابي عن أبي الحسن عبدالله بن موسى الجوهريّ البغداديّ بخطي ولم أرَ عليه السماع، فإن لم يكن سماعا فأخبرْنا إجازة، قال: حدثنا محمد بن يعقوب المفتحيّ، قال: سمعتُ العلاء بن مصعب العذري يقول: سمعتُ عبد الملك بن قريب الأصمعيّ يقول: دخلتُ على الرشيد في يوم نيروز وقد

(١) التنبيهات: ٧٩-٨٠.
(٢) تاريخ دمشق: ١٩/١٠٠.

حُمِلَت إليه الهدايا، فقال لي: يا عبد الملك، أين هديَّتُك في هذا اليوم؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، هدية العبد لمولاه، وهي الخدمة. فقال لي: اجلسْ، الآن قد قبلنا هديتَك. فجلستُ وجعلت الهدايا تُحمَل وتُوضَع بين يديه، فينظر إليها، ثم تُرفَع، ثم أمرهم أن لا يرفعوا شيئاً، فكثرت الهدايا بين يديه إلى وقت الظهر، فلما أراد أن يقوم، قال لي: يا عبد الملك، خذْ نصفَ ما حُمِل بما حضرته ولا تأخذ مما لم تحضر. قلتُ: وما السبب في هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: سُنَّة رسول ربِّ العالمين، حدثني سُفيان بن عُيينة، وكان آخر عهدي به، قال: حدثنا عمرو بن دينار عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ﷺ): «مَنْ أُهدِيَ إليه هدية وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها» يا عبد الملك، الشركة فيما حضرته لا فيما غِبتَ عنه. قال: فقلتُ: السمعُ والطاعة لأمر أمير المؤمنين؛ فأخذتُ نصفَ ما حضرته.

قال الشيرازيّ: هذا حديث غريب من أوجُه؛ غريب من حديث سُفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار، غريب من حديث الرشيد، غريب من حديث الأصمعيّ عنه.

وقال الديلميّ في مسند الفردوس[1]: أخبرنا عبدوس أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الحافظ إجازة أخبرنا عبدالله بن موسى حدثنا علي بن جعفر العباداني حدثنا محمد بن يوسف حدثنا الأصمعيّ: سمعتُ الرشيد يقول: حدثني أبي عن جدي عن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه عن النبي (ﷺ) قال:«العلمُ والمالُ يستران كلَّ عيبٍ، والفقرُ والجهلُ يكشفانِ كلَّ عيبٍ».

وقال البيهقيّ في شعب الإيمان[2]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ: سمعتُ أبا عبدالله الجرجانيّ يقول: سمعتُ أبا بكر محمد بن القاسم الأنباريّ يقول: أنشدني أبي، قال: أنشدني أحمد بن عبيد، قال: أنشدني الأصمعيّ:

وما شيءٌ أحبُّ إلى لئيم ... إذا شتم الكريم من الجوابِ

(١) ذكر الديلمي في فردوس الأخبار الحديث مكتفيا بأصل السند. انظر: ٩٨/٣.
(٢) شعب الإيمان: ٣٦٢/٦.

مـتـاركـة[1] اللئـيم بلا جـوابٍ   أشـد على اللئـيم من السِّـبابِ

وقال أيضاً[2]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ: أخبرني علي بن محمد الجيبيّ أخبرني شهاب بن الحسن، قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: سمعتُ أبان بن تغلب يقول: قال علي بن أبي طالب (ﷺ): إياكم ومعاداةَ الرجالِ؛ فإنَّهم لا يخلونَ من ضَربين: من عاقلٍ يمكرُ بكم، أو جاهل يعجل عليكم بما ليس فيكم، واعلموا أنَّ الكلامَ ذَكَر والجواب أنثى، وحيثما اجتمع الزوجان، فلا بُدَّ من النتاج. ثم أنشأ يقول:

سليمُ العِرضِ مَن حذرَ الجوابا   ومَن دارى الرجالَ فقد أصابا
ومَن هاب الرجال تهيَّبوه   ومَن حقَّرَ الرجالَ فلن يُهابا

وأخرج البيهقيّ[3] من طريق علي بن عمرو الأنصاريّ عن الأصمعيّ، قال: كان عون بن عبدالله بن عتبة يقول: إياكَ ومجالسةَ عدوك ما وجدت من ذلك بُدّاً؛ فإنَّه يتحفَّظ عليك عيوبك ويُماريك في صوابك.

وقال البيهقيّ[4]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ: سمعتُ أبا عبدالله محمد بن يعقوب الشيبانيّ يقولك سمعتُ إبراهيم بن عبدالله السعديّ يقول: سألتُ الأصمعيّ عن السفلة، فقال: الذي لا يبالي ما قال، وما قيل فيه.

وأخرج البيهقيّ[5] من طريق عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ: حدثني الأصمعيّ، قال: دخلتُ البادية، فإذا أنا بعجوز بينَ يديها شاة مقتولة وجرو وذئب مقعي، قالت: اعلم أنَّ هذا جرو وذئب قد أخذناه، فأدخلناه بيتنا، فلما كبر قتل شاتنا. فقلتُ: أوَقلتِ في ذلك شعراً؟ قالت: بلى. ثم أنشأت تقول:

(١) في شعب الإيمان: مشاركة. انظر: ٦/٣٦٢.
(٢) المصدر نفسه: ٦/٣٤٤.
(٣) المصدر نفسه: ٧/٦٨.
(٤) المصدرنفسه: ٧/١١٢.
(٥) المصدر نفسه: ٧/٤٥٤-٤٥٥.

بقـرتَ شُـوَيهـةً وفـجَـعتَ قـومـاً ... أشـد على اللئـيم من السِّـبـابِ
غُـــذِّيتَ بدُرِّهـا وربيت فـــينا ... فـــمن أنبــــاك أنَّ أباك ذيـبُ
إذا كـــان الطبـــاعُ طبـــاعُ ســوءٍ ... فــلــيــس بــنــافــعٍ أدبُ الأديــبِ

[٢]*

الأخفش الأكبر شيخ سيبويه

أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة. قال السِّيرافيّ: من أهل البَصْرة.

قال أبو الطيب: أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وكان هو وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب أعلمَ النّاسِ وأفصحَهم.

وقال غيره: كان إماماً في العربيّة قديما، لقي الأعراب وأخذ عنهم، وعن أبي عمرو، وطبقته.

أخذ عنه سيبويه والكسائيّ ويونس وأبو عبيدة، وكان ديِّناً ورعاً ثقةً.

وهو أوّل من فسَّر الشعر تحت كلِّ بيت، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله، وإنّما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسَّروها.

وفي تعليق أبي علي الآمدي :قال أبو عمر بن سعد حدّثني أبو العباس ثعلب، قال: أوّلُ من أملَى غريب كلِّ بيت تحته الأخفشُ. قال: وهو رجلٌ كان ببغداد، وكان الطوسيّ مستمليه، وكان قبل عصرنا لم أدركْه. قال: وكان يقال له: الأخفش الراوية.

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النّحويّين: ٤٦. طبقات النّحويّين واللغويّين: ٤٠. نور القبس: ٤٧. تاريخ العلماء النحويّين: ١٣٨-١٣٩. نزهة الألباء: ٤٤. معجم الأدباء: ٢٨٥٨/٦. إنباه الرّواة: ١٥٧/٢-١٥٨. البلغة: ١١٩-١٢٠. إشارة التّعيين: ١٧٨-١٧٩. سير أعلام النّبلاء: ٣٢٣/٧. مسالك الأبصار: ٨٠/٧-٨١. الوافي: ٤٩/١٨. تاج العروس: مادة (خفش).

وقال أبو البركات بن الأنباريّ في كتاب نزهة الألباء في طبقات الأدباء: وأمّا أبو الخطاب الأخفش فكان من أكابر علماء العربيّة ومتقدّميهم، وأخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى. قال: سألت أبا الخطاب الأخفش - وكان مؤدبا لأبي عبيدة ـــ هل تُجمَع اليد على أيادي؟ فقال: نعم. ثم سألت أبا عمرو بن العلاء، فأنكر ذلك. فقلت لأبي الخطاب: إنّ أبا عمرو قد أنكر ما أثبتُّه. فقال: أوَما سمع قولَ عديّ؟

ساءها ما تأملت في أيادينا وإشناقها إلى الأعناق

وفي طبقات النحويين لأبي بكر الزبيدي:روي عن أبي الخطاب الأخفش أنه قال: لا أقول جُثّة الرجل إلا لشخصه على سرج أو رحل، ويكون مُعمّماً. ولم تُسْمَع من غيره.

وحكى ابن دريد عن أبي الخطاب أنه قال: الخُفْخُوف طائرٌ. قال: ولم يذكره أحدٌ من أصحابنا.

وفي شرح الكامل للبطليوسي: قال أبو الفتح بن جنّي: حدثّنا أبو علي، قال: قال أبو عمر الجَرميّ: سمعت أبا عبيدة يقول: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: إذا أرادوا المعروف، قالوا: له عندي أيادٍ، وإذا أرادوا جمع اليد، قالوا: له أيدٍ. فذكرت ذلك لأبي الخطاب الأخفش، - وكان من مُعلّمي أبي عبيدة - فقال: ألم يسمع أبو عمرو قولَ عديّ بن زيد؟

ساءها ما تأملت في أيادينا وإشناقها إلى الأعناق

قال أبو علي: وحكى لنا أبو بكر عن أبي العباس نحو هذا، وزاد. قال أبو الخطاب: إنها لفي علم الشيخ.- يعني: أبا عمرو - ولكن لم تحضره.

وأنشد أحمد بن يحيى:

ومُستامةٍ تستامُ وهي رخيصةٌ تُباع بساحات الأيادي وتُمسَحُ

وقال: يعني أرضا، لأنها مباحة يسلكها من شاء. ومعنى تُباع: تمدّ الأيدي[1] فيها

(١) في الخصائص: الإبل. انظر: ٢٦٩/١.

البا ع. وبساحات الأيادي: من الأيادي. ومعنى تمسح: تقطع، من قوله تعالى: ﴿فطفق مسحاً﴾ [سورة ص، الآية ٣٣] أي قطعاً(١).

وقال أبو العباس ثعلب: قال أبو عبيدة: أنشد الأخفشُ أبو الخطاب أبا عمرو بن العلاء:

قالت قتيلةُ ما له ... قد جُلِّلَتْ شيباً شواتُهْ

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو لأبي الخطاب لما أنشد "شواتُهْ": صحَّفت، إنَّما هي "سراته"، ولكنك رأيت الراء منتفخة فصيَّرتها واواً(٢).

[قال] الخلعيّ في فوائده: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج حدثنا أبو الحسن محمد بن عبدالله بن زكريا بن حيوة النيسابوري إملاء حدثنا محمد بن جعفر بن أعين البغدادي حدثني يعقوب بن الصلت، قال: زعم القتبي عن أبي الخطاب الأخفش، قال: كانت امرأة من بني عامر بن صعصعة معها ابنان كأنهما مهران عربيان، فما انقلب عليهما شهر حتى دفنتهما بفنائها، قال: فكنت أغدو وهي قاعدة بين القبرين وقد وضعت على كلِّ قبر يداً وهي تقول:

[ولِلَّه] جاراي اللذانِ أراهما ... قريبين مني والمزارُ بعيدُ

مقيمان بالبيداء لا يبرحانها ... ولا يسألان الركب أين يريدُ

هما تركا عينيَّ لا ماء فيهما ... وشكّا سواد القلب فهو عميدُ

قال: فكنت أبكي معها حتى يظنّ من رآني أنّي أبوهما(٣).

قال أبو القاسم الزّجاجيّ في أماليه(٤): أخبرنا علي بن سليمان الأخفش أخبرنا

---

(١) انظر: الخصائص: ١/٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) انظر: شرح ما يقع فيه التّصحيف: ٩٠-٩١. واللسان: مادة (شوى). وتصحيح التّصحيف: ٣١٠-٣١١.

(٣) أسندت هذه القصّة إلى أبي زيد الأنصاري في معجم الأدباء، وإلى الأصمعيّ في معجم البلدان. انظر: معجم الأدباء: ٣/١٣٦١. ومعجم البلدان: مادة (بيداء).

(٤) لم نجد الخبر في المطبوع من الأمالي، ولكنّه ورد بتصرّف من غير طريق أبي الخطاب الأخفش. انظر: الأغاني: ١٥/ ٢٣٣. والعقد الفريد: ١/٣١٨. وفيهما "من طَعْنَ" بدلاً من "من جرح".

أحمد بن يحيى عن أبي زيد عن عمر بن شيبة، قال: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: حدثني أبو الخطاب الأخفش ويونس بن حبيب، قالا: لما قسم سعد بن أبي وقاص على القادسية ما قسم، أصاب الفارس ستة آلاف دينار، والراجل ألفين، وبقي مال كثير، فكتب إلى عمر رضي الله عنه يعلمه بذلك، فكتب إليه عمر: فرِّق الباقي في أهل القرآن، فجاء عمرو بن معديكرب. فقال له: ما معك من القرآن؟ قال: لا شيء، أسلمت وشغلني الغزو. قال: فلا شيء لك. فأنشأ يقول:

إذا قُتِلْنا فلا يبكي لنا أحدٌ ... قالت قريشٌ ألا تلكَ المقاديرُ
نعطي السوية من جرح له نَفَذٌ ... ولا سويةَ أن تُعْطى الدنانيرِ

قال الخطابي: قال أبو العباس ثعلب: قال أبو عبيدة: أنشد الأخفش أبو الخطاب أبا عمرو بن العلاء:

قالت قتيلة ما له ... قد جُلِّلَتْ شيباً شواتُهْ

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو لأبي الخطاب لما أنشد "سواته": صحّفت، إنّما هي "سراته"، ولكنك رأيت الراء منتفخة فصيَّرتها واواً. قال: فغضب أبو الخطاب، وأقبل عليَّ وقال: بل هو "سراته"، وإنّما هو الذي صحّف. وقال: والله لقد سمعت هذا باليمامة من عدّةٍ من الناس. قال أبو عبيدة: فأخذنا بقول أبي عمرو، فما مضت الأيام حتى قدم علينا رجل محرم من آل الزبير، فسمعته يحدِّث بحديث، فقال: اقشَعَرَّتْ سراتي. فعلمت أن أبا الخطاب وأبا عمرو أصابا جميعا. وسراة كلِّ شيء: أعلاه[1].

(١) انظر: تاريخ دمشق ٦٧/١١٣.
ولا يبعد أن يكون أبو الخطّاب وأبو عمرو قد أصابا، فمادة (شوى) ومادة (سرا) بمعنى عامّ واحد.
انظر المادتين في اللسان وأساس البلاغة.

[٣][*]

الأخفش الأوسط

أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعيّ مولى بني مجاشع بن دارم.

قال السيرافيّ: من مشهوري نحويي البصرة فيما يروى، ولقي من لقيه سيبويه من العلماء.

والطريقُ إلى كتاب سيبويه الأخفشُ، وذلك أنّ كتاب سيبويه لا نعلم أحداً قرأه على سيبويه، ولا قرأه عليه سيبويه، ولكنه لما مات سيبويه قُرئ الكتاب على الأخفش، وكان ممن قرأه أبو عمر الجَرميّ، وأبو عثمان المازنيّ.

وقد حدّثنا أبو بكر بن مجاهد، قال: حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا سلمة، قال: حدثنا الأخفش، قال: جاءنا الكسائيّ إلى البصرة، فسألني أن أقرأ عليه كتاب سيبويه أو أُقْرِئه، ففعلت، فوجّه إليّ خمسين ديناراً.

وكان أبو العباس ثعلب يفضّل الأخفش، ويقول: كان أوسعَ النّاس علماً، وله كتب كثيرة في النحو والعروض والقوافي.

وقال ثعلب: مات الأخفش بعد الفرّاء.

وقال أبو الطيّب: كان الأخفش من أهل بلخ، وكان أجلعَ فيما أخبرنا به مشايخُنا عن أبي حاتم. والأجلع: الذي لا تنطبق شفتاه على أسنانه.

---

[*] انظر ترجمته في: المعارف: ٥٤٥-٥٤٦. وقد وصفه بالأخفش الأصغر خلافاً لما شاع بعده. مراتب النحويّين: ١١١-١١٢. أخبار النّحويّين البصريّين: ٦٦-٦٧. طبقات النحويّين واللغويّين: ٧٢-٧٤. الفهرست: ٨٢-٨٣. نور القبس: ٩٧-٩٩. تاريخ العلماء النّحويّين: ٨٥-٩٠. نزهة الألباء: ١٠٧-١٠٩. معجم الأدباء: ٣/١٣٧٤-١٣٧٦. إنباه الرّواة: ٢/٣٦-٤٣. وفيات الأعيان: ٢/٣٨٠-٣٨١. البلغة: ٨٦-٨٧. إشارة التّعيين: ١٣١-١٣٢. سير أعلام النّبلاء: ١٠/٢٠٦-٢٠٨. الوافي: ١٥/١٦١-١٦٢. طبقات المفسّرين: ١/١٨٥-١٨٦. تاج العروس: مادّة (خفش).

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- منهج الأخفش الأوسط في الدّراسات النّحويّة.

وكان يقول بالعدل – يعني: معتزليًا[1] – أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن يزيد أخبرنا المازنيّ، قال: كان الأخفشُ أعلمَ النّاس بالكلام، وأحذقَهم بالجَدَل، وكان غلامَ أبي شِمْر، وعلى مذهبه.

أخبرنا عبد القدّوس بن أحمد أخبرنا المبرِّد، قال: كان الأخفش أسنُّ من سيبويه، ولكن لم يأخذ عن الخليل، وهو الذي تكلَّم على كتاب سيبويه وشرحه وبيّنه، وهو مُعَظَّمٌ في النحو عند البصريين والكوفيين.

أخبرنا محمد بن عبد الواحد أخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائيّ، قال: لم يكن في القوم – يعني: البصريين – أعلمُ من الأخفش، نبّههم على عُوار الكتاب وتركهم.

قال أبو الطيِّب: ولم يكن الأخفش ناقصا في اللغة أيضا، وله فيها كتب مستحسنة.

وكان أخذ عن أبي مالك النميريّ. أخبرنا جعفر بن محمد، قال: أخبرونا عن المبرِّد عن المازنيّ، قال: قال الأخفش: سألتُ أبا مالك عن قول أُميّة بن أبي الصلت:

سلامَك ربَّنا في كلِّ فجْرٍ بريئاً ما تغنَّثُك الذمومُ

فقلت: ما "تغنَّثُك"؟ قال: ما تعلّق بك.

قال الرياشيّ: حدثني الأخفشُ، قال: كان سيبويه إذا وضع شيئا من كتابه عرضه عليَّ، وهو يرى أنّي أعلمُ به منه، وكان أعلمَ مني، وأنا اليوم أعلمُ منه.

أخبرنا[2] جعفر بن محمد أخبرنا أحمد بن غياث النحويّ أخبرنا أبو نصر الباهليّ، قال: حمل الكسائيّ إلى أبي الحسن الأخفش خمسين ديناراً، وقرأ عليه كتاب سيبويه سراً. انتهى.

وقال ابن النّجار في تاريخ بغداد: حدّث الأخفش عن هشام بن الكلبيّ، وإبراهيم

(١) هذا التّوضيح من السّيوطيّ وليس في الأصل المنقول عنه.
(٢) مراتب النحويّين: ١٢٠.

النخعيّ، وشرحبيل بن مدرك، ومحمد بن عمر الواقدي، وعمرو بن عبيد. روى عنه أبوحاتم السِّجستاني، ودخل بغداد وأقام بها مدّة. وقال أبو حاتم: كان الأخفش رجلَ سوء قَدَرياً، كتابُه في المعاني صُوَيلحٌ إلا أنّ فيه أشياء من القدَر.

وذكر أبو بكر الزّبيدي[1] أنّ الأخفش كان معلِّمَ ولدِ الكسائيّ، وذلك أنه لما جرى بين الكسائيّ وسيبويه ما جرى من المناظرة، ودخل سيبويه الأهواز، قال الأخفش: فلما دخل شاطئ البصرة وجّه إليّ، فجئته، فعرَّفني خبره مع البغداديين، وودَّعني، ومضى إلى الأهواز، وتزوّدت وجلست في سُمَّارِيَة حتى وردت بغداد، فأتيت مسجد الكسائيّ، فصلّيت خلفه الغداة، فلما انفتل من صلاته، وقعد في محرابه وبين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان، سلّمت عليه وسألته عن مائة مسألة، فأجاب بجوابات خطّأته فيها جميعها، فأراد أصحابه الوثوبَ عليَّ، فمنعهم عني، ولم يقطعني ما رأيتهم عليه مما كنت فيه، فلما فرغتُ من المسائل، قال لي الكسائيّ: بالله أنتَ أبو الحسن سعيد بن مسعدة؟ قلت: نعم. فقام إليَّ وعانقني وأجلسني إلى جانبه، ثم قال: لي أولادٌ أحبّ أن يتأدبوا بك، ويتخرجوا على يدك، وتكون معي غير مفارق لي. فأجبته إلى ذلك، فلما اتصلتِ الأيام سألني أن أصنِّف له كتاب معاني القرآن، فألّفت كتاباً في المعاني، فجعله إماماً له، وعمل عليه كتاباً في المعاني، وعمل الفرّاء كتابه في المعاني عليهما.

وكان الأخفش يؤدِّب ولد المعذَّل بن غيلان، فاحتاج إلى أن يركب في حاجة له، فأراد أن يستعيرَ منه دابّة، فكتب إليه[2]:

أردتُ الركوبَ إلى حاجةٍ ... فمر لي بفاعلةٍ مِن دببتُ

فكتب إليه:

بُرَيْذيننا يا أخي غامرٌ ... فكن محسنا فاعلا مِن عذرتُ

وقال محمد بن إسحق النديم في الفهرست: أبو الحسن الأخفش من مشهوري

(١) طبقات النّحويين واللغويّين: ٧٠.
(٢) الوافي: ١٥/١٦٢.

نحاة البصرة، أصله من خوارزم، وروى عن حماد بن الزبرقان، وله من الكتب المصنّفة: معاني القرآن. والأوسط في النحو. المقاييس في النحو. الاشتقاق. الأربعة. العروض. المسائل الكبير. المسائل الصغير. القوافي. الملوك. معاني الشعر. وقف التمام. الأصوات. صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها.

مات سنة عشر ومائة، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة، وبه جزم الزبيديّ.

قال: وكان يقال له: الأخفش الراوية، وصحب الخليل مثل صحبته لسيبويه.

قال: وقال أبو حاتم: كان الأخفش قد أخذ كتاب أبي عبيدة في القرآن، فأسقط منه شيئا، فقلتُ له: أيّ شيءٍ هذا الذي تصنع؟ مَن أعرفُ بالغريب، أنتَ أو أبو عبيدة؟ فقال: أبو عبيدة. فقلتُ: هذا الذي تصنع ليس بشيء. فقال: الكتاب لمن أصلحه، وليس لمن أفسده. قال أبو حاتم: فلم يُلتَفت إلى كتابه. وكتابه في المعاني صوَيلحٌ إلا أنّ فيه مذاهب سوء في القدَر، ولم يكن يغلو في القدر. انتهى

ومن أخبار الأخفش أنّ المؤرج السدوسيّ سأله عن قوله تعالى: ﴿والليلِ إذا يَسْرِ﴾ [سورة الفجر، الآية ٤] ما العلّة في سقوط الياء منه، وإنّما تسقط عند الجزم؟ فقال: لا أجيبك ما لم تبتْ على باب داري. قال: فبتُّ على باب داره، ثم سألته، فقال: اعلمْ أنّ هذا مصروف عن جهته فإنّ العرب تبخس حظّه من الإعراب، نحو قوله تعالى: ﴿وما كانت أمُّك بغيًا﴾ [سورة مريم، الآية ٢٨] أسقط الهاء لأنها غير مصروفة من فاعلة إلى فعيل. قلتُ: وكيف صرفه؟ قال: الليل لا يسري وإنما يُسْرى فيه[1].

وقال أبو البركات بن الأنباريّ في كتاب النزهة: وأما أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش فإنه كان مولى لبني مجاشع بن دارم، وهو من أكابر أئمة النحويين البصريين، وكان أعلم من أخذ عن سيبويه.

وكان أبو الحسن قد أخذ عمّن أخذ عنه سيبويه، فإنه كان أسنُّ من سيبويه،

(١) الوافي: ١٥/١٦٢.

وأخذ عن سيبويه أيضا، وهو الطريق إلى كتاب سيبويه؛ لأنّا لا نعلم أحداً قرأه على سيبويه، وما قرأه سيبويه على أحد، وإنه لما توفي قرئ الكتابُ على أبي الحسن الأخفش، وكام ممّن قرأه عليه أبو عمر الجرَميّ، وأبو عثمان المازنيّ. ويُقال: إنّ أبا الحسن الأخفش لما رأى كتاب سيبويه لا نظير له في حسنه وصحّته وأنه جامع لأصول النحو وفروعه استحسنه كلَّ الاستحسان، فيقال: إنَّ أبا عمرو الجَرميَّ وأبا عثمان المازنيَّ - وكانا رفيقين - توهّما أنَّ أبا الحسن الأخفش قد همَّ أن يدّعي الكتاب لنفسه، فقال أحدهما للآخر: كيف السبيل إلى إظهار الكتاب ومنعِ الأخفش من ادّعائه؟ فقال له: أن تقرأه عليه، فإذا قرأناه عليه أظهرناه وأشعنا أنه لسيبويه، فلا يمكن أن يدعيه. وكان أبو عمر الجَرميّ موسراً، وأبو عثمان المازنيّ معسراً، فأرغبَ أبو عمر الجَرميَّ أبا الحسن الأخفش، وبذل له شيئاً من المال على أن يقرئه وأبا عثمان المازنيَّ الكتابَ. فأجاب إلى ذلك، وشرعا في القراءة عليه، فأخذا الكتاب وأظهرا أنه لسيبويه، وأشاعا ذلك، فلم يمكنّا أبا الحسن أن يدعي الكتاب، فكانا السبب في إظهار أنه لسيبويه، ولم يسند كتاب سيبويه إليه إلا بطريق الأخفش، فإن كلُّ الطُّرق تستند إليه.

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى عن سلمة، قال: حدثني الأخفش أنَّ الكسائيَّ لما قدم البصرة سألني أن أقرأ عليه أو أقرئه كتاب سيبويه، ففعلت، فوجّه إليَّ خمسين ديناراً.

وكان أبو العباس أحمد بن يحيى يفضّل الأخفش، وكان يقول: هو أوسع الناس علماً.

ويحكى أنَّ مروان بن سعيد المهلبيَّ سأل أبا الحسن الأخفش عن قوله تعالى: ﴿فإنْ كانتا اثنتين فلهما الثلثان ممّا ترك﴾ [سورة النساء، الآية ١٧٦] ما الفائدة من هذا الخبر؟ فقال: أفاد العدد المجرَّد من الصفة.

وأراد مروان بسؤاله أنَّ الألف في (كانتا) تفيد التثنية، فلأيٍّ معنى فسَّر ضمير الاثنين بالاثنتين ونحن نعلم أنه لا يجوز أن يقال: "فإن كانتا ثلاثا" ولا أن يقال: "فإن

كانتا خمساً"؟ وأراد الأخفش أنَّ الخبر أفاد العدد المجرَّد من الصفة. أي: قد كان يجوز أن يقال: فإن كانتا صغيرتين أو صالحتين فلهما كذا، أو طالحتين فلهما كذا، وإن كانتا كبيرتين فلهما كذا. فلما قال: ﴿فإنْ كانتا اثنتين فلهما الثلثان﴾ [سورة النساء، الآية ١٧٦] أفاد الخبر أنَّ فرض الاثنتين تعلَّق بمجرَّد كونهما اثنتين فقط. فقد حصل من الخبر فائدة لم تحصل من ضمير المثنى.

وحكى أحمد بن المعذَّل، قال: سمعت الأخفش يقول: جنِّبوني أن تقولوا:"أيش"، وأن تقولوا:"هم"، وأن تقولوا:"ليس لفلان بخت".

وصنَّف كتباً كثيرة في النحو والعروض والقوافي، وله في كلِّ فنٍّ منها مذاهب مشهورة، وأقوال مذكورة عند علماء العربيّة. انتهى.

وفي كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيّان التوحيديّ[1]: وقف أعرابيٌّ على مجلس الأخفش، فسمع كلام أهله في النحو، وما يدخل معه، فحارَ وعجب، فاستظرف ووسوس، فقال له الأخفش ما تسمعُ يا أخا العرب؟ قال: أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا. قال التوحيديّ: وقال أعرابيٌّ في ذلك:

ما زال أخذهم في النحو يعجبني ... حتى سمعت كلام الزّنج والروم

وقال آخر:

ماذا لقيت من المستعربين ومنْ ... تأسيس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إنْ قلتُ قافية فيما يكون لها ... معنى يخالف ما قاسوا وما صنعوا
قالوا: لحنتَ وهذا الحرف منخفض ... وذاك نصب وهذا ليس يرتفع
وحرَّشوا بين عبدالله واجتهدوا ... وبين زيد فطال الضُّرْبُ والوجَعُ
إنِّي نشأتُ بأرضٍ لا تُشَبُّ بها ... نار المجوس ولا تُبْنى بها البِيَعُ
ولا يطا القرد والخنزير ساحتَها ... لكنْ بها الهَيْقُ والذَّيال والصَّدَعُ

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ٢/١٣٩-١٤٠.

ما كلُّ قولي معروف لكم فخذوا ... ما تعرفون وما لا تعرفون دَعُوا
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقهم ... وآخرين على إعرابهم طُبِعُوا
وبين قومٍ رأَوْا شيئاً معاينةً ... وبين قومٍ رأوا بعض الذي سمعوا

قال كشاجم يهجو رجلاً[1]:

تَشَبَّهَ في النحو بالأخفشين ... فجاء بأعجوبة مُطْرِفَهْ
ولم يسْمعِ النحو لكنَّهُ ... قرا منه شيئاً وقد صَحَّفَهْ
فإن لم يكن أخفشَ الناظرينِ ... فإنَّ الفتى أخفش المعرَفَهْ

ورأيت في بعض المجاميع:أبو الحسن سعيد بن مسعدة النحويّ البصريّ، أخذ النحو عن سيبويه وكان أسنَّ من سيبويه، ثم أدَّب ولد المعذَّل بن غيلان العبديّ، وكتب الأخفش إلى المعذَّل يستجفي ابنه عبدَالله:

أبلغْ أبا عَمْرٍ حليفَ الندى ... بأنَّ عبدالله بي جافِ
قد أحكمَ الآدابَ طُرّاً فما ... يجهل منها غير الطافي
لم تبدُ من لغته لي قطرة ... وليس ذا منه بإنصاف

فكتب إليه أبو عبدالله:

إنْ يجف عبدُالله أو يعتدي ... يكفِكَ إنصافي والطافي

فأجابه الأخفش:

ما بعد إنصافك لي غايةٌ ... وبعض إنصافك لي كافِ

ثم رأيت التاج بن مكتوم أورد هذه الحكاية في تذكرته نقلا من خط نسخة أبي حيّان في تذكرته[2].

(١) ديوان كشاجم: ٢٧٤. قاله في فتى ادّعى النّحو.
(٢) لم ترد هذه الحكاية في المطبوع من تذكرة أبي حيّان، وقد أوردها ياقوت في معجم الأدباء. انظر: ١٣٧٦/٣.

في تذكرة ابن مكتوم: قال ابن جنيّ حدثنا أبو علي الفارسيّ، قال: كان الأخفش ينتاب سيبويه مستفيداً، فجاء يوما والسماء تمطر، وسيبويه في منظرة له، فدقّ الباب، فأشرف عليه قائلا: من ذا؟ فقال: سعيد بن مسعدة. قال: وما تريدُ؟ قال: جئتُ لأقرأ شيئاً. قال سيبويه: اقرأ حيث أنت، ولم يكن هناك كلمة ولا شيء لسيبويه، فأخذ يقرأ ويسأل وهو واقف، فلما رأى سيبويه ذلك علم جدّه فيما قصد له، فقال له: اصعدْ يا أبا الحسن، فصعد إليه فأكرمه وقرّبه منه، وكان بعد ذلك يدني مجلسه ويزيد في تقريبه.

وفيها عن كتاب الفصوص لصاعد اللغويّ[1]، قال: حدثنا أبو علي الفارسيَ حدثنا أبو إسحاق الزجّاج أخبرنا المبرِّد عن المازنيّ عن الأخفش قال: كان أمير البصرة يقرأ على المنبر: ﴿إنَّ الله وملائكتَه يصلُّونَ على النبيّ﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٥٦] بالرفع، فصرت إليه ناصحا له ومنبّها، فتهدّدني وأوعدني، وقال: تُلحِنون أمراءكم؟ ثمّ عُزِل وتقلّد محمد بن سليمان الهاشميّ، فكأنّه نطقها[2] منْ في المعزولِ، فقلت: هذا هاشميّ ونصيحته واجبة، فجبنتُ عنه وخشيتُ أن يتلقّاني بمثل ما تلقّاني به الأوّل، ثم حملتُ على نفسي، فأتيته، فقلت: أصلح اللهُ الأميرَ جئت لنصيحة. فقال: قلْ. فقلت: أنتم أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة والفصاحة وتقرأ (إن الله وملائكتُه)، وهو لحنٌ لا وجه بالرفع له. فقال: جزاك الله خيرا، قد نصحت، فانصرفْ مشكوراً. فانصرفتُ، فلما خرجت صرت في نصف الدرج إذا قائل لي: قفْ مكانك. فوقفت وساء ظنّي وخفت أن يكون أخوه قد أغراه بي فإذا بغلة سفواء وغلام وجارية وبدرة وتخت ثياب وقائل يقول: هذا لك قد أمرَ به الأميرُ. فانصرفتُ مغتبطاً.

(١) من كتاب الفصوص: ٢/٧٠-٧١.
(٢) في كتاب "من كتاب الفصوص": "تلقّنها". انظر: ٢/٧١.

[٤][*]

أبو بكر بن الأنباريّ

محمد بن القاسم بن محمد بن بشّار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة البغداديّ النحويّ اللغويّ العلاّمة.

قال الحافظ أبو عمرو الداني في طبقات القُرَّاء: روى القراءة عن أبيه، وإسماعيل بن إسحق القاضي، وأحمد بن سهل الأشنانيّ، وسليمان بن يحيى الضبّيّ، ومحمد بن يحيى المروزيّ، وعبيدالله بن عبد الرحمن الواقديّ، وإدريس بن عبد الكريم، ومحمد بن هارون التمّار، وأحمد بن فرج، وغيرهم.

وكان إماما في صناعته مع براعته وسعة علمه، وصدق لهجته.

روى عنه عبد الواحد بن عمر، وأبو الفتح بن بُدْهن، وأحمد بن نصر، وأبو الحسين الملطيّ، وعبدالله بن الحسين، وشيخنا[1] محمد بن أحمد بن علي، وإسماعيل بن القاسم القاليّ، وإسماعيل بن سُويد، وصالح بن إدريس، والحسين بن خالويه، وإبراهيم بن عليّ بن سيبخت، وأبو العباس بن عبد العزيز بن عبدالله بن مسلمة الشعيريّ، وغيرهم جماعة لا يحصى عددُهم.

---

[*] انظر ترجمته في: طبقات النحويّين واللغويّين: ١٥٣-١٥٤. الفهرست: ١١٩-١٢٠، نور القبس: ٣٤٥. تاريخ العلماء النحويّين: ١٧٨-١٨٠. تاريخ بغداد: ٣/ ٣٩٩-٤٠٣. الأنساب: ١/٢١٢-٢١٣. نزهة الألباء: ١٩٧-٢٠٤. المنتظم: ١٣/٢٩٧-٤٠٢. معجم الأدباء: ٦/٢٦١٤-٢٦١٨. إنباه الرّواة: ٣/٢٤١-٣٤٣. وفيات الأعيان: ٤/٣٤١-٣٤٣. إشارة التعيين: ٣٣٥-٣٣٦. سير أعلام النّبلاء: ١٥/٢٧٤-٢٧٩. معرفة القراء الكبار: ٢٣١-٢٣٢. تذكرة الحفاظ: ٣/٨٤٢. تاريخ الإسلام (وفيات ٣٢٠-٣٣٠) ٢٤٧-٢٤٩. الوافي: ٤/٢٤٥. مرآة الجنان: ٢/٢٢١-٢٢٢. البلغة: ٢٤٥-٢٤٦. غاية النهاية: ٢/٢٣١-٢٣٢. طبقات النحاة واللغويّين: ٢٣٣-٢٣٥، طبقات الحفاظ: ١/٣٥٠-٣٥١. البغية: ١/٢١٢-٢١٤. طبقات المفسّرين: ٢/٢٢٦-٢٢٩.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- محمد بن القاسم بن الأنباري وجهوده في النحو والصرف واللغة.

(١) المقصود شيخ أبي عمرو الداني.

وعن أبي علي القاليّ أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن.

وكان ثقة دَيِّناً صدوقاً، وكان أحفظَ من تقدم من الكوفيين.

توفي سنة سبع وعشرين، وقيل: يوم الأضحى سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة، وهو ابن ثمانٍ وستين سنة.

وقال الزَّبيديّ: مات سنة سبع وعشرين.

وقال أبو البركات بن الأنباريّ في كتاب نزهة الألباء: وأما أبو بكر محمد بن القاسم بن بشّار الأنباريّ فإنه كان أعلمَ الناسِ وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظا للغة، وكان زاهداً متواضعاً أخذ عن أبي العباس ثعلب، وكان ثقة صدوقا من أهل السُّنَّة حسنَ الطريقة، وألَّف كتبا كثيرة في علوم القرآن والحديث واللغة والنحو، فمنها كتاب الوقف والابتداء، وكتاب المشكل، وغريب الحديث، وشرح المفضليّات، وشرح السبْع الطوال، وكتاب الزاهر، وكتاب الكافي في النحو، وكتاب اللامات، وله الأمالي، وغير ذلك من المؤلفات.

وكان يُكتَب عنه وأبوه حيٌّ، وكان يملي في ناحية المسجد، وأبوه في ناحية أخرى.

وقال أبو علي إسماعيل بن القاسم: كان أبو بكر بن الأنباريّ يحفظ - فيما ذكر - ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن.

وقال حمزة بن محمد بن طاهر الدقّاق: كان أبو بكر بن الأنباريّ يملي كتبه المصنَّفة ومجالسه المشتملة على الحديث والأخبار والتفاسير والأشعار، وكلّ ذلك من حفظه.

أملى كتاب غريب الحديث. قيل: إنه خمس وأربعون ألف ورقة. [وكتاب شرح الكافي. قيل: إنه نحو ألف ورقة][(١)]، وكتاب الهاءات، نحو ألف ورقة. وكتاب الأضداد. وما أُلِّف في الأضداد أكبر منه. وشرح الجاهليّات، سبعمائة ورقة. والمذكر والمؤنث، ما عمل أحد أتمّ منه. وعمل رسالة المشكل ردّاً على ابن قُتيبة وأبي حاتم السجستانيّ

(١) لم يرد في الأصل المطبوع المنقول عنه في نزهة الألباء. انظر: ١٩٨.

ونقضاً لهما، وكتاب المشكل أملاه، وبلغ فيه إلى "طه" وما أتمّه، وقد أملاه سنين كثيرة.

وقال أحمد بن يوسف الأصبهانيّ: رأيتُ النبيّ (ﷺ) في المنام، فقلت: يا رسولَ الله، عمَّن آخذ علم القرآن؟ فقال: عن أبي بكر بن الأنباريّ.

وقال محمد بن جعفر التميميّ: أما أبو بكر بن الأنباريّ فما رأينا أحفظَ منه، ولا أغزر بحراً من علمه. قال: وكان أحفظ الناس للغة وشعر وتفسير وقرآن. حدُث أنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا من تفاسير القرآن بأسانيدها.

وقال أبو العباس بن يونس: كان آية من آيات الله تعالى في الحفظ.

وقال أبو الحسن الدارقطنيّ: حضرتُ أبا بكر بن الأنباريّ في مجلس إملائه بعصر جمعة، فصحَّف اسما أورده في إسناد حديث : أما كان حيّان، فقال: حَبّان أو حِبّان فقال حيّان. قال أبو الحسن: فأعظمته أن ينقّل عن مثله في فضله وجلالته وهمٌ، وهبته أن أوقفه على ذلك، فلما انقضى الإملاء تقدّمت إلى المستملي، وذكرت له وهمه، وعرّفته صواب القول فيه، وانصرفت، ثم حضرتُ الجمعة التالية، فقال أبو بكر للمستملي: عرِّف جماعة الحاضرين أنّا صحّفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونبّهنا ذلك الشابّ على الصواب، وهو كذا، وعرِّف ذلك الشابّ أنّا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال.

ويُحكى أنّ أبا بكر بن الأنباريّ قال في اسم الشمس بوح بالباء بنقطة من تحت، فردّ عليه أبو عمر الزاهد، وقال: إنما هي يوح بالياء بنقطتين من تحت، كذا سمعته من أبي العباس ثعلب.

والصحيح ما قال أبو عمر والعالِم من عُدَّت سقطاته.

ويُحكى أنّ أبا بكر بن الأنباريّ مرضَ، فدخل عليه أصحابه يعودونه، فرأوا من انزعاج والده وقلقه عليه أمراً عظيماً، فطيّبوا نفسه، ورجّوْه عافية أبي بكر، فقال: كيف لا أنزعج وأقلق لعلّةِ من يحفظ جميع ما ترون، وأشار إلى خزانة مملوءة كتباً.

ويُحكى أنّ أبا بكر بن الأنباريّ حضر مع جماعة من العدول ليشهدوا على إقرار

رجل، فقال أحدهم للمشهود عليه: ألا نشهد عليك؟ فقال: نعم. فشهد عليه الجماعة وامتنع أبن الأنباريّ، وقال: إنّ الرجل منع أن يُشهد عليه بقوله (نعمْ) لأنّ تقدير جوابه: لا تشهدوا عليّ؛ لأنّ حُكم (نعمْ) أن ترفع الاستفهام، ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ألست بربِّكم قالوا بلى﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٧٢] لو قالوا: نعمْ لكفروا؛ لأنَّ حُكمَ نعمْ أن ترفعَ الاستفهام، فلو قالوا: نعمْ لكان التقدير: نعمْ لستَ بربِّنا، وهذا كفر، وإنَّما دلَّ على إيمانهم قولهم: بلى، لأنَّ معناها يدلُّ على رفع النفي، فكأنَّهم قالوا: أنتَ ربُّنا، لأنَّ أنت بمنزلة التاء في ألستُ.

وقال ياقوت: حدَّثنا أبو الفرج بن الجوزيّ في تاريخه بإسناده(١)، قال: قال أبو بكر عبدالله بن علي بن عيسى: لما مرض أبو بكر بن الأنباريّ عرضت قارورته على الطبيب، فقال: هذا يدلُّ على إتعابك جسمك وتكلّفك أمراً عظيماً لا تطيقه. فقال: قد كنت أفعل ذلك. فسأل: ما الذي كنت تفعله؟ قال: كنت أدرسُ في كلِّ جمعة عشرة آلاف ورقة من العلم.

وقال أبو الحسن العروضيّ: اجتمعت أنا وأبو بكر بن الأنباريّ عند الراضي بالله على الطعام، وكان الطبَّاخ قد عرف ما يأكل، فكان يطبخ له قليّة يابسة، فأكلنا نحن من ألوان الطعام وأطيابه، وهو يعالج تلك القليّة، ثم فرغنا، وأوتينا بحلواء فلم يأكل منها، وقمنا إلى الخيش فنام بين يدي الخيش، ونمنا نحن في خيش، ولم يشرب ماءً إلى العصر، فلما كان العصر، قال لغلامٍ: الوظيفة، فجاءه بماء من الجُبِّ، وترك الماء المزمّل بالثلج، فغاظني أمره، فصحتُ، فأمر الراضي بإحضاري، وقال: ما قصّتك؟ فأخبرته، وقلت: هذا يا أمير المؤمنين يحتاج أن يُحال بينه وبين تدبير نفسه؛ لأنه يقتلها ولا يُحسِن عشرتها. فضحك، وقال: يا أبا بكر لِمَ تفعلُ هذا؟ قال: أُبقي على حفظي. قلت له: قد أكثر الناسُ في حفظك، فكم تحفظ؟ قال: ثلاثة عشر صندوقا.

قال: وسألْته يوما جارية للراضي عن شيء من تعبير الرؤيا، فقال: أنا حاقن. ثم

---

(١) المنتظم: ١٣/٣٩٧-٤٠٢.

مضى من يومه، فحفظ كتاب الكرمانيّ، وجاء من الغد وقد صار يعبر الرؤيا.

وكان يأخذ الرّطب فيشمّه، ويقول: إنّك لطيّب، ولكن أطيب منك حفظ ما وهب الله لي من العلم.

ولما مرض مرَضَ الموت أكل كلَّ شيء كان يشتهي، وقال: هي علّة الموت.

ورأى يوماً بالسوق جارية حسناء، فوقعت في قلبه، فذكرها للراضي، فاشتراها، وحملها إليه، فقال: اعتزلي إلى الاستبراء، قال: وكنت أطلب مسألة فاشتغل قلبي، فقلت للخادم: خذها وامضِ بها، فليس قدرها أن تشغل قلبي عن علمي، فأخذها الغلام. فقالت له: دعني أكلِّمْه بحرفين. فقالت له: أنت رجل لك محلّ وعقل، وإذا أخرجتني ولم تبيِّن ذنبي ظنَّ الناسُ بي ظنّا قبيحا. فقال لها: ما لك عندي ذنبٌ غير أنّك شغلتني عن علمي. فقالت: هذا أسهل. فبلغ الراضي ذلك، فقال: لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في صدر هذا الرجل.

ولد أبو بكر سنة إحدى وسبعين ومئتين، وتوفي ليلة النّحر سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمئة، وكان ذلك في خلافة الراضي. انتهى.

قال الزَّبيديّ: وكان شحيحاً، وما أكل له أحدٌ شيئاً قطّ، وكان ذا يسار وحال واسعة، ولم يكن له عيال، ووقف عليه رجل يوما، فقال له: قد أجمع أهل سبعة فراسخ على شيء، فأعطني درهما حتى أفارق الإجماع. فقال له: ما هذا الإجماع؟ قال: على أنّك بخيل. فضحك ولم يعطه شيئا.

وقال النديم في كتاب الفهرست: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ، أخذ عن أبيه وعن أبي جعفر أحمد بن عبيد، وأخذ النحو عن ثعلب، وكان أفضل من أبيه وأعلمَ، في نهاية الذكاء والفطنة وجودة القريحة وسرعة الحفظ، ومع ذلك كان ورعاً من الصالحين، لا يُعرَفُ له حرمة ولا زلّة، وكان يضرَبُ به المثل في حضور البديهة، وسرعة الجواب. وأكثر ما كان عليه من غير دفتر ولا كتاب، ولم يمتْ عن سنٍّ عالية، مات عن دون الخمسين كثيراً - كذا قال - وله من الكتب كتاب المشكل في معاني القرآن، لم يتمّه.

كتاب أدب الكُتّاب، لم يتمّه. كتاب المقصور والممدود. كتاب الموضّح في النحو. كتاب نقض مسائل ابن شنبوذ. كتاب غريب الحديث، لم يتمّه. كتاب الهجاء. كتاب السبع الطوال، صنعته. وعمل عدّة دواوين من أشعار العرب الفحول، منها شعر زهير والنابغة الجعديّ والأعشى، وغير ذلك. وله مجالسات لغة ونحو وأخبار، وسمعها منه جماعة ممن رأيته من أهل العلم، منهم أبو سعيد الدبيليّ، وغيره. انتهى.

وقال الخطيب في تاريخ بغداد: كان ابن الأنباريّ من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظا له. ولد في يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين. وسمع إسماعيل بن إسحق القاضي، وأحمد بن الهيثم بن خالد البزّاز، ومحمد بن يونس الكديمي، وأبا العبّاس ثعلباً، ومحمد بن أحمد بن النضر، وغيرهم من هذه الطبقة.

وكان صدوقاً فاضلاً دَيِّناً خيِّراً من أهل السُّنّة.

روى عنه أبو عمر بن حيويّة، وأبو الحسين بن البوّاب، وأبو الحسن الدارقُطنيّ، وأبو الفضل بن المأمون، وأحمد بن محمد بن الجراح، ومحمد بن عبدالله بن أخي ميمي، وغيرهم. انتهى.

ومن تصانيف ابن الأنباريّ، مما لم يتقدّمْ ذكره: خلق الإنسان. خلق الفرس. الأمثال. الردّ على من خالف مصحف عثمان. الألفات. شرح شعر زهير. شرح شعر الأعشى. شرح شعر النابغة الجعديّ. الأمالي.

ومن شعره:

إذا زِيدَ شرًا زاد خيراً كأنّما ... هو المسكُ ما بين الصلابة والنهرِ
لأنّ فَتيتَ المسكِ يزداد طيبُه ... على السَّحْقِ والحرَ اصطباراً على الضرِّ

وأخرج ابن النجّار في تاريخ بغداد من طريق أبي عمر محمد بن العباس بن حيوة قال: أنشدنا محمد بن الغياض الكاتب يمدح أبا بكر محمد بن القاسم الأنباريّ:

يا أيُّها السائل مستخبراً عن بُكَريٍّ في فلق الفجرِ
قصدي إلى العالِم غيث الورى الراجح في الهيبة والقدرِ
الحافظ البارع والصادق الـ ـلهجة والمقتبل الآمرِ
محمد بن القاسم الفرد في الآداب والعلم أبي بكرِ
أبرَّ بالسبق على غيرهِ وبذَّ من ساواه بالقهرِ
كم من حسود كادَهُ فاتقى عنه بعجز وشجا هذرِ
أخرجت الأنبار ياقوتة ضياؤها يوفي على الزهرِ
أبناء أهل العلم غيثُ الورى وفقدهم قاصمة الظهرِ
أشخاصهم مفقودة إن مضَوْا وذكرهم باقٍ على الدهرِ
خذها أبا بكر وهياتها من مخلص في السرِّ والجهرِ

وأخرج المنذريّ في تاريخ كندة من طريق أبي يعلى حمزة بن محمد البصريّ، قال: أنشدنا أبو الحسن محمد بن أبي سعيد النحويّ، أنشدنا أبو بكر بن الأنباريّ:

إذا ما خلوتُ من المؤنسين جعلتُ المؤانس لي دفتري
فلم أخلُ من شاعر محسن ومن عالم صالح منذرِ
ومن حِكَمٍ بين أثنائها فوائد للناظر المفْكِرِ
فإن ضاق صدري بأسراره وأودعته السرَّ لم يظهرِ
وإن صرَّح الشعر باسم الحبيـ ـب لم أحتشمْهُ ولم أقصرِ
ونادمت منه كريم المغيب لندمانه طيِّب المحضرِ
فلست أرى مؤثرا يا حبيب نديما علينا إلى المحشرِ

رأيت بخطِّ أبي شمس الدين بن العماد في مجموع له ما نصُّه:

فائدة: عن أبي العباس محمد بن الحسن بن يعقوب الأنباريّ، قال: حضرتُ

مجلس أبي بكر محمد بن القاسم بن بشّار الأنباريّ، وسُئل عن قوله (ﷺ): «خلق الله آدم على صورته». فقال: ذكر أصحاب الروايات أنَّ الله عزَّ وجلَّ لما كفر إبليس غيَّر خِلقته من خلقة الملائكة إلى خلقة الشياطين، ولما أن خلق الله آدم على أحسنِ تقويمٍ، وأسكنه جنَّته، وأخرجه، ثمَّ تاب عليه، لم يغيِّرْه عن الفطرة الأولى كما غيَّر إبليس بل أقرّه عليها، فالمعنيّ بالتشبيه في الدنيا على الصّورة التي كان عليها في الجنّة لم يغيّر منها شيئا.

قال ابن عساكر في تاريخه(١): أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل، وأبو نصر غالب بن أحمد بن المسلم، قالا: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد [بن سعيد](٢) بن زهير التميميّ أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد بن عثمان بن سعيد بن القاسم الغسّانيّ أخبرنا أبو القاسم الخضر بن علي بن محمد الأنطاكيّ البزّاز، قدم علينا دمشق، أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباريّ أخبرنا ابن ناجية أخبرنا محمد بن المثنى، أخبرنا محمد خالد بن عثمة أخبرنا عبدالله محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر، قال: قال النبيّ (ﷺ): «ما أمعر حاجٌّ قطّ».

وقال ابن الأنباريّ: معناه: ما افتقر حاجٌّ قطّ. وأصله من قولهم: مكان معرٌ، إذا ذهب نباته.

قال ابن عساكر(٣): أخبرنا أبو العزِّ أحمد بن عبيدالله أخبرنا محمد بن الحسين أخبرنا المعافى بن زكريا حدثنا محمد بن القاسم الأنباريّ أخبرنا أحمد بن يحيى أخبرنا عمر بن شيبة عن أشياخه، قال: قال معاوية بن أبي سفيان لعبد الرحمن بن الحكم: أراك تعجَبُ بالشِّعر، فإن فعلت فإياكَ والتشبيبَ بالنساءِ، فإنَّك تغري به الشريفة، وترمي به العفيفة، وتقرّ على نفسك بالفضيحة. وإياك والهجاء، فإنَّك تحنق به

(١) تاريخ دمشق: ١٦/٤٤٥.
(٢) لم ترد في المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه: ٣٤/٣١٤-٣١٥.

كريماً، وتستثير به لئيماً. وإياك والمدح فإنه كسب الوِقاح، وطعمة السُّؤال، ولكن افخر بمفاخر قومك، وقل من الأمثال ما تزيِّنُ به نفسك وشعرك وتودّد إلى غيرك.

وقال النبيّ (ﷺ): «[الشعرُ] أدنى مروءة السَّريّ، وأفضل مروءة الدَّنيّ»[1].

قال القالي في أماليه[2]: حدّثنا أبو بكر بن الأنباريّ، قال: حدثني أبي، قال: حدثني محمد بن أبي يعقوب الدينوريّ، حدثنا روح بن محمد السكونيّ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن راشد الرحبيّ، قال: قيل لأشعب: قد أدركت الناس فما عندك من العلم؟ قال: حدثني عكرمة عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله (ﷺ): «لله على عبده نعمتان» ثمَّ سكت أشعبُ، فقيل له: وما النعمتان؟ فقال: نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى.

وقال ابن الأنباريّ في أماليه: حدثنا إسماعيل بن إسحق حدثنا ابن أبي أويس حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هُريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ) قال الله: «من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له كلّه، وأنا بريء منه، وأنا أغنى الشركاء عن الشرك». قال ابن الأنباريّ: الشرك في هذا الحديث لا يُحمل على الكفر بالله تعالى، إنَّما باب تفسيره : من تجمَّل بعبادتي عند غيري وأمّل نفعه كما يؤمّل ثوابي، فأنا غير قابل عمله ولا مثيبه عليه.

قال ياقوت: كتاب الأمالي اشتمل على أخبار وأشعار ونوادر ولغة ونحو. قلت: قد رأيت منه عدة مجالس قدر مجلد واحد.

قال ياقوت: وقد ذكره مسلم بن محمد اللخميّ. انتهى.

مصنِّف كتاب "الأترجّة[3] في كبار أدباء اليمن وشعرائها" فقال ما صورته: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن الحسن بن بشّار الأنباريّ صدر العراقيين ومفخر

---

(١) المثبت في تاريخ دمشق أنّ هذا القول لمعاوية بن أبي سفيان. انظر: ٣٤/٣١٥.

(٢) الأمالي: ٢/٣٤٥.

(٣) هو مسلم بن محمد بن جعفر بن الحسن اللحجيّ، عالم نسّابة، مؤرِّخ جامع لفنون العِلْم، توفي سنة ٥٣٠هـ. انظر: هجر العِلْم ومعاقله في اليمن: ٣/١٣٤٠-١٣٤١.

الصنعانيين، ومكانه من العربيّة ووجوه الصناعة الأدبيّة موضّح عند مخبريه، فقلّما يخلو كتاب من كتب الأدباء عن ذكر له جميل، وثناء عليه طويل مع ما يعتمد عليه منه في وجوه الأخبار والتفسير، وما يتعلّق بذلك من كلام طويل أو قصير.

ومع تصانيفه وكتبه الموصوفة وموضعه من أهل الأدب والعلم بالحديث والفقه، وليس في كونه بالعراق بخارج له عن النسبة اليمانية لاختلاف الأركان الزمانيّة، وقد كان أمره بصنعاء أشهر من غيرها من البلدان.

ولأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذانيّ إليه أشعارٌ ومكاتبات تتضمّن جملتها ديوانه، والمرويّ عن ابن الأنباريّ من الشعر قليل عندنا، عن أبي قد وجدت له بخطّ ابن داية أبياتا، منها:

حين تردّيت رداء الهوى ... واستحكمت لي عقد الودِّ
فرّقتِ الأيام ما بيننا ... ما أولعَ الأيام بالبعدِ

وله:

ولما رأيت البين قد جدّ جدّه ... ولم يبق إلا أن تزول الركائبُ
وقفنا فسلّمنا سلام مخالسٍ ... فردّت علينا أعينٌ وحواجبُ

آخر ما في الأَتْرُجَّة من حديثه.

قال أبو حيان التوحيديّ في الإمتاع والمؤانسة[1]: قال لي الوزير: ما معنى قولهم "بالرفاء والبنين"؟ فكان من الجواب أنّ ابن الأنباريّ يقول على ما حدّثنا به ابن جني عنه أنّ الرفاءَ المالُ، وقال غيره: الاتفاق والملاءمة، من قولهم: رفأتُ الثّوب، أرفوه: إذا ضممت بعضه إلى بعضٍ. ويقال: السكون والهدوء، من قولهم: رفوتُ القومَ إذا سكنتهم، قال الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لم تدع ... فقلت وأنكرت الوجوه هم همُ

(١) لم نجد النصّ في المطبوع من الإمتاع والمؤانسة لكنه مذكور في كتاب آخر لأبي بكر الأنباري، وهو الزاهر. انظر ١/٤٠١.

وفيه[1]، قال ابن الأنباريّ في قوله (ﷺ) وهو مستدرج، معناه: وهو مستدعٍ هلكته، مأخوذ من الدارج الذاهب، وهو الهالك، يقال: هو أعلم من دبَّ ودرجَ، يراد بـ (درج) هلك، وبـ (دبّ) مشى.

قال ابن النجّار في تاريخه: قرأت في كتاب أبي علي بن البناء بخطّه، حكى ابن هارون الباقلانيّ، قال: لما عمل ابن عبّاد كتاب الوقف والابتداء عرف ذلك ابن الأنباريّ، فاجتمع معه، وقال له: ما نظرت في كتاب الوقف والابتداء قبل أن أعمل كتابي. فقال أبو بكر: فاذكر ما لي. فعدَّ له تسعة وعشرين كتابا. فقال له: أين الثلاثون؟ فقال له: كتابك يا أبا بكر. قال: صدقت.

[٥]*

أبو محمد الأسود صاحب نزهة الأديب

هو الحسن بن أحمد الأعرابيّ المعروف بالغَنْدَجاني[2] اللغويّ النسّابة.

قال ياقوت في معجم الأدباء: كان علامة نسّابة عارفا بأيام العرب وأشعارها وأحوالها، مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبي الندى، وهذا رجل مجهول لا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ١٠١/٢.

(*) انظر ترجمته في: الأنساب: ٣١١/٤. معجم الأدباء. ٨٢١/٢-٨٢٢. لسان الميزان: ١٩٤/٢. الوافي: ٢٩٢/١١-٢٩٣. البلغة: ٦٥. خزانة الأدب: ٤٤/١-٤٥.
ومن الدراسات الحديثة عنه سلسلة دراسات كتبها حمد الجاسر في مجلّة (العرب) في الأعداد الأربعة من السّنة التاسعة. وقد أخرج له الدكتور محمد علي سلطاني ثلاثة كتب مصدّراً كل واحد منها بدراسة قيّمة، وهذه الكتب هي:
- فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه.
- أسماء خيل العرب، وأنسابها، وذكر فرسانها.
- إصلاح ما غلط فيه أبو عبدالله النّمري في معاني أبيات الحماسة.

(٢) ضبطها السمعاني بفتح الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدّال المهملة. انظر الأنساب: ٣١١/٤.

يُعرف، وكان أبو يعلى بن الهبّارية الشاعر يعيِّره بذلك، ويقول: ليت شعري، من هذا الأسود الذي قد نصّب نفسه للردّ على العلماء، وتصدّى للأخذ على الأئمة القدماء؟ بماذا نصحِّح قوله ونبطل قول الأوائل؟ ولا تعويل له فيما يرويه إلا على أبي الندى، ومن أبو الندى في العالم؟ لا شيخ مشهور ولا ذو علم مذكور.

قال ياقوت: ولعمري إنَّ الأمر كما قال، فإنَّ هذا يقول: إذا قال الأعرابي في أنَّ هذا الشعر لفلان، إنَّما هو لفلان بغير حجّة واضحة ولا أدلّة لائحة، وكان لا يقنعه أن يردّ على أهل العلم ردًا جميلا، إنَّما يجعله من باب السخرية والتهكم وضرب الأمثال، وكان يتعاطى تسويد لونه، ويدّهن بالقطران، ويقعد في الشمس ليحقّق لنفسه التلقيب بالأعرابيّ، ورُزق سعادة وثروة لأنه كان في كنف الوزير أبي منصور بهرام وزير الملك كاليجار[1]، وكان إذا صنّف كتابا جعله باسمه، وكان يفضل عليه إفضالا جمًا.

وله من التصانيف: فرحة الأديب في الردّ على يوسف بن أبي سعيد السيرافيّ في شرح أبيات سيبويه. ضالة الأديب في الرد على ابن الأعرابيّ في النوادر التي رواها ثعلب. قيد الأوابد في الردّ على السيرافيّ[2] في شرح أبيات إصلاح المنطق. نزهة الأديب في الردّ على أبي علي الفارسيّ في التذكرة. كتاب الردّ على النمري في شرح مشكل أبيات الحماسة. كتاب الخيل: مرتّب على حروف المعجم. أسماء الأماكن. كتاب السلّ والسرقة.

قال ياقوت: قرأت بعض تصانيفه، وقد قرئ عليه سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة.

(١) في معجم الأدباء: أبي كاليجار. انظر: ٢/٨٢٢.
(٢) المصدر نفسه: ابن السّيرافي. انظر: ٢/٨٢٢.

[٦]*

ابن الأخضر

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن مهدي بن عمران التنوخيّ الإشبيليّ.

كان مقدَّمًا في اللغة والعربيّة والأدب موصوفا بالذكاء والإتقان والدين والثقة.

أخذ عن الأعلم، وروى عن أبي عليّ الغسّانيّ، وأخذ عنه جماعة.

مات في رجب سنة أربع عشرة وخمسمائة.

ذكر ذلك ابن مكتوم في تذكرته، ومن خطّه نقلت.

[٧]**

ابن الأبرش

أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون الأندلسيّ الشنتريني.

قال في الريحانة: كان إماما في العربية واللغة، له حظّ في الفرائض، يستظهر كتاب سيبويه، وأدب الكاتب، والمقتضب، والكامل.

روى عن أبي الربيع الضرير، وأبي علي الغسّاني، وابن الباذش، وعاصم بن أيوب الأديب.

روى عنه أبو الوليد بن خيرة القرطبيّ، وبه تدرّب في اللسان وتخرّج.

وكان من أهل الزهد والانقطاع إلى الله تعالى قانعا باليسير، لا يدخل في ولاية،

---

[*] انظر ترجمته في: الغنية: معجم شيوخ القاضي عياض: ١٧٧-١٧٨. الصلة: القسم الثاني: ٤٢٥. بغية الملتمس: ٢/٥٥٣. إنباه الرواة: ٢/٢٨٨-٢٨٩. الوافي ٢١/١٥١. البغية: ٢/١٧٤.

[**] انظر ترجمته في: الغنية: ١٤٩-١٥٠. الصلة: القسم الأول: ١٧٧، بغية الملتمس: ١/٣٦٠. إنباه الرواة: ٢/٢٨٨-٢٨٩. تحفة القادم: ٢٢/٢٣. الوافي: ١٣/٢٢٨-٢٢٩. البغية: ١/٥٥٧.

ولا إمامة، ولا إقراء في جامع. ودُعِيَ إلى القضاء فأنف منه وأبى، وكان له حظٌّ وافر من الحديث والفقه والأصلين.

مات بغرناطة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة. وأورد ابن مكتوم في تذكرته أنه مات بقرطبة في ذي القعدة. ومن شعره:

لو لم يكن ليَ آباء أسودُ بهم ... ولم يُثَبِّت رجالُ الغرب لي شرفا
ولم أنل عند مَلْك العصر منزلة ... لكان في سيبويهِ الفخرُ لي وكفى
فكيف عِلْمٌ ومَجْدٌ قد جمعتهما ... وكلّ مُخْتلقٍ في مثلِ ذا وَقَفا

وله يرثي جميلا غرق:

الحمد لله على كلّ حالْ ... قد أطفأ الماءُ سراجَ الجمالْ
أطفأه ما كان مُحْيياً له ... قد يطفئ الزيتَ ضياءُ الذبالْ

وأورد له صاحب المغرب:

حلفت وتشهد روحي بما ... أقاسيه من هجرك الزائدِ
فإن كنت تجحد ما أومئ ... وحاشاك تعرف بالجاحدِ
فإنّ النبيّ عليه السلام ... قضى باليمين مع الشاهدِ

وأورد له أيضاً:

أدرْ كأس المدام فقد تغنّى ... بفرع الأيك طائرهُ الصَّدوحُ
وهبَّ على الرياض نسيم صبح ... يمرُّ كما دنا سارٍ طليحُ
ومال النَّهرُ يشكو من حصاه ... جراحات كما أنّ الجريحُ

وله أورد ابن مكتوم في تذكرته:

لقد كنتُ أخشى أن تكون ملالةٌ ... فقد وقع الأمر الذي كنتُ أحذرُ
فلقِّنْ لساني إن لقيتك حجّةً ... فعند ارتحالك إن نسيتَ سأذكرُ

[٨]*

صدر الأفاضل

أبو محمد القاسم بن الحسين بن محمد الخوارزميّ.

قال ياقوت: صدر الأفاضل حقا، وواحد الدهر في علم العربية صدقا، ذو الخاطر الوقّاد، والطبع المنقاد، برع في علم الأدب، وفاق في نظم الشعر ونثر الخُطب، فهو إنسان عين الزمان، وغُرّة جبهة هذا الأوان.

وكان حنفيًا سُنِّيا ذا بهجة سَنيّة وأخلاق هنيّة، وبشر طلْق، ولسان ذلْق.

ولد في الليلة التاسعة من شعبان سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وأنشدني لنفسه بخوارزم سنة ستّ عشرة وستمائة:

يا زمرةَ الشعراء دعوةَ ناصحٍ ... لا تأملوا عند الكرام سماحا

إنَّ الكرامَ بأسرهم قد أغلقوا ... باب السماح وضَيَّعوا المفتاحا

قال الصلاح الصفديّ: كان الأولى أن يقول: لا تأملوا عند الأنام، وإلا فكيف يسمّيهم كراما، ثم ينفي عنهم السماح.

قال ياقوت: وأنشدني لنفسه:

أيا سائلي عن كُنْه علياه إنه ... لأُعطيَ ما لم يَعْطَهُ الثقلانِ

فمن يرهُ في منزل فكأنَّما ... رأى كلَّ إنسانٍ وكلَّ مكانِ

قال: وحدثني: قال: كتب إليَّ الصوفيّ المعروف بالصواب يسألني عن قول حسّان (رضي الله عنه):

فمنْ يهجو رسولَ الله منكمْ ... ويمدحُهُ وينصرُهُ سواءُ

---

[*] انظر ترجمته في: معجم الأدباء: ٥/٢١٩١-٢١٩٨. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦١١-٦٢٠) ٣٥٨-٣٥٩ وفيه أن اسمه هو: القاسم بن الحسين بن أحمد أبو الفضل الخوارزميّ. الوافي: ٢٤/٨٨-٩٠. الجواهر المضية: ٢/٧٠٣-٧٠٤. تاج التراجم: ٢٣٠. البغية: ٢/٢٥٢-٢٥٣.
ومن الدراسات الحديثة عنه الدراسة التي قدّم بها الدكتور عبدالرحمن العثيمين لتحقيق كتاب "التخمير" لصدر الأفاضل الخوارزمي. انظر: ١/٩-١١٩.

وقولهم: إنَّ فيه ثلاثة عشر مرفوعا، فأجبته:

أفدي إماماً وميض البرق منصرعٌ من خلف خاطره الوقّاد حين خطا
يبغي الصواب لدينا من مباحثه وما درى أنَّ ما يعدو الصواب خطا

الذي يحضرني في هذا البيت من المرفوعات اثنا عشر، فمنها:

قوله (فمن يهجو) فيها ثلاثة مرفوعات: المبتدأ، والفعل المضارع، والضمير المستكن. ومنها المبتدأ المقدَّر في قوله (ويمدحه) والمعنى: ومن يمدحه، فيكون هنا على حسب المثال الأوّل ثلاثة مرفوعات أيضاً. ومنها المرفوعان في قوله (وينصره) أحدهما الفعل المضارع، والثاني الضمير المستكن فيه. ومنها المرفوعات الأربعة في قوله (سواء) اثنان من حيث إنَّه في مقام الخبر للمبتدأين، واثنان آخران من حيث إنَّ في كلّ واحد ضميراً راجعا إلى المبتدأ.

فهذا يا سيدي جهد المقلّ، وغير مرجوّ قطع المدى من المكلّ.

قال الصلاح الصفديّ: بل المرفوعات ثلاثة عشر، والآخر خبر المبتدأ المحذوف المعطوف على قوله (مَن) في الأوَّل من قوله (من يهجو) و (من يمدحه) و (ومن ينصره) لأنَّه هو قرّر أنَّ في (يهجو) ثلاثة مرفوعات، وتحكَّمَ في قوله: إنَّ في (ينصره) مرفوعين. والصورة واحدة في الثلاث.

ومن تصانيفه: كتاب التجمير[1] في شرح المفصَّل، بسيط. السبيكة في شرحه، وسط. المجمرة في شرحه، صغير. شرح سقط الزند. التوضيح في شرح المقامات. لهجة الشرع في شرح ألفاظ الفقه. شرح المفرد والمؤلف. شرح الأنموذج. شرح الأحاجي لجار الله. عجائب النحو. السرّ في الإعراب. شرح الأبنية. الزوايا والخبايا في النحو. شرح اليمني للعتبي. المحَصِّل للمحصَّله في البيان. عجالة السفر في الشعر. بدائع المُلَح. خلوة الرياحين في المحاضرات.

(١) ضبط الدكتور عبدالرحمن العثيمين اسمَ الكتاب بالخاء، فجعله "التخمير" ورجّح هذا الضبط. انظر دراسته لتحقيق كتاب صدر الأفاضل في شرح المفصّل، وهو المعروف باسم "التخمير": ٦٣/١.

[٩]*

الأُبّذيّ

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشنيّ.

قال أبو حيّان في النضار: كان أحفظَ من رأيناه لعلم العربيّة، وكان يقرئ كتاب سيبويه فما دونه. قلت يوما للفقيه أبي إسحق بن زهير، والأُبّذي[١] حاضر: ما حدّ النحو؟ فقال: هذا الشيخ هو حدّ النحو.

قال الشيخ تقي الدين السبكيّ: يعني أنّه تجسَّد نحواً.

قال أبو حيّان: وكان في غاية الفقر على إمامته في العلم، ولِيَ إمامةَ جامع القيسارية، فارتفق بمعلومه.

مات في رجب سنة ثمانين وستمائة.

وقال ابن الخطيب في تاريخ غرناطة: كان نحويّاً ذاكرا للخلاف في النحو، من أحفظ أهل وقته لخلافهم، ومن العارفين بكتاب سيبويه، والواقفين على غوامضه.

ولم يكن تصرّفه كحفظه، أقرأ بمالقة، قرأ عليه ابن الزبير، ثم انتقل إلى غرناطة، فأقرأ بها إلى أن مات. انتهى.

وله من التصانيف شرحُ الجزوليّة، رأيت منه النصف الثاني في مجلد ضخم محشّى بخطّ ابن هشام[٢].

---

[*] انظر ترجمته في: الذّيل والتّكملة: السِّفر الخامس: ١/٢٩١. إشارة التّعيين: ٢٣٢-٢٣٤. البُلغة: ١٦٨. البغية: ٢/١٩٩.

(١) نسبة إلى أبّدة. شاعت بالذال المعجمة، ويجوز إهمالها.

(٢) نقل عنه السّيوطيّ في الأشباه في خمسة عشر موضعاً. انظر فهارس كتابه الأشباه والنظائر.

[١٠]*

ابن إياز

جمال الدين أبو محمد الحسين بن بدر بن إياز بن عبدالله البغداديّ. كذا ساق نسبه الحافظ تقي الدين بن رافع في تاريخ بغداد، وقال: كان أوحد زمانه في النحو والتصريف، قرأ على التاج الأرمويّ وقرأ عليه التاج بن السبّاك، وسمع من ابن القبيطيّ جزءا ولم يحدِّث به، وأجاز له الشيوخ، وكان دمث الأخلاق، وكتب عنه ابن الفُوَطيّ، وجماعة. ومن تصانيفه: قواعد المطارحة. والإسعاف في الخلاف.

مات ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجّة سنة إحدى وثمانين وستمائة.

وقال الصلاح الصفديّ: وَلِيَ مشيخةَ النحو بالمستنصريّة، وله مصنّفات في النّحو، منها كتاب المطارحة، جوّده، وكتب عنه ابن الفوطي وجماعة.

وقال الشرف الدمياطيّ: رأيته شابا في زيّ أولاد الأجناد يقرأ النحو على سعد بن أحمد البيانيّ.

وقال أبو حيّان: ابن إياز أبو تعاليل.

وقال ابن مكتوم: لا اطّلاع له على غوامض النحو.

ومن تصانيفه: شرح ضروري التصريف لابن مالك. وشرح الفصول لابن معطٍ.

وقال ابن مكتوم في جزء آخر من تذكرته: كان نحويًا ببغداد شيعيًا، قرأ عليه أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم عن أبي العزّ الموصليّ كتابَ اللُّمَع لابن جنيّ، والملوكيّ في التصريف، وأسند له الكتابة عن شيخه سعد بن أحمد الأندلسيّ عن أبي زيد السُّهَيليّ عن الإمام أبي بكر بن طلحة البيانيّ عن أبي القاسم محمد بن ثابت الثمانينيّ

(*) انظر ترجمته في: إشارة التّعيين: ١٠٣، وفيه أنّ اسمه هو: الحسين بن إياز، ووفاته سنة ٦٧٤. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٨١-٦٩٠): ٧٢-٧٣، وفيه أنّ اسمه الحسين بن إياز. الوافي: ٢١٢/١٢، وفيه أن اسمه الحسين بن إياز. البلغة: ٦٨ وفيه أن اسمه الحسين بن أبان، ووفاته سنة ٦٧٤. المنهل الصّافي: ٥/ ١٥٠-١٥١ وفيه أن اسمه الحسين بن إياز. البغية: ٥٣٢/١.

عن ابن جني.

وهذا الإسناد لا يمكن أن يصحّ، وأبو بكر بن طلحة البيانيّ رجلٌ مجهول، وعلى تقدير أن يكون معروفا لا يمكن أن يروي عن أبي القاسم الثمانينيّ.

كتبتُ ذلك من خطِّ شيخنا أبي حيّان. انتهى.

[١١]*
صاحب الإيضاح البيانيّ

قاضي القضاة جلال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن دلف بن أبي دلف العجليّ القزوينيّ الشافعيّ العلامة ذو الفنون.

قال الصلاح الصفديّ في تاريخه: ولد بالموصل سنة ستٍّ وستين وستمائة، وسكن الروم مع والده، وولي بها قضاء ناحية، وله نحو من عشرين سنة، وتفقَّه وناظر واشتغل بدمشق، وتخرَّج به الأصحاب، وناب في قضاء دمشق لأخيه إمام الدين سنة ستٍّ وتسعين، وأخذ المعقول عن شمس الدين الأيكيّ، وغيره، وسمع الحديث من الشيخ عزِّ الدين الفاروثيّ، وطائفة.

وولي خطابة الجامع الأمويّ مدّة، ثم ولي قضاء دمشق، ثم طُلِبَ إلى مصر، وولي

(*) انظر ترجمته في: العبر: ٤/١١٣. الوافي: ٣/١٩٩-٢٠٠. أعيان العصر: ٤/٤٩٢-٤٩٩. مرآة الجنان: ٤/٢٢٥-٢٢٦. طبقات الشافعيّة الكبرى: ٩/١٥٨-١٦٠. طبقات الشافعيّة: ٢/١٦٧. طبقات النّحاة واللغويّين: ١٦٣. الدرر الكامنة: ٤/٣-٤. النّجوم الزّاهرة: ٩/٢٣٤. الدُّليل الشّافي: ٢/٦٣٤. العقد المذهّب: ٤٢٠. البغية: ١/١٥٦-١٥٧. شذرات الذّهب: ٦/٢٩٧-٢٩٨. البدر الطّالع: ٧٠٠-٧٠١.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- القزوينيّ وشروح التّلخيص.

قضاء القضاة بالديار المصريّة سنة سبع وعشرين وسبعمائة، وعظم شأنه، وبلغ من العزّ والوجاهة ما لا يُوصَف، وحجَّ مع السلطان، وكان إذا جلس في دار العدل لم يكن لأحد معه كلام، وحصل للناس به رفق كثير، وتيسّرت لهم الأرزاق والرواتب والمناصب بإشارته.

وكان حسن التقاضي لطيف السفارة، لا يكاد يُمنَعُ من شيء يسأل فيه، وكان فصيحا حلو العبارة مليحَ الصورة موطأ الأكناف سمحا جوادا حليما جمَّ الفضائل حادَّ الذهن، يراعي قواعد البحث، يتوقّد ذهنه ذكاءً.

وكان يخطب بجامع القلعة شريكا لابن القسطلانيّ، ثم أعيد إلى قضاء دمشق سنة ثمانٍ وثلاثين، فتعلَّل وحصل له طرف فالج، ثم توفي في منتصف جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، وكثر التأسّف عليه لما كان فيه من الحلم والمكارم وعدم الشرّ وعدم مجازاة الشيء إلا بالإحسان. وكان يحبّ الأدب ويحاضر به، وله فيه ذوق كثير، ويستحضر نُكَته.

وألَّف في المعاني والبيان مصنَّفا قرأه عليه جماعة بمصر، وهو تصنيف حسن سمَّاه "تلخيص المفتاح" وشرحه وسمَّاه "الإيضاح"، وكان يكتب خطًا حسنا.

وبالجملة، كان من كَمَلَة الزمان، وأفراد العصر في مجموعه، وكان يعظِّم الأرجانيَّ الشاعر، ويرى أنَّه من مفاخر العجم، واختار شعره وسمَّاه " الشذر المرجانيّ من شعر الأرّجانيّ"، وأجاز لي سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة. هذا كلّه كلام الصفديّ في تاريخه الكبير.

وقال في كتاب أعيان العصر: كان قاضي القضاة جلال الدين شريفَ الخلال منيفَ الجلال وارفَ الظلال صارفَ الملال طودَ علم وبحرَ حلم، يتموّج فضائل، ويتبرّج براهين ودلائل بذهن يتوقّد، ويدور على قطب الصواب كالفرقد، قد ملأ الزمان جودا، وجعل أقلام الثناء عليه ركّعا وسجودا، لم نرَ قاضيا أشبه منه بوزير، ولا إنسانا كأنَّه ملك وفي أثوابه أسد زئير، يجلس إلى جانب السلطان في دار عدله، ويغدو كالشمس

بين أهلّة أهله، مهما أشار به هو الذي يكون، ومهما حرّكه فهو الذي لا يعتريه سكون.

فـالأمـر مـردودٌ إلى أمـره وأمـرُه لـيس لــهُ ردُّ

جمع بين قضاء الشام والخطابة، وفاز بالمنقبين بالإصابة، وطلب إلى قضاء الديار المصريّة فسدَّ ما سدَّ، وعوَّذته مكارمه ﴿من شرِّ حاسدٍ إذا حسد﴾ [سورة الفلق، الآية ٥] وأقام هناك مدّة تنشر ألوية علومه، وتفضض على الناس سواكب غيومه، ثم إنّه عاد إلى الشام عود الغمام إلى الروض إذا ذوى، والبدر التمام إلى الأفق الذي حوله نجمه هوى، فجدَّد معاهد الفضائل والأفضال، وعمر غابه بالليث الحادر أبي الأشبال.

ولم يزل على حاله إلى أن زال ذلك الطود، وزلَّ وتقشَّع ذلك المطر والجود.

قال: وكتبت إليه أهنِّئه لما قدم من الحجِّ سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة:

من خصَّ ذاك البنان الغضَّ بالترفِ وزان ذاك القوام اللدن بالهيفِ
وضمَّ في شفتيها درٌّ بلسمها فراح من أحمر المرجان في صدفِ
وجلَّلَ الفرق فرعاً من ذوائبها والبدرُ أحسن ما تلقاه في الندفِ(١)
علقتها من بنات الترك قد غنيت بدمع عاشقها عن منة الشنفِ
يلقى المتيَّم من تثقيف قامتها ما لا يلاقيه كوفيٌّ من الثقفي
في حفظ سالفها للحُسن ترجمةٌ فاقتْ وما اتُّفقت للحافظ السلَفي
يا للهوى عينها عينٌ وحاجبها نون وتمُّ العنا من قدِّها الألفي
يا هذه إنَّ للأشعار معجزةً تبقى عن السلَفِ الماضينَ للخلَفِ
ضعي بنانك مخضوبا على جسدي الـ بالي ليجتمعَ العُنَّاب بالحشفِ
يا عاذلي في هوى عينيْ محجَّبة خفْ شرَّ ناظرها فالسرَّ فيه خفي
ودَعْ فؤادي ودعْه نصب ناظرها لا ترمِ نفسَك بين السهم والهدفِ
إني لأعجبُ للعذَّال كيف رأوا شخصي وقد رحت ذا روحٍ تردَّد في

(١) في أعيان العصر: (وحلّل)، (في السَّدف). انظر ٤/٤٩٦.

أليسَ يشـــغلهم طيبُ الثناء على | قاضي القضاة جلال الدين عن شغفي
وتسـتـفـزُّهم أفـراحُ مـقـدمـه | من حَجِّه وهو مثلُ الشمسِ في الشرَفِ
حَجٌّ غـدا حُـجّـة في الدهر ثابتـة | إن ينكسفْ نورها للشمس تنكسفِ
كم جاب في سيره والعيس قد سئمت | جذب البُرى والسُّرى في مهمهٍ قُذفِ
والرَّكبُ من فضله أو من فضـائله | مـا بينُ مـغْـتـرفٍ منه ومـعـتـرفِ
حتى نضـا طلب الإحرام ملبسـه | عن الهدى والندى والعلم والصلَفِ
وراح ذا جسـدٍ قـد طاب عنصـره | عـارٍ من العـارِ بالإحسانِ ملتحفِ
ما مسَّ طيبا وإن كان الحجيج بما | أثنَوا عليـه غـدوا في روضـة أُنفِ
وأَمَّ أُمَّ القــرى ذاتَ القــرار ومَن | يطلب رضى الله في تلك الديارِ كُفي
وطافَ بالبـيت فـارتاحَ المقـامُ له | لما تمسّك بالأسـتـار والسـجَفِ
فكلُّ ركنٍ إذا حـــاذه منكبـــه | يود لو كـان عنه غـيـر منعطفِ
وراح فـي عـرفــاتٍ واقــفـا ولــهُ | عُـرْفٌ يسـيـرُ به عـرقٌ ولم يقفِ
وفي مِنى كم أنال الطالبين مُنى | أمسَوا بها عن سطا الأعداء في كنَفِ
وجاء طيبـة يقضي حقَّ سـاكنها | ومــثل ذمــتــه تُرعى له وتفي
وزار مَنْ لم يزل في نصـر ملّتـه | وشـرعِه بالقضـا يا خيرَ مـعـتكفِ
هذا الإمـامُ الذي ترضى حكومتُه | خلاف ما قاله النحويَ في الصُحفِ(١)
حبرٌ متى جالَ في بحثٍ وجاد فلا | تسـأل عن البحـر والهطّالة الوكفِ
له على كلِّ قــول بات ينصــره | وجـهٌ يصـانُ عن التكليف بالكَلَفِ
قـد ذبَّ عن ملّة الإسـلامِ ذبَّ فـتى | يحمي الحِمى بالعوالي السُّمر والزَّعفِ
ومـذهـب السُّنَّة الغـرّاءِ قـامَ به | وثقف الحقَّ من حـيفٍ ومن جنَفِ
يأتي بكلِّ دليل قـد جـلا جـبـلا | فليس ينسـفـه مـا مـغلط النسـفي

(١) إشارة إلى بيْت الفرزدق الذي يتداوله النّحاة شاهداً على أل الموصولية، وهو:
ما أنت بالحكم التّرضى حكومته | ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

وقد شفى العيَّ لما بات منتصرا | للشافعي برغم المذهب الحنفي
يحيي دروس ابن إدريس مباحثه | فحبذا خلف منه عن السلفِ
فما أرى ابن سريح إذ يناظره | من خيل ميدانه فليمضِ أو يقفِ
ولو أتى مزنيُّ الوقت أغرقه | ولم يَعُدْ قطره في سُحبه الذُّرفِ
وقد أقام شعار الأشعريّ فما | يشكُّ يوما ولا يشكو من الدنَفِ
وليس للسيف حدٌّ يستقيم به | ولو تصدّى له ألقاه في التلَفِ
والكاتبيُّ غدا في عينه سقمٌ | إذ راح ينظر من طرفٍ إليه خفي
من معشر فخرِهم أبقاه شاعرهمْ | في قوله "إنّما الدنيا أبو دلفِ"[(١)]
هو الحفيُّ بما يوليه من كرمٍ | فما جرى قلم في مدحه فحفي
لو شاء في رفعة من مجده وعلا | لمدّ نحو الثريا كفُّ مُقتطِفِ
قد زان أيامه عدلٌ ومعرفة | فسعدُه في دوامٍ غير منصرفِ
يغدو الضعيفُ على الباغين منتصرا | ولم يكن قبله منهم بمنتصِفِ
لو يشتكي النهر ميل الغصن عنه مع الـ | ـصبا إليه رمى عطفيه بالقصفِ
بل إن شكا الدهر خصم من بنيه غدا | من خوفه بين مرتجٍّ ومرتجفِ
دامت مآثره اللاتي أنظمها | تهدي لسمع المعالي أحسن التحفِ
ما رسختْ عذَباتُ البان سانحة | من الصبا وشفتْ صبّاً من الأسفِ

قال: فكتب هو إليّ: يا مولانا هذه الأبيات التي تفضلت بإرسالها، وأنْبطْتَ معين زلالها، ما أقول فيها إلا أنها ذهب مسبوك، أو وشي محبوك، أو ستر ظلام عن الذراري مهتوك، أو دمع مسفوح من صبّ دمه في الحبّ مسفوك، قد رقّ وراقَ وراع، وأمال الأعطاف وشنَّف الأسماع، وتألق في دياجي سطوره برقُ معناه اللماع، كم قد تلعَّبتَ

(١) إشارة إلى قوْل علي بن جبلة في مدح أبي دلف العجليّ:
إنّما الدنيا أبو دلَفٍ | بين مغزاهُ ومحتضرهْ
فإذا ولّى أبو دلَفٍ | ولّت الدنيا على أثرهْ
انظر: ديوان علي بن جبلة: ٦٨.

فيه بضروب الفنون، وخضت من أنواع العلوم في شجون، أخملتَ أرجَ الخمائل من الأرجاني، وأهنتَ ما عزَّ من أبكار ابن هاني:

وأخــذت أطراف الكلام فلم تدعْ قــولا يقــال ولا بديعــا يدّعى

فكذا فليكن كلام الأفاضل، وكذا فليكن من يناظر أو يناضل. لقد تفضّل مولانا بأوصافٍ هو أحقُّ بها ممن وصفه، وأولى بأنْ يجعل إليه مرجعه ومصرفه، ومن تمام الإحسان العميم والبرِّ الجسيم قبولُ ما جهّزه المملوك صحبة محكم القاضي ضياء الدين فإنَّه نزر، وما يقابل من هذا مدُّه بهذا الجَزر، والله تعالى يمتّع الزمان وأهله بهذه الكلمات، ويمدُّ بعونه في الحركات والسكنات.

وقال الأديب جمال الدين بن نباتة في كتابه سجع المطوق في ترجمته: هو الإمام المقدَّم على التحقيق، والغمام المنشّأ في مروج مهارقه كلّ روض أنيق، والسابق لغايات العلوم الذي خلى له دونها عن الطريق، والبازي المطلّ على دقائقها الذي اعترف له بالتقصير ذوو التحليق، والهادي لمذاهب السُّنَّة الذي يشهد البحث أنْ نجار فكره عتيق، والحبر الذي لا يدّعي نفحات ذكره الصحيح الزهرُ والصحيحُ أنَّها أعطر من المسك الفنيق، ناهيك به من رجل على حين فترة من الهِمَم، وظُلمة من الدهر لا كالظُّلَم، أطلعه الشرق كوكبا ملأ نوره الملا، لا بل بدرا لا يغتر بتواضع أشعته الأعلون فيشرئبّون إليه، لا بل صبحا يحمد الطالب لديه مسراه، لا بل شمسا يتمثّل في شخصه علماء الدهر الغابر، فكأنَّ مَرآه مِرآة ما تصوّر في حشا محراب مثيله، ولا قوبل بمثل طلعته الملقية شعاعها عليه فكأنها قنديله، ولا هزَّ فروع المنابر مثل نسمات كَلِمِه، ولا ضمَّ ذو خطابة كيده إلى جناح علمه.

وهو الآن بدمشق غرّة وجهها المتهللة، ودرّة قلادتها المفصّلة، وشيخ طَلبتِها الذين هم لمدارس العلم عَمَرة، ولفنونها نقَلَة، ونزيلها الذي شرف حلالها، ولطّف خلالها، وكشف عن السعد وجلالها، وجلا وقتها الذي ابتهجت به، فأدام الله بهجتها، وحرس

جلالها، ونفس محاسنها الحسنة النفائس، وأنس معالمها المعمورة من مساجد ومدارس، وفارس منبرها الذي ترجّلت من أجله ألسنة العرب لفارس، وآية العجم التي لا تنسخ لمثلها، ونادرته التي سلّمت لها الأعراب فصب خصلها وفصلها، وروضة الانتجاع التي تقيد نظر المجتاز، وكعبة العلم التي ليس بينها وبين الطالب مجاز، فأكرمْ به من حاضر! لو فاضل فصحاء البدو الأُوَل لفضلت ولسئلت بنات خواطرهم الموءودة عجزاً: ﴿بأيِّ ذنب قُتلتْ﴾ [سورة التكوير، الآية ٨] ولابتغوا نفقا في الأرض حين ابتغى لفظه في السماء سلُّما، ولأفلسوا مما وجد فكان من الإعجام من تتفق اللفظ سرفا، ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق معزما، فتعالى من أبرز له الفضل من حجابه، وأمدّه بما نزل من الحجى به، وخصّه بإلانة حديد القول وإمامة القوم، فأهلا بداود ومحرابه، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من خلقه، وهذا ما كان يُرتقب من حرّ القول قد دخل تحت رِق رقّه ما شئت من حكم تحيّر الحفّاظ، وخطب كل محفل بإعادة ذكرها قيس وعكاظ، ومن تصانيف احتوت على غرر الكلام وأوضاحه، وتواليف ملأت باب البيان وحسبها تلخيص مفتاحه إلى غير ذلك من همّة مِلاية، وصيانة تلاية، ونفس لها على تقريب الوصف بالمحاسن إحاطة فلاية، وليس لله بمستنكر أن يجمع العالَمَ في واحد، فالله تعالى يصون مجده العليّ من حوادث الزمان، ونغنى بآثار تصانيفه البيض عن تصانيف قوم كخضراء الدِّمَنِ، ويحفظ ذمار العلوم ببقاء شخصه الذي إن لم يكن هو لها فمن؟

قال: ومن مدائحي فيه:

يا بروقاً على رُبى يبرين ... أيّ بِيض أغمدتَ بين جفوني

نحرت نصلك الكرى فلهذا ... سال من وجنتي دمٌ من شؤوني

وحكت رونق الثغور الى أن ... ضحكت بالبكا ثغور العيونِ

أه للثغر والفم العذب أمسى ... منهما العقل بين ميم وسينِ

وغرير ما زلت ألقى الهوى فيـ ... ـه بدمعٍ وافٍ وصبر خؤونِ

ودیارٌ من الأحـــبـــة أقــوت فـصـداها لبـعـدهم كـالأنينِ
درست فــهي لا تُبــيِّن إلاّ بالأسى تستـفـزّ قلب الحـزينِ
أو أرى في أراكـهـا ضـوء ثغـرٍ كلمـا ضلّ رسـمـهـا يهـديني
مـعـهـد طالما نعـمت وعـيـشي مـسـتـمـاح اليـدين غـيـر ضنينِ
بغـصـونٍ من أرضـه كـقـدودٍ وقـدودها من أهله كـغـصـونِ
وجنان الخلود يفـتح منهـا اللـ ثم صـدغـاً يظلّ كـالزرفينِ
كنت فـيـهـا أثرى الأنام من الصبـ وة واللهـو والصـبـا والجنونِ
بـين راحٍ مـن الأبـاريـق مـكـ ـيـول ولفظ من الغنا مـوزونِ
ذاك عـيش مـضى عزيزا فـلا غـرْ وَ لعـينٍ تبكي بمـاءٍ مـهـينِ
ووجـوه مـثل الدنانيـر قـد عـا جلهـا دهرها بصـرف المنونِ
ثم زال الصـبـا ومن كـان يصـبي وشـجوني كما سمعت شجوني
لست أسلو تلك المحـاسن حـتى يتـسلى الندى جـلال الدينِ
ملتقى القصد من تقى المدح مهوى الـ وفـد سمّ العـدو غـيـظ القـرينِ
بحـرُ فـقـهٍ وإن تشـأ فـابن بحـر في ضـروب البـيـان والتـبـينِ
وخطيب يكفي الخطوب بلفظٍ يسـتـمـيل الصـخـور بالتلينِ
سـاجـع يورق المنابر مـيـسـاً فـتلذّ الأسـجـاع فـوق الغـصـونِ
وإمـام المحـراب يشـهـد قلمٌ حــازه أنّه إمـام الفـنونِ
وسـريّ ضـاهى الهـلال ارتفـاعـاً وضـيـاء بعـزمـه المسـتـبينِ
سـاور الفـرقـدين عنه إلى أن أسلمـاه وتله للجـبـينِ
ضـاع مـدحٌ يهـدى لغـيـر عـلاه ضـيـعـة البكر في يد العنينِ
فـعلت راحـتـاه في كلّ عـسـرٍ مـثل فـعل المضـاف في التنوينِ
كل يوم فـتـوةٌ وفـتـاوٍ منقـذات الجـهـول والمسكينِ
شـبـه الناس وجـوده بالغـوادي كـاشـتـبـاه الهـلال بالعـرجـونِ

هكذا يفخر المحاول فخراً ليس حسن الوجوه كالتحسين
شرفٌ في تواضعٍ واحتمال في اقتدارٍ وهيبةٌ في سكونِ
[وَهَنَ الشهب في العلا وانثنى من عَدَم العجْب وهو كالموهونِ
ورقى فوقها إلى أن أتى منـ ها بلفظٍ زاهٍ ورأيٍ رصين][(١)]
لجأ الفضل من علاه لطودٍ مشمخيٍّ سامي المنال ركين
ويراعٍ قد كان مرباه قدماً في عرينٍ يسقى بغيثٍ هَتونِ
فلهذا في الجود حاكى حبا الغيـ ـث وحاكى في البأس أسد العرينِ
فيه سحرٌ يبين عنا شكوكاً أيّ سحرٍ كما رأيت مبينِ
ووقى كلّ أمرٍ جلب القصـ ـد لعلياه غير ما مغبونِ
من أناسٍ سادوا وشادوا معاليـ ـهم بشدٍّ عند الفعال ولينِ
مثل بيضٍ من الظُّبا رونقاً في صفحاتٍ وحدّة في متونِ
ملكوا راية البيان وحلّوا عنق الدهر بالكلام الثمينِ
أيها العالم الذي حصّن الدّ ين بأوراق كتبه في حصون
أمر الله أن تسود ويزهى حينك المجتلى على كل حين
فابق سامي المحلّ هامي العطايا سابق المجد دائم التمكين
واجتل البكر من ثنائي لا تحتا ج من واصفٍ الى تزيين
أنت أولى يا بحر علمٍ وبرّ كل وقت بمثل هذي النون
سلكت راحتاك ما استصعب النا س من الجود والعلى في الحزون
أصل هذي الأنام ماءٌ ولكن أنت من رائقٍ وهم من أجون

قال: وكتبتُ إليه في يومٍ مُثلجٍ: يا مولانا، صبَّحك اللهُ بكلِّ صَبيحةٍ بيضاءَ لا من هذه الثلوج الملحة، وكلّ غنيمة باردة لا من هذه الليالي المدلهمة، وكلّ ثغر باسم لا أعني هذه البروق اللامعة، وكلّ ضرع حافل ولا أرضى هذه السّحب الهامعة، وسقى ديارك

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان ابن نباته.

غير مفسدها، كيف أنتَ في هذا الجليد الذي أذاب قلب الجليد، وهذه الرحمة التي أوقعتنا في العذاب الشديد، وهذا البرد الذي لا تقوى الأجساد عليه إذا كان يقوى على البرد الحديد، وهل عندك خبر من حال مغترٍّ مغترب مضطرٍّ مضطرب ساجد من شدة الهول مقترب.

أمّا أنا فقد تحصّنتُ في هذه الواقعة بظلٍّ السّماء ذات البروج، ولبست السنجاب الأبلق إلا أنّه من زرقة الجسد وبياض الثلوج، وتقاويت وما قوة من أشاته الضريب صورة ومعنى، وعاينت الموت فليت الأيام أتاحت من الثلج قطنا، وجربت قول العربي المقرور «إنّ الحَسَب ليدفيني» فما وجدت الحَسَبَ إلا يدفنني، واستصوبت قول الآخر وقد رأى أعرابيا عريانا في مثل هذا اليوم ينشد:

كساني عامرٌ وكسا بَنيه عِطاف المجد إنٌ له عطافا

فقال: والله إنَّك إلى عطاف وعباءة أحوج منك إلى هذا العطاف، وهذا وقت عاطفة من كرم مولانا تغطي على هذا الشين وتُنصِف من هذا البلد الذي لا أزال فيه بين برد جسد وسخنة عين، وإرسالها من ملابسه الشريفة وثيرة الجوانب قوية المناكب أكفّ بها هذه العبرات والعبر، وأخلف قيس بن عاصم فأصبح سيد أهل الوبر، والله تعالى يعين على هذا القطر وقطاره، والأفق ومطار أمطاره، ويغنينا عن هذا البرد، وإن كان لؤلؤا منثورا، وهذا السقيا وإن كان مزاجها من الثلج كافورا.

وقال الأديب شمس الدين محمد بن يوسف الخياط يمدح الجلال القزويني في رجب سنة عشرين وسبعمائة:

هذا مصيفهم وهذا المربعُ فعلامَ لا تحكي العقيقَ الأدمعُ
ساروا وأسى بينهمْ عندي أسى وصبابة حنيتْ عليها الأضلُعُ
ولقد وقفتُ بدارهمْ مستخبراً لو أنّ داراً منهمُ بي تَسمعُ
وسألتُ أربُعَهم ورُمتُ إجابةً ومتى أجابتْ سائليها الأربُعُ
رحلوا وبين حمولهمْ شمسُ الضحى لكنّها شمسٌ عليها بُرقُعُ

لم أنسَها إذ أومأتْ ببنانها في موقفٍ فيه اللسانُ الأصبعُ
وطلبتُ ردَّتها فقيل ليَ اتئدْ ما أنتَ يا هذا المتيَّم يوشَعُ
يا صاحبيَّ قفا فثمَّ منازلٌ ليْ مطمح بخيامهنَّ ومطمعُ
فتمهّلا ليَ ساعةً تريا معيْ في الحيِّ بدْراً من هلالٍ يطلعُ
قمر ولكنْ دونهُ من قومه عدَد النجوم الزّهْر سمْر شُرَّعُ
وأسود حربٍ كالأسودِ خوادرٌ تحميه من لحْظ العيونِ وتمنعُ
لا يحذرَنَّ مِن المنية عاشقٌ دون المنى فلكلِّ حيٍّ مصرعُ
قد كدتُ أخفى بالضنى عن عابدي لولا حنينٌ في البكاء مرجّعُ
وأرَقَ حسّادي عليَّ توجّعي لما رأوا أنّي كئيبٌ موجَعُ
ما كنتُ أقنع بالزيارة منهمُ حتى بقيتُ بزُورِ طيفٍ أقنعُ
ولو انّهم عطفوا لكنت أبثّهمْ شكوى يكاد لها الصّفا يتصدّعُ
من مبلغ الرشأ الرشيق إذا انثنى أني بغصن القدِّ منهُ مولعُ
لم يذكرِ المشتاق يوم مقالِع وجْداً به لولا الغزالُ الأتلعُ
ولذاك حمّله الكئيب من الهوى ثقلاً وجرّعه الدموعَ الأجرعُ
ولرُبَّ ليلٍ بِتّ أرقبُ نجمهُ حتى الصباحِ وما لجنبي مضجعُ
سهران لا من علّةٍ لكنّه من سارِ في طلب العُلى لا يهجعُ
ومُصاحبي طيفٌ يكِلّ عزائمي أسرى من البرق اللموع وأسرعُ
يعدو فيقدح سنبكاهُ في الحصى فيكاد يلتهب الثرى واليرمعُ
أرمي الفِجاج بهِ فيذرعُ طولَها والعرْضَ ساقاهُ وتلك الأذرُعُ
للهِ منهُ أربعٌ دانت لمنْ يعلو قراه بها الرياح الأربع
أنضاه مني نِضو أسفارٍ لهُ عزم يضيق به الفضاء البلقعُ
سارتْ أمام همومه هِمّاتُه حتى لغُصّ بها الطريقُ المهيعُ
ولكمْ فرعتُ على خُطاه محلّة عذراً فكانت صحبة ما تفرعُ

وأراد حسّادي لحاقي فانثنَوا | ومطيّهم للعجز حَسْرى ظُلَّعُ
ما زلتُ أختبر البرايا ناقداً | لهمُ بعينِ فراسةٍ ما تُخدعُ
حتى لقد ألوى بعزمي عنهمُ | ألوى أغرَّ من الرجال سَميدعُ
وإلى جلال الدين أوصلني سرى | أمل يخبّ إلى الكرام ويُوضِعُ
فلجأتُ منه إلى إمامٍ أروعٍ | إن قال واصفهُ إمامٌ أروعُ
حَبْرٌ إذا عقد المسائلَ عاقدٌ | ألفيته في حلّها يتنوّعُ
وإذا الفتاوى أشكلتْ وتراجعتْ | عنها الورى فإليه فيها يُرجَعُ
يجلو ظلام المشكلاتِ إذا بدا | للخلْق صبحُ ذكائه المتشعشعُ
وإذا تكلم في المحافل تجتلي | حِكَم يشيب لها الوليد المرْضَعُ
يهدي إلى طرق الصواب من الخطا | بالفضل منه براعةٌ وتبرَّعُ
طَبٌّ بتدبير الأمور مهذَّب | فيه أناةُ مجرّب وتسرّعُ
ثبْتٌ إذا ما الخطب زعزع يذبلاً | فجَنانُه بالحلم لا يتزعزعُ
يزجي سحائب للمعاني فكرُه | فيها بوارقُ للفوائدُ تلمعُ
فإذا دنتْ وأراد صوب صوابها | فعلى الأقاصي والأداني تهمعُ
ما في جميع العالمين مفرّقٌ | من كلِّ علمٍ فهو فنّه مجمعُ
إنْ أخرس الفصحاء خطبٌ فادح | من هوله فهو الخطيب المصقعُ
علامة العلماء والصدر الذي | في صدره للعلم بحرٌ مترعُ
لبسَ المهابة منه فارسُ منبرٍ | بسوى الفضائل قطّ ما يتدرّعُ
يجلو على الأسماع زاجرَ وعظه | فتلين قاسيةُ القلوب وتخشعُ
ويهزّ أبيّة النفوس فترعوي | ويُسيلُ جامدة العيون فتدمعُ
تبدو عليه من الوقار سكينةٌ | أبصارنا بجلالها تتمتّعُ
يعلو مقاماً ليس يعلوه امرؤٌ | إن لم يكن بعلومه يترفّعُ
تهتزّ أعواد المنابر تحته | طربا به لما يقوم وتسجعُ

وترى البـرايا منه وجـهـاً أبيضـا ... وشــعـــارُه لون عليــه أســفـعُ
ومن العـــجــائب أنْ حــواه منزلٌ ... في صـدره منه الخـلائق أجـمـعُ
قـاسـوا سـواه به سـفـاهـا منهم ... والنبعُ ليس به يُقــاس الخـــرُوعُ
كـالبـحر فـيه عجـائب مـا تنقضي ... كـالطود مــروة عــزّه مــا تُقــرعُ
كـالسـيف لكن للمـوالي صـفـحـه ... والحـــدّ منه في المعـــادي يقطع
كـالسـمــهـريِّ مـثـقّف يردي إذا ... طـعـن الخـطـوب بـرأيـه أو يـردع
كـــالغـــيث إلا أنّ ســحب نوالـه ... عن قـــاصـدٍ ومـــؤمّلٍ مـــا تقلعُ
كـــالليث إلا أنّه فـي بأسِـــــهِ ... أضرى من الليث الهصور وأشجعُ
كـالشـهـد طعمـا للصـديق مـذاقـه ... لـكـنـه لـلـضــــــدّ سُـمٌّ مـنـقـعُ
يا رائد الإحـســـانِ يمِّمْ ربعـــه ... فـــهناك روض بالوفـــود ومنجعُ
وعلى جـــلال الدين نور جـــلالة ... عنهـــا بروق الألمعـــيـــة لُمَّعُ
يعطي ولا تفنى العلوم كـــأنّمـــا ... في قلبـــه منهـــا قليب ينبعُ
أقـــلامـــه مـــشكورةٌ آثارُها ... في كلّ خطبٍ فـــعلُهـــا يتـــوقّعُ
يتـــألم الحـــسّـــاد من لدغـــاتهـــا ... فكأنهـــا فـــيـــهم أراقم تلسعُ
ولـهـــا سطور في الطروس كـأنما ... روض الربيع بهـا مـقـيمٌ مـربعُ
لم يدرِ هل دُرر على أرجـــائهـــا ... أم فـــوقـــهـــا زهر الدراري وُقَّعُ
نفـعتْ وضـرّت في رضـى وحـفـيظة ... بجـوار كفّ فـتـى يضــرّ وينفعُ
من أســرة ذهبــوا وطيب ثنائهم ... مـثل اللطيـمـة نشـرها يتـضـوّعُ
ذبّوا عن الشرف الرفيع ودافعوا ... فلذاك شـــاهدُ فـضـلهم لا يُدفعُ
كـانوا لفـرط الجـود يعطون الغنى ... إن جـاءهم يومـا فـقـيـر مُـدْقعُ
كـرمت أصـولهم فطابت واعـتلتْ ... حـتى غـدتْ فـوق النجـوم تفـرّعُ
كـانوا إذا اسـودَّ الزمـانُ بحـادثٍ ... بِيض الوجـوه لهم ضـيـاء يسطعُ
من كلّ قـــاضٍ فـــاضلٍ أحكامـــه ... للعـــدل قـــائمـــة تُسنّ وتشـــرّعُ

أودى الزمان بهم وكان لعزّهم ... والبأس حادثه يذلّ ويخضعُ
وغدا جلال الدين جامعَ فخرهم ... بمناقبٍ هي للمفاخر مجمعُ
يحمي علاهم من بنيه بعصبة ... مرآهم مستحسنٌ والمسمعُ
فكأنّه وكأنهم من حوله ... شمس تحفّ بها بدورٌ طُلَّعُ
يا أوحداً هو بالفضائل أمّة ... لله سرّ في جلالك مودَعُ
جمّعت أشتات العُلى بمكارمٍ ... لولاك أوشك شملها يتصدّعُ
فغدا بجدّك حاسد لك قاصر ... عمّا حويت من الفخار ومدقعُ
حيران يجهد خاف عزمك نفسه ... جهلاً ويتعبُ من لسيرك يتبعُ
يبغي منالك في العلاء وجاهل ... من كان في نيل الكواكب يطمعُ
يا من فناء نواله لعفاته ... رحبٌ على ضيق الزمان موسعُ
يا من لنا والعام جدب مسنتٌ ... من جوده مرعى خصيب ممرعُ
ولنا إذا شحّ السحاب بمائه ... في ساحتيه من المواهب مكرعُ
إني قصدتك بالقريض وخاطري ... وجلان يرجو العفو منك ويجزع
وقرعت باب جنابك العالي وما ... أنا من تراه لكلّ بابٍ يقرعُ
ورأيتُ فيك مواضعاً لمحامدي ... وسواك ما فيه لحمدي موضعُ
فعسى أنال الأمنَ عندك والمنى ... فحماك للفزع المروّع مفزعُ
فازرعْ جميلاً سوف تحصده فما ... خاب امرؤ للبرّ عندي يزرعُ
كم ذا أطاولُ قاصرين عن النُهى ... متشاعرين وهم سَوام رُتَّعُ
من كلّ قدم لو يكون ثنيّة ... للعمر كان ثنية ما تطلعُ
هو في جهالته بُطين في الورى ... مع أنّه من كلّ علم أنزعُ
ما زال يخطئ في المقال ويدّعي ... فيه الصواب وكلّ يوم يُصفَعُ
حتى لقد لزم السكوتَ لسانُه ... لما تكلّم ليتُه والأخدعُ
أو أحمقٌ لو أنّه شمس لما ... كانت أشعتها علينا تطلعُ

مـتـصلف في مـشـيـهِ وكـلامِـه ولبــاسِــه بين الورى يتــصنَّعُ
لم يفـهم الإنسـان مـا هو قـائل حـتى يفـهَمَ مـا ينقّ الضـفـدعُ
فـاقـبلْ هدية شـاعـر يزهو لـهـا بُردٌ عليك من الثناء مـوشعُ
سفرتْ لديك ولا سفير لها سوى أني إليك بحـسنهـا أتشـفَّعُ
لكنهـا قـد زاد منك حـيـاؤها فـغـدت بفـضل ردائهـا تتلفَّعُ
فلعل تحظى بالقـبـول فـإنّهـا في السـرّ داعـيـةٌ لكم تتـضـرّعُ
مـدحي لكم يبقى على طول المدى وسـواه مـثل غـيـابة تتـقـشَّعُ
فـاظفـرْ به واسلمْ ودُمْ مـا غـرّدت ورقاد تصدح في الغصون فتصدعُ

وقال جمال الدين بن نباتة يمدح الجلال القزويني:

سـقى حِـمـاكَ من الوسـميِّ باكـره حـتى تبـسّم من عـجبٍ أزاهرهُ
يا دار لـهـوي لا واشٍ أكـاتمه ولا رقـيـبٌ بمغناهـا أحـاذرهُ
حيث الشبيبة تصبي كلّ ذي حورٍ سـيّـان أسـود مـرآها وناظرهُ
من كلّ مـحـتكمِ الأجـفـان يخـرجنا من أرضِ سلوتنا في الحبّ ساحرهُ
ظبي إذا شَـمْتُ خـديه ومـقـتله أذابَ لاهـبـهُ قلبي وفـاترهُ
يأوي إلى بيت قلبٍ فـيـه مـخـتربٍ فـاعـجبْ لمخـربِ بيتٍ وهو عـامـرهُ
ليـهنَ من بات مسـروراً بهـجـعـتـه إني عليـه قـريحُ الطرف سـاهرهُ
تجـري الدموع على طرف تـألّفـهـا فـاستسـهلت لمجاريها محـاجـرهُ
كم ليلةٍ بتّ أشكو من تطاولهـا عليّ والأفق داجي القلب كـافـرهُ
وأرقب الشـهبَ فـيـه وهي ثانيـةٌ كـأنما سـمَـرتْ منهـا مـسـامـرهُ
حتى بدا الصبح يحكي وجه سيدنا قاضي القضاة اذا استجداه زائرهُ
لله صـبحٌ تجلى للشـريعـة عن ذاك الجـلال لقـد جلّت مـآثرهُ
أفـدى البـريد وللتـقليـد في يده مـخلّق تملأ الدنيـا بشـائرهُ

يكاد يلمع مطويّ السطور به حتى ينمّ على فحواي ظاهرهُ
مسرّة كان طرف الشرع يرقبها ومطلب كانت العليا تحاورهُ
قاضي القضاة جلال الدين قد وضحت سبل القريض وصاغ القول ماهرهُ
هذي كؤس الثنا والحمد مترعةٌ باكر صبوحك أهنى العيش باكرهُ
واسمع مدائح قد فاه الجماد بها وقد ترنم فوقَ الأيك طائرهُ
ما أحسنَ الدّين والدنيا يسوسهما والطيلسان فلا تخفى مفاخرهُ
كأن أبيض هذا تلو أسوَد ذا عينُ الزمان الذي ما زاغ باصرهُ
حيث المقاصد في أبوابه زمراً فليس للدّهر ذنبٌ وهو غافرهُ
فاستجلِ طلعةَ ذي بشرٍ وذي كرمٍ كالغيث بارقه الساري فماطرهُ
تصبو لحبر فتاويه لواحظنا فما عيون المها إلاّ محابرُهُ
وينفذ الأمر كالسهم القويم فما تحيد عن غرض التقوى أوامرهُ
لا شيء أحسن من مرآه مقتبلاً إلاّ محاسن ما ضمت سرائرهُ
تجلو المهابة في ناديه رونقها فما نكاد بنجوانا نجاهرهُ
ويفهم السرّ من حاجات أنفسنا فما نطيق على أمرٍ نُساترهُ
يا حاكماً صانَ سوحَ الدين عاضدُه وفاز بالشرف المأثورِ ظافرهُ
وُلّيت بالعلم لا بالحظّ مرتبةً فاحكمْ بعلمك فيما أنت ناظرهُ
وانظر لحال غريب الدار مفتقر طال الزمان وما سدت مفاقرهُ
نعمَ الفتى أنت قد برّت أوائله في المكرمات وقد أربَتْ أواخرهُ
يمتّه دلفيّ الأصل منتسباً تأتي معاليه أن تخفي عناصرهُ
زَكا وأمكنه فعل الجميل فما في الناس لو قصرت جدواه عاذرهُ
ما بعد علياه ركنٌ أستجير به من الخطوب ولا بحرٌ أجاورهُ
لئن تفرّدَ بالعلياءِ سؤدده لقد تفرّد بالآداب شاعرهُ

وقال ابن نباتة أيضاً يرثيه:

كلُّ حيٍّ قـــاضٍ عليـــه زواله وإلى هذه الســـبـــيل مـــآلهْ
يا جــلالاً عن الزمـــان تقـــضّى عـــزّ ربٌّ قـــضى وجلّ جـــلالهْ
مـا اقـتـضى حظنا بقـاءك فـينا واحـــداً تشـــمل الأنام ظلالهْ
هـادياً للـنـدى ولـلـعلم ترجـى كلّ يومٍ أقـــواله وفـــعـــالهْ
أين ذاك الغـمـــام يدنو الى النا س ندى كـــفـــه ويعلو منالهْ
أين أحكامـــه وأين عـــلاه أين أقـــلامـــه وأين نوالهْ
قف بقبر الامام يا نادب الفضـ ـل وخلّ البكاء تهمي سجالهْ
وانثـر الدمع حـول مثـواه نثـراً مـثل مـا ينثـر الكلام ارتجالهْ
ودع الشـعـر كـان للشـعـر وقتٌ بنداه وقـــد تغـــيـــر حـــالهْ
وسـلا الصبّ واسـتـراح المعنّى لا صـــبـــاباته ولا عُــــذّالهْ
أقفرت ساحة العلى فبيوت الشـ ـعـر من بعـد بُعـده أطلالهْ
آه للطالبين علمـــاً ورفـــداً بعد مـا غـاض عزمه واحتفالهْ
طالب العلم فـيـه للنحـو نوْحٌ لا تسل عنه كيف أصبح حالهْ
طالب الجود مات من كان في الجـ ـود تباري يمنى يديه شمالهْ
طالب العلم مطلقـــاً خلّ عنه قـــيـــد العلم حـــزنه وكـــلالهْ
مـات من كـان ملتقى كلّ قـصـدٍ والى الله قـــصـــده واتكالهْ
عـجـبـاً من سـريره يوم أودى كـــيـــفـــمـــا أوْرَقت ورَقت ظلالهْ
عـجـبـاً من زمـانه حين ولى كـيـفـمـا سُيـرت ودكت جبالهْ
صـعـدت روحـه لأمـثـالها الزهـ ـر وفي الأرض أين أين أمـثـالهْ
فـتـهـاوت كـواكب الأفق تسـعى وانحنى يبـدأ السـلام هلالهْ
وعـدمنا نحن الندى ولقـينا يتـقـاضى وفـد الرجـاء جـلالهْ
يا له من مـصـاب دينٍ ودنيـا طال فـينا اشـتـغاله واشـتـعالهْ

شـاب كـالشـيخ طفله وبكا الأشـ ـيـاخ فـيـه كـأنهم أطفـالهْ
ونعت مـصـر والشـآم إمـامـاً طرزت مـجـد ذا وذاك خـلالهْ
كم مـقـام كـمـا سـمعت ملوكي ولديه تصـرّفت أفـعـالهْ
كم بيـمناه قـصـة قـد أجـيـبت وسـؤول بهـا أجـيب سـؤالهْ
كم قـريب دعـا به وبعـيـد وهـو هـامٍ يـد الـندى هـطّـالـهْ
كم أتتـني مع الركـاب لهـاهُ ووفت لي مع الزّمـان خـصـالهْ
لو بقـدر الأسى بكيت لسـالت مـهـجـة كم وفت لهـا أفـضـالهْ
في سـبـيل العلى غـمـامٌ تولى بعـد مـا أخـصب الورى إقـبـالهْ
هـكذا عـادة الزّمـان بنوه بسط ظل كـمـا ترى وزوالهْ
ودفـينٍ علـى بقـايا دفـين مـثل مـا قـال من سـرت أمـثـالهْ
كم إلى كم هذا التـغـافل منا عن يقين الردى وهذا التـبـالهْ
جـاد يا قـاضي القـضـاة ضـريحـاً كنت فـيـه غـيثٌ يسـرّ انهـمـالهْ
وجـزى الله جـود كـفك عنا وتـولاّك جـوده ونـوالـهْ
لك منّا نشـر النسـيم ثناءً ولنا بالأسى عليك اعـتـلالهْ

قـال القـاضـي تاج الدين بن السـبكيّ في الطبـقـات الكبرى في ترجـمـتـه: أفـتى القاضـي جلال الدين وهو خطيب دمشق في رجل فرض على نفسه لولده فـرضـا معيّنا في كلّ شـهر، وأذِنَ لأمّه حـاضنته في الإنفـاق والاسـتدانة والرجوع عليه، ففعلت ذلك، ومات الأبُ(١)، بأنّ لها الرجوع في تركته، وتوقّف فيه الشيخ بركات بن الفِركاح لقول الأصحاب: إنّ نفقة القريب لا تصير دَينا إلا بقرض القاضـي، أو إذنه في الاسـتقراض، فإنّ ذلك يقتضي عدم الرجوع، وقولهم: لو قال: أطعمْ هذا الجائع وعليَّ ضمانه استحقَّ عليه، ولو قال: أعتقْ عبدك وعليَّ ألفٌ، استحقَّ، يقتضي الرجوع.

قال ابن السبكيّ: والأرجح ما أفتى به القاضـي جلال الدين من الرجوع.

---

(١) في طبقات الشافعية الكبرى: الآذِن. انظر: ٩/١٦١.

[١٢]*

الأعلم

أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأندلسيّ الشنْتَمريّ بالشين المعجمة المفتوحة ثمّ نون ساكنة ثمّ تاء مثنّاة فوقيّة ثمّ ميم ثمّ راء.

كان عالما باللغة والعربيّة ومعاني الأشعار، واسع الحفظ، جيّد الضبط، كثير العناية بهذا الشأن، وكانت الرحلة إليه في وقته.

أخذ عن أبي القاسم إبراهيم الإفليليّ، وأبي سهل الحرّانيّ، ومسلم بن أحمد الأديب.

وأخذ عنه أبو علي الغسّانيّ، وابن الأخضر، وابن أبي العالية، وطائفة كبيرة.

وكان مشقوق الشفة العليا شقًّا كبيرا، ولهذا قيل له: الأعلم.

وله: شرحُ الجمل للزجّاجيّ. وشرح أبيات الجمل. وشرح الأشعار الستة. وشرح الحماسة، مطوّل.

وساعد شيخَه الإفليليّ على شرح ديوان أبي الطيّب[1]، ورتّبَ الحماسة كلّ باب منها على حروف المعجم.

وكُفَّ بصرُه في آخر عمره.

ولد سنة عشر وأربعمائة، ومات بإشبيلية سنة ستٍّ وسبعين.

---

[*] انظر ترجمته في: الصلة، القسم الثاني: ٦٨١، وفيه أن اسمه هو: يوسف بن عيسى بن سليمان. معجم الأدباء: ٦/٢٨٤٨. إنباه الرواة: ٤/٦٥-٦٧. إشارة التعيين: ٣٩٣. تاريخ الإسلام (وفيات ٤٧١-٤٨٠): ١٨١-١٨٢. سير أعلام النبلاء: ١٨/٥٥٥-٥٥٧. مسالك الأبصار: ٧/٢١٦-٢١٧. نكت الهيمان: ٣١٣-٣١٤. الوافي: ٢٩/٩٠. البلغة: ٢٩٣ وفيه أنّ وفاته كانت سنة ٤٤٦، وهو وهم. مرآة الجنان: ٣/١٢١-١٢٢. وقد سلكه في وفيات سنة ٤٩٦هـ/ البغية: ٢/٣٥٦.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- تقويم الفكر النحويّ عند الأعلم الشنتمري في ضوء علم اللغة الحديث.

(١) ناقش الدكتور مصطفى عليان هذه المسألة في سياق دراسته التي قدّم بها لتحقيق شرح شعر المتنبي لابن الإفليلي. انظر: شرح شعر المتنبي، الدراسة: ١/٦٥-٦٦.

فائدة:

قال الصلاح في تاريخه(١): قد عمل الناس حماسات كثيرة، منها الحماسة الكبرى لأبي تمام، والحماسة الصغرى له، وحماسة البحتريّ، وحماسة الأعلم الشنتمريّ، وحماسة الشجريّ، وحماسة ابن أفلح، وحماسة البياسيّ، وحماسة شُميم الحلي، وحماسة الجراويّ، وحماسة محمد بن خلف بن المرزبان، وحماسة الجصّانيّ، والحماسة البصريّة، والحماسة المحدثة لابن عمارس.

قال: وإنّما سُميت الحماسة لأن أوّلَ باب فيها هو باب الحماسة. من باب تسمية الشيء باسم جزئه.

[١٣]*

ابن الباذش

الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف بن محمد الأنصاريّ الغرناطيّ.

قال في تاريخ غرناطة: أوحد في زمانه إتقانا ومعرفة وتفرّدا بعلم العربيّة، ومشاركة في غيرها، حسن الخطّ، كثير الفضل، مشاركا في الحديث، عالما بأسماء رجاله ونَقَلَته مع الدين والفضل والزهد والانقباض عن أهل الدنيا.

---

(١) الوافي: ١١/٢٢٦.

[*] انظر ترجمته في: الغنية، معجم شيوخ القاضي عياض: ١٧٤-١٧٦. الصلة، القسم الثاني: ٤٢٥-٤٢٦. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي: ٢٨٠-٢٨٢. بغية الملتمس: ٢/٥٤٦-٥٤٧. تكملة الإكمال: ١/٢١٩. الذيل والتكملة، السفر الخامس: ١/١٦٦-١٦٧. إشارة التعيين: ٤٠ وفيه أن اسمه هو: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف، ووفاته كانت سنة ٥٤٠هـ. الوافي: ٢٠/٩٣. الإحاطة: ٤/٧٨. الديباج المذهب: ٢/١٠٧-١٠٨. البلغة: ٢٦، وفيه أنّ اسمه هو: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف، ووفاته كانت سنة ٥١٤هـ. غاية النهاية: ١/٥١٨-٥١٩. البغية: ١/٣٣٨، وفيه أن اسمه هو أحمد بن علي بن خلف، ووفاته كانت سنة ٥٤٠هـ.

قرأ على نعم الخلف وغيره، حدّث عن القاضي عياض وغيره، وأمَّ بجامع غرناطة، وصنَّف شرح كتاب سيبويه. شرح المقتضب. شرح أصول ابن السرّاج. شرح الإيضاح. شرح الجُمَل. شرح الكافي للنحّاس.

مولده سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ومات بغرناطة ليلة الاثنين ثالث عشر محرّم سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة، وصلَّى عليه ابنه أبو جعفر، وكانت جنازته حافلة.

وله:

أصبحت تقعد بالهوى وتقومُ ... وبه تقرظ معشراً و تذيمُ
تعنيك نفسك فاشتغلْ بصلاحها ... أنّى يعيّر بالسقام سقيمُ

قال السلفيّ في معجم السفر[1]: سمعت أبا بكر يحيى بن محمد بن هاني الثعلبي الغرناطيّ بالثغر يقول: رأيت رجلا من أصحابنا في المنام بعد موته، وسألته عن أبي الحسن بن الباذش، فقال: لا تشكّ أنه من أهل الجَنَّة.

قال الشلوبين في شرح الجزوليّة[2]: كان أبو الحسن بن الباذش يرى أنَّ العلّة الرافعة للفاعل إنَّما هي الاشتغال والتفريغ خاصّة، وأنَّ من قال: إنَّ العلّة الرافعة لذلك بناء الفعل للاسم ليس بمصيب. قال: لأنّا إذا قلنا "أُعطيَ زيدٌ درهماً" فإنَّ هذا البناء صالح لكلّ واحدٍ من الاسمين، فإذا كان الأمر كذلك فالفعل في ذلك مبنيٌّ للدرهم، وهو لم يرفعه، فدلَّ ذلك على أنَّ بناء الفعل للاسم ليس رافعا له، وإنَّما الرافع له الاشتغال والتفريغ لا البناء.

قال الشلوبين: وهذا الذي قاله أبو الحسن ليس بصحيح؛ لأنَّه ليس صلاحية الاسم أن يكونَ الفعل مبنيّاً له هو بناء الفعل له، بل بناء الفعل للاسم أمر آخر غير صلاحيته لأن يبنيَ الفعل له، فإذا قلنا: "أُعطيَ زيدٌ درهماً"، وإن كان كلّ واحد من الاسمين صالحاً أن يبنى له "أعطيَ" فإنَّه لم يبنِ منهما إلا للدرهم، و "زيد" داخل في

(١) معجم السفر: ٤٤١.
(٢) شرح المقدمة الجزولية الكبير: ١/٢٣٥-٢٣٦.

حديثه فبطل بذلك قوله: إنَّ الفعل مبنيٌّ لكلٍّ واحد منهما، ولم يرفع إلا أحدهما. وإنَّما غلطه في ذلك صلاحية كلّ واحد منهما لبناء الفعل له. انتهى.

[١٤]*

ابن بابشاذ

أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابَشاذ ببائين موحدتين بينهما ألف، ثم شين معجمة، وبعد الألف الثانية ذال معجمة، وهي كلمة أعجميّة تتضمن الفرح والسرور.

قال ابن خلكان في تاريخه: يقال: أصله من الدَّيْلم، وكان وهو بمصر إمام عصره في علم النحو، وله المصنَّفات المفيدة، منها: المقدمة في النحو المشهورة وشرحها. وشرح الجُمَل للزجّاجي. وجمعَ في حال انقطاعه مسائل كبيرة في النحو، قيل إنَّها لو بُيِّضتْ قاربت خمس عشرة مجلدة، وسمَّاها النحاة بعده الذين وصلت إليهم تعاليق الغرفة، ونحو ذلك، وانتفع الناس بعلمه وتصانيفه.

وكانت وظيفته بمصر أنَّ ديون الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يعرض عليه ويتأمله، فإن كان فيه خطأٌ من جهة النحو أو اللغة أصلحه كاتبه وإلا استرضاه، فسيروه إلى الجهة التي كُتب إليها. وكان له على هذه الوظيفة راتب في الخزانة يتناوله في كلِّ شهر، وأقام على ذلك زمانا.

---

[*] انظر ترجمته في: نزهة الألبّاء: ٢٦٣. المنتظم: ١٨٦/١٦. معجم الأدباء: ١٤٥٥/٤-١٤٥٦. إنباه الرواة: ٩٥/٢-٩٧. وفيات الأعيان: ٥١٥/٢-٥١٧. إشارة التَّعيين: ١٥١-١٥٢. تاريخ الإسلام: (وفيات ٤٦١-٤٧٠): ٢٨٩-٢٩١. سير أعلام النّبلاء: ٤٣٩/٨-٤٤٠. مسالك الأبصار: ٢٧٦/٧، وفيه أنَّ وفاته كانت سنة ٤٥٤هـ. الوافي: ١٦/ ٢٢-٢٢٥. مرآة الجنان: ٧٥/٣-٧٦. البلغة: ١٠٠-١٠١. النّجوم الزّاهرة: ١٠٥/٥. البغية: ١٧/٢. شذرات الذهب: ٢٤/٤.

ويحكى أنَّه كان يوما في سطح جامع مصر وهو يأكل شيئا وعنده ناس، فحضرهم قطٌّ، فرموا له لقمة، فأخذها في فيه، وغاب عنهم، ثم عاد إليهم، فرموا له شيئا آخر، ففعل كذلك، وتردَّد مراراً كثيرة، وهم يرمون له وهو يأخذه، ويغيب به، ثم يعود من فوره حتى عجبوا منه، وعلموا أنَّ مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته، فلما استرابوا حاله تبعوه، فوجدوه يرمي إلى حائط في سطح الجامع ثم ينزل إلى موضع خالٍ صورة بيت خراب وفيه قِط آخر أعمى، وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القِط، ويضعه بين يديه، وهو يأكله، فعجبوا من تلك الحال، فقال الشيخ ابن بابشاذ: إذا كان هذا حيوانا أخرس قد سخَّر له الله تعالى هذا القطَّ وهو يقوم بكفايته، ولم يحرمه من الرزق، فكيف يضيع مثلي؟ ثم قطع الشيخ علائقه واستعفى من الخدمة، ونزل عن راتبه، ولازم بيته واشتغاله متوكّلا على الله سبحانه وتعالى، وما زال محروسا محمول الكلفة إلى أن مات عشية اليوم الثالث من رجب سنة تسع وستين وأربعمائة بمصر، ودفِن في القرافة.

وكان سبب موته أنَّه لما انقطع وجمع أطرافه وباع ما حوله وأبقى ما لا بدَّ منه، كان انقطاعه في غرفة بجامع عمرو بن العاص، فخرج ليلة من الغرفة إلى سطح الجامع، فزلّت رجله من بعض الطاقات المؤدية للضوء إلى الجامع، فسقط، وأصبح ميتا.

وقال الكمال بن الأنباريّ: كان ابن بابشاذ من أكابر النحويين حسنَ السيرة منتفعا به وبتصانيفه، شرح كتاب الجمل للزجاجيّ، وصنَّف مقدمة في النحو سمَّاها المحسبة، وشرحها للشيخ أبي القاسم بن أبي بكر بن أبي سعيد الصقليّ.

كان هو وأبو الحسن علي بن فضّال المجاشعيّ من حُذّاق نحاة المصريين على مذهب البصريين.

[١٥]*

ابْن بَرْهان

أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن إسحق بن إبراهيم بن بَرْهان، بفتح الموحدة، الأسديّ النحويّ العُكبريّ، صاحب العربية واللغة والتاريخ وأيام العرب وله أنس بالحديث، وكان في أول أمره منجِّما فصار نحويًا.

قال ابن الأنباريّ: كان قيِّما بعلوم كثيرة وشيخ النحو. وكان حنبليًا فصار حنفيًا عدليًا، فحُكي عنه أنَّه كان يقول: الحمد لله لأني كنت منجِّما فصرت نحويًا، وكنت حنبليًا فصرت حنفيًا عدليًا.

قرأ على عبد السلام البصريّ اللغويّ، وأبي الحسن علي بن هبة الله السمسميّ، سمع الكثير من ابن بطة وغيره، وأخذ عنه أبو الكرم ابن الدبّاس النحويّ.

قال الصفدي: وكان فيه شراسة على من يقرأ عليه، ولم يكن يلبس سراويل ولا على رأسه غطاء، وكان زاهدا محترما بين أصحابه، وكان يكبُّ على أولاد الأغنياء، وإذا رأى الطالب غريبا أقبل عليه، وكان يخرج من داره وقد اجتمع على بابه جماعة من أولاد الرؤساء، فيمشي ويغدون معه يمينا وشمالا، ويلقي على هذا مسألة وعلى هذا مسألة، وكان يعجبه الباذنجان، ويقول في تفضيله: إنَّ الناس يأكلونه ثمانية أشهر في العام وهم أصحّاء، ولو أكلوا الرُّمّان أربعة أشهر فَلُجوا.

---

[*] انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ١١/١٨. دمية القَصْر: ٣/١٥١٢-١٥١٤. نزهة الألباء: ٢٥٩-٢٦٠. المنتظم: ٦/٨٩-٩٠. إنباه الرّواة: ٢/٢١٣-٢١٥. إشارة التّعيين: ١٩٩. سير أعلام النّبلاء: ١٨/١٢٤-١٢٦. ميزان الاعتدال: ٤/٤٢٧. الوافي: ١٩/١٧٦-١٧٨. فوات الوفيات: ٢/٣٣-٣٥. مرآة الجنان: ٣/٦٠. البُلغة: ١٣٣. لسان الميزان: ٤/٨٢. النّجوم الزّاهرة: ٥/٧٦. البغية: ٢/١٢٠-١٢١. شذرات الذّهب: ٣/٤٧٨-٤٧٩.

ومن الدراسات الحديثة عنه الدّراسة التي قدّم بها الدّكتور فائز فارس لتحقيق شرح اللمع لابن برهان. انظر: شرح اللمع: ١/١٥-٩٠.

ولما ورد الوزير عميد الملك إلى بغداد استحضره، فأعجبه كلامه، فعرض عليه مالا فلم يقبله، فأعطاه مصحفا بخطِّ ابن البوَّاب وعكَّازة مليحة حُمِلت إليه من بلاد الروم، فأخذهما وعبر إلى منزله، فدخل أبو علي بن الوليد المتكلِّم، فأخبره بالحال، فقال له: أنتَ تحفظ القرآن وبيدك عصا تتوكأُ عليها، فلِمَ تأخذ شيئا فيه شبهة، فنهض ابن برهان، ودخل على قاضي القضاة أبي عبدالله الدامغانيِّ، وقال له: لقد كدت أهلك حتى نبَّهني أبو علي بن الوليد، وهو أصغر مني سنًّا، وأريد أن تعيدَ هذا المصحفَ وهذه العكَّازة إلى عميد الملك، فما يصحباني. فأخذهما وأعادهما إليه.

وكان مع ذلك يحبُّ المليح مشاهدةً، وإذا حضر أولاد الأمراء والأتراك وأرباب النِّعم يقبِّلهم بمحضر من آبائهم ولا ينكرون عليه لعلمهم بدينه وورعه.

قلتُ: وسبب ذلك ذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان، فقال: عبدالواحد بن علي بن برهان العكبريّ شيخ العربية، فيه اعتزال بيِّن في مسائل عدة.

قال ابن ماكولا[1]: كان فقيها حنفيا قرأ الفقه وأخذ الكلام عن أبي الحسين البصريّ، وكان يميل إلى مذهب مرجئة المعتزلة، ويعتقد أنَّ الكفَّار لا يخلدون في النار، وسمع من ابن بطَّة معجم الصحابة للبغويّ، وذهب بموته علم العربية من بغداد.

وقال محمد بن عبد الملك الهمذانيّ في تاريخه: كان يمشي مكشوف الرأس، وكان يميل إلى المُرْدِ من غير ريبة، ووقف مرَّة على مكتب عند خروجهم فاستدعى واحدا واحدا، فيقبله ويدعو له ويسبح الله، فرآه ابن الصباغ فدسَّ له واحدا قبيح الوجه، فأعرض عنه، وقال: يا أبا نصر، لو غيرك فعل بنا هذا؟ انتهى.

وكان يقول: لو كان علم الكيمياء حقا لما احتجنا إلى الخراج، ولو كان علم الطلاسم حقا لما احتجنا إلى الجند، ولو كان علم النجوم حقا لما احتجنا إلى الرُّسُل والبريد.

(١) الإكمال: ١/٢٤٦-٢٤٧، غير أنَّه لم يشر إلى مذهب ابن برهان ورأيه في خلود الكفار في النار.

توفي ببغداد في يوم الأربعاء من جمادى الآخرة سنة ستٍّ وخمسين وأربعمائة.

ومن شعره:

أحِـــبُّـــتـنـا بـأبـي أنـتـمُ　　　وسـقـيـا لكم أينمـا كنتمُ
أطلتم بعـادي بإبعـادكم　　　وقلـتـم نـزور ومـا زرتمُ
فـإنْ لم تجـودوا على عـبـدكم　　　فـإنَّ المُـعـزَّى بـه أنـتـمُ

قال ابن بَرهان في أوَّل كتابه شرح اللمع[1]: النحويّون جنس تحته ثلاثة أنواع: مدنيّون وكوفيّون وبصريّون، البصريّون نوع تحته عدّة أشخاص، منهم سيبويه.

وقال ابن الأنباريّ: يحكى عنه أنّه كان مقيما بالحريم، فنهب في أول دولة الترك، ونُهِب له فيه رحل، وأثاث له قيمة، فأخبر المتقدّم بذلك، فجاء إليه احتراما له لمكانه من العلم، وقال له: قد سمعت أنّه أخِذ منك مالٌ له قيمة، وأنا أغرمه لك كلَّه. فقال: لا أريد إلا ما أخِذ مني بعينه. فقال: ومن أينَ أقدر على ذلك؟ ولا أعلم من أخذه؟ بل أنا أغرم لك ذلك، وأكثر منه. فقال: لا حاجة لي في غير عينِ مالي لأني لا أدري من أين هو.

قال ابن النجّار: أخبرني عبد الرحمن بن أحمد العدل إجازة أخبرنا أبو عامر العبدريّ محمد بن سعدون أذناً أنشدني أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الضرير المقرئ، أنشدني أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن بَرهان الأسديّ:

ذهبت للمجد والساعون قد بلغوا　　　جـهـد المقلّ وشـدّوا دونه الأزرا
وكـابدوا المجد حتى ملَّ أكثرهمْ　　　وعاين المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجـد تمرا أنتَ آكلهُ　　　لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

---

(١) شرح اللمع: ١/١.

[١٦]*

ابن بَرِّيّ

أبو محمد عبدالله بن بريّ بن عبد الجبّار بن بريّ، بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء المكسورة وبعدها ياء، المقدسيّ الأصل المصريّ.

كان نحويًا لغويًا شائع الذكر مشتهرا بالعلم، لم يكن للمصريين مثله، ولد في آخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وقرأ كتاب سيبويه على أبي بكر محمد بن عبد الملك الشنترينيّ، وتصدّر للإقراء بجامع عمرو، وله حواشٍ على الصِّحاح، عدّة مجلدات، وردٌّ على ابن الخشّاب فيما انتقده على الحريريّ، ومقدمة سمّاها اللباب(١)، وأخرى سمّاها نهاية الإجمال في غوامض الأسماء والأفعال، ورسالة في غلط الضعفاء من الفقهاء، وأجوبة المسائل العشر التي سأل عنها ملك النحاة، وحواشٍ على درّة الغوّاص للحريريّ.

وكان قيّما بمعرفة كتاب سيبويه وعلله، قيما باللغة والشواهد، ثقة. قرأ عليه جماعة، منهم الجزوليّ، وتخرّج به جمع كثير، ورحلت إليه الطلبة، وروى عنه ابن الجمّيْزيّ، وابن المفضّل، والوجيه القوصيّ، والزاهد أبو العباس أحمد بن علي بن محمد القسطلاني.

---

[*] انظر ترجمته في: معجم الأدباء: ٤/١٥١٠-١٥١١. إنباه الرواة: ٢/١١٠-١١١. طبقات الفقهاء الشافعية: ١/٥٠٥. التكملة لوفيات النقلة: ١/٥٨-٦٠. وفيات الأعيان: ٣/١٠٨-١٠٩. إشارة التعيين: ١٦١. سير أعلام النبلاء: ٢١/١٣٦-١٣٧. مسالك الأبصار: ٧/٢٧٧-٢٧٨. الوافي: ١٧/٤٧-٤٨. مرآة الجنان: ٣/٣٢١. طبقات الشافعية الكبرى: ٧/١٢١-١٢٣. طبقات الشافعية: ١/١٢٨-١٢٩. البلغة: ١٠٦-١٠٧. وفيه أنّه توفي سنة ٦٨٢هـ، وهو وهم. النجوم الزاهرة: ٦/٩٤. البغية: ٢/٣٤. مفتاح السعادة: ١/١١٦-١١٧. شذرات الذهب: ٤/٤٦٠.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن بري وجهوده في النحو واللغة والتصريف.

(١) وهي في الردّ على ابن الخشّاب.

وسمع من أبي صادق الموسى بن أحمد، وعبدالله بن محمد بن الرازيّ، وكان في غاية الحذق، يتعَجَّب منه في حسن الجواب عمًّا يُسأل عنه، ومعرفة مواضع المسائل من كتب العلماء، ومع ذلك كان مغفَّلا في أمر الدنيا، فسبحان الجامع بين الأضداد. يُحكى عنه في التغفُّل حكايات عجيبة، منها أنَّه اشترى لحما وبيضا، وجاء إلى منزله، فوجده مغلقا، فألقى البيض واللحم من كوّة البيت ولم يفكِّر في تكسيره.

ومنها أنَّه اشترى عنبا وجعله في كمّه، ومعه رفيق، قال: فجعل يحادثني ويعبث بالعنب وهو يقطر على رجليه، فقال لي: تُحسُّ بالمطر؟ قلتُ: لا. قال: فما هذا الذي ينقط على رجلي؟ فتأملته، فإذا هو العنب، فأخبرته، فخجل.

وكان له تصفُّح ديوان الإنشاء فيما يكتبونه ليزيل الغلط واللحن، كما كان ابن بابَشاذ.

توفي بمصر يوم السبت التاسع والعشرين في شهر شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

ترجمه القاضي تاج الدين بن السُّبكيّ في الطبقات الكبرى، أنشدني قول أبي صخر الهُذليّ:

تكاد يدي تندى إذا ما لمستُها ... وينبتُ في أطرافها الورقُ الخُضْرُ

فقال: هذا البيت كان سبب تعلّمي العربيّة. فقلت له: وكيف ذاك؟ قال: ذكر لي أبي أنَّه رأى فيما يرى النائم قبل أن يُرْزَقَني كأنَّ في يده رمحا طويلا، في رأسه قنديل، وقد علَّقه على صخرة بيت المقدس. فعُبِّر له بأنَّه يُرزق ابنا، فوقع ذكره في علم يتعلّمه، فلما رُزِقَني، وبلغت خمس عشرة سنة حضر أبي دكّانه وكان بجنبنا رجل يُعرَف بـ ظافر الحدّاد، ورجل يُعرَف بـ ابن أبي حُصَيْنة، وكلاهما مشهور بالأدب، فأنشدَ أبي البيت بكسر الراء، فضحك الرجلان عليه للحنه. فقال لي: يا بُني، أنا منتظر تفسير منامي، لعلَّ الله تعالى يرفع ذكري بك. فقلت له: أيّ العلوم تريد أن أقرأ؟ فقال لي: اقرأ في النحو حتى تعلمني. فكنت أقرأ على الشيخ أبي بكر بن عبد الملك، ثم أجيء، فأعلمه.

رأيت في بعض المجاميع من كلام أبي محمد عبدالله بن بريّ على قول الشاعر:

وأصــفــر من ضـــرْب دار الملوكِ تلوح على وجـــهـــه جـــعـــفــرا

ملخَّصُه: أنّ في "تلوح" روايتين: إحداهما رواية الفرّاء، وهي الصحيحة، أنّها بالتاء. ولا إشكال على نصب "جعفر" على هذه، لأنه مفعول بـ "تلوح"، و"تلوح" بمعنى: ترى وتبصر، نقول: لُحتُ الشيءَ، إذا أبصرته، وهذا بيِّن لا إشكال فيه، ولا تعسُّف في إعرابه.

وأمّا الرواية الثانية، وهي المشهورة بـ "يلوح" بالياء، ففيها إشكال، فمن النحاة من قال: إنّه منصوب بإضمار فعل تقديره: اقصدوا جعفراً، ومنهم من جعله من باب المفعول المحمول على المعنى من جهة أنّ "جعفراً" داخل في الرواية من جهة المعنى، لأنّ الشيء إذا لاح لك فقد رأيته.

وفي هذا المجموع سأل الإمام أبو محمد بن بريّ الإمام تاج الدين محمد بن عبدالله بن مكيّ الحمويّ عن قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهنّ نِحْلةً﴾ [سورة النساء، الآية ٤] كيف تكون نِحلة، والنِّحلة في اللغة الهبة بلا عِوض، والصداق تستحقُّه المرأة اتّفاقا لا على وجه التبرّع؟ فأجابه بأنّه لما كانت المرأة يحصل لها في النكاح ما يحصل للزوج من اللذة، وتزيد عليه بوجوب النفقة والكسوة والمسكن، كان المهر لها مجانا، فسُمِّي نِحلة. كذا ذكر أئمتنا، وقال بعضهم: لما كان الصَّدَاق في شرع من قبلنا لأولياء المنكوحات بدليل قوله تعالى: ﴿قال أريد أن أنكحكَ إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج﴾ [سورة القصص، الآية ٢٧] ثم نسخه شرعُنا، صار ذلك عطيةً انقطعت لها، فسُمِّي نِحلة.

مسألة في جمع "حاجة" من كلام ابن بريّ[١]. قال: سألتَ، وفقك الله لما يرضيه،

---

(١) المسألة بتمامها في اللسان، مادة (حوج)، ووردت في حواشي ابن برّي على درة الغواص مختصرة. انظر: حواشي ابن بري وابن ظفر على درة الغواص في أوهام الخواص للحريري: ٨٠-٨٤.

وجعلكَ ممّن يقيم الحقَّ ويأتيه عن قول الشيخ الرئيس أبي محمد القاسم بن علي الحريريّ في كتابه "درّة الغواص" أنَّ لفظة "حوائج" مما يوهم في استعماله الخواصّ، وسألتَ أن أبيِّن لك الصحيح والعليل من عنوانها بلا تطويل، وأنا أجيبك عن ذلك بما فيه كفاية مع سلوك طريق الحقّ والهداية، ومن أعجب ما يُحكى ويذكر، وأغرب ما يُكتب ويُستر أنَّه ذكر أنّه لم يحفظ لتصحيح هذه اللفظة شاهدا، ولا أنشد فيها بيتا واحدا، بل أنشد لبديع الزمان بيتا نسبه إلى الغلط فيه، والعجز عن إصلاحه وتلافيه، وهو قوله:

فسيّانِ بيتُ العنكبوتِ وجَوْسَقٌ رفيعٌ إذا لم تُقْضَ فيه الحوائجُ

حتى كأنَّه لم يمرَّ بسمعه الخبر المنقول عن سيد البشر أبي البتول حين قال بلسان الإعلان: (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان) وهذا خبر ذكره القضاعيّ في شهابه في الباب الرابع من أبوابه، وذكر أنّها قوله: «إنَّ لله عباداً خلقهم لحوائج [الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون يوم القيامة][(١)]» كتابه الغريبين قوله عليه السلام:«(اطلبوا الحوائج إلى حِسان الوجوه» وقوله (ﷺ): «إيَّاكم والإقراد. قالوا: يا رسول الله، وما الإقراد؟ فقال: هو الرجُل يكون منكم أميرا فيأتيه المسكين والأرملة، فيقول لهم: مكانكم حتى أنظر في حوائجكم، ويأتيه الغني، فيقول: عجِّلوا قضاء حاجته». وذكر ابن خالويه في شرحه مقصورة ابن دُريد عند ذكره فضل الخيل أنَّ رسول الله (ﷺ) قال: «التمسوا الحوائج على الفرس الكُمَيت الأرثم المحجَّل الثلث المطلق اليد اليمنى».

فهذا ما جاء من الشواهد النبويّة ورواته ثقات من الرواة المرضية على صحة هذه اللفظة.

وأما ما جاء من ذلك في أشعار العرب، فكثير، من ذلك ما أنشده أبو زيد، وهو

(١) ما بين معقفين تكملة من مسند الشهاب بسبب تلفٍ في موضعه من المخطوط. انظر مسند الشهاب: ٢/١١٧-١١٨.

قول أبي سَلَمة المحاربيّ:

ثمــمتُ حــوائجي ووذأتُ بِشْــرا ... فـبئس مـعـرَّسُ الركب السِّـغـابُ

وأنشد أيضا للراجز:

يـا ربّ ربٍّ الـقُـلُـص الـنـواعـجِ ... مـسـتـعـجـلاتٍ بذوي الحـوائجِ

وقال الشمّاخ:

تَقَطّع بيننا الحـــاجــــاتُ إلا ... حـوائجَ يعـتـسـفْنَ مع الجـريءِ

وقال الأعشى:

الـناسُ حــــول قـــبـــابه ... أهـل الحـــوائج والمســـائلْ

وقال الفرزدق:

ولي ببـــلاد السندِ عند أمـيـرها ... حـوائجُ جَـمّـاتٌ وعندي ثوابُـهـا

وأنشد أبو عمرو بن العلاء:

صـريعَيْ مُـدامٍ مـا يفـرّق بيننا ... حـوائجُ من إلقـاحِ مـالٍ ولا نَخْلِ

وأنشد ابن الأعرابيّ:

من عفّ خفّ على الوجـوه لقـاؤهُ ... وأخـو الحـوائجِ وجـهُـه مـبـذولُ

وأنشد أيضا:

فـإن أصـبِحْ تخـالجني همـومٌ ... ونفسٌ في حـوائجـهـا انتـشـارُ

وأنشد الفرّاء:

نـهـارُ المرءِ أمــثلُ حين تُقْـضـى ... حــــوائجُـــه من الليل الطويلِ

وأنشد ابن خالويه:

خليليّ، إنْ قـام الهوى فـاقـعدا به ... لعنّا نقـضّي من حـوائجنا رمّـا

وقال هميان بن قحافة:

حتى إذا ما قضتِ الحوائجا وملأت حُلابها الخلانِجا

وقال آخر:

بَدأن بنا لا راجيات لخُلْصةٍ ولا يائسات من قضاءِ الحوائجِ

وقال ابن هرمة:

إني رأيت ذوي الحاجات إذ عروا فأتوك قصرا أو أتوك طروقا

فقد وجب ببعض هذا سقوط قول المخالف حين وجبت عليه الحجة، ولم يبقَ له دليل يستند إليه، وأنا أُتبع ذلك بأقوال العلماء ليزداد القول في ذلك إيضاحا وتبيينا.

قال الخليل في كتاب العين في فصل "راح": يُقال: يومٌ راحٌ وكبشٌ خافٌ، على التخفيف من رائح وخائف بطرح الهمزة، كما قال الهُذليّ:

وهي أدماء سارُها

أي: سائرها.

وكما خفّفوا الحاجة من الحائجة، ألا تراهم جمعوها على حوائج. انقضى كلام الخليل، وقد أثبت صِحّة حوائج، وأنّها من كلام العرب، وأنَّ حاجة محذوفة من حائجة، وإنْ كان لم ينطق بها عنده.

وكذلك ذكرها عثمان بن جنّيّ في كتابه اللُمَع، وحكى المهلبيّ عن ابن دُرَيد أنّه قال: حاجة وحائجة، وكذلك حُكي عن أبي عمرو بن العلاء أنّه يُقال: في نفسي حاجة وحائجة وحَوْجاء، والجمع حاجات وحوائج وحاجٌ وحِوَج، وأنشد البيت المقدَّم:

صريعي مُدامٍ .... البيت.

وذكر ابن السِّكّيت في كتابه المعروف بالألفاظ قريبا من آخره باب الحوائج: يُقال في جمع حاجة حاجات وحاجٌ وحِوَج وحوائج، وقال سيبويه فيما جاء فيه تفعَّل واستفعَل بمعنى: يُقال: تَنَجَّزَ فلان حوائجه، واستنجَزَ حوائجه.

وذهب قوم من أهل اللغة إلى أنَّ حوائج يجوز أن يكون جمع حَوْجاء، وقياسها حواجٍ مثل صحارٍ، ثم قدمت الياء على الجيم، فصارت حوائج، والمقلوب في كلام العرب كثير، وشاهد حَوْجاء قول أبي قيس بن رفاعة:

من كان في نفسه حَوْجاءُ يطلبها　　　عندي فإني له رهنٌ بإصحارِ

والعرب تقول: بدأت[1] حوائجك، في كثير من كلامهم، وكثيرا ما يقول ابن السِّكِّيت: إنَّهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين والبراحات[2].

وإنَّما غلط الأصمعيّ في هذه اللفظة حتى جعلها مولَّدة كونها خارجة عن القياس، لأنَّ ما كان على مثال الحاجة مثل غارة وجارة لا يُجمع على غوائر وجوائر، فقطع بذلك أنَّها مولَّدة غير فصيحة، على أنَّه حكى الرقاشيّ والسجستانيّ عن عبد الرحمن عن الأصمعيّ أنَّه رجع عن هذا القول، وإنَّما هو شيء كان قد عرض له من غير بحث ولا نظر، وهذا هو الأشبه به لأنَّ مثله لا يجهل ذلك؛ إذ كان موجودا في كلام النبيّ (ﷺ)، وكلام غيره من العرب الفصحاء.

وذكر سيبويه في كتابه[3] أنَّه يُقال: تنجَّزَ حوائجه واستنجزها. وكأنَّ القاسم بن علي الحريريّ لم يمرَّ به إلا القول الأوَّل المحكيّ عن الأصمعيّ دون القول الثاني، ولو أنَّه سلك مسلك النظر والتسديد، وأضربَ عن مذهب التسليم والتقليد، لكان الحقَّ أقربَ إليه من حبل الوريد. آخر المسألة.

(١) في اللسان: "بُداءات". انظر: مادة (حوج).

(٢) في المصدر نفسه: "الراحات". انظر: مادة (حوج).

(٣) الكتاب: ٤/ ٧٣.

[١٧]*

صاحب التوشيح

أبو بكر خطّاب بن يوسف بن هلال القرطبيّ المارديّ.

قال ابن عبد الملك في كتابه: "الذيل والتكملة" على الموصول والصلة: كان من جِلّة النحاة ومحققيهم والمتقدّمين في المعرفة بعلوم اللسان على الإطلاق.

روى عن أبي عبدالله بن الفخار، وأبي عمر أحمد بن الوليد، وهلال بن عريب، وروى عنه ابناه: عبدالله وعمر، وأبو الحزم الحسن بن محمد بن غُلَيم.

وتصدُّر لإقراء العربيّة طويلا، وصنَّف فيها، واختصر الزاهر لأبي بكر بن الأنباريّ، وله حظّ من قرض الشعر.

مات بعد الخمسين وأربعمائة.

[١٨]**

التبريزيّ

أبو زكريا يحيى بن علي بن الحسن بن محمد بن موسى بن سطام الخطيب

[*] انظر ترجمته في: التكملة: ١/٢٣٨. إشارة التعيين: ١١٢. البلغة: ٧٧، وفيه أنّه خطاب المازري، وهو تصحيف لأنه من ماردة. البغية: ١/٥٥٣. كشف الظنون: ٢/٩٤٧.

[**] انظر ترجمته في: الأنساب: ١/٤٤٦-٤٤٧. تاريخ دمشق: ٦٤/٣٤٨-٣٥٠. نزهة الألباء: ٢٧٠-٢٧٣. المنتظم: ١٧/١١٤-١١٦. معجم الأدباء: ٦/٢٨٢٣-٢٣٢٥. تكملة الإكمال: ١/٤٨٤. إنباه الرواة: ٤/٢٨-٣٠. وفيات الأعيان: ٦/١٩١-١٩٦. إشارة التعيين: ٣٨٢-٣٨٣. تاريخ الإسلام: (وفيات ٥٠١-٥٢٠): ٧٣-٧٦. مسالك الأبصار: ٧/٤٩-٥٠. مراة الجنان: ٣/١٣١-١٣٢. البلغة: ٢٨٣. البغية: ٢/٣٣٨. شذرات الذهب: ٤/١٣٦-١٣٧.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات.

الشيبانيّ اللغويّ.

قال السلفيّ في شيوخ بغداد: إمام في اللغة والنحو، ثقة، قرأ على أبي العلاء المعريّ، وعلى عالي بن عثمان بن جنيّ بصُور، وعلى أبي القاسم الفضل بن محمد القصبانيّ بالبصرة، وعلى الحلبيّ، وأبي محمد الحسن بن محمد بن علي بن رجاء الدهّان، وأبي القاسم عبيدالله بن علي الرُّقّيّ، وعبد الواحد بن بَرهان، وابن الصابي، ونظرائهم ببغداد والبصرة.

قرأنا عليه الحديث عن أبي الطيّب الطبريّ، وأبي محمد الجوهريّ، وأبي الحسين محمد بن محمد بن المظفَّر السرّاج بالعراق، وغيرهم.

وأنشدنا كثيرا من شعر شيوخه الشعراء كالخبّاز، وأبي الجوائز، وابن نحرير، وابن الشبل، وآخرين.

وله مؤلفات كثيرة، وكان ثاقب الزند في الأدب وأربه، ومن أتاه مهتدياً صادف هاديَه.

وسألته عن مولده، فقال: سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

وقال غيره: سافر في طلب العلم إلى الأقطار، وقرأ على عبد القاهر الجرجانيّ، والحسين بن سُهيل البيضاويّ، والحسن بن علي الكاتب، ومحمد بن أحمد بن بشران، وعبيدالله بن علي الرُّقّيّ، ومحمد بن هبة الله الورّاق، وجماعة غيرهم.

وسمع الحديث، وكتب الأدب على أبي القاسم التنوخيّ، والفقيه سُليم بن أيّوب الرازيّ، وأبي بكر الخطيب، وهلال بن المحسّن الصابي، وأبي الطيّب الطبريّ، وأبي محمد الجوهريّ، وغيرهم. ولازمَ أبا العلاء المعريّ، وقرأ عليه كثيراً من مُصنَّفاته، وقيل: أنّه دخل مصرَ، وأخذ عن ابن بابَشاذ، وكتب بخطّه كثيرا من كتب الأدب ودواوين الأشعار.

وكان إماما في اللغة والنحو، حُجَّةً في النقل، صدوقا ثبتا، انتهت إليه الرئاسة في فنِّه، وشاع ذكره في الأقطار، وروى كثيرا من شعره ومَروِيّاته ومُصنّفاته ويسيراً

من الحديث.

روى عنه أبو بكر بن الخطيب، وهو من شيوخه، وأبو بكر منصور بن الجواليقيّ، وأبو طاهر السلفيّ، وهبة الله بن السمرقنديّ، وأبو المعمّر الأنصاريّ، وسعد الخير الأنصاريّ، وأبو الفضل بن ناصر، وغيرهم.

وولِيَ تدريسَ الأدب بالنظاميّة، وخزانة الكتب بها، وتخرَّج به خَلْقٌ كثير، وسكن بغداد إلى أن تُوفي بها فجأة يوم الثلاثاء تاسع عشر في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة، وعمره إحدى وثمانون سنة.

قال ياقوت في معجم الأدباء: كان أبو الفضل محمد بن ناصر السلاميّ، وأبو منصور موهوب الجواليقيّ يقرأن على أبي زكريا التبريزيّ، وكان أبو منصور يطلب الحديث، وابن ناصر يطلب اللغة، فقال لهما أبو زكريا: سيقع الأمر بالعكس، فتصير أنتَ يا ابن ناصر محدثا، وتصير أنتَ يا أبا منصور لغويًا. فكان الأمر على ما ذكر.

قال ياقوت: وكان يدمن شرب الخمر، ولا يُرى صاحيا أبدا، ويقرأ الناس تصانيفه عليه وهو سكران، فلذلك يُرى فيها الغلط الظاهر، وكان يلبس الحرير والعمائم المذهبة، وكان أكولا نهما، بلغني أنه كان يأكل في مجلس واحد عشرة أرطال خبزاً وما يتبعها من الأدم.

ومن تصانيفه: تفسير القرآن. والإعراب. وشرح لُمَع ابن جنيّ. والكافي في العروض والقوافي. وثلاثة شروح على الحماسة. وشرح ديوان المتنبي. وشرح ديوان أبي تمام. وشرح سقط الزَّنْد. وشرح المفضليّات. وشرح السبع المعلقات مع ثلاث قصائد ضمَّها إليه. وشرح مقصورة ابن دُريد. وتهذيب الغريب المصنَّف. وتهذيب غريب الحديث لأبي عبيد. وتهذيب مقاتل الفرسان. وتهذيب إصلاح المنطق. وغير ذلك.

ومن شعره وهو صالح:

ومن يسأمْ من الأسفار يوما ... فإني قد سئمت من المقام
أقمنا بالعراق على أناس ... لئام ينتمون إلى لئام

وله يرثي غلاما له توفي بالموصل:

دفنت بدر التم بالموصل   فلا سقاه الغيث من منزلِ
يا منزلا لا ظلَّ به مؤنسي   وارتحل الركب ولم ترحلِ
ما كنت إلا مقطّعا جنب الموصـ   ـل فلمَ سميت بالموصلِ

وقال ابن النجّار: أنبأنا أحمد بن طارق، قال: أنشدنا أبو عبدالله الحسن بن إبراهيم بن الخطاب، أنشدنا أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزيّ لنفسه عند عودته من ميافارقين إلى بغداد:

ذكرت المطايا والعيون هواجعُ   فهبَّ كما هبَّ الرياح الزعازعُ
وأرعد حاديها فمدّت رقابها   تخبُّ برجلي تارة وتواضعُ
وأين نعام الدر من زَيَفانها   إذا جفلت عنها وهُنّ نوازعُ
طعنت بها بحر الدجى وسلكته   كأنّي برق في الدجنّة لامعُ
وفارقت ميّافارقين وأهلها   لأرض مداها التنهف المتشاسعُ
فلما أتت بغداد أنكرت أهلها   وأعوز لي فيها صديق مسارعُ
ففارقتها أبغي الكرام بغيرها   وهيهات دار الأكرمين بلاقعُ

قال ابن النجّار أخبرنا أبو الفتوح نصر بن محمد الحافظ أخبرنا أبو المظفر عبدالله بن عبدالله بن أحمد السمرقنديّ أخبرنا أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزيّ أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد المظفّر بن عبدالله السرّاج، حدثنا أبو الفضل عبدالله بن عبد الرحمن الزهريّ، حدثنا إبراهيم بن شريك الكوفيّ، حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس، حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن عطاء عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله (ﷺ): «مثل المؤمن مثل السنبلة، تحركها الريح بالأرض فتقع مرة وتقوم أخرى. ومثل الكافر مثل الأرزة لا تزال قائمة حتى تنقعر».

قال الرافعيّ في تاريخ قزوين[1]: رأيت بخطِّ القاضي أبي القاسم عبد الملك بن أحمد القزويني: حضر عندي الشيخ الرئيس أبو الحسن علي بن الحسن البجليّ وأخبرنا بأصبهان سنة خمسمائة وقد أخرجت ما عندي من الكتب فأخذتها على ما على ظهورها، وقال لي: لو جمع ما على هذه الظهور لكان رأس مال عالِم. فقلت له: روى لنا الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزيّ عن أبي القاسم الرُّقيّ أنه كان يروي عن بعض مشايخ الأدب وقد مرض ابنه. قيل له: ما تشتهي؟ فقال: ظهور الكتب وأكل أكباد الحُسّاد وأعين الرُّقباء.

وقال ابن عساكر في تاريخه[2]: أنبأنا أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقيّ اللغويّ، حدثنا أبو زكريا يحيى بن علي التبريزيّ الخطيب، قال: حكى لنا الرئيس أبو الجوائز الحسن بن علي الواسطيّ، حدثنا أبو الحسن بن أذَين النحويّ، قال: حضرت مع والدي مجلس كافور الإخشيديّ وهو غاصّ بالناس، فدخل إليه رجل وقال في دعائه "أدام الله أيام سيدنا" بكسر الميم من الأيام، وفطن لذلك جماعة من الحاضرين أحدهم صاحب المجلس حتى شاع ذلك، فقام من أوساط الناس رجل، فأنشأ يقول:

لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا ... وغص من دهش بالريق أو حصرِ
فمثل هيبته حالت جلالتها ... بين الأديب وبين القول بالحصرِ
وإن يكن خَفْض الأيام عن غلط ... في موضع النصب لا عن قلة البصرِ
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا ... والفأل مأثورةٌ عن سيد البشرِ
بأنَّ أيامه خَفْضٌ بلا نصب ... وأنَّ أوقاته صفوٌ بلا كدرِ

قال ابن النجّار: أنبأنا عبد العزيز بن محمود الحافظ عن أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقيّ، قال: أنشدنا أبو زكريا يحيى بن علي التبريزيّ، قال: كتب ابن العميد

(١) التدوين في أخبار قزوين: ٢/٢٦٧.
(٢) تاريخ دمشق: ٥٠/٥٠.

الفياض:

قـل لـيـحـيـى بـن عـلـي والأقـاويـل فـنـونُ
غـيـر أني لست مـن يـكـذب فـيـهـا ويخـونُ
أنت عين الفـضـل إن مُـدَّت إلـى الفـضـل عـيـونُ
أنت مـن عـزَّ بـه الـفـضـل وقـد كـاد يـهـونُ
فـإذا قِـيـس بـك الـكـلّ فـصـحـو ودجـونُ
فـقـت مـن كـان وأتـعـبـت لـعـمـري مـن يـكـونُ
إنـك الـبـحـر وأعـيـان ذوي الفـضـل عـيـونُ
لـهـي كـالـفـذ المعلّى لـهـي كـالميت الحـجـونُ
إنَّ ودّي لـك مـمـا يـصـِمُ الـودّ مـصـونُ
لـيـس لـي فـيـه ظـهـور تـتـنـافـى وبـطـونُ
بـل بـقـلـبـي فـيـه صـب بـالمـصـافـاة يـكـونُ
عـلـق الـرحـمـن وقـد تـعـلـق فـي الحـب الـرهـونُ
ومـن الـنـاس أمـين فـي هـواه وخـؤونُ

قال أبو زكريا: فكتبت إليه:

قل للعميد أخي العلى الفياضِ ... أنا قطرة من بحرك الفياضِ
شرفتني ورفعت ذكري بالذي ... ألبستنيه من السنا الفضفاض
إني أتيتك بالحصى من لؤلؤ ... أبرزته عن خاطر مرتاضِ
ولخاطري عن مثل ذاك توقف ... ما إن يكاد يجود بالأضعاضِ
أيعارض البحرَ الغطامط جدولٌ ... أم درة تنقاس بالرضراضِ
يا فارس النظم المرصَّع جوهرا ... والنثر يكشف غمة الأمراضِ
لا تلزمني من ثنائك موجبا ... حقا فلست لحقه بالقاضي
ولقد عجزت عن القريض فربّما ... أعرضت عنه أيّما إعراضِ

أنعم عليٌّ ببسط عذري إنني   أقررت عند نداك بالإنقاضِ

قال ياقوت: أنشدني الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر النيسابوريّ، قال: أنشدني سعد الدين أبو عبدالله الحسن بن شبيب الطيبيّ لنفسه، وقد قرئ عليه كتاب "ذكرى حبيب" تصنيف أبي العلاء المعريّ، وكان يرويه عن أبي زكريا بن الخطيب التبريزيّ، وقصد المعريّ في هذا الكتاب تفضيل المتنبيّ على أبي تمام:

وعذرنا الشيخ في تقصيرهِ   وقصور المرءِ في عصر المشيبِ

تأخذ الأيام من عمر الفتى   أخذها من عوده اللدن الرطيبِ

إن من أحزنه ذكرى حبيب   فلقد أضحكني ذكرى حبيبِ

قد حملناه على علاته   ووهبناه ليحيى بن الخطيبِ

قال ياقوت: وفي هذا الشعر فائدة أن المعروف بالخطيب هو والد أبي زكريا لا أبو زكريا نفسه[(١)].

[١٩]*

أبو البقاء

الإمام محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن الحسين العُكبُريّ البغداديّ

---

(١) لم أجد الشعر ولا التعليق في المطبوع من معجم ياقوت، وغاية ما وجدته قول ياقوت في معجمه: «ابن الخطيب التبريزيّ وربما يقال له الخطيب، وهو وهمٌ». انظر معجم الأدباء: ٦/٢٨٢٣.

[*] انظر ترجمته في: ذيل تاريخ بغداد: ١٠٤/٢١. إنباه الرّواة: ١١٦/٢-١١٨. إشارة التّعيين: ١٦٧-١٦٤. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦١١-٦٢٠): ٢٩٣-٢٩٥. سير أعلام النّبلاء: ٩١/٢٢-٩٣. نكت الهميان: ١٧٨-١٨٠. الوافي: ٧٣/١٧-٧٥. مرآة الجنان: ٢٦/٤-٢٧. الذّيل على طبقات الحنابلة: ٨٦/٤-٨٧. البُلغة: ١٠٨. النجوم الزاهرة: ٢١٨/٦. البغية: ٣٨/٢-٤٠. شذرات الذهب: ١٥٣/٥-١٥٥.

الأزجي الضرير النحويّ الفرَضيّ الحنبليّ.

ولِد في أوائل سنة ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة، وقرأ العربيّة على ابن الخشّاب، وأبي البركات بن نجاح، وبرع في الفقه والأصول والخلاف، وكانت له معرفة بعلوم القرآن وبالحساب والجبر والمقابلة، والقرآن بالرواية على أبي الحسن البطائحيّ، وتفقّه على القاضي أبي يعلى ولازمه، وحاز قصب السبق في العربيّة، وأضرّ في صباه بالجدريّ، وكان إذا أراد أن يصنِّف شيئا، أُحضرتْ له مُصنَّفات ذلك الفنّ، وقرئت عليه، فإذا حصَّل ما يريد في خاطره، أملاه.

وعُرِضَ عليه إنْ تحوَّل شافعيًا أن يُعطى تدريس النحو بالنظاميّة، فقال: لو أقمتموني وصببتُم الذَّهَبَ عليَّ حتى واريتموني ما رجعت عن مذهبي.

وكان الشيخ أبو الفرَج بن الجوزيّ يفزع إليه في ما يشكل عليه من الأدب، وكان رقيق القلب سريعَ الدمعة، وسمع في صباه من أبي الفتح بن البطّي، وأبي زُرْعة طاهر بن محمد المقدسيّ، وأبي بكر عبدالله بن النقور، وأبي العباس أحمد بن المبارك، وغيرهم.

وكان ثقة صدوقاً فيما ينقله ويحكيه غزيرَ الفضل كاملَ الأوصاف كثيرَ المحفوظ متدينا حسنَ الأخلاق متواضعا، توفي ليلة الأحد لثمانٍ خلون من ربيع الآخر سنة ستٌ عشرة وستمائة.

وله من المصنَّفات: تفسير القرآن. إعراب القرآن. إعراب الشواذّ. متشابه القرآن. عدد أيِّ القرآن. إعراب الحديث. المرام في نهاية الأحكام، في المذهب. الكلام على دليل التلازم. تعليق في الخلاف. الملقَّح من الخطل في الجدل. شرح الهداية لأبي الخطاب. الناهض في علم الفرائض. البلغة في الفرائض. التلخيص في الفرائض. الاستيعاب في أنواع الحساب. مقدمة في الحساب. شرح الفصيح. المشوق المعلم في ترتيب كتاب إصلاح المنطق على حروف المعجم. شرح الحماسة. شرح المقامات الحريريّة. شرح الخطب النباتيّة. المصباح في شرح الإيضاح والتكملة. المتبع في شرح اللُمَع. لباب

الكتاب. شرح أبيات كتاب سيبويه. إعراب الحماسة. الإفصاح عن معاني أبيات الإيضاح. تلخيص أبيات الشعر لأبي علي. المحَصَّل في إيضاح المفَصَّل. نزهة الطَّرف في إيضاح قانون الصَّرْف. الترصيف في علم التصريف. اللباب في علل البناء والإعراب. الإشارة في النحو. مقدمة في النحو. التلخيص في النحو. التلقين في النحو. التهذيب في النحو. أجوبة المسائل الحلبيّات. شرح شعر المتنبيّ. شرح بعض قصائد رؤبة. التبيين في مسائل الخلاف في النحو بين البصريين والكوفيين. تلخيص التنبيه لابن جنّيّ. العروض. علل العروض. مختصر القوافي. مختصر أصول ابن السرّاج. مسائل نحو مفردة. مسألة في قول النبيّ (ﷺ): «إنّما يرحم الله من عباده الرحماء». المنتخب في كتاب المحتسب. لغة الفقه.

ذكر ذلك كلّه ابن النجّار في تاريخه، وقال: إنّه صحبه مدّة طويلة، وأخذ عنه كثيرا من مصنّفاته، وأورد له من الشعر قوله يمدح الوزير ابن مهديّ:

بكَ أضحى جِيد الزمان مُحَلًّى ... بعد أن كان من حلاه مُخلًّى
لا يجاريك في تجارتك خَلْق ... أنتَ أعلى قدرا وأعلى مَحَلاّ
دُمتَ تحيي ما قد أُميتَ من الفضـ ... ـل وتنفي فقرا وتطرد كَلاّ

قال ابن النجار: سمعت من يذكر أنّه سمع الشيخ أبا البقاء يقول: ما عملت من الشعر سوى هذه الأبيات.

وأورد له الصلاح الصفديّ في تذكرته:

وغدير رقّت حواشيه حتى ... بان في قعره الذي كان مناخا
وكأنّ الطيور إذا وردته ... من صفاء مائه تزقّ فراخا

[٢٠]*

أبو بكر التاريخيّ

محمد بن عبد الملك السرَّاج، لُقِّب بالتاريخيّ لاعتنائه بالتواريخ وجمعها، حدّث عن الحسن بن محمد الزعفرانيّ، وأحمد بن منصور الرماديّ ، وأبي بكر بن أبي خثيمة، وأبي العَيناء، والمبرِّد، وثعلب، وعبدالله بن شبيب البصريّ، وأحمد بن الخليل المعروف بحور، وأمثالهم.

وكان أديبا فاضلا متقنا حسنَ الأخبار مليحَ الروايات، روى عنه أبو طاهر محمد بن أحمد القاضي الذهبيّ، انتهى.

حدَّث عنه التنوخيّ في نشواره، وله تاريخ كبير، وتاريخ النحويين.

ومن شعره:

وإذا الغريبُ تفرَّعَتْ أصنافُه	وتفرَّقَتْ فكأنَّه بدَويُّ
وإذا علوم النحو قِيست فهو مَنْ	جُمعا له الكوفيُّ والبصريُّ

فصل:

قال ياقوت في ديباجة معجم الأدباء(١): وبعدُ، فما زلتُ منذ غذيت بغرام الأدب، وأُلهِمْتُ حبُّ العلم والطلَب، مشغوفا بأخبار العلماء، متطلعا إلى أنباء الأدباء، أتساءَل عن أحوالهم، وأطوِّف على مصنَّف لهم يشفى الغليل، ويداوي لوعة العليل، فما وجدتُ في ذلك تصنيفا شافيا، ولا تأليفاً كافيا مع أنَّ جماعة من العلماء والأئمة القدماء أعطوا ذلك نصيبا من عنايتهم وافرا فلم يكن عن صبح الكفاية سافراً كأبي بكر محمد بن

---

[*] انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ٣/١٥١. الأنساب: ١/٤٤٢. الوافي: ٤/٣٥.

(١) من مقدِّمة ياقوت في كتابه معجم الأدباء. انظر: ١/٧٠٥ وقد أشار الدكتور إحسان عباس محقِّق كتاب معجم الأدباء إلى أنَّ ترجمة أبي بكر التاريخي سقطت من الكتاب. انظر: ٢/٥٥٢.

عبدالملك التاريخي، وأرى أنّه أوّل من أعارهم طرفه، وسوّد في تبييض أخبارهم صحفه، لأنّه قال في مقدّمة كتابه: «وقد اجتهد أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني في مثل ما أودعناه كتابنا من أخبار النحويين، فما وقعا ولا طارا» هذا مع أنّ كتابه صغير الحجم، قليل التراجم، محشوٌّ بالنوادر التي رَوَوْها لا يختصّ بأخبارهم أنفسهم، ثمّ ألف بعده في هذا الأسلوب ابن درستويه كتاباً لم يقع إلينا إلا أننا نظنّه كذلك، ثم صنّف فيه أبوعبيدالله محمد بن عمران المرزباني كتاباً حفيلاً كبيرا إلا أنّه حشاه بما رَوَوْه، فينبغي أن يسمّى مسند النّحويين، وهو تسع عشرة مجلدة مع أنه قليل التراجم بالنسبة إلى كبر حجمه.

ثمّ ألّف أبو سعيد السيرافي كتاباً صغيراً في نحاة البصرة.

ثمّ جمع أبو بكر محمد بن حسن الإشبيلي الزبيدي كتاباً لم يقصّر فيه، وهو أكثر هذه الكتب تراجم وفوائد.

ثمّ ألف فيه القاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعرّيّ كتاباً لطيفاً.

ثمّ ألف فيه علي بن فضال المجاشعي كتاباً سمّاه: «شجرة الذهب في أخبار أهل الأدب»، وهو كثير التراجم إلا أنّه قليل الفائدة لا يعتني بالأخبار، ولا يعبأ بالوفيات والأعمار.

ثمّ ألف فيه الكمال عبدالرحمن بن الأنباري كتابا سماه : نزهة الألباء في أخبار الأدباء. انتهى.

[٢١]*

ثعلب

أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار الشيباني مولى بني شيبان.

قال الخطيب في تاريخه: إمام الكوفيين في النحو واللغة، سمع إبراهيم بن المنذر الحزاميّ، ومحمد بن سلاّم الجُمَحيّ، ومحمد بن زياد الأعرابيّ، وعلي بن المغيرة الأثرم، وسلَمة بن عاصم، وعبيدالله بن عمير القواريريّ، والزبير بن بكّار.

روى عنه محمد بن العبّاس اليزيديّ، وعلي بن سليمان الأخفش، وإبراهيم بن محمد بن عرفة الأزديّ، وأبو بكر بن الأنباريّ، وعبد الرحمن بن محمد الزهريّ، وأبو عبدالله الحكيميّ، وأحمد بن كامل القاضي، وأبو عمر الزاهد، وأبو سهل زياد، ومحمد بن الحسن بن مقسم، وغيرهم.

وكان ثقة حجة ديِّنا صالحا، وكان بينه وبين المبرِّد منافرات كثيرة، والناس مختلفون في تفضيل كلّ واحد منهما على صاحبه.

ولد سنة مائتين، ومات يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين.

أخرج الخطيب عن أبي بكر بن الأنباريّ، قال: سمعت أحمد بن يحيى يقول:

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويّين: ١٥١-١٥٢. طبقات النحويين واللغويّين: ١٤١-١٥٠. الفهرست: ١١٧-١٨١. نور القبس: ٣٣٤-٣٣٧. تاريخ العلماء النحويّين: ١٨١-١٨٢. تاريخ بغداد: ٥/٤١٤-٤٢٠. تاريخ دمشق: ٦٤/٢٤٧-٢٥٠ وفيه أن اسمه أحمد بن يحيى بن يزيد. نزهة الألباء: ١٧٣-١٨٦. المنتظم: ١٣/٢٤-٢٥. معجم الأدباء: ٢/٥٣٦-٥٥٤. إنباه الرواة: ١/١٧٣-١٨٦. وفيات الأعيان: ١/١٠٢-١٠٤. إشارة التعيين: ٥١-٥٢. تذكرة الحفاظ: ٢/٦٦٦-٦٦٧. سير أعلام النبلاء: ١٤/٥-٧. تاريخ الإسلام: وفيات (٢٩١-٣٠٠): ٨١/٨٤ وفيه أنّ اسمه أحمد بن يحيى بن يزيد. الوافي: ٨/١٥٧-١٥٩. مرآة الجنان: ٢/١٦٣-١٦٤. البلغة: ٣٤-٣٥. غاية النهاية: ١/١٤٨-١٤٩. البغية: ١/٣٩٦-٣٩٨. مفتاح السعادة: ١/١٦٧-١٦٩. شذرات الذهب: ٢/٣٨٠-٣٨١.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- النّحو في مجالس ثعلب.

سمعت من عبيدالله بن عمير القواريريّ مائة ألف حديث.

وأخرج عن ثعلب، قال: كنتُ أحبُّ أن أرى أحمد بن حنبل، فصرت إليه، فلما دخلت عليه، قال لي: فيمَ تنظر؟ فقلت: في النحو والعربيّة. فأنشدني أحمد بن حنبل:

إذا ما خَلَوتَ الدهر يوما فلا تَقُلْ ... خلوتُ ولكنْ قلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبَنَّ الله يغفَل ما مضى ... ولا أنَّ ما تُخفي عليه يغيبُ
لهونا عن الأيام حتى تتابعتْ ... ذنوبٌ على آثارهنَّ ذنوبُ
فيا ليت أنَّ الله يغفر ما مضى ... ويأذن في توباتنا فنتوبُ

وأخرج عن أبي محمد الزهريّ، قال: كان لثعلب عزاء ببعض أهله، فتأخرتُ عنه؛ لأنه خفي عني، ثم قصدته معتذرا، فقال لي: يا أبا محمد: ما بك حاجة إلى تكلّف عذر، فإنَّ الصديق لا يحاسَب، والعدوّ لا يُحتسَب له.

وأخرج عن أبي علي الطوماريّ، قال: حضر أبو العباس بن الفرات عند ثعلب، وكان سمينا عظيمَ الخَلق، فقال له: يا أبا العباس ما أهملت حاجتك وقد أحكمتها. فقال له: أنتَ في البِرِّ برّ وفي البحر درّ.

وأخرج الخطيب عن أبي عمر الزاهد، قال: أنشدنا ثعلب:

إذا ما شئتَ أن تَبْلو صديقا ... فجرِّبْ ودَّه عند الدراهم
فعند طِلابها تبدو هَناتٌ ... وتُعْرَفُ ثَمَّ أخلاق الأكارم

وأخرج عن أحمد بن نصر الذراع، قال: سمعت ثعلبا ينشد:

إذا أنتَ لم تَلْبسْ لِباسا من التقى ... تقلَّبتَ عُرياناً وإنْ كنتَ كاسيا

وأخرج عن أبي محمد الزهريّ، قال: كانت بيني وبين ثعلب مودة، وكنت أستشيره في أُموري، فجئت يوما أُشاوره في الانتقال من محلّة إلى أخرى لتأذيي بالجار، فقال لي: يا أبا محمد، العرب تقول: صبرك على أذى من تعرف خير لك من استحداث من لا تعرف.

وأخرج عن سليمان بن إسحاق الجلاب، قال: قيل لإبراهيم الحربيِّ: إنَّ ثعلبا أبا العباس يلحن في كلامه. فقال: أَيْشٍ يكون إذا لحن في كلامه، كان هشام -يعني- النحويُّ يلحن في كلامه، وكان أبو هريرة يكلم صبيانه وأهله بالنبطيَّة.

وأخرج عن عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، قال: حضرتُ مجلس أخي محمد بن عبدالله بن طاهر، وحضره أبو العباس أحمد بن يحيى وأبو العباس محمد بن يزيد النحويانِ، فقال لي أخي: قد حضر هذان الشيخان، وأنا أحبُّ أن أعرِفَ أيّهما أعلَم، فأجلِسُ، ويحضر هذان الشيخان بحضرتك ويتناظران. ففعلت وحضرا فتناظرا في شيء من علم النحو ممّا أعرفه، فكنتُ أشركهما فيه إلى أن دقّقا، فلم افهم، ثمَّ عُدت إليه بعد انقضاء المجلس، فأخبرته، وقلتُ له: يا سيدي، ما يعرف أعلمَهما إلا من هو أعلم منهما، ولست ذلك الرجل. فقال لي أخي: أحسنتَ والله، هذا أحسن، يعني اعترافه بذلك.

وأخرج عن أبي عمر الزاهد، قال: سألتُ أبا بكر السرّاج، فقلت: أيّ الرجلين أعلم أثعلبٌ أم المبرِّد؟ فقال: ما أقول في رجلين العالَم بينهما.

وأخرج عن أبي عمر الزاهد، قال: كنت في مجلس أبي العباس ثعلب، فسأله سائل عن شيء فقال: لا أدري. فقال له: أتقول لا أدري، وإليك تُضرَب أكباد الإبل، وإليك الرحلة من كلِّ بلد؟ فقال له ثعلب: لو كان لأمِّك بعدد ما لا أدري بقرأ لاستغنت.

وأخرج عن محمد بن يحيى قال: كنّا يوما عند أبي العباس أحمد بن يحيى، فضجر، فقال له شيخ: لو علمتَ ما لك من الأجر في إفادة الناس العلم لصبرتَ على أذاهم. فقال: لولا ذلك ما تعذبت، ثمَّ أنشد:

يُعابثنَ بالقضبان كلَّ مُفلَّج	به الظُّلم لم تَفْلل لهنَّ غُروب
رضاباً كطعم الشهد يحلو متونُه	من الضَّرو أو غصن الأراك قضيبُ
أولئك لولاهنَّ ما سقتُ نضوةً	لحاجٍ ولا استقبلت برد جنوبُ

وأخرج عن أبي بكر بن مجاهد، قال: كنتُ عند أبي العباس ثعلب، فقال لي: يا أبا

بكر، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن، ففازوا. واشتغل أهل الفقه بالفقه، ففازوا. واشتغل أصحاب الحديث بالحديث، ففازوا. واشتغلتُ أنا بزَيدٍ وعمرو، فليت شعري: ماذا يكون حالي في الآخرة؟ فانصرفت من عنده، فرأيت تلك الليلة النبيَّ (ﷺ) في المنام، فقال لي: أقرئ أبا العباس منّي السلام، وقل له: إنَّك صاحب العلم المستطيل.

قال أبو عبدالله أحمد بن عطاء الروذباريّ: أراد أنَّ جميع العلوم مفتقرة إليه.

أورد هذه القصة سليمان بن عتيق بن خلف النحويّ في كتاب الدرّة الأدبيّة في شرح العربيّة، وقال في آخرها: قال أبو بكر بن مجاهد: يعني -والله أعلم- المستطيل على سائر العلوم، وأنَّها مفتقرة إليه.

وأخرج الخطيب عن أبي علي الطوماريّ، قال: أنشدنا ثعلب:

مضى أمسُ بما فيه ... ويومي ما أُرجّيه
ولي في غد الجائي ... جِمامٌ سوف أقضيه
فإمّا سوف يُمضيني ... وإمّا سوف أُمضيه

وأخرج عن إسحاق بن أحمد الكاذي، قال: أنشدنا ثعلب:

بلغتُ من عُمري ثمانينا ... وكنتُ لا آمل خمسينا
فالحمدُ لله وشكراً له ... إذ زاد في عمري ثلاثينا
وأسأل الله بلوغاً إلى ... مرضاته آمينَ آمينا

وأخرج الخطيب(١) عن أبي محمد عبد الرحمن بن عبدالله المقريّ، قال: سمعت ثعلبا يقول: سئل بعض الحكماء عن البلاغة، فقال: لمحة دالة. وسئل آخر عن البلاغة: ما هي؟ فقال: ما اختصاره فساده.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه(٢) عن القاضي أبي طاهر محمد بن أحمد، قال:

---

(١) تاريخ بغداد: ٢٩١/١٠.

(٢) تاريخ دمشق: ١٠/٣٤.

سمعتُ ثعلباً وسئل عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يرونهم مثليهم رأيَ العين﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٣] قال: ثلاثة أضعافهم. قال: وقاله الفرّاء. قال القاضي: وسمعت ثعلبا يقول وسئل عن قوله تعالى: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ [سورة الضحى، الآية ٧] قال: يعني بين قومٍ ضلال، ومن كان في قوم نسب إليهم.

وفي معجم الأدباء لياقوت قال ثعلب: قلتُ لابن ماسويه في علّة شكوتها إليه: ما تقول في الحمام؟ فقال لي: إن تهيأ لأنسانٍ بعد أربعين سنة أن يكون قيّم حمّام فليفعلْ.

وأخرج الخطيب عن أحمد بن موسى بن العباس، قال: كتب عبدالله بن المعتزّ إلى أبي العباس ثعلب:

ما وَجْدُ صادٍ في الحبال مُوثَقِ ... بماءِ مُزْنٍ باردٍ مُصَفَّقِ
بالريح لم يطرق ولم يُرَنَّقِ ... جادت به أخلاف دُجنٍ مُطْبقِ
في صخرة لم ترَ شمسا تبرق ... فهو عليها كالزجاج الأزرقِ
صريح غيثٍ خالص لم يُمْذَقِ ... إلا كوجدي بك لكن أتّقي
يا فاتحا لكلِّ باب مغلق ... وصيرفيّا ناقداً للمنطقِ
إنْ قال هذا بهرجٌ لم يُنفق ... إنّا على البعاد والتفرُّقِ

لنلتقي بالذكر إن لم نلتقِ

فأجابه ثعلب في فصل من رقعته: نحن وإن لم نلتقِ كما قال رؤبة:

إنّي وإن لم ترني فإنّني ... أراك بالغيب وإن لم ترني

وقال ابن النجّار في تاريخ بغداد: قرأت في كتاب جهشتيار بن مهران بخطّه، قال: أنشدنا أبو الفرج الصامت، قال: أنشدنا أبو طاهر محمد بن علي العنبريّ، قال: أنشدنا ثعلب لنفسه:

لا تأسَفَنَّ من الدنيا على أملٍ ... فليس باقيه إلا مثل ما فيه
وافرحْ إذا لم تجد شيئا تحاسبه ... واندم على صالح لم تجتهد فيه

قال الطبرانيّ في المعجم الصغير[1]: حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب النحويّ، حدثنا محمد بن سلاّم بن زائدة بن أبي الوقاد عن ثابت عن أنس، قال النبي (ﷺ) لأمّ عطية: يا أمَّ عطية، إذا خفضت فأشمي ولا تنهكي فإنَّه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج.

وقال الخطيب[2]: أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن الحسن بن مقسم المعريّ، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ثعلب، فذكره وقال قال أبو العباس: رأيت يحيى بن معين بين يدي محمد بن سلاّم يسأله عن هذا الحديث.

وقال الخطيب[3] أخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يعقوب الأصبهانيّ قال: سمعت محمد بن عبد الواحد اللغويّ يقول: كان هذا الحديث عند أبي العباس أحمد بن يحيى عن محمد بن سلاّم، فكانوا يسألونه عنه، فقال: رأيت يحيى بن معين عند محمد بن سلاّم يسأله عن هذا الحديث.

وقال أبو الطيب[4]: كان ثعلب يعتمد على ابن الأعرابيّ في اللغة، وعلى سلَمة في النحو، وكان يروي عن أبي نجدة كتب أبي زيد، وعن الأثرم كتب أبي عبيدة، وعن أبي نصر كتب الأصمعيّ، وعن عمرو بن أبي عمرو كتب أبيه. وكان ثقة متقنا يُسْتغنى بشهرته عن نعته.

وقال الزجاجي[5] في أماليه: أخبرنا أبو الحسن الأخفش، قال: كنت يوما بحضرة ثعلب، فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس، فقال: إلى أين؟ ما أراك تصبر عن مجلس الخُلْدي. فقلت له: لي حاجة. فقال لي: إنّي أراه يقدم البحتريّ على أبي

---

(١) المعجم الصغير: ١/٩١.

(٢) تاريخ بغداد: ٢/٤٠٠.

(٣) المصدر نفسه: ٢/٤٠٠.

(٤) رواية السيوطي مختصرة عن رواية أبي الطيب في المراتب. انظر: مراتب النحويين: ١٥٢.

(٥) أمالي الزجاجي: ٥٦-٥٨.

تمام، فإذا أتيته فقل له: ما معنى قول أبي تمام:

أألفة النحيب كم افتراق أظلّ فكان داعية اجتماعِ

قال أبو الحسن، فلما صرت إلى أبي العباس المبرِّد، سألته عنه، فقال: معنى هذا أنَّ المتحابين والمتعاشقين قد يتصارمان ويتهاجران دلالاً، لا عزما على القطيعة، فإذا حان الرحيل، وأحسا بالفراق، تراجعا إلى الودّ وتلاقيا خوف الفراق، وأنْ يطول العهد بالالتقاء بعده فيكون الفراق حينئذٍ سببا للاجتماع، كما قال الآخر:

متّعا بالفراق يوم الفراق مستجيرين بالبكاء والعناقِ
كم أسرَّا هواهما حذر الناس وكم كتما غليل اشتياقِ
وأظلَّ الفراقُ فالتقيا فيه (م) فراقٌ أتاهما باتفاقِ
كيف أدعو على الفراق بحتفٍ وغداة الفراق كان التلاقي

قال: فلما عدت إلى ثعلب في المجلس الآخر، سألني عنه، فأعدت عليه الجواب والأبيات، فقال: ما أشدَّ تمويهه! ما صنع شيئا، إنَّما معنى البيت أنَّ الإنسانَ قد يفارق محبوبه رجاء أن يغنم في سفره، فيعود إلى محبوبه مستغنيا عن التصرّف، فيطول اجتماعه معه، ألا تراه يقول في البيت الثاني:

وليس فرحُ الأوبات إلا لموقوف على تَرَح الوداعِ

وهذا قول الآخر، بل منه أخذ أبو تمام:

وأطلبُ بُعْدَ الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمُدا

هذا هو ذاك بعينه.

وقال الزجّاجيّ: أخبرنا نفطويه، قال: قال ثعلب: سألني بعض أصحابنا عن قول الشاعر:

جاءت به مرمّدا ما مُلاّ ما فيّ آلٌ خمٌ حين ألّى

فلم أدرِ ما أقول، فصرت إلى ابن الأعرابيّ، فسألته عنه، ففسره لي، فقال: هذا

يصف قرصا خبزته امرأةٌ، فلم تنضجه مرمّداً ملتوتا لرمادٍ ما مُلاً، أي: لم يَمِلُ في الملّة، وهي الجمر والرماد الحار، وما زائدة في ما فيّ، فكأنّه قال فيٌّ ألّ، والآلّ وجهه، يعني وجه القرص، خمّ، أي: تغيّر حين ألّى، أي: من إبطاء في النضج، فقال: ألٌّ الرجل إذا توانى وأبطأ في العمل(١).

وأخرج ابن النجّار من طريق أبي القاسم عمر بن محمد الكاتب، قال: أنشدنا أبو علي محمد بن علي بن مقلة الوزير، وأبو بكر محمد بن الخياط النحويّ، قالا: أنشدنا ثعلب:

إذا ما يعيب الناس عابوا فأكثروا ... عليك وأبدَوا منك ما كنت تسترُ
فلا تعِبْن خَلْقا بما فيك مثله ... وكيف يعيبُ العور من هو أعورُ

وأخرج ابن النجّار من طريق أبي أحمد بن عدي الحافظ، قال: أنشدنا حمزة بن أحمد بن عبدالله بن شهاب، أنشدني أحمد بن يحيى:

الصدق حلو وهو المرّ ... والصدق لا يتركه الحرّ
جوهرة الصدق لها زينة ... يحدّها الياقوت والدرّ

وأخرج ابن النجار عن أبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف، قال: لما دخل عبدالله بن طاهر العراق، دخل عليه ثعلب، فسلّم عليه، فأجابه السلام، وقال: أنتَ أديب العراق؟ فقال ثعلب: كذا يقول من يهواني.

وأخرج الخطيب عن عبدالله بن جعفر بن دُرُستَويه، قال: اجتمع إبراهيم الحربيّ وأحمد بن يحيى ثعلب، فقال ثعلب لإبراهيم: متى يستغني الرجل عن ملاقاة العلماء؟ فقال له إبراهيم: إذا علم ما قالوا، وإلى أيٍّ شيءٍ ذهبوا فيما قالوا.

وقال القالي في أماليه(٢): أنشدنا بعض أصحاب المبرِّد في ثعلب:

---

(١) انظر: اللسان: مادة (ملل).

(٢) أمالي القالي: ١/١٧٧.

أقــــسمُ بالمبــــتَـــسم العـــذبِ ومـــشـــتكى الصبِّ إلى الصبِّ
لـو أخــــذ النحـــو عن الـربِّ مـــــا زاده إلا عـــمى القلبِ

قال القالي: فحكيَ لنا أنَّ ثعلبا لما أنشد هذين البيتين، قال متمثلاً:

أَسمَعَني شاتمي عبد بني مسمعٍ فــصنتُ عنه النفسَ والعِـرْضـا
ولا أُجْـــبــه لاحــتــقــاري له ومن يَعَضُّ الكلب إن عـــضّـا

وقال وكيع في الغرر: أنشدنا أحمد بن يحيى الشيباني:

ويشــتمني المرء اللئيم فــلا أرى كفاءً لعرضي عرضه فأجامعهْ
أجـــرُّ له ثوبي كـــأنيَ غـــافل الاعــــبـــهُ طورا وطورا أنازلهْ
لأدرك منهُ وقـــعـــة لا ثرى لهــا ومن تشــره الأيام فــالجبن قــاتلهْ
فـإن لا أنلها منه في اليـوم أو غـدٍ أو الســـبع أنظِرْهُ نهــارا أطاولهْ

في أمالي ثعلب[١]: لا نعرف القرآن والغريب والشعر إلا بالنحو، النحو ميزان هذا كلّه، وقال الفراء: أصل لكلِّ علمٍ، به فقه العلماء، وينبغي أن يُبحَثَ فيه ويُنظرَ.

قال البيهقيّ في شُعب الإيمان[٢]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب، قال: أخبرني ثعلب، قال: أخبرني أبو نصر عن الأصمعي، قال: العرب تقول: لقست نفسي، أي: عثَت، ومنه النهي عنه: «لا يقولنْ أحدكم خبثت نفسي، ولكن يقول: لقست نفسي».

وقال[٣]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد، حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب، قال: قال بعض العقلاء: إنّما يكذب الإنسان ليصدق، فليصدق وليسترحْ.

(١) نصّ ثعلب في مجالسه: «لا يصحّ الشعر ولا الغريب ولا القرآن إلا بالنّحو. النّحو ميزان هذا كلّه. وقال: تعلّموا النحو فإنّه أعلى المراتب». انظر: ٣١٠/١.

(٢) شعب الإيمان: ٣١٠/٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٤/٤.

وقال[1]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أنشدنا أبو الصقر أحمد بن الفضل الكاتب بهمذان، أنشدنا أحمد بن يحيى النحويّ ثعلب:

هوِّن عليك الأمرَ صفحاً يهُنْ ... فقل ما سكنت إلا سكنْ
اقبل من الدهر تصاريفه ... واقنع به إنْ لانَ أو خشنْ
كم لذّة قد نلت في ساعة ... ثمّ تولت فكأنْ لم تكنْ
صنْ كلما شئت فإنَّ البلى ... يمضي بما صنت وما لم تصنْ
إنْ كنت بالأيام مستأنسا ... فهاتِ يوما واحداً لم يخُنْ

وقال البيهقيّ[2]: أنشدنا محمد الحسن السلميّ، أنشدني أبو الحسن السلامي البغداديّ أنشدني نفطويه، أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب:

ثلاث خلال للصديق جعلتها ... مضارعة للصوم والصلوات
مواساته والصفح عن كلِّ زلّة ... وترك ابتذال السرّ في الخلوات

وقال البيهقي[3]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثني الزبير بن عبدالله البغداديّ، حدثنا أبو عبدالله محمد بن عامر المؤدب، قال: قال لي أبو عبدالله اليزيديّ: دخلت على أبي العباس ثعلب أعوده، فقلت: يا أبا العباس، كيف تجدك؟ قال: أجدني أشتهي ما لا أجد، وأجد ما لا أشتهي، في زمننا هذا، من جادَ لم يَجُدْ، ومن وجد لم يَجِدْ. ثم أنشأ يقول:

أتعرف في الدنيا كريما تؤمّه ... لدفع ملمٍّ أو لبذل جزيلِ
فذو الجود مقتور عليه وذو الغنى ... يضن بما يحويه غير بَذُولِ
ولله دهر خيره للئامه ... وأحراره صَرْعى بكلِّ سبيلِ
هو الصبر حيّ يأذن الله بالغنى ... وإلا فما يغني احتيال حَيول

(١) شعب الإيمان: ٧/٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ٧/٥٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ٧/٤٤٥-٤٤٦.

فلو أنَّ مـا بالاحـتـيـال وحـيلتي لقـد كنت أحـوى منه غـيـر قليلِ

وقال البيهقيّ في كتاب الأسماء والصفات[1]: كتب إليَّ أبو نصر بن قتادة عن أبي الحسن بن مهدي عن ابن الأنباريّ عن ثعلب في قول الله: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ [سورة النور، آية ٣٥] يعني أنه حقّ أهل السموات والأرض، وهذا نظير قول العرب إذا سمعوا قول القائل: حقًا، كلامك هذا عليه نور. أي: هو حقّ.

وفي التذكرة الحمدونيّة[2] قال ابن المنجم: كنت أحضر وأنا صغير مجلس ثعلب، فأراه ربّما سئل عن خمسين مسألة، وهو يقول: لا أدري، لا أعلم، لم أسمع.

قال أبو بكر الزارع: سمعتُ أبا العباس ثعلبا يقول في قوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾ [سورة البقرة، آية ٤٠] يقول: أوفوا لي بطاعتي أوفِ لكم برضاي وجنّتي، ثم قال: اكتبوا:

أداوم في عـهـدي لمن لا يدوم لي وأنَّى لكم مـثلي على العـهـد أدوَمُ
فكم قـد جـهلتم ثم عـدنا بحلمنا أأحـبـابنا كم تجـهلون ونحلمُ

قال الخطيب في تاريخه[3]: قال أبو الحسن محمد بن العباس بن الوليد المعروف بابن النحويّ: سألتُ أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا عن قوله (ﷺ) «حبُّكَ الشيءَ يعمي ويصمّ» فقال: يعمي العين عن النظر إلى مساوئه، ويصمّ الأذن عن استماع العدل فيه. وأنشأ يقول:

وكذّبت طرفي فيك والطرفُ صادقُ وأسمعت أذني منك ما ليس يُسمَعُ

وقال[4]: حدثني القاضي أبو العلاء الواسطيّ، أنشدني قاضي القضاة أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي الشوارب، أنشدنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد

(١) كتاب الأسماء والصفات: ٢/٣٧.

(٢) التذكرة الحمدونية: ٣/١٨٩.

(٣) تاريخ بغداد: ٣/٢٣٣.

(٤) المصدر نفسه: ٥/٢٥١.

الزاهد، قال: أنشدنا الأستاذ أبو العباس أحمد بن يحيى:

عجبتُ لمن يخافُ حلول فقرٍ ... ويأمنُ ما يكون من المنون
أيأمنُ ما يكون بغير شكٍّ ... ويخشى ما ترجّمُهُ الظنون

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن عيسى بن عبد الرحمن أنّ رجلا كان يصحب ثعلبا، فدخل عليه يوما، فرأى عنده قوما ليسوا بأكفاء له، فقال له في ذلك، فأنشأ يقول:

الأنسُ في الناس قليل جدا ... ولا أرى لي من أنيس فردا
إن لم أدارهم بقيت فردا

وقال الشيرازيّ في الألقاب: أخبرنا عبدالله بن أحمد الفارسيّ، حدثنا أبو بكر محمد بن العباس بن الوليد القاضي النحويّ ببغداد، قال: دخلت على أبي العباس أحمد بن يحيى الشيبانيّ ثعلب منصرفي من مجلس عبدالله بن أحمد بن حنبل، فقال: ما الذي حدثكم به عبدالله؟ فقلت: ما عن أبيه عن شعيب عن الزهريّ عن أنس قال: قال رسول(ﷺ): «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عبادَ الله إخوانا، ولا يحلّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه فوق ثلاث» فقال ثعلب: اكتب، فكتبت وأملى عليّ[1]:

فلا تهجريني يا ثباتُ واحسني ... وجافي مليك الناسِ ذا المنّ واليُسرِ
فقد جاء قول عن رجال أترابه ... وجاء به سفيان حقًا عن الزهري
وأخبرني أيضا به غير واحد ... رواه بإسنادٍ عن الحسن البصري
إذا هجر الإنسان فوق ثلاثة ... أخاه تولى الله عنه إلى الحشر
فَهلْك إلا أن يراجع ما مضى ... ويجري على الأمر الذي لم يزل يجري
فيا عاذلي في الحبِّ لم تدرِ ما الهوى ... ولم تدرِ إذ لم تدرِ أنّك لا تدري

وقال الشيرازيّ: أنشدنا أبو الحسن بن مقسم، قال: أنشدنا أبو نصر أحمد بن

(١) انظر: تاريخ دمشق: ١١/٢٧٥-٢٧٦.

علي الجرجاني الكاتب حدثنا الأخفش، قال: سمعت ثعلبا يقول: أنشدني بعض حكماء العرب:

وابن عشر من السنين غلامٌ ... همّه اللهو مولعٌ بالغرامْ
وابن عشرين مولعٌ بالغواني ... لا يبالي ملامة اللوّامْ
والذي يبلغ الثلاثين عاما ... فضَروبٌ لدى الوغى بالحسامْ
وإذا جازها بعشر سنين ... كان كهفا لدى الورى والخصامْ
وابن خمسينَ للنوائب يُرْجى ... ولنقضِ الأمور والإبرامْ
وابن ستين جاز في الرأي طبٌّ ... حسن العقل متقن للكلامْ
وابن سبعين قد تولى فأودى ... وتثنّى فما له من قوامْ
والذي يبلغ الثمانين عاما ... تائه العقل دائم الأسقامْ
وابن تسعين ليس يدعى بحيٍّ ... إنّ تسعين غاية الأعوامْ
فإذا جازها بعشر سنين ... كان في الموت براحة والسلامْ

قلتُ: وقد حذا على هذه الأبيات مالك بن المرحل المالقيّ، فقال:

ابن عشر من السنين غلام ... رُفِعت عن ماله الأقلامْ
وابن عشرين للصبا والتصابي ... ليس يثنيه عن هواه ملامْ
فإذا بلَغ الثلاثين عاما ... بلَغ اللهو حدّه والغرامْ
وإذا زار أربعين فعقلٌ ... ووقار وفطنة وتمامْ
وابن خمسين مرٌ عنه صباه ... فتراه كأنّه أحلامْ
وابن ستين عاش ما قد كفاه ... لا يبالي متى أتاه الحمامْ
وابن سبعين صيَّرته الليالي ... هدفا للمنون وهي سهامْ
فإذا جاوز الثمانين عاما ... بلغ الغاية التي لا تُرامْ
وابن تسعين لا تسالنّ عنه ... فابن تسعين ما عليه كلامْ
وإذا زاد بعد ذلك عشرا ... فهو حيُ في ميت والسلام

في كتاب اللطائف واللطف للثعالبي[1]: كان أبو العباس ثعلب يقول: وددت الليل نهارا كلّه كي لا ينقطع عني أصحابي.

في بعض المجاميع: حضر أعرابيّ مجلس ثعلب، فقال: أنشدوني أغزل بيت قالته الحاضرة. فقال ثعلب: أجيبوه. فأنشده بعضهم قول جرير:

إنَّ العيون التي في طرفها حَوَر ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعْنَ ذا اللُبِّ حتى لا حِراك به ... وهُنَّ أضعفُ خلقِ الله أركانا

فقال الأعرابيّ: أحسنَ والله في وصف البراغيث. قالوا: فأنشدْنا أغزل بيت قالته البادية. فأنشدَ:

تُبارِزُ أُسْدَ الغابِ وهي خوادرٌ ... وتقتلنا في السلم عِين كواعب

وليست سهام الحرب تصمي نفوسنا ... ولكنْ سهام فوّقتها الحواجب

فقال ثعلب: اكتبوا ما سمعتم ولو بالخناجر على الحناجر.

قال الشيرازيّ في الألقاب: أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى العنزيّ، حدثنا محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب، حدثنا ثعلب حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهريّ حدثنا يونس بن كثير اليماني، حدثنا جندب بن قيس عن أنس بن مالك قال: كنت عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم فصلّى بنا صلاة العصر، ثم دخل إلى دار أمِّ حبيبة بنت أبي سفيان زوجتِه، فوضع بين يدي رسول الله (ﷺ) طبق عليه موز، فمدَّ يده إليه، كأنَّها جمارة، فأخذ أربع موزات، فأعطاني، فقال: يا أنس، صرْ إلى دار فاطمة، فأعطي الحسن واحدة والحسين واحدة، ولفاطمة الزهراء اثنتين، فإذا فعلت ذلك فصرْ إليَّ. فلما فعلت ما أمرني رسول الله (ﷺ) رجعت إليه، فسمعت أمَّ حبيبة تقول: برسول الله تفتخر قريش بما بايعوك تحت الشجرة، وأخي معاوية لم يكن فيهم، فكأنَّه صعب في وجهه. فقال لها: نعمْ يا

(١) لطائف اللطف: ٧٩-٨٠.

رملةً. فخرج رسول الله (ﷺ) فلما أن خرج حضر معاوية، فقال لعمار بن ياسر: يا عمار، البهم بالذي ودعت عندك. فدخل عمار داره، فأتى بالبهم، فمدَّ يده (ﷺ) إلى معاوية، فأعطاه، فقال: خذ سهمك يا معاوية وأعطني في الجنة.

هذا الحديث منكر، ثم رأيت له إسنادا آخر عن النبي (ﷺ)، قال ابن عساكر[1]: أخبرنا أبو محمد بن سهل أخبرنا أبو الحسن بن صصرى حدثنا أبو منصور العمادي حدثنا أبو القاسم السقطي حدثنا إسحاق بن محمد حدثنا صديق حدثنا الحسن بن رشاد حدثنا العسكري حدثنا أبو زرعة حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا عبد العزيز بن حبيب عن النبي (ﷺ)، به وأتمَّ منه.

قال ياقوت في معجمه، قال التاريخي: حدثني أبو الحصين البجلي، قال: يقول أهل الكوفة: لنا ثلاثة فقهاء في نسق لم ير الناس مثلهم: أبو حنيفة، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن، ولنا ثلاثة نحويين كذلك: وهم الكسائي والفراء وثعلب.

قال أبو عمر الزاهد في شرح الفصيح: قال أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج[2]: دخلت على أبي العباس ثعلب في أيام إملاء أبي العباس المبرِّد المقتضبَ، فسلمت عليه وعنده أبو موسى الحامض، وكان يحسدني حسدا شديدا ويجاهرني بالعداوة، وكنت ألين له وأحتمله لموضع الشيخوخة والعلم، فقال ثعلب: قد حُمِلَ إليَّ بعض ما أملاه هذا الخلدي، فرأيته لا يطوع لسانه بعبارته. فقلت: إنَّه لا يشكّ في عبارته اثنان، ولكن سوء رأيك فيه يعيبه عندك. فقال: ما رأيته إلا ألكن متغلقا. فقال أبو موسى الحامض: والله إنَّ صاحبهم ألكن، يعني سيبويه، فأحفظني ذلك. فقلت: كيف يكون ألكن من يقول في أول كتابه: «هذا باب علم ما الكلم من العربيّة» وهذا يعجز عن إدراك فهمه كثير من الفصحاء فضلاً عن النطق به. قال ثعلب: قد وجدت في كتابه نحوا من هذا. قلت: ما هو؟ قال: يقول في كتابه "حاشا حرف خفضٍ يخفض ما بعده،

(١) تاريخ دمشق: ٥٩/١٠٤-١٠٥.

(٢) الرّاوية بتمامها في معجم الأدباء أكثر تفصيلاً. انظر: ١/٥٥-٥٨.

كما تخفض حتى، وفيهما معنى الاستغناء"[1]. فقلت: هذا هكذا في كتابه، وهو صحيح، ذهب في التذكير إلى الحرف، وفي التأنيث إلى الكلمة. قال ثعلب: فالأجود أن يُحمَل الكلام على وجه واحد. قلت: كلٌّ جيد، قال الله عزَّ وجل: ﴿ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٣١] وقرئ (ويعمل)، وقال: ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ [سورة يونس، الآية ٤٢] ذهب إلى المعنى، وقال: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ [سورة يونس، الآية ٤٣] ذهب إلى اللفظ، وليس لقائل أن يقول: لو حُمِل الكلام على وجه واحد في الآيتين كان أجود؛ لأنَّ كلاً جيِّد. ولكن، هذا أنتَ عملت كتاب الفصيح للمتعلم المبتدئ، وهو عشرون ورقة، أخطأتَ فيه في عشرة مواضع منه. فقال: اذكرها. فقلت له: قلتَ: "عِرق النَّسا" وهذا خطأ، إنَّما يقال: هو النَّسا، ولا يقال: عرق النَّسا، كما لا يقال: عرق الأبهر ولا عرق الأكحل، قال امرؤ القيس:

فأنشب أظفاره في النَّسا ... فقلْت هُبلْتَ ألا تنتصرْ

وقلتَ: حَلَمْتُ في النوم أحلم حلْما وحلُما، والحُلُم ليس بمصدر، وإنَّما هو اسم، قال الله تعالى: ﴿والذين لم يبلغوا الحلُم منكم﴾ [سورة النّور، الآية ٥٨] وإذا كان للشيء اسمٌ لم يوضَع المصدر موضع الاسم، ألا ترى أنَّكَ تقول: حسبت الشيء أحسبه حَسْبا، فالحَسْب المصدر، والحساب الاسم، ولو قلت: أرفع الحَسْب إليك لم يجز، وأنت تريد: أرفع الحساب إليك.

وقلتَ: رجل عَزَب، وامرأة عَزَبة. وهذا خطأ، وإنَّما يقال: رجل عزَب، وامرأة عَزَب؛ لأنَّه مصدر وصِف به، فلا يثنَّى ولا يُجمَع، كما تقول: رجل خصم وامرأة خصم، ولا تقول: خصمة. وقد أتيت بباب من هذا الضرب في الكتاب، وأفردت هذا منه، قال الراجز:

يا من يدلّ عزَباً على عزَبْ ... ممكورة الساقين جمّا الرُّكَبْ

على فتاة مثل تمثال الذَّهَبْ

---

(١) في معجم الأدباء: الاستثناء. انظر: ١/٥٦.

وقلت: كِسرى بكسر الكاف. وإنَّما هو كَسرى بفتح الكاف، وهذا مما ليس تغيره بالنسب لبعده عنها، ألا ترى أنَّك لو نسبت إلى معزى ودرهم لقلت: مِعزويّ ودِرهميّ، ولا تقول مَعزويّ ولا دَرهميّ.

وقلت: وعدت الرجل خيرا وشرا، فإذا لم تذكر الشرّ، قلتَ، أوعدته بكذا وكذا من الوعيد، وقولك بكذا نقض لما أمليت؛ لأنَّك قلت: فإذا لم تذكر الشرّ، قلتَ: أوعدته، وقولك بكذا وكذا كناية عن الشرّ، والصواب أن تقول: فإذا لم تذكر الشرَّ، قلتَ: أوعدته.

وقلتَ: هم المطوِّعة. وإنَّما هم المطَّوعة بتشديد الطاء، كما قال الله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدَقات﴾ [سورة التوبة، الآية ٧٩] فقال ما قلت إلا المطوعة. فقلت: هكذا قرأته عليك، وقرأه غيري، وأنا حاضر أسمع مرارا فلم تغيره.

وقلت: هو لرِشدة وزِنْية. وإنَّما هو لرَشدة وزَنية وغَيَّة بالفتح كما قلت: هو لغَيَّة بالفتح، والباب فيها واحد، إنَّما يريد المرة الواحدة، ومصادر الثلاثيّ إذا أردت المرَّة الواحدة لم تختلف، تقول: ضربته ضَرْبة، وجلست جَلْسة، وركبت رَكْبة، ولا خلاف في ذلك بين أحدٍ من النحويين، وإنَّما يُكْسَر من ذلك ما كان دالاً، فتصفها بالحسن أو القبح، وغير ذلك، تقول: هو حسَن الجِلسة والسيرة والرِّكبة، وليس هذا من ذاك.

وقلتَ: أَسنُمة للبلدة. ورواه الأصمعيّ بضم الهمزة أُسنُمة. فقال: ما روى ابن الأعرابيّ وأصحابنا إلا أَسنُمة. فقلت: قد علمت أنَّ الأصمعيّ أضبط لما يحكي وأوثق فيما يروي.

وقلت: إذا عزَّ أخوك فهُنْ. والكلام فهِنْ أجود، وهو من هان يهين إذا لان، ومنه قيل: هَيِّن لَيِّن، لأنَّ هُنْ من هان يهون من الهوان، والعرب لا تأمر بذلك، ولا معنى لهذا الكلام. ومعنى قوله: عزَّ الشيء هو [ليس] من العِزَّة التي هي منَعة، وإنَّما هو من قولك عزَّ الشيء إذا اشتدَّ، فمعنى الكلام: إذا صعب أخوك واشتدَّ، فذِلّ لأمر الذّلّ الذي من الهوان، وإنَّما أراد إذا صعب أخوك عليك فلِن له.

قال: فما قرئ عليه كتاب الفصيح بعد ذلك علمي، ثمَّ بلغني أنَّه سئم ذلك، فأنكر

كتاب الفصيح أن يكون له.

وقد روى هذه الحكاية ياقوت في معجم الأدباء، فقال: أنبأنا زيد بن الحسن الكنديّ عن أبي منصور الجواليقيّ عن المبارك الصيرفيّ عن علي بن أحمد بن الدهّان عن عبد السلام بن الحسن البصريّ، قال: كتب إلينا أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطيّ من الموصل، قال: قال أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج: فذكرها. ثمّ قال ياقوت: وهذه المآخذ التي أخذها الزجّاج على ثعلب لم تسلّم له العلماء باللغة فيها، وقد ألّفوا تواليف في الانتصار لثعلب(١).

قال ياقوت: وذكر عن محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست، وقال: له من الكتب: كتاب المصون في النحو، جعله حدودا. كتاب اختلاف النحويين. كتاب معاني القرآن. كتاب مختصر في النحو، سمّاه الموفقيّ. كتاب القراءات. كتاب معاني الشعر. كتاب التصغير. كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف. كتاب ما يُجرى وما لا يُجرى. كتاب الشواذّ. كتاب الوقف والابتداء. كتاب الهجاء. كتاب استخراج الألفاظ من الأخبار. كتاب الأوسط. كتاب غريب القرآن، لطيف. كتاب المسائل. كتاب حدّ النحو. كتاب تفسير كلام ابن الخُسّ. كتاب الفصيح.

وذكر أنّ الفصيح تصنيف الحسن بن داود الولي، وادّعاه ثعلب.

قال: ولأبي العباس مجالسات وأمالٍ أملاها على أصحابه في مجالسه، تحتوي على قطعة من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر، رواها عنه جماعة.

وعمل أبو العباس قطعة من دواوين العرب، وفسّر غريبها كالأعشى، والنابغتين، وغيرهم. انتهى.

قلتُ: الأمالي المشار إليها وقفت عليها، ولي بها إسناد(٢)، وقد اعتنى الناس

---

(١) ناقش هذه المآخذ الدكتور عاطف مدكور في دراسته لتحقيق كتاب الفصيح. انظر: كتاب الفصيح: ٢١٣-٢١٩.

(٢) هذا كلام السيوطيّ؛ إذ كانت عنده نسخة جيّدة من المجالس (الأمالي) انتقلت إلى عبدالقادر بن عمر البغدادي. وأشار إليها. انظر: خزانة الأدب: ٤/٤٣٤.

بفصيحه فشرحوه ونظموه وذيّلوا عليه.

وفي طبقات الزبيدي في ترجمة ثعلب: فاق من تقدّمه من الكوفيين، وأهل عصره منهم، وكان قد ناظر جميع أصحاب الفراء وساواهم.

قال أبو بكر بن الأنباريّ: نظر ثعلب في النحو وله ثماني عشرة سنة، وصنَّف الكتب وله ثلاث وعشرون سنة، وكان ثِقة صدوقا حافظا للغة عالما بالمعاني.

قال: وسئل الرياشيّ حين انصرف عن بغداد إلى البصرة عن علماء بغداد، فقال: ما رأيت منهم أعلمَ من الغلام المنبوز. يعني ثعلبا.

وقال الأوراجيّ الكاتب: حدثنا العجوزيّ قال: كان ثعلب من العلم والحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربيّة ورواية الشعر القديم ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين على ما ليس على أحد، وكان يدرس كتب الفراء والكسائيّ درسا، ولم يكن يعلم مذهب البصريين، ولا مستخرجا للقياس، ولا مطالبا له، وكان يقول: قال الفراء، وقال الكسائيّ، فإذا سئل عن الحجة والحقيقة في ذلك لم يغرق في النظر.

وكان ضنين النفقة مقترا على نفسه.

وقال أحمد بن إسحاق المعروف بأبي المدوَّر: كنت أرى أبا عبدالله بن الأعرابيّ يشكُّ في الشيء، فيقول: ما عندك يا أبا العباس في هذا؟ ثقةً بغزارة حفظه. ولم يكن مع ذلك موصوفا بالبلاغة ولا رأيته إذا كتب كتابا إلى بعض أصحاب السلطان، خرج عن طبع العامة فيه، فإذا أخذته في الشعر والغريب ومذهب الفراء والكسائيّ، رأيت من لا يفي به أحد، ولا يتهيأ له الطعن عليه.

وكان هو والمبرِّد عالمين قد خُتِمَ بهما تاريخ الأدباء، وكان المبرِّد يحبّ أن يجتمعَ معه ويستكثرَ منه، فكان يمتنع من ذلك، فقلتُ لختنه الدينوريّ: لِمَ يفعلُ ذلك؟ فقال: المبرِّد حسن العبارة حلو الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان، وثعلب مذهبه مذهب المعلِّمين، فإذا اجتمعا في محفل حُكِمَ لهذا على الظاهر إلى أن يُعْرَفَ الباطن. وكانا إذا تلاقيا على ظهر طريقٍ تساءلا وتوافقا، رحمهما الله.

وقال بعضهم: كنَّا عند ثعلب في ذي الحجة سنة ستٍّ وثمانين، فقال في كلام جرى: ما كنت في وقت من الأوقات أشدَّ تثبيتا في العربية واللغة مني في هذا الوقت؛ لأنِّي كلَّما طاولتها وتبحرتها احتجت إلى التثبت فيها، وأرى قوما ينظرون أياما يسيرة، ثمَّ يقع لهم أنَّهم قد بلغوا أو اكتفوا.

وقال أبو عمر الزاهد: قال لي ثعلب: إنَّه ما قال شعرا قط إلا شيئا لم يظهَرْ: البيت والبيتين، وما كان يرتضي ما يأتيه من ذلك.

قال ابن خالويه في شرح الفصيح: حدثني أبو طاهر النحويّ عن ثعلب أنَّه قال: كلّ ما أتاك في الفصيح بعد إذا هو مفتوح، ومعناه أنَّ المصيب إنَّما أتى به فائدة للمخاطب، فقال ويقول: يا من أخاطبه ملحت القدر إذا ألقيت فيه الملح، وليس بخبر عن نفسه، ولو جاز أن يقول: إذا ألقيت أمليت. وأقول: فلما خبرت الكلام إلى المخاطب لم يجز إلا الفتح. انتهى.

في تذكرة ابن مكتوم عن الفصوص لصاعد اللغويّ: كان ثعلب يلقب بقوتيل، والمازني بهشكيل.

وفي معجم الأدباء: حدث المرزبانيّ عن أحمد بن محمد العروضيّ قال: إنَّما فضل أبو العباس ثعلب أهل عصره بالحفظ للعلوم التي تضيق عنها الصدور، وقد كان أبو سعيد السكريّ كثير الكتب جدا، فكتب بهذا ما لم يكتبه أحد، فكانا في الطرفين؛ لأنَّ أبا سعيد كان غير مفارق للكتاب عند ملاقاة الرجال، وأبو العباس لا يمسي بيده كتاب اتكالا على حفظه، وثقة بصفاء ذهنه. قال: وقرأت بخط ابن أبي سالم الحسن بن علي، قال ثعلب من خط الحسن بن علي بن مقلة، قال: قال ثعلب: ابتدأت النظر في العربية والشعر واللغة ولي ست عشرة، وحذقت العربية، وحفظت كتب الفراء كلّها حتى لم يشذّ عني حرفٌ منها، ولي خمس وعشرون سنة، وكنت أعنى بالنحو أكثر من عنايتي بغيره، فلما أتقنته أكببت على الشعر والمعاني والغريب، ولزمت أبا عبدالله بن الأعرابيّ بضع عشرة سنة، وأذكر يوما وقد صار إلى أحمد بن سعيد بن سلمة وأنا عنده

وجماعة منهم السندريّ[1] وأبو العالية، فأقام وتذاكروا شعر الشمّاخ، وأخذوا في البحث عن معانيه، والمسألة عنه، فجعلت أجيب ولا أتوقف، وابن الأعرابيّ يسمع حتى أتينا على معظم شعره، فالتفت إلي أحمد بن سعيد بعجبه مني.

وقال ثعلب: لما ساعدني المازني وجاراني في النحو، وخرج إلى سُرَّ من رأى، كان يذكرني، ويوجِّه إليّ: أخوك يقرئك السلام.

وقال ثعلب: قال لي محمد بن عيسى بحضرة محمد بن عبدالله: نحن نقدمك لتقدمة الأمير. فقلت له: يا شيخ إنّي لم أتعلم العلم ليقدمني الأمراء، وإنّما تعلمت ليقدمني العلماء.

ورأى بعضهم غلام ثعلب وقد أدخل إلى داره خبزا أسودَ، فقال له: يا أبا العباس، ألا أشتري لك خبز حُوَّارى؟ فقال: هذا أصلح من الحاجة، وبذل الوجه إلى الناس، ثم أنشد[2]:

زمانُنا صعبٌ وإخواننا ... أيديهم جامدة البذلِ

وقد مضى الناسُ ولم يبقَ في ... عصرك إلا محكم البخلِ

ومالُنا بلغةُ أقواتنا ... ما فيه للإسراف من فضلِ

فضُمُّ كفيك على ملكها ... وأطرشِ السمعَ عن العذلِ

وقال أحمد بن فارس اللغويّ: كان أبو العباس ثعلب لا يتكلَّف الإعراب في كلامه، فيقول: أقعدوا أقعدوا بفتح الألف.

وقال الصوليّ: قال أبو العباس ثعلب: الهرم علّة قائمة بنفسها، فإذا كان معه علّة فذاك أمر عظيم. وأنشد:

أرى بصري في كلّ يومٍ وليلة ... يكِلُّ وخطوي عن مداهنٌ يقصرُ

ومن يصحب الأيامَ تسعين حجّة ... يغيرْنه والدهر لا يتغيرُ

---

(١) في معجم الأدباء: السدريّ. انظر: ٥٣٨/٢.

(٢) رواية ياقوت في معجمه أكثر تفصيلاً. انظر: ٥٤١/٢.

لعمري لئن أصبحتُ أمشي مقيّدا   لما كنتُ أمشي مُطْلقا قبلُ أكثرُ

وقال الصوليّ: قال ثعلب: لم أسمع من جماعة كلّهم قد رأيته، وتمكنت منه، ولو أردت ذلك ما فاتني عنهم جميع ما أطلب، منهم أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وإسحاق الموصليّ، وأبو توبة، والنضر بن حديد، وإني لأذكر موت الفراء ذكرا جيدا وأنا في الكُتّاب.

وحدث أبو أحمد العسكري في التصحيف، قال: أخبرنا أبو بكر بن الأنباريّ، قال: حدثني أبي، قال: قرأ القُطربُليّ المؤدب على أبي العباس ثعلب بيت الأعشى:

فلو كنت في حبٍّ ثمانين قامة   ورقّيتَ أسباب السماء بسلّم

فقال له أبو العباس: خرب بيتك، هل رأيت حبًا قط ثمانين قامة؟ إنّما هو جبّ.

قال ياقوت: وجدت بخطّ أبي الحسن علي بن عبدالله السمسميّ اللغويّ: حدثنا أبو محمد بن الحسن النوبختيّ حدثنا أبو الفتح محمد بن جعفر المراغي النحويّ، حدثنا أبو بكر بن الخياط النحويّ، قال: كنت عند أبي العباس ثعلب، فسأله رجل وقد ساء سمعه، فقال: يا أبا العباس، أعزّك الله، ما الصوص؟ فقال: الصوحُ أصل الجبل. فأعاد الرجل سؤاله لعلمه بأنّ الشيخ ما فهم، فقال ثعلب: السوحُ جمع ساحة. فأعاد سؤاله ثالثة، فعلم ثعلب أنه ما فهم عن الرجل، فقال له: ادنُ مني فألقم أذني فاك وقل. ففعل ذلك، فلما فهم ثعلب سؤاله، قال: نعمْ، العرب تقول: رأيت صوصاً على أصوص. أي: رجلا نذلا على ناقة كريمة.

وحدّث جحظة في أماليه، قال: كنت يوما في مجلس ثعلب، فقال له رجل: يا سيدي، ما البعجدة؟ قال لا أعرفها في كلام العرب. قال الرجل: فإني قد وجدتها في شعر عبد الصمد بن المعذل حيث يقول:

أعاذلتي أقصري   أبعْ جدتي بالمنْ

فاغتاظ ثعلب غيظا عظيما، وقال: يا قومُ، أجيدوا أذنيه عركا، أو يحلف أنّه لا

يرجع يحضر حلقتي، ففعلنا.

قال ياقوت: ونقلتُ من كتاب محمد بن عبد الملك التاريخيّ في أخبار النحويين، قال: أبو العباس أحمد بن يحيى فاروق النحويين، والمعاير على اللغويين من الكوفيين والبصريين، أصدقهم لسانا، وأعظمهم شأنا، وأبعدهم ذكرا، وأرفعهم قدرا، وأصحّهم علما، وأوسعهم حلما، وأتقنهم حفظا، وأوفرهم حظا من الدين والدنيا.

حدثني المفضّل بن سلَمة عن عاصم، قال: رأسَ أبو العباس ثعلب، واختلف الناس إليه في سنة خمس وعشرين ومائتين. قال: وسمعت إبراهيم الحربيّ يقول، وقد تكلّم الناس في الاسم والمسمّى، وقد كرهت لكم ولنفسي ما كرِه أحمد بن يحيى، ورضيت لكم ولنفسي ما رضي أحمد بن يحيى. قال: وكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني قد ذكر أبا العباس ثعلبا للناصر لدين الله الموفَّق بالله، وأخرج له رزقا سنيّا سلطانيّا، فحسن موقع ذلك من أهل العلم والأدب، وقال قائلهم لأبي الصقر وأبي العباس في أبيات ذكرها:

فيا جَبلَي شيبان لا زلتما لها ... حليفَيْ فخارٍ في الورى وتفضّلِ
فهذا ليوم الجود والسيف والقنا ... وأنت لبسط العلم غيرُ مُبَخَّلِ
عليك أبا العباس كلُّ مُعَوَّلٍ ... لأنّك بعد الله خير معوَّلِ
فككتَ حدود النحو بعد انغلاقه ... وأوضحته شرحا وتبيان مشكَلِ
فكم ساكنٍ في ظلِّ نعمتك التي ... على الدهر أبقى من ثبيرٍ ويَذْبُلِ
فأصبحت للإخوان بالعلم ناعشا ... وأخصبتَ منه منزلاً بعد منزلِ

قال ياقوت: وحدثني المرزباني عن أبي العباس محمد بن طاهر قال: كان سبب وفاة أبي العباس ثعلب أنّه كان في يوم جمعة قد انصرف من الجامع بعد صلاة العصر، وكان يقيمه جماعة من أصحابه إلى منزله أنا أحدهم فتبعناه في تلك العشيّة إلى أن صرنا إلى درب، ورحل يسير من وارثه على دابّة، وكان بيده دفتر ينظر فيه، وقد شغله عمّا سواه، فلما سمعنا صوت الحافر خلفها، فتأخرنا عن جادة الطريق، ولم

يسمعه ثعلب لصممه، فصدمته الدابّة، فسقط على رأسه في هوّة من الطريق قد أخذ ترابها، فلم يقدر على القيام، فحملناه إلى منزله كالمختلط يتأوّه من رأسه، وكان سبب وفاته، ودفن في مقابر باب الشام في حجرة اشتُرِيت له، وبُنيت بعد ذلك، وقبره هناك معروف. وردٌ ماله على ابنته، وكان خلّف أحداً وعشرين ألف درهم، وألفَي دينار، ودكاكين بباب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار.

وحدّث محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا أبو العباس ثعلب، قال: سألني ابن الأعرابيّ: كم لك من الولد؟ فقلت: بنت، وأنشدته:

لولا أميمة لم أجزعْ من العدَمِ ... ولم أجُب الليالي حِنْدِسَ الظُّلَمِ
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً ... والموت أكرمُ نزّال على الحُرَمِ

فأنشدني ابن الأعرابيّ في المعنى:

أميمة تهوى عمرَ شيخٍ يسرُّهُ ... لها الموت قبل الليل لو أنّها تدري
يخاف عليها جفوةَ الناسِ بعدَه ... ولا خَتَنٌ يُرجى أودّ من القبرِ

قال التاريخيّ: وقال بعض أصحابنا يرثي ثعلبا:

مات ابن يحيى فماتت دولة الأدبِ ... ومات أحمد أنحى العجم والعربِ
فإن تولى أبو العباس مفتقَدا ... فلم يمت ذكره في الناس والأدبِ

وقال التاريخيّ يرثيه:

وإذا الغريب تفرّعت أصنافه ... وتفرّقت فكأنّه يدري
وإذا علوم النحو قيست فهو من ... جُمعا له الكوفيّ والبصريّ

وقال أبو القاسم علي بن حمزة البصريّ في كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة(١): لما رأيت كتاب اختيار فصيح الكلام كثير المنفعة، ورأيته على قلة عدد ورقه أنفع من أضعاف عدده، وأنّه قد جمع على لفظه ما لم يجمعه كثير من الكتب، رأيت أن

---

(١) التنبيهات: ١٧٧–١٨٨.

أجعل له جزءا من عنايتي، وأن أنبّه على حروف وهم فيها أبو العباس ليكون كتابا تامَّ المنفعة، وبالله أستعين على التوفيق إلى الصواب، ومجانبة الخطل مني وهو حسبي، ونعمَ الوكيل.

قال أبو العباس في الباب الأول من كتابه: تقول: نما المالُ وغيره ينمي، وذوى العودُ وغيره يذوي. قال أبو القاسم: قد شرط أنَّه إذا كان في الشيء لغتان أُخِذَ بهما، وفي ذوى لغتان فصيحتان، بل التي نكب عنها أفصح من التي أوردها، قال أبو زيد: قيس تقول: ذَأى العودُ يذأى ذَأيا عليها، وتميم تقول: ذوى وهكذا، قال غيرُ أبي زيد ذأى فهي عُلويَّة وذوى تميميَّة. وقال يعقوب: ذوى العودُ وغيره يذوي ذويًا، وذأى يذأى ذأواً إذا يبس، وفيه بعض الرطوبة. وقال الأصمعيّ لا يُقال: ذوِيَ. قال أبو عبيدة: قال يونس: هي لغة، وقد غلط أبو العباس في قوله: أي جفَّ لأنَّ الذاوي الذي أذوى، ولما يجفَّ وهو الذاوي والمؤذِن والذوِّي، وقد فسَّره ذو الرّمة بقوله:

وأبصرن أنَّ النقعَ صارت نِطافه فراشا وأنَّ البقل ذاوٍ ويابسُ

فلو كان ذوى جفَّ لم يقل ذو الرمّة ذاوٍ ويابس. وقال الراعي في المؤذن، وهو الذاوي بعينه:

وحارف الهيفُ الشمال وأذنتْ مذانب منها اللدن والمتصوّحُ

قال أبو القاسم: وكذلك الحرف الأول، فيه لغتان، أعني ينمى، قال أبو يوسف: ومما يقال بالياء والواو من ذوات الأربعة، فذكر أحرفا ثمّ قال: وكذلك نما ينمى وينمو، ولم يأتِ أبو العباس إلا بـ"ينمي"، ونكَّب عن ينمو، و ينمو في فصاحتها كـ"ينمى"، وروى أبو يوسف عن أبي عبيدة، وروى غيره عن غيره نما ينمى وينمو ونموتُ إليه الحديثَ، فأنا أنموه وأنميه، وكذلك هو ينمى إلى الحسَب، وينمو، وكذلك قال أبو زيد.

قال أبو العباس في باب فعِلت بكسر العين، وقد نهِكه المرض ينهَكه وأنهكه السلطان عقوبة، قال أبو القاسم: نهِكه المرض ونهَكه السلطان عقوبة، ونهكت الثوب

لبساً، والمالَ إنفاقاً والدابّة سيراً سواء بغير ألف، قال عتبة بن بُجيْر الحارثيّ:

إلى جـذم مـال قـد نهكنا سـوامـه وأعـراضُنا فـيـه بواقٍ صـحـائحُ

وقال آخر:

ليـس بمنـهـوك ولا بمـارضِ

مارض بمعنى مريض، وقال كُثيّر:

نهِك الـهـواجـرُ والسُّـرف نجداتـهـا فـعـيـونـهـا كـمـدافع الأوشـال

نجداتها: شداتها، وقد نهِكه أشدُّ النهك والنهوك، ومنه قيل للشجاع نهيك، لأنه ينهك عدده أي يبالغ فيه، وقد أخبرنا يعقوب بها، والحرف في باب ما جاء على فعلت بالكسر لا غير، قال: ويقال: أنهك من هذا الطعام، أي بالغ في أكله. وأنا أظنّ أنَّ هذا الحرف غلط أبو العباس فيه، وتقول: نهِكه نهكة، كما تقول جزعت منه جزعة، قال العجّاج:

لحـقـن منـه نهكـة وأضمـا

وقال أبو العباس في باب أفعل: وتقول ضربه فما أحاك فيه السّيف. وحاك، قال أبو القاسم: لا يقال حاك إلا في المشي والنسج، قال الراجز:

حيّاكـة وسْط القطيـع الأعـرم

وقال الراجز:

حيّـاكـة تمشـي بعلطتيـن

وقال:

إذا تمـشـي تحـيْـكُ

وقال أبو العباس في هذا الباب: وأيديتُ عند الرجل يدا. وقال أبو القاسم: إنَّما يقال: يديت بغير ألف. وقد غلط في هذا جماعة قبل أبي العباس، وقد نبُّهْنا على هذا في إصلاح المنطق، وأنشدنا قول الشاعر:

يديت على ابن حـسـاسِ بن وهب بـأسـفلِ ذي الجـذاةِ يدَ الكريم

وقال أبو العباس في باب من المصادر: وتقول: قد حرَّ يومنا يحِرّ حراًّ، ومن الحريّة حرَّ المملوكُ يحرّ بالكسر حِراراً وحريّة. وقال أبو القاسم: والوجه في المملوك يحِرُّ بالكسر.

وقال أبو العباس في هذا الباب: ورجل طويل وطُوال، وقوم طِوال لا غير. قال أبو القاسم: قوله "طِوال" لا غير غلط لأنه يقال: طِوال وطيال بمعنى واحد. وقال أبو العباس في باب المفتوح أوّله من الأسماء: وهو عرق النسا. قال أبو القاسم: قوله: عرق النسا غلطٌ، إنّما النسا عرق، ولا يقال: عرق العرق، وقال امرؤ القيس:

فأنشب أظفاره في النَّسا ... فقلت: هُبِلتَ ألا تنتصرُ

وقال الآخر:

وللكبير رثيات أربع ... الركبتان والنَّسا والأخدعُ

وقال الأغلب:

من اللجيميِّين أربابُ القُرى ... ليست به واهنة ولا نَسا

الواهنة: داء يصيب الإنسان في أخدعيه، والواهنة أيضا أخر الأضلاع.

وقال أبو العباس في باب المكسور أوله من الأسماء: وهي إنفحَة بالجَدى مشدَّد الحاء، وإنفحة بالتخفيف، ومِنْفحة أيضا. قال أبو القاسم: لا يقال مِنفحة.

وقال أبو العباس في باب المفتوح أوّله والمكسور أوّله من الأعلام باختلاف المعنى، وقد أنشدَ:

يا بِكْرَ بِكرين ويا خِلْب الكبدْ ... أصبحتَ مني كذراعٍ من عَضُدْ

ثمُّ قال: الخِلب الذي بين الزيادة والكبد، وإنّما الخلب في الكبد كالشغاف للقلب، هذا غلاف هذا، وهذا غشاء هذا، ويقال: الخلب زيادة الكبد، ومنه قول الزبرقان بن بدر:

وأجعل كلَّ مضطهدٍ أتاني ... يريد النصر بين حشا وخلب

فتأمل قول الزبرقان تجد فساد قول أبي العباس ظاهراً، لأنَّ الخلب لو كان الذي بين الزيادة والكبد لما جاز أن يلي الحشا، وإنَّما اختار أن يكون الخلب الزيادة، وإن كان القول الأول قول أبي مالك الأعرابيِّ، وكان ثقة عالما ضابطا.

وقال أبو العباس في هذا الباب: والثفالُ جلدٌ أو كساء يوضَع تحت الرحى يقع عليه الدقيق. الوجه أن يقال: يقع عليه الحَبُّ، ولو كان إنَّما يقع عليه الدقيق لم يقل زُهير:

فتعرككم عرك الرحى بثفالها

وقال أبو العباس في باب المضموم أوّله: وهو الجُبن الذي يؤكل. والأفصح في الذي يؤكل الجبنّ مشدداً، وقد جاء في الشعر أيضا مخفّفا، وقال الراجز:

كأنَّه قعبُ نضار مكي ... أو جبنة من جبن بعلبكي

وقال أبو العباس في باب المكسور أوّله والمضموم باختلاف المعنى:

والحُبوة من العطاء، والحِبوة من الاحتباء. قال أبو القاسم: وقد يقال من الاحتباء حبوة أيضا بالضمّ.

وقال أبو العباس في باب ما جرى مثلاً أو كالمثل: وقد أراب الرجل، غير مهموز إذا جاء بريبة، إنَّما يُقال: رابني فلان، إذا علمت منه الريبة، وأرابني إذا أوهمني الريبة، قال الشاعر:

أخوك الذي إن ربته قال إنَّما ... أربت وإن عاتبته لانَ جانبه

وقال أبو العباس في باب ما جاء بلغتين: تقول: هي بغداد وبغدان، وتُذكَّر وتُؤنَّث أيضا، وقد جاء في الشعر الفصيح: بغداذ بالذال المعجمة، قال الشاعر:

لا سقى الله إن سقى بلداً صو ... ب غمام ولا سقى بغداذا
بلدة تمطر الغبار على النا ... س كما تمطر السماء رذاذا

وأصل الكلمة أعجميّة.

وقال أبو العباس في هذا الباب: وتقول: عندي غلام يخبز الغليظ والرقيق، فإذا قلت: الجردق، قلت الرُقاق، لأنهما اسمان. هذا القول غلط، لأنَّ فُعالا يكون نعتا كفعيل، يُقال: طويل وطُوال، وخفيف وخُفاف، وسريع وسُراع، قال الشاعر:

تخذي به سلهبةٌ سُرَاعَهْ

وكذلك رقيق ورُقاق، ومع هذا فإنَّ العرب إنَّما تقول للخبزِ: المرقَّق، قال أبو بُجيلة:

بـرِّيَّة لـم تـأكل المـرقَّـقـا ... ولم تذقْ من البـقـول الفُـسـتـقـا

وقال جرير:

تكلفني مـعـيـشـة آل زيدٍ ... ومـن لـي بـالمـرقَّـق والـصِّـنـابِ

وقال الفرزدق:

فـإن تفـركْكَ علجـة آل زيدٍ ... ويـعـوِزْكَ المرقَّقُ والـصَّـنـابُ

فـقِـدمـاً كـان عـيش أبيك مـرًّا ... يـعـيش كـمـا تعـيش به الكلابُ

وقال أبو العباس في هذا الباب: وتقول: القوم أعداء وعِدا بكسر العين، فإن أدخلت الهاء قلت: عُداة بالضمّ. لم يُجِد أبو العباس رحمه الله ضبط هذا الموضع، إنَّما يقال للأعداء قوم عُدى وعَدى وعُداة وأعداء بمعنى، وقوم عدى بالكسر وحده إذا كانوا غرباء، قال الشاعر:

إذا كنت فـي قـومٍ عـدى لستَ منـهم ... فكُلْ مـا عُلفتَ من خـبـيثٍ وطيِّبِ

وقال أبو العباس في هذا الباب، وهو أشدّ سوادا من حلك الغُراب، وحنك الغرُاب، واللام أكثر. وهذا مردود وقد أنكره أبو حاتم وابن دُريد وغيرهما، والوجه حلك الغراب، فأمّا قول من قال: حنك الغراب منِقاره فمردود منكر.

وقال أبو العباس في باب حروف منفردة: والشيء منتن، وقال سيبويه: منتن شرط أساء فيه، لأنَّ العرب تقول: مُنْتِن ومِنْتِن، وقال سيبويه: إنَّما قالوا: منِتن إتباعا للكسرة كما قالوا: أتى أخُوءُك، ولإمّك، قال أبو حنيفة: ريحٌ مُنتنة ومِنتنة والكسرة في الميم

عارضة، والأصل الضمّ، وأهل الحجاز يقولون: مُنتن، وتميم مِنتن، فيتبعون الكسرَ الكسرَ.

وقال أبو العباس في هذا الباب: ودرع حديد مؤنثة. وتأنيث درع ليس بأصليّ، لأنّها قد تُذكّر، قال رؤبة:

مقلّصا بالدرع ذي التغضّنِ

وقال أبو العباس في هذا الباب: وهو التوت بالتاء. وقد قال أبو حنيفة: توث بالثاء، وقوم من النحويين يقول: توت بالتاء، ولم يُسمع به في الشعر إلا بالثاء، وذلك أيضا قليل، لأنّه لا يكاد يأتي عن العرب إلا بذكر الفِرصاد، وقد قال بعض الأعراب، فرواه الناس:

لروضة من رياض الحَزن أو طرفٌ | من القريّة حَزْن غير محروثِ
أحلى وأشهى لعيني إن مررتُ به | من كرخ بغدادَ ذي الرُّمّان والتوثِ

وقال بعض الرواة: أهل البصرة يسمّون شجرته: الفرصاد، ويسمّون الحمل: التوث، وقد روي عن الأصمعيّ أنّه قال: التوت بالفارسيّة، والثوث بالعربيّة، والقول الأوّل هو الصحيح.

وقال أبو العباس في هذا الباب: وهو الحائر. لهذا الذي تسمّيه العرب: الحَير، وجمعه حيران وحوران. وإنّما هو الحائر كما قال إلا أنّه لا جمع له، لأنّه اسم لموضع قبر الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما، فأما الحِيران فجمع حائر، وهو مستنقع ماء يُتَحيَّرُ فيه، فيجيء ويذهب، فأما حِيران وحُوران فجمع حُوار، قال جرير:

بلِّغ رسائل منا خفٌ محمِلُها | على قلائصَ لم يحملنَ حِيرانا

وقال أبو العباس في باب من الفروق، وهو آخر حرف ختم به كتابه: ويقال له: من ذوات الخلف السُّخْد. وقد وهم أبو العباس فيما حكاه في السخد، وإنّما السخد ماء أصفر يخرج مع الحُوار إذا نتج، وتقول العرب: هو بَول الحوار في بطن أمّه، ويسمّيه بعضهم: الرَّهَل، وهذا الذي حكيناه قول ابن دُريد في الجمهرة، وهو الصحيح، قال أبو

بكر: ويقال: أصبح فلان مُسخّدا، إذا أصبح مصفرًا، قال: وذكر عن خارجة بن زيد بن ثابت قال: كان زيد لا يحيي شيئا من الليل كما يحيي ليلة سبع عشرة من شهر رمضان [ويقول] ليلةٌ أذلَّ الله في صبيحتها الشرك. فيصبح السخد على وجهه.

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام في الغريب المصنَّف عن الأحمر: هو السابياء والحُولاء والصاَة مثل الصفاة، والسخد. قال: ومنه رجل مسخَّد، إذا كان ثقيلاً من مرض وغيره، لأنّ السخد ماء ثخين يخرج مع الولد، وروي عن ابن دُريد قريبٌ من ذلك، وهذا هو القول الصحيح، ولم يحكِ ما قال أبو العباس أحدٌ من العلماء فيما علمت، فإن رأيته عن غيره، فلا تلتفتنَّ إليه، إن شاء الله تعالى.

تمّ بحمد الله وعونه(١).

[٢٢]*

الجَرميّ

أبو عمر صالح بن إسحاق مولى بجيلة أنمار بن الغوث، وإنّما قيل له الجَرميّ

---

(١) ناقش هذه المآخذ الدكتور عاطف مدكور في دراسته لتحقيق كتاب الفصيح. انظر: ٢٢٠-٢٣٩.

[*] انظر ترجمته في: أخبار النحويّين البصريّين: ٨٤-٨٥. طبقات المحدثين بأصبهان: ٢/٢٠٣. طبقات النحويّين واللغويّين: ٧٤-٧٥. الفهرست: ٨٩. نور القبس: ٢١٤-٢١٥. تاريخ أصبهان: ٣٤٦-٣٤٧. تاريخ العلماء النحويين: ٧٢-٧٣. الأنساب: ٢/٤٨. نزهة الألباء: ١١٤-١١٧. المنتظم: ١١/١٠١. معجم الأدباء: ٤/١٤٤٢-١٤٤٤. إنباه الرواة: ٢/٨٠-٨٣. إشارة التعيين: ١٤٥. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٢١-٢٣٠). ٢٠١-٢٠٢. الجرح والتعديل: ٤/١٧٢٣. مسالك الأبصار: ٧/٩٢-٩٣. الوافي: ١٦/١٤٤-١٤٥. عيون التّواريخ: (وفيات ٢٢٥): ١١٥-١١٦. البلغة: ٩٦-٩٧. غاية النهاية: ٨٣٣. النجوم الزاهرة: ٢/٢٩٦. البغية: ٢/٨-٩. مفتاح السعادة: ١/١٥٣-١٥٤. شذرات الذهب: ٢/١٦١.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- الجرمي، حياته وآراؤه النّحويّة.

لأنه كان ينزل فيهم، وكان يُلقَّب بالكلب وبالنبّاح، لأنَّه كان يذهب إلى أبي زيد فيناظره ويجادله، فلقَّبه بذلك، وكان يلقَّب بالهارش، لأنَّه ما كان يرى إلا ناظرا أو مناظِرا.

أخذ عن أبي عبيدة وأبي زيد وقرأ سيبويه على الأخفش، وقال الزبيديّ: وقال أبو حاتم: كان الجَرميّ قد اختلط في آخر عمره، لأنَّه كان توأما، ومن خولط في الرحم يصيبه شيء.

وقال أبو جعفر الطبريّ: سمعت الجرميّ يقول: أنا منذ ثلاثون أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه. فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: أنا رجل مكثر من الحديث، وكتاب سيبويه يعلمني القياس والنظر، فأنا أقيس الحديث وأفتي به. ومن تصانيفه: كتاب الأبنية. كتاب التثنية والجمع. كتاب القوافي. كتاب العروض. كتاب التصريف. مختصر نحو المتعلمين. تفسير أبيات سيبويه. كتاب الفرخ للعين. كتاب فرخ سيبويه.

توفي بآخرة من سنة خمس وعشرين ومائتين.

قال يوما في مجلسه: من سألني عن بيت من جميع ما قالته العرب لا أعرفه فله عليَّ سبق. قال له أبو عثمان المازنيّ: كيف تروي:

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأتِ نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه ... قد قمنَ قبل تبلج الأسحار
قد كنَّ يُخْبئن الوجوه تستُّرا ... فاليوم حين بدين للنظّار

كيف ترويه؟ بدأنَ أو بديْنَ.فقال له: بدأنَ. فقال: أخطأت. فنكس ثم قال: إنَّا لله، هذه عاقبة البغي. قال الزجاجيّ: الصواب أن يقال: بدوْنَ لا بدأنَ ولا بديْنَ، لأنَّه من بدا يبدو إذا ظهر.

قال ابن أبي الدنيا في كتاب ذمّ الغضب: حدثني يحيى بن عبدالله، قال: أنشدني أبو عمر الجَرميّ:

غُضَّ عيناً على القذى ... وتصبَّرْ على الأذى

إنَّمـــا الغـــيظ ســـاعـــة يـــقـــطـــع المـــوت كـــلٌ ذا

وفي طبقات الزبيديّ: قال أبو حاتم: قال الجَرميّ: أنا لم أضع كتابا في النحو، إنَّما اختصرت كتاب سيبويه.

وقال العباس بن الفرج -وسأله ابنه-: أيّهما أحبّ إليك؟ كتاب أبي عمر في النحو، أو كتاب الأخفش؟ فقال: كتاب أبي عمر.

وقال الجَرميّ: نظرت في كتاب سيبويه، فإذا فيه ألف وخمسون بيتا، فأما الألف فعرفت أسماء قائليها، فأثبتُّها، وأمّا الخمسون فلم أعرف قائليها.

قال الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة الجَرمي(١): قدم بغداد وناظر فيها يحيى بن زياد الفراء، وقيل: إنّه مولى بجيلة بن أنمار بن أراش بن الغوث من خثعم. وقيل له الجَرميّ لأنَّه كان ينزل في جَرم. وكان مما اجتمع له مع العلم صحة المذهب وحسن الاعتقاد، وأسند الحديث عن يزيد بن زريع ويحيى بن كثير الكاهليّ، روى عنه أحمد بن ملاعب المخرميّ، وأبو خليفة الجمحيّ، وغيرهما.

أخبرنا أبو بكر عبد القاهر بن محمد بن محمد بن عترة الموصليّ أخبرنا أبو هارون موسى بن محمد بن هارون الأنصاريّ الزرقيّ، حدثنا أحمد بن ملاعب حدثنا صالح بن إسحاق الجَرميّ أخبرنا يحيى بن كثير، وكان يثني عليه خيرا أخبرنا هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة، قال: قال رسول (ﷺ): كان رجل فيمن كان قبلكم يبايع بالأمانة، فجاءه رجل فبايعه بالأمانة، فحضره الأجل، وقد خبّ البحر وفسد، فلم يقدر على إتيانه، فنقر خشبة وجعل فيها زنة ذلك الذهب، وذكر الحديث.

---

(١) رجعْنا في ترجمة الجَرْمي إلى النسخة التي حقّقها بشّار عوّاد معروف من تاريخ بغداد لأنَّ هذه الترجمة ساقطة من النسخة التي بين يدينا. انظر: ١٠/ ٤٢٦-٤٢٨.

وقال السيرافيّ: الجَرميّ مولى لجَرم بن زبان، وجَرم من قبائل اليمن، أخذ أبو عمر النحو عن الأخفش وغيره، ولقي يونس بن حبيب، ولم يلقَ سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة، وأبي زيد، والأصمعيّ، وطبقتهم. وكان ذا دين وورع.

قال أبو إسحاق الزجّاج: سمعت أبا العباس المبرِّد يقول: كان الجَرميّ أثبت القوم في كتاب سيبويه، وعليه قرأت الجماعة، وكان أغوص على الاستخراج من المازنيّ، وكان عالما باللغة حافظا لها، وله كتب انفرد بها، وكان جليلا في الحديث والأخبار، وله كتاب في السيرة عجيب.

وقال أبو العباس ثعلب: قال لي ابن قادم: قدم أبو عمر الجَرميّ على الحسن بن سهل، فقال الفراء: بلغني أنَّ أبا عمر الجَرميّ قدم وأنا أحبُّ أن ألقاه. فقلت له: فإني أجمع بينكما، فلما نظرت إلى الجرَميّ قد غلب الفراء وأفحمه، ندمت على ذلك.

وقال أبو نعيم في تاريخ أصبهان: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفيّ، حدثنا أبو خليفة حدثنا أبو عمر الجَرميّ النحويّ حدثنا يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن بن أبي بكرة، قال: كنَّا عند رسول الله (ﷺ) فخسفت الشمس، فخرج يجرُّ رداءه مستعجلا، فثاب إليه الناس، فصلَّى ركعتين كما تصلُّون، فجُلِّي عنها، فخطبنا، فقال: إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فصلُّوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم.

[٢٣]*

الجاحظ

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكنانيّ ثم الفقيميّ.

قال الخطيب في تاريخ بغداد: المصنِّفُ الحسن الكلام البديع التصانيف، كان من أهل البصرة، وأحد شيوخ المعتزلة، وقدم بغداد وأقام بها مدّة، وقد أسند عنه أبو بكر بن أبي داود الحديثَ، وهو كِنانيّ، قيل: صليبة، وقيل: مولى، وكان تلميذ أبي إسحاق النظّام.

وذكر يموت بن المزارع أنَّ الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قُلَع الكنانيّ، ثمّ الفُقَيْميّ(١)، وهو أحد النُّساة، وكان جدّ الجاحظ أسودَ، وكان جمّالا لعمر بن قُلَع. قال يموت: والجاحظ خال أمّي.

وقال ابن عساكر: حدث عن حجاج بن محمد الأعور المصيصيّ، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي، وثمامة بن أشرس النميريّ المتكلِّم، حكى عنه أبو سعيد الحسن بن علي العدويّ، وأبو بكر عبدالله بن داود، ودعامة بن الجهم، وأبو العباس

---

[*] انظر ترجمته في: الفهرست: ٢٩١-٢٩٦. نور القبس: ٢٣٠-٢٣١. تاريخ بغداد: ١٢/٢٠٨-٢١٤. الأنساب: ٦/٢. تاريخ دمشق: ٤٥/٤٣١-٤٤٤. المنتظم: ١٢/٩٣-٩٦. الضعفاء والمتروكين: ٢/٢٢٣. معجم الأدباء: ٥/٢١٠١-٢١٢٢. وفيات الأعيان: ٣/٤٧٠-٤٧٥. لسان العرب: مادة (جحظ). سير أعلام النبلاء: ١١/٥٢٦-٥٣٠. العبر: ١/٣٥٩. دول الإسلام: ١/١٥١. المغني في الضعفاء: ٢/٤٨١. تاريخ الإسلام: وفيات (٢٤٠-٢٥٠): ٣٧١-٣٧٥. مسالك الأبصار: ٧/٣٥٣-٣٧٠. عيون التواريخ: ٤٢٢-٤٣٤. مرآة الجنان: ٢/١٢٠. الكشف الحثيث: ٢٠٠. لسان الميزان: ٤/٣٥٥-٣٥٨. البغية: ٢٢٨. شذرات الذهب: ٢/٢٦٢-٢٦٣.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- الجاحظ في حياته وأدبه وفكره.
- الجاحظ حياته وآثاره.
- النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ.

(١) في تاريخ بغداد: القيميّ: ١٢/٢٠٩.

محمد بن يزيد المبرِّد، ويموت بن المزارع، وأبو العيناء محمد أبو القاسم، وأبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ.

وقال ياقوت: قال أبو القاسم البلخيّ: الجاحظُ كنانيّ من أهل البصرة، ولِد سنة خمسين ومائة آخرها، وسمع من أبي عبيدة والأصمعيّ وأبي زيد الأنصاريّ، وأخذ النحو عن أبي الحسن الأخفش، وكان صديقه. وأخذ الكلام عن النظّام، وتلقّف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد، ورُويَ عنه أنَّه قال: أُنسيتُ كُنيتي ثلاثة أيّام حتى أتيتُ أهلي، فقلت لهم: ما كُنيتي؟ فقالوا: أبو عثمان.

وقال أبو هفان: لم أرَ قط، ولا سمعت بمن أحبَّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنَّه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان حتى إنَّه كان يكتري دكاكين الورّاقين، ويبيتُ بها للنظر فيها. والفتح بن خاقان، فإنُّه كان يحضر لمجالسة المتوكِّل، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتابا من كُمِّه، وقرأه في مجلس المتوكِّل إلى حين عوده إليه. وإسماعيل بن إسحاق القاضي: ما دخلت إليه إلا رأيته ينظر في كتاب أو يقلّب كتبا أو ينفضها.

والجاحظ رأس من رؤوس المعتزلة، وهو كبير الطائفة الجاحظيّة. قال ابن أبي الدم في كتاب الفِرق الإسلاميّة: كان من فضلاء المعتزلة، والمصنِّف لهم، طالع كثيرا من كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المتكلمين بحسن عبارته الرائقة، وفصاحته البليغة. أخذ العلم عن النظّام ووافقه في معتقده، وزاد عليه منفردا عنه بمسائل.

وللجاحظ من التصانيف: كتاب الحيوان، أجزاء، وأضاف إليه كتابا آخر سمّاه كتاب النساء، وهو الفرق ما بين الذكر والأنثى، وكتابا آخر سمّاه كتاب البغل، وأُضيف إليه أيضا كتاب الإبل، وهو ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه.

ومن تصانيف الجاحظ: كتاب البيان والتبيين. قال الجاحظ: أهديته إلى ابن أبي دؤاد، فأعطاني خمسة آلاف دينار. قال الصفدي[1]: وكتاب البيان نسختان: أولى

(١) سقطت ترجمة الجاحظ من النسخة المطبوعة من كتاب الوافي للصّفدي.

وثانية، والثانية أصحّ وأجود.

ومن تصانيف الجاحظ[1] كتاب النبي والمتنبي. كتاب المعرفة. كتاب جوابات. كتاب مسائل. كتاب الردّ على أصحاب الإلهام. كتاب نظم القرآن، ثلاث نُسَخ، كتاب مسائل القرآن. كتاب فضيلة المعتزلة. كتاب الردّ على المشبّهة. كتاب الإمامة على مذهب الشيعة. كتاب حكاية قول أصناف الزيديّة. كتاب العثمانيّة. كتاب الأخبار وكيف تصحّ. كتاب الردّ على النصارى. كتاب عصام المريد. كتاب الردّ على العثمانيّة. كتاب إمامة معاوية. كتاب إمامة بني العباس. كتاب الفتيان. كتاب القُوّاد. كتاب اللصوص. كتاب ما بين الزيديّة والرافضة. كتاب صناعة الكلام. كتاب الخطاب في التوحيد. كتاب تصويب علي رضي الله عنه في أمر الحَكَمين. كتاب وجوب الإمامة. كتاب الأصنام. كتاب الوكلاء والموكلين. كتاب الشارب والمشروب. كتاب افتخار الشتاء على الصيف. كتاب المعلِّمين. كتاب الجواري. كتاب نوادر الحسن. كتاب البخلاء. كتاب الفخر بين بني عبد شمس وبني مخزوم. كتاب العرجان والبُرصان. كتاب فخر القحطانيّة والعدنانيّة. كتاب التربيع والتدوير. كتاب الطُّفَيليين. كتاب أخلاق الملوك. كتاب الفُتيا. كتاب مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك. كتاب الحاسد والمحسود. كتاب الردّ على اليهود. كتاب الصوحاء والهجناء. كتاب السودان والبيضان. كتاب المعاد والمعاش. كتاب النساء. كتاب التسوية بين العرب والعجم. كتاب السلطان وأخلاق أهله. كتاب الوعيد. كتاب البلدان. كتاب الأخبار. كتاب الدلالة على أنّ الإمامة فرض. كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال. كتاب المغنين والغناء والصنعة. كتاب الهدايا. كتاب الإخوان. كتاب الردّ على من ألحد في كتاب الله. كتاب أيّ القرآن. كتاب الناشئ والمتناشئ. كتاب حانوت عطاء. كتاب التمثيل. كتاب فضل العلم. كتاب المزاح والجدّ. كتاب جمهرة الملوك. كتاب الصوالجة. كتاب ذمّ الربا. كتاب التفكّر والاعتبار. كتاب الحجر والبنوّة. كتاب إبراهيم بن المدبر في المكاتبة. كتاب أصالة القدر على الظلم. كتاب أمّهات الأولاد. كتاب

(١) انظر في تصانيف الجاحظ: آثار الجاحظ.

الاعتزال وفضله. كتاب الأخطار والمراتب والصناعات. كتاب أُحدوثة العالَم. كتاب الردّ على من زعم أنّ الإنسان جزء لا يتجزأ. كتاب أبي النجم وجوابه. كتاب التفاح. كتاب الأنس والسلوة. كتاب الكِبر المستقبح والمستحسن. كتاب نقض الطبّ. كتاب الحزم والعزم. كتاب عناصر الآداب. كتاب تحصين الآداب. كتاب الأمثال. كتاب فضل الفرس. كتاب تحصين الأموال. كتاب الهملاج الرسالة إلى أبي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الأولياء. كتاب رسالة أبي النَّجم في الخراج. كتاب رسالة القلم. كتاب في فضل اتخاذ الكتب. كتاب في كتمان السرّ. كتاب مدح النبيذ. كتاب ذمّ النبيذ. رسالة في العفو والصفح. رسالته في إثم السُكْر. رسالته في الآمل والمأمول، رسالته في الحلبة. رسالته في ذمّ الكُتّاب. رسالته في مدح الكِتاب. رسالته في مدح الوُرّاق. رسالته في ذمّ الوُرّاق. رسالته في من يسمّى من الشعراء عَمْراً. رسالته اليتيمة. رسالته في فرط جهل يعقوب بن إسحاق الكنديّ. رسالته في موت أبي حرب الصفّار البصريّ. رسالته في الميراث. كتاب الأسد والذئب. رسالته في كتمان الكيمياء. كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب. رسالته في القضاة والوزراء والولاة والملوك والأمم السالفة والباقية. رسالته في القول على الردّ به. كتاب العالِم والجاهل. كتاب النَّرْد والشطرنج. كتاب غشّ الصناعات. كتاب خصومة الحُول والعُور. كتاب ذوي العاهات. كتاب أخلاق الشُطّار. وله غير ذلك.

توفي الجاحظ في المحرَّم سنة خمسٍ وخمسين ومائتين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: غير ذلك. وفيه يقول أبو شراعة القيسيّ:

في العلم للعلماء إن ... يتفهموه مواعظُ
وإذا نسيتَ وقد جمعـ ... ـتَ علا عليك الحافظُ
ولقد رأيت الظّرفَ دهـ ... ـراً ما حواه اللافظ
حتى أقام طريقه ... عمرو بن بحر الجاحظُ
ثمّ انقضى أمدٌ به ... وهو الرئيس الغائظُ

وروى الخطيب في تاريخه عن المبرِّد، قال: سمعت الجاحظَ يقول لرجل آذاه: أنتَ والله أحوجُ إلى هوانٍ من كريم إلى إكرامٍ، ومن علم إلى عمل، ومن قدرة إلى عفو، ومن نعمة إلى شكر.

وروى الخطيب من طريق أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهانيّ، قال: أخبرنا يحيى بن علي المنجّم، قال: حدثني أبي، قال: قلت للجاحظ: إني قرأت في فصل من كتابك المسمّى كتاب البيان والتبيين: إنّ مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام، واستشهدت ببيتي مالك بن أسماء، يعني قوله:

وحـــــديثٍ ألـذّه هـو ممّـا	ينعتُ الناعـتـون يوزنُ وزنا
منطقٌ صـائب وتلحن أحـيـا	ناً وخيرُ الحديث ما كان لَحْنا

قال: هو كذلك. قلت: أفما سمعت بخبر هند بنت أسماء بن خارجة مع الحجّاج حين لحنت في كلامها، فعاب ذلك عليها، فاحتجّت ببيتي أخيها، فقال لها: إنَّ أخاك أراد أنَّ المرأة فطِنة، فهي تلحن بالكلام إلى غير المعنى الظاهر لتستر معناه، وتُوَرِّي عنه، وتُفهِمه من أرادت بالتعريض، كما قال الله : ﴿ولتعرِفَنَّهم في لحن القول﴾ [سورة محمد، آية ٣٠] ولم يردْ الخطأ من الكلام، والخطأ لا يستحسَنُ من أحد. فوجم الجاحظ ساعة، ثمّ قال: لو سقط إليَّ هذا الخبر لما قلت ما تقدّم. فقلت له: فأصلحه. فقال: الآن، وقد سار الكتاب في الآفاق، هذا لا يصلح.

قال الصفديّ: وقد انتصر أبو حيَّان التوحيديّ لخطأ الجاحظ، وقال: إنَّ اللحن من الغواني والقينات غير منكَر ولا مكروه، بل يُستَحبُّ ذلك لأنه بالتأنيث أشبه والشهوة أدعى ومع الغزل أحرى، والإعراب جدّ وليس الجدّ من الغزل والتعشُّق في شيء.

وروى الخطيب من طريق أبي بكر الجرجانيّ، قال: أنشدنا المبرِّدُ للجاحظ:

إن حـال لون الرأس عن حـاله	فـفي خضـاب الرأس مستمتعُ
هب من له شـيب له حـيلة	فـمـا الذي يحـتـاله الأصلعُ

وروى الخطيب من طريق يموت بن المزرع، قال: قال لنا عمرو بن بحر الجاحظ: ما غلبني أحد إلا رجل وامرأة، فأما الرجل، فإني كنت مجتازا في بعض الطرُق، فإذا أنا برجل فقير بطين كبير الهامة طويل اللحية مُؤَزَّر بمئزر وبيده مشط يسقي به شقّه، ويمشطها به، فقلت في نفسي: رجل قصير بطين، فاستزريته، فقلت: أيّها الشيخ: قد قلت فيك شعرا. قال: فترك المشط من يده، وقال: قلْ، فقلت:

كـأنك صـعـوة فـي أصل حشّ ... أصـاب الحشّ طشّ بعـد رش

فقال لي: اسمعْ جواب ما قلت. فقلت: هاتِ، فقال:

كـأنّك تندب فـي ذنبّ كـبش ... تـدلـدلُ هـكـذا والـكبش يمشـي

وأما المرأة، فإني كنت مجتازا في بعض الطرقات، فإذا أنا بامرأتين، وكنت راكبا على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت إحداهما للأخرى: ذي حمارة الشيخ تضرط. فغاظني قولها: فقلت: إنّه ما حملتني أنثى قط إلا ضرطت. فضربت بيدها على كتف الأخرى، وقالت: كانت أمّ هذا منه تسعة أشهر في جهدٍ جهيدٍ.

وروى الخطيب من طريق أبي بكر الجرجاني، قال: أنشدنا المبرِّد لأبي كريمة البصريّ بقوله للجاحظ:

لم يظلم الله عمراً حين صيَّره ... من كلّ شيء سوى آدابه عاري
بَتَّتْ حبال وصالي كفه قطعت ... لما استعنت به في بعض أوطاري
فكنت في طلبي من عنده فرجا ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار
إني أعيذك والمعتاذ محترس ... من شؤم عمرو بعزّ الخالق الباري
فإن فعلت فحظ قد ظفرت به ... وإن أبيت فقد أعلنت إسراري

وروى الخطيب من طريق المبرِّد، قال: حدثني الجاحظ، قال: وقفت أنا وأبو حرب على قاصٍّ، فأردت الولع به، فقلت لمن حوله: إنّه رجل صالح لا يحبّ الشهرة، فتفرّقوا عنه، فتفرقوا، فقال لي: الله حسيبك إذا لم يرَ الصيّاد طيرا كيف يمدّ شبكته؟

وروى الخطيب عن ابن أبي الذيال المحدِّث بِسُرَّمن رأى، قال: حضرتُ وليمة حضرها الجاحظ، وحضرتْ صلاة العصر، فصلّينا، وما صلّى الجاحظ، وحضرتْ صلاة العصر، فصلّينا، وما صلّى الجاحظ، فلما عزمنا على الانصراف، قال الجاحظ لربِّ المنزل: إني ما صلّيت لمذهب أو لسبب أخبرك به. فقلت له: ما أظنّ أنّ لك مذهبا في الصلاة إلا تركها.

وروى الخطيب في تاريخه وأبو بكر الشيرازيّ في كتاب الألقاب عن المبرِّد، قال: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه وهو عليل، فقلت له: كيف أنتَ؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج لو نُشِر بالمناشير ما أحسّ به، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه. والآفة في جميع هذا أني قد جُزت التسعين، ثمّ أنشدني:

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ ... كما قد كنت أيّام الشبابِ
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

وروى الخطيب عن الجاحظ، قال: لا أعلم في كلام الناسِ كلمةً أحكم من قول عليّ بن أبي طالب: "قيمة كلِّ امرئ ما يحسن".

وروى الخطيب من طريق المبرِّد، قال: حدثني عمرو بن بحر الجاحظ، قال: سمعت إبراهيم النظّام يقول: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك، فإذا أعطيته كلّك، فأنت من إعطائه لك البعض على خطر.

وفي كتاب نزهة المذاكرة عن يموت، قال: سمعتُ خالي عمرو بن بحر الجاحظ يقول: الكِبْر إثم وكنيته أبو العيوب.

وقال القالي في أماليه(١): حدثني أبو معاذ عبدان الخولي المتطبب، قال: دخلنا يوما بِسُرَّ من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده، وقد فُلِج، فلما أخذنا مجالسنا، أتى رسول المتوكِّل منه، فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشقٍّ مائل، ولعاب سائل؟ ثم أقبل علينا فقال: ما تقولون في رجل له شقّان: أحدهما لو غُرِز بالمسال ما أحسَّ،

---

(١) الأمالي: ١/٧٦.

والشقّ الآخر يمرّ به الذباب فيغوث، وأكثر ما يشكوه الثمانون. ثم أنشدنا أبياتا من قصيدة عوف بن محلم الخزاعيّ التي أولّها:

إنَّ الثـمـانين وبُلِّغـتُـهـا قد أحوجت سمعي إلى ترجُمانِ

وقال وكيع في الغُرر: أنشدني محمد بن القاسم، قال: أنشدني الجاحظ لنفسه:

تطيب النفسُ أن تلقى حليما غـذاه العلمُ والظنُّ المصيبُ
فـيكشفُ عنك حـيرة كلّ جـهلٍ وفـضل العلم يعـرفـه الأديبُ
سـقـام الحـرص ليس له شـفـاء وداء الجـهل ليس له طبـيبُ

وفي تذكرة الوداعي، قال الجاحظ: ليس في الأرض نفس تصبر على مضض الحقد ومطاولة الأيام صبرَ الملوك.

قال ابن عساكر في تاريخه(١): قرأت على زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقيّ حدثنا أبو عبدالله الحافظ: سمعت عبد العزيز بن عبد الملك الأمويّ يقول: سمعت إسماعيل بن محمد النحويّ يقول: سمعت أبا العيناء يقول: أنا والجاحظ وضعنا حديث فدَك، وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه إلا ابن شيبة العلويّ فأنكره، قال: لا يشبه آخر هذا الحديث أولّه. وأبى أن يقبله.

وقال أحمد بن إسحاق الخازنجي يهجو الجاحظ:

يا فتـى نفسُه إلى الكفـر بالله تـائـقـهْ
لك في الفضل والتزهّد والنُّسْك سابقهْ
فدع الكفـر جانبا يا دعـيُّ الزنـادقـهْ

قال الجاحظ: نظرنا في شعر القدماء والمحدثين، فوجدنا المعاني تغلب، ووجدناها بعضها يسترقّ من بعض إلا قول عنترة في الذباب:

وخـلا الذباب بهـا فليس ببـارح غـردا كـفـعل الشـارب المتـرنِّم

(١) تاريخ دمشق: ٤٥/٤٤١.

هزجـا يـحكُّ ذراعــه بذراعــه قــدح المكبِّ على الزناد الأجــذمِ

وقول أبي نواس في الكأس المصورة:

قـرارتـهـا كـسـرى وفـي جَنَبـاتـهـا مَـهًى تدريهـا بالقـسـيِّ الفـوارسُ

فللراح مــا زرّت عليــه جـيـوبـهـا وللمــاء مـا دارتْ عليـه القــلانسُ

وروى الخطيب عن علي بن القاسم الأديب الخوافي قال: حدثني بعض إخواني أنَّه دخل على عمرو بن بحر الجاحظ، فقال: يا أبا عثمان، كيف حالك؟ فقال له الجاحظ: سألتني عن الجملة فاسمعها واحدا واحدا. حالي أنَّ الوزير يتكلَّم برأيي، وينفذُ أمري، ويواتر الخليفة الصلاة إليَّ، وآكل من لحم الطير أسمنها، وألبس من الثياب ألينها، وأجلس على ألين الطبري، وأتكئ على هذا الريش، ثمَّ أصبر على هذا حتى يأتي الله بالفرج. فقال الرجل: الفرج ما أنت فيه. قال: بل أحبَّ أن تكون الخلافة لي، ويعمل محمد بن عبد الملك بأمري، ويختلف إليَّ، فهذا هو الفرج.

وروى الخطيب عن أبي العيناء، قال: كان الجاحظ يأكل مع محمد بن عبد الملك الزيّات، فجاؤوا بفالوذجة، فتولع محمد بالجاحظ، وأمر أن يُجعَل من جهته ما رقَّ من الجام، فأسرع في الأكل، فتنظَّف ما بين يديه. فقال ابن الزيّات: تقشَّعت سماؤك قبل سماء الناس. قال الجاحظ: لأنَّ غيمها كان رقيقا.

وعن أبي العيناء، قال: كنت عند أبي دؤاد بعد قتل ابن الزيّات، فجيء بالجاحظ مقيّدا، فقال له ابنُ أبي دؤاد: ما تأويل هذه الآية: ﴿وكذلك أخْذ ربِّك إذ أَخَذ القُرى وهي ظالمة إنَّ أخذه أليم شديد﴾ [سورة هود، آية١٠٢] فقال: تلاوتها تأويلها، أعزَّ الله القاضي. فقال: جيئوا بحداد. فقال: أعزَّ الله القاضي، ليفكَّ عني أو ليزيدني؟ قال: بل ليفكَّ عنك. فجيء بالحداد، فغمزه بعض من أهل المجلس أن يُعنِّفَ بساق الجاحظ، ويطيل أمره قليلا، ففعل، فلطمه الجاحظ، فقال: اعمل عملَ شهر في يوم، وعمل يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فإنَّ الضرر على ساقي، وليس بجذع ولا ساجة.

فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه، وقال ابن أبي دؤاد: أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه.

وروى الخطيب عن أبي سعيد الجنديسابوريّ، قال: سمعت الجاحظ يصف اللسان، قال: هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يعبّر عن الضمير، وحاكم يفصل الخطاب، وناطق يُرَدُّ به الجواب، وشافع تُدرَكُ به الحاجة، وواصف تُعرَفُ به الأشياء، وواعظ ينهى عن القبيح، ومعزٍّ يردّ الأحزان، ومعتذر يدفع الضغينة، ومُلْهٍ يؤنق الأسماع، وزارع يحرث المودة، وحاصد يستأصل العداوة، وشاكر يستوجب المزيد، ومادح يستحق الزلفة، ومؤنس يذهب بالوحشة.

وروى الشيرازيّ في الألقاب عن القاسم بن هارون الكوفيّ، قال: سمعت الجاحظ يقول: نقضت كلَّ كلام تكلَّم به متكلِّم إلا ثلاثة أحرف لعلي بن أبي طالب، قوله: أفضِلْ على من شئت تكن أميره، وافتقر إلى من شئت تكن أسيره، واستغنِ عمَّن شئت تكن نظيره.

وروى الشيرازيّ عن سهل بن المتوكّل، قال: سمعت الجاحظ يقول: تمنِّيك للشيء أوفر حظًّا من قدرتك عليه.

وروى الشيرازيّ عن النميريّ، قال: أنشدني الجاحظ:

ولا تعترض للأمر تُكفى شؤونه ... ولا تنصحَنْ إلا لمن هُوَ قابله

وفي كتاب اللطائف واللطف للثعالبيّ[1] قال الجاحظ في وصف الدفتر: من لك ببستان يُحمَلُ في كُمٍّ، وروضة تُقلَّبُ في حجر، ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء.

ووصف الفرّوج بمنطقتين متوازيتين متشابهتين لا أحسن منهما ولا أظرف، فقال: يخرج كاسيا كاسبا.

وقال الخطيب: حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد النعيميّ إملاء من حفظه، حدثنا أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد حدثنا عبدالله بن سليمان بن الأشعث، قال:

---

(١) لطائف اللطف: ٧٨.

دخلت على عمرو بن بحر الجاحظ، فقلت له: حدثني بحديث، فقال: حدثنا حجاج بن محمد حدثنا حماد بن سلَمة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة.

وقال الخطيب: حدثني أحمد بن محمد العتيقيّ بلفظه، حدثنا محمد بن عبدالله بن المطلب الشيبانيّ بالكوفة، حدثنا أبو بكر عن أبي داود، قال: كنت بالبصرة، فأتيت منزل الجاحظ عمرو بن بحر، فاستأذنت عليه، فاطّلع إليّ من خوخه، فقال: من هذا؟ فقلت: رجل من أصحاب الحديث، فقال: متى عهدتني أقول بالحشويّة؟ فقلت: إني ابن أبي داود. فقال: مرحبا بك وبأبيك، فنزل، ففتح لي الباب، وقال: ادخل، أيشٍ تريد؟ فقلت: تحدثني بحديث. فقال: اكتب: حدثنا حجاج عن حماد عن ثابت أنّ النبي (ﷺ) صلّى على طنفسة. قلت: حدثنا آخر، فقال: ابن أبي داود لا يكذب.

وقال ابن دريد[1]: سألت أبا حاتم عن بشّار، فقال: نظّار غوّاص مُطيل مُجيد يصف ما لم يره وكأنّه رآه، على أنّ في شعره خللاً كثيراً. قلت: فمروان. قال: شاعر راضٍ عن نفسه، يستحسن، كلّ ما جاء منه معجب لا يرى أنّ أحدا يتقدمه، كثير الصواب كثير الخطأ، ليس لشعره صنعة. قلت: فمسلم. قال: مليح صافٍ ينزع من بحر كدر كالزند يورى تارة ويصلد أخرى. قلت: فأبو العتاهية. قال: غثاء جمّ واقتدار سهل، وشعر كخرز الزجاج، وربّما أشبه الياقوت والزبرجد. قلت: فابن الأحنف. قال: يلقي دلوه في الدلاء فيغترف الصفو أحيانا، على أنّ كدره أحيانا أكثر من صفوه. قلت. فوالبة. قال: مصطفٍ مخلِّط، ابتداءاته خير من خواتمه، وجيده حسن الصنعة. قلت: فسلْم الخاسر. قال: مقل مدّاح شعره ديباج وعهن يموّه الرديء حتى يشبه الجيّد. قلت. فالعتّابيّ. قال: عالم بأشعار العرب محتذٍ على مثالهم أحيانا، وربّما مال إلى تعقيد الكلام، على أنّه ينال مرامه من كلتا الجهتين. قلت: فالخريميّ. قال: صنعة سهلة

(١) هذه السؤالات جزء من سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي وردّه عليها في كتاب (فحولة الشعراء) ولا نعلم لماذا ذكرت في ترجمة الجاحظ

لا يكابر طبعه ولا يكدّ فكره، يسوق ما انقاد له عثوا. قلت: فأشجع. قال: يعذُب ويُعفي، ويحسن ويُسيء، فصوله مختلفة، إن شئت قلت مطبوع، وإن شئت قلت متكلّف. قلت: فأبو الشيِّص. قال: جدّ كلّه فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التي نفضت، ففيها المستَعذَبُ والمستَبشعُ. قلت: فعلي بن جبلة. قال: بحّاث عن الكلام الفخم والمعنى الرائع لا ينال مرتبة القدماء، ويجلّ عن مرتبة النُّظراء. قلت: فدعبل. قال: شديد الأسر محكم الصنعة قليل الطلاوة مفحش الهجاء غير مقنع المديح. قلت: فأبو تمام. قال: سيل كثير الغثاء غزير الغمار جمّ النطاف، فإذا صفا فهو السُّلاف بالماء الزلال. قلت: فالخارزكيّ. قال: ظريف مقلّ منْحلّ الألفاظ متعقّد المعاني. قلت: فأبو سعد قوصرة. قال: ورق ناضر وعود خرّار، إن حفظ لم ينفع، وإن ضُيِّع لم يغيِّر. قلت: فابن بشير. قال: عذب الكلام سهله إذا أراد الشيء قدر عليه، وإن اشتدت كلفته في مرامه. قلت: فابن أبي عُيينة. قال: أعجبه اقتداره فتجاوز مقداره، على أنّه إذا فخر فلق، وإذا كوى أنضج. قلت: فعبد الصمد بن المعذّل. قال: خرّاج ولاّج يعتسف تارة ويهتدي أخرى، إن سلك سبل العرب الأُوَل، وإن مال إلى طُرق المولَّدين شاكه. قلت: فعلي بن الجهم. قال: كلام رصين ومسلك وعرٌ عقله أغلب على شعره من طبعه. قلت: فبكر بن النطّاح. قال: تشبَّه بالأعراب فأفرط، وتجاوز حدّ المولَّدين فأسهب، فهو الساقط بين القريتين. قلت: فخالد النجّار. قال: سيء الكلام رخو النظام إن أطال بلَّدَ، وإن قصَّر اجتهد. قلت: فأبو دُلامة. قال: جَد وهزل، ومحَبّب ومرغوب عنه، إذا قصد مراما تناوله غثًا أو سمينا. قلت: فأبو الشُّمُقْمُق. قال: هجاؤه لذّاع ومديحه بلاء أكثره لا نفعَ فيه. قلت: فلان: قال: كلام مؤلَّف تلمظه أسماع الجُهَّال وتلفظه آذان العلماء. قلت: فأبو نواس. قال: إن جَدَّ أحسن، وإن هزل طرَّف، وإن وصف بالغ، يلقي الكلام على عواهنه لا يبالي من حيث أخذه.

وأخرج ابن عساكر عن ابن دُريد[1]، قال: قال أبو حاتم: لولا أنَّ العامّة استبذلت

---

(١) تاريخ دمشق: ١٣/٤٢٨.

هذين البيتين لكتبتهما بماء الذهب، وهما لأبي نواس:

ولو أنّي استزدتك فوق ما بي … من البلوى لأعوزك المزيدُ
ولو عرضت على الموتى حياتي … بعيش مثل عيشي لم يريدوا

قال ابن عساكر في تاريخه[1]: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر القزّاز، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد، أخبرنا أبو بكر محمد بن إسماعيل الورّاق، حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا عقبة بن مكرَّم العمّي، حدثنا عبدالله بن حرب الليثيّ حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنّى قال ابن صاعد: ثم خرجنا إلى البصرة في سنة خمسين ومائتين، فحدثنا أبو حاتم السجستانيّ سهل بن محمد، حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنّى حدثني رؤبة بن العجّاج حدثني أبي قال: سألت أبا هريرة: فقلت: يا أبا هريرة، ما تقول في هذا؟

طاف الخيالان فهاجا سقما … خيالُ تُكنى وخيال تكتما
قلت: تريك رهبة أن تصرما … ساقا بخنداة وكعبا أدرما

فقال أبو هريرة: كان يُحْدى بنحو هذا مع رسول الله (ﷺ) ولا يعيبه.

وقال السلفيّ في الأربعين البلدانيّة: أخبرنا أبو طالب نصر بن الحسن بن سحمان قاضي الدِّينَوَر حدثنا أبو سعيد بندار بن علي بن الحسن بن الروّاس إملاءً، حدثنا أبو الخير زيد بن رفاعة الكاتب أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد الأزديّ عن أبي حاتم السجستانيّ عن الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء عن نصر بن عاصم الليثيّ عن أبيه، قال: سمعت النابغة يقول: أتيتُ النبيّ (ﷺ) فأنشدته حتى أتيتُ على قولي:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى … ويتلو كتابا واضح الحقّ نيّرا
بلغنا السماءَ مجدنا وجدودنا … وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

(١) تاريخ دمشق: ٢١٨/١٣.

فقال: إلى أينَ يا ابن ليلى؟ فقلت: إلى الجنّة. فقال عليه السلام: إن شاء الله. فأنشدته:

ولا خيــر في حلم إذا لم يكن له — بوادرُ تحمي صفوَه أن يُكَدَّرا

فقال لي: صدقت، لا يفضض الله فاك. قال: فبقي عمره أحسنَ الناس ثغرا، كلّما سقطت سِنٌّ عادت أخرى مكانها، وكان مُعَمَّراً.

[٢٤]*
الحُوفيّ

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحُوفيّ(١).

قال ياقوت: أصله من حوف ببلبيس من الديار المصريّة، أخذ عن أبي بكر محمد بن علي الإدفويّ صاحب النحّاس، وكان نحويًا قارئا، له من التصانيف كتاب: البرهان في تفسير القرآن، قال ياقوت: بلغني أنه في ثلاثين مجلدة ضخمة بخطٍّ دقيق.

وله إعراب القرآن، قال الصلاح الصفديّ: رأيته بصفد في عشر مجلّدات، وله كتاب الموضّح في النحو.

توفي في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة.

ورأيت في كتاب التذييل للبدر حسن بن محمد بن صالح النابلسيّ الحنبليّ بخطّه ما نصّه:

فائدة: أبو الحسن علي الحوفيّ صاحب التفسير ليس من حوف الديار المصريّة،

---

[*] انظر ترجمته في: الإكمال: ١٩٤/٢. الأنساب: ٢٩٠/٢. معجم الأدباء: ١٦٤٣/٤-١٦٤٤. إنباه الرواة: ٢١٩/٢-٢٢٠. وفيات الأعيان: ٣٠٠/٣. تاريخ الإسلام (وفيات ٤٢١-٤٣٠) ٢٩٣-٢٩٤. سير أعلام النبلاء: ٥٢١/١٧-٥٢٢. العبر: ٢٦٣/٢. الوافي: ٦/٢٠. البلغة: ١٤١-١٤٢. البغية: ١٤٠/٢. طبقات المفسّرين: ٨٣/١. شذرات الذهب: ٤٠٨/٣.

(١) هذه الترجمة في غير موضعها، فلعل المؤلف سها أو أنّ يد عابث امتدت إلى المخطوط فعبثت في أوراقه.

وإنَّما هي من عُمان، هكذا في تاريخ البخاريّ، والله أعلم.

قال الحافظ المنذريّ في تاريخ مصر: أخبرنا الحافظ أبو الحسن المقدسيّ بقراءتيّ عليه عن الشريف أبي الفتوح ناصر بن الحسن الحُسَينيّ أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبدالله بن أبي داود الفارسيّ قراءة عليّ وأنا أسمع أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفيّ النحويّ قراءة عليّ وأنا أسمع بقراءة الإمام سعد الزنجانيّ أخبرنا أبو بكر محمد بن علي النحويّ الإدفويّ بقراءتي عليه في شوال سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، قال: قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحويّ الصفّار، قال: فحدثنا أحمد بن شعيب أخبرنا قُتيبة حدثنا مالك عن ابن شهاب عن أنس أنَّ رسول الله (ﷺ) دخل مكّة وعليه المِغْفر، فقيل: إنَّ ابن خطل متعلِّق بأستار الكعبة. فقال: اقتلوه.

[٢٥]*

ابن جِنِّي

أبو الفتح عثمان بن جني الموصليّ، وجني بسكون الياء معرب كسِنّي.

---

[*] انظر ترجمته في: الفهرست: ١٣٨. تاريخ العلماء النحويين: ٢٥-٢٦. تاريخ بغداد: ١١/ ٣١٠. دمية القصر: ٣/١٤٨١-١٤٨٥. الإكمال: ٢/٥٨٥. الأنساب: ٢/ ١٠٠-١٠١. نزهة الألباء: ٢٤٤-٢٤٦. المنتظم: ١٥/ ٣٣-٣٤. معجم الأدباء: ٤/١٥٨٥-١٦٠١. إنباه الرواة: ٢/٣٣٥-٣٤٠. وفيات الأعيان: ٣/٢٤٦-٢٤٨. تاريخ الإسلام (وفيات ٣٨٠-٤٠٠) ٢٧٠-٢٧١. دول الإسلام: ١/ ٢٣٦. سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٧-١٩. العبر: ٢/ ١٨٣. الشعور بالعور: ١٦٣-١٦٨. الوافي: ١٩/ ٣١١-٣١٤. مسالك الأبصار: ٧/١١٦-١١٧. مرآة الجنان: ٢/٣٣٤-٣٣٥. البلغة: ١٣٧-١٣٨. النجوم الزاهرة: ٤/ ٢٠٧. البغية: ٢/ ١٣٢ .شذرات الذهب: ٣/ ٢٧٣.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن جني النحوي.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني.
- الدرس الدلاليّ في خصائص ابن جني.

قال أبو البركات بن الأنباريّ: كان أبوه مملوكا روميًا لسُليمان بن فهد بن أحمد الأزديّ الموصليّ، وولد أبو الفتح قبل الثلاثين وثلاثمائة، وكان من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف، صنَّف في النحو والتصريف كتبا أبدع فيها، ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، ولم يتكلّم أحد أحسن ولا أدقّ من كلامه في التصريف.

اجتاز أبو علي الفارسيّ بالموصل فمرّ بالجامع وأبو الفتح يقرئ النحو وهو شاب، فسأله أبو علي مسألة في التصريف، فقصَّر فيها أبو الفتح، فقال: زَبَّبتَ قبل أن تُحَصْرِمِ، فلزمه من يومئذٍ مدة أربعين سنة، واعتنى بالتصريف، ولما مات أبو علي تصدَّر ابن جنّي مكانه ببغداد. وأخذ عنه الثمانينيّ، وعبد السلام البصريّ، وأبو الحسن السمسميّ[(١)].

وتوفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وخلّف من الأولاد عليا وعاليا والعلاء، وكلّهم أدباء فضلاء قد خرّجهم والدهم وسَمَّعَهم وحسَّن خطوطهم. ومن تصانيفه: الخصائص. سرّ الصناعة. شرح تصريف المازنيّ. شرح أشعار هُذَيل مما أغفله السكّريّ. شرح مستغلق الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها. شرح المقصور والممدود لابن السكّيت. تعاقب العربيّة. شرح ديوان المتنبي، كبير. شرح آخر صغير. مختصر التصريف. مختصر العروض والقوافي والحروف المهموزة. كتاب في اسم المفعول المعتلّ العين من الثلاثيّ. شرح المذكّر والمؤنّث لابن السكّيت. تأييد التذكرة لأبي علي. محاسن العربيّة. النوادر الممتعة في العربيّة. الخاطريّات. المحتسَب في تعليل القراءات الشاذة. شرح أرجوزة أبي نواس. تفسير العلويات، وهي أربع قصائد للشريف الرضيّ. كتاب البشرى والظفر، في شرح بيت واحد من شعر عضد الدولة، وهو:

أهلاً وسهلاً بذي البشرى ونوبتها ... وباشتمال سرايانا على الظفرِ

(١) رواية أبي البركات الأنباري في نزهة الألباء أكثر تفصيلاً. انظر: ٢٤٥.

رسالة في مدد الأصوات ومقادير المدّات. المذكر والمؤنث. المنتصف. مقدمات أبواب التصريف. النقض على ابن وكيع شعر المتنبي وتخطئته. المغرب في شرح القوافي. الفصل بين الكلام الخاصّ والكلام العام. الوقف والابتداء. الفرق. المعاني المجرّدة. الفائق. الخُطب. مختار الأراجيز. ذا القدّ. شرح الفصيح. الكافي في القوافي. التنبيه في إعراب الحماسة. المهذّب. التبصرة.

قال السلفيّ في معجم السفر(١): سمعت أبا عبدالله محمد بن بركات بن هلال النحويّ بمصر يقول: سمعت نصر بن عبد العزيز بن نوح المقرئ يقول: سمعت أبا الحسن علي بن عبيدالله السمسمانيّ اللغويّ ببغداد يقول: قدم أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسيّ الموصلَ فقعد إلى عثمان بن جِنّي في جامعها، وهو يدرّس النحو، وكان ابن جني خطيبا في علمه، فلما فرغ من تدريسه، وقام أصحابه، قال لأبي علي، ولم يعرفه، كيف رأيت مجلسنا؟ فقال: تزببتَ حصرماً. فقال: ما يقول لي هذا ولا أبو علي الفارسيّ. فقال: أنا أبو علي، أخطأت في كذا وفي كذا. فقام وجلس بين يديه، ولزم القراءة عليه، ولم يدرّس حتى مات أبو علي.

ووجد بخطّ ابن جني على ظهر كتاب المحتسَب في عِلل القراءات الشاذّة: أخبرني بعض من يعتادني للقراءة عليّ والأخذ عني، قال: رأيتك في منامي جالسا في مجلس لك على حال كذا، وبصورة كذا، وذكر من الجلسة والشارة جميلا، وإذا رجل له رواء ومنظر وقدر قد أتاك، فحين رأيته أعظمت مورده، وأسرعت القيام له، فجلس في صدر مجلسك، وقال لك: اجلسْ. فجلست، فقال: كذا ثم قال لك: أتمم كتاب الشواذّ الذي عملتَه، فإنّه كتاب يصل إلينا. ثم نهض، فلما ولّى سألت بعض من كان معه عنه، فقال: علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ذكر هذا الرائي هذه الرؤيا لي، وقد بقيت من نواحي هذا الكتاب أُمَيكنات تحتاج إلى معاودة نظر، وأنا أفرغ منها، وبعده ملحق في الحاشية بخطّه أيضا، ثم عاودتها، فصححت بلطف الله ومشيئته.

---

(١) لم أجد الرواية في المطبوع من معجم السفر وإن كانت الرواية مشهورة.

ولما مات أبو الفتح رثاه الشريف الرضي بقصيدة عِدتها تسعة وخمسون بيتا[1]، منها[2]:

لتبكِ أبا الفتح العيونُ بدمعها ... وألسنُنا من قبلها[3] بالمناطقِ
إذا هبَّ من تلك الغليلُ بدامعٍ ... تسرَّع من هذا الغمامِ[4] بناطقِ
طوى منه بطنُ الأرض ما تستعيده ... على الدهر منشورا بطون المهارقِ
مضى طيّبُ الأردان يأرجُ ذكرُه ... كريح[5] الصبا تندى لعرنين ناشق
وما احتاج بُردا غير بُرد عفافه ... ولا عرف طيب غير تلك الخلائقِ
تروق ماءُ الودّ بيني وبينه ... وطاح القذى عن بلبل الطعن رائق
سقاك وهل يسقيك إلا تعلّة ... لغير الردى مطرُ الغيوم الروائقِ[6]
من المزن حمحام إذ التجّ لجّة ... أضاءت تواليه زنادَ البوارق
وما فرحي إن جاورتك حديقةٌ ... وقبرك مملوء بغُرّ الحدائقِ

وقال ياقوت في معجمه: ذكره أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزيّ في دمية القصر، فقال: ليس لأحد من أهل الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما له، ولا سيّما في علم الإعراب، فقد وقع عليها من ثمرة الغراب، ومن تأمّل مصنّفاته وقف على بعض صفاته، فوربّي إنه كشف الغطاء عن شعره، وما كنت أعلم أنّه ينظم القريض أو يسيغ ذلك الجريض حتى قرأت له مرثيته في المتنبي، أولّها:

غاض القريضُ وأودت نضرةُ الأدبِ ... وصوّحتْ بعد ريٍّ دوحةُ الكتبِ

(١) عدد أبيات القصيدة في المطبوع من ديوان الشريف الرضي ثمانٍ وخمسون بيتاً. انظر ديوانه: ٢/٥٩-٦٢.
(٢) ديوان الشريف الرضي: ٢/٦١-٦٢.
(٣) في المصدر نفسه: من بعدها. انظر: ٢/٦١.
(٤) في المصدر نفسه: الغرام. انظر: ٢/٦١.
(٥) في المصدر نفسه: أريج. انظر: ٢/٦١.
(٦) في المصدر نفسه: قطر الغمام الدوافق. انظر: ٢/٦٢.

سُلِبْتَ ثوبَ بهاءٍ كنتَ تلبسهُ … لما تُخُطِّفت بالخطيّةِ السُّلُبِ
ما زلتَ تصحبُ في الجلى إذا انشعبتْ … قلبا جميعا وعزما غيرَ منشعبِ
وقد حلبتَ لعمري الدهرَ أشطره … تمطو بهمةٍ لا وانٍ ولا نصبِ
من للهواجلِ يُحيي مَيْتَ أرسمها … بكلِّ جائلةِ التصديرِ والحقبِ
قبّاءُ خوصاءُ محمود عُلالتها … تنبو عريكتها بالحلسِ والقتبِ
أم من لبيض الظبا توكافهنّ دمٌ … أم من لسمر القنا والزُّغفِ واليلَبِ
أم للجحافل يُذكي جمر جاحمها … حتى يقرّ بها من جاحم اللهبِ
أم للمحافل إذ تبدو ليعمرها … بالنظم والنثر والأمثال والخطبِ
أم للصواهل محمرًا سرابلها … من بعد ما غبرتْ معروفة الشهبِ
أم للمناهل والظلماء عاطفةٌ(1) … بواصل الكرِّ بين الوردِ والقربِ
أم للقساطل تعتمُّ الحزونُ بها … أم من لضغم الهزبرِ الضيغم الحربِ
أم للملوك تحلّيها وتلبسها … حتى تمايَسَ في أبرادها القُشُبِ
نابت وسادي أطرابٌ تؤرقني … لما غدوت لقى في قبضة النُّوبِ
عمَّرتَ خِدنَ المساعي غير مضطهدٍ … كالنصل لم يدنس يوما ولم يُعَبِ
فاذهب عليكَ سلامُ المجد ما قلقتْ … خوصُ الركائبِ بالأكوار والشُّعَبِ

وحدث أبو الحسن الطرائفيّ، قال: كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كبيرا، ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئا من شعره أَنَفَةً وإكباراً لنفسه، وكان المتنبي يقول في أبي الفتح: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس.

وسئل المتنبي بشيراز عن قوله:

وكان ابنا عدوٍّ كاثراه … له ياءَي حروفِ أُنَيْسِيانِ

---

(1) في دمية القصر: عاكفة. انظر: ١٤٨٤/٣.

فقال: لو كان صديقنا أبو الفتح بن جني حاضرا لفسَّره.

قال ياقوت: ومن كتاب سرّ السرور لأبي الفتح بن جني:

رأيتُ محاسنَ ضحْك الربيعِ ... أطال عليها بكاء السحابِ

وقد ضَحِك الشيبُ في لمتي ... فلِم لا أُبَكّي ربيع الشبابِ

أأشربُ في الكأسِ كلا وحاشا ... لأبصره في صفاء الشرابِ

وأنشدَ له:

تَحَبُّبْ أو تدَرُّعْ أو تقبُّا(١) ... فلا والله لا أزدادُ حبَّا

أخذت ببعض حبّك كلَّ قلبي ... فإن رُمتَ المزيدَ فهاتِ قلبا

قرأت بخطِّ أبي علي الصابئ ولأبي نصر بشر بن هارون في ابن جني النحويّ، وقد جرى بينه وبينه في معنى شيطان يُقال إنّه يظهر بالراية، اسمُه العُدار، وإذا لقي إنسانا وطئه، فقال له ابن جني: بودِّك لو لقيك، فإنّه كان لأمنيتك، فقال أبو نصر:

زعمتَ أنَّ العُدار خدني ... وليس خِدنا ليَ العُدارُ

عِفرٌ من الجنِّ أنتَ أولى ... به وفيهم لك افتخارُ

فالجِنُّ جِنٌّ ونحنُ إنسٌ ... شتّانَ هذانِ يا حمارُ

ونحنُ من طينة خُلِقنا ... خلق الجنَّ منه نارُ

العرّ والعارُ فيك تَمّا ... والعَوَر التامّ والعِوارُ

ونقل من خطِّ أبي الفتح بن جني خطبة نِكاح من إنشائه: الحمدُ لله فاطر السماوات والأرض، ومالك الإبرام والنقض، ذي العزّة والعلاء، والعظمة والكبرياء، مبتدِع الخَلق على غير مثال، والمشهود بحقيقته في كلِّ حال، الذي ملأت حكمته القلوبَ نورا، فاستودعَ علمَ الأشياء كتابا مسطورا، وأشرق في غياهب الشبه خصائص نعوته، واغترقت أرجاء الفكر بسطة ملكوته. أحمده حمدَ معترفٍ بجزيل نِعَمه، وأخاطبه ملتبسا

(١) أي أنّه لبس القباء.

بِسِني قسمه، وأعاطيه، وأؤمن به في السرِّ والعلنِ، وأستدفعُ بقدرته ملمّات الزمن، وأستعينه على نوازل الأمور، وأداراه في نحر كلِّ محذور، وأشهد شهادةً تخضع لعلوِّها السماوات وما أظلّت، وتعجز عن حملها الأرَضون وما أقلّت، إنَّه مالك يوم البعث والمعاد، والقائم على كلِّ شيءٍ بالمرصاد، وأن لا معبودَ سواه، ولا إله إلا هو، وأنَّ محمداً (ﷺ) وبجّل وكرَّمَ عبدُه المنتخب، وحجته على العجم والعرب، ابتعثه بالحقِّ إلى أوليائه ضياءً لامعا، وعلى المُرَّاقِ من أعدائه شهابا ساطعا، فابتذل في ذات الله نفسه وجهدها، وانتحى بمناهج الرشد وقصدها مستسهِلا ما يراه الأنام صعبا، ومستخصبا ما يدعونه بينهم جدبا، ينافس أهلَ الكفر والنفاق، ويمارس البغاة أُولي الشقاق بقلبٍ غير مذهول، وعزم غير مفلول، يستنجز الله صادق وعده، ويسعى في خلود الحقِّ من بعده إلى أن وطَّدَ بواني الدين وأرساها، وشاد شُرفَ الإيمان وأسماها، فصرم مدته التي أوتيها في طاعة الله موفَّقا حميدا، ثم انكفأ إلى خالقه مفتونا به فقيداً (ﷺ) ومضى في الظلام برق أو نبض في الأنام عرق، وعلى الخيرة المصطَفَين من آله، والمعيدين لشرف فعاله، وإنَّ مما أفرط الله به في سابق حكمه، وأجرى بمكنونه قلم علمه، ليضمَّ بوقوعه متباين الشمل، ويزمَّ به شارد الفرع إلى الأصل، أنَّ فلان بنَ فلان، وهو كما يعلم من حضر، من ذوي الستر وصدق المختبر، مسجوح الخليقة، مأمون الطريقة، متمسك بعصام الدين، آخذ بسُنة المسلمين، خَطَبَ للأمر المحموم، والقدر المحتوم من فلان بن فلان الظاهر العدالة والعفاف، أهل البرِّ وحسن الكفالة والكفاف، عقيلتَه فلانة بنت فلان خيرةَ نسائها، وصفوةَ آبائها في زكاء منصبها، وطيب مركبها، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا، فليشهد على ذلك أهل مجلسنا، وكفى بالله شهيدا -تمَّ تقريرهما- ثمّ يقال: لاءمَ الله بين كلمتَيكما، وأجم بالحسنى بينكما، وخار لكما فيما قضى، ولا ابتزَّكما صالح ما كسا، وهو حسبنا وكفى.

قرأت بخطِّ الشيخ أبي منصور موهوب بن الخضر الجواليقيِّ رحمه الله: أنشدنا

الشيخ الإمام أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزيّ، قال: أنشدنا عالي بن عثمان بن جني، قال: أنشدني أبي لنفسه:

وحلو شمائلِ الأدب ... منيف مراتبِ الحسبِ
أخي فخرٍ مفاخرُهُ ... عقائل عُقلة الإرَبِ
له كلَفٌ بما كلفت ... به العلماءِ م العربِ
يبيت يفاتش الأنقا ... بَ عن أسرارها الغُيبِ
فمن جَدَدٍ إلى جَلَدٍ ... إلى صُعُدٍ إلى صَبَبِ
ويسرب في معانيها ... بضيض رواشح الثغبِ
ويفرع فكره الأبكا ... رَ منها من حمى الحجبِ
فيبرزها كأنٌ بها ... وإن خفيت سنا لهبِ
يغازل من تأمّلها ... غِزالَ الخُرَّدِ العُرُبِ
يجدُّ بها وتحسبه ... للطف الفكر في لعبِ
سباطة مذهبٍ سكبت ... عليه ماءةُ الذهَبِ
ورِقّة مأخذ شهدت ... بغلظةِ كلِّ منتجبِ
وطردا للفروع على ... أصولٍ وطُدٍ رُتبِ
إذا ما انحطّ غائرها ... سما فرعا على الرتبِ
قياسا مثلَ ما وقدت ... بليلٍ برزةُ الشهبِ
وألفاظا مهذَّبةَ الحـ ... ـواشي ثرَّة السحبِ
فطورا من ذرى علم ... وطورا من ذرى طُنُبِ
إذا حازت لنا سَلَبا ... فعدٍّ عن القنا السُلُبِ
تركت مساجلي أدبي ... طوال الدهر في تعبِ
إذا أجروا إلى أمدٍ ... فقلْ في هافةٍ لُغبِ
وإن راموا مبادهتي ... سبقتُ وأوطأوا عقبي

وكـــــيف يروم منـزلـتـي نـزيلُ أخــــابث التّـــــربِ
وهل يســـمـــو لفـــارعـــتي خــفــيض الخـــدِّ ذو حـــدبِ
وهل ينتـــاط بي ســـبـــبـــا ضـــعـيفُ مـــعــاقـــدِ السـببِ
أغُـــرّة وجـــهِ ســـابقـــهـــا تقـــــاسُ بشــــعـلة الذّنبِ
شكرت الله نعـــمـــتـــه ومــــــــا أولاه مـــن أربِ
زكت عـندي صـنـائعـــه فـــوفـــقني وأحـــسنَ بي
تخــــولّني وخــــولّني ونـــولّـــنـــي ونـــوّه بـــي
وأخّـــرَ من يقـــادمني وأعـــــلاني وأرغـم بـي
فـــيـــا بأبي منائحُـــه وقـــلُ لــهـــنّ يـــا بـــأبـــي
ضـــفـــون عليّ عِطْفَ عُـــلاً بـرفـل جـــدٍّ منســـحـبِ
فـــإن أصـــبـح بلا نسبِ فــعلمي في الورى نســـبي
عـــلـــى أنـــي أؤول إلـــى قـــروم ســـــادةٍ نُجـبِ
قـــيـــاصـــرة إذا نطقـــوا أرمُّ الـــدهـــر ذو الخـــطـــبِ
أولاك دعـــــا النبـي لهـم كــفـى شـــرفـــا دعـــاء نبي
وإمّـــــا فـــــاتـني نشبٌ كـــفـــــاني ذاك من نشَبِ
وإن أركب مـطـا ســـــفـــــرِ مـــجـــدَ الورد والقـــربِ
فـــإني مـــخـلد خلفـــا يضـــاوي الشـــمسَ من كـــثبِ
إذا لـم يـبـقَ لـي عـــــقـبٌ أقـــامت خـيـــر مـــا عـــقبِ
مـــوشّـــحـــة مـــرشّـــحـــة لنيل الغـــــايِ من كـــثبِ
يصمّ صـــدى الحـــسـود لهـــا ويـخــــــرق أطرق الـركـب
إذا اهتـــــزت كنائنهـــــا هفت خــــفـــاقــــةَ العـــذَبِ
أزول وذكــــــــرهـــا بـــاقٍ عـلـى الأيـام والحِـــــــقـبِ
تنــاقـلهـــــا الرواة لـهـــــا على الأجــــفــــان من حـــدبِ

فيرتع في أزاهرها ملوك العجم والعربِ
فمن مُغنٍ إلى مُدنٍ إلى مُثنٍ إلى طَربِ
كفاها أن يقول لها بهاء الدولة اقتربي
إلى المصير غداً وعند الله مطلبي
له ظهري ومعتملي ومتَّجهي ومنقلبي
فقل للغامطي نِعمي وما راعيتَ من قُرَبي
وتشميري وتنشئتي ومحتالي ومضطربي
ونهضي عنك أطعنُ في نحور أوابد النُّوَبِ
ورفعي من رذائلك الـ ـلواتي بعضها سببي
ولولا أنتَ كان أديـ ـم مآثري بلا نُدَبِ
ألما أنْ أشرتَ وإن نزتْ بك بِطنة الكلِبِ
وأكرمك الأكابر لي وخالطت الأماثل بي
ورفَّعت الذلاذل عن معاطف تائهٍ حربِ
وأنسيت الأوائل بالـ أواخر نزقة العجبِ
وقلت: أنا وأين أنا ومن مثلي وحسبك بي
وقال لي الوزير: هنا وأدناني ورحَّب بي
وقدَّمني ولقَّمني ووسَّطني وصدَّر بي
أسأتَ جوار عارفتي فثق بطوارقِ العُقَبِ
وحسبي أن ألمّ ببكـ ـرِ جارحا حسبي
ولكنُّ الدواءَ على كراهته شفا الوَصَبِ

ومن شعر ابن جني:

صدودك عني ولا ذنبَ لي يدلُّ على نيَّة فاسده
فقد وحياتك مما بكيت خشيت على عيني الواحده

ولولا مـــخـــافـــة أن لا أراك لما كـــان في تركـــهـــا فـــائده

قال أبو البركات بن الأنباريّ: وإنَّما قال: خشيت على عيني الواحدة، لأنَّه كان أعورَ.

وقال: أورد له أبو إسحاق الحصريّ في كتاب النورين: وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الفتح عثمان بن جني النحويّ:

غـــزالٌ غـــيـــرُ وحـــشيٍّ حكى الوحـــشيُّ مـــقلتَـــهُ
رآه الـــوردُ يـــجـــنـــي الـــور دَ فـــاســـتكســـاهُ حُلَّتَـــهُ
وشمَّ بـأنـفـــــه الـريـحـــــا نَ فـــاســـتـــهـــداه زهرتَهُ
وذاقت ريحـــه الصـــهـــبـــا ءَ فـــاخـــتلســـتـــه نكهـــتَـــهُ

[٢٦]*

حفص

ابن عمر بن عبد العزيز بن صُهَيبٍ ويُقال صُهبان الأزديّ الدوريّ البغداديّ المقرئ النحويّ أبو عمر.

قال في الداني في طبقات القرَّاء: أخذ القراءة عرضا وسماعا عن إسماعيل بن جعفر، سمع منه كتاب حروف المدينة عن جمعة وعن سليم بن علي بن حمزة، وعن الكسائيّ عن نفسه، وعن أبي بكر بن عاصم، وعن جمعة بن القاسم عن أصحابه، وعن

---

[*] الثقات: ٢٠٠/٨. تاريخ بغداد: ١٩٩/٨-٢٠٠. المنتظم: ٣٤٢/١١. معجم الأدباء: ١١٨٠/٣-١١٨١. تهذيب الكمال: ٣٤/٧-٣٧. تاريخ الإسلام (وفيات ٢٤١-٢٥٠) ٢٤٩-٢٥١. سير أعلام النبلاء: ٥٤١/١١-٥٤٣. العبر: ٣٥١/١. معرفة القراء الكبار: ١٩١/١-١٩٢. المغني في الضعفاء: ١٨١/١. عيون التواريخ (وفيات ٢٤٦) ٣٦٣. الوافي: ٦٥/١٣. غاية النهاية: ٢٥٥/١-٢٥٧. لسان الميزان: ٤٧٦/٧. شذرات الذهب: ٢٤٧/٢.

اليزيديّ عن أبي عمرو، وسمع أبا إسماعيل المؤدب، وأحمد بن حنبل، ومزيد بن هارون، وعبد المؤدب بن عطاء، وعرض على عثمان الوقاصيّ حروف الزهريّ عن الزهريّ.

إمامٌ في القراءة ثقة مشهور ثبت، وهو منسوب إلى الدور موضع ببغداد، روى القراءة عنه عرضا وسماعا ابنه محمد، وأحمد بن يزيد الحلوانيّ، والحسن بن عبد الوهاب الوراق، والحسن بن الحسين الصوّاف، والحسن بن علي العلاّف، وعبد الرحمن بن عبدوس، وأحمد بن فرج، وعياش بن محمد، ومحمد بن أحمد البرمكيّ، وإسماعيل بن يونس، وجعفر بن محمد بن أسد، وهارون بن عبدالله المزوِّق، وإسماعيل بن أحمد الرقيّ، والقاسم بن عبد الوارث، وجعفر بن عبدالله بن الصبّاح، وعلي بن سليمان، وسعيد بن عبد الرحيم، والفضل بن شاذان، وعصام بن منصور، وجعفر بن محمد الرافقيّ، ومحمد بن حمدون القطيفيّ، محمد بن محمد الباهليّ، ومحمد بن حماد التستُريّ، وعثمان بن خُرَّزاد، وصالح بن يعقوب، وغير هؤلاء.

وسمع منه عبدالله بن أحمد بن حنبل، وسئل عنه أبو حاتم الرازيّ، فقال: صدوق، مات في حدود ستة خمسين ومائتين.

وقال الذهبيّ: شيخ المقرئين بالعراق، ثقة في جميع ما يرويه، صنَّف كتابا في القراءات، ويُقال: إنَّه كان أوّل من جمع القراءات وألّفها، قرأ أيضا على شجاع بن أبي نصر، وسمع الحروف من أبي بكر بن عياش، وحدّث أيضا عن سفيان بن عُيينة، وأبي معاوية الضرير، وإسماعيل بن عياش، ومحمد بن مروان السُّدّيّ حتى إنّه روى عن أحمد بن حنبل وروى عنه، وطال عمره وقُصِدَ من الآفاق، وازدحم عليه الحُذّاق لعلوّ سنِّه وسعة علمه، وحدَّث عنه ابن ماجة في سُننه، وأبو زرعة الرازيّ، وحاجب بن أركين، ومحمد بن حامد خال ولد السُّنيّ، وخلق كثير، وذهب بصره آخر عمره، مات سنة ستٍّ وأربعين ومائتين.

وقال المُزيّ في تهذيب الكمال، روى عن أبي إسماعيل إبراهيم بن سُليمان المؤدب، وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، وأحمد بن إسحاق الحضرميّ، وأحمد بن حنبل وهو

من أقرانه، وإسماعيل بن جعفر المدنيّ، وإسماعيل بن عياش، وبشير بن زاذان، وحجاج بن محمد المصيصيّ، والحسين بن محمد المروذيّ، وأبي عمارة حمزة بن القاسم، وزيد بن الحباب، وسريج بن يونس وهو من أقرانه، وسفيان بن عُيينة، وأبي الربيع سُليمان بن داود الزهراني، وسُنيد بن داود المصيصيّ، وأبي بحر عبد الرحمن بن عثمان البكراويّ، وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف، وعثّامة بن أوس الأزديّ، وعثمان بن عبد الرحمن القرشيّ الوقاصيّ، وعلي بن حمزة الكسائيّ المقرئ، وعلي بن قدامة، وعلي بن مسلم بن الهيثم الهاشميّ، وعمار بن مُضَر أبي ياسر، وعمر بن سعيد الدمشقيّ، وعمرو بن جُمَيع البصريّ قاضي حلوان، وعمرو بن مجمِّع الكنديّ، وأبي معاوية محمد بن خازم الضرير، ومحمد بن سعدان المقرئ، ومحمد بن عنبسة، ومحمد بن مروان السُّدّي الصغير، ومحمد بن يزيد الأنطاكيّ، ومروان بن معاوية الفزاريّ، وأبي حذَيفة موسى بن مسعود النهدي، ونصر بن علي الجهضميّ وهو من أقرانه، وهارون بن معروف، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن أبي بُكير، ويحيى بن سعيد الأمويّ، وأبي تُميلة يحيى بن واضح، وأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيديّ ويزيد بن هارون.

روى عنه ابن ماجة، وأحمد بن فرج بن جبريل المقرئ، وإسحاق بن الحسن الحربيّ، وجعفر بن عبدالله بن الصبّاح، وحاجب بن أركين الفرغانيّ، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو زرعة عبيدالله بن عبد الكريم الرازيّ، وعلي بن إبراهيم الأهوازيّ، وعلي بن سليم بن إسحاق المقرئ، وعثمان بن شيبة النميريّ، والفضل بن شاذان، والقاسم بن فورك الثقفيّ الأصبهانيّ، ومحمد بن إبراهيم البرثيّ، ومحمد بن أحمد بن يزيد النرسيّ البغداديّ، وأبو حاتم محمد بن إدريس الرازيّ، ومحمد بن حامد بن السريّ البغداديّ خال ولد السنّيّ، ومحمد بن واصل المقرئ، وأبو بكر بن العلاف الشاعر.

قال الخطيب: قرأ القرآن على جماعة من الأكابر، منهم إسماعيل بن جعفر المدنيّ، وشجاع بن أبي نصر الخراسانيّ، [وسُلَيم بن عيسى][(1)] والكسائيّ، ومال إلى

(1) زيادة من تهذيب الكمال. انظر: ٣٧/٧.

الكسائيّ من بينهم، وكان يقرئ بقراءته واشتُهِر بها.

قال أبو القاسم البغويّ: مات في شوال سنة ستٍّ وأربعين ومائتين. وقال حاجب بن أركين وأبو حاتم بن حبّان: مات سنة ثمانٍ وأربعين(١).

[٢٧]*

أبو حاتم

سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم، وقال الزبيديّ بدل القاسم: ابن يزيد، الخُشنيّ(٢) السجستانيّ.

قال الكمال بن الأنباريّ في نزهة الألباء: كان عالما ثقة قيّما بعلم اللغة والشعر، أخذ عن أبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعيّ، وأخذ عنه ابن دُريد وغيره.

قال المبرِّد: سمعتُ أبا حاتمٍ يقول: قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين، وكان حسنَ العلم بالعروض وإخراج المعمَّى وقول الشعر الجيد، ولكن لم يكن بالحاذق في النحو، وكان إذا التقى هو والمازنيّ تشاغل أو بادر خوفا أن يسأله المازنيّ عن النحو.

(١) قال الذهبي: «وغلط من قال: سنة ثمان وأربعين» . انظر: معرفة القراء الكبار: ١/١٩٢.

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويّين: ١٣٠-١٣٢. الثقات: ٨/٢٩٣. أخبار النحويّين البصريين: ١٠٢-١٠٤. طبقات النحويّين واللغويين: ٩٤-٩٦. نور القبس: ٢٢٥-٢٢٨. الفهرست: ٩١-٩٢. تاريخ العلماء النحويين: ٧٣-٧٤. الأنساب: ٣/٢٢٦. نزهة الألباء: ١٤٥-١٤٨. معجم الأدباء: ٣/١٤٠٦-١٤٠٨. إنباه الرواة: ٢/٥٨-٦٤. وفيات الأعيان: ٢/٤٣٠-٤٣٣. تهذيب الكمال: ١٢/٢٠١-٢٠٩. إشارة التعيين: ١٣٧-١٣٨. سير أعلام النبلاء: ١٢/٢٦٨-٢٧٠. معرفة القراء الكبار: ١/٢٠٩-٢٢٠. الكاشف: ١/٤٧٠. تاريخ الإسلام: وفيات (٢٥١-٢٦٠): ١٦٢-١٦٤. العبر: ١/٣٥٨. مسالك الأبصار: ٧/٢٨-٢٩. عيون التواريخ: ٤١٨-٤٢٠. الوافي: ١٦/١٠-١١. البلغة: ٩٣-٩٤. البغية: ١/٦٠٦-٦٠٧.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو حاتم السجستاني الرّاوية.

(٢) في طبقات النحويّين واللغويين: الجُشميّ. انظر: ٩٤.

قال المبرِّد: حضرت السجستانيَّ وأنا حَدَثٌ، فرأيت في حلقته بعض ما ينبغي أن تُهجَرَ حلقته، فتركته مدة، ثم صرتُ إليه، وعمَّيتُ عليه بيتا لهارون الرشيد، وكان يجيد استخراج المعمَّى، فأجابني:

أيا حسن الوجه قد جئتنا بداهية عجب في رجبْ
فعمَّيتَ بيتا وأخفيته فلم يَخفَ بل لاح مثلَ الشُّهُبْ

وحُكي عن أبي حاتم قال: قرأت على الأصمعيِّ في جيميّة العجّاج:

جاباً ترى بَليته(١) مسحجا

فقال: هذا لا يكون. فقلت: أخبرني به مَن سمعه من فلق في روايته. عنى أبا زيدٍ الأنصاريَّ. فقال: هذا لا يكون. فقلت: جعله مصدرا. أي تسحيجا. فقال: هذا لا يكون. فقلت: فقد قال جرير:

ألم تعلم مُسرحي القوافي

أي تسريحي، فكأنّه أراد أن يدفعه ، فقلت له: قد قال الله تعالى: ﴿ومزّقناهم كلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سورة سبأ، الآية: ١٩].

وكان أبو حاتم كثير التصانيف في اللغة، وصنَّف في النحو والقراءة، وتوفي سنة خمسين، وقيل في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين. انتهى كلام الكمال.

وقال ابن النجّار في تاريخ بغداد: أبو حاتم السجستانيَّ من ساكني البصرة، كان إماما في علوم القرآن واللغة والشعر، قرأ كتاب سيبويه على الأخفش، وروى عن أبي زيد الأنصاريَّ، وأبي عبيدة، والأصمعيَّ، وعمرو بن كركرة النميريَّ، وأبي جابر محمد بن عبد الملك، وشيبان بن فروخ، وأبي عبد الرحمن المقرئ، وروح بن عبادة.

روى عنه يحيى بن محمد بن صاعد، وأبو بكر بن دُريد، وغيرهما.

قال أبو حاتم: قدمت بغداد، فلما خرجت من السفينة لقيني جماعة من أصحابي،

(١) في نزهة الألباء: تليله: انظر: ١٤٧.

فدخلنا مسجدا لأسألهم عن أخبارهم، وطال جلوسنا، فسألني بعضهم عن قول الله تعالى: ﴿قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ [سورة التحريم، الآية: ٦] ما تقول للواحد؟ قلت: قِ. قال: فالاثنين؟ قلت: قِيا. قال: فالجماعة؟ قلت: قُوا. قال: فاجمع لي أمرك للواحد وللاثنين وللجماعة في لفظ واحد. قلت: قِ قيا قُوا. قال، وفي ناحية المسجد رجل جالس معه قماش، فقال لأحدنا: احفظ ثيابي حتى أعود إليكم. فمضى إلى صاحب الشرطة على الجسر، فقال: إنّي قد ظفرت بقوم زنادقة قرأوا القرآن على صياح الديك، فما شعرنا حتى هجم علينا الأعوان والشرطة، فأخذونا وأحضرونا مجلس صاحب الشرطة، فسألنا، فتعرّفت أنا إليه، وأعلمته ما سئلت عنه، وكيف كان السبب، واجتمع خلق من خلق الله ينظرون ما يكون منه فينا، فعنّفني وعذلني، وقال: مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا؟ فعمد إلى أصحابي فضربهم عشرة عشرة، وفرّق الجماعة، وقال لنا: لا تعودوا لشيء من ذلك.

قال ابن النجّار: ولعلّ هذه الحادثة حملته على أن عاد سريعا إلى البصرة، ولم يعلم به أهل بغداد، فيأخذوا عنه.

وقال المبرّد: لو قدم أبو حاتم بغداد ما قام له أحد لتصرّفه في العلوم وكثرة سماعه وكتبه.

وقال المرزبانيّ: أخبرنا أبو بكر الجرجانيّ حدثنا محمد بن يزيد النحويّ قال: كان أبو حاتم يؤمّ الناس بالمسجد الجامع بالبصرة، ويقرأ الكتب على المنبر، وكان حسنَ الصوت جهيره حافظا للقرآن عالما بالقراءات والتفسير والغريب والشعر والمعاني، وكان أحسنَ الناس علما بالعروض واستخراج المعمّى، وكان يعدّ من الشعراء المتوسّطين، وكان جمّاعة للكتب حتى إنّه لم يكن بالبصرة مثل كتبه، وكان تاركا للنحو بعد عنايته به حتى كأنّه نسيه، وكان يُعنى باللغة، وله في النحو كتب طوال ومختصرات وكتب كثيرة في الغريب، ولم يكن حاذقا بالنحو، وكان يتّجر بالكتب ويجمعها وينسخها بخطّه للناس.

وقال المرزبانيّ: أخبرني الصوليّ حدثني عبد الواحد بن العباس الهاشميّ، قال: اجتمع المازني وأبو حاتم عند جعفر بن القاسم، فتناظرا، فعلاه المازني في النحو، وعلاه أبو حاتم في الشعر واللغة. وأخبرني محمد بن يحيى حدثني محمد بن الحسن الثقفيّ، قال: كان أهل البصرة يقولون: انتهى علم البصرة إلى أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعيّ. وانتهت علوم هؤلاء وغيرهم إلى أبي حاتم السجستانيّ، وكان الناس إذا شكّوا في رواية العلماء صاروا إليه، فلاذوا بعلمه وكتبه.

وقال المرزبانيّ: قال عبدالله بن جعفر أخبرني إبراهيم بن أحمد العضاريّ القاضي، قال: سمعت أبي يقول: لأهل البصرة أربعة كُتبٍ يفخرون بها على أهل الأرض: كتاب العين للخليل، وكتاب النحو لسيبويه، وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب أبي حاتم في القراءات.

وكان الأصمعيّ يُجِلُّ أبا حاتم ويقوم له إذا حضره ويعانقه ويصدّره، فلاموه على ذلك، فقال: إنّما أجلّه لعلمه بالقرآن.

وقال الأصمعيّ: ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن من أبي حاتم.

وقال أبو سعيد السُّكّريّ: قرئ كتاب أبي حاتم في المذكّر والمؤنّث على المازنيّ، فقال: ما ظننت أنّ هذا العجميّ يُحسِن أن يصنِّفَ مثل هذا الكتاب، وتعجَّب منه.

وذكر محمد المهلبيّ أنّ والدَ أبي حاتم وعمّه خلّفا له مائة ألف دينار عينا، ثم الضِّياع والمنازل، فأنفقها في طلب العلم والعلماء.

وقال المرزبانيّ: أخبرني محمد بن يحيى قال كنّا عند أبي الحسن العودي، فذُكِر أبو حاتم، فطُعِنَ عليه بالمُرْد، فضرَب وجهه وقال: كان أبو حاتم يتصدّق كلّ يومٍ بدينار حتى مات، ويختم القرآنَ كلَّ جمعة، ولما مات أبو حاتم تلفت من كتبه أربعة عشر ألف دينار، وما مات حتى قارب التسعين. قال المبرِّد: كان صادق الرواية، وعليه اعتمد ابن دُريد في اللغة.

ومن شعره أسنده ابن النجّار:

وإذا رجــاك أخٌ فــصـــدّق ظنَّه ... واستـحي نفسك أن يخيب رجاؤهُ
إنَّ الكريمَ أخــو الكرام وجـدتهم ... وترى اللئـيمَ لئـيـمـةً قـرناؤهُ
وعليك بالدمث القليل خــلافـه ... حـــسن المودة يُســتـحبُّ إباؤهُ
إنَّ الثـقـيل فــراقُــه لك راحـة ... ومن العناء حـديثـه ولقــاؤهُ

وقال أحمد بن سيّار: كان يجوز بأبي حاتم السجستانيّ غلام من بختكان، وكان وضيءَ الوجه حسنَ القدّ، وكان أبو حاتم يسارقه النظر ذاهبا، فعمد الغلام إلى رقعة فكتب فيها:

أنا يا عمّ من صنيــعــة ربّي ... ليس لي في القبيل في الحسن ثاني
وأرى طرفك المعــذّب نحــوي ... كلمــا جُـزت شــهــرة أن يراني
فابدِ لي بالضمير إن كنتَ صبًا ... كي تنال المنى من البــخــتكاني

ودفع الرقعة إلى أبي حاتم فقرأها، وأمر من كتب على ظهرها:

ليس يخــفى عليك يا قــرة العـ ... ـين مــا بي وإن خـفـاه لسـاني
أنا عفّ الضـمـيـر عن كلّ سـوء ... غـيـر أنّي مـتـيّم بالحِـسـانِ
لا تظنّنْ بي فـسـوقـا فـمـا يحـ ... ـسُن فــسق بحــامل القــرآنِ

وقال الصوليّ: حدثني محمد بن سعيد وأبو علي الغياثيّ قالا: كنّا عند أبي حاتم السجستانيّ، فقال له رجل: أنشدْنا شعرك الذي سمعنا به:

لـو أرادوا عـــفـــافـنـا ... نقّـبــوا وجــهك الحــسن

فقال له: هذا يحسن مع أدنى العقود، فأمّا مع أعلاها فلا. فلم نفهم ما قال له، فسألناه، فقال: هذا يحسن مع العشرين والثلاثين ولا يحسن مع السبعين والثمانين.

ومن شعره:

جـزاك عـفـوي على الذنوب فـقـد ... أمنتَ عند الذنوب إعـــراضـي
أنشـد يومــا أكــونه غــضــبـا ... عليك فــالقلب ضــاحكٌ راضـي

أنتَ أمــــيـــرٌ عليَّ مـــحــــتكم حكْمك في سفك مهجتي ماضي
والمرء لا يرتجى النجـــــاح له يوما إذا كان خصمه القاضي

هذا ما أورده ابن النجَّار في ترجمته.

قال أبو الطيِّب: كان أبو حاتم في نهاية الثقة والإتقان والنهوض باللغة والقرآن مع علم واسع بالإعراب أيضا، وكتبه في نهاية الاستقصاء والحسن والبيان، وزعموا أنَّه كان يظهر العصبية مع أصحاب الحديث، ويُضمِر القول بالعدل، فأخبرنا جعفر بن محمد قال: أخبرنا الحنفيّ، قال: كنَّا عند أبي حاتم، فجاءه رجل من أصحاب الحديث، فقال له يا أبا حاتم: إني سائلك عن ثلاث، وجاعلٌ جوابك على طبق أدور به على أصحاب الحديث. فقال: هاتِ. قال: ما معنى قول الله تعالى:﴿إلا إبليسَ أبى﴾ [سورة البقرة، الآية: ٤] وما الإباء في كلام العرب؟ قال: القدرة على الشيء والترك له من غير عجز. قال: وما معنى قوله تعالى:﴿وجوه يومَئذ ناضرة إلى ربِّها ناظرة﴾ [سورة القيامة، الآية: ٢٢] هل يكون الناظر في كلام العرب بغير معنى الرائي؟ قال: نعم، يكون بمعنى الانتظار، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فنَظِرة إلى ميسرة﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٨] قال: فأخبرْني: هذا الاسم القدريَّة يلزمنا أم يلزمهم؟ قال فأدنى رأسه منه وقال: بل يلزمنا، ولكنَّا نكابر كما أنَّ من يبيع السمك يقال له سمَّاك.

وأخبرنا حعفر بن محمد قال: أخبرنا إبراهيم بن حميد، قال: دخل رجلٌ على أبي حاتم وعلى كتفه صبيٌ، فقال له: يا أبا حاتم، ما تسمِّي العرب الرجل إذا كان في فرد رجله خفٌ وفي الأخرى نعل؟ قال: لا أدري. قال: صدقت؛ لأنَّ فوق كلِّ ذي علم عليم. فقال له:مُخْفَنْعِل يا غلام. فضحك أبو حاتم حتى شرِق بريقه.

وكان في أبي حاتم دعابة، فأخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا علي بن سهل، قال: حضر معنا مجلس أبي حاتم غلام من بني هاشم من آل جعفر بن سليمان أحسن الناس وجها، فقال أبو حاتم:

نصبوا اللحم للبزا ... ة على ذروتي عدنْ
ثم لاموا البزاة إذ ... بلغت فيهم الرسنْ
لو أرادوا عفافه ... نقَّبوا وجهه الحسنْ

ورثاه الرياشيّ، فأنشدنا حمدان بن الحسن الرافعيّ، أنشدنا سليمان بن الفضل، قال: أنشدنا الرياشيّ لنفسه يرثي أبا حاتم:

بانت بشاشة أهل العلم والأدب ... مذ بان سهل فأمسى غير مقتربِ
يا سهلُ كنتَ كما سُمِّيت ذا خلق ... سهلا بعيدا من الفحشاء والريبِ
أمست ديارُك بعد العلم موحشة ... إن تسألِ العلم لم ينطق ولم تُجبِ
من للغريب وللقرآن نسأله ... إذا تعوطي معناه ولم يغبِ

وقفت على مجلّد فيه معاني مشكل القرآن، مما سئل عنه المبرِّد، جمع بعض تلامذته، فيه: سمعت المبرِّد يحدِّث عن إسماعيل أنّ ابن السجستاني -يعني أبا حاتم- دخل على جعفر بن سليمان، فسأله جعفر عن شيء، فأسرع جوابه، فقال جعفر: عهدي بالأخفش في موضعك هذا، وقد سألته عن هذه المسألة، فأطال الفكر، ثم أجابني بهذا الجواب، وأنت أسرعتَ الجواب. فقال أبو حاتم: إنَّ الأخفشَ قد استحقَّ الرئاسة، فإن أخطأ حُمِلَ عنه، فيجب عليه التثبّت، ونحن إن أخطأنا لم يُحمَلْ علينا، فمعنا عجلة الجهل. فاستحسن جعفر ذلك حدَّ الإزراء به على نفسه، وتصويب الأخفش في الأناة والتمهّل.

وقال الحافظ جمال الدين المزّيّ في تهذيب الكمال في ترجمة أبي حاتم: روى عن أبي زيد سعيد بن أوس النحويّ، وعباد بن صهيب، وعبدالله بن رجاء الغدّانيّ، وأبي عبد الرحمن عبدالله بن يزيد المقرئ، وأبي عامر عبد الملك بن عمرو العقديّ، وعبد الملك بن قريب الأصمعيّ، وعبيد بن عقيل الهلاليّ المقرئ، وأبي رجاء[1] محمد بن عبد الملك

(١) في تهذيب الكمال: جابر. انظر: ٢٠٢/١٢.

المكيِّ، ومحمد بن عبيدالله العُتبي الأخباريّ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، والهذيل بن إبراهيم الجماني، ووهب بن جرير بن حازم، (ويحيى بن زكريا بن أبي الحواجب الكوفيّ، ويزيد بن هارون، ويعقوب بن إسحاق الحضرميّ المقرئ)[1].

روى عنه أبو داود، والنسائيّ، وإبراهيم بن حميد الكِلابزيّ النحويّ، وإبراهيم بن أبي طالب النيسابوريّ، وإبراهيم بن مهدي بن عبد الرحمن الأيليّ[2]، وأحمد بن علي بن الجارود الجارودي الأصبهانيّ، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، وأبو روق أحمد بن محمد بن بكر الهزانيّ، وأحمد بن محمد بن الجهم السمَّريّ، وبكر بن أحمد بن الفرج الزهريّ، وحرب بن إسماعيل الكرمانيّ الحنظليّ، والحسن بن عُليل العَنَزيّ، والحسين بن تميم الأصبهانيّ نزيل الريّ، وأبو عروبة الحسين بن محمد بن مودود الحرانيّ، وأبو بكر عبدالله بن أبي داود، وعبد الرحمن بن خلاد والد القاضي أبي محمد الحسن الرامهرمُزيّ، وأبو بشر محمد بن أحمد بن حمّاد الدولابيّ، وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد، ومحمد بن الحسين بن مكرُم، ومحمد بن هارون الرويانيّ، ومحمد بن يحيى بن عيسى بن سُليمان السلميّ البصريّ، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد، ويحيى بن محمد بن صاعد، وأبو بكر يموت بن المزرّع العبديّ الأخباريّ ابن أخت الجاحظ.

قال أبو داود: كان أعلمَ الناس بالأصمعيّ أبو حاتم، وذكره ابن حِبّان في الثقات، فقال: وهو الذي صنَّف القراءات، وكان فيه دعابة غير أني اعتبرت حديثه، فرأيته مستقيم الحديث، وإن كان فيه ما لا يتعرّى عنه أهل الأدب. انتهى.

وقال أبو القاسم الزجّاجيّ في أماليه[3]: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قُتيبة عن أبي حاتم قال: كنت عند الأخفش سعيد بن مسعدة، وعنده التوزيّ،

---

(١) ما بين قوسين لم يرد في تهذيب الكمال. انظر: ١٢/٢٠٢.

(٢) في تهذيب الكمال: الأبليّ. انظر: ١٢/٢٠٢.

(٣) أمالي الزجاجي: ١١٧-١١٨.

فقال التوزيّ: ما صنعت في كتاب المذكّر والمؤنّث يا أبا حاتم؟ قلت: قد جمعت منه شيئا. قال: فما تقول في الفردوس؟ فقلت: هو مذكّر. قال: فإنَّ الله تعالى قال: ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١١] قلت: ذهب إلى معنى الجنّة، فأنّثه، كما قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٠] فأنّث، والمِثْل مذكّر، لأنّه ذهب إلى معنى الحسنات، كما قال عمر بن أبي ربيعة:

فكان مِـجنّي دون من كنت أتقي ... ثلاثُ شخوصٍ كاعبانِ ومُعْصِرُ

فأنّث، والشخص مذكّر؛ لأنّه ذهب إلى النساء، وأبان ذلك بقوله: "كاعبانِ ومعصرُ"، وقال الآخر:

وإنَّ كِلابا هذه عشر أبطُنٍ ... وأنتَ بريء من قبائلها العشرِ

فأنّث، والبطن مذكّر؛ لأنّه ذهب إلى القبيلة. فقال لي: يا غافلُ، الناسُ يقولون: نسألك الفردوسَ الأعلى. قلت: يا نائم هذه حجتي؛ لأنَّ الأعلى من من صفات الذكران لأنّه أفعل، ولو كان مؤنّثا لقال العُليا، كما قال: الأكبر والكبرى، والأصغر والصغرى. فسكتَ خجلاً.

في كتاب الدّرّة الأدبيّة في نُصرة العربيّة، قال أبو عبيدة: سمعت الأصمعيّ يقول: سمعت الخليل بن أحمد يقول: سمعت السجستانيّ يقول: عامة من تزنّدق بالعراق لجهلهم بالعربية.

في كتاب نزهة المذاكرة، قال أبو حاتم: قرأت على يعقوب الحضرميّ يوما، فبلغت إلى قوله تعالى: ﴿ويمسك السماءَ أن تقعَ على الأرض إلا بإذنه﴾ [سورة الحج، الآية: ٦٥] فقال: أسمعني صفيرَ السين وطنينَ النون وقعقعة العين.

في التذكرة الحمدونية[1]: قال ابن دُريد، قال أبو حاتم: فاتني نصف العلم. فقيل

---

(١) التذكرة الحمدونية: ٣/١٨٩.

له: وكيف ذلك؟ قال: تصدَّرت ولم أكن للتصدُّر أهلا، فاستحييت أن أسأل من دوني، واختلف إليَّ من فوقي، فذلك الجهل في نفسي إلى اليوم.

وقال اليوسفيُّ الكاتب: كنت يوما عند أبي حاتم السجستانيِّ إذ أتاه شاب من أهل نيسابور، فقال له: يا أبا حاتم، إني قدمت بلدكم وهو بلد العلم والعلماء، وأنتَ شيخ هذه المدينة، وقد أحببت أن أقرأ عليك كتاب سيبويه. فقال له: الدِّين النصيحة، إن أردت أن تنتفع بما تقرأه فاقرأ على هذا الغلام محمد بن يزيد، فتعجَّب من ذلك. وأورد هذه الحكاية الزبيديُّ في طبقاته في ترجمة المبرِّد[1].

وقال الزبيديّ: قال ابن الغازي: كتب يعقوب الصفَّار والي سجستان يسأل أبا حاتم نحواً مختصرا، فأراد أن يبعث إليه كتب الأخفش، فقيل له: لو أراد كتب الأخفش علِمَ مكانها، وإنَّما أراد من قِبلك، فبعث إليه كتابه المختصر في النحو المنسوب إليه، وهو على مذهب الأخفش وسيبويه.

قال ابن الغازي: وسمعت أبا حاتم يقول: قال أبو زيد الأنصاري: يقال: تغدَّيت وتعشَّيت، ولم أسمع غدوت ولا عشوت. وقال أبو عبيدة: قد سمعت غدوت وعشوت. وقال مروان بن عبد الملك: سمعت الرياشيَّ يقول ونحن على قبر أبي حاتم لمَّا دفنَّاه، وهو يترحَّم عليه، ويقول: ذُهِبَ معه بعلم كثير. فقال له بعضُ أصحابه: كتبه. فقال العباس: الكتب تؤدي ما فيها، ولكن صدره.

قال ابن الغازي: وأخبرنا رجل من أهل البصرة، قال: قلت لأبي زيد: على من نقرأ بعدك؟ قال: على سهل. يعني أبا حاتم.

قال القالي في أماليه[2]: حدثنا أبو بكر بن دُريد، قال: كان أبو حاتم يَضنّ بهذا الحديث، ويقول: ما حدثني به أبو عبيدة حتى اختلفت إليه مدة، وتحملت إليه بأصدقائه من الثقفيين، وكان لهم مؤاخياً، قال أبو حاتم: حدثني أبو عبيدة قال حدثني غير واحد

(١) التذكرة الحمدونية: ٣/١٨٩. وطبقات النحويِّين واللغويين: ١٠١.
(٢) الأمالي: ٢/٣٠٧-٣٠٩.

من هوازن من أولي العلم، وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية أو جدّه، قال: اجتمع عامر بن الظَّرب العدوانيّ وحُممة بن رافع الدَّوسيّ عند ملك من ملوك حِمْيَر، فقال: تساءلا أسمعْ ما تقولان. فقال عامر لحممة: أينَ تحبّ أن تكون أياديك؟ قال: عند ذي الرثية العديم، وذي الخَلّة الكريم، والمُعسِر الغريم، والمستضعف الهضيم. قال: فمن أحقّ الناس بالمقتِ؟ قال: الفقير المختال، والضعيف الصوّال، والعَيي القوّال. قال: فمن أحقّ الناس بالمنع؟ قال: الحريص الكاند، والمستميد الحاسد والملحف الواجد. قال: فمن أجدر الناس بالصنيعة؟ قال: من إذا أُعطيَ شكر، وإذا مُنِع عذَر، وإذا مُوطِل صبر، وإذا قَدُم العهد ذكر. قال: من أكرم الناس عشرة: قال: من إن قَرُب منح، وإن بعُدَ مدَح، وإن ظُلِم صَفَح، وإن ضُويِقَ سمح. قال: من ألأم الناس؟ قال: من إذا سأل خشع[1]، وإذا سئل منع، وإذا ملك كنع، ظاهرُه جشع، وباطنُه طمع. قال: فمن أحلم الناس؟ قال: من عفا إذا قدر، وأجمل إذا انتصر، ولم تُطغه عزّة الظفر. قال: فمن أحزم الناس؟ قال: من أخذ رِقاب الأمور بيديه، وجعل العواقب نُصبَ عينيه، ونبذَ التهيُّبَ دَبرَ أذنيه. قال: فمن أخرق الناس؟ قال: من ركب الخِطار، واعتسف العِثار، وأسرع في البِدار، قَبلَ الاقتدار. قال: فمن أجود الناس؟ قال: من بذل المجهود، ولم يأسَ على المفقود. قال: فمن أبلغ الناس؟ قال: من حلّى المعنى المَزيز باللفظ الوجيز، وطبّق المفصِل قبل التحزيز. قال: فمن أنعم الناس عيشا؟ قال: من تحلّى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف. قال: فمن أشقى الناس؟ قال: من حسد على النعَم، وتسخّط على القِسَم، واستشعر الندم على فوت ما لم يُختَم. قال: فمن أغنى الناس؟ قال: من استشعر الياس وأبدى التجمّل للناس، واستكثرَ قليل النِّعَم، ولم يسخط على القِسَم. قال: فمن أحكم الناس؟ قال: من صمتَ فادّكر، ونظر فاعتبر، ووُعِظَ فازدجر. قال: فمن أجهل الناس؟ قال: من رأى الخُرق مغنما، والتجاوز مغرما.

قال القالي: الرَّثْية: وجع المفاصل واليدين والرجلين. قال أبو عبيدة أنشدت يونس

(١) الأمالي: خضع. انظر: ٢/٢٠٧.

النحويّ:

وللكبير رَثَيات أربعُ   الرُّكبتانِ والنسا والأخدعُ

فقال: إي والله، وعشرون رَثية. والخَلّة: الحاجة[1]. والكاند: الذي يكفر النعمة، والكنود: الكفور. والمستميد: المستعطي. والجشَع: أسوأ الحرص والطبع الدنس. ويقال: جعلت الشيء دبر أذني: إذا لم ألتفت إليه. والاعتساف: ركوب الطريق على غير هداية، وركوب الأمر على غير معرفة، والمزيز: الكثير[2].

وقال وكيع في الغُرَر: حدثني أحمد بن محمد بن علي أنشدني أبو حاتم السجستانيّ لنفسه:

أوَليس منك بدا الجفا   ءُ وكان بدء الإجتناب

فإذا أتيت فمرحبا   ومصاحبا عند الذهابِ

وإذا هممت بأن تسـ   ـيرَ فسر لمنقطع التراب

وكان المبرِّد يحضر حلقته ويلازم القراءة عليه، وهو غلام وسيم في غاية الحسن، فقال فيه أبو حاتم:

ماذا لقيت اليوم من   متمجِّنٍ خَنث الكلام

وقف الجمال بوجهه   فسمت له حِدَق الأنام

وكأنَّما وجناته   غَرَض تكلّل بالسهام

كالبدر إلا أنَّه   يختالُ في زيّ الغلام

حركاته وسكونه   يجني بها ثمر الأثام

وإذا خلوت بمثله   وعزمت فيه على اعتزام

لم أعدُ أفعال العفاف   وذاك أوكد للغرام

(١) في الأمالي: الصداقة. انظر: ٣٠٨/٢.
(٢) في المصدر نفسه الرواية أكثر تفصيلا. انظر: ٣٠٧/٢-٣٠٩.

نفــــسي فـــداؤك يا أبا العـــبـ ـــاس جل بك اعـــتـــصـــامي
من شـدة الشـوق الـــمـبـرَّ ح والـتـــيـــقـظ والمنام
الـلـه يـعـلـم مـــــا تجـنَّ أضـــالـعي تحت الـظـلام
شـــوقـــا إليك وحـــرقـــة والـعـين تقـــذف بـالـغـــرام
فـــارحـم أخـــاك فـــإنَّه نزر الـــكرى بادي السـقـــام
وأنِلْه مـــا دون الحــــرام فلـيس مـن يرغَبُ فـي الحــــرام

ذكره ابن النجار في تاريخه.

وقال فيه أيضا:

أبرزوا وجـــهك الجـــمـــيـ ـلَ ولامـــوا من افـــتـتنْ
لـو أرادوا صــيـــانـتـي ســـتـــروا وجـــهك الحـسنْ

ومن تصانيف أبي حاتم: إعراب القرآن. ما تلحن فيه العامة. المقصور والممدود. المقاطع والمبادئ. القراءات. الفصاحة. الوحوش. اختلاف المصاحف. كتاب الطير. كتاب الوحوش. كتاب النَّخلة. كتاب القِسيِّ والنبال والسهام. كتاب السيوف والرماح. كتاب الدروع والفرس. كتاب الحشرات. كتاب الزرع. كتاب اللبأ واللبن والحليب. كتاب الخيل والعسل. كتاب الإبل. كتاب الهجاء. كتاب خلق الإنسان. كتاب الإدغام. كتاب الكرم. كتاب الشتاء والصيف. كتاب العشب. كتاب الخصب والقحط. كتاب الزينة.

وروى المزِّي في تهذيب الكمال عن أبي حاتم، قال: وليَ رجل من أهل الكوفة من بني هاشم أعمال البصرة، فدخلت عليه مُسَلِّماً، فقال: من علماؤكم بالبصرة؟ قلت: المازنيّ من أعلمهم بالنحو، والرياشيّ من أعلمهم بعلم الأصمعيّ. والزياديّ من أعلمهم بعلم أبي زيد، وهلال الرأي من أعلمهم بالرأي، وابن الشاذكونيّ من أرواهم للحديث، وابن الكلبيّ من أكتبهم للشروط، وأنا -أصلحك الله- أُنسَبُ إلى العلم بالقرآن. فقال

لكاتبه: اجمعهم عندي، فجمعنا عنده، فقال: أيُّكم أبو عثمان المازنيّ؟ قال: هـأنذا. قال: ما تقول في كفَّارة الظهار؟ أيجوز فيه عتق غلام أعور؟ قال: وما علمي بهذا؟ علمُه عند هذا. فالتفت إلى هلال، فقال: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا عليكم أنفسَكم﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٠٥] علامَ انتصب؟ فقال: وما علمي بهذا؟ علمُه عند المازنيّ[١]. فالتفت إلى الرياشيّ، فقال: كم حديثا روى ابن عونٍ عن الحسن؟ قال: وما علمي بهذا؟ علمُه عند ابن الشاذكونيّ. فالتفت إلى ابن الشاذكونيّ، فقال: ما العُنْجُد في كلام العرب؟ قال: وما علمي بهذا؟ علمُه عند الزياديّ[٢]. فالتفت إلى الزياديّ، فقال: كيف تكتب وثيقة بين رجل وامرأة أرادت الخُلع بترك صداقها؟ قال: وما علمي بهذا؟ علمه عند ابن الكلبيّ. فالتفت إلى ابن الكلبيّ، فقال:ألا إنَّهم تثنوني صدورهم من قرابة. قال: وما علمي بهذا؟ علمُه عند ابن[٣] السجستانيّ. فالتفتَ إليَّ فقال: كيف تكتب كتاباً إلى أميْر المؤمنين تذكر فيه خصاصة أهل البصرة، وما نالهم من الضياع في نخلهم؟ قلت: أصلحك الله، لست صاحب بلاغة، ولا أحسن إنشاء الكتب إلى السلطان. فقال: ما مثلكم إلا مثل الحمار يسعى الرجل في الفنّ الواحد خمسين سنة، ثمّ يزعم أنَّه عالِم. لكنَّ عالِمَنا بالكوفة لو سئل عن هذا كلّه لأجاب. قيل: إنَّه أراد الكسائيّ.

---

(١) في تهذيب الكمال: الرياشي. انظر: ٢٠٧/١٢.

(٢) المصدر نفسه: ابن الزيادي. انظر: ٢٠٧/١٢.

(٣) المصدر نفسه: السجستاني من غير ابن: انظر: ٢٠٧/١٢.

[٢٨]*

الحريريّ

أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصريّ الحراميّ الأديب صاحب المقامات أحد الأئمة في الأدب والنظم والنثر، ولد سنة ستّ وأربعين وأربعمائة بالبصرة.

قال ابن النجّار: وسمع من أبي تمّام محمد بن الحسن بن موسى المقرئ، وأبي القاسم الفضل القصبانيّ، وأبي القاسم الحسين بن أحمد الباقلانيّ. وقرأ على أبي الحسن علي بن فضّال المجاشعيّ، وتفقّه على أبي نصر بن الصباغ، والشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ، وقرأ الفرائض والحساب على أبي حكيم الخبريّ، وأبي الفضل الهمذانيّ.

وقدم بغداد بعد الخمسمائة، وحدث بها بجزء من حديثه عن شيوخه، وبالمقامات.

روى عنه ولده أبو القاسم، وأبو العباس المندائي الواسطيّ، وأبو الكرم الكرابيسيّ، والوزير علي بن طراد، والحسن بن جعفر، وأبو علي بن المتوكّل، وقوام الدين علي بن صدقة الوزير، والحافظ أبو الفضل بن ناصر، وعلي بن المظفّر الظهيريّ، ومنُوجهر بن بُركان شاه، وأحمد بن علي الناعم، وأبو بكر بن النقور، ومحمد بن أسعد العراقيّ، وأبو المعمَّر المبارك بن أحمد الأزجيّ. وآخر من روى عنه بالإجازة أبو طاهر

---

[*] انظر ترجمته في: الأنساب: ١٩٤/٢-١٩٥. نزهة الألباء: ٢٧٨-٢٨١، وفيه أنه توفي سنة ٥١٦. المنتظم: ٢١٤/١٧. الخريدة: جزء ٤، مجلد ٢: ٥٩٩-٦٧٣. معجم الأدباء: ٢٢٠٢/٥. إنباه الرواة: ٢٣/٣-٢٧. وفيات الأعيان: ٦٣/٤-٦٧. إشارة التعيين: ٢٦٣-٢٦٥. العبر: ٤٠٧/٢. سير أعلام النبلاء: ٤٦٠/١٩-٤٦٥. وفيه أنه توفي سنة ٥١٦. عيون التواريخ: ١٣٣/٢-١٣٩. الوافي: ٩٧/٤-١٠٠. مرآة الجنان: وفيات سنة ٥١٦. ٢١٦/٣. طبقات الشافعية الكبرى: ٢٩٥/٤. البلغة: ١٨٧-١٨٨. البغية: ٢٥٧/٢-٢٥٩.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو محمد الحريري صاحب المقامات.

بركات الخشوعيّ.

وصنّف المقامات المشهورة، ورُزِق فيها الحظوة التامة، تقدّم فيها من قبله، ولم يلحقه أحد من بعده، وكان صنّفها للوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد القاشانيّ وزير المسترشد، قال ياقوت: حدثني من أثق به أنّ الحريريّ لما صنع المقامة الحرامية، وتعانى الكتابة، فأتقنها وخالط الناس والكتّاب أصْعِدَ إلى بغداد، فدخل يوما إلى ديوان السلطان، وهو منغصّ بذوي الفضل والبلاغة، محتفل بأهل الكتابة والبراعة، وقد بلغهم ورود ابن الحريريّ إلا أنّهم لم يعرفوا فضله، ولا اشتهر بينهم بلاغته ونبله، فقال له بعض الكتّاب: أيّ شيء تعاطى من صناعة الكتابة حتى نباحثك فيه، فأخذ بيده قلما، وقال: كلّ ما يتعلّق بهذا. وأشار إلى القلم. فقيل له: هذه دعوى عظيمة. فقال: امتحنوا تُخبَروا. فسأله كلّ واحد عما يعتقد في نفسه إتقانه من أنواع الكتابة، فأجاب عن الجميع أحسن جواب، وخاطبهم بأتمّ خطاب حتى بهرهم، فانتهى خبره إلى الوزير أنوشروان بن خالد، فأدخله عليه، ومال إليه بكلّيّته وأكرمه ونادمه، فتحادثا يوما في مجلسه حتى انتهى الحديث إلى ذكر أبي زيد السروجيّ، فأورد ابن الحريريّ المقامة الحرامية التي صنّفها، فاستحسنها أنوشروان جداً، وقال: ينبغي أن يُضاف إلى هذه أمثالها، ويُنسَج على منوالها عدة من أشكالها. فقال: أفعل ذلك مع رجوعي إلى البصرة. فصنع أربعين مقامة، ثم أصعد إلى بغداد وهي معه، وعرضها على أنوشروان، فاستحسنها، وتداولها الناس، واتهمه من يحسده، فقال: ليست هذه من عمله؛ لأنّها لا تناسب رسائله ولا تُشاكل ألفاظه. وقالوا: هذه من صناعة رجل كان استضاف به، ومات عنده، فادّعاها لنفسه. وقال آخرون: بل العرب أخذت بعض القوافل، وكان مما أخذ جزاز بعض المغاربة، وباعه العرب بالبصرة، فاشتراه ابن الحريريّ، وادّعاه، فإن كان صادقا أنّها من عمله فليصنع مقامة أخرى. فقال: نعم، سأصنع، وجلس في منزله ببغداد أربعين يوما، فلم يتهيّأ له ترتيب كلمتين، ولا الجمع بين لفظتين، وسوّد كثيرا من الكاغد، فلم يصنع شيئا، فعاد إلى البصرة والناس يقعون

فيه ويعيطون في قفاه فما غاب عنهم إلا مُديدة حتى عمل عشر مقامات، وأضافها إلى تلك، وأصعد بها إلى بغداد، فحينئذٍ بان فضله، وعلموا أنَّها من عمله، وقال فيه بعضهم:

شيخٌ لنا من ربيعة الفرس ينتف عثنونه من الهَوَسِ
أنطقه الله بالمشان وقد ألجمه في العراق بالخرسِ

وكان الحريريّ مولعا بنتف ذقنه.

ومن تصانيفه: درّة الغواص في أوهام الخواص. وملحة الإعراب، وشرحها. وله ديوان رسائل، وديوان شعر، وليس شعره ولا رسائله من نمط المقامات حتى كأنَّ قائلها غير قائل تلك الرسائل وتلك الأشعار، وقيل: إنَّ مسوّداتها كانت حمل جمل، وكان الحريريّ غنيًا له ثمانية عشر ألف نخلة، وقيل: إنَّه كان قذرا في نفسه وشكله ولبسه قصيراً دميما بخيلا، توفي في يوم الاثنين سادس رجب سنة ستّ عشرة وخمسمائة، وخلّف ولدين: نجم الدين عبدالله، وقاضي البصرة ضياء الإسلام عبيدالله.

قال العماد في الخريدة[1]: لم يزل ابن الحريريّ صاحب الخبر بالبصرة في ديوان الخلافة، ووجدت هذا المنصب لأولاده إلى آخر العهد المقتفويّ.

وكان الحريريّ يوما جالسا ببعض مجالس الأكابر، فجرى ذكر قول البستيّ في رجل بخيل شرير: «إن لم يكن لنا طمع في درك درِّك فاعفنا من شرك شرِّك». فلم يبق أحد إلا استحسنها، وأقرَّ بالعجز عن الإتيان بمثلها، فقال ابن الحريريّ في الحال: إن لم تُدنِنا من مبارك مبارِّك فاعفنا من معارك معارِّك.

وقد واخذه ابن الخشّاب في المقامات، وأجابه ابن بريّ عنها، وأجابه أيضا المسعوديّ عن ذلك، وممن حطَّ عليه وتنقّصه ابنُ الأثير الجزريّ في كتابه المَثَل السائر، قال الصلاح الصفديّ: وقد أجبتُ عمّا قال في كتابي نُصرة الثائر على المَثَل السائر،

(١) انظر: الخريدة، مج ٢، ج٤، ٦٠١.

وذكرت هناك فصلا في فضل المقامات[1].

وقال ياقوت: قرأت في كتاب لبعض أدباء البصرة، قال الشيخ أبو محمد حرس الله نعمته معاياة:

ميم موسى من نون نصر ففسِّر　　　أيُّهــذا الأديب مــاذا عنيتُ

تفسيره: مِيمَ الرجل إذا أصابه الموم، وهو البرسام، ويقال: إنَّه أشدّ الجدريّ. ونون نصر: حوت، والنون السمكة: يعني أنَّه أكل سمكة نصر فأصابه الموم.

وقال ياقوت: وله في مثله:

باء بكر بلام ليلى فما ينـ　　　ـفكُّ منهـا إلا بعين وهاء

باءَ أيْ أقرَّ، واللام الدرع، فلما أقرَّ لليلى به ألزمته فلا ينفك منها إلا بعين أي بالدرع عينه، وها أيْ خذي.

وقال ابن النجَّار: قرأت على أبي محمد عبد الرحمن بن عبدالله الأسديّ عن أبي سعيد محمد بن عبد الرحمن المسعوديّ، قال: سمعت أبا بكر عبدالله بن محمد بن أحمد النقور البزار يقول: سمعت الرئيس أبا القاسم بن علي الحريريّ البصريّ صاحب المقامات يقول: أبو زيد السروجيّ كان شحاذاً بليغا ومُكديا فصيحا ورَدَ علينا البصرة، فوقف يوما في مسجد بني حرام يتكلّم ويسأل الناس شيئا، وكان بعض الولاة حاضرا، والمسجد غاصٌّ بالفضلاء، فأعجبتهم فصاحته، وحسن صياغته، وذَكَرَ اسم الروم ابنته، فاجتمع عندي عشيّة ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة، فحكيت لهم ما شاهدت منه، فحكى كلُّ واحد منهم أنَّه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت، وأنَّه سمع منه في معنى آخر فصلا أحسن مما سمعت، وكان يغَيِّر في كلِّ مسجد زيّه وشكله، فابتدأت في إنشاء المقامة الحراميّة تلك الليلة حاذيا حذوه، فلما فرغت منها رآها جماعة من الأعيان، فاستحسنوها غاية الاستحسان، وأنهوا ذلك إلى

(١) انظر: نصرة الثائر على المثل السائر: ٥٦-٦٣، ٣٢٦-٣٢٧.

الوزير، واقترحوا عليّ أخواتها.

قال أبو عبدالله محمد بن جابر الأندلسيّ: كتب الزمخشريّ على مقامات الحريريّ وهو بمكّة، والمقامات تُقرأ على مُصنِّفها، ويُتزاحَم عليه من أجلها، والزمخشريّ لا يكثر الواردون عليه لأخذ تفسيره الكشّاف عنه مع عظمه في بابه، فقدم الزمخشريّ على حلقة الحريريّ، فدعاه التبهُّر من أمره إلى أخذ نسخة منها، فأعجبته:

أقسم بالله وآياته ... ومشعر الحجّ وميقاته
أنّ الحريريّ حريٌّ بأنْ ... تُكتَبَ بالتبر مقاماته

وقال ابن السمعانيّ: كان الحريريّ أحد الأئمة في الأدب واللغة، ومن لم يكن له في فنّه نظير في عصره، فاق أهل زمانه بالذكاء والفصاحة ونفيق العبارة وتحميسها لو قلت: إنّ مفتتح الإحسان في شعره كما أنّ مختتم الإبداع في نثره، وإنّ مسير الحسن تحت لواء كلامه، كما أنّ مخيم السحر عند أقلامه، لما زلفتُ من شاهق الإنصاف إلى حضيض الاعتساف. ثم ذكر سبب إنشائه المقامات كما تقدّم.

قال: وأما تسمية الراوي عن أبي زيد بالحارث بن همام، فإنّما عنى به نفسه، لقوله (ﷺ): «كلُّكم حارث، وكلُّكم همّام»، فالحارث: الكاسب، والهَمّام: الكثير الاهتمام، وكلّ أحد كاسب ومهتمّ بأموره. قال: واسم أبي زيد السروجيّ فيما ذكر بعضُهم المطهّر بن سلاّم من أهل البصرة. قال: ثمّ انتشرت هذه المقامات في زمانه وكثرت النسَخ بها، وزاد قبول الخلق عليها بحيث قال القاضي جابر بن هبة الله: قرأت المقامات على الحريريّ في سنة أربع عشرة، وكنت أظنّ أنّ قوله:

يا أهل ذا المعنى وُقيتمْ شرًا ... ولا لقيتم ما بقيتم ضُرًا
قد دفع الليل الذي اكفهرًا ... إلى ذُراكم شعَثا مغبرًا

أنّه "سغبا معترًا" فقرأت، ففكر، ثمّ قال: والله لقد أجدتَ في التصحيف، وإنّه الأجود، فلرُبَّ شعث مغبرّ غير محتاج، والسغب: المعترّ موضع الحاجة، ولولا أني قد

كتبتُ خطّي إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت عليّ لغيّرته كما قلت.

قال: ومن شعره:

لا تَخْطُوَنَّ إلى خِطءٍ ولا خطأٍ   من بعد ما الشيب في فَوديكَ قد وخطا
وأيّ عذرٍ لمن شابت ذوائبهُ   إذا سعى في ميادين الصبا وخطا

قال: واقتصرت على ذكر هذين البيتين لأني لم أرَ له نظما ولا نثرا إلا ونظمه في المقامات أحسن منه. انتهى.

وقال ياقوت: حدثني أبو عبدالله الدبيثيّ قال: حدثني أبو الحسن علي بن جابر حدثني أبو الفضل جابر بن زهير، قال: حضرنا مع ابن الحريريّ في دعوةٍ، فغنّى مُغنٍّ:

بالذي ألهمَ تعذيبي ثناياك العِذابا
ما الذي قالته عينا كَ لقلبي فأجابا

فطرب الحاضرون، وسألوا ابن الحريريّ أن يزيد فيها شيئا، فقال:

قلْ لمن عذّب قلبي   وهو محبوب محابَى
والذي إن سمته الوصـ   ـل تغالى وتغابى

تمّ البيتان، فاستحسنها الجماعة.

ومن شعر ابن الحريريّ:

خذ يا بُني بما أقول ولا تَزُغْ   ما عشتَ عنه تعش وأنتَ سليمُ
لا تغترر ببني الزمان ولا تقلْ   عند الشدائد لي أخٌ ونديمُ
جربتُهم فإذا المعاقرُ عاقرٌ   والآلُ آلٌ والحميمُ حميمُ

قال ياقوت: وحدثني أبو عبدالله محمد بن سعيد الدبيثيّ قال: سمعت القاضيَ أبا الحسن علي بن جابر بن زهير يقول: سمعت أبي يقول: كنت عند أبي محمد بالمشانِ أقرأ عليه المقامات، وبلغه أن صاحبه أبا زيد المطهَّر بن سلاّم البصريّ الذي

حمل المقامات عنه قد شرب مسكراً، فكتب إليه، وأنشدناه لنفسه:

أبا زيدٍ اعلمْ أنَّ من شــرب الطلا ... تدنَّس فـافـهـمْ سـرُّ قـولي المهـذَّبِ
ومن قـبلُ سُـمِّـيتَ المطهَّـرَ والفـتى ... يصــدِّقُ بالأفــعــال تسـمـيــة الأبِ
فـلا تُحـيـيـهـا كـيـمـا تكون مطهَّراً ... وإلاَّ فــغَــيِّــرْ ذلك الاسمَ واشــربِ

قال: فلما بلغته الأبيات أقبلَ حافيا إلى الحريريّ، وبيده مصحفٌ وأقسم به أن لا يعود إلى شرب مسكرٍ، فقال له الشيخ: ولا تحاضر من يشربه.

قال ابن النجّار في تاريخ بغداد: أنبأني ابن طارق قال: أنشدني محمد بن عبد الكريم بن الأنباريّ قال: كتب إليّ أبو محمد القاسم بن علي الحريريّ صاحب المقامات:

أهدي إليك خـلاصــتي ومـودتي ... قــبل اللقـــاء تعــارفُ الأرواحِ
ومن القلوب على القلوب شــواهد ... يشــهـدنَ قـبل تشـاهُد الأشـبـاحِ

قال: فكتبتُ إليه في الحال عليها:

أهلا بمن أهدى إليّ صـحـيـفـةً ... صــافــحــتُــهــا بالروح لا بالراحِ
وتبلجتْ فــتــأرَّجتْ نفــحــاتهـا ... كـالمسكِ شِيبَ نسـيـمُـه بالراحِ

فكتب إليّ جواب هذه: لقد صدقت رواة الأخبار: إنَّ معدن الكتابة الأنبار.

ومن شعر الحريريّ في استهداء مدادٍ وأنشده ابن النجّار:

قلْ لزين الكفــاة فــهــو الذي فــا ... ـق بفــضــل الكفـــاءة الأكـــفـــاءَ
أنـــا أشــكــو إلــيـك إن دواتــي ... أشـبـهت بعـد حـسنها شـوهاءَ
شـمطت والقـذى أحبّ إلى العـيـ ... ـن وأشـــهـى من أن ترى شـــمطاءَ
ولَوَ اتبَلَّغَنْ مــــداداً لحـــاكى ... مـــقلة الظبي حلكة وصــــفــــاءَ
فـاقْرِها منك مـا يعيد لها الشيـ ... ـب شـبـابا، واسـتـقـرِ منهـا الثناءَ
والعـجـيب العـجـاب أنك تسـدي ... عند تســـويدها يداً بيــضـــاءَ

قال ياقوت: نقلت من خطّ أبي سعد السمعانيّ، قال: أنشدني أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي الواسطيّ، قال: أنشدنا القاسم بن علي الحريريّ لنفسه:

أخمدْ بحِلمك ما يُذكيه ذو سفهٍ ... من نار غيظك واصفحْ إن جنى جاني
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به ... والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جاني

قال القاضي تاج الدين السُّبكيّ في الطبقات الكبرى: ومن الفوائد المتعلقة بالمقامات: سأل ابنُ يعيشَ النحويّ زيدَ بن الحسن الكنديّ عن قول الحريريّ في المقامة العاشرة[1] "حتى إذا لألأ الأفق ذنب السرحان، وأن انبلاج الفجر وحان" ما يجوز في قوله "الأفق في ذنب السرحان" من الإعراب؟ وأشكل عليه الجواب. حكى ذلك ابن خلّكان، وذكر أنّ البندهيّ[2] جوّز في شرح المقامات رفعهما ونصبهما ورفع الأول ونصب الثاني وعكسه، قال ابن خلّكان: ولولا خوف الإطالة لأوردت ذلك، والمختار نصب الأفق ورفع ذنب. قال ابن السُّبكيّ: وقال الشيخ جمال الدين بن هشام، ومن خطّه نقلتُ[3]: كان رفعهما على حذف مفعول لألأ، وتقدير ذنب بدلاً أيْ حتى إذا لألأ الوجوه الأفق ذنبَ السرحان، وهو بدل اشتمال، ونظيره: سُرِق زيدٌ فرسُه، ويضعّفه أو يردّه عدم الضمير، وقد يقال: إنّ أل خلف عن الإضافة أيْ ذنب سرحانه، ومثله: ﴿قُتِل أصحابُ الأخدودِ النارِ﴾ [سورة البروج، الآية: ٤-٥] أيْ ناره، أو على حذف الضمير، كما قالوا في الآية، أيْ ذنب السرحان فيه، والنار فيه، وأما نصبهما فعلى أنّ الفاعل ضمير اسمه تعالى والأفق مفعول به (وذنب بدل منه، أي لألأ اللهُ الأفقَ ذنبَ السرحان، أي سرحانه أو السرحان فيه)[4]، ورفع الذنب ونصب الأفق واضح، وعكسه مشكِل جدا؛ إذ الأفق لم ينوِّر الذنب، نعم، إن كان تجويزه على أنّه من باب المقلوب، اتجه كما

(١) وهي المقامة المسماة بالمقامة الرحبيّة. انظر: مقامات الحريري: ١٠٤.
(٢) في الطبقات الكبرى: الندهيّ. انظر: ٢٩٧/٤.
(٣) الكلام للسبكيّ في طبقاته.
(٤) ما بين قوسين زيادة لم ترد في الطبقات الكبرى.

قالوا: كَسَرَ الزجاجُ الحجر، وخرَقَ الثوبُ المسمارَ؛ لأمن اللبس.

وللحريريّ في المقامات بيتان قال أنهما أسكتا كلَّ نافث، وأمِنا أن يُعزَّزا بثالث، وهما[1]:

سِمْ سِمَةً تحسن آثارُها ... واشكر لمن أعطى ولو سِمسِمةْ

والمكرُ مهما اسطعتَ لا تأته ... لتقتني السؤددَ والمكرمةْ

قال ياقوت: حدثني ابن الدبيثيّ، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن جابر بن زهير، قال: أنشدني أبو عبدالله محمد بن الحسن بن المنقبة الفقيه بالرحبة لنفسه يعارض بيتي الحريريّ:

ملامة الوكعاءِ بينَ الورى ... أحسنُ من حرٍّ أتى ملأمةْ

فَمُهْ إذا استجديتَ عن قولِ لا ... فالحرُّ لا يملأ منها فمه

قلتُ: ابن المنقبة هذا هو صاحب الأرجوزة المشهورة في الفرائض المسماة بالرحبيّة، وقد أكثر الناس في معارضة هذين البيتين، فعارضهما أبو الفتح عثمان بن عيسى بن منصور بن محمد البلطيّ النحويّ بخمسينَ بيتا أوّلها:

محلمةُ العاقل عن ذي الخنا ... توقظه إن كان في محلمةْ

مكلمة الخائضِ في جهله ... لقلبِ من يَردعُهُ مكلمةْ

مَهْدمة العمر لحرٍّ إذا ... أصبح بين الناس ذا مهدمةْ

محرمة الملحف أولى به ... إياك أن ترعى له محرمةْ

مُسلمة يمنعها غاصبٌ ... حقاً فأمسى جورُه مسلمةْ

مظلمة يفعلها عامدا ... تلقيه يوم الحشر في مظلمةْ

أُعْلمه الحسن فيا ليت من ... أغراه بالجفوة بي أعلمةْ

من دمه أهدره الحبّ لا ... غروَ إذا حلّت به مندمةْ

---

(١) وردا في المقامة الحلبيّة. انظر: مقامات الحريري: ٥٠١.

أسلمه الحبُّ إلى هلكه فإن نجا منه فما أسلمهْ
أشأمه البينُ وقد أعرقوا أفٍّ لهذا البينِ ما أشأمهْ
مكتمة الأحزانِ في أدمعي يبدو نصول الشيبِ من مكتمهْ
محرمة الدهر أفيقي ففي ذرى جمال الدين لي محرمهْ
مقسم الأرزاق في كفّه أبلج زانت وجهه مقسمهْ

قال ياقوت: ومن رسائل الحريريّ رسالة التزم في كلِّ كلمة منها السين، وهي هذه: "باسم القدوس أستفتح، وبإسعاده أستنجح، سجية سيدنا سيف السلطان سدّة سيدنا الإسفهسلار السيد النفيس سيد الرؤساء، حُرِستْ نفسُه، واستنارت شمسُه، وبسق غرسُه، واتسقَ أنسُه، استمالة الجليس، ومساهمة الأنيس، ومؤاساة السحيق والنسيب، ومساعدة الكسير والسليب، والسيادة تستدعي استدامة السنن، والاستحفاظ بالرسم الحسن، وسمعت بالأمس تدارُسَ الألسن سلاسة خندريسه، وسلسال كؤوسه، ومحاسن مجلس مسرّته، وإحسان مسمعة ستارته، فاستسلفت الاستدعاء، وسوّفت نفسي بالاحتساء، ومؤانسة الجلساء، وجلست أستقري السبل، وأستطلع الرُّسُل، وأستطرف تناسي رسمي، وأسامر الوسواس لاستحالة رسمي:

وسيف السلاطينِ مستأثرٌ بأنسِ السماعِ وحسوِ الكؤوسِ
سلاني وليس لباسُ السلو يناسب حسن سمات النفيسِ
وسنٌّ تناسي جُلاّسِهِ وأسوا السجايا تناسي الجليسِ
وسرُّ حسودي بطمس الرسوم وطمس الرسوم كرمسِ النفوس
وأسكرني حسرةً واستعاض لقسوته سكرةَ الخندريسِ
وساقى الحسامَ بكأسِ السلافِ وأسهمني بعبوسٍ وبوسِ
سأكسوه لبسةَ مستعتبٍ والبسُ سربال سالٍ يؤوسِ
وأسطر سيناته سيرةً تسير أساطيرها كالبسوس

وحسبنا السلام رسول الإسلام.

قال الصلاح الصفديّ: فممن علمته عمل مقامات البديع الهمدانيّ، وهو الذي فتح الباب، ونسج الحريريّ على منواله، لكن التي للبديع أربعمائة مقامة في الكدية، وهي قصار إلى الغاية تجيء كلّ أربعة أو خمسة مثل مقامة من الحريريّ، وشمس الدين معد بن نصر الله الجزريّ المعروف بابن الصيقل، وأبو العباس يحيى بن سعيد البصريّ، وأبو الفرج بن الجوزيّ، والقاضي الرشيد بن الزبير، لكنّها عشرون مقامة، والمقامات التميميّة اللزوميّة لأبي الطاهر محمد بن يوسف السرقسطيّ، وهي خمسون ممزوجة النثر والنظم، ومقامات الشريف الزيديّ، وهي عشرون، ومقامات خطير الدولة الحسين بن إبراهيم البغداديّ، خمسون، ومقامات محمد بن منصور بن دُبيس الواعظ الموصليّ المعروف بابن الحداد صاحب المنظومة الرائيّة في مذهب الشافعيّ، وهي أربعون، ومقامات الصاحب بهاء الدين بن علي بن الفخر عيسى، ومقامات أحمد بن جميل الكاتب الأزجيّ، وهي عشرون، ومقامات الأسد خطيب الرصافة أحمد بن الحسين، ومقامات أبي الهيجاء شهفيروز الشاعر، ومقامات البديع الدمشقيّ طراد بن علي.

وقال ياقوت: نقلتُ من خطّ أبي سعد بن السمعانيّ: أنشدنا أبو القاسم عبدالله بن القاسم بن علي بن الحريريّ، أنشدني والدي لنفسه، وهو مما كاتَبَ به شيخَ الشيوخ أبا البركات إسماعيل بن أبي سعد:

سلامٌ كأزهارِ الربيعِ نضارةً ... وحسنا على شيخ الشيوخ الذي صفا
ولو لم يعُقْني الدهرُ عن قصدِ ربعه ... سعيت كما يسعى الملبّي إلى الصفا
ولكنْ عداني عنه دهرٌ مكدّرٌ ... ومن ذا الذي واتاه من دهرِه الصفا

[٢٩]*

ابن الحاجب

جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدونيّ الأصل الإسنائيّ المولد الفقيه المالكيّ المقرئ النحويّ.

قال الحسينيّ في التكملة: كان أحد الأئمة الأعلام، وعلماء الإسلام، ولِدَ بإسنا من صعيد مصر في أواخر سنة سبعين وخمسمائة ظنًا، وبرع في القراءات والفقه والأصول والنحو، وسمع من أبي الطاهر إسماعيل بن صالح بن ياسين، وأبي القاسم هبة الله بن علي البوصيريّ، وأبي عبدالله محمد بن حمد بن حامد، وأبي الثناء حماد بن هبة الله الحرّانيّ، والقاسم بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر، وفاطمة بنت سعد الخير، وغيرهم، وحدّث وتصدّر بالفاضليّة مدة وانتفع به جماعة، ثم توجّه إلى الشام، وأقام بدمشق منتصبا للتدريس والإقراء. صنّف تصانيف في فنون عديدة، مات بالإسكندريّة في يوم الخميس السادس من شوال سنة ستّ وأربعين وستمائة.

وقال الذهبيّ: كان أبوه جنديًا حاجبا للأمير عزّ الدين الصلاحيّ، فاشتغل أبو عمرو في صغره بالقاهرة، وأخذ بعض القراءات عن الشاطبيّ، وسمع منه التيسير، وقرأ بالسبع على أبي الجود غيّاث بن فارس، وغيره، وتفقّه على أبي المنصور الأبياريّ،

---

[*] انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٣/٢٤٨-٢٥٠. إشارة التّعيين: ٢٠٤-٢٠٥. سير أعلام النبلاء: ٢٣/٢٦٤-٢٦٥. الطّالع السّعيد: ٣٥٢-٣٥٧. العبر: ٣/٢٥٤. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٤١-٦٥٠): ٣١٩-٣٢١. معرفة القراء الكبار: ٢/٦٤٨-٦٤٩. طبقات المحدثين: ١/٢٠٤. مسالك الأبصار: ٧/١٨٤-١٨٥. عيون التواريخ: ٢٠/٢٤-٢٥. الوافي: ١٩/٣٢١-٣٢٦. مرآة الجنان: ٤/٨٩-٩٠. البلغة: ١٤٠. ذيل التقييد: ٢/١٧١. غاية النهاية: ١/٥٠٨-٥٠٩. المنهل الصافي: ٧/٤٢١-٤٢٤. الدليل الشافي: ١/٤٤٠. النجوم الزاهرة: ٦/٣١٩. البغية: ٢/١٣٤-١٣٥.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- الدراسة التي قدّم بها موسى بناي العليليّ لتحقيق الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب، وهي في مجلّد مستقلّ.
- أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب.

وغيره، وتأدَّب على الشاطبيّ، وابن الثناء، ولزم الاشتغال حتى برع في الأصول والعربيّة، وكان من أذكياء العالَم، وصنّف في الفقه مختصرا، وفي الأصول مختصرا، وآخر أكبر منه سمّاه منتهى السول والأمل في علمَي الأصول والجدَل، والإيضاح في شرح المفصَّل، والكافية في النحو، وشرحها، والوافية في نظم الكافية، وشرحها، والشافية في التصريف، وشرحها، وقصيدة في العروض سمّاها المقصد الجليل في علم الخليل، وله الأمالي في النحو، مجلدان.

وكان فقيهاً مناظِراً مفتياً مبرزاً في عدة علومٍ متبحِّراً ثقةً دَيِّناً ورِعاً متواضعاً طارِحاً للتكلُّفِ، أقام بدمشق مدة يدرِّس بجامعها، وأكبَّ عليه الفضلاء، ثم قدم مصرَ هو والشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، وتصدَّر بالفاضليّة، ولازمه الطلبة، ثم انتقل إلى الإسكندريّة ليقيم بها، فلم تطل مدتُه، ومات.

روى عنه الحافظان المنذريّ والدمياطيّ، وياقوت المسعوديّ، وبالإجازة العماد البالسيّ، ويونس الدبّوسيّ.

ومن شعره، قال ياقوت المسعوديّ في معجمه: أنشدني الشيخ جمال الدين بن الحاجب لنفسه، وقال: ما أظنني سُبِقت إلى المعنى الذي قصدته فيه:

إن تغيبوا عن العيون فأنتم ... في قلوب حضوركم مستمرٌّ
مثل ما قامت الحقائق بالذهـ ... ـن وفي خارجٍ لها مستقرُّ

ومن شعر ابن الحاجب أيضا:

إن غبتم صورة عن ناظريّ فما ... زلتم حضوراً على التحقيق في خلدي
مثل الحقائق في الأذهان حاضرة ... وإن تُرِدْ صورةً في خارجٍ تجدِ

ومن شعره:

قد كان ظنّي أنَّ الشيبَ يرشدُني ... إذا أتى فإذا غيي به كثُرا
يا واسعَ الرحمةِ اغفرْ واعفُ عن زللي ... قد عمَّ عفوك من يأتيك منزجرا
إن خصّ عفو إلهي المحسنين فمن ... يرجو المسيء ويرجوه إذا عثرا

ومن شعره:

كنت إذا ما أتيت غيا ... أقول بعد الشيب أرشدُ
فصرتُ بعد ابيضاض شيبي ... أسوأ مما كنت وهو أسودُ

ومن نظم ابن الحاجب في أسماء قداح الميسر:

هي فذّ وتوأم ورقيب ... ثم حِلس ونافس ثم مسبلُ
ومُعلّى والوعد ثم سفيح ... ومنيح هذي الثلاثة تهملُ
ولكلّ مما سواها نصيب ... مثله إن يعدّ أول أوّلُ

وقال اليغموريّ في تذكرته: أنشدني جمال الدين أبو عمرو عثمان بن الحاجب لنفسه في أسنان الإبل:

فصيل مخيض لَبون حُقّ جذُع ... ثني رباع سديس بازل خلف

قال الصلاح الصفديّ في تذكرته: رأيتُ بخطّ الكمال أحمد بن سليمان الطوخيّ الشافعيّ صهر الشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن الحاجب، قال: أنشدني الشيخ جمال الدين بن الحاجب ما ذكره بعض أصحاب التواريخ في المعميات:

ربّما عارض القوافي[1] رجال ... بقوافٍ فتنتني وتلينُ
طاوعتهم عين وعين وعين ... وعصتهم نون ونون ونونُ

ثم قال: كتبَ هذان البيتان إلى حاذق بإخراج المعمّيات، فأقام ستة أشهرٍ ينظر فيهما إلى أن كشفهما، ثم حلف بأيمانٍ مغلّظة أنّه لا ينظر في معمّى أبداً، ولم يذكر تفسيرهما أصلاً، قال الشيخ: فأضربت عن النظر فيهما لما تبين من عسرهما من سياق الحكاية، ثم بعد أربعين سنة خطرا لي بالليل، فأفكرتُ فيهما، فظهر لي أمرهما، وأنّه إنّما أراد بقوله: "طاوعتهم عين وعين وعين" يعني نحو: يدٍ وغدٍ ودَد؛ لأنّهنّ عينات مطاوعة في القوافي مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة، وكلّ منها عين الكلمة؛ لأنّ

(١) في الوافي: ربّما عالج الحروف. انظر: ١٩/٣٢٠.

وزن غدٍ فَعٍ، وكذا وزن يدٍ ودَدٍ، وأراد بقوله: "وعصتهم نون ونون ونونٌ" الحوت، لأنَّه يسمَّى نونا، والدواة لأنُّها تسمَّى نونا، والنون الذي هو حرف من حروف الهجاء، وكلّها نونات غير مطاوعة في القوافي؛ إذ لا يلتئم واحد منها مع الآخر، ثم إنَّه نظم ذلك في بيتين على وزن السؤال، فقال:

أيّ غـــدٍ مع يدٍ ددٌ ذو حـــروف طاوعت في الرويّ وهو عـــيـــونُ
ودواة والحــــــوت والنون نونا ت عصتهم وأمرها مستبينُ

ثم قال: ولا يشكّ عارف بالمعمّيات أنَّه لم يرد سوى ذلك. انتهى(١).

قلتُ: وفي هذا دلالة على شرف هذا العلم، أعني علم المعمّى، حيث كان مثل ابن الحاجب يقوم به، وينظر فيه، وهذا العلم له أصول وقواعد أُلِّفَ فيها كتبٌ.

قال الصفديّ: وقد كتب بعض الأدباء بالأندلس هذين البيتين في الفقه إلى عبدالله المازرنيّ بالمهديّة، وقال له: أبنْ لي ما "طاوعتهم" وما "عصاهم"، فأجابه نثرا: طاوعهم العجب والغي والعجز، وعصاهم اللسان والبيان والجَنان.

وقال الصفديّ في تاريخه: هذا الذي ذكره الشيخ جمال الدين في غاية الحسن والدلالة على ذكائه المفرط، ولكنَّ الذي ذكره في أمر العينات مسلَّم، وأما النونات فلا نسلِّم أنُّها تعصي في القوافي، ولا تلتئم لأنها تقع قوافي على صيغة النون فتكرّر في كلّ مرّة قافية النون، ويكون ذلك من باب الجناس الذي اتفق لفظه واختلف معناه، كما نظم الناس القوافي المتعددة في لفظ العين والخال والهلال وغير ذلك من المشترك.

قال: وكان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول عن مقدمته الموسومة بكافية الأدب: هذه كافية ولكنُّها ليست شافية، ولذلك نظم الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت، وكان ابن مالك أيضاً يقول: ابن الحاجب نحوه من نحو المفصّل، وصاحب المفصَّل نحوه صغيرات. وكان أبو حيّان يقول: هذه نحو الفقهاء، وقد كتب بعض الأدباء الظرفاء

---

(١) ذكر الصّفدي تفسيراً آخر لهذه المعمّيات في ترجمة علي بن عدلان الموصلي. انظر: الوافي: ٢١/٢٠٦-٢٠٧.

عليها بيت الحماسة، وهو:

ودِدتُ ومـــا تـغني الودادةُ أنَّني بما في ضـمـير الحـاجبيَّة عـالِمُ

قال الصفديّ: وكان الشيخ جمال الدين بن الحاجب له قدرة على الاختصار، وكان يشاحِحُ نفسه في الفاء والواو إذا كانت زائدة يتمّ المعنى بدونها حتى إنّه يختصر الخطبة التي تكون أوّل التصنيف، بل يذكر البسملة، ويشرع في ذكر ذلك العلم الذي قصده، وله قدرة على إدراج المسائل الكثيرة في الألفاظ القليلة.

قال: وكان ابن الحاجب وابن مالك طرفَي نقيض، خالفا العادة، لأنَّ ابن مالك مغربيٌّ شافعيٌّ، وابن الحاجب كرديٌّ مالكيٌّ. قال: ولما مات رثاه الفقيه أبو العباس أحمد بن المنير بقوله:

ألا أيُّها المختالُ في مِطرَفِ العمرِ هلُمَّ إلى قبر الفقيه أبي عمرِو
ترى العلمَ والآدابَ والفضلَ والتقى ونيل المنى والعزَّ غُيِّبْنَ في قبرِ
وتُوقِنُ أن لا بدَّ ترجعُ مـــرَّةً إلى صدف الأجداث مكنونة الدرِّ

ومن فوائد ابن الحاجب، سئل عن قول القائل:

مــا يقــول الفــقـيــهُ أيَّده الله ولا زال عنده الإحـســـانُ
فـي فــتى علق الطلاق بشــهـر قــبل مـا قــبله رمـضــانُ

وادّعى السائل أنّه من المعاني الدقيقة الغريبة التي لا يعرفها في مثل هذا الزمان أحد. فقال: إنّما يستعظم ذلك قوم ليست لهم ممارسةٌ لدقائق العلوم الشرعيّة، فإذا وقع لهم أنّهم فهموا مثله رأوا أنّهم فازوا من العلم بنائل، أو حلُّوا بطائل، وقد أجريت هذه المسألة بعينها بمصر، وأجبتُ بما فيه كفاية، ثم سئلت عنها بدمشق، فقلت: هذا البيت يُنشَدُ على ثمانية أوجه؛ لأنَّ ما بعد قبل الأولى قد يكون قبلين، وقد يكون بعدين، وقد يكونان مختلفين، فهذه أربعة أوجه، كلّ واحد منها قد يكون قبله قبل، وقد يكون قبله بعد، صارت ثمانية، ثم أقدِّم قاعدة يبنى عليها تفسير الجميع، وهي أنَّ كلَّ ما

اجتمع فيه منها قبل وبعد فألقهما، لأنَّ كلَّ شهرٍ حاصلٌ بعد ما هو قبله، وحاصلٌ قبل ما بعده، فلا يبقى حينئذٍ إلا بعده رمضان، فيكون شعبان، أو قبله رمضان، فيكون شوّالا، فلم يبقَ إلا ما جميعه قبل أو جميعه بعد، فالأوّل هو الشهر الرابع من رمضان، لأنَّ معنى قبل ما قبل قبله رمضان شهر تقدَّم رمضان قبل شهرين قبله، وذلك ذو الحجّة، والثاني هو الرابع أيضاً، ولكن على العكس، لأنَّ معنى ما بعد بعده رمضان شهر تأخر رمضان بعد شهرين بعده، وذلك جمادى الآخرة، فإذا تقرَّر ذلك قيل: قبل ما قبل قبله رمضان ذو الحجّة، لأنَّ ما قبل قبله شوّال، وقبله رمضان، فهو ذو الحجّة، قبل ما بعد بعده شعبان، لأنَّ المعنى بعده رمضان، وذلك شعبان، قبل ما قبل بعده رمضان شوّال، لأنَّ المعنى قبله رمضان، وذلك شوّال. فهذه الأربعة الأُوَل، ثم أجرِ الأربعة الأُخَر على ما تقدَّم. قيل: بعد ما قبل قبله رمضان شوّال، لأنَّ المعنى قبله رمضان، وذلك شوال، بعد ما بعد بعده رمضان جمادى الآخرة، لأنَّ ما بعد بعده شعبان، وبعده رمضان، فهو جمادى الآخرة، بعد ما قبل بعده رمضان شعبان، لأنَّ المعنى بعده رمضان، وذلك شعبان، بعد ما بعد قبله رمضان شعبان، لأنَّ المعنى أيضاً بعده رمضان، وذلك شعبان. انتهى.

قال القرافيّ: قد تفنَّن شيخنا فيما أجاب به، وأبدع. وقال الشيخ تقي الدين السبكيّ في تأليفٍ ألَّفه في هذا السؤال سمّاه الإحسان: قد زاد القرافيّ على ما ذكره الشيخ جمال الدين بن الحاجب أن قال: إنّ (ما) يحتمل أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة أو زائدة، وإنَّ الأحكام التي ذكرها ابن الحاجب لا تتغيَّر بحسبها، وفيه على أنَّه إذا جمع ثلاث قبلات وثلاث بعدات وأخرج البيت عن وزنه جاء منه سبعمائة وعشرون مسألة.

قال السبكيّ: وقد تأملت كلام ابن الحاجب، فوجدته بنى كلامه في ذلك على أنَّ الضمير في قبله عائد على شهر المذكور في البيت، وإذا حصل ذلك فالذي أفتى به حقٌّ، ولا يختلف، سواء أكانت ما زائدة أم موصولة أم نكرة موصوفة. ويحتمل أن يكون

الضمير عائد على ما، وتكون إما موصولة أو نكرة موصوفة، ويتغيَّر بها الحكم لتغيّر الإعراب، فعلى ما قاله ابن الحاجبِ يكون التقدير: بشهر رمضان قبل ما قبل قبله، فيكون قد وصف الشهر بجملة، وعلى ما نقوله يكون قد وصفه بمفرد، التقدير: بشهر موصوف بقبليّته لكذا، فلا يبقى إلا قبلان في صورة تمحّض القبلات، أو بعدان في صورة تمحّض البعدات، وذلك في تمحّض القبلات ذو القعدة، والطلاق معلّق بشهر قبلهن فتطلق في[1].

قال فخر القضاة نور الله بن هبة الله بن عبد الباقي القوصيّ المعروف بابن بزاقة يمدح الإمام جمال الدين بن الحاجب، وقصيدته التي في العروض:

يا جمالاً جمَّلَ الله به ... علماء العصرِ جيلاً بعدَ جيلِ
وإماماً ما رأينا مثله ... في كلا علمَي فروع وأصولِ
أنتَ أوصلتَ لنا ما كان من ... علم وزن الشعر ممنوع الوصولِ
إذ تحملت على أن جعلْت ... كثرة المعنى مع اللفظ القليلِ
وتبيّنتَ إلى أن قُيِّدتْ ... خفة الأوزان في قيد ثقيلِ
بقصيدٍ بسطت أبياته ... بعدما آل إلى قبضٍ طويلِ
فلقد عاشت بما نظمته ... بعد أن ماتت أعاريض الخليلِ
ولقد وُفّقت إذ سمّيتها ... يا جليل القدر بالقصد الجليلِ
فجزاك الله عنّا ما جزى ... من هدى من ضلّ عن نهج السبيل

وقال أمير الدين أبو الحسن علي بن عثمان السليمانيّ:

أحييتَ بالقصد الجليل ... ما مات من علم الخليلِ
فجزيت عنا خير ما ... يجزى الخليلُ عن الخليلِ

في تذكرة التاج بن مكتوم: حدثني شيخنا الأستاذ أبو حيّان شيخ النحاة، قال:

(١) في المخطوط بياض بمقدار صفحة.

سمعت المحيي الدمشقيّ الحنفيّ يقول ما معناه: أجمع رأيي ورأي قاضي القضاة شمس الدين السروجيّ أنَّ مقدِّمة ابن الحاجب خير من كتاب سيبويه. انتهى. قال: وسمع هذا بعض الأدباء، فقال:

أجمع المحي وشيخٌ ... مثله في العصبيّةْ(1)
بعد بحثٍ واجتهادٍ ... وتروٍّ في القضيّةْ
أنَّ ما في سيبويهِ ... دون ما في الحاجبيّةْ
فأفادا فرط علمٍ ... منهما بالعربيّةْ

[30]*
ابن الحاجّ

نقلتُ من خطِّ أبي حيّان، وهو تلميذه، قال: أحمد بن محمد بن أحمد الأزديّ الإشبيليّ، عُرِفَ بابن الحاجّ، يكنّى أبا العباس.

أخذ العربيّة عن الشلَوبين، وأخذها أيضا والأدب وجُلّ القراءات السبعة عن أبي الحسن الدبّاج، وقرأ الأصول على الإمام أبي الفتوح بن فاخر، وكان بارعا في جميع ما قرأه حافظا للحديث ذاكراً للفقه على مذهب مالك عارفا بالفرائض، وأكثر اشتهاره بالعربيّة، وإن كانت بعض معلوماته.

---

[*] انظر ترجمته في: اختصار القدح المعلى: ٩٦-٩٧. إشارة التّعيين: ٤٧-٤٨. البلغة: ٣١. نفح الطيب: ٥/١٧.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- ابن الحاج النحوي.

ويقال إنّه لم يكن في تلاميذ أبي علي أنبه منه في علم العربيّة، وكان حسن الطريقة حميد السيرة مشكورا بين أهل زمانه، خرج من إشبيلية فاراً من الإحصار، فوقع في الإسار، وحُمِل إلى برشلونة، ولحقه وَلَهٌ كثيرٌ على كتبه حتى سُمِح له بكتاب سيبويه منها، وعمل رسالة في محرّم سنة أربعين وستمائة، وهو في الأسر بعث بها إلى ملك إفريقية الأمير الفاضل العالم أبي زكريا يحيى بن أبي محمد بن أبي حفص الهنتاتي تتضمّن أنّه إنْ هُوِّن عليه وخرج من أرض الروم فإنّه يضع على كتاب سيبويه تأليفا، وذكر من وعوده أنّه في الرسالة ما يعجز عنه أهل عصره، وشرح في الرسالة بعض أبواب الكتاب ليدلّ بها على مغزاه، فلما وصلت للأمير أبي زكريا أخرجه من الأسر، ولما حلّ تونسَ كمّل هذا الكتاب، فجاء كتابا لم يوضع مثله، وأبدع منه غرائب لم يُسْبَقْ إليها، ولا زاحمه أحد من معاصريه عليها، وعجائب لم يسمح خاطر غيره ممن تقدّم عليه أو تأخّر عنه بها، وصنّف أيضا كتابا في الإمامة، وكتابا في حكم السماع، وكتابا كبيرا في علم القوافي، واختصر خصائصَ ابن جنّي، ومستصفى الغزاليّ، وله على مشكلاته حواشٍ، وسرُّ الصناعة، وله حواشٍ أيضا على مشكلات الإيضاح، والتكملة، وتأليف صغير في قوانين المصادر، وكتاب جمع فيه شعر الأمير أبي زكريا، وشرحه، ونقود على صِحاح الجوهريّ، وعلى مقرّب ابن عصفور، بلغ فيه إلى باب إنّ، وهو أزيد من عشرة كراريس في مقسوم القالب الكبير المغربيّ، وغير ذلك من التصانيف.

توفي بأرض بسكرة في خلافة المستنصر أبي عبدالله محمد بن الأمير أبي زكريا، وصلّى عليه المستنصر، وتأسّف على فقده، ولم يكن عند المستنصر من صنف العلماء أحد أقرب منه.

وقال الإدفويّ في البدر السافر في ترجمته: برع في لسان العرب حتى لم يبقَ فيه من يفوقه أو يدانيه.

وذكره صاحب القاموس في البُلغة، ونقل عنه أنّه كان يقول: إذا مت يفعل ابن عصفور في كتاب سيبويه ما شاء، وذكر أنّه مات سنة سبع وأربعين وستمائة.

وقال علي بن سعيد الأندلسيّ في تاريخ له لطيف في ترجمة ابن الحاج هذا: كان أبوه من التُّجَّار فترقَّتْ هِمته إلى مجالسة الصدور، ونشأ منتهضا بالأدب مائلا إلى لسان العرب، إلى أن صار يقول: إذا متّ فليفعل ابن عصفور ما شاء في كتاب سيبويه، فإنّه لا يجد من يردُّ عليه، وجالسته كثيرا بجامع العريش[1]، وكان كثير المجالسة لشيخنا أبي الحسن الدبَّاج، فجرى منه مدة في المذاكرة ما أوجب أن كتب إليه معتذرا عما صدر منه من المبادرة في المحاورة والمحاضرة:

عذراً لفضلك يا أستاذ من صخبي ... إذ ليس يخلو ذوو الآداب من شغبِ
فالكلّ منهم يروم السبق مجتهداً ... لكي يُرى سابقا نوعا من الغلبِ
وما نطقت بشيءٍ قد نطقتُ به ... إلا وقد ملكتني نشوة الأدبِ

وركب في البحر، فحصل في الأسر، فخاطب الحضرة العليّة مُخَلِّصةً، فقال:

ناديتُ والبحرُ الخِضمّ معارضٌ ... بحراً فجودك لا ينضب ببرِّهِ
فأجبتني إذ لا مغيث ولم يكن ... إلاكَ يشعر بالغريب وشعرهِ
وأنفت للآداب من أسري فقد ... أسديت ما حاز الثناء بأسرهِ

(١) في اختصار القدح المعلّى: العذيبى: ٩٦.

[٣١]*

حازم

ابن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاريَ القَرْطاجَنّيَ هنيَ الدين أبو الحسن.

قال أبو حيّان: كان شيخُنا أبو الحسن حازم رئيس الأدباء غير مُدافَع أوحدَ زمانه في الشعر والنثر والنحو واللغة والعروض والبيان وغير ذلك، روى عن أبيه، وأبي عبدالله ابن عمّه، وأبي زيد عبد الرحمن الصنهاجيّ، وابن الشريك، والطيِّب القيقي، وأبي عبدالله ابن الأحدب، وأبي القاسم بن جمال، وأبي جعفر الطرسونيّ، وأبي عمرو بن إدريس، وجماعة يقاربون ألف رجل، أجاز لي أن أروي عنه.

وقال الحافظ محبّ الدين بن رشيد في رحلته في ترجمته: حبر البلغاء وبحر الأدباء ذو اختيارات فائقة واختراعات رائقة، لا نعلم أحدا ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع، ولا أحكم من معاقد علم البيان ما أحكم من منقول ومبتدع، وأما البلاغة فهو بحرها العذب، والمنفرد بحمل رايتها أميراً في الشرق والغرب، وأما حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها فهو حمّاد روايتها، وحمّال أوتارها، يجمع إلى ذلك جودة التصنيف وبراعة الخطّ ويضرب بسهم في العقليّات، والدراية أغلبُ عليه من الرواية، وله من التصانيف: منهاج البلغاء في البلاغة، ستّ مجلدات، وكتاب في القوافي، وقصيدة ميميّة في النحو ألف بيت، وهي التي أورد منها في المُغني الأبياتَ

---

[*] انظر ترجمته في: إشارة التّعيين: ٨١-٨٢. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٨١-٦٩٠): ١٠٨. درّة الحجال: ٢٥٤/١-٢٥٥. الوافي: ٢٠٨/١١. البلغة: ٥٠-٥١. الدليل الشافي: ٢٥٧/١-٢٥٨. المنهل الصافي: ٥٥/٥. البغية: ٤٩١/١-٤٩٢. نفح الطيب: ٥٨٤/٢-٥٨٩.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- حازم القرطاجني، حياته وشعره.
- مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم القرطاجني.
- حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر.

في المسألة الزنبوريّة.

مولده في رمضان سنة ثمانٍ وستمائة، ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة أربعٍ وثمانين. ومن شعره(١):

من قال حسبي من الورى بشر ... فحسبيَ اللهُ حسبي اللهُ
كم آية للإله شاهدة ... بأنّه لا إله إلاهُ

وله في شجرة صنوبر أورده ابن مكتوم في تذكرته:

وقصير دوحٍ لاعبته شمائل ... لنسيمهن لدى الصباح هبوبُ
يهفو جنى منها وأوراقٌ إذا ... ما لاعبتهُ شمائل وجَنوبُ
فكأنّما أوراقهنّ ذوائبٌ ... وكأنّما أثمارهنّ قلوبُ

ومن قصيدته الميميّة(٢):

النحو علمٌ بأحكام الكلام وما ... من التّغايير يعرو اللفظَ والكَلِما
إنَّ الكلامَ هو اللفظُ(٣) الذي حصلت ... به الإفادة لما تمَّ والتأما
إنَّ الكلامَ(٤) إذا قسّمته انقسما ... اسما وفعلا وحرفا جاء بعدهما(٥)
فالاسمُ لفظٌ يدلّ السامعين له ... على حقيقة معنى وقتُه انبهما
واللفظ نوعان مما أعربوا وبَنَوا ... فاحكمْ على كلِّ لفظٍ بالذي حُكِما
فالاسم بالخفضِ مختصٌّ ويدخله ... رفعٌ ونصبٌ ومنه الجزمُ قد رسما
والفعلُ بالجزمِ مختصٌّ ويدخله ... رفعٌ ونصبٌ كما في الاسم قد وُسِما

---

(١) لحازم القرطاجني ديوان سمّاه: قصائد ومقطّعات، وهو لا يشمل شعره كلّه. انظر: ١٨٦.

(٢) ديوان حازم: قصائد ومقطعات: ٢٢٣-٢٣٣؛ إذ وردت القصيدة الميمية كاملة ملحقة بما انتقاه حازم القرطاجني من شعره.

(٣) في المصدر نفسه: القول. انظر: ٢٢٤.

(٤) في المصدر نفسه: ولكل قول. انظر: ٢٢٤.

(٥) العجز في ديوان حازم: لاسم وفعل وحرف ثالث لهما. انظر: ٢٢٤.

ومن شعره أيضاً[1]، نقلته من خطِّ ابن مكتومٍ في تذكرته:

أدرِ المدامــة فــالنســيمُ مــؤرّج ... والروضُ مــرقــوم البــرودِ مــدبَّجُ
والأرض قد لبست برودَ جمـالهـا ... فكأنّمـــا هي كــاعبٌ تتــبــرَّجُ
والنهــرُ مما ارتاح مــعطفــه إلى ... لقــيا النسيمِ عبـابه مـتـمـوّجُ
يُمسي الأصيلُ بعسجديّ شعاعُه ... أبداً يوشّي صــفــحـــه ويدبّجُ
وتروم أيدي الريح تسلب ما اكتسى ... فــتــزيده حــسنا بما هي تنسجُ
فــارتحْ لشــربِ كـؤوسِ راحٍ نورُها ... بل نارها في مــائهـا تتــوهَّجُ
واسكر بنشـوة لَحْظ من أحـببتـه ... أو كــأس خــمــرٍ من لماه تُمـزَجُ
واسـمعْ إلى نغـمـات عـودٍ تطبِّي ... قلبَ الخليّ إلى الهــوى وتُهَـيّجُ
بَمٌّ وزيرٌ يُســعــدان مــثــانيــا ... ومثــالثـا طبـقـاتهـا تسـتـدرجُ
من لم يهــيَّجْ قلبــه هذا فــمــا ... للقلبِ منه مــحــرِّكٌ ومــهــيِّجُ
فــأجب فــقــد نادى بألسن حــاله ... للأنس دهر للهــمــوم مــفــرِّجُ
طربت جـمـادات وأفـصحَ أعـجمٌ ... فـرحـا وأصـبح من سـرور يهـزجُ
أفـيـفضلُ الحيَّ الجمادُ مسرّة ... والحيّ للســـراء منه أحـــوجُ
مــا العــيش إلا مــا نعــمت به ... عــاطاك فـيـه الكأس ظبيٌ أدعجُ
ممن يروقك منه ردفٌ مــــردف ... عبل وخصر ذو اختصار مدمَجُ
فـــإذا نظرت لطرة ولغــــرة ... ولصــفــحــة منه بدت تتـأجّجُ
أيقنت أنَّ ثلاثهنَّ ومـــا غـــدا ... من تحـتـهـا ينآد أو يتـمـوّجُ
ليل على صـــبح على بدر على ... غـصنٍ تحـمّله كـثـيب رجـرجُ
كـأس ومــحــبــوب يظلّ بلحظه ... قلب الخلي إلى الهـوى يتـدرجُ
يا صاحِ ما قلبي بصاحٍ عن هوى ... شـيـئين بينهـمـا المنى تسـتنتجُ

---

(١) انظر: ديوان حازم: ١٠٥-١٠٦.

ويمهجتي الظبي الذي في أضلعي قد حلَّ وهو يشبُّها ويؤجّجُ
ناديت حادي عيسه يوم النوى والعيس تحدي والمطايا تحدجُ
قف أيُّها الحادي أودِّعْ مهجة قد حازها دون الجوانح هودجُ
لما توفقنا وفي أحداجها قمر منير بالهلال متوَّجُ
ناديتهم قولوا لبدركم الذي بضيائه تسري الركاب وتدلجُ
يحيي العليل بلفظه أو لحظه يطفئ غليلا في الحشا يتأجّجُ
قالوا نخاف يزيد قلبك لاعجا فأجبتهم خلّوا اللواعج تلعجُ
وبكيتُ واستبكيت حتى ظلّ من عبراتنا بحر ببحر يُمزجُ
وبقيت أفتحُ بعدهم باب المنى ما بيننا طورا وطورا أرتجُ
وأقول للنفس اصبري فعسى النوى بصباح قربٍ ليلها يتبلّجُ
فترقب السرّاء من دهرٍ شجا والدهر من ضد لضدٍ يحوجُ
وترجٍّ فرجة كلّ همّ طارقٍ فلكلّ همٍّ في الزمان مفرّجُ

وله أيضا[1]، نقلته من خطِّ ابن مكتوم:

نبِّه جفونكَ للصباحِ[2] وأيقظِ وانظرْ نهايةَ كلِّ حسنٍ والحظِ
واعجبْ لأدهمَ بالمغارب مجفل قدام أشهب بالمشارق ألمظِ
والزهر كالحدق النواعس سحرة والشهب فيه كالنفوس الفُيَّظِ
وبدت على الشفق النجوم كأنُّها شرر تطاير عن حريق ملتظِ
والبرق قد رقمت به حلل الدجى وقد انبرى كالأرقم المتلظلظِ
والليث قد بسط الذراع ومدها من خوف إدراك السماكِ الملمظِ
والجدي مثل الفرقدين يخاف أن يسطو عليه الليث سطوة محفظِ
وتقدّم الحاوي الثريا خيفةً من ضيغم في إثرها متلمظِ

(١) انظر ديوان حازم: ١٦١-١٦٢.
(٢) في المصدر نفسه: للصبوح: ١٦١.

وتنكّبَ الزوراء سعد ذابحٍ ... يرمي النعام بأسهم لم توعظِ
فكأنَّ أسرابَ النعام بإثرها ... من خوف أسهمها ذوات تحفظِ
فاشرب كؤوسَ الراح من يد شادن ... يسلي[1] بمهجته عيون اللُحَظِ
رشأ تزيد تغيُّظا أجفانه ... إذ لا يقابل ظلمها بتغيظِ
تبكي النواظر والقلوب خياله ... سكنى مُشتٍّ فيهما ومقيِّظِ
تجلى لآلئ لفظه في مسقط ... من مسمع أو ملقط من ملفظِ
فجميع من نال السرور بلفظه ... ويلحظه بالبشر وللبشرى حظي
فيفوق نفحه كلَّ مسكٍ نشره ... ويفوت مدحة مادحٍ ومقرِّظ
من لحظه لحظ الشفيق ولفظه ... أنْ خاطب العشّاق لفظ المغلظِ
حفظتُ عهود هواه أبناء الهوى ... فاعجب لحفظِ عهود من لم يحفظِ
حمّل كميت الراح همّك فهي إن ... حملتها أعباءه لم تبهظِ
قد حببت مقلا من الحبِّ الذي ... فيها طفا مقل العيون الجحّظِ
تستيقظ السرّاء إن هي أوقظت ... وتنيم همَّ النفس بعد تيقّظِ
وترى الهمومَ طوارقا فتذودها ... عنّا وتلحظ كل ما لم يلحظِ
ومع التعجّب فاعتبر في منظرٍ ... وعظت به الأيام من لم يوعظِ
وأصخ لما تُملي لسانُ الحال من ... حكمٍ وربَّ مقالة لم تلفظِ
ولربّما غني الفتى بالعقل عن ... وعظ الخطوبِ وعن خطاب الوُعّظِ
لا تُخْلِ موضعَ عبرةٍ من عبرةٍ ... واخشع ولِن قلباً ولا تستغلظِ
وترجَّ عفوَ الله أن يمحو الذي ... خطّته أيدي الكاتبين الحُفّظِ

(١) في ديوان حازم: يسبي. انظر: ١٦٢.

[٣٢]*

أبو حيّان

الإمام أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسيّ الغرناطيّ النفزيّ، نسبةً إلى نفزة قبيلة من البربر، نحويّ عصره ولغويّه ومقرئه ومفسّره ومحدّثه ومؤرّخه وأديبه.

قال في إجازة كتبها للصلاح الصفديّ: مولدي بمطخشارش مدينة من حضرة غرناطة في أُخريات شوّال سنة أربع وخمسين وستّمائة، وقرأت القرآنَ العزيز بالسبع على جماعةٍ من أعلاهم الشيخ فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجيّ آخر من روى القرآن بالتلاوة عن أبي الجود، وسمعت الحديث على جماعة من عواليهم: القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القُرشيّ، والمقرئ أبو جعفر أحمد بن سعد بن أحمد بن بشير الأنصاريّ، وإسحاق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك بن درباس، وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب البغداديّ القوّاس، وصفيّ الدين الحسين بن أبي منصور ظافر الخزرجيّ، وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعريّ، ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأزديّ بن الدهّان، وقطب الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن القسطلانيّ، ورضيّ الدين محمد بن علي بن يوسف الأنصاريّ الشاطبيّ اللغويّ، ونجيب الدين محمد بن أحمد

---

[*] انظر ترجمته في: العبر: ١٣٤/٤. مسالك الأبصار: ٢٣٨/٧-٢٧١. أعيان العصر: ٣٢٥/٥-٣٥٣. الوافي: ١٧٥/٥-١٨٦. طبقات الشّافعية الكبرى: ٢٧٦/٩-٣٠٧. الوفيات: ٤٨٢/١-٤٨٤. الإحاطة: ٢٨/٣-٤٣. البلغة: ٢٨٩-٢٩٢. غاية النهاية: ٢٨٥/٢-٢٨٦. الدرر الكامنة: ١٨٥/٤-١٨٩. النجوم الزاهرة: ٩١/١٠-٩٣. الدّليل الشافي: ٧١٥/٢. حسن المحاضرة: ٢٥٥/١-٢٥٧. البغية: ٢٨٠/١-٢٨٥. درّة الحجال: ١٢٢/٢-١٢٤. نفح الطيب: ٥٣٥/٢-٥٨٤. البدر الطالع: ٨٠٦-٨١٠.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو حيّان النحويّ.
- اختيارات أبي حيّان النحويّة في البحر المحيط.
- النحو في البحر المحيط.

بن محمد بن المؤيّد الهمذانيّ، ومحمد بن مكيّ بن أبي القاسم بن حامد الأصبهانيّ الصفّار، ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعديّ الضرير بن الفارض، وزين الدين أبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبدالله بن الأنماطيّ، ومحمد بن إبراهيم بن تَرْجَمَ بن حازم المازنيّ، ومحمد بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الداريّ بن الخليليّ، ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الأنصاريّ بن الخيميّ، ومحمد العنسيّ عرفَ بابن النُّن، وعبدالله بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد العزيز الطائيّ القرطبيّ، وعبدالله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان بن فتيان بن كامل الخزميّ[(١)]، وعبدالله بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس التميميّ، وعبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن يوسف ابن خطيب المزّة، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العليّ المصريّ السكّريّ، وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصَّيْقَل الحرّانيّ، وعبد العزيز بن عبد القادر بن إسماعيل الصالحيّ الكتّانيّ، وعبد المعطي بن عبد الكريم بن أبي المكارم بن منجّى الخزرجيّ، وعلي بن صالح بن أبي علي بن يحيى بن إسماعيل الحسينيّ البهنسيّ المجاور، وغازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاويّ، والفضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجيّ، ويوسف بن إسحاق بن أبي بكر الطبريّ المكيّ، واليُسر بن عبدالله بن محمد بن خلف بن اليُسر القُشَيْريّ، ومؤنسة بنت السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي[(٢)]، وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد البكريّ[(٣)]، وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغداديّ.

وممن كتبتُ عنهم من مشاهير الأدباء: أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج بن المرحّل المالقيّ، وأبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأنصاريّ

---

(١) في أعيان العصر: الخرميّ. انظر: ٣٤٤/٥.
(٢) المصدر نفسه: شاذي. انظر: ٣٤٤/٥.
(٣) المصدر نفسه: الحسن بن محمد بن محمد التيمية. انظر: ٣٤٤/٥.

القَرطاجَنيّ، وأبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبدالله الهُذَليّ التُّطيليّ، وأبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن زنون المالقيّ، وأبو عبدالله محمد بن عمر بن جُبير اللِبانيّ العكّيّ المالقيّ، وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الأنصاريّ الجزّار، وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولوا القُرَشيّ، وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي علي الحسن المصريّ الورّاق، وأبو الربيع سليمان بن علي بن عبدالله بن ياتبين الكوميّ التلمسانيّ، وأبو العباس أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين القاهريّ، وأبو عبدالله محمد بن سعيد بن حمّاد بن محسّن الصنهاجيّ البوصيريّ، وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العَزازيّ.

وممن أخذت عنه من النحاة أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الخُشنيّ الأبذيّ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتاميّ ابن الضائع، وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفيّ، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهريّ اللبليّ، وأبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن محمد بن نصر الحلبيّ بن النحّاس.

وممن لقيت من الظاهريّة: أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الأنصاريّ الإشبيليّ الزاهد، وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهريّ الشنتمريّ.

وجملة الذين سمعت عنهم نحو أربعمائة شخصٍ وخمسين. وأما الذين أجازوا لي فعالَم كثير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار إفريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام.

وأما ما صنّفتُ، فمن ذلك: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم. إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب. كتاب الأسفار الملَخّص من كتاب الصفّار شرحا لكتاب سيبويه. كتاب التجريد لأحكام سيبويه. كتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل. كتاب التنخيل الملخّص من شرح التسهيل. كتاب التذكرة. كتاب المبدع في التصريف. كتاب الموفور. كتاب التقريب. كتاب التدريب. كتاب غاية الإحسان. كتاب النُّكَت

الحِسـان. كتاب الشذا في مسـألة كذا. كتاب الفصل في أحكام الفصل. كتاب اللمحة. كتاب الشذرة. كتاب الارتضـاء في الفرق بين الضـاد والظاء. كتاب عقد اللآلي. كتاب نُكت الأمـالي. النافع في قراءة نافـع. الأثير في قراءة ابن كثيـر. المورد الغَمر في قراءة أبي عمرو. الروض البـاسم في قراءة عاصم. المُزن الهامر في قراءة ابن عـامر. الرُّمزة في قراءة حمـزة. تقريب النائي في قـراءة الكسـائيّ. غاية المطلوب في قـراءة يعقـوب. المطلوب في قـراءة يعـقـوب، قـصـيـدة. النيّـر الجلي في قـراءة زيد بن علي. الوهّاج في اختصـار المنهاج. الأنور الأجلى في اختصـار المحلّى. الحُلَل الحاليّة في أسانيد القرآن العـاليَة. الإعلام بأركان الإسـلام. نثر الزّهر ونظم الزّهر. قطر الحبيّ في جواب أسئلة الذّهبيّ. فهرست مسموعاتي. نوافث السِّحر في دمـائث الشّعر. تُحفة النُّدُس في نحاة الأندلس. الأبيات الوافية في علم القافية. جزء في الحديث. مشيخة ابن أبي منصـور. الإدراك للسان الأتراك. الأفعال في لسان التُّرك. منطق الخُرس في لسان الفُرس.

ومما لم يكملْ تصنيفه: مسلك الرُّشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد. منهج السـالك في الكلام على ألفية ابن مـالك. نهاية الإغراب في علمَي التصريف والإعراب، رجز. مجـاني الهصر في آداب وتواريخ لأهل العصـر. خلاصة التبيان في علمَي البديع والبيان، رجز. نور الغبش في لسان الحَبش. المخبور في لسان اليخمور. انتهى.

قلتُ[(١)]: ومن تصـانيـفه التي لم يذكرها هنا: النهر المادّ من البحر في التفسير. إعراب القرآن، أربع مجلدات، رأيته كاملا، وفي مُلكي منه الجزء الأوّل انتهى إلى آخر البقرة. ارتشـاف الضَّرَب من كلام العرب. النُّضـار في المسـألة عن نُضار. نقبة الظمآن من فوائد أبي حيّان.

قال الصـلاح الصفديّ في تاريخه: لم أرَ في أشياخي أكثر اشتغالاً منه، لأني لم أره إلا يُسْمِعُ أو يشتغل أو يكتب، ولم أره على غير ذلك، وله نظم ونثر، وله الموشّحات البديعة، وهو ثبت لما ينقله محرِّرٌ لما يقوله عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو

(١) هذه الفقرة من إضافة السيوطي.

والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما، لم يُذكَر معه في أقطار الأرض غيره في العربية، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم، خصوصا المغاربة.

وسأله الذهبيّ سؤالات فيما يتعلّق بالمغاربة، وأجاب عنها.

وله التصانيف التي سارت وطارت، وانتشرت وما انتثرت، وقُرئت ودُريت، ونُسِخت وما مُسخت، أخملت كتب الأقدمين، وأكرمت المقيمين بعصره والقادمين، وقرأ الناس عليه وصاروا أئمة وأشياخا في حياته، وهو الذي جسَّر الناس على مصنَّفات جمال الدين بن مالك، ورغَّبهم في قراءتها، وشرح لهم غامضها، وخاض بهم لُجَجها، وفتح لهم مقفلها، وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب: نحو الفقهاء، والتزم أن لا يقرئ أحداً إلا في كتاب سيبويه، أو في التسهيل لابن مالك، أو في تصانيفه.

وكان شيخا حسنَ العِمة، مليحَ الوجه، ظاهرَ اللون، مُشربا حُمرةً، منوّرَ الشيبة، كبيرَ اللحية، مسترسِلَ الشعر فيها لم تكن كثّة، عبارتُه فصيحة بلغة الأندلس، يعقد القاف قريبا من الكاف على أنُه ينطق بها في القرآن فصيحة، وكان يقول: ما في هذه البلاد من يعقد حرف القاف، وكان أوّلاً يرى رأيَ الظاهريّة، ثم إنّه تمذهب للشافعيّ، وتولّى تدريس التفسير بالقبة المنصوريّة والإقراء بالجامع الأقمر.

قال: ولما قرأت عليه مقامات الحريريّ، ووصلت إلى المقامة التي أورد فيها الأحاجي قال لي: ما أعرف مفهومَ الأُحجية المصطلح عليها بين أهل الأدب. فأخذت في إيضاح ذلك، وضربِ الأمثلة. فقال لي: لا تتعب معي فإني تعبت مع نفسي في ذلك كثيرا وما أفاد، ولا ظهر لي. هذا كلام الصفديّ.

وقال الحافظ ابن حجر: كان سبب رحلته عن غرناطة أنُه حملته حدة الشبيبة على التعرّض للأستاذ أبي جعفر بن الطباع، وقد وقعت بينه وبين أستاذه أبي جعفر بن الزبير واقعةٌ، فنال منه، وتصدّى لتأليفٍ في الردّ عليه، وتكذيب روايته، فرفع أمره إلى الملك، فاختفى، ثم ركب البحر إلى مصر. انتهى.

قلت: ورأيتُ في كتابه النُّضار الذي ألّفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته أنَّ مما قوّى عزمه على الرحلة عن غرناطة أنَّ بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضيِّ والطبيعيِّ قال للسلطان: إنّي قد كبرت، وأخاف أن أموت، فأرى أن تُرتِّبَ لي طلبةً أعلمهم هذه العلوم لينفعوا بها السلطان من بعدي. قال أبو حيّان: فأُشيرَ إليَّ أن أكونَ من أولئك، ورُتِّبَ لي راتبٌ جيد، وكُسى، وإحسانٌ، فتمنَّعتُ ورحلتُ مخافة أن أُكره على ذلك.

ثم قال الحافظ ابن حجر: وكان ثبتا صدوقا حجّة سالم العقيدة من البِدع الفلسفيّة والاعتزال والتجسيم، ومال إلى مذهب أهل الظاهر، ثم تمذهبَ للشافعيِّ، وكان أبو البقاء يقول: إنَّه لم يزل ظاهرياً. وكان أبو حيّان يقول: مُحال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه. وكان كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن، وكان يعظِّم ابن تيمية، ثم وقع بينه وبينه في مسألة نقل فيها أبو حيان شيئا عن سيبويه، فقال ابن تيمية: وسيبويه كان نبيَّ النحو؟ لقد أخطأ سيبويه في ثلاثين موضعا من كتابه. فأعرض عنه، ورماه في تفسيره النهر بكلِّ سوء. مات في ثامن عشري صفر سنة خمسٍ وأربعين وسبعمائة.

وقال الصفديّ في أعيان العصر: كان أميرَ المؤمنين في النحو، والشمس السافرة سنا في يوم الصحو، والمتصرِّف في هذا العلم فإليه الإثبات والمحو، لو عاصر أئمة البصرة لبصَّرهم، أو أهل الكوفة لكفَّ اتّباعَهم الشواذَّ وحذَّرهم، نَزَل منه كتاب سيبويه في وطنه بعد أن كان طريداً، وأصبح به التسهيل بعد تعقيده عقيداً، وجعل شرحه سرحةً وجنة راقت النواظر توريداً، ملأ الزمان تصانيفَ، وأمال عنقَ الأيام بالتواليف، تخرَّجَ به أئمة في هذا الفنّ، وروَّقَ في عصره منه سلافة الدّنّ، فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضا غير محبَّب، أو عيسى بن عمر لأصبح من تقعيره وهو محدَّب، أو الخليل لكان بعينه فداه، أو سيبويه لما تردّى من مسألته الزنبوريّة برداه، أو الكسائيّ لأعراه

حلّة جاهه عند الرشيد وانباسه[1]، أو الفرّاء لفرّ منه ولم يقتسم ولدا المأمون تقديم مداسه، أو اليزيديّ[2] لأظهر نقصه من مكامنه، أو الأخفش لأخفى جملة من محاسنه، أو أبو عبيدة لما تركه ينصب لشعب شعوبيّته، أو أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلّق بعربيّه، أو السُكّريّ لما راق كلامه في المعاني ولا حلا، أو المازنيّ ما زانه قوله:

إنّ مصابكم رجلاً

أو قطرب لما دبّ في العربيّة ولا درج، أو ثعلب لاستكن بمكره في وكره وما خرج، أو المبرّد لأضحت قواه مُفَتَّرة، أو الزجّاج لأمست قواريره مُكسَّرة، أو ابن الوزّان لعدم نقده، أو الثمانينيّ لما تجاوز حدّه، أو ابن بابشاذ لعلم أن قياسه ما اطرد، أو ابن دُريد ما بلع ريقه ولا ازدرد، أو ابن قُتيبة لأضاع رحله، أو ابن السرّاج لشاه إذا رأى وحله، أو ابن الخشّاب لأضرم فيه نارا ولم يجد معه نورا، أو ابن الخبّاز لما سجر له تنّورا، أو ابن القوّاس لما أعرق[3] في نزعه، أو ابن يعيش لأوقعه في نزعه، أو ابن خروف لما وجد له مرعى، أو ابن إياز لما وجد لأوازه وقعا، أو ابن الطراوة لم يكن نحوه طريا، أو الدبّاج لكان من حلّته الرائقة عَريًا.

وعلى الجملة ، فكان إمام النحاة في عصره شرقا وغربا، وفريد هذا الفنّ بعدا وقربا، وفيه قلتُ:

سلطانُ علم النحو أستاذُنا	الشيخ أثير الدين حَبر الأنام
فلا تقل زيد وعمرو فما	في النحو معه لسواه كلام

خدم هذا العلمَ مدة تقارب الثمانين، وسلك من غرائبه وغوامضه طرقا متشعبة الأفانين، ولم يزل على حاله إلى أن دخل في خبر كان، وتبدّلت حركاته بالإسكان، وتوفي بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة في يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين

(١) في أعيان العصر: وأناسه. انظر: ٥/٣٢٦.

(٢) المصدر نفسه: الزيدي. انظر: ٥/٣٢٦. والصواب ما أثبتّ.

(٣) المصدر نفسه: أغرق. انظر: ٥/٣٢٧.

من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ودُفِن من الغد بمقبرة الصوفيّة خارج باب النصر، وقلت أرثيه:

مــات أثيــر الدين شــيخ الورى	فـاسـتـعـرَ البـارق واسـتـعـبـرا
ورقَّ من حــزنٍ نسـيمُ الصـبـا	واعـتلَّ في الإسـحـار لما سـرى
وصــادحــات الأيك في نوحــهـا	رثتــه في السـجع على حـرف را
يا عينُ جــودي بالدمــوع التي	يروي بهـا مـا ضـمَّـه من ثرى
واجـري دمـا فـالخطبُ في شـأنه	قـد اقـتـضى أكـثـر مما جـرى
مــات إمــام كــان في علمــه	يُرَى إمـــامـــا والورى من ورا
أمــسى منادى للبلى مــفــردا	فـضـمَّـه القـبـر على مـا ترى
يا أســفي كــان هدى ظاهراً	فـعــاد في تربتــه مُـضـمَـرا
وكـان جـمع الفـضلَ في عـصـره	صحٌ فلمـا أن قـضى كُـسِـرا
وعــرَّف الفــضلُ به برهـةً	والآن لمـا أنْ مــضـى نُكـرا
وكــان ممنوعـا من الصـرفِ لا	يطرق من وافــاه خطب عَــرَا
لا أفـعل التـفـضـيل مـا بينه	وبين من أعــرفــه فـي الورى
لا بدلٌ عن نعــتــه بالتــقى	فــفــعله كــان له مــصــدرا
لم يدغم في اللحــد إلا وقــد	فكَّ من الصــبــر وثيق العُــرى
بكى له زيد وعــمــرو فــمن	أمــثلة بالنحــو وممَّن قــرا
مـا أعـقـد التـسـهـيل من بعده	فكم له من عـــســرةٌ يسَّــرا
وجـسَّـر الناسَ على خـوضـه	إذ كـان في النحو قـد استبـحـرا
من بعـده قـد حـال تميـيـزه	وخطّه قــد رجع القــهــقــرى
شــارك من قــد ســاد في فنّه	وكـم لـه فن بـه اســتـــأثرا
دأب بني الآداب أن يغــسلوا	بدمــعــهم فـيـه بقـايا الكرى
والنحـو قـد سـار الردى نحـوه	والصـرف للتـصـريف قد غُـيِّـرا

واللغـة الفـصـحى غـدت بعـده | يُلغى الذي في ضـبطِهـا قُـرِّرا
تفـسـيـره البـحـر المحـيط الذي | يُهـدِي إلى وارده الجـوهـرا
فـوائد من فـضـله جـمّـة | عليـه فـيـهـا نعـقـد الخنصـرا
وكـان ثبـتـاً نقلُه حـجّـةً | مـثل ضـيـاء الصبح إن أسـفـرا
ورُحـلـة فـي سُنَّـة المصـطـفـى | أصـدقُ من تسـمـعُ إن خـبَّـرا
له الأسـانيـد التي قـد عَلَتْ | فـاسـتـفلتْ عنهـا سـوامي الذُّرى
سـاوى بهـا الأحـفـاد أجـدادهم | فـاعـجب لماضٍ فـاقـه من طرا
وشـاعـراً في نظمـه منطقـاً | كم حـرَّر اللفظَ وكمْ حَـبَّـرا
له مَـعـانٍ كلُّمـا خطَّهـا | تَسـتُـرُ مـا يُرْقَمُ في تسْـتَـرا
أفـديه من مـاضٍ لأمـر الردى | مـسـتـقـبِـلاً من ربِّه بالقِـرى
مـا بات في أبيض أكـفـانه | إلا وأضـحى سُندُسـاً أخـضـرا
تصـافح الحـور له راحـة | كم تعـبت في كلِّ مـا سطّرا
إنْ مـات فـالذكـر له خـالدٌ | يحـيـا به قـبل أن يُنشَـرا
جـاد ثرى واراه غـيث إذا | مـسّـاه بالسُّـقـيـا له بَكَّرا
وخـصَّـه من ربِّه رحـمـة | تورده فـي حـشـره الكوثرا

ثمّ قال الصلاحُ الصفديّ: وكان خاليا من الفلسفة الاعتزال والتجسيم، وكان أوَّلاً يعتقد في الشيخ تقيّ الدين بن تيمية، وامتدحه بقصيدة، ثم إنَّه انحرف عنه عندما وقف على كتاب العرش له، وكان لا يثق بهؤلاء الذين يدّعون الصلاح حتى قلتُ له يوما: يا سيدي، فكيف تعمل بالشيخ أبي مدين؟ فقال: هو رجل مسلم دَيِّن، وإلا ما كان يطير في الهواء، ولا يصلِّي الصلوات في مكّة، كما يدعي فيه هؤلاء الأغمار. وكان فيه خشوعٌ يبكي إذا سمع القرآن، ويجري دمعه عند سماع الأشعار الغزليّة، ويقول: إنَّها تؤثر فيَّ هي وأشعار الشجاعة وغيرهما إلا أشعار الكرَم، ما تؤثر فيَّ. وكان يفتخر

بالبخل كما يفتخر الناس بالكرم، وكان يقول: أوصيك: احفظْ دراهمَكَ، ويقال عنك بخيل ولا تحتجْ إلى السُّفَّل، وأنشدني من لفظه لنفسه:

رجاؤكَ فلساً قد غدا في حبائلي قنيصا رجاءً للنتاج من العُقمِ

أأتعب في تحصيله وأضيعه إذا كنت معتاضا من البُرء بالسُّقمِ

وسمعته يقول غير مرّة: يكفي الفقير في مصر أربعة أفلُسٍ يشتري له طلمة باتية بفلسين، ويشتري له بفلسٍ زيتا، وبفلس كوزَ ماء. وكان يعيب على مشتري الكتب، ويقول: الله يرزقك عقلا تعيش فيه، أنا أيَّ كتاب أردتُه استعرته من خزائن الأوقاف، وإذا أردتُ أحدا يعيرني دراهمَ ما أجد.

ونظم هذا تلميذه الشيخ تاج الدين بن مكتوم، فقال:

أفادنا شيخنا الأثيرُ ولم يزلْ رأيُه يُنيرُ

أنَّ الدراهمَ والدنانيـ ـرَ من شراءِ الكُتبِ خيرُ

لأنَّها لا تُعارُ أصلاً والكتبُ ملاكها يعيرُ

وأنَّها جنت وخيرها يميرُ والكتب لا تميرُ

فاحرصْ عليها ودعْ سواها فإنَّها الملك والسريرُ

تبارك الله كلُّ مالٍ سواهما تافه حقيرُ

ومن شعر أبي حيّان(١):

إنَّ الدراهمَ والنساءَ كلاهما لا تأمنَنَّ عليهما إنسانا

ينزعنَ ذا اللبِّ المتين عن التُّقى فيرى إساءة فعله إحسانا

ومن شعره(٢):

أتى(٣) بشفيعٍ ليس يمكن ردّه دراهمَ بيضٍ للجروحِ مراهمُ

---

(١) ديوان أبي حيان: ٤٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ٤٧٦.

(٣) في المصدر نفسه: أجلّ شفيع. انظر: ٤٧٦.

تُصيِّرُ صعبَ الأمرِ أهونَ ما يُرى ... وتقضي لبانات الفتى وهو نائمُ

ومن شعره(١):

عُداتي لهم فضلٌ عليَّ ومِنَّة ... فلا صرف(٢) الرحمن عني الأعاديا

هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا

ومن شعره في صفات الحروف(٣):

أنا هاوٍ لمستطيل أغنَّ ... كلّما اشتدَّ صارت النفسُ رَخوهْ

أهمس القولَ وهو يجهرُ سراً ... وإذا ما انخفضتُ إظهرَ عُلْوهْ

فتح الوصلَ ثم أطبق هجرا ... بصفيرٍ والقلبُ قلقلَ شجوهْ

لان دهراً ثم اغتدى ذا انحرافٍ ... وفشا السرّ مذ تكررتُ نحوهْ

ومن شعره(٤):

فضائلكم فضلنَ الناسَ طرًا ... وساعدها على الجود السماحُ

تسحُّ فيغمر الأدنى وأقصى ... فشتان اقتراب وانتزاحُ

وما استمنحتها زادتك درًا ... كعين الماء تكثر إذ تُماحُ

قال ابن مكتوم: قال الشيخ: نظمت هذه الأبيات ببجاية، ومعنى البيت الثالث لم يسبقني إليه أحد فيما أعلم. قال: ثم إني أنشدت في القاهرة ما يشبه هذا المعنى: وهو(٥):

ما جاد بالرفد إلا وهو معتذرُ ... ولا عفا قطّ إلا وهو مقتدرُ

وكلّما قصدوه زاد نائله ... كالنار يؤخَذ منها وهي تستعرُ

---

(١) ديوان أبي حيان: ٤١٥.

(٢) في المصدر نفسه: فلا أذهب الله الأعاديا. انظر: ٤٧٦.

(٣) المصدر نفسه: ٤٠٤.

(٤) لم ترد هذه الأبيات في المصدر نفسه.

(٥) لم يرد البيتان في المصدر نفسه.

قال الصلاح الصفديّ: أنشدني الشيخ أبو حيان من لفظه لنفسه[1]:

سبق الدمع بالمسير[2] المطايا ... إذ نوى من أحبّ عني نُقْلَهْ
وأجاد السطور في صفحة الخـ ... ـدّ ولِمْ لا يُجيدُ وهو ابن مقلهْ

وقال أيضاً[3]:

ألام على تسهاد جفنَي في الدجى ... ويدأب فكري في اقتناص الفضائلِ
ولو كنت أرضى بالدنايا لنلتها ... وكنت بها ما بين غمر وخاملِ
ولكنَّ إدراك المعالي هو الذي ... به طاب ذكري في صدور المحافلِ
فنوّه بي من جلّ في أعين الورى ... وكاثر بي من حلّ أعلى المنازلِ
بأندلس العظمى نشأت هلالها ... ولحت بمصرٍ بدرها غير آفلِ
ومنها تآليفي إلى الأرض قد سرت ... ينافس في تحصيلها كلُّ فاضلِ
فبالشرق منها مشرقا كلّ قادم ... وبالغرب منها مغربا كلّ راحلِ
أتيت أخيرا في النحاة وإنني ... لغبّرت سبقا في وجوه الأوائلِ
وسهَّلتُ هذا العلم حتى لقد غدا ... كشربة ماءٍ لذّ في حلق ناهلِ
وإنَّ كتابي الارتشاف لجامعٌ ... غرائبَ علمٍ عدة للأفاضلِ
فكم فيه أبكار كُسينَ مفوّفاً ... بلفظٍ بديعٍ في المحاسنِ رافلِ
وأحكامه قد مثّلت بمطابقٍ ... لها فحكى التمثيل زهو الخمائلِ
أبو الأسود المستنبط النحو لو رأى ... كتابي لأضحى في فهامة باقلِ
يرى محكما منه الأساسَ وبانيا ... عليه بما تقضيه حكمة عاقلِ
يرتّبُ شيئاً إثرَ شيءٍ مراعياً ... له نسَبا فِعْل الحكيم المعادلِ
فلو أنَّ أرسطو رأى ما وضعته ... رأى وضع طبّ منطقاً لم يزاولِ

---

(١) ديوان أبي حيان: ٤٧٣.
(٢) في المصدر نفسه: بالمسيل. انظر: ٤٧٣.
(٣) لم ترد القصيدة في المصدر نفسه.

ولكنّما العقل السليم إذا انبرى | لأمرٍ بدا فيه غريب العقائلِ
وصنّف ناسٌ ما يُمَجّ سماعُه | بنقصٍ وتخليطٍ وترتيب جاهلِ
ودانوا بها شرقا وغربا زمانهمْ | فما ظفر الطلاب منها بطائلِ
خلا أنّ عَمْراً قدّس الله سرّه | أتى بكتاب نابه الوضع شاملِ
به الله أبقى ما بأيدي نحاتنا | من العلم منصورا بأقوى الدلائلِ
جزى الله عنا سيبويه جزاءَ من | هدانا لأسنى أو لأسمى الوسائلِ
وسائل للقرآنِ والسُّنَن التي | نادت إلينا ناقلا إثر ناقلِ
ولا زال مثواه بشيراز سحبه | تدرّ عليه وابلا بعد وابلِ

قال الشيخ تاج الدين بن مكتوم في تذكرته: أنشدنا شيخنا أبو حيّان لنفسه(١):

يا سائلي عن اقتباس العلم | من رجَزٍ أو غيره من نظم
لا تأخذ العلمَ من المنظوم | فإنّه مضلّة الفهوم
ناظمه ملتزمٌ ما ليس ملزما | مؤخرا شيئا وشيئا مقدّما
يجلب في اصطلاحِ ذاك العلم | ما ليس معهودا لأهل الفهمِ
تراه حيرانَ لأجلِ الوزنِ | يترك سهلا ويجيء بالحزنِ
يأتيك بالحوشيّ والمعقّد | والغثّ والسفساف والمردَّد
وعوّضَ التوضيح بالإشكالِ | وبدّلَ التفصيلِ بالإجمالِ
كما ترى نظم أناس درجوا | كم تعبت في فهم ذاك مهجُ
لا سيّما نظم الإمام الشاطبي | مع ابن مالكٍ مع ابن الحاجبِ
ألاك قوم صعّبوا العلوما | حتى غدا جليّها بهيما
ما النظم إلا شأن قلب قد نزك | لذاك لا يصلح إلا للنزك
وللندا وللوغى والزهر | وللقرى وللثنا والبحرِ

---

(١) لم ترد القصيدة في ديوانه.

والنثـــــر للجـــــد وللعلومِ ... فـــإنّه ملقح الفُـــهـــومِ
يعـــيــدها في أقـــرب الزمـــانِ ... مـــا لا يُعـــيــد النظم في أزمـــانِ
أنّى يضـــاهي مطلقــا مـــقــيّــدُ ... للنثـــر فــضلٌ نوره لا يُجـحَـــدُ
حـــــوى علــومَ أوّلٍ وآخــــــرِ ... ومـــعـــجـــزاً لـنـاظـمٍ ونـاثـرِ
أتى به للناس خـــيـــر مـــرسلٍ ... نثـــرا بليـــغـــاً جـــاء خـــيـــر منزلِ

قال الأديب شرف الدين محمد بن موسى بن محمد المقدسيّ الكاتب المعروف بابن الوحيد يمدح أبا حيّان:

إليكَ أبا حـــيّـــانَ أعـــملتُ أيْنُقي ... وملِتُ إلى حـــيث الركـــائبُ تلتـــقي
دعاني إليكَ الفضل فانقدْت طائعا ... وبيّنتُ أحـــدوها بمحي المصـــدّقِ
وآليتُ لا ألوي على مـــتـــعـــذّرٍ ... وفـــارقت حـــتى لم أُبَل بالتـــفـــرّقِ
سريتُ وصُبْح الليل ما شقّ جيبه ... وأكـــمـــام نوّار الدجى لم تُفَـــتَّقِ
وللشـــهبِ ألحـــاظٌ مِراضٌ كـــأنُّهـــا ... تُلاحظني من خلف سِـــتـــرٍ مـــعلّقِ
على كلِّ مـــفـــتـــول الذراعين بازل ... سليم الشظا عـــالي السنام مـــؤنّقِ
إذا ما انحنى قوسا وقد زُمَّ للسرى ... تراني منه مـــثلَ ســـهمٍ مـــفـــوّقِ
وســـمتُ به خـــدَّ الثـــرى فكأنّني ... أجلتُ يراعَ الخطِّ في صفح مهرَاقِ
ولا صـــاحبُ الأقـــوادِ فـــيـــه مـــشـــيّعٌ ... بعـــزمٍ كـمـــاضـي الشـفـــرتين مـــدلّقِ
ومـا زلتُ أطوي شـقـة الليل ناشـراً ... لـــواء ولاءٍ بـــالـــثـــنـــاءِ مـــــخـــلَّقِ
وأســـتنشئ الأرواح من كلِّ وجـــهـــةٍ ... وأســـتـــافـــهـــا مـــا بين غـــرب ومشـــرقِ
إلى أن بدا في خُفـيـة عـالم الهدى ... فـــاقبلتُ خـفّـــاق الردا غـــيـــر مـــخفَّقِ
وكيف وقد ألقيتُ في سـاحة الغنى ... عـــصـــاي وباينت الذي كنت أتقي
وعــاينتُ بشــراً بالأمــاني مــبشّــراً ... كـــمـــا الغـــيث تلو البـــارق المتـــألّقِ
هناك أنختُ العيسَ مـهزولة الذُّرى ... خـمـاصَ الحـشـا تخديه بحث تورّقِ
فسرَّحتها في سابغ البرد أخضر ... وأنهلتـــهـــا من ســـابغ الورد أزرقِ

وقلت لهــا لا راعك اليــوم رائع وقــد قلْتِ فـي ظلّ الإمــام المحــقّقِ
كـذا أروع رحب الدسـيـعـة مَـدْرَهُ جــمــيل الثنا عـذب الفكاهة ريّقِ
كغصنِ النقا الريّانِ يعطو بسالفٍ مــــحلًى بـأزهارِ الـثـنـاءِ مطـوّقِ
فــتىً فتن الإنســانَ حـسن بيــانه ولا غروَ من يعرض له الحسن يعشقِ
رقيق حواشي الهزل في جد حـازم متـى قال في الحالين قولا يصدّقِ
رزين حـصـاة العلم لا يسـتـفـزّه إلى سـفــهٍ تنمـيق قــول ملفّقِ
خصيب فناء الضيف دانٍ سحابه بعـيـد المدى غـمـر الرداء مـوفّقِ
تقيّ نقيّ طاهر الجـيب مــخلصٌ ومـا كلّ مـا يعزى إليه التقى تقي
جـواد حـوى غـايات كلّ فـضـيلة يقــصّــر عنا عــزم كلّ مــحلّقِ
لـه مــرتقى فـي كلّ يوم إلى عُــلا يقــول له مـــهــلا إلى أين ترتقي
ولكنّه يدنيـــــه فـــــرط تواضعٍ ولا ضـعـة حـاشـاه يد في الموثّقِ
رأى زهرة الدنيا فـعف وعافـهـا وخلّى ذكـاهـا للخليّ المـخـرقِ
ولا وأبي العليـاء مـا اقـتـاد لبّـه نزوعٌ إلى حسن الغزال المقرطقِ
بلى ربّمـا ألفـيـتـه مـتـغـزّلا لإعطاء حكم النظم حقَّ التـأنّقِ
وإلا فـمـا من شـأنه مـا يشـينه أبى الله أن يرضى الرذائل متقي
أضـاف إلى الخلق الوسيمِ خلائقا وسـامـا وليس الخُلْقُ مثلَ التخلّقِ
فما البدرُ وهو البدر في حسن وجهه بأحسنَ من وجهٍ بدا منه مشرقِ
فلو زاره الأعـشـى لأعـشـاه نوره ولم تسـتـمِـله بعـدُ نار المحلّقِ
هو البـحـر علمـا والجـواهر لفظه وذو الفضلِ من يختارهنّ وينتقي
تجـمّعَ فـيـه مـا تفـرق في الورى وحـسـبك منه جـمـع كلّ مـفـرّقِ
يشنّفُ أسـمــاعَ الرواة كـلامُـه بدُرّ نَفـيسٍ يبـهـر العينَ مـونقِ
فـرائد أضـحـت للزمـان قـلائدا يتـيـه بهـا تيـه الحـمـام المطوّقِ
يرنّح أغصـانَ القدود نسـيـمُـهـا ويفـعل فـعل البـابليّ المعـتّقِ

فهل لك في ورقاء تسجع في الضحى ... على فنَنٍ لدنِ المهـــزّةِ مـــورقِ
ومــا لجــرير أن يجيء بمثل مــا ... أتى نائم نظمـــا ولا للفـــرزدقِ
وما العربُ العرباء أولى بما حوى ... من الفضل لولا سبقهم غير سُبُّقِ
جرى سيبويه والخليلُ بن أحمد ... إلى غـــاية تنأى على كلّ مـــغلق
وفـاتهـمـا عـفـواً إلى ذلك المدى ... وما لحقا سعيا ومن سيعَ يلحقِ
عنى بمعـاني الأولين فـصـاغـهـا ... صـيـاغـة ندب بالصـواب مُنَطِّقِ
ورصّـــعــهــا من لفظه بجــواهر ... فـجاءت كما شاءت بأحسنِ رونقِ
ووفى كـتـاب الله بالعـدلِ فـيـه ... وصـدَّقـه والعـزّ عـزّ مـصـدّقِ
وتابع في حكمي كــتــاب وسنة ... وأخلـقْ بـه أن تابـع الحقُّ أخلـقِ
وقـد كـان لفظ النحـو فظّا فـحلّه ... إلى أن غـدا نطقا كـمـاء مُـرَقـرقِ
عـــبــارته تجلو براعـــتــه التي ... تجلّ لذي الطبـعِ السليمِ المدقّقِ
يشقّ على الأيّامِ إتيـــانهـــا بما ... أتانا به ضـــمن الكلام المشـــقّقِ
مـعـالي مـعـانٍ كـالنجـوم سـوافـرا ... فـلا حـيرة تخشى ولا حـائل بقي
بيـان هو السـحـر الحـلال ومـثله ... حـرام على الفـدم الكثير التشدّقِ
أتانا به طبـــعـــا بغـــيـــر تكلّفٍ ... فــلا مــا يضــاهيــه من الـهمّ لقي
ولا غروَ أن شقُّ العصا عندما عصى ... عليـه ومن ناوأ سـعيداً فـقد شـقي
أتى بفـصـيح فـيـه أسّ كـفـاية ... لمن كـــان ذا ذهـنٍ ذكيّ مُـــرَوَّقِ
فإيضـاحه لم يعتبر نصّ فـصّه ... لتكملةٍ أنّى ولا نقص ملتـــقي
وكم جملٍ أضحى المفصّل دونها ... ومن دونه العقيان والجوهر النقي
فمن يأته مستفتحاً بابَ فضله ... يجـدْ بابَه عن مـثله غـيـر مـغلقِ
ومن يكُ ذا قلبٍ بكيٍّ قليـــبُـــه ... يَسلْه يَسِل كـالعـارض المتـدفّقِ
ولا شكَّ أن العلمَ بحـرٌ ومن يخُضْ ... بلا خبـرةٍ بحـراً مع الحَبْـرِ يغـرقِ
تفـــقّـــه لتـــدري أنّه ذو درايةٍ ... وتعلمَ أن الفـقـه غـيـر التـفـيهقِ

وحـســبُك منه أنّه في ذُرى الـعــلا — أخـو حـسَبٍ زاكي الأرومـة مُـعـرِقِ
يـبـالغ فـيـه ذو الـبـلاغـة مـادحـا — فـيـرجـع عنه مـقـحَـمـا كلُّ مـغـلقِ
وإنّي وإن لم أستطع وصفَ وصفه — لجـــارٍ على نـهجِ الطريقِ المطَرَّقِ
حـديثي قـديم في هواه ومن هنا — تشـــوُّقَ قلبي نحــوه وتشـــوّقِ
ثنائي على عُلياه غـيـر مـقـيّـدٍ — ولكنَّ حـبّي فـضله غـيـر مطلقِ
ثناء هـو المسك الـعــتـيـق لناشقٍ — وها هو مملوء به كلُّ مـــعـــتّقِ
عناني فـــيـــه مـــا عناني وهـأنا — أمــزِّقُ عــمــري فـيــه كلُّ ممزقِ
ولكنني قـــد عـــاقني لَكَنٌّ فـــمـــا — يطيق فمي حـصـر به وهو مطوّقي
عـــلا قـــدره عند اتســـاعِ نطاقـــه — فـمـا قـدر مـا يأتي به ثم منطقي
ومن يكُ ذا باعٍ وســـيعٍ يعـــدْ به — تبـاع إلى باعٍ عن الوصفِ ضـيّقِ
تعبّر بالإحـسـان حرّ مدائحي الـ — حـسـان فكلّ رقّـه غـيـر مـعـتّقِ
سقى الله جـيّانا ومـا ضمَّ تربُها — من الفضل والإفضال أفضل ما سقي
وحيّار باهى بالحيا غيـر مقيدٍ — لتــخــتـالَ في وشي الربيع المنمّقِ
فكم أنبـتتْ فـرعـا كـريماً نجـاره — وكم أطلعت خـرقا بدا غيـر أخـرقِ
حبتنا بنعمى لو حبتها ابن بابك — لأربى على النعمـانِ ربِّ الخـورنقِ
وحسبُك منها أنَّ هذا ابنُ يوسف — مـحـمـدُ منها قس على ذاك أوسقِ
وسـاحـبـة فـوق الـسـحـاب ذيولـهـا — بمدحٍ مـتى يعلق به الفمُ يعـبقِ
أتتك أثيـرَ الدينِ خـجلى وإنّمـا — أثار الهوى منها جوى غيـر ملحقِ
فلفّت مـحـيّـا لا حيـاءً وشـوقـهـا — ينازعـهـا شـوطا ومن يُجْفَ يشـتقِ
فإن سـاقـهـا مـا سـاقـهـا فـحـياؤها — ينهنـهـا والعين تزجـو وتسـتـقي
ولكنُّهـا قـد رجُـحـت حين ظنُّهـا — بصـفـحك عن تقـصيرٍ لا المتـحـقّقِ
فـجـاءتك تسـتـعفي وعفـوك شـاملٌ — شمول رضاك المرتجى غير محنقِ
ومـــا هي إلا بكر فكر أتى بهـــا — أخـو ثقـةٍ لم ينتـهك عـقـد مـوثقِ

فـدونكهـا بكراً بخـاتم ربّهـا مـبـرأةً من كل أمـرٍ مـعـوَّقِ
ولا تعدُ أن تفتضَ عـذرتهـا فـإن حـلا ذوقـهـا فـاسـتـبقِ أو لا فطلِّقِ
وإن يـأتك الخِلُّ القـديمُ بـخلَّـةٍ فما سدُّها صعبٌ على صفح مشقق
وما كنتُ ممن يبتغي منك غير ما عـهـدتُ من الودِّ الذي كنت ألتـقي
فـجـدْ لي به فـمـا زلتَ فـاعـلاً ليصـبح مرفـوعاً على كلِّ مـفـرَقِ
وتمسي مـسـتـثنى من الناسِ كلِّهم بما حـزتَ من شكرٍ وأجـرِ مـحـقَّقِ
نصبتَ على التمييزِ والحال هذه بخفضٍ جهول جامد الطبع أحمقِ
يزيد على فـرط الحـشـا منك خلّة يُصـرِّفـهـا بينَ الرضى والتـملّقِ
وربّتـمـا أبدى غنى عنك وهو إن تـأملتـه ألفـيـتـه جلَّ مملقِ
يُنفَقُ لكن بالنفـاق بضـاعـةً على زعـمـه من نـافقَ الناسِ ينفُقِ
يُرفّع رأسـا بينَ أبناء نوعـه فـإنْ يرَ أربابَ الرياسـة يطرقِ
وما كنت من يخفى عليك خداع من يريك جـديد الغـدر ليس بمخلقِ
ولكن تزيد صفحة الصفح مغضيا فـيـفـتح بالإغـضـاء لا عن تحـقق
بقـيت على رغم العـداة أخـا عُـلا ولا عـاش من يشنأ عـلاك ولا بقي

وفي تذكرة ابن مكتومٍ ومن خطِّه نقلتُ، قال: أنشدني شيخنا الأستاذ أبو حيّان لنفسه[1]، وكتب بها إلى القاضي الأديب البارع أمير الدين شافع بن علي يستدعي منه كتابَ الترشيح في النحو لخطّاب الماردي:

أيا من حـوى الآدابَ طرًّا ونـالهـا وحـاز المعـالي قـدُّها وتوامـهـا
علوم لسـانِ العُـرْب مـولاي سنة إلى ذهنك الوقّـاد ألقت زمـامـهـا
لأقـبلْت النحـو تقـرئ كـتْـبـه فأصبحت فينا شيخها وإمامها
وأبديت من علم البـديع بدائعـا يُحَـسِّن منهـا نثـرها ونظامَـهـا

(١) لم ترد القصيدة في ديوانه.

وما أُلغيت منك اللغات فقد تحدُّ ... ث اليست حوشي ينير ظلامها
أتنيت لأصحاب البيان بوارقا ... أيّانَ قضى تحيا وما هو سامها
قوفت القوافي والعروض تعرضت ... فأغربت إذا أعربت منها انعجامها
إلى شافعٍ أرسلتُ نظمي شافعا ... فكنتُ كمن أهدى لسحبٍ سجامها
ومن نحنُ إلا أسهمٌ هو رأسُها ... وما نحن إلا أعضُبٌ هو سامها
وإن زعموا أنَّ السهام مصيبةٌ ... فما بمصيب غير من قد أقامها

فكتب إليه ناصر الدين شافع المذكور، قال ابن مكتوم: وأنشدنيها أيضاً:

فضضتَ عن العذبِ النمير ختامَها ... وفتَّحتَ عن زهر الرياض كمامَها
وبادرتها باللثم رفعا لقدرها ... وإنّي أرى حقا عليَّ التثامها
وراق لسمعي لفظها حين شافهت ... فلله ما أجلى وأحلى كلامَها
تنسمت منها نسمةً أدبية ... فأنعشت لما أن غذيت انتسامها
وشاهدتُ منها صورة عربيّةً ... فتنت بها لما أمطت لثامها
أتتني أثيرَ الدين منك قصيدةٌ ... أتاني نذير العجز منها أمامها
وها أنا قد جاوبتُ عنها بديهةً ... مع العلم أني لا أقوم مقامَها
ومن ذا يجاري في القريض مبرزا ... إذا اصطفَّت الأبطال كان إمامها
تمر على الأكباد أبياتُ كالذي ... تعبت بها نحوي فتشقى أوامها
وتجتاز بالأسماع منها بدائع ... فتُبري من القلب العيي سقامها
وبادهتنا في نظمه فشدهتنا ... فلم نستطع تأليفها وانتظامها
طربت وقد شاهدت حسنَ ابتلاعها ... وهمت بها لما رأيت انسجامَها
تضوّع منها نشرها حين فاجأت ... ولم يغنِ ظبيٌ رام منه اكتناهها
رويت لنا السحرَ الحلالَ ولم يكن ... لترضى من الأقوال زهدا حرامَها
سلكتَ أبا حيّان طُرْق فضائل ... يعزّ علينا أن نروم اقتحامها
إذا أظلمت يوما علينا قضية ... فمن ذهنك الوقّاد نمحو ظلامها

وإن نار بحثٍ أُضرِمت بين معشرٍ … غدونا بما تبديه نطفئ نارها
تجالد في يوم الجدال لحجّة … فتصلت من غمد الشفاه حسامها
إذا ما بدا في محفل البحث ضيغم … رأى عندما يشتدُّ منه همامها
محاضرة تلهي العقول وإنّها … لتنشئ شرْب الشرْب لطفا مدامها
إذا رضي الإعجاز عجزا مسايرٌ … ليركبها لم ترضَ إلا سنامها
فلا زلت تحيي للعلوم معالما … مدى الدهر رشفي من سواك اهتدامها

فلم يرسل الكتاب، فكتب إليه مرة أخرى بأبيات أخرى، فلم يرسله، فنشأت بينهما وحشة أفضت إلى المقاطعة.

وكتب يحيى بن مكيّ الإسكندرانيّ النحويّ إلى الإمام أبي حيان:

ضيفٌ ألمَّ بنا من أبرعِ الناسِ … لا ناقضٌ عهدَ أيامي ولا ناسي
عارٍ من الكِبْرِ والإدناسِ ذو شرفٍ … لكنّه من سرابيل العلا كاسي
وافى فوفّى على شطِّ المزار بما … ينبيك عن طيب أعراقٍ وأغراسِ
لم يفنه طول بُعْد العهد عن مِقتي … ولا ودادي ولا أنساه إيناسي
لقد تعرّف لي لما تنكّر لي … صرف الزمان لشيبٍ حلَّ في راسي
حتى توهّمتُ أيام الصبا رجعت … ووجه جدّي طلقاً غيرَ عباسي
أهدى إليَّ من النظم البديع ومن … نثاره جوهر مامسَّ بالماس
ومن غريب أفانينِ الفضائل ما … ظننتُ أنَّ سناه ضوء مقباسِ
تميل من طرب أعطاف سامعه … كأنّه للطلا من سمعه حاسي
حيّا فأحيا أبو حيّان من أملي … ما كنت من قربه مني على ياسِ
وبلَّ فرطَ أوامي من لقاه بما … لولاه ما خمدت نيران أنفاسي
وكم هممتُ بطي البيد منفرداً … شوقا إليه بعزمٍ غير نوّاسِ
فالآنَ أسعفني دهري برؤيته … وشدَّ من بعد نقص الحظِّ أمراسي

يا بحر علمٍ غدت بالثغر طافحةً ... أمواجه وهو طود بالحجى راسي
لولا حلاك لأضحى المصر ذا عطل ... وأربع من فنون العلم أدراسي
خذها إليك وسامح فكرة بليت ... بكلِّ قلبٍ على أهل النُّهى قاسي
وإن تحاورْ أبا حيان ذا مقة ... تجد أخاكَ وما بالجوِّ من باسي

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يمدح أبا حيان:

قد قلت لما أنْ سمعت مباحثا ... في الذات قرّرها أجلّ مفيدِ
هذا أبو حيان قلت صدقتم ... وبررتم هذا هو التوحيدي

وجاء أبو حيان يوما إلى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل، فلم يجده، فكتب بالجبص على مصراع الباب أبو حيان، فلما رأى ذلك ابنُ الوكيل، قال:

قالوا أبو حيان غير مُدافع ... ملك النحاة فقلت بالإجماعِ
اسم الملوك على النقود وإنني ... شاهدت كنيته على المصراعِ

وقال الصلاح الصفديّ يمدح أبا حيان:

لو كنت أملك من دهري جناحين ... لطرت لكنّه فيكم جنى حيني
يا سادة نلت في مصر بهم شرفا ... أرقى به شرفا تنأى عن العينِ
وإن جرى لسما كيوان ذكر عُلا ... أحلني فضلهم فوق السماكينِ
وليس غير أثير الدين أمّله ... فسادَ ما ساد لي حقا بلا مينِ
حبر ولو قلت إنَّ الباء تبتها ... من قبلُ صدَّقك الأقوام في ذَينِ
أحيا علوما أمات الدهر أكثرها ... مذ جُلّدت صارت ما بين دفينِ
يا واحدَ العصر ما قولي بمتهم ... ولا أحاشي امرأ بين الفريقينِ
هذي العلوم بدتْ من سيبويه كما ... قالوا وفيك انتهت يا ثاني اثنينِ
قَدُمْ لها وبودّي لو أكون فدا ... لما ينالك في الأيامِ من شينِ
يا سيبويه الورى في الدهر لا عجب ... إذا الخليل غدا يفديك بالعينِ

قال الصلاح الصفديّ: أنشدني من لفظه العلامة أثير الدين أبو حيان قصيدته الداليّة التي ذكر فيها الخليلَ وسيبويه، ومدحهما، وأطنبَ في مدح سيبويه، وذِكر مسألته الزنبوريّة، وما دار بينه وبين الكسائيّ، وتعصّب أهل بغداد عليه، وهي مائة وعشرة أبيات، وهي هذه[1]:

هو العلم لا كالعلمِ شيءٌ تراودهْ ... لقد فاز باغيه وأنجح قاصدُهْ

وما فضل الإنسان إلا بعلمه ... ولا امتاز إلا ثاقب الذهن واقدُهْ

وقد قصُرت أعمارنا وعلومنا ... يطول علينا حصرها ونكابده

وفي كلّها خير ولكنّ أصلها ... هو النحو فاحذرْ من جَهول يعانده

به يعرف القرآن والسُّنّة التي ... هما أصل دين الله ذو أنتَ عابده

وناهيك من علمٍ عليٍّ مشيَّدٍ ... مبانيه أعززْ بالذي هو شائده

لقد حاز في الدنيا فخاراً وسؤدداً ... أبو الأسودِ الديليّ خير سانده

هو استنبط العلم الذي جلّ قدره ... وطاب به للعرب ذكر يعانده

وساد عطاء نجله وابن هرمزٍ ... ويحيى ونصر ثم ميمون ماهده

وعنبسة قد كان أبرع صحبه ... فقد قلّدت جِيد المعالي قلائده

وما زال هذا العلم تنميه سادةٌ ... جهابذةٌ تُبلي به وتعاضده

إلى أن أتى الدهر العقيم بواحدٍ ... من الأزد تنميه إليها فراهده

إمام الورى ذاك الخليل بن أحمد ... أقرَّ له بالسبق في العلم حاسده

وبالبصرة الغراء قد لاح فجره ... فنارت أدانيه وضاءت أباعده

بأذكى الورى ذهنا وأصدق لهجةً ... إذا ظنّ أمراً قلت ها هو شاهده

وما [أن] يُروّي بل جميع علومه ... بدائهُ أعيت كلّ حبر يجالده

---

(١) لم ترد هذه القصيدة في ديوانه، وقد عثرنا عليها سابقاً في كتاب الإحاطة، ونوّهنا إليها، ورجّحنا أنها رسالة فضل النّحو المذكورة في ثبت تصانيف أبي حيان. انظر: من تاريخ النحو العربي شعراً، دالية أبي حيان الغرناطي، مجلة تراث، الإمارات العربيّة المتحدة، ع ١٤، ٢٠٠٠، ٢٨-٣٠.

هو الواضع الثاني الذي فاق أوّلا ... ولا ثالثَ في الناسِ تُصمى قواصده
وقد كان ربّاني أهل زمانه ... صوّم قوّمٌ راكع الليل ساجده
يقسم منه دهره في مثوبةٍ ... وثوقاً بأنَّ الله حقّ مواعده
فعام إلى غزوٍ وعامٌ لحجّةٍ ... فيعرفه البيت العتيق ووافده
ولم تُثنِه يوماً عن العلم والتقى ... كواعب حُسن تستبي ونواهده
وأكثر سكناه بقفرٍ بحيث لا ... يناغيه إلا عفرُهُ وأوابده
وما قوته إلا شعير يسيغه ... بماء قراحٍ ليس تغشى موارده
عزوفاً عن الدنيا وعن زهراتها ... وشوقاً إلى المولى وما هو واعده
ولما رأى من سيبويه نجابة ... وأيقنَ أنَّ الحينَ أدناه باعده
تخيَّره إذ قد كان وارثَ علمه ... ولاطفه حتى كأنْ هو والده
وعلّمه شيئاً فشيئاً علومه ... إلى أن بدت سيماه واشتدَّ ساعده
فإذ ذاك وافاه من الله وعده ... وراحَ وحيد الأرضِ إذ جاء واحده
أتى سيبويه ناشراً لعلومه ... فلولاه أضحى النحو عُطْلا مشاهده
وأبدى كتابا كان فخرا وجودُه ... لقحطانَ إذ كعب بن عمرو محاتده
وجمع فيه ما تفرّق في الورى ... فطارفه يعزى إليه وتالده
بعمرو بن عثمان بن قنبر الرضيَّ ... أطاعت عواصيه وثابت شوارده
به نظمت في إثر شتَّ عقوده ... وزينها من بعد شين فوائده
عليك قرآنَ النحو نحو ابنِ قنبر ... فآياته مشهودة وشواهده
كتاب أبي بشر فلا تكُ قارئاً ... سواه فكلّ ذاهب الحسن فاقده
هم خُلَّج بالعلم مدت فعندما ... تناءت غدت تزهي وليست تشاهده
ولا تَعْد عمّا حازه إنَّه الفرا ... وفي جوفه كلّ الذي أنتَ صائده
إذا كنت يوما محكما لكتابه ... فإنَّك فينا نابه القدر وماجده
ولست تبالي إن فككت رموزه ... أعضّك دهرٌ أم عرتك شدائده

هو العَضْبُ إنْ تلقَ الهياج شَهْرتَها ... وإلا تصب حربا فإنَّك عامده
تلقَّاه كلٌّ بالقبول وبالرضى ... فذو الفهم من تبدو لديه مقاصده
ولم يعترض فيه سوى ابن طراوة ... وكان طريًا لم تقادم معاهده
وجسَّره طعن المبرّد قبله ... وإنَّ الثماليَّ بارد الذهن جامده
هما ما هما صارا مدى الدهر ضحْكة ... يزيِّف ما قالا وتُبدى مفاسده
تكون صحيحَ العقل حتّى إذا تُرَى ... تباري أبا بشر إذا أنتَ فاسده
يقول امرؤ قد خامر الكِبْرُ رأسه ... وقد ظنَّ أنَّ النحو سهل مصاعده
ولم يشتغل إلا بنزر مسائل ... من الفقه في أوراقه هو راصده
وقد نال بين الناسِ جاها ورتبة ... وألهاه عن نيل المعالي ولائدُه
وما ذاق للآداب طعما ولم يبت ... يعنّى بمنظوم ونثر يجاوده
فينكح أبكار المعاني وينتقي ... لها الكفْءَ من لفظٍ بها هو عامده
أرى سيبويه فيه بعض نكادةٍ ... وعجمة لفظ لا تحلّ معاقده
فقلت اتئد ما أنتَ أهل لفهمه ... وهل أنتَ إلا غائض الفهم راكده
لعمرك ما ذو لحية وتسمّت ... وإطراق رأس وانخفات تصاعده
فيمشي على الأرض الهُوينى كأنَّما ... إلى الملأ الأعلى تناهت مراصده
وإيهامك الجُهَّال أنَّك عالِمٌ ... وأنَّك فردٌ في الوجود وزاهده
بأجلبَ للنحو الذي أنتَ هاجرٌ ... من الدرس بالليل الذي أنتَ هاجده
أصاحِ تجنَّب من غَويٍّ مُخَذَّلٍ ... وخذ في طريق النحو أنَّك راشده
لك الخير فادأب ساهراً في علومه ... فلم تشمْ إلا ساهرُ الطرف ساهده
ولا ترجُ في الدنيا ثوابا فإنَّما ... لدى الله حقًا أنتَ لا شكَّ واجده
ذوو النحو في الدنيا قليل حظوظهم ... وذو الجهل فيها وافر الحظِّ زائده
لهم أسوة فيها علي لقد مضى ... ولم يلقَ في الدنيا صديقاً يساعده
مضى بعده عنها الخليل فلم ينل ... كفافاً ولم يعدم حسوداً يناكده

ولاقى أبا بشرٍ بشرّ سفيهُها — غداة تمالت في ضلال يعاوده
أتى نحو الأرون يناظر شيخه — وكان فتى والشيخ جمّ مكايده
فدسّ له يحيى وقد جمع الورى — بناد فوافى لا توانى واعده
سؤولا له عن معضل بان شيخه — ينقّحه حتى تبدّت مناكده
فأطرق شيئا ثم أبدى جوابه — بحقٍّ ولكن أنكر الحقّ جاحده
وكادَ عليّ عمراً إذ صار حاكما — وقِدْما عليا كان عمروٌ يكايده
سقاه بكأسٍ لم يُفِقْ من خمارها — وأورده الأمرَ الذي هو وارده
ولابنِ زيادٍ شركة في مراده — ولابنُ زيادٍ مشرك القلب مارده
هما جرّعا إلى عليٍّ وقنبر — أفاويق سُمٍّ لم تخذها ساوده
أبكي على عمرو ولا عَمْرَ مثله — إذا مشكلٌ أعيا وأعوز ناقده
قضى نحبه شرخ الشبيبة لم يُرَع — بشيبٍ ولم تعلق بذامٍّ معاقده
لقد كان للناسِ اعتناء بعلمه — بشرق وغرب تستنارُ فوائده
والآن فلا شخص على الأرضِ قارئ — كتابَ أبي بشرٍ ولا هو رائده
سوى معشرٍ بالغرب فيهم تلفّتٌ — إليه وشوق ليس تخبو مواقده
وما زال منا أهل أندلس له — جهابُذ تبدي فضله وتناجده
وإنّي في مصر على ضعف ناصري — لناصره ما دمت حيّا وعاضده
أثار أثير الغرب للنحو كامنا — وعالجه حتى تبدّت قواعده
وأحيا أبو حيّان ميت علومه — فأصبح علم النحو ينفق كاسده
إذا مغربيّ حطّ بالثغر رحله — تيقن أنّ النحو أخفاه لاحده
مُنينا بقومٍ صبّروا في مجالس — لإقراء علم ضلّ عنهم مناشده
لقد أخّر التصديرُ عن مستحقّه — وقدم غُمْرٌ جامد الذهن خامده
وسوف يلاقي من معي في جلوسهم — من الله عقبى ما أكنّت عقائده
علا عقله فيهم هواه أما درى — بأنّ هوى الإنسانِ للنار قائده

أقمنا بمصر نحو عشرين حجة　　يشاهدنا ذو أمرهم ونشاهده
فلما ننلْ منهم مدى الدهر طائلا　　ولما نجِدْ فيهم صديقا نوادده
لنا سلوة فيمن سردنا حديثهم　　وقد يتسلّى بالذي قال سارده
أخي إن تصل يوما وبُلِّغتَ سالماً　　لغرناطة فانقل لما أنال عاهده
وقَبِّلْ ثرى أرضٍ بها حلَّ ملكنا　　وسلطاننا الشهم الجميل عوائده
مبيد العدى قتلا وقد عمَّ شرهم　　ومحيي الندى فضلا وقد ذُمَّ هامده
أفاض على الإسلام جودا ونجدة　　فعزَّ مُواليه وذلَّ معانده
وعمّ بها إخواننا بتحيّة　　وخُصَّ بها الأستاذ لا عاش كائده
جزى الله عنا شيخنا وإمامنا　　وأستاذنا الحَبر الذي عمَّ فائده
لقد أطلعت جيّان أوحد عصره　　فللغرب فخر أعجز الشرق خالده
مؤرِّخه نحويّه وإمامه　　محدِّثه صحّت وجلّت مسانده
نماه عظيمٌ من ثقيف وإنّما　　به استوثقت العُرى ومساعده
له نسبة كعبيّة عاصميّة　　زبيريّة طالت وطابت موالده
إذا جاهلٌ يغشاه فهو معلِّمٌ　　وإن أملَ يعشو إليه فرافده
وما أنسَ لا أنسى سهادي ببابه　　لسبق وغيري نائم الليل راقده
فيجلو بنور العلم ظلمة جهلنا　　ويفتح علما مغلقات وصائده
وإني وإن شطت بنا غربة النوى　　لشاكره في كلِّ وقتٍ وحامده
بغرناطة روحي وفي مصر جثتي　　ترى هل ينبئ الفرد من هو فارده
أبا جعفر خذها قوافي من فتى　　تتيه على غُرِّ القوافي قصائده
يسير بلا إذنٍ إلى الأذن حسنُها　　فيرتاح سماع له ومناشده
غريبة شكل كم حوت من غرائب　　مجيدة أصل أنتجتها أماجده
فلولاك يا مولاي ما فاه مِقْولي　　بمصر ولا حبّرتُ ما أنا ناضده
لهذبتني حتى أحوك مفوفا　　من النظم لا يبلى على الدهر أبده

وأذكيت فكري بعدما كان خامدا ... وقيدت شعري بعدما ندَّ شارده
جعلت ختاما فيه ذكرك إنَّه ... هو المسك بل أغلى وإن عزَّ ناشده

وقال أبو حيّان يمدح الإمام الشافعيّ رضي الله عنه[1]:

غُذيت بعلم النحو إذ درَّ لي ثديا ... فجسمي به ينمى وروحي به تحيا
وقد طال تضرابي لزيدٍ وعَمْرهِ ... وما اقترفا ذنبا ولا تبعا غيّا
وما نلتُ من ضربيهما غير شهرةٍ ... بفنٍّ وما يُجدي اشتهاري به شيا
ألا إنَّ علم النحو قد باد أهلُه ... فما أن ترى في الحيِّ من بعدهم حيًا
سأتركه ترك الغزال لطلّه ... وأتبعه هجرا وأوسعه نأيا
وأسمو إلى الفقه المبارك إنَّه ... ليرضيك في الأخرى ويحظيك في الدنيا
هل الفقه إلا أصل دين محمد ... فجرِّد له عزما وجدِّد له سعيا
وكن تابعا للشافعيِّ وسالكاً ... طريقته تبلغْ به الغاية القُصيا
ألا بابن إدريس قد اتضح الهدى ... فكم غامض أبدى وكم دارس أحيا
سَميِّ الرسول المصطفى وابن عمِّه ... فناهيك مجدا قد سما الرتبة العليا
هو استنبط الفنَّ الأصوليَّ فاكتسى ... به الفقه من ديباج إنشائه وشيا
فقسَّم ألفاظ اللسان لظاهر ... ونصٍّ وتأويل لما فهمه أعيا
وفصَّل إجمالا وقيَّد مطلقا ... وخصَّ عُموما بالشروط وبالثنيا
وبالوصف والغايات والعقل خمسة ... وباليد لين وانتحى الأمر والنهيا
بفعل وتركٍ جازمين فإن يكن ... دليل لغير الجزم وافقه رعيا
وما كان في موضوعه حقيقة ... وما لا مجاز ذو ابتعاد وذو دنيا
فقالوا تريد حلَّ في رأسي أغصن ... وحمرة خد قد حمى الشفة اللميا
له النثر والنظم الذي سار ذكره ... فلا لحنَ فيه ينتحيه ولا عيًا

(١) ديوان أبي حيان: ٤٨٤-٤٨٥ والقصيدة فيه غير كاملة، ولم يرد منها إلا الأبيات الأحد عشر الأولى في تكملة الديوان.

وكم حِكمٍ قـد قُـيِّـدت من كـلامـه ... كـأنَّ بـهـا لقـمـان عـاد المحـيّـا
تـآليـــــفـــــه نور ونـورٌ لـناظر ... فقد أشرقت شمسا وقد عبقت رَيّا
ولو لم يكن منهـا سـوى الأمّ إنُّهـا ... لقـد أنجـبت وُلداً ودرُّت لهم ثديا
فـأولادها الأعـلام في كلِّ مـوطنٍ ... أضاءت بهم من نور إشراقها الدنيا
عليم بتنقـــاد المذاهب لا ترى ... أخـا مـذهب إلا يلاقي به وحـيـا
سـخيٌ يحـاكي الجـود جـود بنانه ... فليس لما قـد حـاز من عـرض ثنيـا
تقيٌ نقـيٌ يسـتـجـاب دعـاؤه ... إذا المحلَ خفناه وجدنا به السقـيا
شـجـاع فلو لاقى خـمـيسـا لقلّه ... فـيطعن من ولّى ويأسـر من عَـيًّـا
به ازدانت الدنيـا وزيّن أهلهـا ... فـقلد أجـيـاد الوجـود به حَليـا
وقد كان أصحاب الحديث ذوي كرى ... فـحـرُك من أغـفى ونبُّـه ذا الرؤيا
وأجـرى لـهم عين المبـاحث ثرّة ... يفيء عليـهـا الظلّ تبـيـانه فـيّـا
وصـاروا ذوي بحثٍ وفـهمٍ وبالذي ... تقـرر من قـول الأصـول رووا ريّا
ومن ظنٌ أن الفـقـه نقل مـجـرّد ... بغـيـر دليل فـهـو ذو مقلة عـمـيـا
وعلم أصـول الفـقـه والنحـو واللغا ... أداة لعلم الفـقـه يشـتـارها أريا
فـيحلو ويعلو من غدا حـاليـا بهـا ... وعـاطلهم يجني بتـخليطه شـريا
شـأى الشـافـعيّ الناس دينا ودربة ... وذهنا به يفـري مـذاهبـهم فـريا
وناظر أعـــلام الزمـــان فـسل به ... عـمـيد بني شـيـبـان فـاو به لقـيـا
أعـــار له في ليلة كـــتـــبـــا له ... فما أسحرت حتى أحاط بها وعيا
أبرُّ عليـه في مـسـائل كـتـبـه ... فـأذكـره مـا كـان منهـا له نسـيـا
وأفحم بِشرا في اللغا والزبير في ... غرائب أنسابٍ فـأسكت واستحيا
وشـعـر هذيل صـحّح ابن قـريبـهم ... عليـه فكم ميت بتـصـحـيـحـه حـيًـا
جـرى وجـرى ناس لأبعـد غـاية ... فـأحـرزها إذ كـان قـد بذُهم جـريا
ولما ترامـوا للمـعـالي وسـابقـوا ... إلى غَـرَض كـفّـوا وسـابَقَـهم رمـيـا

وكان إمام العصر أحمد عالما ... جلالته إذ كان يجهله يحيا
فقالت له لو كنت تعرف قدره ... سعيت إلى تقبيل راحته سعيا
ويحيى وما يحيى وما ذو رواية ... وما إن ليحيى ذكر علم به يحيا
سوى ثلب أقوامٍ مضوا لسبيلهم ... سيسأل عنها حين يسأل عن أشيا
وما ضرَّ نور الشمس إذ كان ناظرا ... إليه عيون لم تزل دهرها عميا
وكان الإمام الشافعيّ معظّما ... إليه انتهت في عصره رتبة الفتيا
فما كان مفراحا بمال يصيبه ... ولا أسيا حزنا لما فات من دنيا
ولا راقه حسنٌ ولا شاقه هوى ... إلى وجنة حمراء أو شفة لميا
ولكنّما حِفْظ الشريعة همه ... وتوضيحه ما كان منها لهم خفيا
حكيم قريشٍ في صميم نصابهم ... صحيح انتسابٍ لا ولاء ولا سبيا
ولما أتى مصر انبرى لإذائه ... أناس طووا كشحا على بغضه طيّا
أتى ناقدا ما حصلوه وهادما ... لما أصّلوا إذ كان بنيانهم وهيا
فدسّوا إليه عندما انفردوا به ... شقيّا لهم مثل الإله له يديا
فشجَّ بمفتاح الحديد جبينه ... وراح قتيلا لا بواء ولا نعيا
بلى قد نعاه العلم والدين والحجى ... وترداد صوت في الدجى يسرد الوحيا
وكان شهيد الدار ثاني شهيدها ... ومن أهل مصر كان قتلهما بغيا
سما روحه لما قضى نحبه ضحى ... إلى العالم العلويّ يسري به سريا
إلى جنة يحيا بها عند ربّه ... له رزقه فيها مع الشهدا الأحيا
فرعيا لعلم كان أتحفنا به ... وسقيا لقبر ضمَّ جثمانه سقيا

وقال أيضا يمدح البخاريّ(١):

أسامعَ أخبار الرسول لك البشرى ... لقد سُدْتَ في الدنيا وقد فزتَ في الأخرى
يشنّف أسماعا بعقد جواهر ... تود الغواني لو تقلّده النحرا

(١) ديوان أبي حيان: ٤٥٢-٤٥٤.

جـواهركم حلّت نفـوسـا نفيـسـة فـحلّتْ بها صـدرا وجلّت بهـا قدرا
هـل الدين إلا مـــا روته أكـــابر لنا نقلوا الأخـبـار عن طيب خـبـرا
وأدوا أحـاديث الرسـول مـصـونة عن الزيف والتحريف فاستوجبوا الشكرا
وإنَّ البـخـاريَّ الإمـام لجـامع بجـامـعـه منهـا اليـواقـيت والدُّرّا
على مـفـرق الإسـلام تاج مـرصَّعٌ أضـاء به شـمـسـا ونارَ به بدرا
وبحـر علوم بلفظ الدرّ لا الحـصى فـأنفسْ بهـا درًا وأعظمْ به بحـرا
تصـانيـفـه نور ونور لناظر فقد أطلعت[1] زُهرا وقد أينعت زَهرا
نحـا سُنة المختـار ينظم شتَّـها يلخصـها جمعا ويخلصـها سبرا
وكم بذل النفس المصـونة جـاهدا فـجـاز بها بحـرا وحـاز بها أجـرا
فطورا عـراقـيًا وطورا شـامـيـا[2] وطورا حـجـازيًا وطورا أتى مصـرا
إلى أن حوى منها الصحيح صحيحه فوافى كتابا قـد غدا الآية الكبرى
كـتـاب له من شـرع أحـمدَ شِرعة مطهرة تعلو السـمـاكين والنَّسـرا

وقال أيضاً[3]:

وزهدني في جـمـعي المال أنَّه إذا ما انتهى عند الغني فارق العمرا
فـلا روحـه يومـا أراح من العنا ولم يكتسب حـمدا ولم يدخر أجـرا

قال القاضي تاج الدين بن السبكيّ في الطبقات الكبرى: قال شيخنا أبو حيّان في الارتشاف[4]: ركّبَ أبو العباس بن شُريح ما دخلت عليه (لو) تركيبا غير عربيّ، فقال:

ولو كلَّمـا كلبٌ عـوى مِلتُ نحـوه أجـاوبه إنَّ الكلابَ كـثـيـرُ

(١) في الديوان: أشرقت. انظر: ٥٣.
(٢) في المصدر نفسه: يمانياً. انظر: ٥٤.
(٣) المصدر نفسه: ٤٥٢.
(٤) الكلام في الارتشاف بمعناه تقديماً وتأخيراً لا بنصّه. انظر: ٤/١٨٩٨-١٩٠٤.

ولكن مـبالاتي بمن صـاح أو عـوى قليلٌ لأنّي بالكلابِ بصـيـرُ

ولم يبيّن وجه خروج أبي العباس عن اللسان في هذا، فإن أراد تسليط حرفِ (لو) على الجملة الاسميّة، فهو مذهب كثير من النحاة، منهم الشيخ جمال الدين بن مالك، جوزوا أن يليها اسم، ويكون معمول فعل مضمر مفسَّر بظاهرٍ بعد الاسم، وربّما وليها اسمان مرفوعان. انتهى.

ومثال ما إذا وليها اسم ما روي في المثل من قولهم: "لو ذاتُ سِوارٍ لطمتْني"، وقول عمر: "لو غيرُكَ قالها يا أبا عبيدة"، وقال الشاعر:

أخِلاّي لو غيرُ الحِمام أصابكم عتبتُ ولكنْ ما على الدهر مَعْتَبُ

وقال آخر:

لو غيرُكم عَلِقَ الزبيرُ بحبله أدى الجوار إلى بني العوّامِ

فالأسماء التي وليتها (لو) في هذا كلّه معمولة لفعل مضمر يفسّره ما بعده، كأنّه قال: ولو لطمتني ذاتُ سِوار لطمتني، وكذا نقول في قول أبي العباس، المعنى: ولو كان كلّما عوى، يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قلْ لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّي﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٠٠] ولا يلزم من ردِّ أبي حيّان لهذا المذهب ودعواه أنّه غير مذهب البصريين أن يكون مردودا في نفسه، وإن أراد حذف الجواب أو التقدير، ولو كلّما عوى كلب ملِتُ نحوه في إجابته لسئمت أو تعبت أو نحو ذلك لأنَّ الكلاب كثير، فقد نصَّ هو وغيره على جواز حذف جواب (لو) لدلالة المعنى عليه، وعليه قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٢٧] وشواهد كثيرة. انتهى.

وأقول: إنّما أراد أبو حيّان دخولها على كلّما الظرفيّة، ولم يعهد ذلك، ثم في التقدير الذي قدّره ابن السُّبكيّ نظر، فإن كان لم يذكر في الحدّ حتى تضمر قبلها، وشرط الفعل المضمر أن يفسّره ما هو مذكور بعده، ولو قدر: ولو ملِتُ كلّما عوى كلب ملِتُ نحوه، لكان أقرب، ثم إنَّ القاعدة أنَّ المضمر يكون بلفظ الخبر الواقع بعد الاسم

المبتدأ الواقع بعد (لو) كما قدّر: لطمتني، في: لو ذاتُ سِوار لطمتني، وتقدير: ملت، تقدير من لفظ جواب كلَّما، لا من خبر المبتدأ الذي هو عوى، مع ما فيه من دخول كلَّما على الجملة الاسميّة، وإنَّما تدخل على الفعليّة، نحو: كلَّما جاء زيدٌ أكرمته، فيظهر أنَّه خارج عن اللسان من ثلاثة أوجه. فتأمّلْ.

قال القاضي تاج الدين السُّبكيّ: منع الشيخ أبو حيان أن يقال: ما أعظمَ اللهَ، وما أحكمَ اللهَ، ونحو ذلك، ونقل هذا عن أبي الحسن بن عصفور احتجاجاً بأنَّ معناه: شيءٌ عظمّه أو حكّمه، وجوَّزه الشيخ الإمام الوالد محتجا بقوله تعالى: ﴿أبصِرْ به وأسمِعْ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٦] والضمير في به عائد على الله، أيْ: ما أبصرَه وأسمعَه، فدلَّ على جواز التعجّب في ذلك، وله في تجويز ذلك تصنيف أحسنَ القولَ فيه، وفي شرح ألفية ابن معطٍ لأبي عبدالله محمد بن الفاسيّ النحويّ، وهو متأخر من أهل حَماة، سأل الزجّاجُ المبرِّدَ: كيفَ تقولُ: ما أعلمَ اللهَ، وما أعظمَ اللهَ، فقال: كما قلتَ. قال الزجّاج: وهل يكون شيءٌ علّم الله أو عظّمه؟ فقال المبرِّدُ: إنَّ هذا الكلام يقال عندما يظهر من اتصافه تعالى بالعلم والعظمة، وعند الشيء يصادف من تفضله، فالمتعجِّبُ هو الذاكر له بالعلم والعظمة عند رؤيته إياهما عيانا. انتهى.

قال ابنُ مكتوم في تذكرته: قال شيخنا أبو حيّان: لم يقع النداء في القرآن إلا بـ (يا)، فقلتُ له: قد جاء قوله سبحانه: ﴿يوسفُ أعرِضْ عن هذا﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢٩] بحذف حرف النداء، فلِمَ قلتَ إنَّ (يا) دون غيره من حروفه؟ فلم يُجِب بأكثر من أن يقدِّر (يا) حملاً على ما صرَّح به[1]. انتهى.

ونقلتُ من خطّ ابن مكتومٍ أيضاً، قال: أنشدنا أبو حيان أخبرنا أبو عبدالله محمد بن موسى بن النعمان المزاليّ الفارسيّ قراءةً مني عليه بثغر الإسكندريّة، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محارب القيسيّ سماعا، قال: أنبأنا أبو ذرّ

(١) السبب أنّ حرف النداء (يا) أصل حروف النداء، وسائر أخواته فروع، ومن صفات الأصل النحوي أنه لا يقدّر عند الحذف إلا هو؛ حفظاً لأصليّته وتأكيداً لانحطاط فروعه عنه.

مصعب بن محمد بن مسعود في كتابه لنفسه:

المرء إن قسته ملاكُ يدخله النقص والتمام
حياته كلّها خيالٌ زَوْرتُه في الكرى إلمامُ
إذا بدا للوجود حيّاً حُمَّ له عاجلا حِمامُ
فأعظمٌ قد كسين لحما وأعظمٌ في الثرى رمامُ
يُزهى وغصن الشباب نضرٌ ينشقّ عن زهره الكمامُ
يضحك للروضِ حين يبكي سحّا بأرجائه الغمامُ
إذا تَغَنّى الحمامُ سجعا يقتاده للهوى زِمامُ
والنُّوح أجدى عليه لا ما يندبهُ في الضحى الحمامُ
لا تقلقنَّ ذمة الليالي فشد ما يخفر الذمامُ
قد يسلم العاجز المعنّى ويهلك السيّد الهمامُ
ويأمن الريح غور حزوى ويتقي عصفها شمامُ
والناس في غمرة الخطايا ليس لهم في التقى إمامُ
ذنوبهم قيّدت خطاهم فلا وراءٌ ولا أمامُ
ما قانتٌ همُّه سجودٌ كنائمٍ ما له اهتمامُ
لا يستوي عالم وفدم هل يستوي النبعُ والثمامُ

ومن شعره أورده أبو القاسم علي بن جعفر بن القطاع في المُلَح العصريّة، وصاحب المغرب[(١)]:

أنكر صحبي أن رأوا طرفه ذا حمرةٍ يشقى بها المغرَمُ
لا تنكروا الحمرة في طرفه فالسيف لا ينكرُ فيه الدمُ

قال في المغرب: وأنشد له صفوان بن إدريس في زاد المسافر[(٢)]:

(١) لم يرد البيتان في ديوان أبي حيان.
(٢) لم ترد الأبيات في المصدر نفسه.

حنَّ إلى كأسه الخليعُ ... لما بدا النور والربيعُ
واكتستِ الأرضُ ثوبَ حسنٍ ... من سندسٍ وشيه بديعُ
كأنَّ أزهاره نجومٌ ... لها باكرَ الثرى طلوعُ

[٣٣]*
الخليل بن أحمد

ابن عمرو بن تميم الأزديّ الفراهيديّ البصريّ أبو عبد الرحمن.

قال السيرافيّ في طبقاته: كان الغايةَ في استخراج مسائل النحو، وتصحيح القياس فيه، وهو أوّلُ من استخرج العروض، وحصر أشعار العرب بها، وعمل أوّل كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة، وكان من الزهّاد في الدنيا، والمنقطعين إلى العلم، ويروى عنه أنّه قال: إن لم تكن هذه الطائفة أولياء -يعني أهل العلم- فليس لله وليّ.

[*] انظر ترجمته في: المعارف: ٥٤١-٥٤٢. مراتب النّحويّين: ٥٤-٧٢. الثّقات: ٢٢٩/٨. أخبار النّحويّين البصريّين: ٥٤-٥٦. طبقات النحويّين واللغويين: ٤٧-٥٠. الفهرست: ٦٧-٦٨. نور القبس: ٥٦-٧٢. تاريخ العلماء النحويّين: ١٢٣-١٣٤. الإكمال: ١٧٣/٣: نزهة الألباء: ٤٥-٤٧. معجم الأدباء: ١٢٦٠/٣-١٢٧١. إنباه الرواة: ٣٧٦/١-٣٨٢. وفيات الأعيان: ٢٤٤/٢-٢٤٨. إشارة التعيين: ١١٤. دول الإسلام: ١١٤/١. تاريخ الإسلام: (وفيات ١٦١-١٧٠): ١٦٩-١٧٤. وترجم له ثانية في وفيات: (١٧١-١٨٠): ١٠٨. العبر: ٢٠٧/١. سير أعلام النبلاء: ٤٢٩/٧-٤٣١. مسالك الأبصار: ٨١/٧-٨٤. الوافي: ٢٤٠/١٣-٢٤٤. مرآة الجنان: ٢٨١/١-٢٨٥. البلغة: ٧٩. البغية: ٥٥٧/١-٥٦٠. مفتاح السعادة: ١٠٦/١-١٠٨، ١٤٦. شذرات الذهب: ٤٤٢/١-٤٤٤. وقد أفرد له قطب الأئمة اطفيّش ترجمة خاصة سمّاها ولاية الخليل بن أحمد الفراهيدي نشرت في مجلة الحياة، العدد السادس، ٢٠٠٢م.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- الخليل بن أحمد: أعماله ومنهجه.
- مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربيّ.
- التفكير الصوتي عند الخليل.

وقد كان وجّه إليه سليمان بن علي من الأهواز، وكان واليها، يلتمس منه الشخوص إليه، وتأديب أولاده، ويرغّبه، ويقال إنّ الذي وجّه إليه سليمان بن حبيب بن المهلّب من أرض السند يستدعيه إليه، وكان الخليل بالبصرة، فأخرج الخليل إلى رسوله خبزا يابساً، وقال: ما عندي غيره، وما دمتُ أجده فلا حاجة لي في سليمان. فقال الرسول: فماذا أبلغه عنكَ؟ فأنشأ يقول:

أبلغْ سليمان أنّي عنك في سعةٍ وفي غنى غير أنّي لستُ ذا مالِ

سَخّى بنفسي أنّي لا أرى أحداً يموتُ هزلاً ولا يبقى على حالِ

وكان الخليل يقول الشعر البيتين والثلاثة ونحوها في الآداب، وهو أستاذ سيبويه وعامة الحكاية في كتابه عنه، وكلّما قال سيبويه: وسألته أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل. انتهى.

وقال أبو الطيّب: لم يكن قبل الخليل ولا بعده مثله، وهو من الفراهيد من الأزد، أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا المبرِّد أخبرنا عبدالله بن محمد البرجيّ وأبو عثمان المازنيّ وأبو إسحاق الزياديّ، قال: قال رجلٌ للخليلِ بن أحمد: من أيِّ العربِ أنتَ؟ فقال: فراهيديّ. ثم سأله آخر، فقال: فرهوديّ. قال المبرِّد: قوله: فراهيديّ انتسب إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبدالله بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد، وكان صحيح النسب معروفَ الأصل. وقوله: فرهوديّ انتسب إلى واحد الفراهيد، وهو فرهود، والفراهيد صغار الغنم.

وكان أبو حاتم يقول: الخليل بن أحمد الفرهودي من الفراهيد من اليمن، واسم الرجل عنده جمع مثل الجعافرة والمهالبة، والجمع لا ينسب إليه، يقول: هذا رجل من الجعافرة ومن المهالبة، ولا يقال: جعافريّ ولا مهالبيّ.

وكان الخليل أعلمَ الناس وأذكاهم وأفضل الناس وأتقاهم، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا الحسين بن فهم قال: سمعت محمد بن سلاّم يقول: سمعت مشايخنا يقولون: لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع، ولا كان في

العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع.

أخبرنا محمد أخبرنا القاسم بن إسماعيل حدثنا أبو محمد البرجيّ، قال: اجتمعنا بمكّة أدباء كلّ أفق، فتذاكرنا أمر العلماء، فجعل أهل كلّ بلدٍ يرفعون علماءهم ويصفونهم ويقدِّمونهم حتى جرى ذكر الخليل، فلم يبقَ أحد إلا أن قال: الخليل أذكى العرب، وهو مفتاح العلوم، ومصرِّفها.

أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا أبو بكر سعدويهِ: سمعت نصر بن علي الجهضميّ يقول: سمعت أبي علي بن نصر يقول: كان الخليل بن أحمد من أزهد الناسِ، وأعلاهم نفسا، وأشدّهم تعفّفا، ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرّضون له لينال منهم، فلم يكن يفعل، وكان يعيش من بستانٍ له خلفه عليه أبوه بالخُرَيبة.

أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا هارون بن عبدالله المهلبيّ حدثنا القاسم بن محمد بن عبّاد، سمعت وهب بن جرير يقول: قلَّ من كان بظاهر البصرة من العلماء والزهّاد إلا كان في باطنها مثله، يضعه أهل البصرة حياله، فكان عبدالله بن عون في الباطنة، وكان يُعَدُّ الخليل بن أحمد في الظاهرة نظيرَه.

أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا الفضل بن حباب أبو خليفة حدثنا عبيدالله بن محمد بن عائشة، قال: كان الخليلُ بن أحمد يحجُّ سنةً ويغزو سنة حتى مات.

أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو حفص الصيرفيّ حدثنا أبو عاصم قال: دخلنا على الخليل بن أحمد قبل وفاته بأيامٍ، فقال: والله ما فعلت فعلا قط أخاف على نفسي منه، وكان لي فضل فكرٍ صرفته إلى جهة وددتُ أني كنت صرفته إلى غيرها، وما علمت أني كذبت متعمّدا قط، وأرجو أن يغفر الله لي التأوّل.

قال أبو الطيّب: وأبدع الخليل بدائع لم يُسبَق إليها، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمّى كتاب العين، فإنّه هو الذي رتّب أبوابه، وتوفي من قبل أن يحشوه.

أخبرنا محمد بن يحيى قال: سمعت أحمد بن يحيى ثعلبا يقول: إنّما وقع الغلط في كتاب العين لأنّ الخليل رسمه ولم يحشه، ولو كان هو حشاه ما بقّى فيه شيئا، لأنّ الخليل رجل لم يُرَ مثله. قال: وقد حشا الكتاب أيضا قوم علماء إلا أنّه لم يؤخذ منهم رواية، وإنّما وجد بنقل الورّاقين، فاختلّ الكتاب لهذه الجهة.

أخبرنا محمد بن عبد الواحد الزاهد، قال: حدثني فتى قدم علينا من خُراسان، وكان يقرأ عليّ كتاب العين، قال: أخبرني أبي عن إسحاق بن راهويهِ، قال: كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلاً صالحاً، وكان الخليل عمل من كتاب العين باب العين وحده، وأحبُّ الليثُ أن يُنفقَ سوقَ الخليل، فصنَّف باقي الكتاب، وسمّى نفسه الخليل، وقال لي مرّة: فسمُّى لسانه الخليل من حبّه للخليل بن أحمد، فهو إذا قال في الكتاب: قال الخليل، فهو الخليل، وإذا قال: وقال الخليل، مطلقا فهو يحكي عن نفسه، فكلُّ ما في الكتاب من خلل، فإنّه منه لا من الخليل.

ومما أبدع فيه الخليل اختراعُه العروض التي خطرت على أوزان العرب، وألحقت المفحَمين بالمطبوعين. وبلغنا أنّ الخليل تعلّق بأستار الكعبة، وقال: اللهمَّ ارزقني علما لم يسبقني إليه الأولون، ولا يأخذه عني إلا المتأخرون. ثم رجع وعمل العروض.

وأحدث الخليل أنواعا من الشعر ليست من أوزان العرب. أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا محمد بن الرياشيّ حدثنا أبو علي إسماعيل بن أبي محمد أخبرني أصحابنا أنّ للخليل بن أحمد قصيدة على (فَعَلُن فَعَلُن فَعَلُن) بثلاثة متحرّكات وساكن، وأخرى على (فَعْلن فَعْلن) بمتحرّك وساكن، ومتحرك وساكن، والتي بثلاثة متحرّكات قصيدته التي فيها:

سُئلوا فأَبَوْا فلقد بَخِلوا ... فلبئس لعمركَ ما فعلوا
أبكيتَ على طللٍ طَرَباً ... فشجاك وأحزنك الطللُ

والتي على وزن فعْلن بساكن العين قوله:

هذا عمرو يستعفي من ... زيد عند الفضل القاضي
فانهوا عمراً إني أخشى ... صَولَ الليثِ العادي الماضي
ليس المرءُ الحامي أنفاً ... مثلَ المرءِ الضيم الراضي

واستخرج المحدثون من هذين الوزنين وزنا سمّوه المُخَلَّع، وخلطوا فيه بين أجزاء هذا وأجزاء هذا.

ومن بدائعه ما أخبرنا به محمد بن يحيى قال أنشدني عمر بن عبدالله أبو حفص العتكيّ قال: أنشدني أبو الفضل جعفر بن سليمان بن محمد بن موسى النوفليّ عن الحرمازيّ: للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها، وإنَّما أراد بهذا أن يبيِّنَ أنَّ تكرار اللفظِ في القوافي ليس بضارّ إذا لم يكن لمعنى واحد، وأنَّه ليس بإيطاء، والأبيات:

يا ويحَ قلبي من دواعي الهوى ... إذ رحل الجيرانُ عند الغروبْ
أتبعتهم طرفي وقد أمعنوا ... ودمعُ عينيُّ كفيض الغُروبْ
بانوا وفيهم طَفلةٌ حرَّةٌ ... تفترُّ عن مثل أقاحي الغروبْ

فالغروب الأولُ غروب الشمس، والغروب الثاني جمع غرب وهو الدلو العظيمة المملوءة، والغروب الثالث جمع غرب، وهي الوهاد المنخفضة.

ولم يكن في علماء البصريين من قطع عليه أنَّه منقطع القرين مثل الخليل بن أحمد. أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود حدثنا صالح بن محمد الخراسانيّ حدثنا سوار بن عبدالله بن سوار حدثني أبي قال: شهد الخليل بن أحمد عند سوار بن عبدالله شهادات، فقبله فيها كلِّها.

أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا أبو عبدالله محمد بن زياد الزياديّ والحسن بن محمد المهديّ قالا حدثنا عبدالله بن محمد التنوخيّ قال: سمعت أبا السمراء يقول: سمعت يحيى بن خالد البرمكيّ يقول: أربعة ليس في فنِّهم مثلهم: أبو حنيفة في فنّه،

والخليل بن أحمد في فنّه، وابن المقفع في فنّه، والفزاريّ في فنّه.

قال أبو الطيب: وأنا أقول: وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في فنّه، وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكنديّ في فنّه.

ومن شهرة الخليل بن أحمد وتقدّمه في العلم ضرب به العلماء والشعراء الأمثالَ، وذكروه في شعرهم، فقال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يهجو الأصمعيّ، وحسبك بالأصمعيّ:

أليس من العجائب أنَّ شخصاً ... أصيمع باهليّا يستطيلُ
ويزعم أنّه قد كان يُفتي ... أبا عمرو ويسأله الخليلُ

وقال خالد النجّار يهجو التنوخيّ:

يا من يزيدُ تمقّتاً ... وتباغضاً في كلِّ لحظةْ
والله لو كنتَ الخليلَ ... لما كتبنا عنك لفظةْ

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

لولا الإله وإنني متخوّفٌ ... مما أقول لقيت قبر خليلِ
ألقى مسائل في العروض تعنتاً ... من فاعل مستفعلن وفعولِ

وقال أبو تمّام حبيب بن أوس الطائيّ يهجو عيّاش بن لهيعة الحضرميّ من أبيات:

ولو نشر الخليل له لعفّت ... بلادته على فطن الخليلِ

وأنشدونا عن المبرِّد:

لم يدرِ ما علمُ الخليلِ فيهتدي[1] ... ببيان ذاك ولا حدود المنطقِ

أخبرنا محمد بن يحيى بن العباس حدثنا أحمد بن محمد بن موسى البربريّ حدثنا الزبير بن بكّار حدثنا النضر بن شميل قال: سمعت الخليل يقول: من الناس من يدري ويدري أنّه يدري فذاك عالِمٌ فاتبعوه، ومنهم من يدري ولا يدري أنّه يدري فذاك

(١) في مراتب النحويّين. فيقتدي. انظر: ٧٠.

ضالٌ فأرشدوه، ومنهم من لا يدري ويدري أنَّه لا يدري فذاك طالبٌ فعلّموه، ومنهم من لا يدري ولا يدري أنَّه لا يدري فذاك جاهل فاحذروه.

حدثنا عبد العزيز بن سلاّم أخبرنا محمد بن الرياشيِّ حدثنا أبي عن الأصمعيِّ قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: إذا أردت أن تعرف خطأ معلّمك فجالسْ غيره.

أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا محمد بن يزيد أخبرنا قعنب بن محرز قال: سألت الخليل بن أحمد عن اللؤلؤ في النوم، وكان الخليل من أعبر من رأيت للرؤيا، فقال: حدثني هشام بن حسّان عن محمد بن سيرين أنَّ اللؤلؤ القرآن.

وأخبرنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن يزيد حدثنا المازنيَّ عن الأصمعيِّ قال: قال الخليل بن أحمد: وضعت كتاب التصغير على دينار ودرهم وفلس، فقلت: دنينير، ودُرَيهم، وفُلَيس، فُعَيعيل، وفُعَيعِل، وفُعَيْل.

وأخبرنا[1] محمد بن يحيى أخبرنا محمد بن موسى حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله حدثنا الأصمعيِّ، قال: سألت الخليلَ عن هذا البيت:

اليوم أعلم ما يجيء به ومضى بفضل قضائه أمسِ

يريد بهذا: لِمَ خفضَ أمسِ؟ قال: مبنيّ كـ"حَذامِ" و"قَطامِ" لأنَّه لم يتمكَّن تمكُّنَ الأسماء.

حدثنا[2] عبد القدوس بن أحمد حدثنا أحمد بن يحيى حدثني جماعة عن الأصمعيِّ عن الخليل قال: رأيت أعرابيًا يسأل أعرابيًا عن البلصوص، ما هو؟ فقال: طائر. قال: فكيفَ تجمعه؟ قال: البَلَنْصى. قال الخليلُ: فلو ألغز رجلٌ، فقال:

ما البَلَصُوص يتّبع البَلَنْصى؟

كان لغزاً.

(١) مراتب النحويّين: ١٠٣.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٤.

حدثنا[١] جعفر بن محمد قال: قرأتُ بخطِّ المبرِّد: حدثني المازنيّ عن الأصمعيّ قال: قلتُ للخليل: ما حملك على أن جئتَ في العروض ببيتٍ محدَثٍ:

إنَّمـــا الدلفـــاء ياقـــوتةٌ أخـــرجت من كـــيس دهقـــانِ

أنا كنت أعطيتك أبياتاً من الشعر القديم على هذا الوزنِ؟ فقال: لو اتَّزن لي بالحجامة[٢] لأرحتك.

أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا اليزيديّ حدثنا طالع عن الأصمعيّ قال: نظر الخليل في فقه أبي حنيفة، فقيل له: كيف تراه؟ قال: أرى جدا وطريق جد ونحن في هزل وطريق هزل.

أخبرنا[٣] محمد حدثنا محمد بن القاسم حدثنا الأصمعيّ: سمعت الخليل يقول: الدنيا أضداد متجاورة، وأشباه متباينة، وأقارب متباعدة، وأباعد متقاربة.

وأنشدنا[٤] جعفر بن محمد قال: أنشدونا عن أبي العيناء عن الأصمعيّ، قال: أنشدني الخليل بن أحمد لنفسه:

اعملْ بعلمي وإنْ قصَّرتُ في عملي ينفعْك علمي ولا يضررك تقصيري

هذا ما أورده أبو الطيب في ترجمته.

وقال غيره: روى الخليل عن أيّوب، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب، وغالب القطان، وغيرهم. وأخذ عنه سيبويه، والأصمعيّ، والنضر بن شُميل، وهارون بن موسى النحويّ، ووهب بن جرير، وعلي بن نصر الجهضميّ.

وذكره ابن حبّان في الثقات، فقال: يروي المقاطيع.

وقال النضر بن شُميل: أقام الخليل بن أحمد في خُصٍّ بالبصرة لا يقدر على

(١) مراتب النحويّين: ١٠٤.
(٢) في المصدر نفسه: بالحجارة. انظر: ١٠٥.
(٣) المصدر نفسه: ١٠٥.
(٤) المصدر نفسه: ١٠٥.

فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال، وكان آية في الذكاء، وكان سبب موته أنَّه قال: أريد أن أعمل نوعا من الحساب تمضي به الجارية إلى القاضي فلا يمكنه أن يظلمها، فدخل المسجد وهو يُعمِل فكره، فصدمته سارية وهو غافل، فانصرع ومات، وذلك في سنة خمسٍ وسبعين ومائة، وقيل: سنة سبعين، وقيل: سنة ستين.

وكانت له معرفة بالإيقاع والنغم، وذلك هو الذي أحدث له علم العروض، فإنَّهما متقاربان في المأخذ.

وقال حمزة الأصبهانيّ في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف[1]: وبعدُ، فإنَّ دولة الإسلام لم تُخرِّج أبدعَ للعلوم التي لم يكن لها أصول عند علماء العرب من الخليل، وليس أدلّ على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه، ولا عن مثال تقدَّمه احتذاه، وإنَّما اخترعه من ممرٍّ له بالصفَّارين من وقعِ مطرقة على طست ليس فيها حجة ولا بيان تؤديان إلى غير حليتهما، أو يفسدان عينَ جوهرها، فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لشكَّ فيه بعض الأمم لصنعه ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره، ومن تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة كلِّ أمَّة من الأمم قاطبة، ثم من إمداده سيبويه في علم النحو بما صنَّف كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام.

وروى الصوليّ عن محمد بن يحيى الأدميّ عن عبدالله بن الفضل عن أبيه قال: كان عندنا رجل يعطي دواءً لظلمة العين يُنتفَعُ به، فمات، فأضرَّ ذلك بمن كان يستعمله، فذُكِر ذلك للخليل، فقال: أله نسخة؟ قالوا: لم نجد له نسخة. قال: فهل كان له أنية يعمل فيها؟ قالوا: نعم، قال: فجيئوني بها. فلما جيء بها جعل يشمّها ويخرج نوعا نوعا حتى ذكر خمسة عشر نوعا، ثم سأل عن جمعها ومقاديرها، فعرف ذلك من يعالج مثله فعله، وأعطاه الناس، فانتفعوا به. ثم وُجِدت النسخة في بعض كتب ذلك الرجل، فوجدت الأخلاط ستة عشر خلطا، كما ذكر الخليل، لم يغفِل منها إلا خلطا واحداً.

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف: ١٢٩-١٣١.

وقال حمزة في كتاب الموازنة بين العربيّة والعجميّة: وللعرب فضل على غيرهم من الأمم بما اتفق لعلماء لغاتهم من تقييد ألفاظهم في بطون الكتب، وعلماء الفرس تدعي مشاركتهم في هذه الفضيلة، ويزعمون أنَّ لغتهم كانت منتشرة ذاهبة في الضياع على غير نظام إلى أنْ ظهر لجمعها بعد انتشارها فيلسوف دولة الإسلام الخليل بن أحمد، ومن الفرس كان أصله، لأنَّه من فراهيد اليمن، وكانوا من بقايا أولاد الفرس الذين فتحوا بلاد اليمن لكسرى، وكان جدُّ الخليل من أولئك، فمن أجل أنَّ الخليل كان من الفرس صارت لنا مشاركة في مفاخر العرب بما أثّله الخليل لهم، فزعموا أنَّ للخليل ثلاثة أيدٍ عند العرب كبار، لم يُسدِ مثلها إليهم عربيٌ منهم:

أحدها ما نهجه لتلميذه سيبويه من التأتي لتأليف كتابه حتى علَّمه كيف يفرّق جبور النحو أبوابا، ويُجَنِّسُ الأبواب أجناسا، ثمَّ يُنوِّعُ الأجناسَ أنواعاً حتى أخرجه معجز التأليف، فقيد به على العرب منطقهم حتى سلم أعقابهم للإعراب من هُجنة اللحن، وخطأ القول.

الثانية: اختراعه لأشعارهم ميزاناً حذاه على غير مثال، وهو العروض التي إليها مفزع من خذله الطبع، ولم يساعده الذوق من الشعراء ورواة الأشعار، فصار أثره لاختراعه هذا العلم كأثر أرسطو طاليس في شرح علم حدود المنطق.

الثالثة ما منحهم في لغتهم من حصره إيّاها في الكتاب الذي سمَّاه كتاب العين، فبدأ فيه بسيلقة مخارج الحروف، وأظهر فيه حكمة لم يقع مثلها للحكماء من اليونان، فلما فرغ من سرد مخارج الحروف، عدَلَ إلى إحصاء أبنية الأشخاص، وأمثلة أحداث الأسماء، فزعم أنَّ مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائيّ والثلاثيّ والرباعيّ والخماسيّ من غير تكرير ينساق إلى اثني عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثني عشر، الثنائيّ منها ينساق إلى سبعمائة وستة وخمسين، والثلاثيّ إلى سبعة عشر ألفا وستّمائة وخمس، والرباعيّ إلى أربعمائة وأحد وتسعين ألفا، والخماسيّ إلى عشر ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعين ألفا

وستّمائة.

وقال القالي في أماليه(١): حدثنا أبو بكر بن الأنباريّ حدثني أبي قال: بعث سليمان المهلبيّ إلى الخليل بن أحمد بمائة ألف درهم، وطالبه بصحبته، فردَّ عليه المائة ألف، وكتب إليه:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة — وفي غنىً غير أني لستُ ذا مالِ
سخًى بنفسي أني لا أرى أحدا — يموت هُزلاً ولا يبقى على حالِ
فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه — ولا يزيدك فيه حول محتالِ
والفقر في النفس لا في المال تعرفه — ومثل ذاك الغنى في النفس لا المالِ

وأخرج الخطيب في كتاب البخلاء(٢) عن محمد بن موسى السمُريّ قال: أنشدنا حمّاد بن إسحاق الموصليّ للخليل بن أحمد:

ما أقبح النسكَ بسآلِ — وأقبح البخلَ بذي المالِ
والحرص من شر أداة الفتى — لا خير في الحرص على حالِ
وأقبح الثروة ما لم تكن — عند أخي جود وإفضالِ
من بات محتاجا إلى أهله — هان على ابن العمِّ والخالِ
ما وقع الواقع في ورطةٍ — أزرى به من رِقّة الحالِ

وقال الكمال بن الأنباريّ: روي عن الخليل أنّه كان يقطّع العروض، فدخل عليه ولده في تلك الحال، فخرج إلى الناس، وقال: إنَّ أبي قد جُنَّ، فدخل عليه الناس وهو يقطع العروض، فأخبروه بما قال ابنه، فقال له:

لو كنتَ تعلمُ ما أقول عذرتَني — لو كنت تعلم ما تقول عذلتُكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني — وعلمت أنَّك جاهل فعذرتكا

وروي عنه أيضا:

(١) الأمالي: ٢/٢٩٩-٣٠٠.
(٢) البخلاء: ٦٥-٦٦.

وقــبلكَ داوى الطبـــيبُ المريضَ فــعــاش المريضُ ومــات الطبــيبُ
فكن مــســتــعــدا لداعي الفناء فـــــإنَّ الـذي هـو آتٍ قـــــريبُ

قـال: ويروى عن سـفـيـان أنَّه كـان يقـول: من أحبَّ أن ينظرَ إلى رجلٍ خُلِقَ من الذهَبِ والمسك، فلينظرْ إلى الخليل بن أحمد.

ويروى عن النضـر بن شـميل أنَّه قال: كنَّا نُمَثِّل بين ابن عـونٍ والخليلِ بن أحمد: أيُّهمـا نقدِّم في الزهد والعبادة، فلا ندري أيّهما نقدِّم. وكـان النضـر يقـول: ما رأيت رجلا أعلم بالسُّنَّة بعد ابن عونٍ من الخليل. وكان يقول: أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه، وهو في خُصٍّ لا يشعر به.

وما يُحكى عنه من العلم والزهد أشهر من أن ينشر، وأظهر من أن يذكَر. توفي سنة ستين ومائة. انتهى.

وأخرج أبو الطيب عن عمشليق في جزئه عن محمد بن أبي رجاء قال: قال الخليل بن أحمـد: أربع تُعرَفُ بهنَّ الأخـوَّة: الصـفح قبل الاستقالة، وتقديم حسن الظنِّ قبل التهمة، وبذل الودِّ قبل المسألة، ومخرج العذر قبل العتب. ولذلك قيل:

أخــوك الذي يعطيك قــبل ســؤاله ويصـفح عند الذنب قبل استقالته
يقــدِّم حــسن الظنِّ قــبل اتهــامــه ويقــبل عـذر المرء عند جــهــالتــه

وأخرج البيهقيّ في شعب الإيمان[1] عن أيوب بن المتوكّل قال: كان الخليل بن أحمد إذا استفاد من أحد شيئا أراه بأنَّه استفاد منه، وإذا أفاد إنساناً شيئا لم يره بأنَّه أفاده شيئا.

وأخرج البيهقيّ[2] من طريق الصوليّ قال: حدثنا أبو العباس حدثنا أبو عثمان المازنيّ حدثنا أبو الحسن[3] الأخفش عن الخليل بن أحمد أنَّه قال: إنَّما كنت ألقى من

(١) شعب الإيمان: ٢/٧٧.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٧٧.
(٣) في المصدرنفسه: (أبو الحسين)، وهو تصحيف. انظر: ٢/٢٧٧.

الناس أربعة رجال: رجلاً أعلم مني فهو فائدتي، ورجلا مثلي فهو يوم مذاكرتي، ورجلا متعلما مني فهو ثوابي وأجري، ورجلا دوني يرى[1] أنّه فوقي فذلك الذي لا أنظر إليه.

وفي بعض المجامع: الخليلُ هو القائل في صفة بخيل، واورده الزبيديّ ايضاً:

كــفّــاه لم تُخلقــا للندى ولم يكُ بخلُهـمـا بدْعـهْ
فكفٌّ عن الخـيـر مـقـبـوضـةٌ كـمـا نُقِـصت مـائةُ سـبـعـهْ
وكفٌ ثـلاثـة آلافـهـا وتسع مِـئـيـهـا لهـا شـرعـهْ

قال مؤلِّف المجموع: هذا مما أبدع فيه الخليل؛ لأنّه وصف انقباض اليد بحالين من الحساب مختلفين في العدد، ومتشاكلين في الصورة.

وفي كتاب أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي[2]: قد كان الخليل بن أحمد أذكى العرب والعجم في وقته بإجماع أكثر الناس، فنفذ طبعه في كلِّ شيءٍ تعاطاه، ثم شرع في الكلام فتخلّفت قريحته، ووقع منه بعيداً، فأصحابه يحجمون عن شيءٍ لفظ به فيه إلى الآن.

قال ابن دُرستويه: من علماء الكوفة برزخ بن محمد العروضيّ، وهو الذي صنّف كتابا في العروض نقض فيه العروض بزعمه على الخليل، وأبطل الدوائر والألقاب والعِلل التي وضعها.

وقال ابن دُرَيْد في أماليه: أخبرنا أبو حاتم قال: سمعت الأخفش يقول: سألت الخليل قبل أن يعمل كتاب العروض: لِمَ سمّيتَ الطويلَ طويلاً؟ فقال: لأنّه تمّت أجزاؤه. قلت: فالبسيط؟ قال: لأنّه انبسط عن مدى الطويل وجاء نصفه فَعِلُن وآخره فعلن. قلت: فالمديد؟ قال: لتمدّد سباعيّه حول خماسيّه. قلت: فالوافر؟ قالك لوفارة الأجزاء وتدأ بوتدٍ. قلت: فالكامل؟ قال: لأنّه من ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره. قلت: فالرجز؟ قال:

---

(١) في شعب الإيمان: فيذكر. انظر: ٢/٢٧٧.
(٢) أخبار أبي تمام: ١٢٦-١٢٧.

لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة الرجزاء. قلتُ: فالرَّمَل؟ قال: لأنَّه يُشَبَّه برمل الحصير يضمّ بعضه إلى بعضٍ. قلت: فالهزج؟ قال: لأنَّه مضطرب يشبه هزج الصوت. قلتُ: فالسريع؟ قال: لأنَّه يسرع على اللسان. قلت: فالمنسرح؟ قال: لانسراحه وسهولته. قلتُ: فالخفيف: قال: لأنَّه أخفُّ السباعيَّات. قلت: فالمقتضب؟ قالك لأنَّه اقتضِب من الشعر لقلّته. قلت: فالمضارع؟ قال: لأنَّه ضارع المقتضب. قلت: فالمجتثّ؟ قال: لأنَّه اجتُثَّ أي قُطِع من طول دائرته. قلت: فالمتقارب؟ قال: لتقارب أجزائه، ولأنَّها خماسيَّة كلّها يشبه بعضها بعضا.

وفي أمالي الزجاجيّ عن الأنباريّ(١) قال: أخبرنا الخليل بن أحمد قال: نظرتُ في علم النجوم، فهجمتُ منه على ما ألزمني تركه، وأنشأتُ أقولُ:

بَلِّغَا عني المنجِّمَ أني ... كافرٌ بالذي قضتِ الكواكبُ
عالِمٌ أنَّ ما يكون وما كان ... بأمرٍ من المهيمنِ واجبُ

وفي كتاب نزهة المذاكرة للخليل بن أحمد:

هبني أسأتُ كما زعمتَ ... فأين عاطفة الأخوَّهْ
فإذا أسأت كما أسأت ... فأين فضلك والمروَّهْ

وفي الطيور باب عن الأصمعيّ قال: قيل للخليل بن أحمد: من الزاهدُ؟ قال: من لم يطلبِ المفقود حتى يفقد الموجود.

(١) أمالي الزجاجي: ٦٥.

[٣٤]*
خلف الأحمر

قال أبو الطيب: هو خلف بن حيّان مولى الأشعريّين، يكنى أبا محمد وأبا مُحرِز.

تعلَّم منه الأصمعيّ نقد الشعر. قال أبو حاتم عن الأصمعيّ: كان خلف مولى أبي بُردة بن أبي موسى الأشعريّ، أعتقه وأعتق أبويه، وكانا فَرغانيّين، وكان أعلم الناس بالشعر، وكان شاعراً، فوضع على شعراء عبد القيس شعرا موضوعاً كثيراً، وعلى غيرهم عبثا به، وأخذ ذلك عنه أهل البصرة، وأهل الكوفة.

أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا محمد بن يزيد قال: كان خلف أخذ النحو عن عيسى بن عمر، وأخذ اللغة عن أبي عمرو، ولم يُرَ أحد قطُّ أعلم بالشعر والشعراء منه، وكان به يُضرَبُ المثَل في عمل الشعر، وكان يعمل على ألسنة الناس، فيشبه كلَّ شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه، ثم نسك، فكان يختم القرآن في كلِّ يومٍ وليلة، وبذل له بعض الملوك مالا عظيما خطيرا على أن يتكلَّم في بيت شعر شكّوا فيه، فأبى ذلك، وقال: لقد مضى لي في هذا ما لا أحتاج إلى أن أزيد فيه.

وعليه قرأ بعض أهل الكوفة أشعارهم، وكانوا يقصدونه لما مات حمّاد الراوية، لأنَّه كان قد أكثر الأخذ عنه، وبلغ مبلغا لم يقاربه حمّاد، فلما تقرّأ ونسك خرج إلى أهل الكوفة فعرَّفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس، فقالوا له: أنتَ كنتَ عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة. فبقي ذلك في دواوينهم إلى اليوم.

وممن أخذ عنه واختصَّ به أبو نواس، وقد أخذ عن أبي عُبيدة أيضا، وله في

---

[*] انظر ترجمته في: الشعر والشعراء: ٥٣٢-٥٣٣. المعارف: ٥٤٤. مراتب النحويين: ٨٠-٨١. تهذيب اللغة، المقدمة: ٩/١. طبقات النحويين واللغويين: ١٦١-١٦٥. الفهرست: ٧٨. نور القبس: ٧٢-٨٠. نزهة الألباء: ٥٣-٥٤. معجم الأدباء: ١٢٥٤/٣-١٢٥٨. إنباه الرواة: ٣٨٣/١-٣٨٥. إشارة التعيين: ١١٣. تاريخ الإسلام (وفيات ١٧١-١٨٠) ١٠٧-١٠٨. الوافي: ٢١٩/١٣-٢٢١. البلغة: ٧٧-٧٨. البغية: ٥٤٤/١.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- خلف الأحمر: الشاعر العالم.

خلفٍ مراثٍ. انتهى كلام أبي الطيِّب.

وقال الكمال بن الأنباريّ: قال أبو عُبيدة: خلفُ الأحمر معلِّم الأصمعيّ، ومعلِّم أهل البصرة.

وقال ابن سلاّم[1]: أجمع أصحابنا على أنَّه كان أفرسَ الناسِ بيتَ شعرٍ، وأصدقَ لساناً، وكنَّا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرا لو أنشدنا شعرا أن لا نسمعه من صاحبه.

وحكى شمر قال: كان خلف الأحمر أوّل من أحدث السماع بالبصرة، وذلك أنَّه جاء إلى حمّاد الراوية، فسمع منه، وكان ضنينا بأدبه. انتهى.

وفي شرح الكامل لأبي إسحاق البطليوسيّ: خلفُ الأحمر هو خلف بن حيّان مولى أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه، يكنى أبا مُحْرِز، وكان من أعلم الناس بالشعر، وأقدرهم على قافية. قال أبو حاتم: كان من العلماء بالشعر بالبصرة أبو عمرو بن العلاء، وخلف الأحمر. وقال الغازي بن قيس: حدثنا عيسى بن إسماعيل قالك سمعت الأصمعيّ يقول، وذكر خلفا الأحمر: ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف الأحمر. فقيل له: وأنتَ حيٌّ؟ فقال: إنَّ خلفا يحسنُ جميعه، وما أحسن منه إلا الحواشي.

ورثاه الحسنُ بن هانئ[2]، فقال:

لو أنَّ حيّا[3] وائلا من التلفْ ... لوَألتْ شغواءُ في رأس شعفْ

أمّ فُريخٍ أحرزته في لُجفْ ... مزغب الألغاد لم يأكل بكفْ

كأنه مستقعدٌ من الخرفْ ... أودى جميع العلم من بعد خَلَفْ[4]

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١/٢٣.

(٢) ديوان أبي نواس: ٢/١٤١-١٤٢.

(٣) في المصدر نفسه. (كان حيّ). انظر: ٢/١٤٠.

(٤) في المصدر نفسه:

كأنه مستقعدٌ من الخرفْ ... هاتيك أو عصماء في أعلى الشرف

تروغ في الطباق والنزع الأكفْ ... أودى جماع العلم مُذ أودى خلف

انظر: ٢/١٤٠.

من لا يعدّ العلم إلا ما عرفْ قَلَيذَمٌ من العياليم الخسفْ
كنّا إذا[1] نشاء منه نغترف رواية لا تجتنى من الصحُفْ

قال: ومن شعر خلف النبيه الذي أبدع فيه بحُسْن التشبيه ما حكاه ابن جنّي عن محمد بن سلاّم قال: قال خلف الأحمر لمؤدبه وهو صبيٌّ في الكُتّاب، وكان أراده على نفسه فلم يطاوعه:

أتترك في الحلال لشقّ صلدٍ وتأتي في الحرام مدى رميم

وقال القالي: حدثنا أبو بكر بن دُرَيْد عن أبي حاتم عن الأصمعيِّ قال: قال يوما خلف لأصحابه: ما تقولون في بيت النابغة الجعديّ؟

كان مقطُّ شراسيفه إلى طرف القُنْب فالمنْقَبِ

لو كان موضع فالمنقب فالقهبلس، كيف كان يكون قوله؟

لُطِمنَ بترسٍ شديد الصفاقِ ومن خشب الجوز لم يثقبِ

فقالوا: لا نعلم. فقال: والآبَنُس.

وقال لهم مرة أخرى : ما تقولون في قول النمر بن تَولَب:

ألمَّ بصحبتي وهمُ هجودٌ خيال طارق من أمِّ حصنِ

لو كان موضعَ أمِّ حصن من أمِّ حفص، كيف كان يكون قوله؟

لها ما تشتهي عسلٌ مصفًّى إذا شكت وحوّارَى بسمنِ

قالوا: لا نعلم. فقال: وحوّارى بلمص، وهو الفالوذ.

قال القالي: وقال محمد بن سلاّم في كتاب طبقات العلماء: كنّا إذا سمعنا الشعر من أبي مُحرِز لا نبالي أن نسمعه من قائله.

وقال غيره: كان خلف راويةً ثقةً علاّمةً يسلُكُ طريقَه الأصمعيُّ ويحذو حذوه حتى

---

(١) ديوان أبي نواس: فكلّما. انظر: ١٤١/٢.

قيل هو معلِّم الأصمعيِّ، وهو والأصمعيُّ فتَّقا المعاني، وأوضحا المذاهب، وبيَّنا المعالم، ولم يكن فيه ما يُعاب به إلا أنَّه كان يعمل القصيدة يسلك فيها ألفاظ العرب القدماء وينحلها أعيان الشعراء كأبي دؤاد الإياديِّ، وتأبَّط شرا، والشنفرى، وغيرهم، فلا نفرق بين ألفاظه وألفاظهم، ويرويها جِلّة العلماء لذلك الشاعر الذي نحله إيَّاها، فمما نحله تأبَّطَ شراً، وهي في الحماسة:

إنَّ بالشِّعب الذي دون سلْعٍ   لقتيلاً دمه لا يُطَلُّ

ومما نحله الشنفرى القصيدة المعروفة بلامية العرب، وهي:

أقيموا بني أمِّي صدورَ مطيِّكم   فإنِّي إلى قومٍ سواكم لأميلُ

وقال الرياشيُّ: سمعت الأخفش يقول: لم ندرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعيِّ. قلتُ: أيُّهما كان أعلمَ؟ قال: الأصمعيُّ. قلتُ: لِمَ؟ قال: لأنَّه كان أعلم بالنحو.

قال خلف الأحمر: أنا وضعتُ على النابغة القصيدة التي منها:

خيلٌ صِيامٌ وخيلٌ غير صائمةٍ   تحت العجاجِ وأخرى تعلكُ اللُّجُما

وله من التصانيف: كتاب جبال العرب وما قيل فيها من الشعر. وله ديوان شعر حمله عنه أبو نواس.

مات في حدود الثمانين ومائة[١].

وكان خلف قد قال لأبي نواس: ارثني وأنا حيٌّ حتى أسمع. فقال:

لو كانَ حيٌّ وائلاً من التلَفْ   لوألتْ شعواء في أعلى شعفْ

وهي مشهورة في ديوانه[٢]، فاستجوَدها، وقال: مليحة إلا أنَّها رجز، وأحبُّ أن تكون قصيدة. فقال: أنا أنظم هذه المعاني قصيدة. فقال[٣]:

(١) ذكر الفيروز أبادي أنه توفي بعد المائتين بيسير. انظر: البلغة: ٧٨.
(٢) ديوان أبي نواس: ٢/ ١٤٠-١٤١.
(٣) المصدر نفسه: ٢/١٣٧-١٤٠.

لا تنِل العُصمَ في الهضاب ولا ... شغواء تغدو فرخين في لجف
لما رأيتُ المنونَ آخذةً ... كلَّ شديدٍ وكلَّ ذي ضعفِ
بتُّ أعزّي الفؤادَ عن خَلَفٍ ... وبات دمعي إنْ لا يفض يكفِ
أنسى الرزايا مَيْت فجعت به ... أمسى رهينَ الترابِ في جدفِ
وكان ممن مضى لنا خَلَفٌ ... فليس منه إذ بان من خلفِ

وفي طبقات الزبيديّ: قال أبو علي: كنت كثيرَ التعصّبِ للأصمعيّ، فكنت أسأل أبا بكر بن دُرَيْد كثيراً عن خلف والأصمعيّ: أيُّهما أعلم؟ فيقول لي: خلف. فلما أكثرت عليه انتهرني، فقال: أين الثمادُ من البحور؟!

وقال أبو حاتم: قال الأصمعيّ: قال خلف: إذا كان الحديث موضوعا كان على ما يشتهي الناسُ، وإن كان حقّا كان على ما لا يشتهون وعلى ما يكرهون.

قال أبو حاتم: وحدثني الأصمعيّ قال: سمعت خلفاً الأحمر قال: قال رجلٌ من أصحاب الحديث من أهل الكوفة: ما أفضل بين أبي دُؤاد، وأبي ذُؤيب، وأبي زبيد. وكان ينشد، فيُقال: لمن؟ فيقول: لأحد الثلاثة. قال: وقال خلف: وأنا لا أفضل بين أبي الدرداء، وأبي ذَرٍّ، وأبي هُريرة. انتهى.

قال ابن عساكر[1]: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة أخبرنا أبو الفرج أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن المسلمة أخبرنا أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافيّ حدثنا أبو مزاحم الخاقانيّ[2] حدثنا ابن أبي سعد حدثنا أبو عثمان المازنيّ حدثنا الأصمعيّ عن خلف الأحمر، قال: سمعت رؤبة يقول: ما في القرآن أعرب من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فاصدعْ بما تُؤمَر﴾ [سورة الحجر، الآية: ٩٤].

قال الزجّاجيّ[3] في أماليه: روى الأخفشُ عن الأصمعيّ قال: كان خلف الأحمر

(١) تاريخ دمشق: ١٨/٢٢١.
(٢) في المصدر نفسه: الحاماني. انظر: ٨/٢٢١.
(٣) أمالي الزجاجي: ٦٤.

إذا أوى إلى فراشه لا يضطجع حتى ينشد:

لا يبرح المرءُ يستقري مضاجعه ... حتى يبيت بأقصاهنَّ مضطجعا
وليس ينفكُّ يستصفي مشاربه ... حتى يجرَّع من رنق البِلى جرعا
فامنع جفونك طول الليل رقدتها ... واقرع حشاك لذيذ الري والشُّبعا
واستشعر البرُّ والتقوى تَعُدْ بهما ... حتى تنال بهنَّ الفوزَ والرفعا

ومن شعر خلف الأحمر يهجو أبا العيناء:

لنا صاحب مولعٌ بالمراء ... كثير الخطا وقليل الصوابِ
أشد لجاجا من الخنفساء ... وأزهى إذا ما مشى من غرابِ
وليس من العلم في قفرة ... إذا حصَّل العلم غير الترابِ
أحاديث ألفها شوكر ... وأخرى مؤلفة لابن دابِ

كان شوكر إنسانا بالبصرة يضع الأخبار والأشعار، وكذا ابن دأب مثله.

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن الأصمعي(١) قال: قرأتُ على خلف الأحمر شعر جرير، فلما بلغتُ قوله:

ويوما كإبهام القطاة محبَّبٌ ... إليَّ هواه غالب ليَ باطلهْ
رُزقنا به الصيد الغرير ولم يكن ... كمن نبلُه مخرومة وحمائلهْ
فيا لك يوما خيرُه قبل شرِّه ... تغيب واشيه وأقصر عاذلهْ

فقال خلف: ويله، ما ينفعه حين نؤول إلى شرّ. فقلت: كذا قرأته على أبي عمرو. فقال لي: صدقت، وكذا قاله جرير، وكان قليل التنقُّح مشرِّد الألفاظ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع. قلت: فكيف يجب أن يقول؟ فقال: الأجود له لو قال:

فيا لك يوما خيره دون شرّه

فاروه هكذا، فقد كانت الرواة قديما تصلح من أشعار القدماء. فقلت: والله لا أرويه بعدها إلا هكذا.

---

(١) لم نجد الخبر في تاريخ بغداد أو تاريخ دمشق.

[٣٥]*
ابن خروف

أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرميّ الإشبيليّ الفقيه المقرئ النحويّ اللغويّ نظام الدين، وقيل: ضياء الدين.

حضر من إشبيلية، وأخذ عن الأستاذ أبي بكر محمد بن طاهر الإشبيليّ، وأبي سليمان داود بن يزيد السعديّ، وأبي بكر يحيى بن محمد بن رزق، وأبي محمد القاسم بن دحمان المالقيّ، وأبي مروان بن قزمان، وأبي محمد بن الحاج الزقّاق، وأبي إبراهيم بن محمد بن ملكون.

وكان إماما في العربية ماهرا محقّقا مدقّقا مشاركا في الأصول، وكان في خلقه زعارة، ولم يتزوّج، وكان يسكن الخانات، وأقرأ النحو بعدة بلاد، وجرت له مع السُّهَيليّ مناظرات، وصنّف كتبا منها شرح سيبويه حمله إلى صاحب المغرب، فأعطاه ألف دينار، وشرح الجُمَل، وكتاب في الفرائض.

وأقام بحلب مدّة، واختلّ في آخر عمره بحيث كان يمشي في الأسواق عريانا، ووقع في جُبٍّ ليلا، فمات سنة تسعٍ وستمائة بحلب قاله أبو حيّان، وقيل: سنة خمسٍ، وقيل: سنة عشر. وقال ياقوت الحمويّ في معجم الأدباء: مات بإشبيلية سنة ستّ عن خمسٍ وثمانين سنة.

وقال أبو حيّان(١): هو قيسيّ قيذافيٌّ بقاف أوّله وفاء آخره وبينهما ياء تحتيّة وذال

---

[*] انظر ترجمته في: معجم الأدباء: ١٩٦٩/٥-١٩٧٠. إنباه الرواة: ١٩٢/٤. برنامج شيوخ الرعيني: ٨١-٨٢. وفيات الأعيان: ٣٣٥/٣. الذيل والتكملة: السِّفر الخامس: القسم الأول: ٣١٩-٣٢٣. صلة الصلة: ١٢٢-١٢٣. إشارة التعيين: ٢٢٨. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٠١-٦١٠): ٣٠٤-٣٠٥. سير أعلام النبلاء: ٢٦/٢٢. فوات الوفيات: ١٣٨/٢-١٤٠. الوافي: ٥٨/٢٢-٦١. مرآة الجنان: ١٨/٤. البلغة: ١٦٤-١٦٥. لسان الميزان: ٢٥٧/٤. البغية: ٢٠٣/٢-٢٠٤. جذوة الاقتباس: ٤٨٤/٢-٤٨٥.

ومن الدراسات الحديثة عنه مقدمة تحقيق شرح غوامض كتاب سيبويه لابن خروف.

(١) يتحدّث أبو حيّان عن ابن خروف الأندلسي الشّاعر لا عن ابن خروف النحويّ لكنّ السيوطيّ ظنّ أنّه يتحدّث عن ابن خروف النحوي، فوقع في الوهم.

معجمة وألف مثناة، قرطبيٌّ. ومن شعره في كأس:

أنا جسمٌ للحُميّا والحُميّا ليَ روحُ
بين أهل الظرفِ أغدو كلَّ يومٍ وأروحُ

وقال ابن مكتوم: أنشدنا أبو حيّان عن شيخه الحافظ أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفيّ العاصميّ قال: أنشدني شيخنا أبو الخطّاب محمد بن الفقيه القاضي أبي العباس أحمد بن القاضي أبي الحسن خليل بن إسماعيل السكونيّ، قال: أنشدني أبو الحسن بن خروف لنفسه:

ومنوّع الحركات يلعب بالنهى لبس المحاسنَ عند خلع لباسهْ
متأوّد كالغصنِ في حركاته متلاعبٌ كالظبي عند كناسهْ
ويضمّ للقدمين منه رأسهُ كالسيف ضمّ ذبابة لرئاسهْ
بالعقل يلعب مقبلاً أو مدبراً كالدهر يلعب كيف شاء بناسهْ

وقال الشهاب القوصيّ في معجمه: أنشدني ابن خروف لنفسه بدمشق في صبيّ جميل الصورة حبسه الحاكم:

أقاضي المسلمين حكمت حكماً أتى وجه الزمانِ به عبوسا
حبستَ على الدراهم ذا جمال ولم تسجنه إذ سلب النفوسا

قال: وكتب على يدي إلى قاضي القضاة محيي الدين بن الزكيّ يستقيله من مشارف البيمارستان النوريّ، وكان بوابه يُسَمّى السِّيد، وهو في اللغة الذئب:

مولاي مولاي أجرني فقد أصبحت في دار الأسى والحتوفْ
وليس لي صبرٌ على منزلٍ بوابه السِّيد وجدي خروفْ

قال: وأنشدني لنفسه، وقد دعاه نجم الدين بن اللهيب إلى طعامه، فلم يجبه:

ابنُ اللهيب دعاني دعاء غير نبيه
إن سرت يوماً إليه فوالدي في أبيه

قال: وأنشدني لنفسه فيه:

يا ابن اللهيب جعلت مذهب مالك ... يدعو الأنامَ إلى أبيك ومالكِ
بكى الهدى ملء الجفون وإنَّما ... ضحك الفساد من الصلاح الهالكِ

وأنشدني لنفسه فيه:

لابن اللهيب مذهبٌ ... في كلِّ غيٍّ قد ذهبْ
يتلو الذي يبصره ... تبت يدا أبي لهبْ

قال: وأنشدني لنفسه في نيل مصر:

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله ... في ضفتيه من الأشجار أدواحُ
من جنة الخلد فياض على ترعٍ ... تهب فيها هبوب الريح أرواحُ
ليست زيادته ماءً كما زعموا ... وإنَّما هي أرزاقٌ وأرواحُ

قال: وأنشدني لنفسه في باب المعمّى

واشربوا كلُّ صباحٍ لبَناً ... واشربوا كلُّ أصيلٍ عسَلا
واعكسوا ذاك إلى أعدائكم ... من قسيٍّ النَّبل أو رقش الفلا

قال: وأنشدني لنفسه:

لا تَرْجُونَّ لمثلي ... من هذه الراح تويهْ
فإنَّما هي ليلى ... وإنَّما أنا توبهْ

قال: وأنشدني لنفسه في بدر الدين الحنفيّ قاضي العسكر العادليّ:

ببدر الدين ذي الهِمَمِ المنيفه ... سما رأي الإمامِ أبي حنيفهْ
مذاهب أهل ملَّتنا ملوك ... ومذهبه الشريف هو الخليفهْ

قال: وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى القاضي بهاء الدين يوسف بن تميم المعروف بابن شدّاد يطلبُ منه فراء:

بهـــــاء الدين والدنيـــــا ونور المجـــــد والحَـــسَبِ
طلبت مـــخـــافـــة الأنوا ء من نعـــمـــاك جلد أبي
وجـــودك عـــالِمٌ أني أديـــب بـــارع الأدبِ
حـلـبـتُ الـدهـر أشـطـره وفي حلبٍ صـفـا حلبي

وفي تذكرة الوَدَاعيّ: حدثني الشيخ شرف الدين بن عثمان قال: كان لابن خروف النحويّ الشاعر يد عند الملك الظاهر غازي صاحب حلب، فخرج ليلة، فوقع في الطريق في جُبٍّ مفتوح، فاختنق، فاتفق بعد ذلك أنَّ ابن نبورا الواسطيّ الشاعر جاء إلى باب الملك الظاهر لينشده قصيدة، وكان الشريف شرف العلا يقرأ للسلطان في كتب التواريخ والأدب، ويطول إلى هدْأة من الليل، فقعد ابن نبورا بالباب، فلم يُؤذَن له، وشرف العلا يقرأ، فلما طوَّلَ، كتبَ رقعة، وأعطاها لبعض الحُجَّاب، فقدمها للسلطان، فإذا فيها:

العبد قد وافى لينشد مدحة بُنيتْ قوافيها على التخفيفِ
ويخاف من شرف العلا تطويله ليلا فيسلك مسلك ابنِ خروف

فضحك السلطان، وأذن له في الدخول والإنشاد ووصله.

ذكر صاحب المغرب: الشاعر المجيد أبو الحسن علي بن يوسف بن خروف القرطبيّ الشهير الذكر القيذافي، وأورد له أشعارا، ثم قال: وقد شاركه في هذه النسبة أبو الحسن علي بن محمد بن خروف النحويّ الذي شرح سيبويه والجُمَل وغير ذلك، قال: وكانت وفاة ابن خروف الأوّل بحلب سنة ثمانٍ وستمائة، وتوفي ابن خروف النحويّ الحضرميّ سنة عشر وستمائة.

هذا لفظه وهو أعرف بالمغاربة، فعُلِم أنَّ بعضَ ما تقدّم في هذه الترجمة وهمٌ ممن ذكره من المؤرخين.

[٣٦]*

ابن الخبّاز

شمس الدين أبو العباس أحمد بن الحسين بن أحمد بن أبي المعالي بن منصور بن علي النحويّ اللغويّ العروضيّ الضرير.

قال التاج بن مكتوم، ومن خطّه نقلتُ: صاحب التصانيف البديعة في النحو والعروض وغير ذلك، ولِدَ بالموصِل، ونشأ على محبّة العلم والاشتغال به والنظر في فنونه من النحو واللغة والعروض والقوافي والفرائض والحساب وغير ذلك، فبرع في جميع ذلك، وصار معدوداً من علماء عصره، ورحل الطلبةُ من البلاد إليه، وتزاحموا عليه لكثرة علمه وصحة ذهنه.

وكان قرأ على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد العسفني النحويّ، ولازمه، ودرس عليه كتبا كثيرة في النحو واللغة والعروض والقوافي والأدب حتى برز على أقرانه، وجلس في مكان شيخه بعد موته لإقراء النحو واللغة والفرائض والحساب، وتزاحم الناس عليه، ولم يُرَ في زمانه أسرع حفظاً منه، ولا أكثر استحضاراً للأشعار والنوادر والحكايات واللطائف منه، وكان غاية في الذكاء والفَهم، وكان ضريراً لا يحتاج إلى قائدٍ يقوده، ولم يزَلْ متألماً من الزمان كثيرَ التعتُّبِ لصروفه شاكياً من أبناء دهره.

ومن تصانيفه: شرح ألفية ابن معطٍ، وله أشعار كثيرة حِسان، أجاز للحافظ

---

[*] انظر ترجمته في: إشارة التّعيين: ٢٩. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٣١-٦٤٠): ٣٦٧. الإشارة إلى وفيات الأعيان: ٣٤١. نكت الهميان: ٩٦. الوافي: ٦/٢٢٣. البلغة: ١٩-٢٠. البغية: ١/٣٠٤. شذرات الذهب: ٥/٣٢٠.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- علوم النحو والعربيّة في الموصل، ضمن موسوعة الموصل الحضاريّة مج ٢.
- الدراسة التي قدّم بها محمد حامد العبدلي لتحقيق: الغرّة المخفيّة في شرح الدّرة الألفية لابن الخبّاز.

شرف الدين الدمياطيّ، وذكره في معجم شيوخه.

ولِد في ثامن عشر جمادى الأولى سنة تسعٍ وثمانين وخمسمائة، ومات في العشر الأُوَل من شهر رجب سنة تسعٍ وثلاثين وستمائة.

ومن شعره:

فلا تثق بالليالي طالما غدرت ... بذي الوفاء ولو أعطته ميثاقا
ذُمَّ الورى فَهُمُ أَعْدَوا زمانهم ... لؤماً فأصدق بالأيام إحداقا
أعراضهم لم تزلْ مسودة فإذا ... قدحت فيهم أصاب القدح حرّاقا
بلوتهم فطعمتُ السُّمَّ في عَسَلٍ ... فما وجدت سوى الهجران ترياقا

وله يتغزَّل:

علقته غصن بانٍ ... فيه جميع المعاني
ريق كخمرٍ وثغر ... يفتر كالأقحوانِ
يشتق من وجنتيه ... شقائق النعمانِ
بنفسجيّ عذارٌ ... عيناه نرجستانِ
يملي على عاشقيه ... مقاتل الفرسانِ
كم عاذلٍ قوم جهـ ... ـلاً بما يجني جناني
لسانُ حالي مجيب ... عن عذله لا لساني
فراقه والردى عنـ ... ـد عمره سيانِ
ووصله وحياة النـ ... ـفوس مؤتلفان
لا يرتجي أحد وصـ ... ـله ولا سلواني
يا نائي الوصلِ شوقي ... إلى لقائك واني
يا باقيَ الهجر صبري ... عن حسنِ وجهك فاني
لم يكفِ عينيك سقْمي ... وبعضه قد كفاني

قد شئت ليلا جنينا ... فيه تماط الأماني
ونحن من كلِّ واشٍ ... وحاسدٍ في أمانِ
وفي الكؤوس رحيق ... منطَّقٌ بالجمانِ
أبدت لنا لونه قب ... ـل شريبك الوجنتانِ
وفي ثناياك ريق ... عن الرحيق ثناني
وطيب لفظك يغني ... عن استماع الأغاني
يا من حرمت رقاده ... بطرفه الوسنانِ
ومن قضى يتعدى ... في الحكم بالهجرانِ
ومن إذا قلت حاز ال ... ـوصال منك جفاني
لولاك ما لُمْتُ حظّي ... ولا ذممتُ زماني

وله:

سرى زائراً في ليلة كان بدرها ... غزالا له طرف يُعافي ويُمرِضُ
فباتت مفاعيلٌ إذ من طويلها ... تكنّ لسوء الحظّ كفّا وتقبضُ
ولما جرى سحب الدموع مخافة ... من البين كان البرق من فيه يومضُ
ولما أراد النأي من أناْ مقبلٌ ... علي فحيّا وهو عنّيَ معرِضُ
بدا الصبحُ من ليلٍ به البدرُ طالعٌ ... كشيخٍ بدا من ثوبه وهو أبيضُ

[٣٧]*

ابن الخيّاط

أبو بكر محمد بن أحمد بن منصور.

قال محمد بن إسحاق النديم في الفهرست، وياقوت في معجم الأدباء: أصله من سمرقند، وقدم بغداد، وكان يخلط نحو البصريين بنحو الكوفيين، وناظر الزجّاج. أخذ عنه الزجّاجيّ والفارسيّ، وكان جميل الأخلاق طيبَ العِشرة.

وله من التصانيف معاني القرآن. النحو الكبير. المقنع في النحو. الموجز فيه. مات سنة عشرين وثلاثمائة.

قال أبو القاسم علي بن حمزة في كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة(١): قال ابن الأعرابيّ في قول الفرزدق:

يا أيُّها المشتكي عبسا وما جرمت ... إلى القبائل من قتلٍ وإيباسُ
إنّا كذاك إذا كانت همرُجة ... نسبي ونقتل حتى يسأمَ الناسُ

أقوى أبو فراس. وسمعت أبا رياش يسأل أبا بكر بن الخياط النحويّ عن ذلك، فقال ابن الخياط: "وإيباسٌ" كذلك.

---

[*] انظر ترجمته في: طبقات النحويّين واللغويّين: ١١٧. الفهرست: ١٣٠. تاريخ العلماء النحويّين: ٤٧-٤٨. نزهة الألبّاء: ١٨٥. معجم الأدباء: ٥/٢٣٠٩-٢٣١٠. إنباه الرواة: ٣/٥٤. إشارة التعيين: ٢٩٣. الوافي: ٢/٦٣-٦٤.

(١) لم نجد البيتين في التنبيهات، وقد ذكرهما ثعلب في مجالسه على النحو الآتي:

يا أيّها المشتكي عُكْلاً وما جرمت ... إلى القبائل من قتل إيباسُ
إنا كذاك كانت همرَجة ... نسبي ونقتل حتى يسلمَ الناسُ

قال: قلْت له: لمَ قلْت: من قتلٍ وإيباسُ؟ فقال [الفرزدق]: ويحكَ، فكيف أصنع وقد قلْت: حتى يسلمَ الناسُ؟ قال: قلْت: فبمَ رفعته؟ قال: بما يسوؤك وينوؤك.

قال أبو العباس: وإنّما رفعه لأن الفعل لم يظهر بعده، كما تقول: ضربت زيداً وعمروٌ، لم يظهر الفعل، فرفعت. وكما تقول: ضربت زيداً وعمروٌ مضروب. انظر: مجالس ثعلب. ١/٥٠.

[٣٨]*

الخارزنجيّ

أبو حامد أحمد بن محمد البشتيّ.

قال ياقوت والسمعانيّ: إمام أهل الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة، فاق فضلاء عصره لما حجَّ بعد الثلاثين والثلاثمائة، شهد له أبو عمر الزاهد، ومشايخ العراق بالتقدّم، وكتابه المعروف بالتكملة هو البرهان في تقدّمه وفضله، ولما دخل بغداد تعجَّب أهلُها من تقدّمه في معرفة اللغة، فقيل هذا الخراسانيّ لم يدخل البادية قط، وهو من آدب الناس، فقال: أنا بين عربين: بشت وطوس.

سمع الحديث من محمد بن إبراهيم اليوشنجيّ، وحدَّث. سمع منه الحاكم أبو عبدالله. ومات في شهر رجب سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة.

قال الأزهريّ(١): وممن ألَّف وجمع من الخراسانيين في زماننا، فصحَّف وأكثر، فغيّر، رجلان أحدهما يسمَّى أحمد بن محمد البشتيّ، ويُعرف بالخارزنجيّ. والآخر أبو الأزهر البخاريّ. فأمّا الخارزنجيّ فإنَّه ألّف كتابا سمّاه التكملة أراد أنّه كمَّل كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد بكتابه. وأما البخاريّ فإنّه سمّى كتابه الحصائل، وأعاره هذا الاسم لأنَّه قصد تحصيل ما أغفله الخليل. ونظرتُ في كتاب البشتيّ، فرأيته أثبتَ في صدره الكتب المؤلفة التي استخرج كتابه منها، وعدَّدَ كتبا، قال الخارزنجيّ: استخرجتُ ما وضعت في كتابي هذا من الكتب المذكورة. ثم قال: ولعلَّ بعض الناس يبتغي العبث بتهجينه، والقدح فيه لأني أسندت ما فيه إلى هؤلاء من

---

[*] انظر ترجمته في: تهذيب اللغة: المقدّمة: ١/٣٢-٤٠. الأنساب: ٢/٣٠٤. معجم الأدباء: ١/٤٦١-٤٦٢. معجم البلدان: مادة (خارزنج). إنباه الرواة: ١/١٤٢. تاريخ الإسلام: وفيات (٣٤١-٣٥٠): ٣٩٤-٣٩٥. الوافي: ٨/٦-٧. لسان الميزان: ٧/١٢٩. البغية: ١/٣٨٨، وفيه أنّه بشتيّ.

(١) هذه الترجمة مختصرة بتصرف عن الترجمة المطوّلة في مقدّمة تهذيب اللغة. انظر: تهذيب اللغة: المقدمة: ١/٣٢-٤٠.

العلماء من غير سماع، وإنّما إخباري عن صحفهم، ولا يزري ذلك على من عرف الغثّ من السمين، وميّزَ بين الصحيح والسقيم، وقد فعل مثل ذلك أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب، فإنّه روى عن الخليل بن أحمد، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائيّ، وبينه وبين هؤلاء فترة. وكذلك القتيبيّ روى عن سيبويه والأصمعيّ وأبي عمرو، وهو لم يرَ منهم أحداً.

قال ياقوت: وردٌ عليه الأزهريّ في هذا الفصل بما يطول عليّ كتبه، وله كتاب التكملة، وكتاب التفصلة، وتفسير أبيات أدب الكاتب.

[٣٩]*

ابن خالويه

أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان النحويّ الهمذانيّ.

سكن حلب.

قال الداني في طبقات القرّاء: أخذ القراءة عرضا وسماعا عن أبي بكر بن مجاهد، وسمع الحروف من محمد بن أحمد بن قطن، وروى عن أبي بكر الأنباريّ، وابن دُرَيْد، ونفطويه، وأحمد بن عبدان المقرئ، وجماعة. وكان عالما بالعربيّة حافظا للغة

[*] انظر ترجمته في: الفهرست: ١٣٤. يتيمة الدّهر: ١/١٣٥-١٣٧. نزهة الألباء: ٢٣٠-٢٣١. معجم الأدباء: ٣/١٠٣٠-١٠٣٧. طبقات الفقهاء الشافعية ١/٤٥٥-٤٥٧. إنباه الرواة: ١/٣٥٩-٣٦٢، وفيه أنه الحسين بن محمد. وفيات الأعيان: ٢/١٧٨-١٧٩. إشارة التعيين: ١٠٢. الإشارة إلى وفيات الأعيان: ١٨٤. مسالك الأبصار: ٧/٣٩-٤٠. الوافي: ١٢/٢٠٠-٢٠١. مرآة الجنان: ٢/٢٩٦-٢٩٧. طبقات الشافعية: ٢/٢١٢-٢١٣. البلغة: ٦٧. غاية النهاية: ١/٢٣٧. لسان الميزان: ٢/٢٩٧-٢٩٨. البغية: ١/ ٥٢٩-٥٣٠. طبقات المفسّرين: ١/١٥١-١٥٢.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- ابن خالويه وجهوده في اللغة.

بصيرا بالقراءة ثِقةً مشهورا. روى عنه غير واحد من شيوخنا: عبد المنعم بن عبيدالله، والحسن بن سليمان، وغيرهما. سمعت فارس بن أحمد يقول: لم يكن ابن خالويه يُمَكِّن أحداً من أخذ القراءة عليه، ولقد كلَّمه صديق له ليأخذ على ابنه، فأبى، فلما كان بعد مدة دخل عليه ابن صديقه، فقال له: اقرأْ، فأخذ عليه من سورة المزمّل إلى آخر القرآن على قراءة ابن كثير، ثم قال له: قمْ، فافخرْ على أهل حلب، وقلْ قرأت على ابن خالويه.

توفي ابن خالويه بحلب بعد سنة ستين وثلاثمائة.

وقال ابن النجّار في تاريخه: قرأ الأدب على ابن الأنباريّ، وابن دُرَيْد، ونفطويه، وأبي عمر الزاهد. وسمع الحديث من أبي عبدالله محمد بن مخلد العطّار الدوريّ، والصوليّ، ويحيى بن عبدك القزوينيّ، ومحمد بن أحمد السامريّ، وغيرهم.

روى عنه أبو بكر عبدالله بن أحمد بن روزبة، وعثمان بن أحمد بن القلو، والمعافى بن زكريا النهروانيّ، وأبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، وقال: رأيته ببيت المقدس، وكان إماماً أحدَ أفراد الدهر في كلِّ قسمٍ من أقسام العلم والأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفاق، سكن حلب، وكان آل حمدان يكرمونه، وانتشر علمه هناك، وروايته، ومات بها يوم الجمعة لستٍّ بقين من ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة.

وقال محمد بن إسحاق النديم في الفهرست: أخذ ابن خالويه عن جماعة، وقرأ على أبي سعيد السيرافيّ، وخلط المذهبين، وله من الكتب: كتاب الاشتقاق. كتاب الجُمَل في النحو. كتاب أطراغش لغة. كتاب القراءات. كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن. كتاب المقصور والممدود. كتاب المذكّر والمؤنّث. كتاب الألفات. انتهى.

قلتُ: وله أيضا "كتاب ليسَ" ثلاث مجلدات كِبار. وشرح الفصيح. وشرح الدُرَيْديَّة. وزنبيل المدروز مجلّدٌ كبير. وكتاب أسماء الأسد.

قال أبو عليّ الصقليّ: كنتُ في مجلسِ ابن خالويه، فوردتْ عليه من سيف الدولة مسائلُ تتعلق باللغة، فاضطرب لها ودخل خزائنه، وأخرج منها كتب اللغة، وفرّقها على أصحابه يفتشونها، فتركته وذهبتُ إلى أبي الطيّب اللغويّ وهو جالسٌ، وقد وردت عليه

تلك المسائل بعينها وبيده قلم الحمرة، فأجاب به، ولم يغيره قدرةً على الجواب.

وفي تذكرة الصلاح الصفديّ قال ابن خالويه: حضرتُ مجلس أبي عبدالله محمد بن إسماعيل القاضي المحامليّ وفيه زهاء ألف، فأملَّ عليهم أنَّ الأنصار قالوا للنبيّ (ﷺ): «والله ما نقول لك ما قال قومُ موسى لموسى ﴿اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنَّا ههنا قاعدون﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢٤٠] بل نفديك بآبائنا وأبنائنا، ولو دعوتنا إلى ترك الغِماد» -بكسر الغين- فقلت للمستملي: هو الغُماد بضمّ الغين، فقال المستملي: قال النحويّ: الغُماد بالضمّ أيُّها القاضي. قال: وما برك الغُماد؟ قال: سألت ابن دُرَيْد عنه، فقال: هو بقعة في جهنم. فقال القاضي: وكذا في كتابي على الغين ضمّة.

قال ابن خالويه: وأنشدني ابنُ دُرَيْد لنفسه:

وإذا تنكّرت البلادْ	فأوْلها كنف البعادْ
لست ابن أمّ القاطنيـ	ـن ولا ابن عمٍّ للبلادْ
واجعل بقاءك أو مقـ	ـرّك جانبي برك الغُمادْ

قال ابن خالويه: وسألت أبا عمر عن ذلك، قال: برك الغِماد بالكسر، والغُماد بالضمّ، والغِمار بالراء مع كسر الغين، وقد قيل: إنَّ الغماد موضع باليمن وهو برهوتا، وهو الذي جاء في الحديث:"إنَّ أرواح الكافرين تكون فيه".

وفي تاريخ ابن النجّار[1] عن أبي عبدالله بن مندة أخبرنا أحمد بن إسحاق أبو عمرو قال: قلتُ لابن خالويه: إني أشتهي أن أتعلّمَ من العربيّة ما أقيمُ به لساني. فقال: أنا منذ خمسين سنة أتعلّم النحو ما تعلّمت ما أقيم به لساني.

قال ابن عساكر أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني حدثنا عبد العزيز الكتانيّ أخبرنا أبو محمد عبدالله بن الحسن بن فضيل البزّار قراءة عليه حدثنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسن بن خالويه حدثنا علي بن مهرويه القزويني حدثنا داود بن سليمان

(١) معجم الأدباء: ١٠٣١/٣.

الغازي حدثنا علي بن موسى حدثنا أبو موسى بن جعفر حدثني أبو جعفر بن محمد حدثني أبو محمد بن علي حدثني أبو علي بن الحسين حدثني أبو الحسين علي عن أبيه علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله(ﷺ): «الحسنُ والحسينُ سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما».

وقال ابن النجّار: قال القاضي أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن الحسين بن السماك الواعظ أخبرنا جدي لأمي أبو عمر الحسين بن عثمان بن أحمد بن الفلو الواعظ، أخبرني أبي حدثنا أبو عبدالله الحسين بن خالويه النحويّ إملاءً يوم الجمعة بعد الصلاة حدثنا علي بن مهرويه حدثنا داود بن سليمان الغازي حدثنا علي بن موسى الرضى عن أبيه عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله (ﷺ): «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتِ البابَ».

وقال ابن النجّار: أنبأنا ذاكر بن كامل الحذّاء، قال: كتب إلينا أبو بكر عبد الغفار بن محمد الشيرويّ أخبرنا أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازيّ أخبرني أبو إسحاق عبد العظيم بن محمد المكيّ أخبرنا أبو يعلى محمد بن جعفر الواسطيّ الداودي حدثنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذانيّ النحويّ بحلب إملاءً حدثنا أبو سعيد الحسن بن عبيدالله الفقيه النهريانيّ الداودي ببغداد أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف البغداديّ حدثنا أبو عبيدة السريّ بن يحيى حدثنا قبيصة حدثنا سفيان الثوريّ عن عبدالله بن دينار عن سليمان بن يسار عن عراك بن مالك عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة».

وقال ابن النجّار: أخبرني عبد القادر بن عبدالله الحافظ مشافهة أخبرنا أبو عروبة عبد الهادي بن أبي سعيد بن عبدالله الشجريّ أخبرنا جدي أخبرنا أبو الحسن علي بن بشرى الليثيّ في مشيخته حدثنا أبو محمد صالح بن أبي الفتح بن الحارث

الشاشيّ حدثنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذانيّ النحويّ بحمص حدثنا أبو الحسن العلويّ الحسينيّ أبو قيراط حدثني عبدالله بن عامر حدثني أبي علي بن موسى الرضى حدثني أبو موسى عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله (ﷺ): «المروءة ثلاثة أشياء في السفر، وثلاثة في الحضر، فأمّا اللواتي في الحضر، فتلاوة كتاب الله عزّ وجلّ، وعمارة مساجد الله، واتخاذ الإخوان في الله. وأمّا اللواتي في السفر، فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله عزّ وجلّ».

وأخرج ابن النجّار عن معتصم بن محمد الكاشغريّ قال: قصدتُ ابنَ خالويه النحويّ، فقال: ما اسمك؟ قلت: معتصم بن محمد. قالك من أيّ بلدٍ؟ قلت: من كاشغر. قال: بلدٌ ما سمعت به، هل هو بلد ذكاء؟ قلت: لا. قال: فما تبتغي من علومنا نحواً أم لغةً؟ قلت: وما أحرم شيئا. قال: فاجعل جردورتك في قيهلي، وخذ المزبر بشناء ترك، فلا أنغو بنغوة إلا جعلتها في حماطة جلجلاتك، واجلب ثم اشرب ونُح الكنفشة عن الحدنة، واجعل اللمص في الغُرَين. قلت: يا أستاذ، تأمر غلاما يشعل الشمعة فقد ادلهمّ النهار. فقال: جردورتك عينيك في قيهلي وجهي، وخذ المزبر القلم بشناء ترك الأصابع، فلا أنغو بنغوة، فلا ألفظ بلفظة إلا جعلتها في حماطة جلجلاتك في سويداء قلبك، واجلب اكتب ثم اشرب، ادرس ونُح الكنفشة العمامة عن الحدنة الأذنين، واجعل اللمص وهو معقود العسَل، وهو الفالوذج، في الغرَين: في اللهات لترزن الدماغ.

ثم قال: حدثونا عن العباس بن الأزرق، قال: دخلت على أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعيّ، فقلت له: يا أبا عبدالله، أما تنصفنا قد تحققت بهذا الفقه، فتأخذ به الجوائز والأرزاق والصلات، ولا حظَّ لنا في ذلك وقد جئت تداخلنا في الشعر وهذا لا يعنيك، إمّا أن تشركنا في الفقه أو تتركنا والشعر، وقد جئت بأبيات أنشدك إيّاها، فإن أخذتها بمثلها تبتُ أنا من الشعر، وإن عجزت تتوبُ أنتَ؟ فقال له الشافعيّ: إيهٍ يا هذا. قال ابن خالويه: والعرب إذا أمرت قالتْ: إيهٍ، وإذا نهت قالت: إيهاً، وإذا زجرت قالت:

ويه، وإذا استطالت قالت: ويهاً، وإذا توجّعت قالت آهاً. وكانت الأبيات:

ما همّتي إلا مقارعة العدى ... خَلُقَ الزمانُ وهمتي لم تَخْلَقِ
والناسُ أعينُهم إلى ثلب الفتى ... لا يسألون عن الحجى والأولقِ
لكن من رزق الحجى حرم الغنى ... هذان مفترقان أيّ تفرّقِ
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقي

قال له الشافعيّ: ألا قلت كما أقولُ ارتجالاً؟

إنَّ الذي رزق اليَسار فلم يصب ... حمدا ولا أجرا لغيرُ موفَّقِ
فالجد يدني كلَّ أمرٍ شاسعٍ ... والجد يفتح كلَّ بابٍ مغلقِ
فإذا سمعت بأنَّ مجدودا حوى ... عوداً فأثمر في يديه فصدّقِ
وإذا سمعتَ بأن مجدوداً أتى ... ماءً ليشربه فغاض فحقّقِ
وأحقّ خلق الله بالهمّ امرؤٌ ... ذو همة يبلى بعيشٍ ضيّقِ
ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمقِ

فقال: يا أبا عبدالله، لا قلتُ شعرا.

قال ابن خالويه: وقفتُ على أعرابيٍّ من مُضَر، وكان فصيحاً مُتَلَقِّماً متقلّدا سيفاً، فسمعني وأنا أفسِّر: ﴿إذا الشمسُ كُوِّرتْ﴾ [سورة التكوير، الآية: ١] فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخُنَّسِ﴾ [سورة التكوير، الآية: ١٥] قلتُ: أقسم الله تعالى ببقر الوحش، وهي خنُّس، والخَنَس: تأخر في الأنف، والدلف: صغر الأنف، والقنا احديداب في وسط الأنف، والفطس: عِرَض الأنف، والخشم مثله، والشمم ارتفاع الأنف، والعرب تمدح بالشمم، قال حسان:

يسقون من ورَد البريص عليهم ... بردى تصفّق بالرياح السلسلِ
بيضُ الوجوه كريمة أحسابهم ... شُمُّ الأنوف من الطراز الأوّلِ

والعرب تقول: كلّ بقرة خنساء، وكلّ ناقة عَلْمَاء، وكلّ شجرة ليناء أي: تخرج الصمغ، وكلّ فحل يمذي، وكلّ أنثى تقذي، وكلّ طائر مخزوم أي: مشقوق الأنف. فلما رآني أهذر باللغة كالطير، حسَرَ اللثامَ عن وجهه، وقال: أراك مُفَوّهًا مِنطيقًا، أفلا أسألُكَ؟ قلت: سلْ. فقال: أسألُكَ عن أشياء في القرآن، منها ما تعلم ومنها ما لا تعلم، فأخبرنا عما تعلم منها. قلت: إذا سألتني عمًّا أعلم عرّفتك، وإذا سألتني عمّا لا أعلم قلت: لا أعلم، تأوّلت فيه قول عاقل الشعراء:

إذا ما انتهى علمي تناهيت دونه ... أطال فأملى أم تناهى فأقصرا

فقال لي: ما الكُدية في القرآن؟ وما المنية؟ وما جمالات صفر؟ وما معنى: ﴿فمرّت به﴾؟ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٩] وما معنى: ﴿كلاّ لا وَزَر﴾ ؟[سورة القيامة، الآية: ١١] فقلتُ له: أمّا الكُدية والمنية فليستا في القرآن، فإن أحببتَ أن أفسِّرهما لك من اللغة فسّرت. قال: بلى، هو في القرآن: ﴿أعطى قليلا وأكدى﴾ [سورة النجم، الآية: ٣٤]. قلت له: إنَّ هذا القرآن لا يُخلَط به شيء من كلام الآدميين. قال: ففسِّرْ لي القرآن. فقلتُ: معنى قوله: ﴿أعطى قليلا وأكدى﴾ [سورة النجم، الآية: ٣٤] أي: قطع العطيّة، مأخوذ من الكدية، وذلك أنَّ العرب تقول: حفرتُ البئر فأعييت. أي: وصلتُ إلى الماء، وحفرت فأسهبت. إذا بلغت الكثير من الماء. وحفرت فأبرضت. أي: صادفت برضا أي: قليلا من الماء، أنشدنا ابنُ دُرَيْد:

أُرَمّق العيش على برْضٍ فإنْ ... رمتَ ارتشافا رُمتَ صعبَ النَّتَشا

أراجعٌ بي الدهرُ حولا كاملا ... إلى الذي عوّد أم لا يُرتجى

إنَّ الجديدَ من إذا ما استوليا ... على جديدٍ أدنياه للبلى

وحفرتُ فأجبلتُ. أي: صادفتُ جبلا. وحفرتُ فأكديتُ. أي: بلغت الكُدية، وهو حجر لا يعمل فيه المِعوَل، فينقطع عن الحفر. قال: فالمنية في القرآن. يعني قوله: ﴿من نطفةٍ إذا تمنى﴾ [سورة النجم، الآية: ٤٦] يُقال: أتت الناقةُ على مُنيتها. وذلك إذا

أُلقِحت، وبقيت أياما، فيُعلَم أحائلٌ هي أم حاملٌ؟ والموضِع الذي تُنتجُ فيه مُنيتَها. وقوله: ﴿فمرّت به﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٩] أي: استمرَّ به حملُها، وقرأ يحيى بن يعمر: : ﴿فمرت به﴾ بالتخفيف، أي: ارتكض ولدُها في بطنها. قال: فما جمالات صفر؟ قلت: سُود. قال: فهل يكون الأصفر أسودَ؟ قلت: نعم، قال الأعشى:

تلك خــيلي منه وتلك رِكــابي ... هُنَّ صــفــرٌ أولادها كــالزبيبِ

قال: أفتحتجُّ على القرآن بالشعر؟ قلتُ: الشعر ديوان العرب، وأنزل الله القرآن بلسان العرب، فإذا أشكلَ الغريب من القرآن استُشهِد عليه بالشعر ليزول شكُّ السائل، وسئل ابن عبّاس رحمة الله عليهما عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وكان الله على كلِّ شيءٍ مقيتا﴾ [سورة النساء، الآية ٨٥] ما المقيت؟ قال: المقتدر. قال: فهل كانت العرب تعرف ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

وذي ضغنٍ كففتُ الضغنَ عنه ... وكنتُ على مساوئه مقيتا

قال: فما الزنيم؟ قال: ولد الزنا. قال: فهل كانت العرب تعرف ذلك؟ قال: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر:

زنيمٌ تداعــاه الرجــال زيادة ... كما زِيدَ في عرض الأديم أكارعهْ

[قال: فما الوزَر؟ قلتُ: الملجأ. قال: فما الملجأ؟ قال: القصر. قال: فما القصر؟ قلت: الموئل. قال: فما الموئل؟ قلت: الملتحد، قال الله تعالى: ﴿من دونه مُلتَحدا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٧] أي: موئلا وملجأ، والوَزر أيضاً: جبل بمكّة كانت العرب إذا حزبهم الأمر لجأوا إليه، فعرفهم الله أنَّ في القيامة لا وزَر لهم، ومضى، ثم عاد بعد انقضاء المجلس، فرحبتُ به، وقلت: بأبي العربَ ولغاتهم، أفلا أسلُكَ كما سألتنا؟ قال: سلْ. قلتُ: ما معنى قول الشاعر:

والنيبُ إن تعرُ مني رِمّة خلَقا ... بعد الممات فإني كنتُ أثْئِرُ

فلم يدره. فقلتُ: أثئر أيْ: آخذ بثأري، والنيب المُسان من الإبل، الواحدة ناب،

وذلك أنَّ الإبل تعبث بأكل عظام الموتى، فيقول: إن كانت هذه الإبل تأكل للضيفانِ فاستحسنْ ذلك. فقلتُ: ما معنى قول جرير:

أتيسى إذ تودعنا سليمى ببطن بشامةٍ سقيَ البشام

فقال: أشارت بمسواكها خوفا من الرقباء، والبشام شجر يستاك بفرعه. فقلتُ: ما معنى قول الراجز:

عزٌ على عمِّك أن تؤوّقي أو أنْ تبيتي ليلة لم تُغْبقي

أو أن تُرَيْ كأباء لم تبر نشقي

فقال: لم تبر نشقي لم تفرحي. فقلت: ما معنى اخرنطم؟ قال: غضب. قلت: ما معنى اجرَمَّزَ؟ قال: تقبض. قلتُ: ما معنى قوله:

هل لك يا خذلة في صَعْت الرُّبهْ معترم هامته كالجَبْجَبَهْ

فقال: يصف ذَكَرَه، قبّحه الله. قال لي: ما معنى:

مشعشعة كأنَّ الحصَّ فيها

ما الحصّ؟ قلتُ: الورس. قال: فما معنى قول ذي الرّمّة:

أخوها أبوها والضّوى لا يضيرها وساق أبيها أمّها عقرت عقرا

قلتُ: يصف الزند والزبد. قال: أراك قد حفظتَ كلَّ شيء، فما البريم؟ قلتُ: قال النحويون: ليس في كلام العرب. فقيل: وفي كلامهم فعيل مثل حذيم. أفتريد بِريما أم بَريما بالفتح؟ فقلت: يكون فعيلا من البريم، وهو الذي لا يُخرِج في الميسر شيئا، ويكون من البرمة. فقال: لم تُصب، إنَّ علياً صلوات الله عليه لما خرج من البصرة يريد الكوفة نزل على بريم: قرية على شاطئ البحر. فقال: هذه بر ويم، فسمّيت بريم بذلك][1].

---

(١) ما بين معقفين نقل من الصفحة ٢٤٥ من المخطوط في ترجمة ابن الخشاب إلى ترجمة ابن خالويه لأنها تكملة لها، فثمة خلط لحق الأوراق؛ لأنها جاءت بخط مغاير لترجمة ابن الخشاب وموافق لترجمة ابن خالويه وبعد بياض بمقدار صفحة كاملة وعند دمج الكلام يستقيم المعنى وتتم القصة.

[٤٠]*
الخطّابيّ

أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب البستيّ، ويُقال: إنَّه من سلالة زيد بن الخطّاب بن نفيل العدويّ.

كان إماماً في الفقه والحديث واللغة، أخذ الفقه عن أبي بكر القفّال الشاشيّ، وأبي علي بن أبي هريرة، وسمع الحديث من أبي سعيد بن الأعرابيّ بمكّة، وأبي بكر بن داشة بالبصرة، وإسماعيل الصفّار، وأبي عمر الزاهد، وأحمد بن سليمان النجّاد، وأبي عمرو السمّاك ببغداد، وأبي العباس الأصمّ بنيسابور، وطبقتهم.

روى عنه الشيخ أبو حامد الإسفرايينيّ، وأبو عبدالله الحاكم الحافظ، وأبو نصر محمد بن أحمد بن سليمان الغزنويّ، وأبو مسعود الحسين بن محمد الكوابشيّ، وأبو ذرّ عبدالله بن أحمد الهرويّ، وأبو عبيد الهرويّ صاحب الغريبين، وعبد الغافر بن محمد الفارسيّ، وغيرهم.

وذكره أبو منصور الثعالبيّ في اليتيمة، وسمّاه: أحمد، وهو غلط، والصواب: حمد، كما ذكره عبد الرحمن بن عبد الجبّار الفاسيّ في تاريخ هراة، والسلفيّ في شرح مقدمة معالم السُّنن، ونقله عن المعجم الكبير، وقال: إنَّه الصواب، وعليه الاعتماد، وذكر أبو سعد السمعانيّ في كتاب القواطع أنَّ الخطّابيّ سئل عن اسمه، فقال: اسمي الذي سُمِّيتُ به حَمَد. وذكره الإمام أبو المظفَّر بن السمعانيّ في كتاب القواطع، وقال:

[*] انظر ترجمته في: يتيمة الدهر: ٤/٢٨٣-٢٨٥. الإكمال: ٣/١١٤. الأنساب: ٢/٢٨٠. المنتظم: ١٤/١٢٩. وقد سلكه في وفيات سنة ٣٤٩، وهو خطأ. معجم الأدباء: ٢/١٢٠٥-١٢٠٧. طبقات الفقهاء الشافعية: ١/٤٦٧-٤٧١. إنباه الرواة: ١/١٦٠. وفيات الأعيان. ٢/٢١٤-٢١٦. طبقات علماء الحديث: ٣/٢١٤-٢١٥. تاريخ الإسلام (وفيات ٣٨١-٤٠٠) ١٦٥-١٦٧. دول الإسلام: ١/٢٣٥. العبر: ٢/١٧٤. تذكرة الحفاظ: ٣/١٠١٨-١٠٢٠. الوافي: ٧/٢٠٧-٢٠٨. مرآة الجنان: ٢/٣٢٧-٣٢٨. طبقات الشافعية الكبرى: ٢/٢١٨-٢٢٢. البلغة: ٧٣-٧٤. النجوم الزاهرة: ٤/٢٠١. طبقات الحفاظ: ٤٠٤-٤٠٥. البغية: ١/٥٤٦-٥٤٧. شذرات الذهب: ٣/٢٥٦-٢٥٧. خزانة الأدب: ٢/١٢٣-١٢٥.

قد كان من أهل العلم بمكانٍ عظيم، وهو إمام من أئمة السُّنّة صالحٌ للاقتداء به والإصدار عنه. انتهى.

ومن تصانيفه: معالم السُّنن، وهو شرح سُنن أبي داود. وشرح البخاريّ. وغريب الحديث. وشرح الأسماء الحُسنى. وكتاب الغَزل. وكتاب الغنية عن الكلام وأهله. وتفسير اللغة التي في مختصر المزنيّ. وكتاب العروض. وشرح الأدعية المأثورة. وإصلاح الغلط.

توفي ببست يوم السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة.

ومن شعره:

ارضَ للناسِ جميعاً ... مثل ما ترضى لنفسكْ
إنَّما الناسُ جميعاً ... كلُّهم أبناء جنسكْ
فلهمْ نفسٌ كنفسك ... ولهم حسٌ كحسِّكْ

وله:

وما غربة الإنسان في شقّة النوى ... ولكنّها والله في عدم الشكلِ
وإني غريب بين بُستٍ وإهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وله:

فسامحْ ولا تستوفِ حقَّكَ كلُّه ... وأبقِ فلم يستوفِ قط كريمُ
ولا تغلُ في شيءٍ من الأمر واقتصد ... كلا طرفي الأمور سليمُ

قال أبو الحسن بن أبي عمر البوقانيّ: سمعتُ أبا سليمان الخطّابيّ يقول: الغنى ما أغناك لا ما عنّاك، عشْ وحدَكَ حتى تزورَ لحدك، احفظ أسرارك وشدَّ عليها إزارك.

ومن شعر الخطّابيّ:

شرُّ السِّباع العوادي دونه وَزَرُ ... والناسُ شرُّهمُ ما دونه وَزَرُ
كم معشر سلموا لم يؤذهمْ سبعٌ ... وما نرى بشراً لم يؤذه بشرُ

وله:

وليس اغترابي في سجستان أنني عدمت بها الإخوان والدار والأهلا
ولكنني ما لي بها من مُشاكلٍ وإنَّ الغريبَ الفردَ من يعدمُ الشكلا

وله:

ما دمتَ حيّاً فدارِ الناسَ كلَّهم فإنَّما أنتَ في دار المداراةِ
من يدرِ داري ومن لم يدرِ سوف يُرى عمَّا قليل نديماً للنداماتِ

وله:

وقائلٍ ورأى من حجتي عجبا كم ذا التواري وأنت الدهر محجوبُ
فقلت: قلّت نجوم العمر منذ بدا نجم المشيب ودينُ الله مطلوبُ
فلذتُ من رجلٍ بالاستتار عن الـ أبصار إنَّ غريم الموت مرعوبُ

وله:

تَغَنَّمْ سكون الحادثات فإنَّها وإن سكنتْ عمَّا قليلٍ تحرَّكُ
وبادر بأيام السلامة إنَّها رهان وهل للرهن عندك مترَكُ

قال ياقوت: نقلت من خطِّ أبي سعد السمعانيِّ: أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحافظ أخبرنا أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجانيّ أُذناً أخبرنا أبو سعد الخليل بن محمد الخطيب، قال: كنتُ مع أبي سليمان الخطّابيّ، فرأى طائراً على شجرة، فوقف ساعة يستمع، ثم أنشأ يقول:

يا ليتني كنتُ ذاك الطائر الفردا من البرية منحازا و منفردا
في غصن بانٍ دهته الريح تخفضه طوراً وترفعه أفنانه صعدا
خلو الهموم سوى حَبٍّ تلمَّسه في الترب أو لقية يروي بها كبدا
ما إن يؤرقه فكر لرزقِ غدٍ ولا عليه حسابٌ في المعاد غدا
طوباك من طائر طوباك ويحك طِبْ من كان مثلك في الدنيا فقد سادا

وقال الخطّابيّ في الثعالبيّ:

قلبي رهينٌ بنيسابور عند أخٍ ما مثله حين تستقري البلاد أخُ

له صحائفُ أخلاقٍ مهذّبة ... منها التقى والنهى والحِلم تنتسخُ

فأجابه الثعالبيّ:

أبا سليمان سِرْ في الأرض أو فأقِمْ ... فأنتَ عندي دنا مثواك أو شطنا

ما أنتَ غيري فأخشى أن تفارقني ... قرّبت روحك بل روحي فأنتَ أنا

وقال الثعالبيّ يرثي الخطّابيّ:

انظروا كيف تخمد الأنوارُ ... انظروا كيف تسقط الأقمارُ

انظروا هكذا تزول الرواسي ... هكذا في الثرى تغيض البحارُ

وقال أبو بكر عبدالله بن إبراهيم الحنبليّ يرثي الخطّابيّ:

وقد كان حمداً كاسمه حمد الورى ... شمائل فيها للثناء ممادحُ

خلائق ما فيها مصاب لعائبٍ ... إذا ذكرت يوما فهنّ مدائحُ

تغمّده الله الكريمُ بعفوه ... ورحمته والله باقٍ وصافحُ

ولا زال ريحانُ الإله وروحه ... قرى روحه ما حنّ في الأيك صادح

قال السلفيّ: وقلتُ أنا فيه في سنة [...][(١)] لشغفي بتواليفه، ورغبتي في تحصيل تصانيفه:

ظنّ هذا الخطّاء في الخطّابي ... شيخ أهل العلوم والآدابِ

من على كتْبه اعتمادُ ذوي الفضـ ... ـل ومن قوله كفصل الخطابِ

لن يحوز الفردوسَ إذ تعب النفـ ... ـس لذي العرش غاية الإتعابِ

وتعنّى في الأخذ جدا وفي التصـ ... ـنيف من بعد رغبة في الثوابِ

نضّر الله وجهه من إمامٍ ... ألمعيٍّ أتى بكلّ صوابِ

ولعمري قد فاز بالروح والريـ ... ـحانِ من غير شبهة وارتيابِ

فلقد كان شمسَ مُتّبعيٍّ الشر ... عِ على الزائفين سوطَ عذابِ

(١) لم نستطع قراءته.

[٤١]*

ابن الخشّاب

أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبدالله بن نصر.

قال ابنُ النجّار: كانَ أعلمَ أهلِ زمانه بالنحو حتى يُقال: إنَّه كان في درجة أبي علي الفارسيّ، وكانت له معرفة بالحديث واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يد.

كان قرأ الأدب على أبي منصور الجواليقيّ، وغيره، والحساب والهندسة على أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاريّ، والفرائض على أبي بكر المِزْرَفيّ، وسمع الحديث على أبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين، وأبي العزّ أحمد بن عبيدالله بن كادش، وأبي القاسم علي بن الحسين الربعيّ، وأبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسيّ، وأبي غالب إسحاق بن أحمد بن البنّاء، وأبي القاسم بن السمرقندي.

وكتب بخطّه المليح كثيراً، وحصّل من الكتب وخطوط الفضلاء ما لا يدخل تحت الحصر، وقرأ الناس عليه الأدب، وانتفعوا به، وتخرّج به جماعة، وروى كثيراً من الحديث.

روى عنه أبو سعد بن السمعانيّ، وأبو أحمد بن سكينة، وأبو محمد بن الأخضر، وغيرهم. وكان ثِقةً في الحديث والنقل صدوقاً نبيلاً حجّةً إلا أنَّه لم يكن في دينه بذاك، وكان بخيلاً مقتّرا على نفسه متبذّلا في ملبسه ومطعمه متهتكا في حركاته قليلَ المبالاة

---

[*] انظر ترجمته في: المنتظم: ١٨/١٩٩. معجم الأدباء: ٤/١٤٩٤-١٤٩٦. الكامل في التاريخ: ١٠/٣٨. إنباه الرواة: ٢/٩٩-١٠٣. وفيات الأعيان: ٣/١٠٢-١٠٤. إشارة التعيين: ١٥٩-١٦٠. العبر: ٣/٥٠. سير أعلام النبلاء: ٢٠/٥٢٣-٥٢٨. مسالك الأبصار: ٧/١٢١-١٢٦. الوافي: ١٧/١١-١٢. البغية: ٢/٢٩-٣١. شذرات الذهب: ٤/٤٠٣-٤٠٥.
ومن الدراسات الحديثة عنه الدراسة التي قدّم بها علي حيدر لتحقيق كتاب المرتجل في شرح الجمل لابن الخشاب.

بحفظ ناموسِ العلم والمشيخة، وكان يلعب بالشِّطْرِنج على قارعة الطريق مع العوام، ويقف في الشوارع على حلَق المشعبذين وأصحاب اللهو واللاعبين بالقرود والذباب من غير مبالاة ولا محاباة، وكان كثير المزاح واللعب طيبَ الأخلاق.

صنَّف كتاب المرتجل في شرح الجُمل لعبد القاهر الجرجانيّ، وكتاب الردّ على ابن بابَشاذ في شرح الجُمَل، وكتاب الردّ على أبي زكريا التبريزيّ في تهذيب إصلاح المنطق، وكتاب أغلاط الحريريّ في المقامات، وشرح من كتاب اللُّمع لابن جني إلى باب النداء في ثلاث مجلدات، وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو، ويُقال: إنَّه وصله عليه بألف دينار.

ولد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، ومات يوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة. قال عبدالله بن الحسن بن أبي الفرج الشاميّ: رأيتُ شيخنا أبا محمد بن الخشّاب في النوم بعد موته بمدة وعليه ثياب مليحة شديدة البياض وعلى وجهه نورٌ عظيم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. فقلتُ له: ودخلتَ الجنَّةَ؟! قال: ودخلتُ الجنَّة إلا أنَّ الله أعرض عني. فقلتُ: وأعرضَ عنكَ؟! قال: نعم، وعن كثير من العلماء ممن لا يعمل بعلمه.

قال حمزة بن علي بن القبيطيّ: كان ابن الخشّاب يعتمّ بالعمامة ويبقي على حالها مدّة طويلة حتى تسودّ وتنقطع من الوسخ، وترمي عليها الطيور والعصافير درقها، فيتركه على حاله من غير مبالاة.

قال ابن النجّار: وبلغني أنَّ بعض المعلّمين قرأ عليه قول العجّاج:

أطرباً وأنتَ قِنَّسريُّ ... وإنَّما يأتي الصِّبا الصَّبيُّ

فقرأه المعلّم: وإنَّما يأتي الصبي الصبيُّ. فقال له: هذا عندك في الكُتَّاب، وأمَّا عندنا فلا، فاستحيا المعلّم.

وسأله بعض الأدباء: القَفا يُمَدُّ أو يُقصَرُ؟ فقال: يُمَدُّ ويُقصَرُ.

وقال له رجلٌ: عندك كتاب الجبال؟ فقال له: يا أبلَه، أما تراهم حولي؟ وأشار إلى الحاضرين.

قال اليغموريّ في تذكرته: قال الشيخ أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشّاب اللغويّ النحويّ يمدح الإمام المستضيء بأمر الله حين فُتِحت مصر:

يقولون مصرُ قد أنابتْ وأقلعتْ ... وقد سعدتْ من بعد شقوتها مصرُ

ومن شعره في الشمع:

صفراءُ لا من سقمٍ مسّها ... كيف وكانت أمّها الشافيهْ
عريانة باطنها مُكتسٍ ... فاعجبْ لها كاسية عاريهْ

وأنشد لابن الحجّاج:

والسعيد الرشيد من شكر النا ... س له سعيه بمال الناسِ

فقال مرتجلاً:

والشقيُّ الشقيُّ من ذمّه النا ... سُ على بخلِه بمال الناسِ

وقال ابن النجّار والحافظ زكيّ الدين المنذريّ في جزء له: أخبرنا أبو القاسم محمود بن هبة الله بن أبي القاسم الحلّيّ أذنا، قال: أنشدنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن الخشّاب النحويّ لنفسه مُلغِزا في الكتاب:

وذي أوجهٍ لكنّه غير بائحٍ ... بسرٍّ وذي الوجهين للسرِّ مظهرُ
تناجيك بالأسرار أسرارُ وجهه ... فتسمعها ما دمتَ بالعينِ تنظرُ

وقال ابن النجّار: أنبأنا مصدق بن شبيب النحويّ، قال: أنشدني أبو محمد بن الخشّاب لنفسه:

أسلمتْه العيون دُرّاً فلما ... جال فوق الخدودِ عاد عقيقا
وشموس ودّعن عند التلاقي ... فكأنّ الغروبَ عاد شروقا

قال ابن النجّار: أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن سكينة حدّثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن الخشّاب من لفظه أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن الربعيّ أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد البزّار حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن البختريّ الرزّاز حدثنا يحيى بن جعفر الواسطيّ، أخبرنا أبو داود الطيالسيّ حدثنا عمران القطّان عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن أبي هُريرة عن النبيّ (ﷺ) قال: «ليسَ شيءٌ أكرمَ على الله عزّ وجلّ من الدعاء».

قال ابن مكتوم في تذكرته: من فوائد عبدالله بن أحمد البغداديّ النحويّ المعروف بابن الخشّاب، وقد أنبأنا غير واحد عن أبي الحسن بن أبي عبدالله البغداديّ عنه: من لحن المتكلّمين قولهم الصفات الذاتيّة، وقولهم في الشيء المضمحلّ: متلاشٍ، ويصرّفون له فعلاً، فيقولون: تلاشى الشيء يتلاشي وهو المتلاشي، وهي لفظة مولّدة مركّبة من: لا شيء، وذلك لأنّهم يكثرون في كلامهم أن يقولوا للمعدوم، ولما لم يعتدّ بوجوده: هذا لاش، يريدون: لا شيء، ثم اشتقّوا من: "لا" و "شيء" فعلا، وصرّفوه، وليس ذلك بعربيّ ولا بقياسٍ، لأنّ قولهم: حمدلَ وجعفلَ وهلّلَ وسبحلَ وحيهلَ وحيعل إذا قال: الحمد لله، وجُعِلتُ فداكَ، ولا إله إلا الله، وسبحانَ الله، وحيّهل بالبريد، وحيٌّ على الصلاة ليس بقياسٍ فيطردُ، وانتهاك لفظة "شيء" بالحذف حتى بقيت على حرفٍ واحد غير جائز، وإن كانوا قد حكوا: "أَيْشٍ تقولُ؟" و"اسقني ما يا هذا" و"م اللهِ" في القسم، فأبقَوا هذه الأسماء المعربة على حرفٍ، فالقياسُ عليها لحنٌ لا يجوز، واستعمالهم لها على هذا الوجه رديءٌ لو ردّه رادٌّ لم يُعَنَّف، وإذا كانت الأسماء المبقاة على حرفين قليلة لا يُقاس عليها، فما ظنُّك بما هو على حرفٍ واحدٍ؟ وذكر بعض اللغويين أنّ قولَهم: شيءٌ أزليّ أيْ: قديمٌ مولَّد، وأنّهم أخذوا هذا اللفظ من قولهم: لم يَزل.

وعلى ذكر التلاشي، فإنّ شيخنا أبا بكر محمد بن الحسين الفرَضيّ المقرئ رحمه الله، حكى لي، وكان ديِّنا عن بعض المتفقّهة، وكان في صدره سلامة، قال:

عهدي به يوما في حلقة النظر، وهو يشير بيديه ماداً لهما إلى السماء، ومُجافيا إبطيه عن جَنبيه، ويقول في وصف شيء ذكره بالتعاظم والانتشار: فجعل يتلاشى يتلاشى، يعني: يتعاظم، فانقطع المجلسُ ضحكا منه، وفي ظنّه أنّ التلاشي هو التعاظم.

ومن ذلك كثيرا ما يقولون: الانعدام، وانعدم الشيء، وأعدمها الله فانعدمت، وذلك مما لا يُعرف في اللغة، وإنّما يُقال: أذهبه الله فذهب، وأما أعدمه الله فقليل التردّد في كلام الفصحاء، وإن كان قياسه سهلا. ولو قيل: وكذلك ضدّه، وهو أوجده الله، والإيجاد، فأمّا انعدم فليست من اللغة أصلا كما أنّ انوجد كذلك، وعلّته أنّهم يقولون: عدمتُ الشيءَ إذا فقدته، وعُدِم هو إذا فُقِد، فقد أرادوا المعنى الآخر، وهو أن تكون أنتَ سبب فقدانه، لم يبعد أن يُعدّى بالهمزة، فتقول: أعدمتُ الشيء أيْ: جعلته إمّا معدوما وإمّا انعدم مطاوعا، فإنّ أفعال المطاوعة لا يُقاسُ عليها، الا ترى أنّك تقول: أخرجته، ولا تقول: انخرج؟ وأذهبته وذهبتُ به، ولا تقول: انذهب؛ ولهذا لا يعجبني قول الكُمَيت:

ولا يُرى في حميت السكْن تندخلُ

ولا قول الآخر:

والخيل تحت عجاجها المنجالِ

إنّما الكلام أدخلته فدخل وأجلته فجال. قال: ومن اللحن الغثّ عندي أيضا: أدرته فاندار.

ويشهد عندك بما قلت من ضعف قياس أفعال المطاوعة أنّ كثيرا منها يجيء من غير لفظِ فعل الفاعل، كقولهم: أنختُ البعيرَ فبرك، ولا يقولون: فناخ، ولهذا تقول: مُناخ الركاب بالضمّ ولا يفتحون الميم لأنّ الفعل المستعمل من هذا رباعيّ لا ثلاثيّ، وليس بمنزلة المُقام والمَقام لأنّ فعليهما مستعملان، أعني قام وأقام، على أنّ في الكتاب المنسوب إلى الخليل رحمه الله: أنختُ البعير فناخَ، وغير خافٍ اطّراحهم أكثر ما فيه، والله أعلم. انتهى.

قال ياقوت: حدثني الأمير فخر الدين بن نجاح قال: نزلت أنا والشيخ أبو محمد بن الخشّاب في سمارية، وكانت حينئذٍ تشبه العقارب لها مؤخر معقرب، فقال ابنُ الخشّاب:

أرانا على سرح سخمها دنوتُ وأغصانها دُسُرْ

ثم قال لي: أجِزنا أبا البركات، فقلتُ:

تسير على الماء كالعقربالِ يوقع شَولته من دُبرْ

قال: وحدثني قال: كنت أنا وابنُ الخشّاب يوما على الجسر، فقال وأشار إلى زواريق الجسر:

كأنُها صفُ جمالٍ سودْ

ثم قال لي: أجِز، فقلتُ:

قد تركوها في سرابٍ بيدْ

قال الشيخ تاج الدين ابن مكتوم في تذكرته: هذه قصيدة في التعمية واللغز، يُقال: إنَّها من نظم الإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشّاب البغداديّ النحويّ، وإنَّه كتب بها إلى الكمال عبد الرحمن الأنباريّ:

سلا صاحبيّ الجزع عن أعين الحمى

[٤٢][*]

ابن دُرَيْد

الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد بن عتاهية بن حنتم بن حمامي، وهو أول من أسلم من آبائه، وهو من السبعين راكبا الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عُمان إلى المدينة لما بلغهم وفاة النبيّ (ﷺ) بن واسع بن وهب بن سلمة بن حنتم بن حاضر بن جشم بن ظالم بن حاضر بن أسد بن عديّ بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عُدثان بن عبدالله بن زهير، ويُقال: زهران، بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن مالك بن نضر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزديّ اللغويّ الشافعيّ.

ولِد بالبصرة سنة ثلاثٍ وعشرين ومائتين، وكان أبوه من رؤساء زمانه، وقرأ أبو بكر على علماء البصرة، ورحل، وروى عن أبي حاتم السجستانيّ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، وأبي الفضل الرياشيّ. وروى عنه خلقٌ منهم السيرافيّ، وابن شاذان، والمرزبانيّ، وأبو الفرج الأصبهانيّ، وأبو علي القالي.

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويين: ١٣٥-١٣٦. تهذيب اللغة: المقدّمة: ١/٣١. طبقات النحويين واللغويين: ٨٣-٨٤. الفهرست: ٩٦-٩٨. معجم الشعراء: ٤٦١-٤٦٢. نور القبس: ٣٤٢-٣٤٤. تاريخ العلماء النحويين: ٢٢٥-٢٢٦. تاريخ بغداد: ٢/١٩١-١٩٤. الإكمال: ٣/٣٨٨. الأنساب: ٢/٤٧٣-٤٧٤. نزهة الألباء: ١٩١-١٩٤. المنتظم: ١٣/٣٢٩-٣٣١. معجم الأدباء: ٦/٢٤٨٩-٢٤٩٩. الكامل في التاريخ: ٧/٩٢. المحمدون من الشعراء: ٢٠١-٢٠٤. إنباه الرواة: ٣/٩٢-١٠٠. إشارة التعيين: ٣٠٤-٣٠٥. تاريخ الإسلام: (وفيات ٣٢١-٣٣٠): ٨٧-٨٩. دول الإسلام: ١/١٩٥. العبر: ٢/١٢. سير أعلام النبلاء: ١٥/٩٦-٩٨. مسالك الأبصار: ٧/٣٢-٣٣. تاريخ ابن الوردي: ١/٢٥٥. الوافي: ٢/٢٥١-٢٥٤. مرأة الجنان: ٢/٢١٢-٢١٣. البلغة: ٢٠٦. طبقات النحاة واللغويين: ٨٣-٨٦. لسان الميزان: ٥/١٣٢-١٣٤. النجوم الزاهرة: ٣/٢٧٤-٢٧٥. البغية: ١/٧٩-٨١. شذرات الذهب: ٢/٤٩١-٤٩٣. خزانة الأدب: ٣/١١٩-١٢١.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن دريد حياته وتراثه اللغوي والأدبيّ.
- محمد بن دريد وكتابه الجمهرة.

وكان رأساً في العربيّة واللغة وأشعار العرب، وله شعر كثير، وروى من أخبار العرب وأشعارها ما لم يروه كثير من أهل العلم.

قال أبو الطيِّب: انتهى إليه علم لغة البصريين، وكانَ أحفظَ الناسِ، وأوسعَهم علما، وأقدرَهم على الشعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دُرَيْد، وتصدُّر ابن دُرَيْد في العلم ستين سنة، ومات وهو ابن ثلاثٍ وتسعين سنة، ويُقال: ابن سبعٍ وتسعين،، وكان يُقال: ابنُ دُرَيْد أشعرُ العلماء، وأعلمُ الشعراء.

وقال الخطيب في تاريخ بغداد: كان ابن دُرَيْد واسعَ الحفظِ جداً، تقرأ عليه دواوين العرب كلّها، أو أكثرها، فيسابق إلى إتمامها ويحفظها.

وسئل عنه الدارقُطنيّ، فقال: تكلّموا فيه. وقال أبو حفص بن شاهين: كنّا ندخل على ابن دُرَيْد فنستحيي لما نرى من العيدان المعلّقة، والشرابُ المصفّى موضوعٌ، وقد جاوز التسعين.

وقال الخطيب: جاء إليه سائل، فلم يكن عنده غير دِنّ نبيذ، فأعطاه له، فأنكر عليه غلامه، فقال: لم يكن عندنا غيره، وتلا قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبّون﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٩٢] فما تمَّ اليوم حتى أهدِي له عشرة دِنان، فقال: تصدقنا بواحدٍ وأخذنا عشرة.

وقال الأزهريّ في مقدمة التهذيب: ممن ألّف الكتب في زماننا، فرُميَ بافتعال العربيّة وتوليد الألفاظ، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها أبو بكر بن دُرَيْد، وقد سألتُ عنه إبراهيم بن عَرفة يعني نفطويه، فلم يعبأ به، ولم يوثقه في روايته، وألفيته أنا على كِبر سنّه سكرانَ لا يكاد يستمرّ لسانه على الكلام من سُكره، وقد تصفّحتُ كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة، فلم أرَه دالاً على معرفة ثاقبة، ولا قريحة جيدة، وعثرتُ من هذا الكتاب على حروفٍ كثيرة أنكرتها، ولم أعرف مخارجها، فأثبتها في كتابي في مواقعها منه؛ لأبحثَ أنا وغيري عنها.

وقال أبو ذرّ الهرويّ: سمعتُ أبا منصورٍ الأزهريّ يقول: دخلتُ على ابن دُرَيْد، فرأيته سكرانَ، فلم أعد إليه.

وقال غير أبي منصور: أملى ابن دُرَيْد الجمهرة في فارس، ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه، فلذلك تختلف النسخ، وتراها كثيرة الزيادة والنقصان، والنسخة المعوَّل عليها هي الأخيرة، وآخر ما صحَّ نسخة عبيدالله بن أحمد جُخْجُخ، لأنَّه كتبها من عدة نسخٍ، وقرأها عليه.

وقال: ذكر أبو علي البيهقيّ المعروف بالسلاميّ في كتاب النُّتَف والطُّرَف أنَّ ابن دُرَيْد صنَّف كتاب الجمهرة للأمير أبي العباس إسماعيل بن عبدالله بن ميكال أيام مقامه بفارس، فأملاه عليه إملاءً، ثم قال: حدثني أبو العباس الميكاليّ قال: أملى عليَّ أبو بكرٍ الدريديّ كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظا في سنة سبعٍ وتسعين ومائتين، فما رأيته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللفيف. قال: وكفى عجبا أن يتمكّنَ الرجل من علمه كلَّ التمكّن، ثم لا يسلم مع ذلك من الألسن حتى قيل فيه:

ابنُ دُرَيْد بقرهْ ... وفيه عيٌّ وشَرهْ
ويدَّعي من حمقه ... وضعَ كتابِ الجمهرهْ
وهو كتاب العينِ إ ... لا أنَّه قد غيَّرهْ

قال ياقوت: كان بين نفطويه وابن دُرَيْد مماظَّة، فقال فيه هذه الأبيات، فبلغ ذلك ابن دُرَيْد، فقال يجيبه(١):

لو أُنزلَ الوحيُ على نفطويه ... لكان ذاك الوحيُ سخطاً عليهِ
وشاعر يُدعى بنصف اسمه ... مستأهل للصفع في أخدعيهِ
أحرقه الله بنصف اسمه ... وصيَّرَ الباقي صراخاً عليهِ

(١) ديوان ابن دريد، ٧٦.

وقال ابن خالويه في شرح المقصورة[1]: كان ببغداد الكرمانيّ، وكان صاحب لغة، وكان يطعن على ابن دُرَيْد، وينقض عليه الجمهرة فجاء غلامٍ لابن دُرَيْد، فجلس بحذائه في الجامع، ونقض على الكرمانيّ جميع ما نقضه على ابن دُرَيْد، فقال: اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، قال أبو بكر بن دُرَيْد أعزَّه الله تعالى: عننتُ الفرسَ إذا حبسته بعنانه، فإن حبسته بمقوده فليس بمُعنٍّ. قال الكرمانيّ الجاهل: أخطأ ابن دُرَيْد لأنَّه كان من عننت، فيجب أن يكون معنونا، وإن كان من أعننت، فيجب أن يكون مُعَنًّا، وأخطأ لكذا وكذا، فوقف شاعر على الحلقة، فقال: اكتبوا:

أذللتَ كَرمانَ وعرَّضتها ... لجحفلٍ مثل عديد الحصا
وابن دُرَيْد غُرَّةٌ فيهمُ ... في بحره مثلك كم غوَّصا
جثا على الرُّكبة حتى إذا ... أحسَّ نزرا قعد القرفصا
والله إن عاد إلى مثلها ... لأصفعنَّ هامته بالعصا

فلم يُلتفت إلى الكرمانيّ بعد ذلك.

وقال يوسف بن الأزرق: ما رأيت أحفظَ من ابن دُرَيْد، ما قرئ عليه ديوان إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه له.

وقال القالي: قال لي ابن دُرَيْد مرَّةً، وقد سألته عن بيت شعر: لئن طُفئت شحمتا عيني لم تجدْ من يشفيك من العلم.

وكذلك قال لي أبو حاتم، وقد سألته عن شيء، وقال لي: كذلك الأصمعيّ، وقد سألته عن شيء. قال القالي: وآخر شيءٍ سألته عنه جاوبني بأن قال: يا بُني، حال الجريضُ دون القريض. وكان كثيراً ما ينشدُ في ضعفه:

فيا حزنا أن لا حياة لذيذة ... ولا عمل يرضى به الله صالحُ

وكان صنَّف الجمهرة لابني ميكال، وهما على عمالة فارس، فقلداه ديوان

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد، ضمن كتاب: ابن خالويه وجهوده في اللغة، ٢٤٠-٢٤١.

الإنشاء، فحصلُ أموالاً جمّة إلا أنَّه كان لا يمسك شيئا سخاءً وكرَما، ومدحهما بالمقصورة، ويُقال: إنَّه أتى فيها بأكثر اللغة، فوصلاه بعشرة آلاف درهم، فلما عُزِلا صار إلى بغداد، فنزل على ابن الحواريِّ، فأفضل عليه، وعرَّف به المقتدي، فأجرى عليه في الشهر خمسين دينارا إلى أن مات.

وعرض له آخر عمره فالج، فسُقيَ الترياق، فبرأ وعاد إلى إملائه، ثم عاوده الفالج، وبطل من محزمه إلى قدميه، وكان إذا دخل عليه أحد ضجَّ، وتألّم لدخوله، وإن لم يصل إليه، قال القالي: فكنتُ أقول في نفسي إنَّ الله عاقبه بقوله في المقصورة:

مارستَ من لو هوتِ الأفلاك من ... جوانب الجوِّ عليه ما شكا

وعاش بعد ذلك عامين.

وأخرج ابن النجّار عن أبي عبدالله محمد بن علي العتمانجي قال: لما نزل أبو بكر بن دُرَيْد بلد سيراف، سئل الجلوس للقراءة عليه، فأبى ذلك إذ لم يرَ هناك من يسوى أن يجلس له، فكتب هذه الأبيات، وعلّقها في قبلة مسجدهم، وهي(١):

قالوا: نراك تطيل الصمت قلتُ لهم ... ما طول صمتيَ من عيٍّ ولا خرسِ

لكنَّه أجمل الأمرين منزلةً ... عندي وأحسن بي من منطق شكسِ

قالوا نراك أديبا لست ذا خطل ... فقلت هاتوا أروني وجه مقتبسِ

لو شئت قلت ولكن لا أرى أحدا ... ساوى الكلامَ فأعطيه مدى النفسِ

لا أنشر التبر فيمن ليس يعرفهُ ... وأنثر الدُّرَّ بين العمي في الفلسِ

قال ياقوت: نقلتُ من خطِّ أبي علي المحسن قال: سألت القاضي أبا سعيدٍ السيرافيَّ عن الأخبار التي كان رُوِّيها عن أبي بكر بن دُرَيْد، وكنتُ أقرؤها عليه: أكان يمليها من حفظه؟ فقال: لا، كانت تجمع من كتبه وغيرها، ثم تُقرأ عليه. وسألت أبا عبدالله محمد بن عمران المرزبانيَّ عن ذلك، فقال: لم يكن يمليها من كتاب، ولا حفظٍ

(١) لم ترد هذه الأبيات في ديوان ابن دريد.

ولكن كأنَّه يكتبها ثم يخرجها إلينا بخطِّه.

قال ياقوت: وقال المرزبانيّ: قال لي ابن دُرَيْد: سقطتُ من منزلي بفارس، فانكسرت ترقوتي، فسهرت ليلتي، فلما كان آخر الليل أغمضت عيني، فرأيت رجلا طويلا أبيضَ أصفرَ الوجه كوسجاً دخل عليَّ، وأخذ بعضادتي الباب، وقال: أنشدني أحسنَ ما قلتَ في الخمر. فقلتُ: ما ترك أبو نواس لأحدٍ شيئاً. فقال: أنا أشعر منه. فقلتُ: ومن أنتَ: فقال: أبو ناجية من أهل الشام. وأنشدني:

وحمراءَ قبل المزجِ صفراءُ بعدَه ... بدت بين ثوبَي نرجسٍ وشقائقِ
حَكَتْ وَجنة المعشوقِ صِرفاً فسلَّطوا ... عليها مزاجاً فاكتستْ لونَ عاشقِ

فقلتُ له: أسأتَ. قال: ولِمَ؟ قلتُ: لأنَّك قلتَ: وحمراء، فقدمتَ الحمرة، ثم قلت: بدت بين ثوبَي نرجسٍ وشقائق، فقدمتَ الصفرة، فهَلاَّ قدمتها على الأخرى؟ فقال: وما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض؟

وقال ابن النجّار في تاريخه: أنبأنا عبد الوهاب الأمين عن محمد بن عبد الباقي الأنصاريّ، قال: كتب إليَّ أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعرّيَ حدثنا أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز عن عبدالله بن خالويه حدثنا ابن دُرَيْد قال: سقطتُ عن حماري بفارس فبتُّ وجعاً، فأتاني آتٍ في منامي، وقال لي: قلْ في الخمر شيئا. فقلتُ: وهل ترك أبو نواس لقائلٍ مقالاً؟ قال: أنتَ أشعرُ منه حين تقول[1]:

وحمراءَ قبل المزجِ صفراءُ بعدَه ... بدت[2] بين ثوبَي نرجسٍ وشقائقِ
حَكَتْ وَجنة المعشوقِ صِرفاً فسلَّطوا ... عليها مزاجاً فاكتستْ لونَ عاشقِ[3]

فقلتُ: من أنتَ؟ قال: أنا شيطانك أبو زاجية. فقلتُ: وأينَ تسكنَ؟ قال: الموصِل.

---

(١) ديوان ابن دريد: ٥٢.
(٢) في المصدر نفسه: أتت. انظر: ٥٢.
(٣) البيت في ديوان ابن دريد هو:

حكتْ وجنة المعشوق قبل مزاجها ... فلما مزجناها حكتْ خدَّ عاشقِ

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: سمعتُ أبا منصور الفقيه يقول: كنتُ باليمن سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثمائة، فبينما أنا أسير بمدينة عَدَن إذ رأيتُ مؤدبا يعلم متأدبا له مقصورة ابن دُرَيْد، وقد بلغ الميكاليّة، فقال: يا خُراسانيّ: أبو العباس هذا، له عندكم عقب؟ فقلت: هو بنفسه حيّ، فتعجَّبَ من هذا أشدُّ العجب. وقال: أنا أعلِّم هذه القصيدة منذ كذا وكذا سنة.

وكان ابن دُرَيْد مدح بالمقصورة عبدالله بن محمد بن ميكال وابنه أبا العباس وأخاه.

قال القاضي أبو علي المحسِّن بن علي التنوخيّ في كتاب: أخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة[1]: حدثني أبو جعفر طلحة بن عبيدالله بن قياس، قال: حضرتُ ببغداد في مجلس أبي بكر بن دُرَيْد وأبو نصرٍ البنص يقرأ عليه قصيدته التي أولها:

أماطت لقاحا عن أقاحي الدمائث ... بمثل أساريع الحقوق العثاعثِ

إلى أن بلغ إلى قوله فيها:

إذا وطئوا يوما على ظهر كدأة ... أحاطوا على حافاتها بالربائثِ

فقطع القراءة وقال: يا أبا بكر، أعزَّك الله، ما الربائث؟ فقال ابن دُرَيْد: العرب تسمي الحراب العِراضَ الحدائد الربائثَ. فقال له البنص: أخطأت، أعزَّك الله يا أبا بكر. فتعجّبنا من جرأته على تخطئة أبي بكر، وتشوُّقنا إلى ما يجري، فقال له أبو بكر وكان وطيء الخلق، فما هي يا أبا نصر أعزَّك الله؟ قال: جمع ربيثاء وهي التي تقدَّم في السُّكْرجات. وعاد يقرأ في القصيدة محتداً، فضحكنا منه.

وقال أبو بكر الزبيديّ في طبقات النحويين[2]: أخبرني أبو علي القالي، قال: لما تهاجى أبو بكر والباهليّ بالبصرة، وتفاقم الأمر بينهما، تنافرا إلى أبي خليفة الفضل

---

(١) عنوان الكتاب هو: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، والرواية فيه. انظر: ٩٦/١.
(٢) طبقات النحويين واللغويين: ١٨٢.

بن الحباب، فاجتمع لذلك وجوه أهل البصرة، ثم أنشد كلّ واحد منهما، فكان مما أنشده الباهليّ:

أبابنِ دُرَيْد يقيسونني ... لقد ضربوني بسيفٍ كَهام

فقال أبو خليفة: أراك قد جعلتَ نفسك ضريبة، وجعلته سيفاً! ثم غلّبَ ابنَ دُرَيْد، فانصرف ابن دُرَيْد عن مجلسه، وقد غلب، وانصرف أهل البصرة عن مجلسه وهم يرون أنّه أصاب في الحُكم.

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: سمعتُ أبا إسحاق إبراهيم بن الفضل الهاشميَّ اللغويَّ الأديب يقول: سمعت أبا بكر بن دُرَيْد ينشد لنفسه(١):

ودّعته حين لا تودّعه ... نفسي(٢) ولكنها تسير معه

ثم افترقنا وفي القلوب له ... ضِيق مكانٍ وفي الدموع سعةْ

قال ياقوت: وأول شعر قاله ابن دُرَيْد(٣):

ثوبُ الشبابِ عليَّ اليومَ بهجتُه ... فسوف تنزعه عني يد الكبر

أنا ابنُ عشرين ما زادت ولا نقصتْ ... إنَّ ابنَ عشرين من شيبٍ على خطر

وقال ياقوت: قال أبو هلال: أخبرنا أبو أحمد قال: كنّا في مجلس ابن دُرَيْد، وكان يتضجَّرُ ممن يخطئ في قراءته، فحضر غلام وضيء الوجه، فجعل يقرأ ويكثر الخطأ، وابن دُرَيْد صابر عليه، فتعجّب أهل المجلس، فقال رجل منهم: لا تعجبوا فإنَّ في وجهه غفرانَ ذنوبه. فسمعها ابن دُرَيْد، فلما أرادَ أن يقرأ، قال له: هاتِ يا من ليسَ في وجهه غفران ذنوبه. فتعجبوا من صحة سمعه مع علوِّ سنّه.

قال: وقال بعضهم في مجلس ابن دُرَيْد:

---

(١) ديوان ابن دريد: ٣٩.
(٢) في المصدر نفسه: روحي. انظر: ٣٩.
(٣) المصدر نفسه: ٨٤.

من لم يكن للظباء صاحب صيد ... فعليه بمجلس ابنِ دُرَيْد
إنَّ فيه لأوجهاً قيَّدتني ... عن طِلاب العلا بأوثق قيد

وقال ابن خالويه في شرح المقصورة[١]: حضرتُ ابنَ دُرَيْد وقد ناوله أبو الفوارس غلامُه طاقة نرجس، فقال: يا بُني، ما أصنع بهذا اليوم؟ وأنشد:

صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسه ... فلما علاهُ قال للباطل أبعدِ

ومن تصانيف ابن دُرَيْد: الأمالي. المجتنى. الملاحن. الاشتقاق. اشتقاق أسماء القبائل. المقتبس. المقصور والممدود. الوشاح، على حذو المحبَّر لابن حبيب. الخيل الكبير. الخيل الصغير. الأنواء. السلاح. غريب القرآن، لم يتم. فعلت وأفعلت. أدب الكاتب. المطر. زوار العرب. السرج واللجام. تقويم اللسان، لم يُبيّض.

مات يوم الأربعاء لاثني عشر بقيت من رمضان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة يوم مات عبد السلام الجبائيّ، فقيل: مات علم اللغة والكلام جميعا. قال الخطيب[٢]: أخبرنا علي بن أبي علي عن أبيه، قال: حدثني أبو علي الحسن بن سهل بن عبدالله الأيذجيّ القاضي، قال: لما توفي أبو هاشم الجُبَّائيّ ببغداد، اجتمعنا لندفنه، فحملناه إلى مقابر الخيزران في يوم مطير، ولم يعلم بموته أكثر الناس، فكنّا جُميعة في الجنازة، فبينما نحن ندفنه إذ حُملت جنازة أخرى، ومعها جُميعةٌ عرفتهم بالأدب، فقلتُ لهم: جنازة من هذه؟ فقالوا: جنازة أبي بكر بن دُرَيْد. فذكرت حديث الرشيد لما دفن محمد بن الحسن والكسائيّ بالريّ في يوم واحد، فأخبرت أصحابنا بالخبر، وبكينا على الكلام والعربيّة طويلا وافترقنا.

قال القالي في أماليه[٣]: أنشدنا جحظة يرثي ابنَ دُرَيْد:

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد، ضمن كتاب: ابن خالوية وجهوده في اللغة، ٥١٤.
(٢) تاريخ بغداد: ٥٧/١١.
(٣) الأمالي: ٥٦/٣.

فـقـدتُ بابنِ دُرَيْد كلّ منفـعـةٍ | لما غـدا ثالثَ الأحـجـار والتُّـربِ
وكنتُ أبكي لفقد الجود مجتهدا | فـصرت أبكي لفقد الجود والأدبِ

ومن شعر ابن دُرَيْد في النرجس[1]:

عـيـونٌ مـا يلمُّ بهـا رقـادُ | ولا يمحـو محـاسنها السـهـادُ
إذا ما الليل صافحـها استهلّت | وتضـحك حين ينحسـر السـوادُ
لهـا حـدقٌ من الذهب المصـفّى | صـيـاغـةُ من يدينُ له العـبـادُ
وأجـفـانٌ من الدرّ اسـتـفـادت | ضـيـاءً مـثلهُ لا يُسـتـفـادُ
على قُـضب الزبرجـد في ذراها | لأعين من يلاحظهـا مُـرادُ

وقال الزمخشريّ في ربيع الأنوار: جمع ابنُ دُرَيْد ثمانية أسماء في بيتٍ واحد، فقال[2]:

فنِعمَ أخو الجُلّى ومستنبط الندى | وملجـأ محـزون[3] ومـفـزع لاهث
عبادُ بن عمرو بن الجليس بن عامر بـ | ـن زيد بن مذكور بن سعد بن حارثِ[4]

وقال ياقوت: قرأت في كتاب التحبير: قال الأمير أبو نصر الميكاليّ: تذاكرنا المتنزهات يوما وابن دُرَيْد حاضرٌ، فقال بعضهم: أنزه الأماكن غوطة دمشق. وقال آخرون: بل نهر الأبلّة. وقال آخرون: بل سغد سمرقند. وقال: بعضهم: شعب بوان بأرض فارس. وقال بعضهم: نوبهار بلخ. فقال: هذه متنزهات العيون، فما هو اسم أحسن متنزهات القلوب؟ قلنا: وما هي يا أبا بكر؟ قال: عيون الأخبار للقتبيّ، والزهرة لابن داود، وقلق المشتاق لابن أبي طاهر، ثم أنشأ يقول[5]:

---

(١) ديوان ابن دريد: ٥١.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٤.
(٣) في المصدر نفسه: مكروب. انظر: ١٠٤.
(٤) رواية المصدر نفسه هي:
عياذ بن عمرو بن الحليس بن جابر | بن زيد بن منظور بن زيد بن وارثِ
(٥) المصدر نفسه: ٨٣.

ومن تكُ نزهتــــه قـــينة ... وكـــأس تُحثُّ وكـــأس تُصَبْ
فنزهتنا واســـتـــراحـــتُنا ... تلاقي العـــيـــون ودرس الكتبْ

قال ياقوت: وحدث المرزبانيّ، قال ابن دُرَيْد: خرجتُ أريد زهران، فمررتُ بدار كبيرة قد خربت، فكتبتُ على حائطها[1]:

أصــبحــوا بعــد جــمــيعٍ فِرَقــا ... وكــذا كلُّ جــمــيعٍ مــفــتــرقْ

فمضيت ورجعتُ، فإذا تحته مكتوبٌ:

ضــحكوا والدهرُ عنهم صــامتٌ ... ثم أبكاهمْ دمـــا حينَ نطقْ

قال ياقوت: ومن شعر ابن دُرَيْد[2]:

وقد ألفتْ زُهرُ النجومِ رعــايتي ... فإن غِبتُ عنها فهي عني تسألُ
يقـــابل بالتـــسليم منهنَّ طالعٌ ... ويومي بالتـــوديع منهن أفلُ

ومن شعر ابن دُرَيْد قصيدة رثى بها الإمام الشافعيَّ رضي الله عنه[3]:

بملتـفـتـيـه للمـشـيب طوالع ... ذوائد عن ورد التـصـابي روادعُ
يصـــرفنه طول العنان وربّمـــا ... دعـاه الصـبـا فـاقـتـاده وهو طائعُ
ومن لم يزغـــه لبّـــه وحـــيـــاؤه ... فليس له من شـيـب فـوديه وازعُ
ألم ترَ آثار ابن إدريس بعـــده ... دلائلـه فـي المشـكـلات لـوامـعُ
مـعـالم يفنى الدهر وهي خـوالد ... وتنخـفضُ الأعـلامُ وهـي روافعُ[4]
مناهج فـيـهـا للورى مـتـصـرّف ... مـوارد فـيـهـا للرشـاد مـشـارعُ[5]

(١) ديوان ابن دريد: ٨٤.
(٢) المصدر نفسه: ٥٧.
(٣) المصدر نفسه: ٧٠-٧١.
(٤) في المصدرنفسه: فوارع. انظر: ٧٠.
(٥) في المصدرنفسه: شرائع. انظر: ٧٠.

لرأي ابن إدريس ابن عمِّ محمد ... ضياءٌ إذا ما أظلم الخطب صادعُ[1]
إذا المعضلات المشكلات تشابهت ... سما منه نورٌ في دُجاهُنّ ساطعُ[2]
أبى الله إلا رفعه وعلوّه ... وليس لنا يعليه ذو العرشِ واضعُ
توخّى الهدى واستنقذته يد التقى ... من الزيغ إنّ الزيغَ للمرءِ صارعُ
ولاذ بآثار الرسول فحكمُه ... كحكم رسول الله في الناس نافعُ[3]
وعوّل في أحكامه وقضائه ... على ما قضى في الوحي[4] والحقّ ناصع
فمن يكُ علمُ الشافعيّ إمامه ... فمرتعه في ساحة العلم واسعُ
سلامٌ على قبرٍ تغمد جسمه ... وجادت عليه المُدْجناتُ الهوامعُ
لقد غيبت أكفانه شخص[5] ماجدٍ ... جليل إذا التفت عليه المجامعُ

وقال القالي: قرأت على أبي بكر بن دُرَيْد لنفسه[6]:

ليس السليم سليمَ أفعى حرّة ... لكن سليم المقلة النجلاءِ
نظرت ولا وسن يخالط عينها ... نظر المريض بسَوْرَة الإغفاءِ

قال: وأنشدنا ابن دُرَيْد لنفسه[7]:

إنَّ الذي أبقيت من جسمه ... يا متلف الصبّ ولم تشعرِ
صبابة لو أنّها دمعة ... تجول في جفنك لم تقطرِ

قال: وقرأت على ابن دُرَيْد لنفسه[8]:

أرى الشيب مذ جاوزتُ خمسين دائبا ... يدبُّ دبيبَ الصبح في غسق الظلمْ
هو السُّقم إلا أنَّه غير مؤلمٍ ... ولم أرَ مثلَ الشيب سقماً بلا ألمْ

---

(١) في ديوان ابن دريد: ساطع. انظر: ٧٠.
(٢) في المصدرنفسه: لامع. انظر: ٧٠.
(٣) في المصدر نفسه: تابع. انظر: ٧١.
(٤) في المصدر نفسه: التنزيل. انظر: ٧١.
(٥) في المصدر نفسه: أثراؤه جسم. انظر: ٧١.
(٦) المصدر نفسه: ٣٧.
(٧) لم يرد البيتان في المصدر نفسه.
(٨) المصدر نفسه: ٨٣.

ولابن دُرَيْد[1]:

غـراء لو جلت الخـدود شـعـاعـهـا ... للشـمس عند طلوعـهـا لم تشـرقِ
غــصـن على دعص تأوّد فــوقــه ... قـــمـــرٌ تـألّق تحت ليل مـطبقِ
لو قـيل للـحسن احـتكم لم يعـدها ... أو قـيل خـاطبْ غـيـرها لـم ينطقِ
فكأننا من فـرعــهـا في مـغـرب ... وكـأننا من وجـهـهـا في مـشـرقِ
تبـدو فـيـهـتف بالعـيون ضـيـاؤها ... الـويـل حـلٌ بمـقـلـة لـم تـطـبـقِ

ولابن دُرَيْد أورده أسامة بن منقذ في كتابه نقد الشعر[2]:

إنَّ الذي بـجـــمـــاله وكـــمـــاله ... جـعل السُّـهادَ إلى الجـفون طريقـا
كـالبـدر حـسنا والـغـزالة مـقلةً ... والـغــصـن قــدا والمدامـــة ريقـــا
ومــهــفــهفٌ لولا فـتـور جـفـونه ... مـا كـان طرفي في الدمـوع غـريقـا
فـضل المهـا جِـيـداً وزاد على ذكـا ... نوراً ولـم يـخـطِ المدامــــة ريقــــا

في تذكـرة اليـغـموريِّ: حكى أبو زكـريا يحـيى بن علي التـبـريزيّ اللغـويّ أنَّ أبا الحسن علي بن أحمد بن علي بن ملك الفالي كانت له مشيخة بالجمهرة لابن دُرَيْد في غاية الجودة، فدعته الحاجة إلى بيعها، فاشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى الموسويّ بسبعين ديناراً، وتصفّحها، فوجد فيها أبياتا بخطِّ أبي الحسن الفالي، وهي:

أنِستُ بـهـا عـشـرين حـولا وبعـتـهـا ... فــقــد طال وجــدي بـهــا وحنيني
ومــا كــان ظنّي أنني ســأبيــعــهــا ... ولو خلدتني في الســجــون ديوني
ولكن لضـعـفٍ وافـتـقـارٍ وصِـبـيَـةٍ ... صِـغـارٍ عليـهم تسـتـهل شـؤوني
فــقلت ولـم أملك ســوابق عــبــرة ... مــقـــالة مكويّ الفـــؤاد حـــزينِ

(١) ديوان ابن دريد: ٤٠.
(٢) نسب أسامة ابن منقذ البيتين الأولين لابن دريد ونسب البيت الثالث والرابع لشيخ له لم يسمّه، والبيتان المنسوبان لابن دريد ليسا في ديوانه. انظر: البديع في نقد الشعر. ١١٣ باب التفسير.

وقد تخرج الحاجات يا أمّ مالك كرائم من ربّ بهنّ ضنينِ

فائدة: ابتدأ ابن دُرَيْد مقصورته بقوله(١):

أما ترى رأسي حاكى لونه طيرة صبح تحت أذيال الدجى

فاستغنى بذكر الشرط في قوله: "أما" وتاء الخطاب في قوله: "ترى" عن تقدّم ذكر المخاطب لدلالة المذكور على المحذوف، وقد تكلّف الكمال أبو البركات الأنباريّ نظم أبيات جعلها مطلعا لها، فقال(٢):

شرَّد عن عيني الكرا طيفٌ سرى من أمّ عمرو في غياهب الدُّجى
زار وسادي والظلامُ عاكفٌ وأنجمُ الليل مديداتُ الطُّلى
أهلاً بشخصٍ ما رأينا مثله في يقظة تزهو بنا طول المدى
إذ نحن نزهو والزمانُ مولعٌ بأعين الغِيد وأجياد الظُّبا
خوامص مثل المها فراهد خمص البطون عاليات المنتمى
والغانيات لا يردن من بدا في عارضيه الشيب لو رام الصِّبا
لما رأت شيبي عمٌ مفرقي قالت غبار يا حليلي ما أرى
ولم تزل تمسحه بمرطها والقلب ما بين إياسٍ ورجا
قلت لها موعظة لعلّها تعي صروف ما رأت بي قد علا
يا ظبية أشبه شيءٍ بالمها راتعةً بين الهضيم والحشا
أما ترى رأسي .... إلى أخره

قال الصلاح الصفديّ: عارض المقصورة جماعة، واعتنى بشرحها جماعة من المتقدّمين والمتأخرين، أخرهم الشيخ شمس الدين بن الصائغ، وشرحها في ثلاثة أسفار كِبار.

قال الزجّاجيّ(٣): سئل ابن دُرَيْد عن معنى قول الشاعر:

(١) ثمة خلاف في تحديد مطلع مقصورة ابن دريد. انظر:- ديوان ابن دريد: ١١٥. - شرح مقصورة ابن دريد للخطيب البغدادي: ٣.
(٢) انظر: البغية: ١/٨١.
(٣) أمالي الزجاجي: ٢٤٧.

هجـــــرتك لا قلى مني ولكن ... رأيت بقـــاء ودك في الصـــدودِ
كـهـجـر الحـائمـات الورد لما ... رأت أنَّ المنـيـــــة في الورودِ
تَفيض نفوسها ظمأ وتخشى ... حـمـامـا فـهي تنظر من بعـيـدِ

فقال: الحائم الذي يدور حولَ الماء، ولا يصل إليه، ومعنى الشعر أنَّ الأيائل تأكل الأفاعي في الصيف، فتحمى وتلتهب لحرارتها، فتطلب الماء، فإذا رأته امتنعت من شربه وحامت عليه، لأنَّها لو شربته في تلك الحال، فصادف الماءَ السُّمُّ الذي في أجوافها، هلكتْ، فلا تزال تمتنع من شرب الماء حتى يطول بها الزمان، فيذهب ثوران السَمِّ، ثم تشربه فلا يضرّها، فيقول هذا الشاعر: أنا في ترك وصالك مع شدة حاجتي إليه بمثابة الحائمات التي تدع شرب الماء مع شدّة حاجتها إليه إبقاءً على حياتها.

وأسند ابن النجّار في تاريخه من طريق أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد البغدادي قال: أنشدنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد لنفسه[(١)]:

إذا كنت أرضى من الدهر أنّي ... أنال الكفاف وعيشا سدادا
فـــإنَّ الأمـــيـــر وإنَّ الوزير ... وإنَّ البـــخـــيل وإنَّ الجـــوادا
لدي ســـواء فـــمـــا لي أذلّ ... لمن لا ينيل وأعطي القـــيـــادا
فـمن قلّ ذلّ ومن جـاد ســاد ... ومن ســاد ذاد ومن ذاد قـــادا
ومن طلب النجح عند اللئـيم ... أدام الركـوب وأجنى الجـوادا
أعـــاد الكتـــاب وأبدى الخطاب ... وأفنى قـــراطيـــســـه والمدادا
وأقـرب من كـان من نجـحـه ... كـأبعـد مـا كـان منه ابتـعـادا
ومن لم يكن منصفا في الإخاء ... وإن زرت زار وإن عـــدت عـــادا
أبيتُ عليـــه أشـــدَّ الإباء ... وإن كـان أعلى قـريشٍ عـمـادا
وقـــارضـــتـــه الودّ وزنا بوزن ... وكـــيـــلا بكيلٍ على مـــا أرادا

---
(١) لم ترد هذه القصيدة في ديوان ابن دريد.

[٤٣]*

ابن درستويه

أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الفارسيّ.

قال الخطيب: حدّث عن أحمد بن الحباب الحميريّ، ويعقوب بن سفيان الفسويّ، وعباس بن محمد الدوريّ، ويحيى بن أبي طالب، والقاسم بن المغيرة الجوهريّ، ومحمد بن الحسين الحنينيّ، وأبي قلابة الرقاشيّ، وعبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثيّ، وعبد الكريم بن الهيثم العاقوليّ، وأبي العباس المبرِّد، وعبدالله بن مسلم بن قُتيبة.

وكان فسوياً، فسكن بغداد إلى حين وفاته، وحُمِل عنه من علوم الأدب عدة كتبٍ صنّفها.

وروى عنه محمد بن المظفر، والدارقطنيّ، وابن شاهين، وأبو عبيدالله المرزبانيّ، ومنصور بن ملاعب الصيرفيّ، وغيرهم من المتقدمين. وحدثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه، وأبو الحسين بن الفضل، وأبو علي بن شاذان، سمعت عبدالله بن الحسن الطبريّ ذكر ابن درستويه، فضَعّفه، وقال: بلغني أنّه قيل له: حدِّثْ عن عباس الدوريّ حديثاً ونحن نعطيك درهماً. ففعل. ولم يكن سمع من عباس. وهذه الحكاية باطلة؛ لأنّ ابن درستويه كان أرفع قدراً من أن يكذبَ لأجل العوض الكثير، فكيف لأجل التافه الحقير؟

[*] انظر ترجمته في: طبقات النحويّين واللغويّين: ١١٦. تاريخ العلماء النحويين: ٤٧. السّابق واللاحق: ٧٣-٧٤. الإكمال: ٣/٣٢٣. نزهة الألباء: ٢١٣-٢١٤. المنتظم: ١٤/١١٥. معجم الأدباء: ٤/١٥١١-١٥١٣. إنباه الرواة: ٢/١١٣-١١٤. وفيات الأعيان: ٣/٤٤-٤٥. إشارة التعيين: ١٦٢. تاريخ الإسلام: (وفيات ٣٤١-٣٥٠): ٣٧٩-٣٨٠. العبر: ٢/٧٦-٧٧. مسالك الأبصار: ٧/١٠٨-١٠٩. الوافي: ١٧-٥٧. البلغة: ١٠٧. لسان الميزان: ٣/٢٦٧-٢٦٨. البغية: ٢/٣٦. طبقات المفسّرين: ١/٢٣٠-٢٣١. مفتاح السعادة: ١/١٥٧. شذرات الذهب: ٣/٨٥-٨٦.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن درستويه: عبدالله بن جعفر بن المرزبان الفارسي.

وقد حدثنا عنه ابن رزقويه بأماليَ أملاها في جامع المدينة، وفيها عن عباس الدوريّ أحاديث عدة.

سألتُ البرقاويّ عن ابن درستويه، فقال: ضعيف؛ لأنَّه لما روى كتاب التاريخ عن يعقوب بن سعيد أنكروا عليه ذلك، وقالوا له: إنَّما حدَّث يعقوب بهذا الكتاب قديماً، فمتى سمعتَ منه؟ وفي هذا القول نظَر؛ لأنَّ جعفر بن درستويه من كبار المحدثين وفُهمائهم، وعنده عن علي بن المدينيّ وطبقته، فلا يستنكر أن يكون بكَّر بابنه في السماع عن يعقوب وغيره مع أنَّ أبا القاسم الأزهريّ قد حدثني، قال: رأيت أصل كتاب ابن درستويه بتاريخ يعقوب بِيعَ في ميراث ابن الأبنوسيّ، فرأيته أصلاً حسنا، ووجدتُ سماعه منه صحيحا.

وسألت أبا سعد الحسين بن عثمان الشيرازيّ عن ابن درستويه، فقال: ثقة ثقة. حدثنا عنه أبو عبدالله بن منده الحافظ بغير شيء. وسألته عنه فأثنى عليه ووثّقه.

ولِد ابن درستويه سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين، ومات يوم الاثنين لستٍّ بقين من صفر سنة سبعٍ وأربعين وثلاثمائة. انتهى.

وقال الكمال بن الأنباريّ: كان ابن درستويه أحد النحاة المشهورين والأدباء المذكورين، أخذ عن المبرِّد، وابن قُتيبة، وألَّفَ كُتباً منها: الإرشاد، وشرح كتاب الجَرميّ، وكتاب الهجاء، وهو من أحسنها. انتهى.

ومن تصانيفه: شرح فصيح ثعلب. الردّ على المفضّل الضبِّيّ. الردّ على الخليل. الهداية. غريب الحديث. معاني الشعر. كتاب الحيّ والميت. كتاب الأضداد. أخبار النحاة. خبر قُس بن ساعِدةَ. الردّ على الفرّاء في المعاني. التوَسُّط بين الأخفش وثعلب في تفسير القرآن. وله عدة كتبٍ شرع فيها ولم يكملْها.

قال الشيخ تاج الدين بن مكتوم في تذكرته، ومن خطِّه نقلتُ، قال أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه النحويّ: قال لي البُحتريّ، وقد اجتمعنا على خَلوة عند أبي العباس المبرِّد، وسلكنا مسلكاً من المذاكرة: شعرتُ أني سبقتُ الناس إلى قولي:

سقى الغيث أكنافَ الحِمى من محلّه ... إلى الحقن من رمل اللوى المتقاودِ
ولا زال مُخضَرًا من الروض يانع ... عليه مُحْمَرّ من الروض جاسدِ
يذكّرنا ريّا الأحبة كلما ... تنفّس في جنح من الليل باردِ
شقائق يحملنَ الندى فكأنّه ... دموع التصابي في خدود الخرائدِ
ومن لؤلؤٍ في الأقحوانِ منظّم ... على نكت مصفرّة كالفرائدِ
كأنَّ خبا الجوذان في رونق الضُّحى ... دنانير نثر من توائم فاردِ
رباع تردت بالرياض مجود ... بكلِّ جديد الماء عذب المواردِ
كأنَّ يدَ الفتح بن خاقان أقبلت ... تلتها بتلك البارقات الرواعدِ

فاستحسن ذلك المبرِّد استحساناً أسرف فيه، وقال: ما سمعتُ بمثلِ هذه الألفاظ الرطبة، والعبارة العذبة لأحدٍ تقدّمك ولا تأخّر عنك. فاعترته أريحيّة جرٌّ بها رداء العُجب، فكأنّه أعجبني ما يعجب الناس من مراجعة القول، فقلتُ: أبا عُبادة، لم تُسبَقْ إلى هذا؟ بل سبقك إلى قولك:

شقائق يحملنَ الندى ...... البيتين

سعيد بن حميد الكاتب في قوله:

عذُبَ الفراق لنا قُبيلَ وداعنا ... ثم أجْتَرَعْناهُ كسُمٍّ ناقعِ
وكأنّما أثر الدموعِ بخدّها ... طَلٌّ سقيطٌ فوق وردٍ يانعِ

وشركَكَ فيه صاحبنا أبو العباس الناشئ بما أنشدنيه آنفاً:

بكت للفراق وقد راعها ... بكاء الحبيب لفقد الديارِ
كأنَّ الدموعَ على خدِّها ... بقية طلٍّ على جُلنّارِ

وما أساء ابن الروميّ في زيادته عليك بل أحسن حيث يقول:

لو كنت يوم الوداع شاهَدنا ... وهنّ يطفئن لوعة الوجدِ
لم ترَ إلا دموعَ باكيةٍ ... تسفح من مُقلةٍ على خدِّ

كـــأنَّ تلك الدمـــوعَ قطرُ ندى   تـقـطـر مــن نـرجـسٍ عـلــى وردِ

وسبقك أبو تمام الطائيّ إلى الخروج فقال:

من كلِّ زاهرةٍ ترقـــرق بالندى   فكأنَّهـــا عينٌ إليك تحـــدرُ
تبدو ويحجبها الجميم كأنَّها   عـــذراء تبـــدو تارةً أو تخـــفـــرُ
خلقٌ أطلَّ من الربيع كـــأنَّه   خلق الإمـــام وهديه المتـــيسّـــرُ
في الأرضِ من عدل الإمام وجوده   ومن النبـــات الغضّ ســبـع تزهرُ
تنسي الرياض ومــا يروّض فـعله   أبدا على مَـــرِّ الليـــالي يُذكَـــرُ

فشقَّ ذلك عليه، وحلَّ حبوته، ونهض، فكان آخر عهدي بمؤانسته، وعظم ذلك على أبي العباس المبرِّد، وكدح في حالي عنده.

وقد أورد هذه الحكاية بطولها أبو إسحق الحضرميّ في كتاب التدوين.

وقال ابن النجّار في تاريخ بغداد: أنبأنا أبو القاسم الأزجيّ عن أبي محمد عبدالله بن أحمد بن عمر السمرقنديّ أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن محمود الزوزنيّ أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم الفارسيّ حدثنا عبدالله بن جعفر بن درستويه النحويّ حدثنا يعقوب بن سفيان الفسويّ حدثنا محمد بن عمرو الجعفيّ حدثنا ضمام بن إسماعيل عن أبي قبيل عن عبدالله بن عمرو قال: ما زلنا نسمع: "زُرْ غبًا تزددْ حُبًا" حتى سمعت ذلك من رسول الله (ﷺ).

وقال الخطيب: أخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا عبدالله بن جعفر بن درستويه النحويّ حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا أبو محمد إسماعيل بن سالم حدثنا ابن أبي زائدة قال: قال عكرمة بن عمار عن محمد بن عبدالله الدؤليّ قال: قال عبد العزيز أخو حذيفة: قال حذيفة: كان رسول الله (ﷺ) إذا حزمه أمرٌ صلَّى.

[٤٤]*

ابن الدهّان

الإمام ناصح الدين أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن عبدالله بن سعد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عاصم، وقيل عصام، بن الفضل بن ظفر بن غلاب بن حمد بن شاكر بن عياض بن ثمالة بن جعفر بن رجاء بن أبي سنبل بن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاريّ.

قال ابن النجّار: كان من أعيان النحاة المشهورين بالفضل ومعرفة العربية، وله مصنّفات منها: شرح الإيضاح في ثلاثة وأربعين مجلداً. شرح اللُّمَع سمّاه الغُرّة. الدروس في النحو. الرياضة في النكت النحويّة. الفصول في علم العربيّة. الدروس في العروض. المختصر في علم القوافي. الضاد والظاء. تفسير القرآن. الأضداد. العقود في المقصور والممدود. النكت والإشارات على ألسنة الحيوانات. إزالة المراء في الغين والراء. كتاب فيه شرح بيت واحد من شعر ابن رُزّيك وزير مصر، عشرون كراسة. تفسير ﴿قل هو الله أحد﴾ [سورة الإخلاص، الآية ١] مجلد. تفسير الفاتحة، مجلد. وله رسائل وديوان شعر.

وِلِد سنة أربعٍ وتسعين وأربعمائة بنهر طابق في رجب، وسمع الحديث من أبي القاسم هبة الله بن الحصين، وأبي غالب أحمد بن البناء، وغيرهما. روى عنه أبو سعد

[*] انظر ترجمته في: نزهة الألباء: ١٥٢-١٥٣. معجم الأدباء: ١٣٦٩/٣-١٣٧٢. المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ضمن ذيول تاريخ بغداد: ١٩١/١٥. إنباه الرواة: ٤٧/٢-٥١. وفيات الأعيان: ٣٨٢/٢-٣٨٥. إشارة التعيين: ١٢٩-١٣٠. الإشارة إلى وفيات الأعيان: ٢٩٤. العبر: ٥٧/٣. مسالك الأبصار: ٥٣/٧. تاريخ ابن الوردي: ٧٩/٢. الوافي: ١٥٦/١٥-١٥٨. مرآة الجنان: ٢٩٤/٣. البلغة: ٨٥-٨٦. النجوم الزاهرة: ٦٦/٦. البغية: ٥٨٧/١. شذرات الذهب: ٤١٥/٤.

ومن الدراسات الحديثة عنه الدراسة التي قدّم بها الدكتور فائز فارس لتحقيق كتاب الفصول في العربيّة لابن الدهّان.

بن السمعاني، وأبو بكر المبارك بن كامل، وعبد الخالق بن أسد بن ثابت الحنفيّ الدمشقيّ. وتوفي بالموصل، وكان أقام بها أربعاً وعشرين سنة ليلة عيد الفطر سنة تسعٍ وستين وخمسمائة.

ومن شعره:

لا تحسبنْ أنَّ بالكُتْـبِ مثلنا ستصيرُ
فللدجاجةِ ريشٌ لكنَّها لا تطيرُ

وله:

وأخٍ رخُصتُ عليه حتى ملّني والشيءُ مملولٌ إذا ما يرخصُ
ما في زمانك من يعزُّ وجوده إن رمته إلا صديقٌ مخلصُ

وله:

لا تجعلِ الهزل دأبا فهو منقصة والجد تعلو به بين الورى القيم
ولا يغرنّك من مَلْك تبسمه ما تصخب السحب إلا حين تبتسم

وله:

أهوى الخمول لكي أظلَّ مرفها مما يعانيه بنو الأزمانِ
إنَّ الرياحَ إذا عصفنَ رأيتها تولي الأذيّة شامخ الأغصانِ

وله:

بادر إلى العيش والأيام راقدة ولا تكنْ لصروفِ الدهر تنتظرُ
فالعمر كالكأس يبدو في أوائله صفوٌ وآخره في قعره الكدرُ

وفي تاريخ الصلاح الصفديّ: قال فخر الدين أبو شجاع محمد بن علي بن الدهّان في ناصح الدين سعيد بن المبارك بن الدهّان، وكان مخلاً بإحدى عينيه:

لا يبعد الدهان إنَّ ابنه ادهن منهُ بطريقينِ
من عجب الدهر فحدّث به بفرد عينٍ وبوجهينِ

قال الذهبيّ: غرقت كتب ابن الدهّان ببغداد في غيبته، ثم إنّها حُمِلت إليه، فشرع في تبخيرها باللاذن، فطلع ذلك إلى رأسه وعينيه، فأحدثَ له العمى.

وقال ابن السمعانيّ: سمعتُ الحافظَ ابن عساكر الدمشقيّ يقول: سمعتُ سعيد بن المبارك بن الدهّان يقول: رأيت في النوم شخصاً أعرفه، وهو ينشد شخصا كأنَّه حبيبٌ له:

أيُّها الماطل ديني ... أمَلِيٌّ وتماطِلْ
علِّلِ القلبَ فإني ... قانعٌ منك بباطلْ

قال ابن السمعانيّ: فرأيتُ ابنَ الدهّان، وعرضتُ عليه الحكاية، فقال: ما أعرفها. ولعلَّ ابنَ الدهّان نسيَ، فإنَّ ابنَ عساكر من أوثق الرواة. ثم استملى ابن الدهّان الحكاية مني، وقال: أخبرني السمعانيّ عن ابن عساكر عني. فروى عن شخصين عن نفسه.

ومن شعر ابن الدهّان:

قِيل لي جاءك نجلٌ ... ولدٌ شهمٌ وسيمُ
قلتُ عزُّوه بفقدي ... ولدُ الشيخِ يتيمُ

وله:

أتعجبُ أنني أمسي فقيراً ... ويحظى بالغنى الغمر الحقيرُ
كذا الأطواق يُكساها حمامٌ ... وتقرَى حكمة منها الصقورُ

وله يمدح الشيخ تاج الدين زيد بن الحسن الكنديّ:

يا زيدُ زادك ربّي من مواهبه ... نُعمى يقصّر عن إدراكها الأملُ
لا غيَّرَ الله حالاً قد حباك بها ... ما دار بين النحاة الحالُ والبدَلُ
النحو أنتَ أحقُّ العالمين به ... أليس باسمكَ فيه يضرَبُ المثَلُ

[٤٥]*

أبو ذَرٍّ

مصعب بن أبي الرُّكَب محمد بن مسعود الخُشنيّ(١) الأندلسيّ الجَيَّانيّ النحويّ ابن النحويّ.

قال في المغرب: كان من عظماء نحاة الأندلس. وقال ابن الزبير في صلة الصلة: كان أحدَ الأئمة المتقنين، وأحدَ المعتَمَدين في الفقه والأدب، إماماً في العربيّة ذا سَمتٍ ووقارٍ وفضلٍ ودينٍ ومروءةٍ كثيرَ الحياءِ قليلَ التصرّفِ في الدنيا، لا يخرج من بيته إلا للتدريس والصلاة، روى عن أبيه، وأبي بكر بن طاهر. وجال الأندلس، وطلب العلمَ، واعتنى وقيّد، وروى عن ابن قرقول وابن بشكوال وعبد الحقّ الإشبيليّ. وأجاز له السلَفيّ.

وأقرأ ببلده وغيرها، وولي قضاء بلده، ولم يكن في وقته أتمُّ وقاراً ولا أحسنَ سيما منه. واتفق الشيوخ على أنّه لم يكن في وقته أضبطَ منه ولا أتقنَ في جميع علومه حفظاً وفهماً، وكان نقّاداً للشعر مطلقَ العنانِ في معرفة أخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها متقدماً في كلِّ ذلك، ولي إقراء الكتابِ ومعرفة أغراضه وغوامضه.

نقلتُ من خطِّ الشيخ تاج الدين بن مكتومٍ، قال: أنشدنا أبو حيّان قال: أخبرنا قاضي الجماعة بالأندلس أبو القاسم عبيدالله بن قاضي الجماعة أبي عامر يحيى بن

[*] انظر ترجمته في: التكملة لكتاب الصلة: ١٨٨/٢-١٨٩. المغرب: ٥٥/٢. رايات المبرّزين: ١٠٣. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٠١-٦١٠): ١٦٣-١٦٤. سير أعلام النبلاء: ٤٧٧/٢١-٤٧٨. العبر: ١٣٨/٣. الوافي: ٣٤٧/٢٥. مرآة الجنان: ٥/٤. البغية: ٢٨٧/٢-٢٨٨. جذوة الاقتباس: ٣٣٦/١. شذرات الذهب: ٨٣/٥.

(١) نصّ الصّفديّ على أنّه الجشنيّ؛ فقال: بالجيم والشين المعجمة. انظر: الوافي: ٣٤٧/٢٥.

عبد الرحمن بن ربيع الأشعريَ في عميم إجازته لأهل غرناطة عن أبي ذرّ مصعب بن محمد بن مسعود الخُشنيّ من شعره وقد بات مع أعيان لعبوا بالشطرنج:

وليلةٍ بت نُعـــــمى وفي نِعَمٍ ... أعلِّلُ النفسَ بالأصـــوات والنغَمِ
في فتيةٍ جعلوا التوشيح عقلهمُ ... وشربهم بكؤوس الشعـر والحِكَمِ
غُـرٌّ مـصـابيح أنجـاد ذوو شـرف ... غُذُّوا بمحض لباب الجـود والكرَمِ
قاموا فصفُّوا جيوشاً راقَ منظرها ... تُركـا وزنجـا على أرضٍ من الدَّيَمِ
روخ وطرق وفـيلٌ ثمّ ضِـعـفـهـم ... والفـرز والملك شـاه صـارع البـهم
ويقـدم الجـيشَ أجناد مـجنَّدة ... من البـيـادق لا يلقـون للسلمِ
تحـاربا فـإذا بالتـرك قـد هزِمـوا ... بجـيش زنج حـفـيل غـيـر منهـزمِ
ثم استقلٌ رجال الترك وارتجعوا ... وحـاربوا حـرب أنجـاد ذوي هِمَمِ
الحرب تبكي عيون الناظرين لها ... وهذه الحـرب تُبدي ثغر مـبتسمِ
فلم نزل في ســرور طول ليلتنا ... حتى بدا الصبح مثل الصارم الحذمِ
فقمت أنشد بيتا للرضيّ ضحى ... في وضـعـه ليلةٌ كـانت بذي سَلَمِ
(يا ليلة السـفح هلا عُـدت ثانيـة ... سـقى زمـانك هطّالٌ من الديم)

[٤٦]*

الرياشيّ

قال السيرافيّ: هو أبو الفضل عباس بن الفرج مولى محمد بن سليمان بن علي الهاشميّ، ورياش رجل من جذام كان أبو عباس عبداً له، فبقي نسبه إليه.

وكان عالما باللغة والشعر كثيرَ الرواية عن الأصمعيّ، وروى أيضاً عن غيره، وقد أخذ عنه المبرِّد وابن دُريد، مات سنة سبع وخمسين ومائتين بالبصرة، قتله الزنج.

وقال الشيرازيّ في الألقاب: حدث عن أبي عاصم النبيل، ومحمد بن سلاّم.

وقال محمد بن إسحق النديم في الفهرست: قال أبو الفتح محمد بن جعفر النحويّ: قرأ الرياشيّ النصف الأول من كتاب سيبويه على المازنيّ، حدثنا أبو سعيد، هو السيرافيّ، قال: حدثنا أبو بكر بن دُريد قال: رأيت رجلا في الوراقين بالبصرة يقرأ كتاب المنطق لابن السكِّيت، ويقدم الكوفيين، فقلتُ للرياشيّ وكان قاعدا في الوراقين ما قال، فقال: إنّما أخذنا اللغة من حرشة الضباب وأكَلةِ اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة من أهل السواد وأكَلةِ الكواميخ والشواريز. وكلام يشبه هذا.

وله من الكتب: كتاب الخيل. كتاب الإبل. كتاب ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب.

وقال الكمال بن الأنباريّ في نزهة الألباء: كان الرياشيّ من كبارِ أهل اللغة كثيرَ

---

[*] انظر ترجمته في: الجرح والتعديل: ٢١٣/٦. مراتب النحويّين: ١٢٣. أخبار النحويّين البصريّين: ٩٨-١٠٢. طبقات النحويّين واللغويّين: ٩٧-٩٩. الفهرست: ٩١. نور القبس: ٢٢٨-٢٣٠. تاريخ العلماء النحويّين: ٧٥-٧٩. تاريخ بغداد: ١٣٧/٢-١٣٨. الأنساب: ١١١/٣-١١٢. نزهة الألباء: ١٥٢-١٥٤. المنتظم: ١٣٢/١٢-١٣٤. معجم الأدباء: ١٤٨٣/٤-١٤٨٥. إنباه الرواة: ٣٦٧/٢-٣٧٣. وفيات الأعيان: ٢٧/٣-٢٨. تهذيب الكمال: ٢٣٤/١٤-٢٣٨. إشارة التعيين: ١٥٨. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٥١-٢٦٠): ١٧١-١٧٢. سير أعلام النبلاء: ٣٧٢/١٢-٣٧٦. الكاشف: ٥٣٦/١. العبر: ٣٦٩/١. مسالك الأبصار: ٣٠/٧. الوافي: ٣٧٢/١٦-٣٧٣. البلغة: ١٠٢-١٠٣. البغية: ٢٧/٢. شذرات الذهب: ٢٨٣/٢.

الرواية للشعر، أخذ عن الأصمعيّ، وكان يحفظ كتب الأصمعيّ، وكتب أبي زيد كلّها، وقرأ على أبي عثمان المازنيّ كتاب سيبويه، فكان المازنيّ يقول: قرأ عليٌّ الرياشيُّ الكتابَ، وهو أعلم به مني.

وروى ابن أبي الأزهر، قال: كُنّا نجيء إلى أبي العباس المبرِّد في قدمة قدمها من البصرة، وقد لقيه ثعلب، وكان يقدمه ويفضله.

وذكر أبو محمد بن قُتيبة قال: سألتُ الرياشيَّ عن قول العرب: بينا زيد قام جاء عمرو، فقال: إذا ولي لفظة (بينا) الاسم العلم رفعت، فقلتَ: بينا زيد قام جاء عمرو، وإن وليها اسم للمصدر فالأجود الجرّ، كقول الشاعر:

بينا تعانقه الكماة وروغه ... يوما أتيح له كجزء سلفع

وقال ابن خلكان: كان عالما راويا ثقة عارفا بأيام العرب كثيرَ الاطلاع، روى عنه إبراهيم الحربيّ وابن أبي الدنيا وغيرهما، قُتِلَ في شوال سنة سبع وخمسين، وسئِل في ذي الحجة سنة أربع وخمسين: كم تعد سنةً؟ فقال: أظنّ سبعا وسبعين.

قال الخطيب: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقيّ حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي الضرير المقرئ حدثنا أبو منصور أحمد بن شعيب بن صالح البخاريّ أخبرنا أبو خليفة قال: أنشدني أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشيّ لنفسه:

شفاء العمى حسن السؤال وإنَّما ... يطيل العمى طول السكوت على الجهلِ

فكن سائلاً عما عناك فإنَّما ... خلقت أخا عقل لتسأل بالعقلِ

وقال ابن النجار في تاريخ بغداد: أخبرنا يوسف بن المبارك بن كامل أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن علي بن أحمد الخياط أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن موسى بن القاسم قال: أنشدنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ قال: أنشدنا أحمد بن محمد الأسديّ، قال: أنشدنا الرياشيّ:

إنَّ الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشبُ
قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في مهل ... وليس ينفع في ذي الشيبة الأدبُ

وقال ابن النجّار: أخبرنا أبو منصور إبراهيم بن أحمد بن علي البصريّ أخبرنا أبو جعفر الغطريف بن عبدالله بن الحسين السعيدانيّ أخبرنا علي بن أحمد التستريّ حدثنا أبو الحسن عثمان بن غسان بن موسى البصريّ إملاءً حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان حدثنا عبد الكبير بن عمر الخطّابيّ حدثنا العباس بن الفرج الرياشيّ حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان بن جابر عن الشعبيّ عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله (ﷺ): «إنَّ الله تعالى يحبّ أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل».

وقال الشيرازيّ في الألقاب: أخبرنا سعيد بن القاسم أبو عمرو حدثنا أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة حدثنا عباس بن الفرج الرياشيّ حدثنا محمد بن خالد بن عثمان عن عبدالله بن عمر عن عبيدالله بن عمر عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «كلّ عجاج مكة منحر».

وقال الشيرازيّ: أنشدنا أبو ذرّ عمار بن محمد بن مخلد قال: أنشدني أبي قال: أنشدنا محمد بن عيسى قال أنشدنا الرياشيّ:

إذا رأيت امرأ في حال عسرته ... مواصِلاً لك ما في ودّه خللُ
فلا تمنّى لهُ أن يستفيدَ غنى ... فإنّه بانتقال الحال ينتقلُ

ومن شعر الرياشيّ يمدح أميراً، أورده الزبيديّ:

أبتْ لك أن يخشى عدوُّك صولةً ... عليه إذا ما أمكنتك مقاتلُهْ
شمائلُ عفوٍ عن أبيكَ ورثتها ... ومن خير أخلاق الرجالِ شمائلُهْ

قال الزبيديّ: قال الخشنيّ: كان المازنيّ في الإعراب، وأبو حاتم في الشعر والرواية، وكان الرياشيّ في الجميع، كان أهل البصرة إذا اختلفوا في شيء قالوا ما

قال فيه أبو الفضل، فانقادوا لقوله وروايته.

وكان من أهل الفضل، ولا تُخرِج البصرة مثل الرياشيّ.

قال ابن الغازي: أنشدنا الرياشيّ:

خليليٌ إنْ كانت بسامَرٌ مِيتتي فإيّاكما في البرّ أن تدفنانيا

قاله حين احتمل إلى سرّ من رأى، وكان احتُمِل لقضاء البصرة، فاستعفى منه، وقال شعراً يمدح فيه المتوكّل، فأعطاه ووسع عليه وردُّه، وقرأ عليه ولد الفتح بن خاقان بتلك الأيام، وأعطيَ مالاً جسيما، ورجع إلى البصرة.

قال الخشنيّ: وأشهد لقد رأيت أبا حاتم بين يدي الرياشيّ يعظّمه ويجلّه، وكان أبو حاتم أسنُّ من الرياشيّ بسنة، ولكنّه كان يعطيه الحقُّ لفضله عليه وما هو فيه.

وقال مروان: قال لي أبو حاتم، وليس معنا ثالث: إنّه ليشتد عليٌّ أن يذهب هذا العلم على رأسي، وتذهب هذه الكتب، وما ههنا أحدُ إلا هذا الرياشيّ، وعلمه قليل، ليس عنده كبير شيء، وإنٌ أصحاب الحديث يدقُّون عليه.

قال الرياشيّ: الذُّنابى ما كان لذي جناح خاصّة، وربُّما استعير للفرس. والذنب لما سوى ذلك. ويقال: عفجتُ الرجل أي ضربته بالعصا. ويقال للواحد: كَرَوان، و [للجمع] كِروان، ووَرَشان ووِرشان، وظَرَبان وظِربان. انتهى ما أورده الزبيديّ.

[٤٧]*

الرُّمّانيّ

أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الإخشيديّ الورّاق.

قال ياقوت: كان تلميذَ ابن الإخشيد المتكلِّم وعلى مذهبه في الاعتزال، وله فيه تصانيف مشهورة، وكان علاّمةً في العربيّة إماماً في الأدب، وهو في طبقة أبي علي الفارسيّ، وأبي سعيد السيرافيّ.

قال ابن الأنباريّ في النزهة: كان من كِبار النحويين، أخذ عن أبي بكر بن السرّاج، وأبي بكر بن دُريد، وأخذ عنه أبو القاسم علي بن عُبيدالله الدقيقيّ، وكان متفنّنا في العلوم: النحو واللغة والفقه والكلام على مذهب المعتزلة.

وكان يمزج نحوه بالمنطق حتى قال الفارسيّ: إنْ كان النحوُ ما يقولُه الرُّمّانيّ فليس معنا منه شيءٌ، وإنْ كان ما نقولُه نحنُ فليس مع الرُّمّانيّ منه شيء.

قال: وقال بعضُ أهل الأدب: كُنّا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا وهو الرُّمّانيّ، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض وهو أبو علي الفارسيّ، ومنهم من نفهم جميع كلامه وهو أبو سعيد السيرافيّ.

---

[*] انظر ترجمته في: الفهرست: ١٠١. تاريخ العلماء النحويّين: ٣٠-٣١. تاريخ بغداد: ١٢/١٧. الإكمال: ٤/١٢٥-١٢٦. الأنساب: ٣/٨٩. نزهة الألباء: ٢٣٣-٢٣٥. معجم الأدباء: ٤/١٨٢٦-١٨٢٨. إنباه الرواة: ٢/٢٩٤-٢٩٧. وفيات الأعيان: ٣/٢٩٩. إشارة التعيين: ٢٢١-٢٢٢. تاريخ الإسلام: (وفيات ٣٨١-٤٠٠): ٨٢-٨٣. دول الإسلام: ١/٢٣٤. سير أعلام النبلاء: ١٦/٥٣٣-٥٣٤. العبر: ٢/١٦٤. مسالك الأبصار: ٧/١١٢-١١٣. تاريخ ابن الوردي: ١/٣٠١. الوافي: ٢١/٢٤٧-٢٤٨. مرآة الجنان: ٢/٣١٦. البلغة: ١٥٩-١٦٠. النجوم الزاهرة: ٤/١٧٠. لسان الميزان: ٤/٢٤٨. البغية: ٢/١٨٠-١٨١. طبقات المفسّرين: ١/٤٢٣-٤٢٥. مفتاح السّعادة: ١/١٦٣-١٦٤. شذرات الذهب: ٣/٤٣٤.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- الرمانيّ النحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه.
- دراسة الدكتور المتولي رمضان أحمد الدميري لتحقيق كتاب شرح كتاب سيبويه للرماني، الجزء الأوّل كاملاً.

مولد الرُّمّانيّ سنة ستّ وتسعين ومائتين، ومات في حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

ومن تصانيفه: تفسير القرآن. الحدود الأكبر. الحدود الأصغر. معاني الحروف. شرح الصفات. شرح الموجز لابن السرّاج. شرح الألف واللام للمازنيّ. شرح مختصر الجَرميّ. إعجاز القرآن. شرح أصول ابن السرّاج. شرح سيبويه. المسائل المفردة من كتاب سيبويه. شرح المدخل للمبرِّد. كتاب التصريف. كتاب الهجاء. كتاب الإيجاز في النحو. كتاب الاشتقاق الأكبر. كتاب الاشتقاق الأصغر. كتاب الألفات في القرآن. شرح المقتضب. شرح معاني الزجّاج.

وقيل له: إنَّ لكلٍّ كتاب ترجمة، فما ترجمة القرآن؟ فقال: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٥٢] أسنده ابن النجّار في تاريخه من طريق القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخيّ عنه.

وقال النديم في الفهرست: أصله من سُرَّ من رأى، ومولده ببغداد، وكان من أفاضل النحويين البصريين والمتكلمين البغداديين، يُعنى في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو والكلام، كثيرَ التصنيف والتأليف، وأكثر ما صنَّفه يؤخذ عنه إملاءً، ومن تصانيفه: كتاب نُكت سيبويه. كتاب أغراض سيبويه. شرح المسائل للأخفش صغير وكبير. كتاب المبتدأ في النحو.

وقال ياقوت: أخذ الرُّمّانيّ عن ابن السرّاج، وابن دُريد، والزجّاج، وله تصانيف في جميع العلوم من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة، وكان يقال: النحويّون في زماننا ثلاثة: واحد لا يُفهم كلامه وهو الرُّمّانيّ، وواحد يفهم كلامه وهو أبو علي الفارسيّ، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذ وهو السيرافيّ.

قال ياقوت: قرأت بخطّ أبي حيّان التوحيديّ في كتابه الذي ألّفه في تقريظ الجاحظ، وقد ذكر العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ، فقال: ومنهم علي بن عيسى الرُّمّانيّ، فإنّه لم يُرَ مثله قط بلا تقية ولا تحاش ولا اشمئزاز علماً بالنحو وغزارةً في

الكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للعويص وإيضاحاً للمشكل مع تألُّهٍ وتنزّهٍ ودينٍ ويقينٍ وفصاحةٍ وفقاهةٍ وعفافةٍ ونظافةٍ.

قال ياقوت: وقرأتُ بخطِّ أبي سعدٍ السمعانيّ: سمعت أبا الطاهر السَّبخيّ، سمعتُ أبا الكرام بن الفاخر النحويّ، سمعتُ القاضي أبا القاسم علي بن المحسِّن التنوخيّ سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن عيسى الرُّمّانيّ النحويّ يقول وقد سئل فقيل له: لكلِّ كتاب ترجمة، فما ترجمة كتاب الله عزَّ وجلَّ؟ فقال: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٥٢].

وقال أبو حيّان: سمعتُ علي بن عيسى يقول لبعض أصحابه: لا تعادينَّ أحداً، وإنْ ظننتَ أنّه لن ينفعكَ، فإنَّك لا تدري متى تخاف عدوَّك، أو تحتاج إليه، ومتى ترجو صديقَك أو تستغني عنه، وإذا اعتذر إليك عدوُّك فاقبلْ عذرَه، وليقلَّ عيبُه على لسانك.

قال أبو حيّان: ورأيتُ في مجلس علي بن عيسى النحويّ رجلاً من مروٍ يسأله عن الفرق بين مَنْ وما وممَّنْ ومِمَّ، فأوسع له الكلام، وبيَّن وقسَّم وفرَّق وحدَّ ومثَّل وعلَّق كلَّ شيءٍ منه بشرطه من غير أن فهم السائل أو تصوّره، وسأل إعادته عليه وإبانته له على ذلك مراراً من غير تصوّر حتى أضجره، ومن حدِّ العلم أخرجه، فقال له: أيُّها الرجل، يلزمني أن أبينَ للناس وأصور لمن ليس بناعس، وما عليَّ أن أفهمَ البُهمَ والشُّقرَ والدُّهمَ؟ مثلك لا يتصوّر هذه المسألة بهذه العبارة، وهذه الأمثلة، فإنْ أرحتَنا ونفسك فذاك، وإلا فقد حصلنا معك على الهلاك، قُمْ إلى مجلسٍ آخر، ووقتٍ غير هذا. فأسمعَه الرجل ما ساء الجماعة، وعاد بالوهن والغضاضة، ووثب الناس إليه لضربه وسحبه. فمنعهم من ذلك أشدَّ منعٍ بعد قيامه من صدر مجلسه، ودَفْع الناس عنه، وأخرجه صاغراً ذليلاً، والتفتَ إلى أبي الحسن الدقّاق، وقال له: متى رأيتَ مثل هذا فلا يكوننَّ منك إلا المودة والاحتمال، وإلا فتصير نظيراً لخصمك، وتعدم في الوسط فضل التمييز، وأنشأ يقول:

ولولا أنْ يقالَ هجا نُميراً ... ولم نسمعْ لشاعرها جوابا
رغبنا عن هجاءِ بني كُليبٍ ... وكيف يشاتم الناسُ الكِلابا

[٤٨]*

الرَّبعيّ

أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الرَّبعيّ الزَّهيريّ.

قال ياقوت: أحد أئمة النحو، كان دقيقَ النظر جيدَ الفهمِ والقياس، أخذ عن أبي سعيد السيرافيّ، ورحل إلى شيراز، ولازم أبا علي الفارسيّ عشرين سنة، فقال له أبو عليّ: ما بقيت تحتاج إلى شيءٍ، ولو سرتَ من المشرق إلى المغرب لم تجدْ أنحى منك. فرجع إلى بغداد، وأقام بها إلى أن مات في ليلة السبت لعشر بقين من المحرَّم سنة عشرين وأربعمائة عن نيِّفٍ وتسعين سنة.

وصنَّف شرح الإيضاح للفارسيّ، وشرح مختصر الجَرميّ، وشرح البلغة، وكتاب التنبيه على خطأ ابن جنّي في فسر شعر المتنبيّ.

وكان يُرمى بالجنون؛ مرَّ يوماً بسكران مُلقى على قارعة الطريق، فحلَّ الربعيّ سراويله، وجلس على أنف السكران، وجعل يضرط، ويشمُّه، ويقول:

تمتَّعْ من شميم عِرار نجدٍ فما بعدَ العشيَّة من عِرارِ

وكان قد شرح سيبويه، فجاء إليه يوماً أحدُ بني رضوان التاجر، فنازعه في مسألة، فقام مُغضَباً، وأخذ الشرحَ، فجعله في أجانة، وصبَّ عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان، ويقول: لا أجعل أولادَ البقّالين نحاةً.

وكان مبتلى بالكلابِ، سأل يوماً أولاد الأكابر الذين يحضرون عنده أن يمضوا معه إلى كلْوَاذ، فظنّوا ذلك لحاجةٍ عرضت له هناك، فركبوا خيولاً وخرجوا، وجعل هو

[*] انظر ترجمته في: تاريخ العلماء النحويّين: ٢٠-٢١. تاريخ بغداد: ١٨/١٢. نزهة الألباء: ٢٤٩-٢٥٠. المنتظم: ٢٠٣/١٥. معجم الأدباء: ١٨٢٨/٤. ١٨٣٢. إنباه الرواة: ٢٩٧/٢. وفيات الأعيان: ٣٣٦/٣. إشارة التعيين: ٢٢٣. تاريخ الإسلام: (وفيات ٤١١-٤٢٠): ٤٨٦-٤٨٧. سير أعلام النبلاء: ٣٩٢/١٧-٣٩٣. العبر: ٢٤١/٢. الوافي: ٢٤٨/٢١-٢٤٩. البلغة: ١٦٠. النجوم الزاهرة: ٢٧٣/٤. البغية: ١٨١/٢-١٨٢. شذرات الذهب: ٢٧٠/٣.

يمشي بين أيديهم، فسألوه الركوبَ، فأبى عليهم، فلما صار بخرابها أوقفهم على ثلمٍ، وأخذ كساءً وعصا، وما زال يعدو إلى كلبٍ هناك، والكلب يثب عليه تارةً ويهرب منه أخرى حتى أعياه، فعاونوه حتى أمسكوه، وعضَّ على الكلب بأسنانه عضًا شديداً، والكلبُ يستغيث ويزعق، فما تركه حتى اشتفى وقال: هذا عضّني منذُ أيّامٍ، وأريدُ أن أخالفَ قولَ الأوّل:

شاتمني كلبُ بني مسمعٍ ... فصُنْتُ عنه النفسَ والعرضا
ولم أجبه لاحتقاري له ... ومن ذا يعضّ الكلبَ إن عضّا

وقال ابن الأنباريّ: يُحكى أنّه اجتمع هو وأبو الفتح بن جنّي يمشيان في موضعٍ، فاجتازا على باب خربة، فرأى فيها كلباً، فقال لابنِ جنّي: قفْ على الباب. ودخل، فلما رآه الكلبُ يريد أن يقتله، هرب الكلبُ، وخرج، ولم يقدر ابنُ جنّي على منعه، فقال له الرَّبعيّ: ويلَكَ يا ابنَ جنّي، مُدبِرٌ في النحو، ومُدبِرٌ في قتلِ الكلاب!؟.

قال: ويُحكى أنّه كان على شاطئ دجلةَ في يومٍ شديدِ الحرِّ وهو عريان يسبحُ، فاجتاز عليه المرتضي الموسويّ إمام الشيعة ومعه عثمان بن جنّي، وهما في سُمَيريّة وعليها مظلة تظلهما من الشمس، فلما رآهما، قال: يا مرتضي، ما أحسنَ هذا التشيّع، عليٌّ تتقلّى كبدُه في الشمس من شدة الحرّ، وعثمان عندك في الظلّ! فقال المرتضي للملاّح: اجذفْ وأسرعْ قبلَ أن يسبُّنا.

قال ابن الأنباريّ: ويُحكى من سيرته وتصرّفاته ما طيُّه أحسن من نشره.

ومن شعره، أورده ابن النجّار:

رُبَّ ميتٍ قد صار بالعلم حيّا ... ومُبقّى قد مات جهلا وغيّا
فاقتنوا العلمَ كي تنالوا خلودا ... لا تعدّوا الحياةَ بالجهلِ شيّا

قال ياقوت: قرأتُ بخطِّ هلال بن المظفّر الزنجانيّ في كتابٍ أُلفه، ذكر غير واحدٍ من أهل زنجانَ أنّ رجلاً منها خرج إلى بغدادَ متأدباً، فحين دخل قصد علي بن عيسى

النحويّ بعد أن لبس ثياباً فاخرة عطرة، وتجمَّلَ وتزيَّنَ ودخل عليه وسلَّمَ، فقال له علي بن عيسى: من أين الفتى؟ قال: من زنجان بألف ولام، فعلم الرَّبعيّ أنَّ الرجل خالٍ من الفضل، فقال: متى وردت؟ قال: أمس. فقال: جئتَ راجلاً أم راكباً؟ قال: راكباً. قال: المركوب مكترى أم مشترى؟ [قال: بل مكترى] فقال الشيخ: مرّ واسترجع الكرى، فإنَّه لم يحمل شيئا، ثم أنشد الشيخ:

وما المرء إلا الأصغرانِ لسانه ومعقوله والجسمُ خلقٌ مصوَّرُ
فإنْ طُرَّةٌ راقتك فاخبرْ فربَّما أمرَّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ

قال ياقوت: قال علي بن عيسى الرَّبعيّ: استدعاني عضد الدولة ليلة وبين يديه "الحماسة" فوضع يده على باب الأضياف، وقال: ما تقول في هذه الأبيات؟

ومستنبحٍ بات الصدى يستتيهه إلى كلِّ صوتٍ وهو في الليلِ جانحُ
فقلتُ لأهلي ما بات بغام مطية وسار أضافته الكلاب النوابحُ

فقلتُ: هذا قول عتبة بن بجير الحارثيّ، ومعناه: أنَّ العربَ كانتْ إذا ضلّت في سفرٍ، وصارت بحيث تظنُّ أنَّها قريبة من حلّة نبحت لتسمعها الكلاب، فتجيبها، فيعرفون به موضع القوم، فيقصدونه، فيستضيفون، فيُضافون. فقال: إنَّ قوماً يتشبَّهون بالكلاب حتى يُضافوا لأدنياء النفوس. ثم فكَّر، فقال: لا بل إنَّ أقواماً يستنبحون في هذا القفر والمكان الجدب، فيستضيفون، فيُضافون مع الإقلال والعدم لقوم كرام. وأمر لي بجائزة، فدعوتُ له وانصرفتُ.

[٤٩]*

أبو الفضل الرازيّ

قال الذهبيّ في طبقات القرّاء: عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بُندار الرازيّ أبو الفضل العجليّ المقرئ أحد الأعلام وشيخ الإسلام، ورد أنَّ مولده بمكّة، وما زال يتنقّل في البلدان على قدم التجريد والأنس بالله، ذكره أبو سعد بن السمعانيّ فقال: كان مقرئا فاضلاً كثيرَ التصانيف حسنَ السيرة زاهداً متعبّداً خشنَ العيش منفرداً قانعاً باليسير، يقرئ أكثر أوقاته، ويروي الحديث، وكان يسافر وحده، ويدخل البراري.

سمع بمكة من أحمد بن فراس العبقسيّ، وعلي بن جعفر السيروانيّ، وبالرّي من جعفر بن فنّاكي، وبنيسابور من أبي عبد الرحمن السلميّ، وبأصبهان من أبي عبدالله بن مندة الحافظ، وبطوس وجرجان وبغداد والكوفة والبصرة وفسا ودمشق ومصر.

قال: وكان من أفراد الدهر علما وورعا. قلتُ: قرأ لابن عمرو علي بن داود الدارانيّ، وقرأ على أبي عبدالله المجاهديّ صاحب ابن مجاهد، وعلى أبي الحسن الحماميّ، وأبي الفرج النهروانيّ، وبكر بن شاذان الواعظ، وأبي أحمد الفرضيّ، وأبي بكر الشاميّ، وجماعة كثيرة. وكان أصل من عُنيَ بهذا الشأن، وسمع من أبي مسلم الكاتب، وعبد الوهاب الكلابيّ.

قرأ عليه القراءات أبو القاسم الهُذَليّ، وأبو علي الحدّاد الأصبهانيّ، وأبو سعيد نصر بن محمد الشيرازيّ شيخ السلفيّ.

وحدُث عنه محمد بن عبد الواحد الدقاق، والحسين بن عبد الملك الخلال، وأبو سهل بن سعدويه، وفاطمة بنت محمد بن أبي سعد، وآخرون.

---

[*] انظر ترجمته في: المنتخب من السّياق لتاريخ نيسابور: ٣٠٨. تاريخ الإسلام: (وفيات ٤٥١-٤٦٠): ٣٦١-٣٦٥. العبر: ٢/٣٠٢. سير أعلام النبلاء: ١٨/١٣٥-١٣٨. معرفة القراء الكبار: ١/٤١٧-٤١٩. الإشارة إلى وفيات الأعيان: ٢٢٩. الوافي: ١٨/٦٠-٦١. غاية النهاية: ١/٣٦١-٣٦٣. النجوم الزاهرة: ٥/٧٢. البغية: ٢/٧٥. شذرات الذهب: ٣/٤٧٣.

قال عبد الغافر الفارسيّ في تاريخه: كان ثقة جوّالاً إماماً في القراءات أوحدَ في طريقته، وكان الشيوخ يعظمونه، وكان لا ينزل الخوانق بل يأوي إلى مسجد خراب، فإذا عُرِفَ مكانه تركه، وإذا فتح عليه بشيءٍ آثرَ به .

وقال يحيى بن مندة في تاريخه: قرأ عليه جماعة، وخرج من أصبهان إلى كَرمان، وحدَّث بها، وبها مات، وهو ثقة ورعٌ متديّنٌ عارفٌ بالقراءات والروايات عالمٌ بالأدب والنحو أكبرُ من أن يدلَّ عليه مثلي، وهو أشهرُ من الشمس، وأضوأُ من القمر، ذو فنون من العلم، مهيب منظور فصيح حسن الطريقة كبير الوزن، بلغني أنّه ولِد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، قلتُ: وله شعر رائق في الزهد.

قال أبو عبدالله الخلاّل: خرج الإمام أبو الفضل الرازيّ من أصبهان متوجّها إلى كَرمان، فخرج الناس يشيعونه، فصرفهم، وقصد الطريقَ وحدَه، وقال:

إذا نحنُ أدلجنا وأنتَ إمامنُا كفى لمطايانا بذكراك حاديا

قرأتُ على إسحق بن أبي بكر الأسديّ: أخبرنا يوسف بن خليل أخبرنا خليل بن أبي الرجاء أخبرنا محمد بن عبد الواحد الدقّاق، قال: ورد علينا الإمام أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازيّ، وكان من الأئمة الثقات، ذكرُه يملأ الفمَ، ويذرف العين، وكان رجلاً مهيبا مديدَ القامة وليّا من أولياء الله صاحبَ كَرامات، طوّف الدنيا مستفيداً أو مفيداً.

وقال الخلاّل: كان أبو الفضل في طريق ومعه خبز وشيء من الفانيذ، فقصده قُطّاع الطريق، وأرادوا أن يأخذوا ذلك، فدفعهم بعصاه، فقيل له في ذلك، فقال: إنّما منعتهم منه لأنّه كان حلالاً، وربّما كنتُ لا أجد حلالاً مثله، ودخل كَرمان في هيئة رثّة وعليه أخلاقٌ وأسمالٌ فحُمِل إلى الملك، وقالوا: هذا جاسوس. فسأله الملك: ما الخبرُ؟ فقال: إن كنتَ تسألني عن خبر الأرض، فكلٌّ من عليها فانٍ، وإن كنتَ تسألني عن خبر السماء، فكلٌّ يومٍ هو في شانٍ. فتعجَّبَ الملك من كلامه، وهابه وأكرمه وعرض عليه مالاً، فلم يقبله.

توفي في جمادى الأولى سنة أربعٍ وخمسين وأربعمائة.

[٥٠]*

الفخر الرازيّ

الإمام فخر الدين أبو الفضل وقيل أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي من ذُرِّيَّة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه الطَبرستانيّ الأصل المعروف بابن خطيب الرَّيّ، ومرُّ جدُّه الحسين أحد أفراد الدهر في معرفة المعقولات، وجدّه الحسن ولِد بمكةَ، وكان تاجراً مثريا، سكن مكة أربعين سنة.

ولِدَ الإمامُ فخر الدين بالرّيّ في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاثٍ وقيل أربعٍ وخمسين وخمسمائة، واشتغل على والده الإمام ضياء الدين، وكان من تلامذة محيي السُّنّة البغويّ، وبرع في العلوم العقليّة، وقصده الناسُ من أطراف البلاد، وكان يلقب بهراة شيخ الإسلام، واجتمع له سعة العبارة في القدرة على الكلام، وصحّة الذهن، والاطلاع الذي ما عليه مزيد، والحافظة المستوعبة، والذاكرة التي تعينه على ما يريد في تقرير الأدلة والبراهين، وكان فيه قوة جدليّة ونظرٌ دقيق، وكان إذا ركب يمشي حوله ثلاثمائة تلميذ، وكان خوارزم شاه يأتي إليه، وكان أول أمره فقيراً،

---

[*] انظر ترجمته في: طبقات النحويّين واللغويين: ٢١٥-٢١٦. التدوين في أخبار قزوين: ١/٤٧٧-٤٧٨. معجم الأدباء: ٦/٢٥٨٥-٢٥٩٢. الكامل في التاريخ: ١٠/٣٥٠. إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ١٩٠-١٩٢. التكملة لوفيات النقلة: ٢/١٨٦-١٨٧. الذيل على الروضتين: ٥/١٠٤-١٠٥. عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٤٢٤-٤٣٢ وسمّاه ابن خطيب الري. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٠١-٦١٠): ٢٠٤-٢١٥. دول الإسلام: ٢/١١٢-١١٣. سير أعلام النبلاء: ٢١/٥٠٠-٥٠١. العبر: ٣/١٤٢. ميزان الاعتدال: ٥/٤١١. المغني في الضعفاء: ٢/٥٠٨، وسمّاه: الفخر بن خطيب الري. الوافي: ٤/١٧٥-١٨٢. مرآة الجنان: ٤/٦-١٠. طبقات الشافعية الكبرى: ٨/٨١-٩٦. العقد المذهب: ١٤٩-١٥٠: لسان الميزان: ٤/٤٢٦-٤٢٩، وسماه الفخر بن الخطيب. طبقات المفسّرين: ٢/٢١٥. شذرات الذهب: ٥/٢١٣-٢١٤.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- الإمام فخر الدين الرازي: حياته وآثاره.
- فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية.
- المنطلقات الفكريّة عند الإمام الفخر الرازي.

فزوّجه طبيب له ثروة بابنته، ومات، فاستولى على ماله، فأثرى.

وكان عارفا بالأدب، وله شعر بالعربيّ وسط، وشعر بالفارسيّ، وكان عبل البدن ربع القامة كبيرَ اللحية، في صوته فخامة، ورُزِق السعادة في تصانيفه، وانتشرت في الآفاق، وأقبل الناس على الاشتغال بها، ورفضوا كتبَ الأقدمين، وكان له في الوعظ باللسانين مرتبةٌ عليا، وكان يلحقه الوجد حالَ وعظِه، ويحضر مجلسه أرباب المقالات والمذاهب، ويسألونه، ورجع به خَلقٌ كثير من الكَرّاميّة وغيرهم إلى مذهب أهل السُّنّة.

وقصد خوارزم، فجرى بينه وبين أهلها كلام في العقيدة، فأُخرِجَ من البلد، وقصد ما وراء النهر، فجرى له مثل ذلك، فعاد إلى الرّيّ، ولما وصل السلطان شهاب الدين الغوريّ صاحب غَزنة بالغ في إكرامه، وحصلت له منه أموال عظيمة، واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش، وحظي عنده.

وهو أول من اخترع هذا الترتيب الذي سلكه في كتبه، وأتى فيها بما لم يُسبَقْ إليه، لأنّه يذكر المسألة، ويفتح باب تقسيمها، وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدلّ بأدلة السبر والتقسيم، فلا يشذّ منه في تلك المسألة فرع له بها علاقة، فانضبطت له القواعد، وانحصرت له المسائل، وكان ينال من الكَرّاميّة، وينالون منه.

وكانت الحنابلة يكتبون له أوراقا تتضمن شتمه ولعنه، فاتفق أنّهم رفعوا إليه يوما ورقة يقولون فيها إنّ ابنه يفسق ويزني، وإنّ امرأته كذلك، فلما قرأها قال: هذه القصة تتضمن أنّ ابني يفسق ويزني، وذلك مظنة الشباب، فإنّه شعبة من الجنون، ونرجو الله إصلاحه والتوبة عليه، وأمّا امرأتي فهذا شأن النساء إلا من عصم الله، وأنا شيخ ما لي في النساء مستمتَعٌ، هذا كلّه يمكن وقوعه، وأمّا أنا فوالله لا قلت إنّ الباري سبحانه جسمٌ ولا شبّهته بخلقٍ ولا حيّزته.

وكان للإمام فخر الدين في أيّامه صورة كبيرة وجلالة وافرة وعظمة زائدة، سأله بعض الملوك أن يضع له شيئا من "المحصَّل" يقرأه، فقال له: بشرط أن تحضر إلى درسي وتقرأه. فقال: نعمْ، وأزيدك على ذلك. فوضع له "المحَصَّل"، فكان السلطان يجيء

ويقف ويأخذ مداس الإمام ويحمله في كُمِّه، ويسمع الدرس في الكتّاب.

ومن تصانيف الإمام: التفسير الكبير، قال الشيخ تقي الدين بن تيمية: فيه كلُّ شيءٍ إلا التفسير. قال الصلاح الصفديّ: ذكرت كلام ابن تيمية هذا للشيخ أبي الحسن السبكيّ، فقال: ما الأمر هكذا، إنَّما فيه مع التفسير كلّ شيءٍ. وقال غيره: أكثر ما عِيبَ على الإمام إكثاره من إيراد شُبَهِ الفلاسفة. وقال ابن دقيق العيد: هو وإن أكثر من إيرادها وملأها كتبه، فإنَّه قد زلزل قواعدهم.

وله: أسرار التنزيل. نهاية العقول في أصول الدين. المطالب العالية، فيه. المحصَّل، فيه. كتاب الأربعين، فيه. كتاب الخمسين. المعالم في أصول الدين والفقه. الخلق والبعث. تأسيس التقديس. البيان والبرهان في الردّ على أهل الزيغ والطغيان. المحصول في أصول الفقه. المنتخب، فيه. النهاية البهائيّة في المباحث القياسيّة. أجوبة المسائل النجاريّة. الطريقة العلائيّة في الخلاف. شرح أسماء الله الحسنى. إبطال القياس. المِلل والنِّحَل. المباحث العماديّة في المطالب المعاديّة. تحصيل الحقّ. عيون المسائل. إرشاد النُّظّار إلى لطيف الأسرار. فضائل الصحابة. القضاء والقدر. ذمّ الدنيا. نفثة المصدور. إحكام الأحكام. الرياض المؤنقة في المِلل والنِّحَل. عصمة الأنبياء. تعجيز الفلاسفة، بالفارسيّ. الأخلاق. اللطائف الغياثيّة. الرسالة الكماليّة في الحقائق الإلهيّة، بالفارسيّ، عرَّبها تاج الدين الأرمويّ. رسالة الجوهر الفرد. الآيات البيِّنات في المنطق. مناقب الإمام الشافعيّ. شرح أبيات الشافعيّ الأربعة التي أوّلها: "ما شئتَ كان وإنْ لم أشأْ"[1]. الزبدة. نهاية الإيجاز. اختصار دلائل الإعجاز. المحرَّر في النحو. شرح المفصَّل، لم يتمّ. شرح الوجيز للغزاليّ، لم يتمّ. شرح ديوان المتنبي. شرح سقط الزَّند. لباب الإشارات. شرح الإشارات. الإشارات، له أيضا. شرح نهج البلاغة، لم يتمّ. الحكمة المشرقيّة. الملخص. شرح كليات القانون. الطبّ الكبير، لم يتمّ. عيون الحكمة. مصادرات إقليدس. النبض. التشريح، لم يتمّ. الاختيارات السماويّة. السرّ

(١) انظر: ديوان الشافعيّ: ١١٨. والأبيات فيها إشارات إلى عقيدة الشافعي رضي الله عنه.

المكتوم في علم الطلاسم والنجوم. منتخب درج تُنْكلوشا. وقيل إنَّه شرحها. رسالة في النبوات. رسالة في النفس. مباحث الوجود. مباحث الحدود. رسالة في التنبيه على الأسرار المودعة في بعض سُوَر القرآن، وقيل إنَّه شرح الشفاء لابن سينا.

رجمه الكَرَّاميَّة يوماً على المنبر، وزقوا عليه من سقاه السُّمَّ، فمات من ذلك، وكانت وفاته بهراة يوم عيد الفطر سنة ستٍّ وستّمائة.

ولما حضرته الوفاةُ أملى على تلميذه إبراهيم بن أبي بكر بن علي الأصبهاني وصيةً، صورتها: يقول العبد الفقير الراجي رحمة ربّه بكرم مولاه محمدُ بن عمر بن الحسين، وهو في آخر عهده بالدنيا الفانية، وأوّل عهده بالآخرة الباقية، وهو في هذه الحالة، يلين كلّ قاسٍ، ويتوجّه إلى الله مولاه كلّ آبق، فأقول: أحمد الله بالمحامد، الذي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف الأوقات في معارجهم، ونطق بها أنبياؤه في أكمل أوقات مشاهداتهم، بل أقول: كلّ ذلك من نتائج الحدوث والإمكان، فأحمده بالمحامد التي يستحقّها لهُويّته، ويستوجبها كمال ألوهيته، أعرفها أم لم أعرفها، لا مناسبة للتراب مع جلالة ربّ الأرباب، وأصلّي على الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، وجميع عباد الله الصالحين المخلصين، ثمّ من بعد ذلك أقول:

اعلموا إخواني في الدين، وإخواني في طلب اليقين أنَّ الناسَ يقولون للإنسان إذا مات: انقطع تعلّقه عن الخَلق. هذا الكلام مخصوصٌ من وجهين: الأوّل: إنْ بقي منه عملٌ صالحٌ صار ذلك سببا للدعاء، والدعاء له عند الله أثر. والثاني: ما يتعلّق بمصالح الأطفال والأولاد والعورات وأداء المظالم والجنايات. أما الأول، فاعلموا أنّي كنتُ رجلاً محبًا للعلم، فكنتُ أكتبُ في كلّ شيءٍ شيئا لأقفَ على كُنهه وكيفيته سواء كان حقا أو باطلا أو غثًا أو سمينا إلا أنَّ الذي نصرته في الكتب المعتبرة لي أنَّ هذا العالَمَ المحسوسَ تحت تدبير مُدَبِّرٍ مُنزّهٍ عن مماثلة المتحيّزات والأعراض، موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة.

ولقد اختبرت الطرق الكلاميّة والمناهج الفلسفيّة فما رأيت فيها فائدة تساوي

الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم؛ لأنَّه يشعر في تسليمٍ بالعظمة والجلالة بالكُلِّيَّة لله تعالى وصنعٍ من التعمّق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأنَّ العقول البشريّة تتلاشى وتضمحلّ في تلك الحقائق العميقة والمناهج الخفية؛ فلهذا أقول: كلّ ما يثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدانيّته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزليّة والتدبير والفعّاليّة فذلك هو الذي أقول به، وأعتقد وألقى عزّ وجلّ به. وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض، فكلّ ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتقنين وفي المعنى الواحد فهو كما هو، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين، إني أرى الخلق مطبقين على أنَّك أكرم الأكرمين، وأرحم الأرحمين، فكلّ ما مرّ بقلبي وخطر ببالي فأستشهده علمك، وأقول: إن علمتَ مني أني أردتُ به تحقيق باطل أو إبطال حقّ، فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمتَ أني ما سعيت إلا في تقرير ما اعتقدت أنَّه الحقّ، وتصوّرتُ أنَّه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي، فذلك جهد المُقلّ، وأنتَ أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في الزلّة، فأغثني وارحمني واستُر زلّتي وامحُ حوبتي يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص بخطأ المجرمين.

وأقول: ديني متابعة سيد المرسلين، وقائد الأولين والآخرين إلى حظائر قدس ربِّ العالمين، وكتابي هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما. اللهُمَّ يا سامع الأصوات، ويا مُجيب الدعوات، ويا مُقيل العثرات، ويا راحم العبرات، ويا قَيّام المحدثات والمكنات، أنا كنتُ حسنَ الظنِّ بكَ عظيمَ الرجاء في رحمتك، وأنتَ قلتَ: "أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظنَّ بي خيراً" وأنتَ قلتَ: ﴿أمَّنْ يجيب المضطرَّ إذا دعاه﴾ [سورة النمل، الآية ٦٢]، وأنتَ قلتَ: ﴿وإذا سألكَ عبادي عنّي فإنّي قريب﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٦] فهبْ أني ما جئتُ بشيءٍ، فأنتَ الغنيُّ الكريمُ، وأنا المحتاج اللئيم.

واعلمْ أنَّه ليس لي أحدٌ سواكَ ولا أحدٌ كريمٌ سواك، ولا أحد محسِنا سواك، وأنا معترفٌ بالزلّة والقصور والعيب والفتور، فلا تُخيِّبْ رجائي، ولا تردَّ دعائي، واجعلني

أمنا من عذابك قبل الموت وعند الموت وبعد الموت، وسهِّلْ عليَّ سكرات الموت، وخفِّض عني نزول الموت، ولا تضيِّق عليَّ سبب الأسقام والآلام، فإنَّك أرحم الراحمين.

وأمّا الكتب العلميّة، فصنّفتها واستكثرتُ من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها، فمن نظر في شيءٍ منها فإن طابت له تلك السؤالات، فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التفضيل والإنعام، وإلا فليحذر القولَ السيءَ، فإني ما أردتُ إلا تكثيرَ البحث، وتشحيذ الخاطر، والاعتماد في الكلّ على الله تعالى.

وأما المهمَّ الثاني وهو صلاح أمر أطفالي وعوراتي فاعتمادي فيهما على الله تعالى، ثم على نائب الله محمد، اللهمَّ اجعله قرينَ محمد الأكبر في الدين والعلوِّ إلا أنَّ السلطان الأعظم لا يمكنه أن يشتغل بإصلاح ممات الأطفال، فرأيت أن أفوِّض وصاية أولادي إلى فلانٍ وأمرته بتقوى الله، فإنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، ثم أوصيته أن يبالغَ في تربية ولدي أبي بكر، فإنَّ آثار الدراية والذكاء ظاهرة عليه بعملٍ لله يوصله إلى خير، وأمرته وأمرتُ كلَّ تلامذتي، وكلَّ من لي عليه حقّ، فقلتُ لهم: إني إذا متُّ فبالغوا إخواني في إخفاء موتي، ولا تخبروا به أحداً، وكفنوني وادفنوني على شرط الشريعة المطهّرة، واحملوني إلى الجبل المصاقب لقرية مُرْداخان، وادفنوني هناك، وإذا وضعتموني في اللحد فاقرؤوا عليَّ ما تقدرون عليه من آيات القرآن العظيم، ثم ردّوا عليَّ التراب بالمساحي، وبعد إتمام ذلك قولوا مبتهلين إلى الله مستقبلين القبلة على هيئة المساكين المحتاجين:

يا كريمُ يا كريمُ يا كريمُ، يا عالماً بحال هذا الفقير المحتاج، أحسِنْ إليه، واعطف عليه، فأنتَ أكرم الأكرمين، وأنتَ أرحم الراحمين، وأنتَ الفعّال به وبغيره ما تشاء، فافعلْ به ما أنتَ أهله، فأنتَ أهل التقوى، وأهل المغفرة.

نقلتُ من خطِّ ابن مكتوم في تذكرته، قال: ذكر ياقوت الحمويّ[1] أنَّ هراة موضعان أحدهما المدينة العظيمة المشهورة بخراسان، لم يكن لها نظير، خرّبها التتار،

(١) انظر: معجم البلدان: مادة (هراة).

وقتلوا أهلها، وصيّروها تلولاً سنة ثماني عشرة وستمائة، وبينها وبين نيسابور أحد عشر يوماً. والثانية: مدينة بفارس قرب اصطخر.

قال ابن مكتوم: لعلّ وفاة الإمام فخر الدين في الأولى منهما.

قال الصفديّ: ولما مات الإمام فخر الدين خلّف ثمانين ألف دينار سوى الدوابّ والعقار وغير ذلك، وخلّف ولدين: الأكبر منهما تجنَّدَ في حياة أبيه، وخدم خوارزم شاه. والآخر: اشتغل، ولم نعلمْ له ترجمة.

ومن أخبار الإمام فخر الدين: نقلتُ من خطّ ابن مكتوم، قال: كتبتُ من خطّ قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ما نصّه: حدثني محمد بن عبدالله البغداديّ أنّه زامل إنسانا من أشراف العجم من بلد الموصل إلى حلب، فذكر أنّه أدرك العلاّمة فخر الدين بن الخطيب، وحكى عنه أنّه أقام ثلاثة أيّام، ولم يأكلْ فيها شيئاً للعدم، وكان في المدرسة حينئذٍ، وأنّ الطلبة كانوا يؤذونه، فتطلب ما يمكن بيعه ليقتات به، فلم يرَ ما يتأتى له بيعه إلا سرواله، فخرج وباعه، ثم وقع اختياره على شراء الشواء، ليتيسّرَ أكله، وحاجته إلى التعجيل، فاشترى شيئا منه في رقاق أو خبز، وقصد المجيء إلى المدرسة، فخشي من وجود من يؤذونه من الطلبة عند بابها، ثم جاء فوجدهم على باب المدرسة، فعندما همّ بالدخول قام على كلبٍ، وأخذ منه الشواء والخبز، ورماه حتى انكشفت عورته أمام من كان يحذره، فاشتد عليه الأمرُ جداً، وغلبت عليه السوداء، فلما أصبح جاءه إنسان يسمّى عندهم سَرْهَنْك أي الجندار، فاستدعاه للسلطان، فظنّ أنّ ذلك من أذى الطلبة له مع ما كان فيه من الحال، فضربه بالإبريق، فحاد عنه، وانكسر، وذهب الجندار، فأخبر أنّهم أرسلوه إلى مجنون، فقال البعيث: نحن أخطأنا، فطلب له من السلطان خلعة، وسيّر بها، فلما وصلتُ إليه أمن مما كنا نخافه، وصعد، فلقي البعيث، فطلب منه قبل كلّ شيءٍ ما يأكله، فأحضر له ما سدّ به ضرورته، ثم دخل إلى السلطان، فوجد الجمع والمنبر منصوبا، فأمره السلطان بالصعود، فصعد المنبر، فتكلّمَ، فأعجِبَ السلطان بكلامه، وسلّم إليه ولده يقرئه. انتهى.

وذكر ابن مكتوم من تصانيفه غير ما تقدّم: التفسير الصغير. تفسير الفاتحة وحدَها، مجلد. تفسير سورة البقرة وحدها، على الوجه العقليّ. كتاب الأشربة.

قال: وكان من جلالة القدر وعظم الذكر وفخامة الهيئة بحيث لا يُراجَع في كلامه، ولا ينبس أحدٌ بين يديه لإعظامه، وكان مع تفرّده بالعلوم المعقولة واستيلائه عليها له اليد الطولى في علوم الأدب والنحو والتصريف وتفسير القرآن والدقائق، وسار ذكره بذلك في شرق البلاد وغربها، وقصده الناس من كلِّ قطر وناحية، وانتشرت تلامذته في الأقطار، وتخرّج به عالَمٌ لا يُحصَون، وكان يحضر مجلسه نحواً من ثلاثمائة متفقه، لا يعلو صوت أحد منهم على صوته إعظاماً له واحتراماً.

وكان السلطان خوارزم شاه علاء الدين أبو شجاع محمد بن تكش مع عظم سلطانه وسعة ملكه يقصد زيارته في منزله، ويتواضع له ويُجِلّه، ويبالغ في إكرامه وتعظيمه، وكان آية من آيات الله تعالى، ومن شعره القصيدة التي لقّبها بالهادية إلى التقليد المؤدية إلى التوحيد، أنشدها ياقوت في معجم الأدباء، قال: أنشدني ولده ضياء الدين علي، قال: أنشدني والدي لنفسه، قال ياقوت: وجدتها أنا من خطّ مجد الدين أنشدها المبارك بن أبي بكر بن الشعّار في كتاب عقود الجُمان من تأليفه، وهي:

يا طالبَ التوحيد والإيمانِ ... أبشرْ بكلِّ كرامةٍ وأمانِ
واعلمْ بأنَّ أجلَّ أبواب الهدى ... تقرير دين الله بالبرهانِ
وأعزُّ خلقِ الله ناصرُ دينه ... بالعقل والأخبار والقرآنِ
فإلهنا بعلوّه وجلاله ... متقدّسٌ عن وجهة الإمكانِ
فردٌ قديمٌ دائمٌ بصفاته ... من غير وهم معاقبِ الأزمان
حارت عقول الخلق في سبحانه ... وعلا على الأفهامِ والأذهانِ
خضعت له الأرواح والأشباح في ... تسبيحها وتخرّ للأذقانِ
العرش في عَرَصاتِ نحو جلاله ... متبلّدٌ كالواله الحيرانِ
والجسم في درجات نور كماله ... مستحقر مثل الخيال الفاني

لو كـان عـرشـيًـا لكان مـركـبـاً ولكان كـالإنسـان في الجـثـمـانِ
لـو جـاء قـيـوم السـمـاء بذاته يوم القـيـامـة كـان في الحـدثانِ
لو كـان ينزل من أعـالي عـرشـه لإفـاضـة الإحـسـان والغـفـران
لتـبـدلت أوصـافـه في ذاته ولكان ذلك غـاية النقـصـان
مـن كـان هذا دينه فـكـأنـه قـد فـاق أهل الشـرك في الخـذلانِ
أو كـان هذا منتـهى توحـيـده فـعليـه مـحض لعـائن الرحـمنِ
ومـحـمـد خـيـر البـرية جـاءنا بشـريعـةٍ تهـدي إلى الرضـوانِ
فـمن المحـال مـجـيئـه في دينه بالسـخف والتـشـبيـه والبـهـتـانِ
لولا التـغـيـر والتناهي لم يكن بالنجم مـا يرمـيـه بالحـدثانِ
يا من توحّـد في وجـوب وجـوده وعـلا على الأشـيـاء لا بمكانِ
يا حيّ يا قـيـوم يا مـحـيي الورى يا دائمَ المعـروفِ والإحـسـانِ
يا منتـهى أملي وغـاية رغـبـتي وعليك مـعـتـمـدي بكلِّ أوانِ
أدعـوك دعـوةَ خـاشعٍ مـتـخـوّفٍ مـتلهفٍ من كـثـرة العـصـيـانِ
لا تشـغلَنِّي عن جـلالك لحظة بشـواغل الأفـلاك والأركـانِ
لا تحـجـبني عن جـلالك لمحـة في لاحي الأحـيـاز والأحـيـان
أنتَ الذي خلق الخـلائقَ كلُّهـا بدلالة الحـدثانِ في الأعـيـانِ
أنتَ الذي علم الحـقـائق كلّهـا بشـهـادة الإحكامِ والإتقـانِ
أنتَ المريد لخـيـرنا ولشـرّنا بإمـارة التـخـصـيص والرجـحـانِ
أنتَ السـمـيع لقـولنا ودعـائنا في حـالَي الإسـرار والإعـلانِ
أنتَ البـصـيـر بخـيـرنا وبشـرّنا في طوري الوجـدان والفـقـدانِ
أنت المغـيث لنا وكـاشف ضـرّنا ومـجـيـر جـاهلنا من النيـرانِ
وأنا الضـعيف المستجير بفضلكم عند البلى في ملبس الأكـفـانِ
قـد هدَّ أوصـالي وأضـعفَ قـوتي طول الزمـان وكـثـرة الأحـزانِ

وسئمتُ ما قد كنتُ أطلب قربه ... ومللت طول مكائد الأقرانِ
ما تمّ ستّون الحياة لتفنى ... عاينته في موقف البطلانِ
إنّي أرى الدنيا مقام متاعب ... ومصائبٌ موصولة الدورانِ
وأرى سعادة أهلها كالماء في ... السيلانِ أو كالثلج في الذوبانِ
ورأيت أرباب الضلال تعاونوا ... في الإثم والتلبيس والعدوانِ
وعهدت جمهور الخلائق كثّروا ... نقض العهود ونكثة الأيمانِ
فطفقت أطلب سلوة في خلوة ... مع كثرة الإمعان في الأعوانِ
فعجزت عن وجدانها حتى بدا ... أن لا سبيلَ إذن إلى الوجدانِ
أتحفتُ سلطان الورى بقصيدة ... عربى على الياقوت والمرجانِ
سلطان أرض الله يأمر شربي ... قهّار أهل الزيغ والطغيانِ
لا زال ظلّ جلاله متمددا ... أبداً مع التمكين والإمكانِ
وكلامنا في الدين أصبح واضحا ... يبيضّ مثل السمن في اللمعانِ
يا ربّ إني كيف أقدر قدركم ... مع أنني في عنصر الإنسانِ
لكنني ألزمت مثليَ مدحكم ... في كلّ ما يسمو إليه لساني
إن كان حقا كان من توفيقكم ... أو كان مختلا فمن شيطاني

وله في الثناء على الله تعالى، أنشده ابن الشعّار وياقوت[١] أيضاً:

تتمةُ أبوابِ السعادة للخلقِ ... بذكر جلالِ الواحدِ الأحدِ الحقِّ
مدبِّرُ كلّ الممكنات بأسرها ... ومبدعها بالعدل والقصد والصدقِ
تعالى عن الأذهان سلطان عزّه ... وجلّت معانيه عن التحت والفوقِ
رجاء جميع الخلق في جَود جُوده ... ورهبتهم من قهره إلا من الخُرقِ
فمن كان في عرفانه كان في الهدى ... ومن كان في عصيانه كان في المحقِ

---

(١) لم ترد هذه القصيدة في معجم الأدباء.

ومن ظنَّ أنَّ العــقلَ يدرك كنهــه فقد صار عرفا في الضلالة والحمقِ
ولما رأينا كلَّ جــسم مــركَّــبــا علمناه محتاجا إلى الوجدِ المبقي
فــمــبــدئ كلَّ الكائنات منزَّه عن الشكل والمقدار والجمع والفرق
ولما وجدنا جـسمنا متركِّبا من العظم والغضروف والجلد والعرق
وشـيئـا لمرآنا وعظمـاً لسـمعنا وشحما سخيفا للسان والنطقِ
قـضى العـقل فـيـه أنَّه متـولِّدٌ بتــدبيــر خـــلاَّقٍ يدبِّر بالرفقِ
ومما يقـوِّي كـونه مـتـعـاليـا عن الطبع والإيجاب في العلق والفلقِ
تفـاوت أوصـافِ الذوات بأسـرها من الوضع والمقدار والخلق والخلقِ
ومما يقـوِّي كـونه غـيـر مـوجب تفاوت حال الخلق في الرتق والفتقِ
ومما يجلِّي حكمــه وامــتــداده تخالف وصفِ البحر في الشكر والبثقِ
ومما يزيل الريب عن صـدق ديننا عجائب حال الحمل في منتهى الطلقِ
براهين دين الله جمٌ كــثــيــرةٌ ومنكرها في الخزي والبعد والسحقِ
ومن دارَ للدين الحنيــفيِّ عــقله يصـيـر مـدى مرآه في ليله طلقِ
ومن عَـجَب الأقــدار دولة جـاهلٍ ومكث لبـيـب في الكدورة والرنقِ
وكم قـد رأينا جـاهلاً ملك الورى وكم قد رأينا كاملاً ضيِّق الرزقِ
يجدّ فلا يجدي ويسعى فلا يرى ويبعث يوم الحشر بالأعين الزرقِ
وكم أحمق قد ساد بالحمقِ عالما وكم من بلاء جُرَّ بالعقل والحذقِ
عـجـائب آياتٍ تعـاظم وصـفـهـا على الحكماء اللسنِ والألسن الذُّلقِ
ولاح بأنَّ الكلَّ من حكم حــاكم سرى حكمه في الطول والعرض والعمقِ
إلهي لســاني في ثنائك قــائمٌ وموقف نفسي موقف الذلِّ والرِّقِّ
ولكنَّ ذلاً عندنا بك عـــزةٌ وشبهة ذاك الرِّقِّ خير من العتقِ
حرارة حبٍّ خالطت حبة الحشا إلى الحبِّ فيه أن يلين لمستوقِ

وله أيضاً، أنشده ابن الشعّار:

حكم جرى قبل خلق الخلق في الأزلِ فليس ينقض بالتدبير والحِيلِ
وإنّما هي أرزاقٌ مقدَّرةٌ تدنو وتبعد لا بالجد والكسلِ

وله أنشده ابن الشعّار:

أرى معالمَ هذا العالَمِ الفاني ممزوجة بمخافات وأحزانِ
أحواله مثل أحوال مفزعة وسرّه في البرايا دائمٌ دانِ

وقال أيضا يصف حِدّة نفسه، أنشده ابن الشعّار، وياقوت عن ولديه(١):

أشكو إلى الله من خلقٍ يعنيني ويمحقُ النورَ من عقلي ومن ديني
حرارة في مزاج الروح محكمة تبدو وتسمو فتغويني وترديني

وأنشد له ابن الشعّار أيضاً:

إليك إله الخلقِ وجهي وهمتي وأنتَ الذي أدعوك في السرّ والجهرِ
وأنتَ رجائي عند كلّ ملمة وأنتَ معاذي في حياتي وفي قبري

وقال القاضي تاج الدين السبكيّ في الطبقات الكبرى: اعلم أنّ شيخنا الذهبي ذكر الإمام فخر الدين في كتاب الميزان وفي الضعفاء، وكتبتُ على كتابه حاشية مضمونها أنّه ليس لذكره في هذا الكتاب معنى، ولا يجوز من وجوه عدة، أعلاها أنّه ثقة حبر من أحبار الأمة، وأدناها أنّه لا رواية له، فذكره في كتب الرواة مجرّد فضول وتعصّب وتحامل تقشعرّ منه الجلود.

وقال في الميزان: له كتاب "السرّ المكتوم في أسرار النجوم" سحر صريح، قال السبكيّ: وهذا الكتاب لم يصحّ أنّه له، وقيل إنّه مختلق عليه، ويبعد من صحة نسبته إليه ليس بسحر فليتأمله من يحسن السحر.

قال: وذكر أنّ الإمام وعظ يوماً بحضرة السلطان شهاب الدين الغوريّ، وحصلت

(١) لم يرد البيتان في معجم الأدباء.

له حال، فصاح: يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي يبقى.

قال[١]: وأظهر الإمام في تفسيره أن تسبيح الجمادات والبهائم بلسان الحال لا بلسان المقال، واحتجّ بما لم ينهض عندنا، والأرجح أنها تسبّح بلسان المقال لأنّه لا استحالة فيه، ويدلّ له كثير من النقول. انتهى.

وقال ابن مكتوم: كتاب المحرّر في النحو للإمام كلامه فيه موافق لكلام النحويين، وغير جارٍ على اصطلاحاتهم في هذا الفنّ. وله في تفسيره مواضع منقودة نبّه عليها العلماء.

قال ابن مكتوم في تذكرته: أنبأنا شيخنا أبو عبدالله المصريّ عن شيخه الحافظ أبي الحسين القرشيّ، أنشدنا الأديب البارع أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن الحسين بن عنين بن غالب الأنصاريّ الدمشقيّ بها سنة سبعٍ وعشرين وستمائة من لفظه، قال: كنتُ يوما بهراة جالساً عند الإمام فخر الدين الرازيّ، وهو يلقي الدرسَ، فإذا بحمامة يتبعها جارح قد أقبلت، فسقطت في حجره، فقلتُ في ذلك بديهة[١]:

يا ابنَ الكِرام المطعمين إذا شَتَوْا ... في كلِّ مسغبةٍ وثلج خاشفِ

العاصمين إذا النفوس تطيّرت ... بين الصوارم والوشيج الراعفِ

مَن نبّأ الورقاء أنَّ محلكم ... حرمٌ وأنَّك ملجأ للخائفِ

وفدت عليك وقد تدانى حتفها ... فحبوتها ببقائها المستأنفِ

جاءت سليمان الزمان بشكوها ... والموت يلمع من جناحي خاطفِ

حرم لواه القوتُ حتى ظِلّه ... بإزائه يجري بقلبٍ راجفِ

قال: وأنبأنا أبو عبدالله المصريّ عن شيخه الحافظ أبي الحسين القرشيّ، قال: أنشدنا الأديب أبو عبدالله محمد بن أبي يعلى محمد الهرويّ، قال: أنشدنا أبي وكان قد دخل إلى الفخر الرازيّ، فعتب عليه لانقطاعه عنه، فارتجل معتذراً:

---

(١) راجع تفصيل المسألة عند السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: ٨/٩٤-٩٥.

(٢) ديوان ابن عنين: ٩٥.

مــجلسك البــحــر وإني امــرؤٌ   لا أحسن السبح فأخشى الغرقْ

وقال ابن خَلّكان في تاريخه: ذكر الإمام فخر الدين في كتابه الذي سمّاه "تحصيل الحقّ" أنّه اشتغل في علم الأصول على والده ضياء الدين، ووالده على أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاريّ، وهو على إمام الحرمين أبي المعالي، وهو على أبي القاسم الإسكاف، وهو على الأستاذ إبي إسحق الإسفراييني، وهو على الشيخ أبي الحسين الباهليّ، وهو على شيخ السُنّة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعريّ، وهو على أبي علي الجُبّائيّ أوّلا، ثم رجع عن مذهبه، ونصر مذهب أهل السُنّة والجماعة.

وأما اشتغاله في المذهب فإنّه اشتغل على والده ووالده على أبي محمد الحسين بن مسعود البغويّ، وهو على القاضي حسين، وهو على أبي زيد المروزيّ على أبي إسحق المروزيّ، وهو على أبي العباس بن شريح، وهو على أبي القاسم الأنماكيّ، وهو على المزنيّ، وهو على الإمام الشافعيّ رضي الله عنه.

وقال ياقوت: قلتُ لولد الإمام فخر الدين، واسمه ضياء الدين: على من قرأ والدك العلوم؟ فقال: ليس له شيخٌ مشهور، إنّما قرأ على رجلٍ يقال له مجد الدين الجيليّ، فلم ينصرف عنه حتى احتاج الشيخ إلى التلميذ، فجعل يقرأ عليه العلوم، ثم فتح الله عليه فتحا كبيرا، وأخذ من الكتب وبرع وفاق من عنده. انتهى.

وقال أبو علي الحسين الواسطيّ: سمعت فخر الدين بهراة ينشد على المنبر عقب كلام عاتب أهل البلد فيه:

المرءُ ما دام حيّا يستهانُ به   ويعظم الرزءُ فيه حين يفتقدُ

ومن شعر الإمام فخر الدين ما أنشده له ابنُ أبي أصيبعةَ في تاريخه، قال: أنشدني بديع الزمان البندهيّ، قال: أنشدني الإمام فخر الدين لنفسه:

فلو قنعت نفسي بميسور بلغةٍ   لما سبقتُ في المكرمات رجالَها

ولو كانت الدنيا مناسبة لها   لما استحقرت نقصانها وكمالَها

ولا أرمق الدنيا بعين كراهة ... ولا أتوقى سوءها واختلالها
وذاك لأني عارف بفنائها ... ومستيقن ترحالها وانحلالها
أروم أموراً يصغر الدهر عندها ... ويستعظم الأفلاك طرا وصالها

وقال ابنُ مكتوم: أنشدنا الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطيّ، قال: أنشدنا أبو الفضائل محمد بن الحسين الأرمويّ المنعوت بالتاج:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا ردى ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... وعالٌ فزالت والجبال جبالُ

وله:

أرواحنا ليس تدري أين مذهبها ... وفي التراب توارى هذه الجثثُ
كون يُرى وفساد جاء يتبعه ... والله يعلم ما في خلقه عبثُ

وقال الإمام الرافعيّ في تاريخ قزوين: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن أبو عبدالله الخطيب المكيّ ثم الرازيّ صاحب اليد الطولى في أصول الكلام وعلوم الأوائل وافر التصرّف والتصنيف والاعتراض على الحكماء والمتكلمين، انتشرت مؤلفاته في البلاد، واعترف أهل العصر له بالتبريز والتقدّم في الفنون، واشتهر فضله حتى أسرف في ثنائه مسرفون، وكان أبوه خطيبا بالرّيّ متكلّماً فصيحاً، وورد هو قزوين في أول شبابه، وتكلّم في مجلس النظر، وأتذكّر أني حضرتُ ذلك المجلس على سبيل النظارة وأنا صغير، ثم سافر إلى خراسان وخوارزم وما وراء النهر، ووجد عند كُبرائها وسلاطينها الرفعة والجاه التامّ، وكثرت تلاميذته وأصحابه، ولم ألقه بعد أن فارق قزوين.

وأخبرني الإمام محمد بن أبي سعد الوزان رحمه الله أنّه حين دخل الرّيّ في

صحبة سلطان خوارزم، تفحّص عن حالي غير مرّة، وكان يَحسَبُ أنّي مقيمٌ هناك، ويحبّ أن يكون بيننا تلاقٍ. وصنّفَ أيضا في تفسير القرآن وفي أصول الفقه والنحو وغيرها، وطوّل كتابه في التفسير وأكثر فيه من كلِّ فنٍّ، وكان قد طالَعَ حين دخل الرّيَّ من تفسير والدي رحمه الله مجلّدات، ورأيت كتابا كتبه بعدما رجع إلى خراسان إلى الإمام محمد بن أبي سعد الوزان رحمه الله، سأله فيه أن يكتبَ له تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا حُيِيتم بتحيّةٍ فحيُّوا بأحسنَ منها أو ردّوها﴾ [سورة النساء الآية: ٥٩] من كتاب والدي وينفذه إليه ليورد منه ما شاء في مجموعه، وكتب في آخر سورة يوسف عليه السلام من تفسيره الكبير لنفسه في مرثية ولده محمد، وذكر أنّه فرغ من تفسير السورة في شعبان سنة إحدى وستمائة:

فلو كانت الأقدار منقادة لنا ... فديناك من حُمّاك بالروح والجسمِ
ولو كانت الأملاك تأخذ رشوةً ... خضعنا لها بالرقِّ في الحكم والاسمِ
سأبكي عليك العمر بالدم دائما ... ولم أنحرف عن ذاك في الكيفِ والكمِّ
سلامٌ على قبر دفنت بقربه ... وأتحفك الرحمنُ بالنعم العمِّ
وقد همَّ قلبي جعْلَ جفني مدفناً ... لجسمك إلا أنّه أبداً يهمي
حياتي وموتي واجد بعد بعدكم ... بل الموت أولى من مداومة الغمِّ

توفي بهراة يوم عيد الفطر على ما حكيَ سنة ستٍّ وستمائةٍ.

وقال أبو المحاسن محمد بن نصر بن عنين الشاعر يمدح الإمام فخر الدين وسيّرها إليه من نيسابور(١):

ريحُ الشمالِ عساكِ أن تتحمّلي ... خدمي إلى الصدر التمام الأفضلِ
وقفي بواديه المقدس وانظري ... نور الهدى متألقا لا يأتلي
من دوحةٍ فخريّةٍ عُمريةٍ ... طابت مغارس مجدها المتأثّلِ
مكيّة الأنساب زاكٍ أصلها ... وفروعها فوق السماك الأعزلِ

(١) ديوان ابن عنين: ٥٣-٥٥.

واسـتـمطري جـدوى يديه فطالما | خلف الحـيـا في كلِّ عـام ممحِلِ
نعم سـحـائبـهـا تعـود كـمـا بدت | لا يعـرف الوسـميَّ منهـا والولي
بحـــر تصـــدُّر للعلوم ومن رأى | بحـراً تصـدّرَ قـبله في مـحـفلِ
ومشمرٍ في الدين يسحب للتقى | والدين سـربال العـفـاف المسبلِ
مـاتت به بدعٌ تمادى عـمـرها | قـهـراً وكـاد ظلامـهـا لا ينجلي
فـعَـلا به الإسـلامُ أرفعَ هضـبـةٍ | ورسا سواه في الحضيض الأسفلِ
غلط امـرؤٌ بـأبي علي قـاسـه | هيـهـاتَ قـصـر عن هداه أبو علي
لو أنَّ أرسطاليس يسـمع لفظه | من لـفظه لعـــرتـه هزّة أفكلِ
ويحـار بطليـمـوس لو لاقـاه من | برهـانه في كلِّ شكلٍ مـشـكِلِ
فلو أنهم جُـمِـعـوا لديه تيـقنوا | أنَّ الفـضـيلة لم تكن للأوّلِ
وبه يبـيتُ الحلمُ ملتـجـئـاً إذا | هـوَت رياح الطيشِ ركني يذبلِ
يعـفـو عن الذنبِ العظيمِ تكرّمـاً | ويجـودُ مسـؤولا وإن لم يُسـألِ
أرضى الإله بفـعله ودفـاعـه | عن دينه وأقـرُّ عين المرسلِ
يا أيُّـهـا المولى الذي درجـاته | ترنو إلى فلك الثـوابتِ من علِ
مـا منصبٌ إلا ومـجـدك فـوقـه | وبقـدرك السـامي تمني مـا مُلي
لا زال ربعك للوفـودِ مـحطةً | أبداً وجـودك فـوق كلِّ مـؤمّلِ

وقال أيضاً وقد اقترح عليه أبياتا، في كلِّ كلمةٍ منها سينٌ(١):

مرسى السيادة سن سنّة سيفه | محروسةٍ مسعودة التأسيسِ
سـيف يسـرك سلّه وسـؤاله | لمسـاءة يوسي وسلب نفـوسِ
سـبق السـراة بسيـرة وسـريرة | محسودتين وسار سير رئيسِ
حسُنت سريرته وقُدّس سِنخه | وسمـا بأسـلافٍ سراة شُـوسِ
أسـلافِ سـادات سما بجلوسهم | رأسُ السرير ومسند التدريسِ

(١) ديوان ابن عنين: ٩٦-٩٧.

سدّوا وسادوا واستجدّوا للسخا الـ　　منسوخِ طاسمَ رسمه المدروسِ
آنست من أستار سدّته سنا　　قبسٍ فسُقت نفيسةً لنفيسِ
فاستجلِها حُسنا والبسها سنا　　إحسان اسمك أحسن الملبوسِ

قال ابن مكتوم: قرأتُ بخطِّ أبي المحاسنِ اليغموريّ: أخذ بعضُ تلامذة الإمام فخر الدين في مدحه، فقال في بعض كلامه: من أراد أن يحصرَ فضائل مولانا فخر الدين بالحساب يحتاج إلى الضرب.

وقال ياقوت الحمويّ في معجم الأدباء: وجدتُ على ظهر كتابٍ من تصانيف فخر الدين الرازيّ ما صورته: قال الأديبُ الأخسيكتيّ:

إنَّ بالمشرق فينا　　جبل العلم ابن سينا
فدع المغرب يذكرْ　　ذرة من طور سينا

فقال السراج:

أعلماً علماً يقينا　　أنَّ ربُّ العالمينا
لو قضى في عالميهم　　خدمة للعالمينا
خدم الرازيُّ فخراً　　خدمة العبدِ ابن سينا

وقيل أيضاً:

قد تركنا قد نسينا　　حكمة الشيخ ابن سينا
حين شاهدنا عيانا　　حكمة الرازيّ فينا
نحنُ قد بِعنا حصاةً　　واشترينا طور سينا

وقيل أيضاً:

نحن بالجهلِ ابتلينا　　نحنُ بالحمقِ رُمينا
نحنُ قضّينا زمانا　　في تصانيف ابن سينا
ثم صِرنا آمنينا　　عن مقال الطاعنينا
حين طالعنا كلاما　　يشبه الدر الثمينا

صاغه الرازي فينا كاملاً فخما مُبينا
ربٍّ فاجعله بحالٍ يشبه الروح الأمينا

وقال الشهاب القوصيّ في معجمه: أنشدنا أبو اليمن بركات بن ظافر بن عساكر لنفسه في كتاب الآيات البيِّنات للإمام فخر الدين الرازيّ:

هذه الآيات حقا شهدت أنَّ من صنَّفها ذو حمقِ
ليت شعري ما الذي عظَّمها مفخر الأحمق علم المنطقِ

وقال الصلاح الصفديّ: وجدتُ بعضهم كتب على كتاب المحصَّل بيتين، وهما:

محصَّلٌ في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله أصلٌ بلا دينِ
بحر الضلالات والشكّ المبين وما فيه فأكثره وحي الشياطينِ

فكتبتُ تحتهما من نظمي:

عميتَ عن فهم ما ضمَّت مسائله ونورها قد تجلّى بالبراهينِ
فملتَ عجزاً إلى التقليد وهو متى حققت لم تلقَ أمراً غير مظنونِ
والناس أعداء ما لم يعرفوه فلا بدعٌ إذا قلت ذا وحيُ الشياطينِ

قال: وكتبتُ على كتابٍ له في أصول الدين:

علم الأصول بفخر الدين منتصرٌ به يصول بإعجابٍ وإعجازِ
أضحت به السُّنَّةُ الغرّاء واضحةً قد استقامت لمختارٍ ومجتازِ
له مباحث كم قد أحرقت شُبَهاً بشُهْبها فَخَرَ الزاري على الرازي

قال: وكتبتُ على كتاب "الطبّ الكبير" له:

قد كنتَ يا ابنَ خطيب الرّيّ معجزةً بذهنك المشرقِ الخالي من الكذبِ
دخلت في كلِّ علمٍ للأنام وقد حررته بدقيق الفكر والنظرِ
إذا انتصرتَ لرأيٍ أو لمسألةٍ ترجّحت لأُولي الألباب والفكرِ
وكلّ علمٍ لك الفضل المبينُ به فأنتَ حقا كمال الكتب والسِّيَرِ

[٥١]*

ابن أبي الربيع

الإمام أبو الحسين عُبيدالله بن أحمد بن عُبيدالله بن محمد بن عُبيدالله القُرشيَ الأمويّ العثمانيّ الإشبيليّ، إمام أهل النحو في زمانه.

ولِد في رمضان سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائة، وقرأ النحو على الدبّاج والشلَوبين، وأذنَ له أن يتصدّر لأشغاله، وصار يرسل إليه الطلبة الصغار، ويحصِّل له منهم ما يكفيه، فإنّه كان لا شيءَ له، وأخذ القراءات عن محمد بن هارون السلميّ، وسمع من القاسم بن بقي، وغيره، وجاء إلى سبتة لما استولى الفرنج على إشبيلية، وأقرأ بها النحوَ دهرَه، ولم يكن في طلبة الشلوبين أنجب منه.

أخذ عنه محمد بن عُبيدة الإشبيليّ، وإبراهيم الغافقيّ، وخلقٌ.

وروى عنه جماعة منهم بالإجازة: أبو حيّان.

وله من التصانيف في النحو: شرح الإيضاح. والملخّص والقوانين(١). وشرح كتاب سيبويه. وشرح الجُمَل، عشر مجلدات لم يشذّ عنه مسألة في العربية.

مات سنة ثمانٍ وثمانين وستمائة.

رأيتُ في بعض المجاميع: أخبر الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد التونسيّ أنّ الإمامَ أبا عبدالله محمد بن رشيد لما توجّه إلى الحجاز الشريف، ودخل طرابلس

---

[*] انظر ترجمته في: ملء العيبة: ٣/١٠٨-١٠٩. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٨١-٦٩٠): ٣٣٥-٣٣٦. الوافي: ١٩/٢٣٨-٢٣٩. البلغة: ١١٦-١١٧، وسماه عبدالله بن أحمد بن عبيدالله. غاية النهاية: ١/٤٨٤-٤٨٥. البغية: ٢/١٢٥-١٢٦. درة الحجال: ٣/٧٠-٧٢.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن أبي الربيع السبتي إمام أهل النحو في زمانه، مجلة المناهل، المغرب، ع ٢٢، ١٩٨٢م.
- الدراسة التي قدّم بها الدكتور عيّاد الثبيتي لتحقيق كتاب البسيط في شرح جمل الزجّاجي لابن أبي الربيع.

(١) الملخص والقوانين كتاب واحد حققه علي بن سلطان الحكمي باسم "الملخص في ضبط قوانين العربيّة".

الغرب حضر بها الخطبة، فسمع خطيبها يقول: إنَّه من يطع الله ورسوله فقد رشد، بكسر الشين. فأنكر ذلك إنكاراً شديداً، فلما مضى حجه ورجع إلى المغرب اجتاز بطرابلس، وتقصَّد سماع الخطيب، فسمعه يقول كما قال أولاً، فاشتدَّ إنكاره، فلما وصل إلى سبتة ودخل سلَّم على ابن أبي الربيع النحويّ، وكان من عباد الله الصالحين، فذكر أنَّه حين رآه قال: يا ابنَ رشيد، رشِد ورشَد لغتان ذكرهما ابنُ السكِّيت في إصلاح المنطق.

[٥٢]*

أبو زيد

سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبي زيد ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاريّ، جده أحد الصحابة الستة الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله (ﷺ).

قال في الداني في طبقات القرّاء: أبو زيدٍ سعيد بن أوس بن ثابت بن حرام بن

---

[*] انظر ترجمته في: الجرح والتّعديل: ٤/٤. مراتب النّحويّين: ٧٣-٧٦. المجروحين: ١/٣٥٤. الثّقات: ٦/٣٥١. أخبار النّحويّين البصريّين: ٦٨-٧٢. طبقات النحويّين واللغويّين: ١٦٥-١٦٦. الفهرست: ٨٥-٨٦. نور القبس: ١٠٤-١٠٨. تاريخ العلماء النحويين: ١٢٤-١٢٥. نزهة الألباء: ١٠١-١٠٤. المنتظم: ١٠/٢٦٨-٢٦٩. معجم الأدباء: ٣/١٣٥٩-١٣٦٣. إنباه الرواة: ٢/٣٠-٣٦. تهذيب الكمال: ١٠/٣٣٠-٣٤٠. إشارة التّعيين: ١٢٨. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢١١-٢٢٠): ١٦٤-١٦٦. سير أعلام النبلاء: ٩/٤٩٤-٤٩٦. الكاشف: ١/٤٣٢. العبر: ١/٢٨٩. مسالك الأبصار: ٧/١٩-٢٠. الوافي: ١٥/١٢٥-١٢٦. مرآة الجنان: ٢/٢٥٧. البلغة: ٨٤-٨٥. غاية النهاية: ١/٣٠٥. لسان الميزان: ٧/٤٦٥. البغية: ١/٥٨٢-٥٨٣. شذرات الذهب: ٢/١٢٤-١٢٥.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- أبو زيد الأنصاريّ ونوادر اللغة.
- أبو زيد الأنصاريّ وأثره في اللغة.

محمود بن رفاعة بن بشر بن الصيفي بن الأحمر بن العطيون بن ثعلبة بن حارثة الأنصاريّ النحويّ البصريّ. روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، وعن المفضّل بن محمد بن عاصم، وعن قعنب العدويّ. وسمع شعبة. روى القراءة عنه خلف بن هشام، ومحمد بن يحيى القُطعيّ، وروح بن عبد المؤمن، وأبو الربيع الزهرانيّ، وأبو حاتم الرازيّ، وأبو حاتم السجستانيّ. وتوفي سنة خمس عشرة، وقيل أربع عشرة ومائتين عن أربع وتسعين عاما.

وقال السيرافيّ: قال المبرِّد: كان أبو زيدٍ عالماً بالنحو، ولم يكن مثل الخليل وسيبويه، وكان يونس من باب أبي زيد في العلم باللغات، وكان يونس أعلم من أبي زيد في النحو، وكان أبو زيد أعلم الثلاثة بالنحو، أعنيه والأصمعيّ وأبا عُبيدة، وكان يقال: أبو زيد النحويّ، وله كتاب في تخفيف الهمز على مذهب النحويين، كتبه المصنّفة في اللغة من شواهد النحو عن العرب ما ليس لغيره، وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الناس.

قال الأصمعيّ: رأيتُ خلفا الأحمر في حلقة أبي زيد. وكان أبو زيد كثير السماع عن العرب ثقةً مقبولَ الرواية، أخبرنا ابن دُريد، قال: أخبرنا أبو حاتم قال: قال لي أبو زيد الأنصاريّ: سألني الحَكَمُ بنُ قنبر عن: تعاهدتُ ضيعتي، أو تعهّدتُ ضيعتي؟ فقلتُ: لا يكون إلا ذاك. فقال لي: فاثبتْ لي على هذا إذا سألك يونس. فقلتُ: نعمْ. وكان الحكمُ سأل يونس، فقال: تعاهدت. قال: فلما جئتُ سأله، فقال يونس: تعاهدتُ. قال أبو زيد: فقلتُ: لا. وكان عنده الأعراب الفصحاء، فقلت: سلْ هؤلاء. فبدأ بالأقربِ إليه فالأقرب، فسألهم واحداً واحداً، فكلّهم قال: تعهدت. فقال: يا أبا زيد، رُبَّ علمٍ كنتَ سببَه.

وقال أحمد بن يحيى: كان أبو زيد يقول لأصحابه:

اقتربوا قِرْفَ القِمعْ ... إني إذا الموتُ كَنَعْ
لا أتوقّى بالجَزَعْ ... ما طار طيرٌ وارتفعْ
إلا كما طار وقعْ

قال: وأنشدني فيها ابن الأعرابيّ:

حسبي بعلمي إنْ نفعْ ... ما الذُّلُّ إلا في الطَمَعْ
من راقبَ اللهَ نَزَعْ ... عن قُبحِ ما كان صَنَعْ

قال أحمد بن يحيى: قرف الموت: ما كان عليه من الوسخ، فيقول أبو زيد لأصابه: اقتربوا يا أوساخ.

وقال الحافظ جمال المزّيّ في تهذيب الكمال في ترجمة أبي زيد: روى عن إسرائيل بن يونس، والأسود بن شيبان، والربيع بن بُرّة البصريّ العابد، ورؤبة بن العجاج، وسعيد بن أبي عروبة، وسليمان التميمي، وشعبة بن الحجاج، وعبدالله بن عون، وعبد القدوس بن حبيب الشاميّ، وعبد الملك بن جريج، وعمرو بن عبيد، وعمران بن حُدَير، وعوف الأعرابيّ، وقيس بن الربيع، ومحمد بن عمرو بن علقمة، وعمار بن يحيى، وأبي عمرو بن العلاء.

روى عنه: أبو مسلم إبراهيم بن عبدالله الكجّيّ، وإبراهيم بن عبد الرحيم بن دبوقاء، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيديّ، وأبو اليمان حُذيفة بن غياث بن حسان بن دينار البصريّ العسكريّ، والحسين بن السكن البصريّ نزيل بغداد، وخلف بن هشام البزّار وقرأ عليه القرآن، وسفيان بن زياد بن آدم العُقيليّ، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستانيّ النحويّ، وأبو عمر صالح بن إسحق الجَرميّ النحويّ، والضحّاك بن ميمون العطار، وظفر بن السميدع، والعباس بن الفرج الرياشيّ النحويّ، وعبدالله بن الحكم بن أبي زياد القطوانيّ، وعبدالله بن محمد بن أبي قريش الثقفيّ، وأبو خالد عبد العزيز بن معاوية العتبي، وعمرو بن شبة النميريّ، وأبو عُبيد القاسم بن سلاّم، وقعنب بن المحرر، وأبو حاتم محمد بن إدريس الرازيّ، ومحمد بن خُزَيمة البصريّ نزيل مصر، ومحمد بن سعد كاتب الواقديّ، وأبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاّد، ومحمد بن معاوية بن عبد الرحمن الرماديّ

البصريّ، ومحمد بن يحيى بن المنذر القزّاز، ومحمد بن يونس الكديميّ، وهارون بن سفيان المستملي المعروف بالديك، ويحيى بن محمد بن أعين المروزيّ، ويعقوب بن سفيان الفارسيّ، وأبو عثمان المازنيّ واسمه بكر بن محمد بن بقية المروزيّ.

قال يحيى بن معين، وأبو حاتم: كان صدوقا.

وقال صالح بن محمد البغداديّ: ثقة.

وقال القالي في أماليه(١): حدثني أبو حاتم قال: قلتُ للأصمعيّ: أتقول في التهدّد؟ أبرق وأرعد؟ فقال: لا، لست أقول ذلك إلا أن أرى البرق، أو أسمع الرعد. قلت: فقد قال الكُمَيت:

أبـرقْ وأرعِـد يا يـزيـدُ فـمـا وعـيـدك لي بضـائرِ

فقال: الكُمَيت جَرمَقانيّ من أهل الموصل ليس بحجة، والحجةُ الذي يقول:

إذا جـاوزَتْ من ذاتِ عـرقٍ ثنيّـةً فـقلْ لأبي قـابوسَ مـا شئتَ فـأرعِـدِ

فأتيت أبا زيد، فقلتُ له: كيف تقول من الرعد والبرق: فعلَتِ السماءُ؟ فقال: رعدت وبرقت. فقلت: من التهدّد؟ فقال: رعَدَ وبَرَقَ، وأرعَدَ وأبرَقَ. فأجاز اللغتين جميعاً. وأقبلَ أعرابيٌ مُحْرِمٌ، فأردتُ أن أسألَه، فقال لي أبو زيد: دَعني، فأنا أعرَفُ بسؤاله. فقال: يا أعرابيُّ، كيف تقول: رعدت السماء وبرقتْ أو أرعدت وأبرقتْ؟ فقال: أمِنَ الجحيف تريد؟ يعني: التهدّد؟ فقال: نعمْ. فقال: أقول: رعَدَ وبَرَقَ وأرعَدَ وأبرقَ.

قال الترمذيّ(٢): حدثنا عبدالله بن أبي زيادة حدثنا أبو زيد عن عوف عن قسامة بن زهير حدثنا الأشعريّ قال: لما نزل: ﴿وأنذِرْ عشيرتكَ الأقربين﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢١٤] وضع رسول الله (ﷺ) أصبعيه في أذنيه، فرفع من صوته، فقال: يا بني عبدِ مناف يا صباحاه.

---

(١) الأمالي: ١/١٢٨-١٢٩.
(٢) سنن الترمذي: ٥/٣٣٩.

وقال ابن عساكر[1]: أخبرنا أبو بكر محمد بن شجاع أخبرنا أبو صادق الدين أخبرنا أحمد بن محمد بن زنجويه أخبرنا أبو أحمد العسكريّ أخبرني محمد بن يحيى حدثنا المبرِّد عن المازنيّ حدثنا أبو زيد الأنصاريّ حدثنا شعبة حدثنا أوس بن ثابت وهو أبو أبي زيد عن أبيه قال: أتى شريح في ابني عم: أحدهما زوج والآخر أخ لأم، فقال شريح: للزوج النصف، وما بقي فللأخ من الأم. فقال علي: أخطأ، للزوج النصف وللأخ منه الأم السدس، وما بقي بعدهما نصفان.

وقال الحاكم في تارخ نيسابور: سمعت مكيّ بن أحمد البردعيّ يقول: حدثنا أبو القاسم عبدالله بن الحسن بن عبد الرحمن البزّاز بإطرابلس حدثنا علي بن القاسم المحدِّث حدثنا أبو زيد النحويّ حدثنا سفيان بن عُيينة عن عبدالله بن دينار عن سعيد بن المسيِّب، قال: دخلنا مقابر المدينة مع علي بن أبي طالب، فقام علي إلى قبر فاطمة، وانصرف الناس. قال: فتكلَّم، وأنشأ يقول:

لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فُرقة ... وإنَّ بقائي بعدكم لقليلُ
وإنَّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ ... دليلٌ أن لا يدوم خليلُ
أرى عِلل الدنيا عليَّ كثيرةً ... وصاحبها حتى الممات عليلُ

ثمْ نادِ: يا أهلَ القبورِ من المؤمنين: تخبرونا بأخباركم أم تريدون أن نخبركم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟ قال: فسمعنا صوتا: وعليكَ السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين، خبِّرْنا عمّا كان بعدنا. فقال علي: أما أزواجكم فقد تزوّجوا، وأما أموالكم فقد اقتسموها أولادكم، فقد حشروا في زمرة اليتامى، والبناء الذي شيّدتم فقد سكنه أعداؤكم، فهذه أخباركم عندنا، فما أخبارنا عندكم؟ فأجابه ميت: قد تخرّقت الأكفانُ وانتثرت الشعور وتقطّعت الجلود وسالت الأحداق على الخدود، وسالت المناخر بالقيح والصديد، وما قدمناه وجدناه، وما خلفناه خسرناه، ونحن

(١) تاريخ دمشق: ٢٣/٢٥.

مرتهنون بالأعمال.

قال البيهقيّ: في إسناده قبل أبي زيد من يجهل، والله أعلم.

وفي تاريخ الخطيب بسنده عن أبي عثمان المازنيّ، قال: كُنّا عند أبي زيد فجاء الأصمعيّ، فأكبَّ على رأسه، وجلس، وقال: هذا عالمُنا ومعلِّمنا منذُ ثلاثين سنة. فنحن كذلك إذ جاء خلف الأحمر، فأكبَّ على رأسه، وجلس، وقال: هذا عالمُنا ومعلِّمنا منذ عشر سنين.

وعن روح بن عيادة قال: كُنّا عند شعبة، فضجر من الحديث، فرمى بطرفه، فرأى أبا زيدٍ في أُخريات الناس، فقال: يا أبا زيد:

واستعجمت دار ميّ ما تكلِّمنا والدارُ لو كلَّمتنا ذاتُ أخبارِ

إليَّ يا أبا زيد. فجاءه، فجعلا يتناشدان الأشعار، فقال بعضُ أصحاب الحديث لشعبة: يا أبا بسطام، نقطع إليكَ ظهور الإبل لنسمعَ منكَ حديثَ رسول الله (ﷺ) فتتركنا، وتُقبلُ على الأشعار!؟ قال: فرأيتُ شعبة قد غضب غضبا شديداً، ثم قال: يا هؤلاء، أنا أعلمُ بالأصلحِ لي، أنا والله الذي لا إله إلا هو في هذا أسلمُ مني في ذلك.

وعن أبي ذكوان القاسم بن إسماعيل التوجيّ، قال: سرق أصحابُ الحديثِ فِعْلَ أبي زيد، فكان إذا جاء أصحاب الشعر والعربيّة والأخبار رمى بثيابه ولم يتفقدها، وإذا جاء أصحاب الحديث جمعها كلّها وجعلها بين يديه، وقال: ضُمَّ يا ضَمام، واحذرْ لا تنام.

وعن هارون بن سفيان الديك، قال: حدثنا أبو زيد قال: وقفتُ على قصّابٍ وعنده بطون، فقلتُ له: بكم البطنان يا غلام؟ قال: بدرهمان يا ثقيلان.

وعن المازنيّ، قال: سمعتُ أبا زيدٍ يقول: وقفتُ على قصّابٍ، فقلتُ: بكم البطنان؟ فقال: بصفعتانِ يا مضرطان. قال: فغطيتُ رأسي، ومررتُ ليلاً، فسمع الناسُ، فضحكوا مني.

وروى المزيّ بسنده عن أبي العيناء قال: سمعتُ أبا زيدٍ يقول: خذوا العلمَ عن أفواه الرجال؛ فإن الرجل يكتبُ أحسن ما يسمع، ويختار أحسنَ ما يُكتب، ويحفظ أحسنَ ما يختار، ويروي أحسن ما يحفظ.

وفي كتاب اللطائف واللطف للثعالبيّ[1]: كان أبو زيد الأنصاريّ يقول: أريدُ من الدنيا ثلاثة دراهم: درهم أدخل به حماماً في ضحوة النهار، ودرهم أشتري به ريحانا أغذّي به روحي، ودرهم أستكتبُ به ورّاقا ينوب عني في الكتابة.

وقال ثعلبٌ في أماليه[2]: قال أبو المنهال: أيةُ البصرة في النحو وفي كلام العرب والنوادر ثلاثة: أبو عمرو بن العلاء، وهو أوّل من وضعَ أبواب النحو وفسّره بالبصرة، وكان في عصر بني أُميّةَ، وأدرك زمن أبي جعفر فمات في زمانه، ثم كان بعده وفي دهره يونس بن حبيب التميميّ، ثم كان بعده في زمن المهديّ وقبل ذاك أبو زيد الأنصاريّ، وكان أوثق هؤلاء كلّهم، وأكثرهم سماعا من فصحاء العرب، سمعته يقول: ما أقول "قالتِ العرب" إلا إذا سمعته من عُجز هوازن وهم بنو سعد بن بكر.

ولأبي زيد من التصانيف: كتاب اللغات. النوادر. إيمان عثمان. الحيلة ومحاله. التثليث. القوس والترس. المياه. الإبل والشاء. خلق الإنسان. الأبيات. المطر. النبات والشجر. قراءة أبي عمرو. الجمع والتثنية. اللبن. بيوتات العرب. تخفيف الهمز. الواحد. الجود والبُخل. التمر. الخُبأة. المقتضب. الغرائز. الوحوش. الفرق. السؤدد. فعلتُ وأفعلتُ. المشافهات. غريب الأسماء. الأمثال. المصادر. الجلسة. المنطق. التضارب. المكتوم.

وقال أبو زيد في أبي محمد اليزيديّ:

وجه يحيى يدعو إلى البصق فيه ... غير أني أصون عنه بصاقي

---

(١) في كتاب لطائف اللطف للثعالبي جاءت القسمة رباعية فيها: «دنياي من أربعة دراهم: ... ودرهم أشتري به كوزاً جديداً أستعذب فيه مائي، ...». انظر: ٧٥.

(٢) الخبر غير موجود في أمالي ثعلب مع أنّ أكثر المصادر تسنده إليه.

وقال أبو الطيِّب: كان أبو زيد أحفظَ الناسِ للغة بعد أبي مالك، وأوسعَهم رواية، وأكثرَهم أخذاً عن البادية، وهو من رواة الحديث ثقة عندهم مأمون، وكذلك حاله في اللغة، وكان من أهل العدل والتشيُّع، أخذ عنه اللغة أكابر الناس، منهم: سيبويه، وحسبك. قال أبو حاتم عن أبي زيد: كان سيبويه يأتي مجلسي وله ذؤابتان. قال: فإذا سمعته يقول: "وحدثني من أثقُ بعربيّته، فإنّما يريدني".

وكبر سنّه حتى اختلَّ حفظه، ولم يختل عقله، فأخبرنا عبد القدوس بن أحمد أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكّريّ أخبرنا الرياشيّ قال: رأيتُ أبا زيدٍ ومعي كتابه في الشجر والكلأ، فقلت له: أقرأ عليك هذا؟ فقال: لا تقرأه عليَّ فإنني أنسيته.

أخبرنا جعفر بن محمد قال: أخبرونا عن أبي حاتم قال: قلتُ لأبي زيدٍ: نسأ الله في أجلك. قال: يا بني، وما النسءُ بعد الثمانين.

وكان أبو زيد جميل الخلق متحَببا.

وأخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا محمد بن يزيد قال: كان أبو زيد الأنصاريّ يلقّب الناس، فلقّب الجَرميّ بالكلب؛ لجدله واحمرار عينيه، ولقّب المازني تدرج لأنَّ مشيته كانت تشبه مشية التدرج، ولقّب أبا حاتم برأس البغل لكبر رأسه، ولقّب الزياديّ طارقاً لأنّه كان يأتيه ليلا.

ومن جلالة أبي زيد في اللغة ما حدثنا به جعفر بن محمد حدثنا محمد بن الحسن الأزديّ عن أبي حاتم عن أبي زيد قال: كتب رجل من أهل رامَهْرُمِز إلى الخليل بن أحمد يسأله: كيفَ يُقال: ما أوقفكَ ههنا؟ ومن أوقفك؟ فكتب إليه: هما واحد. قال أبو زيد: ثم لقيني الخليل، فقال لي في ذلك، فقلتُ له: إنّما يُقال: من وقفك؟ وما أوقفك؟ قال: فرجع إلى قولي.

وقارَبَ أبو زيد في سِنّه المائة. انتهى ما أورده أبو الطيِّب.

[٥٣]*

الزَّمَخْشَرِيّ

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزميّ.

قال ابنُ الأنباريّ: كان نحويًا فاضلا أخذ عن أبي نصر ورثاه ببيتين، وهما:

وقــائلةٍ مــا هذه الدُّرَر التي ... تساقطها عيناك سمطين سمطينِ

فــقلتُ لهــا الدُّرُّ الذي كــان قــد ... حشا أبو نصر أذني تساقط من عيني

وصنَّف كُتباً حسنة، منها: كتاب الكشّاف عن حقائق التنزيل، وكتاب الفائق في غريب الحديث، وكتاب ربيع الأبرار، وكتاب أسماء الأودية والجبال، وكتاب المفرد والمؤلّف في النحو، وكتاب المفصَّل في النحو، وكان يزعم أنّه ليس في كتاب سيبويه مسألة إلا وقد تضمَّنها هذا الكتاب. ويحكى أنَّ بعضَ أهلِ الأدبِ أنكر عليه هذا القول، وذكر له مسألة من كتاب سيبويه، وقال: هذه ليست فيه. فقال: إنَّها وإن لم تكن فيه نصاً إلا أنَّها فيه ضمناً. وبيّنَ له ذلك.

وقدم إلى بغداد للحجّ، فجاءه شيخنا الشريف ابن الشجريّ مهنئاً بقدومه، فلما

---

[*] انظر ترجمته في: نزهة الألباء: ٢٩٠-٢٩٢. المنتظم: ١٨/٣٧-٣٨. معجم الأدباء: ٦/٢٦٨٧-٢٦٩١. الكامل في التّاريخ: ٩/٢٣٠. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢١/١٧٢-١٧٣. إنباه الرّواة: ٣/٢٦٥-٢٧٢. إشارة التعيين: ٣٤٥-٣٤٦. تاريخ الإسلام: (وفيات ٥٢١-٥٤٠): ٤٨٦-٤٩٠. دول الإسلام: ٢/٥٦. سير أعلام النبلاء: ٢٠/١٥١-١٥٦. العبر: ٢/٤٥٥. مسالك الأبصار: ٧/٣٨٣-٣٨٤. الوافي: ٢٥/١٣٢-١٤٠. عيون التواريخ: ١٢/٢٧٩-٢٨١. مرآة الجنان: ٣/٢٠٥-٢٠٧. الجواهر المضية: ٣/٤٤٧-٤٤٨. البلغة: ٢٥٦-٢٥٧. العقد الثمين: ٦/٣٧-٤٤. النجوم الزاهرة: ٥/٢٦٦. تاج التراجم: ٢٩١-٢٩٣. طبقات المفسرين (السيوطي): ١٠٤-١٠٥. طبقات المفسرين (الداودي): ٢/٣١٤-٣١٦. شذرات الذهب: ٤/٢٨٠-٢٨٣. طبقات المفسرين (الأدنه وي): ١٧٢-١٧٣. ديوان الإسلام: ٢/٣٩٠-٣٩١. التاريخ والمؤرخون بمكة: ٣٥-٣٨.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- جارالله محمود بن عمر الزمخشري: حياته وشعره.
- الدراسات النحويّة واللغويّة عند الزمخشري.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية.

جالسه أنشده الشريف:

كانت مُساءلةُ الرُكبانِ تخبرني عن أحمد بن دؤاد أطيبَ الخبرِ
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وأنشده أيضا:

وأستكبر الأخبارَ قبل لقائه فلما التقينا صغَر الخَبَرَ الخُبْرُ

وأثنى عليه. ولم ينطق الزمخشريّ حتى فرغ الشريف من كلامه، فلما فرغ شكر الشريف وعظّمه وتصاغر له، وقال: إنّ زيد الخيلِ دخل على رسول الله (ﷺ) فحين بصر بالنبي (ﷺ) رفع صوته بالشهادتين، فقال له الرسول (ﷺ): يا زيد الخيل، كلّ رجلٍ وُصِفَ لي وجدته دون وصفه إلا أنتَ، فإنّك فوق ما وصفت"، وكذلك الشريف، ودعا له، وأثنى عليه. قال: فتعجَّبَ الحاضرون من كلامهما لأنّ الخبرَ كان أليقَ بالشريف، والشعر كان أليقَ بالزمخشريّ.

ومدحه ابن وهاس السليمانيّ فقيه مكة، فقال:

جميعُ قُرى الدنيا سوى القرية التي تبوأها داراً فداءُ زمخشرا
وأحرى بأن تُزهي زمخشر بامرئ إذا عدّ في أُسد الشرى زمخَ الشرى

وحكى أبو عمرو عامر بن الحسن السمار قال: ولِدَ خالي في خوارزم بزمخشر يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبعٍ وستين وأربعمائة، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة من سنة ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة. انتهى كلام ابن الأنباريّ.

وقال غيره: كان إمامَ عصره غيرَ مُدافعٍ تشدُّ إليه الرِّحال في فنونه، وصنَّفَ التصانيف البديعة، منها: الكشّاف في تفسير القرآن لم يُصنَّف قبله مثله جودةً في المعاني والبيان والإعراب، والكشّاف القديم في التفسير، والأحاجي في المسائل النحويّة، والمفرد والمركّب في العربيّة، وأساس البلاغة فيما جاء عن العرب مجازا، وفصوص الأخبار ومتشابه أسامي الرواة، والنصائح الكبار، والنصائح الصغار،

وضالة الناشد، والرائض في علم الفرائض، والأنموذج في النحو، ورؤوس المسائل في الفقه، وشرح أبيات سيبويه، والمستقصى في أمثال العرب وصميم العربيّة وسوائر الأمثال، وديوان التمثيل، وشقائق النعمان في حدائق النعمان، وشافي العيّ من كلام الشافعيّ، والقسطاس في العروض، ومعجم الحدود، وأسماء الجبال والمياه والأماكن، والمنهاج في الأصول، ومقدمة الآداب، وديوان الرسائل، وديوان شعر، والرسالة الناصحة، والأمالي في كلّ فنٍّ، وغير ذلك.

وكان قد سافر إلى مكة وجاور بها زمانا، فصار يقال له جار الله، وصار ذلك عَلَما عليه، وكان يمشي في جارن خشب لأنّه سقطت رجله في بعض الأسفار من الثلج في بلاد خوارزم، وكان معه محضر فيه شهادة خلقٍ كثير ممن اطّلع على حقيقة ذلك.

ولما دخل بغداد اجتمع بالدامغانيّ الفقيه، فسأله عن قطع رجله، فقال له: دعاء الوالدة، وذلك أني في صباي أمسكتُ عصفوراً وربطته بخيطٍ في رجله، وأفلت من يدي، فأدركته وقد دخل في خرقٍ فجذبته، فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي لذلك، وقالت: قطع الله رجلكَ كما قطعتَ رجله. فلما وصلتُ إلى سنِّ الطلب ارتحلتُ إلى بُخارى، فسقطتُ عن الدابّة، فانكسرت رجلي، وعملت على عمل أوجب قطعها.

وكان الزمخشريّ داعية إلى الاعتزال، فإذا قصد صاحبا له، واستأذن عليه في الدخول، قال لمن يأخذ له الإذن، قلْ له: أبو القاسم المعتزليّ بالباب.

ولما صنَّفَ الكشّاف، قال أول خطبته: الحمد لله الذي خلق القرآن. فقيل له: متى تركته هكذا هجره الناس. فقال: الحمد لله الذي جعل القرآن. وجعل عندهم بمعنى خلق، وبعضهم غيَّره، وقال: الحمد لله الذي أنزل القرآن. وهذا إصلاح الناس له[1].

وقد سمع الزمخشريّ من عبد الكريم بن زكريا بن سعيد البزّار البُخاريّ، ومحمد بن أحمد بن محمد السفّانيّ، وشيخ الإسلام أبي منصور أحمد بن محمد الحارثيّ،

(١) في طبعة الكشّاف المتداولة: «الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما». انظر: ١/٤١. طبعة دار إحياء التراث العربيّ.

والحافظ أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن القاسم السمرقنديّ، والشيخ العفيف أبي منصور عبد الرحيم بن المظفَّر الحمدونيّ بالريّ، وغير هؤلاء.

قال الحافظ أبو طاهر السلفيّ[1]: كتبتُ إلى جار الله الزمخشريّ وهو بمكة استجازة، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، إنْ رأى الشيخُ الأجلّ العالمُ العلاّمة، أدام الله توفيقه، أن يُجيزَ جميع سماعاته وإجازاته ورواياته وما ألّفه في فنون العلم وأنشأه من المقامات والرسائل والشعر لأحمد بن محمد بن أحمد السلفيّ الأصفهانيّ، ويذكر مولده ونسبه إلى أعلى أبٍ يعرفه، ويثبتُ كلَّ ذلك بخطِّه تحت هذا الاستدعاء، مضافا إليه ذكر ما صنَّفه، وذكْر شيوخه الذين أخذ عنهم، وما سمع عليهم من أمهات الأمهات حديثاً كان أو لغةً أو نحواً، فَعَلَ، مأناً مثابا، وإنْ تمَّمَ إنعامه بإثبات أبيات قصار، ومقطوعات مستفادة في الحِكَم والأمثال والزهد وغير ذلك من نظمه، ومما أنشده شيوخه من قولهم أو قول شيوخهم بعدَ تسميته كلاًّ منهم، وإضافة الشعر إليه. والشرط في كلِّ هذا أن يكون بالإسناد المتصل إلى قائله، كان له الفضلُ، وكذلك إن صحبه شيء من رواياته أنعمَ بِكَتْبِ أحاديثَ عالية، والله تعالى يوفقه ويُحسِنُ جزاءه، ويطيل لنشر العلم والإفادة بقاءه. ويعلمُ، وفقه الله، أنَّه وقع إلينا كتاب من يعقوبَ بن شيرين الجَنديّ، وفيه قصيدة يرثي بها البرهان البُخاريّ، والحاجةُ داعيةٌ إلى معرفة اسمه ونسبه وضبطه: هل هو ابن سيرين بالسين المهملة أو الشين المعجمة؟ وكذلك الجنديّ بفتح الجيم والنون أم ضم الجيم وإسكان النون بعدها؟ والحمدُ لله وحدَه.

قال السلَفيّ: فكتبَ إليَّ في الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم، أسألُ الله أن يُطيلَ بقاء الشيخ، ويُديمه لعلم يغوصُ على جواهره، ويفتق الأصداف عن ذخائره، ويوفقه للعمل الصالح الذي هو مرمى أغراض أُولي العقل، ومطمح أبصار المرتكضين إلى غايات الفضل، ولقد عثرتُ من مقاطر قلمه على جُمَلة تنادي على غزارة فضله،

(١) ذكر المقرّي ما جرى بين الحافظ السلفي والزمخشريّ في كتابه: أزهار الرياض. انظر: ٣/٢٨٣-٢٩٣.

وتصبي القلوب إلى التزيّن بسموط دُرِّه.

وأما ما طلبَ عندي وخطب إليّ من العلوم والدرايات والسماعات فثياب خلَقتْ عليّ من بينهنّ الثياب، ثم دفنتهنّ، وصيّرت عليهنّ التراب، وذلك حين آثرت الطريقة الأويسيّة على سائر الطرائق، وأخذتْ نفسي برفض الحُجب والعوائق، ونقلت كتبي كلّها إلى مشهد أبي حنيفة رضي الله عنه، فوقفتها عليه، وأصفرتُ منها يَدَي إلا دفتراً، قد تركته تميمة في عضدي، وهو كتاب الله الحبل المتين والصراط المستبين؛ لأهبَ لما قصدتُ كُلّي، وأُلقي عليه وحدَه ظِلّي، لا يشغلني عنه بعضُ ما يجعل الرأي مشتركاً، ويردّ القلب مقتسما، ولُذتُ بحرمِ الله المعظّم، وبيته المحرَّم، وطلّقتُ ما ورائي بتّا، وكففتُ ذيلي عنه كفتا، ما لي هَمٌّ إلا خويصتي، ولا يلهيني إلا النظر في قصتي، أنتظر داعيَ الله صباحَ مساءَ، وكأنّي بي وقد امتطيتُ الآلة الحدباء، وقد وهنت العظام، ووهنت القوى، وقلّت الصحة، وكثر الجوى، وما أنا إلا دماء تنوء في جسد هو هامة اليوم أو غد، فما لمثلي ولما ليس من الآخرة في شيء، ولقد أجزتُ له أن يرويَ عني تصنيفاتي كلُّها، وأثبتُّ أساميها في وريقةٍ لبعض الإسكندريين.

وأنا محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزميّ ثم الزمخشريّ منسوبٌ إلى قريةٍ منها هي مسقط رأسي، ولبعض أفاضل الشرق:

فلو وازن الدنيا ترابَ زمخشر ... لأنّك منها زاده الله رجحانا

وللشريف الأجلّ علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس الحسنيّ:

جميعُ قُرى الدنيا سوى القرية التي ... تبوأها داراً فداءُ زمخشرا

وأحرى بأن تُزهي زمخشر بامرئ ... إذا عدّ في أُسد الشرى زمخَ الشرى

فلولاه ما طنَّ البلاد بذكرها ... ولا سار فيها منجداً ومغوِّرا

فليس ثناها في العراق وأهلها ... بأعرق منه في الحجاز وأشهرا

ومن مقطوعاتي التي اقترحتها من قبلي:

ومـروّعــة بمشـيب رأسـي أقـبلتْ   تبكي فـقلتُ لهـا ودمـعي جـاري
هذا المشـــيبُ لهبُ نارٍ أوقـــدت   في القلبِ مــرقـدها حــرار النارِ

وأخرى:

إليكَ إلهي المشـتكى نفس مُشْـتَـهٍ   إلى الشرِّ تدعوني عن الخير تنهاني
ومـا يشـتكي الشـيطان إلا مـغـفّلٌ   ألا إنَّ نفسَ المشـتهي ألفُ شـيطانِ

وأخرى:

شكوتُ إلى الأيامِ سـوء صنيعـهـا   ومن عـجبٍ باكٍ تشكّى إلى المُبكي
فـــمـــا زادَ في الأيام إلا شكايةً   ومــا زالت الأيامُ تُبكي ولا تُشكي

وأخرى:

مـسـرّةُ أحـقـابٍ تلقّـيتُ بعـدها   مـسـاءة يومٍ أريُهـا شبّـه الصـاب
فكيفَ بأن تلقى مـسـرّة سـاعـةٍ   وراء تقـضّـيـهـا مـسـاءة أحـقـابِ

وأخرى:

الخـوضُ في لُجَجِ الدنيـا يلجُّ بكم   كـأنَّهـا لُجَجٌ خـواضـهــا لُجَجُ
كم خَلُصتْ لُجَجُ البحر الرجال وما   أقلّ من خلصـــتـــه هذه اللجـجُ

وأخرى:

مـبالاةُ مـثلي بالرزايا غـضـاضـة   أباها وثيقُ العـقـدتين حـصـيفُ
إذا أقـبلت يومـاً عليَّ صـروفـهـا   لأنيـابهـا في مـسـمـعيَّ صـريفُ
عـبـأتُ لهـا حـتى أشقَّ نحـورها   أسنّة عــــزمٍ حــــدّهنَّ رهـيفُ
فـمـسّـحنَ أركـاني وهنَّ قـوابلٌ   صـفـاحـاً وذات النيل عنه مـصـيفُ

والقاضي أديب الملوك أبو إسماعيل يوسف بن شيرين الجَنديّ أفضلُ الفتيان في عصره، وأعقلهم، وأذكاهم، وأدهاهم، وكان كاتبَ سلطان خوارزم، فاستعفى، وهو ممن

ربِّيتُ وخرّجتُ، وبَلَّغْتُ تلك الذروة، وهو أوثق سهمٍ من كنانتي، والحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله الطيبين.

قال السلَفيّ: فلم تشف الغُلّة، ولم تُرحْ المعلة، هذا القدر ، فكاتبته في السنة الثانية، وقلتُ: بسم الله الرحمن الرحيم المسؤول عن كرم الشيخ الأجلّ العلامة أدام الله سجيته وحرس محبته أن يُجيزَ لأحمد بن محمد بن أحمد السلفيّ الأصفهانيّ جميعَ مسموعاته ومجموعاته في جميع الفنون، ويُثبتُ بخطّه أساميها تحتَ هذا الخطّ، ويُضيفُ إلى ذلك ذكر شيوخه الأعلام الذين أخذ عنهم الحديث واللغة، ويذكر جُملا مما سمعه عنهم، ويُتمّ تفضلّه بإثبات أحاديثَ قصارٍ من رواياته عنهم، وكَتْبِ شيءٍ من شعر من رآه، وأنشده من قبله بعد المبالغة في التعريف، ولا يذكر من الأبيات إلا القصار التي تصلح للأصحاب، ومتصور إخراجها في الأمالي وأواخر الفوائد، ويذكر متفضّلا نسبه والسنة التي ولِدَ فيها، فالحاجةُ داعيةٌ إلى كلّ ذلك، ويُبيّن ذكْرَ المؤتلف والمختلف الذي ألّفه في أيٍّ فنٍّ هو؟ وعلى أيّ شيءٍ يحتوي أعلى ذِكر الفقهاء والأدباء أو أهل الحديث؟ ولا يُحوِج، أدام الله توفيقه، إلى المُراجعة، فالمسافةُ بعيدةٌ، وقد كاتبه في السنة الماضية، ولم يُجبه بما يُشفي الغليل، وله في ذلك الثواب الجزيل، إن شاء الله، وبه الثقة.

قال السلَفيّ: فكتبَ إليّ في الجواب، وكأنّه امتعض من خطابي، ولم يُعجبه اختصار كتابي: بسم الله الرحمن الرحيم، ما مثلي بين أعلام العلماء إلا كمثل السُّهى بين مصابيح السماء أو الجهام الصُفر من الرهام مع الغوادي العامرة للقيعان والآكام، والسُكيت المخلّف عن خيل السباق أو البُغاث مع الطير العتاق، وأما التلقيب بالعلامة فليس إلا شبه الرقم بالعلامة، كما قال بعض العرب، وقيل له: لِمَ سُمِّيتَ نعامة؟ فقال: الأسماء علامة، وليست بكرامة، ولو كانت كرامة لأشترك الناس في اسم.

والعلم مدينة أحد بابيها الرواية والآخر الدراية، وأنا في كلا الحالين ذو بضاعة مزجاة، ظِلي فيه أقلص من ظلّ حصاة. أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الإسناد لم

تستند إلى علماء نحارير ولا إلى أعلامٍ مشاهير. وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها ومرض لا يبل شفاها، ولا يغرنُّكم قول الوزير مجير الدولة:

وجـولَ فكري في البلاد فلم يقع ... على رجل في علمه غير راجلِ
إلى أن جرى الطيرُ السَّنَحُ فدلني ... على فخر خوارزم رأسِ الأفاضلِ

ولا قول المنتجب محمد بن أرسلان:

وما ناصر الإسلام إلا ابن بجدةٍ ... محيط بعلمٍ لا يحيط به الورى
أبو القاسم المحمود محمود الذي ... به تفخر الدنيا وناهيكَ مفخرا

ولا قول السديد الأجلّ ذي المناقب عُلي[1] بن حمزة بن وهاس:

وكم للإمامِ الفردِ عندي من يدٍ ... وهاتيك مما قد أطاب وأكثرا
أخي العزمة البيضاء والهمة التي ... أنافت به علامة العصر والورى
جميع قرى الدنيا سوى القرية التي ... تبوأها داراً فداءُ زمخشرا
وأحرِ بأن تزهى زمخشر بامرئٍ ... إذا عدَّ في أُسد الشرى زمخ الشرا
فلولاه ما طنَّ البلاد بذكرها ... ولا سار فيها مُنجِداً ومغوِّرا
فليس ثناها في العراق وأهلها ... بأعرقَ منه في الحجاز وأشهرا
إمام فلينا من فلينا كلما ... طبعناه سبكا كان أنضرَ جوهرا
ومكة راووق الرجال فهاكه ... مصفى وخذْ من شئت منهم مكدُرا
رسا طود تقوى فاض بحر فضائل ... فكم دكُ أطواداً وغيَّض أبحُرا
وتحت علاك الصدق سرٌ مطهر ... يمدان دينا كالمجرو نيِّرا
فلولا سماء أشمست ثم أقمرت ... كفى بمعاليه شموسا وأقمُرا

ولا قوله:

لقد شجَّني في أم رأسيَ عزمةُ ... فأصبحتُ من عزم الإمام أميما
تمنَّيتُ لو لم ألقه وجهلته ... فلم يخشَ قلبي بالفراق كلوما

(١) ضبطه المقرّي بضمّ أوله وفتح ثانيه. انظر: أزهار الرياض: ٣/٢٨٩.

فرأيت أمرا يحشو الفؤاد مرآته ... كلوما ولقياه حشته علوما
وكأين رأينا من أولي العلم والتقى ... رجالا أناخوا بالحجاز قروما
فأخمد أستاذُ الزمان ضياءهم ... فكان وكانوا شارقا و نجوما

ولا قوله:

أتى حرمَ الله العظيم مجاورا ... فلله ما أذنتْ جِمال وأينق
فمن حوضه عبّت ظماءُ ذوي النُّهى ... فآبت رواء وهو ملآن يفهق

ولا قول بعض المجيدين:

دَعوكَ بجار الله والله عالمٌ ... بأنَّك جار الله حقا كما وجبْ
لعمري لقد فاضت وأنت مفيضها ... على حرم الله الصنائع والقُربْ
رقبْتَ ذمام الله في كلِّ موطن ... وآسيتهم بالعلم طورا وبالنشبْ
وأنتَ الإمامُ الزاهدُ الورع الذي ... أبيت اغترارا باللجَيْن وبالذهبْ
وإنك للعلامة الورع الذي ... جمعت أفانين العلوم إلى الأدبْ
وما نصر الإسلام غيرك أهله ... وإن طار في أعلى المنازل والرتبْ
ومن طالَعَ التفسيرَ أيقنَ أنَّه ... من الفلك الأعلى أتى ذلك اللقبْ
وإنَّك أستاذ الزمان وكلُّهم ... تلامذة جاثون صُغرا على الرُّكَبْ
وسمتك إذ فرّقت في كلٍّ بلدة ... جواهر علمٍ شيخها العجْم والعربْ
فما لخوارزم التي أنتَ فخرها ... عليها الثريا إنَّ ذاك من العجبْ

ولا قول ابن قرطبي:

مُنعِما بلِّغْ تحياتي إلى ... شيخنا العلامة الحبر العلَمْ
ليس قُسٌّ عنده قُسّا ولا ... سيبويه الشهم يدري ما الكلمْ
أيُّ آداب وعلم وتقى ... منه فارقت وحِلم وحِكَمْ
قُلْ إذا ما الدهر أضحى عابسا ... إنَّ محمودا لك ابن يبتسمْ

لو جعلت البحر حبرا والفلا مهرقا كانت معاليه أطمْ
إنَّ من جرّاه لولا المصطفى كنت فضّلت على العُرْب العجمْ

ولا قول أديب الملوك يعقوب بن شيرين الجندي:

فتى سار في الآفاق رُكبان ذِكْره مغرّبة طورا وطورا مشرقهْ
فليس له في كلِّ شرقٍ ومغربٍ نظيرٌ بنو الدنيا على ذاك مُطبقهْ
إذا حلَّ في الأرض أتته فحولها تفيد علوما حوله متحلّقهْ
وإن خاض في شرح العلوم رأيتهم لفرط احتشام من معاليه مطرقهْ

ولا قول صدر الأئمة الخطيب الموفق:

لسانك غوّاص ولفظك لؤلؤٌ وفكرك بحر للفضائل طامي
لسان يود الحاسدون لو أنُّه سنان قناةٍ أو غرار حسامِ

ولا قوله:

أفخرَ خوارزم ما لي عنك منحرف ما دام تختلف الأنوار والسُّدفُ
ألستَ أنتَ الذي خولتني نعما تطوى وتنشر في تعدادها الصحفُ
ألستَ أنتَ الذي أوليتني رُتبا بفضلِ رفعتها الإيوان يعترفُ
ألستَ أنتَ الذي من ورد نعمته وورد قسمته أجني وأعترفُ
أعداؤك استسرفوني من جهالتهم في وصفها وهي عندي فوق ما أصِفُ

ولا قول البديع الخوارزميّ:

أمكّة هل تدرين ماذا تضمنت بمقدم جار الله منك الأباطحُ
به وإليه العلم ينمى وينتمي وفيه لأرباب العلوم المناجحُ
محطّ رحال الفاضلين فلم يزل يحطّ إليه الرحل غادٍ ورائحُ
إذا انتابه صفر الوطاب رأيته تحول عنه وهو ملآن طافحُ
نمته الكرام الغُرّ من خير أسرة هم قدوة الدنيا الكهول الجحاجحُ

أدِلاء ضُــلال البــرايا جـبـــاههم　　　مـصـابيح رهبان فـدتهـا المصـابحُ

فإنَّ ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالباطنِ المشوّه.

ولعلَّ الذي غرُهم مني ما رأوه من حسن النصح للمسلمين، وبليغ الشفقة على المستفيدين، وقطع المطامع عنهم، وإفادة المبارّ والصنائع عليهم، وعزّة النفس والربء بها على الأسفاف للدنيّات، والإقبال على خويصتي، والإعراض عما لا يعنيني، فجللتُ في عيونهم، وغلطوا فيَّ ونسبوني إلى ما لستُ منه في قبيل ولا دبير، وما أنا فيما أقول بهاضم نفسي كما قال الحسن في أبي بكر الصّديق، وقوله: وليتُكم ولست بخيركم إنَّ المؤمن لهضيم نفسه.

وإنما صدقت الفاحص عني وعن كنه روايتي ودرايتي، ومن لقيت، وأخذت عنه، وما مبلغ علمي؟ وقصارى فضلي؟ وأطلعته طليح أمري وأفضيت إليه بخبيئة سرّي وألقيت إليه عجزي وبجري وأعلمته نجمي وشجري

وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمّى زمخشر، وسمعت أبي يقول: اجتاز بها أعرابي، فسأل عن اسمها واسم كبيرها، فقيل له: زمخشر، والرداد. فقال: لا خير في شرّ وردّ. ولم يُلمم بها. ووقت الميلادَ شهر الله الأصمّ رجب سنة أربعمائة وسبع وستين، والله المحمود والمصلّى عليه محمد وآله وأصحابه، وهذا أنموذج من نظمي:

كـانت خـوارزم للأحـرار جـامـعـةً　　　فمزقت جمعهم أيدي الردى شتى

فـصـارت اليوم قـاعـاً صـفـصـفـا　　　وأبت أن لا ترى عوجا فيها ولا أمتا

أخرى:

يا مَن يرى مدّ البعوض جناحها　　　في ظلمــة الليل البــهــيم الأليلِ

ويرى عـروق نيـاطهـا في نحـرها　　　والمخّ فـي تـلـك الـعـظام النُّحّـلِ

اغـفـرْ لعـبـدٍ تابَ عن فـرطاته　　　مـــا كـــان منه في الزمـــان الأولِ

أخرى:

وإذا سفيه عضَّني في مجلسٍ — وهناك من غُرر الأكارم معشرُ
فهم الأولي عضوا إذا ما هم رضوا — وهم الأولي نُكِروا إذا لم ينكروا

أخرى:

ألا يا مستعيرَ الكتبِ دعني — فإنَّ إعارة المكتوبِ عارُ
فمعشوقي في الدنيا كتابي — وهل أبصرتَ معشوقاً يُعارُ

أخرى:

لا تلبسنَّ حريرا — لبسُ الحرير محرَّمْ
إنَّ الحريرَ فعيلٌ — من حرٍّ نار جهنمْ

وقال حين خرج من الحرم:

هو النفَسُ الصعَّادُ عن كبدٍ حرَّى — إلى أن أرى أمَّ القرى مرَّةً أخرى
ليالي في بطحاء مكة صافحي — يميني تصبْ نفسي غنيمتها الكبرى
إذا خطرت بالبال ذكرى إناختي — على حرم الله استفزَّتني الذكرى
وما عذر مطروح بمكة رحله — على غير بؤس لا يجوع ولا يعرى
فسافَر عنها يبتغي بدلا بها — وربِّك لا عذرى وربِّك لا عذرى

تمَّتِ الإجازة.

جزء الزمخشريِّ المسموع، وهو جزء انتقاه قاضي المسلمين الحافظ عزّ الدين عبد العزيز بن جماعة من حديث الزمخشريِّ وشعره، قرأتُ[1] على شيخنا الإمام تقي الدين الشُّمُنِّي مرارا، أخبركم قاضي القضاة أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن عبد

(١) الكلام للسيوطيِّ نفسه؛ لأنَّ الشُّمُنِّي شيخ السيوطيِّ وقد ذكره في معجمه الذي ترجم فيه لشيوخه، وصرَّح فيه بأنه سمع من الشُّمُنِّي جزء الزمخشريِّ. انظر: المنجم في المعجم (معجم شيوخ السيوطي): ٨٣.

الناصر الزبيري سماعا أخبرنا قاضي المسلمين عزّ الدين بن عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة سماعا عن أبي الفضل أحمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن عساكر الدمشقيّ عن أمّ المؤيد ربيب بيت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن الشعريّ عن العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ، قال: سمعتُ الشيخَ الإمامَ أبا سعد محمد بن أحمد بن محمد الشقانيّ أخبرنا الشيخ الإمام والدي أنبأنا الشيخ شرف الخطباء أبو محمد إسماعيل بن الفضل الهرويّ بها سنة أربعمائة وتسع وسبعين حدثنا الشيخ أبو أسامة سطام بن سامة بن لؤي بن سامة الساميّ حدثنا الحسين بن أحمد الصفار إملاءً حدثنا محمد بن المسيِّب حدثنا أبو سعيد الأشجّ حدثنا حفص عن غياث عن داود بن أبي هند عن سعيد بن أبي خيرة عن الحسن عن أبي هُريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (ﷺ) أنَّه سيأتي على الناسِ زمان لا يبقى فيه أحد إلا آكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غُباره.

وفيه عن شرف الخطباء أخبرنا الشيخ أبو القاسم الحسين بن عمر بن محمد التاجر حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين حدثنا محمد بن الحسين بن علي الخياط الصوفيّ حدثنا محمد بن نصر حدثنا مهران بن أبي عمر حدثنا سفيان عن الأعمش عن سليمان البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ﷺ): «ما من أيّامٍ أحبُّ إلى الله العملُ فيهنّ من أيام العشر. قيل: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع».

حدثني من ذلك وبه عن شرف الخطباء أخبرنا أبو منصور الحسن بن علي بن أبي طالب حدثنا زهير بن أحمد السرخسيّ حدثنا أبو القاسم البغويّ حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا علي بن ثابت حدثنا أبو المهاجر الرّقيّ عن ميمون بن مهران قال: كان المهاجرون إذا رأوا رجلا راكبا يمشي معه الرجال قالوا: قاتله الله جبّاراً.

وبه عن شرف الخطباء أخبرنا أبو أحمد القاضي محمد بن محمد حدثنا جدي

أبو بكر محمد بن أبي الفضل حدثنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن يونس حدثنا محمد بن الأزهر حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو هلال عن داود بن أبي هند عن إياس بن معاوية قال: ما من رجلٍ لا يعرفُ عيبَ نفسه إلا أحمق. قال: ما عيبُك يا أبا واثلة؟ قال: كثرة الكلام.

وبه عن شرف الخطباء أخبرنا جدي أبو الفضل حدثنا أبو أحمد محمد بن محمد عن إسحاق الحافظ بنيسابور حدثنا أبو عمر وأحمد بن عبدالله بن أحمد الدمشقيّ بها حدثنا أبي حدثنا عراك بن خالد بن يزيد بن صالح بن صُبيح المرّيّ عن عثمان بن عطاء الخراسانيّ عن أبيه عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما عُزِّيَ رسول الله (ﷺ) بابنته رُقيّة امرأة عثمان بن عفان قال: «الحمدُ لله دفنُ البنات من المكرمات».

وبه عن أبي سعد أخبرنا والدي أخبرنا القاضي أبو المظفر منصور بن إسماعيل الحنفيّ إملاءً حدثنا أبو الحسين محمد بن عمر بن حفصويه السرخسيّ أخبرنا أحمد بن محمد بن رُزَيق حدثنا أحمد بن عبدالله بن سلَمة حدثنا الحسين بن محمد البلخيّ القاضي حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «الذَّهَبُ حليةُ المشركين، والفضة حلية المسلمين، والحديد حلية أهل النار».

وبه إلى الزمخشريّ، قال أخبرنا الشيخ الإمام أبو بكر البلديّ بتنيف قراءة عليه أخبرنا القاضي أبو المعالي المكحولي حدثنا أبو سهل الأستراباذيّ حدثنا أبو محمد الخزاعيّ حدثنا أبو الوليد حدثني جدي، قال: قال لي داود بن عبد الرحمن القطان، وسألته عن حديث، فقال: اكتبْ هذا الحديث؛ فإنَّ أهلَ العراق يستظرفونه، ويسألون عنه كثيرا: حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنَّ رسول الله (ﷺ) اعتمر أربعَ عُمَر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجّه.

وبه قال: أخبرنا الشيخ الزاهد أبو الخطاب نصر بن أحمد بن عبدالله بن البكر المقرئ قراءةً عليه ببغداد أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبيدالله بن يحيى بن زكريا بن

البيع حدثنا القاضي أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل المحامليّ حدثنا شعيب بن أيوب حدثنا معاوية بن هشام حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عبد الحميد بن أبي يعلى عن أبيه عن النبي (ﷺ) أنّه طاف بالبيت وبالصفا والمروة مضطبعا.

وبه حدثني الأستاذ الأمين أبو الحسن علي بن الحسين بن مزدك أخبرنا الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمّان إجازةً حدثنا أبو سعيد أحمد بن أبي القاسم، واسمه أحيد بن محمد بن موسى الخوارزميّ الحداديّ قدم حاجّاً حدثنا الحاكم أبو أحمد الحنفيّ بها محمد بن محمد بن سليمان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا بقعة بن الوليد عن يوسف بن أبي كثير عن نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ) : «إنَّ من السَّرَف أن تأكلَ كلَّ ما اشتهيت».

وبه حدثني الشيخ الفقيه الإمام أبو علي الحسن بن علي بن أبي طالب الفرزاذني بالرّيّ، أخبرنا الشيخ الفقيه الزاهد أبو بكر طاهر بن الحسين بن علي بن الحسين السمّان حدثنا عمي الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمّان الرازيّ حدثنا قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد بقراءتي عليه حدثنا الزُّبير بن عبد الواحد: سمعتُ بنانا يقول: قالت امرأة لزوجها: ما رأيتُ رجلا قطّ شرا منك، ولا أقسى قلبا منك، ولا أجمد عينا منك، قال: وما ذاك؟ قالت: إنَّ ابنتك ضلّت، وتفرّق الناس في طلبها وأنتَ جالس غير مكترث. قال لها: ويحك أما تريني وقد أخذت عليها مجامع الطرق: يعني الدعاء واللجوء والتضرع إلى الله تعالى.

وبه أخبرنا الشيخ الفقيه العدل أبو محمد عبد الكريم بن زكريا بن سعيد البزّار البخاري بها قراءةً عليه حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن .....[1] الحافظ حدثنا أبو علي منصور بن عبدالله بن خالد بن أحمد الذهليّ حدثنا أبو أحمد حامد بن أحمد بن محمد المروزيّ حدثنا أحمد بن تميم بن عباد بن سلمة حدثنا حامد بن آدم حدثنا منصور بن عبد الحميد عن صالح عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): إن لله

(١) كلمة لم نعرف لقراءتها وجهاً.

ثلاثة أملاك: واحد بالمدينة، وواحد بمكة، وواحد ببيت المقدس. أما الذي في المدينة فهو ينادي كلَّ يومٍ: من خالَفَ سُنَّةَ رسول الله (ﷺ) خرج من شفاعة رسول الله (ﷺ)، وأما الذي بمكة فهو ينادي كلَّ يومٍ: من ترك فرائض الله خرج من أمانة الله، وأما الذي ببيت المقدس فهو ينادي كلَّ يومٍ: من كسبَ مالا من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. يعني لا فريضة ولا تطوّعا.

ومن شعر الزمخشريّ بالإسناد:

ألا حبذا سُعدى وحبٌّ مقامها ... ألا حبذا أن تستقلَّ خيامها
حياتي وموتي قرب سُعدى وبعدها ... وعزّي وذلّي وخلّها وانصرامها
سلام عليها أين أمست وأصبحتْ ... وإن كان لا يُقرا عليَّ سلامُها
رعى الله سرحا قد رعى فيه سرحها ... وروضَ أرضا سام فيها سوامها
إذا سحبت سُعدى بأرضٍ ذيولها ... فقد أرغم المسك الذكيَّ رغامها

وبه له:

تغنَّتْ على فرع الأرائك مطرقه ... فردتْ خلجات القلوب مشوَّقهْ
واسترقَ منها صوت حادٍ مبكر ... حدا بحدوج المالكيَّة أينقهْ
تخالف ما بيني وبين أحبتي ... بلى عندهم مقت وعندي لهم مقهْ

وبه له:

كلفتُ بالبديع من جماله ... إنَّ البديعَ بالبديع ذو كلَفْ
يقتطف الوردَ أوانَ ينعه ... ما بالُ ورد خدِّه لا يُقتَطفْ
كأنَّما جبة قلبي كرة ... لصولجان صوغها لما انعطفْ

وبه له:

إن أردتَ الإنجابَ فانكح غريبا ... وإلى الأقربين لا تتوصَلْ
فاشفُّ الثمار حسنا وطيبا ... ثمر غصنه غريب موصَلْ

وبه له:

إنَّ التفاسيرَ في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشَّافي
إن كنتَ تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشّاف كالشافي

وبه له:

ليس السيادة أكماما مطرزةً ولا مراكبَ يجري فوقها الذَّهَبُ
وإنَّما هي أفعالٌ مهذَّبةٌ ومكرمات يليها العقلُ والأدبُ
وما أخو المجد إلا مرتقٍ شرفا يوما فهان عليه النفس والسلبُ
وأفضل الناس حرٌّ ليسَ يغلبه على الحجى شهوة فيه ولا غضَبُ

وبه له:

ألا قل لسُعدى ما لنا فيك من وطرْ وما تطيبنا البخلَ من أعين البقرْ
فإنا اقتصرنا بالذين تضايقت عيونهم والله يجزي من اقتصرْ
وإنَّ وجوه التُّركِ والله جارها بذور إلى أثمانها تصرف البدرْ
وفي صُوَرِ التُّرك العجائب فلتكن عيونكم صوراً إلى هذه الصوَرْ
بدائع خلقِ الله أظهر فيهم وفي ذاك للألباب ذكرى ومعتبرْ
أعاجم أشباه الوحوش أوابد إذا جرحوا كانت جراحهم سِدَرْ
بنفسي قويّ لحظُه وهو فاترٌ كذا اللحظُ أقوى ما يكون إذا فترْ
ويقتل بالجفنِ الضعيفِ ولم أزل أعوذ بربّي من ضعيفٍ إذا قدرْ
وقد جُمِعَ الضدانِ فيه فردفه على غاية الإطناب والخصرُ يختصرْ
متى تتجرَّد من شعار وأُرخيت ضفائره يلبس شعاراً من الشعرْ
مليحٌ ولكن عنده كلّ جفوة ولم أرَ في الدنيا صفاءً بلا كدرْ
ولم أنسَ إذ غازلته قرب روضةٍ إلى جنب حوض فيه للماء منحدرْ
فقلتُ له جئني بورد وإنَّما أردتُ به وردَ الخدود وما شعرْ

فقال انتظرني رجعَ طرفٍ أجئ به ... فقلتُ له: هيهاتِ ما لي منتظرْ
فقال ولا وردٌ سوى الخدِّ حاضر ... فقلتُ له إنّي قنعتُ بما حضرْ

وبه له:

حشا غامضاتِ سيبويه كتابَه ... فأحرِ بأن تعتاص تلك وتشتدًا
إذا وقعت فيها الخواطرُ أدمنت ... فما وجدتْ من مرجع القهقرى بدًا
وإن سوت الأفكار فيها اخترقتها ... فمن طالعٍ نجداً ومن هابطٍ وهدا
يغوصُ على أخفى من الليل فهمه ... فيطلع منه لمحة الصبح إذ بدا
طلابُ العلى ألهى عن اللهو نفسه ... فليس لها فيه مراح ولا مغدا
إذا ترف اللهو الشيوخ فأطلقوا ... حباهمْ فطاشوا زاد حبوتهم حقدا
على أنَّه في عنفوان شبابه ... وإنَّ عليه مني لباس الصبا بُردا
فإنَّ له جاهاً عريضا كما ترى ... وعزًا له قام الزمان له عبدا

وبه له:

مسيرة الأرواح ... مع الوجوه الصِّباحْ
على الرياض خدود ... ونرجس وأقاحْ
فسِر إليها وبادرْ ... وطر خفوق الجناحْ
حتى تنزه فيها ... في غدوة ورواحْ
أما كفاك ربيعا ... بهؤلاء المِلاحْ
الناس ليلٌ وابنا ... نافثٍ كالصباحْ
عيونهم كم أعلّت ... من القلوب الصحاحْ
إنْ كُنَّ لسْنَ بنُجلٍ ... فهنَّ نُجل الجراحْ

وبه إلى الزمخشريّ: أنشدنا أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزميّ، أنشدنا أبو سعد الحسن بن محمد الجُشَميّ في كتاب جلاء الأبصار في الأخبار، قال: أنشدنا

الحاكم أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن قال: أنشدنا علي بن عبد العزيز الجرجانيّ القاضي لنفسه:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنَّما ... رأوا رجلا عن موقفِ الذُّلِّ أحجما

قال ابن الصلاح: يُقال: أحجم وأجحمَ كجَذَبَ وجَبَذَ

ترى الناسَ من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عِزَّة النفس أكرما
وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزّني ... ولا كلُّ من لاقيت أرضاه مُنعِما
وإني إذا ما فاتني الأمرُ لم أبت ... أقلِّبُ كفّي إثره متندما
ولكنَّه إن جاء عفواً قبلته ... وإن مال لم أُتبِعْه هلاّ وليتما
وأقتفّ خطوي عن حظوظ كثيرة ... إذا لم أنلها وافرَ العرض مكرما
وأكرم نفسي أن أضاحكَ عابساً ... وأن أتلقَّى بالمديح مذمَّما
وأبعدتها عن بعض ما قد يشينها ... مخافة أقوال العدى فيمَ أو لِما؟
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأغرسه عزّاً وأجميه ذِلّة ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
فإن قلت حدّ العلم كافٍ فإنَّما ... كبا حين لم يحم حماه وأسلما
ولو أنَّ أهلَ العلم صانوه صانهم ... ولو عظّموه في النفوسِ لعُظِّما
ولكن أهانوه فهان ودنَّسوا ... محيّاه بالأطماع حتى تجهّما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

قال القاضي تاج الدين السُّبكيّ في الطبقات، وحدثني نحوه شيخ الإسلام سيد المتأخرين تقي الدين بن دقيق العيد، فقال لما كان مقيما بمدينة قوص:

يقولون لي هلاّ نهضتَ إلى العلى ... فما لذَّ عيش الصابر المتقنّعِ
وهلاّ شددتَ العِيسَ حتى تحلُّها ... بمصر إلى ظلِّ الجنابِ المرفَّعِ
ففيها من الأعيان من فيض كفّه ... إذا شاء روى سيله كلُّ بلقعِ

وفيها قضاة ليس يخفى عليهم — تيقن كون العلم غير مضيَّعِ
وفيها شيوخ الدين والفضل والأُلي — يشير إليهم بالعلا كلّ إصبعِ
وفيها وفيها والمهانة ذلّة — فقمْ واسعَ واقصدْ بابَ ربِّكَ وادْعِ
فقلتُ: نعمْ أسعى إذا شئت أن أرى — على بابِ محجوب اللقاء ممنّعِ
وأشقى إذا كان النفاق طريقتي — أروح وأغدو في ثياب التصنُّعِ
فكم بين أرباب الصدور مَجالساً — تشبُّ بها نارُ القضا بين أضلعي
وكم بين أرباب العلوم وأهلها — إذا بحثوا في المشكلاتِ بمجمعِ
مناظرة تحمي النفوسَ فتنتهي — وقد شرعوا منها إلى شرّ مشرعِ
من السفه المزري بمنصب أهله — أو الصمت عن حقٍّ هناك مضيَّعِ
فإما توقّى مسلك الدين والتقى — وإما تلقى غصّة المتجرَّعِ

ومن شعر الزمخشريّ، أورده ابن مكتوم في تذكرته:

خليليَّ هل تُجدي عليَّ فضائلي — إذا أنا لم أُرْفع على كلّ جاهلِ
من الغُبنِ ذو النقصِ يعيب منازلا — أخو الفضل محقوقٌ بتلك المنازلِ
كفى حَزَنا أن يُرْغِمَ الحلمَ والحجى — تصدُّرُ بادٍ طيشُه غير عاقلِ
ومن لي بحقي بعدما وفَرت على — أرذالها الدنيا حقوقَ الأماثلِ
كذا الدهرُ كمْ شوهاءَ في الحُلى جيدها — وكم جيد حسناء المقلّد عاطلِ
ومما شجاني أنَّ غُرَّ مناقبي — تَغنّى بها الرّكبانُ بين القوافلِ
وطارت إلى أقصى البلاد قصائدي — وسارت مسيرَ النيّران رسائلي
وكم من أمالٍ لي وكم من مصنَّفٍ — أصاب بها ذهني محزَّ المفاصلِ
ولي في دقيق النحو والنقد منطقٌ — إذا قلته لم أبقِ قولا لقائلِ
غنيٌّ من الآداب لكنّني إذا — نظرت فما في الكف غير الأنامل
فيا ليتني أصبحتُ مستغنيا ولم — أكنْ في خوارزم رئيس الأفاضلِ

ويا ليتني مُرْضٍ صديقي ومُسخِطٌ عــدوي وأني في فــهــامــة باقلِ
فلستُ بفــضلي بالغــا ولو انني كــقُسٍّ إيادٍ أو كــســحــبــانِ وائلِ
ومــا حقٌّ مــثلي أن يكون مُــضَيَّعــاً وقــد عظمتْ عند الوزير رســائلي
فــلا تجــعلوني مــثل همــزةِ واصلٍ فــيــســقطني حــذف ولا راء واصلِ
فكلُّ امرئ أمــثــاله عــدد الحــصى وهاتِ نظيري في جــمــيع المحــافلِ
فـــوقّعْ إلى هذا الزمـــان فـــإنّه غــلامك يجــعلني كــبعض الأراذلِ

وقال:

هو المنطق الجــزلُ الذي قــذفت به ولُجـــة فكرٍ بحـــرُه يتـــمـــوّجُ
إذا استعرض النقّادُ نظمَ سموطه قــضــوا أنَّ منظومَ الفــحــولة بهــرجُ
ولم تطرق الآذان مــثلي غــريبــه ولا كــان بالإبصــار مثلي مــحــدَّجُ
خوارزم، في بعضِ القرى ليَ مولدٌ وقــولي له في شــدّة البــرد منسجُ

وقال:

تصــفّــحتُ أولادَ الرجــالِ فلم أكــد أصــادف من لم يفضــحِ الأمُّ والأبا
رأيتُ أباً يشــقى بتــزويجــه ابنَه ويســعى لكي يُدعى مُكبًا ومُنجِبا
أرادَ به الشــأوَ الأعــزَّ فــمــا درى أيوليــه حــجــرا أم يعليــه مَنكبــا
شــقيٌّ أقــامَ الدهرَ مــركبَ طفلهِ(١) فــأصبحَ ذاك الطفلُ للناسِ مركبا
لذاك تركتُ النسلَ واخترتُ سيرةً مــســيــحــيــةً أحسنْ بذلك مــذهبــا

وقال:

رعيُ روضِ المُنى على الحــرِّ عــار إنَّ روضَ المُنى وخـــيــمُ المراعي
لــيسَ يأوي إلى القــنــاعــــةِ إلا عــاجــز لا يطيقُ كــشفَ القناعِ

(١) في شعر الزمخشري نقلاً عن ديوانه: «أخو شقوة ما زال راكب طفله». انظر: قراءة في تراث الزمخشري: ٢٢٨.

اسعَ تُدرِكْ بقدر سعيك مجداً ... إنَّ مجدَ الفتى بقدر المساعي
حازَ خصل العلاء كلُّ قذوفٍ ... في شعوب شتى بنفس شعاعِ

وقال: أورده الطيبيّ في الحاشية:

شكوتُ إلى الأيامِ سوء صنيعها ... ومن عجبٍ [باكٍ] تشكّى إلى المُبكي[1]
فما زادني الأيام إلا شكاية ... ولا زالت الأيام تُشكَى ولا تُشكي

وقال:

وأخَّرني دهري وقدَّمَ معشراً ... لأنَّهمُ لا يعلمونَ وأعلمُ
ولم تفُهِ الأيامُ باسمي لأنني ... أنا الميمُ والأيام أفلحُ أعلمُ

الأفلح: المشقوق الشفة السّفلى، والأعلم: المشقوق الشفة العُليا، ومعنى البيت: أنَّه جعل نفسه مع الأيامِ بمنزلة الميم عندَ من هو مشقوق الشفتين فلا يقدر على النطق بالميم.

وقال أبو حيّان في البحر[2]: رحل الزمخشريّ من خوارزم في شبيبته إلى مكة لقراءة كتاب سيبويه على الإمام أبي بكر عبدالله بن طلحة بن محمد الأندلسيّ، فقرأ عليه جميع كتاب سيبويه، وهذا خلاف ما كان يعتقدُ فيه بعضُ أصحابنا من أنَّه إنَّما نظر في نُتَفٍ من كلامِ أبي علي الفارسيّ، وابن جنّي، وقد صنَّفَ أبو الحجاج يوسف بن معزوز كتابا في الردّ على الزمخشريّ في المفصّل، والتنبيه على أغلاطه التي خالف فيها سيبويه. انتهى.

قال الموَفَّق عبد اللطيف البغداديّ في تاريخه: تفسير الرّمانيّ كبير، يذكر فيه علوم القرآن الثمانية، وقد سلخه الزمخشريّ في الكشّاف.

وقال الزّمخشريّ، أورده الصلاح الصفديّ في تذكرته:

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة لإقامة الوزن.
(٢) البحر المحيط: ٤/٢٧١-٢٧٢.

قطعتُ الأرضَ في شـــهـــرَي ربيع   إلى مــصــر وعــدتُ إلى الـعــراقِ
فــقـــال لي العَـــذول وقـــد رآني   ســبــوقــا للمطهّــمــة العــتــاقِ
ركـــبتَ على البـــراقِ فـــقلتُ لا   ولكني ركــبتُ على اشــتــيــاقي

وقال الزمخشريّ: أسنده الشيخ ولي الدين العراقيّ في أماليه:

أيا جَبلَي نُعمـانَ إنَّ حـصـاكمـا   ليحصى وما تُحصى مناقب نُعمانِ
جـلائل كتبِ الفقـه طالِعْ تجدْ بهـا   دقـائق نُعـمـانٍ شـقـائق نُعمـانِ

قال ياقوت: وهذا فهرست تصانيف الزمخشريّ:

الكشّاف. المستقصى في الأمثال، قيل: إنَّه يشتمل على اثني عشر ألف مثَلٍ. الفائق في غريب الحديث. أساس البلاغة في اللغة، يُقال: إنَّه أجلُّ من الصِّحاح. المفصَّل. المقامات. متشابه الأسامي. الحسبة. أطواق الذَّهب في المقالات. ربيع الأبرار. السابق في تفسير القرآن. فصوص الأخبار. النصائح الكِبار. النصائح الصِّغار. ضالة الناشد. الرائض في الفرائض. رؤوس المسائل في الفقه. شرح بعض مشكلات المفصَّل. وغير ذلك.

وقال المنذريّ في تاريخ من دخل مصر، وياقوت في معجم الأدباء: قال الحافظُ أبو طاهر السلَفيّ: كتبَ إليَّ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ من مكّة، قال: كتبت إلى أبي عبدالله الذكيّ الصقلّيّ لما قدم علينا خوارزم:

فــديتُ الإمــامَ المغــربيَّ الذي له   فـضـائل شـتَّى مـا تفرّق في خَلْقِ
لـه أدبٌ جـــزلٌ وعلمٌ مـــحـــقَّقٌ   وشـعلةُ فـهمٍ دونهـا خطفـة البـرقِ
لقـــد رزقت من المغـــاربة الهـــوى   مـودة شيـخ واحد الغرب والشـرقِ

فأجابني:

حـثثتُ من اقصى المغربين ركـابي   لأنصـرَ من في كـفّـه شـعلة الحقِّ
فمـا زلتُ في عشـواء أخبط لا أرى   يقـــينا ولا دينا يُزَيِّنُ بالصـــدقِ

إلى أن بدا علاّمة العصر مشرقا ... ولا غروَ أنَّ الشمسَ تبدو من الشرقِ

وفي تاريخ الصلاح الصفديّ: كتبَ أبو الهيجاء شبل الدولة مقاتل بن عطيّة البكريّ إلى الزمخشريّ:

هذا أديب فاضل ... مثل الدراري دُرَرُهْ
زمخشريّ فاضل ... أنجبه زمخشرهْ
كالبحر إن لم أره ... فقد أتاني خبرهْ

فكتبَ إليه الزمخشريّ:

شعره أمطر شعري شرفا ... فاعتلى منه ثياب الحسد
كيف لا يستأسد البيت إذا ... بات مَسقِيًّا بنوء الأسد

ولأبي حيّان قصيدة ذكر فيها الكشّاف، وأثنى على محاسنه، ثم نبّه على أشياء يجبُ تجنّبها، فقال:

ولكنّه فيه مجالٌ لناقدٍ ... وزلاتُ سوء قد أخذنَ المخانقا
فيثبتُ موضوعَ الأحاديث جاهلا ... ويعزو إلى المعصوم ما ليس لائقا
ويشتمُ أعلامَ الأئمة ضلّةً ... ولا سيّما إنْ أولجوه المضايقا
ويسهبُ في المعنى الوجيز دلالة ... بتكثير ألفاظٍ تسمّى الشقاشقا
يُقوِّل فيها الله ما ليس قائلا ... وكان محبًا في الخطابة وامقا
وينسبُ إبداء المعاني لنفسه ... ليوهمَ أغمارا وإن كان سارقا
ويخطئ في فهم القرآن لأنّه ... يجوِّزُ إعرابا أبى أن يطابقا
وكم بين من يؤتى البيان سليقةً ... وآخر عاناه فما هو لاحقا
ويحتالُ للألفاظ حتى يُديرها ... لمذهبِ سوء فيه أصبحَ مارقا

قال الشيخ وليُّ الدين العراقيّ في حاشية الكشّاف: قد أحسنَ أبو حيّان بقوله "جاهلا" وإن كان في هذا اللفظ خشونة، لأنَّ إثباته مع الجهل بوضعه أقلّ خطأً من

إثباته مع العلم بوضعه.

وللشيخ تقي الدين السُّبكيّ كتاب: "سبب الانكفاف عن إقراء الكشّاف" وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله الذي هدانا بنبيه محمد، وأحسن عاقبتنا به وأحمد، وشرّفنا باتباعه وأسعد، ورفعنا فوقَ كثير من خَلقه وأصعد، ووفقنا بسُنته إلى أقوم مقصد، صلى الله عليه وعلى آله ما أتهمَ رَكبٌ وأنجد، ولاح قمريّ وغرّد، وسلّم تسليما كثيرا لا يبيد ولا ينفد.

وبعدُ؛

فإنَّ كتاب الزمخشريّ كنتُ قرأتُ منه شيئا على الشيخ علم الدين عبد الكريم بن علي المشهور بالعراقيّ في سنة اثنتين وسبعمائة، وكنتُ أحضر قراءته عند قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجيّ، وكان له به عناية ومعرفة، ثم لم أزل أسمع دروسَ الكشّاف المذكور، وأبحثُ فيه، ولي فيه غرامٌ لما اشتمل عليه من الفوائد والفضائل التي لم يُسبق إليها، والنُّكت البديعة والدقائق التي بعد الحصول عليها، وأتجنّب ما فيه من الاعتزال، وأتحرّج الكدر، وأشربُ الصفوَ الزلال، وفيه ما لا يعجبني مثل كلامه في قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٣] وطلب مني مرّة بعضُ أهل المدينة نسخةً من الكشّاف، فأشرتُ عليه بأن لا يفعل حياءً من النبيّ (ﷺ) أن يُحمَلَ إليه كتابٌ فيه ذلك الكلام، ثم صار هذا الكتاب يُقرأُ عليَّ وأنا أُسفِر عن فوائده وأعوم به حتى وصل إلى تفسير سورة التحريم، وقد تكلَّم في الزلّة، فحصل لي بذلك الكلام مغص، ثم وصلتُ إلى كلامه في سورة التكوير في قوله تعالى: ﴿إنَّه لقولُ رسولٍ كريمٍ﴾ [سورة التكوير، الآية: ١٩] إلى آخر الآية: والناس اختلفوا في هذا الرسول الكريم، من هو؟ فقال الأكثرون: جبريل. وقال بعضهم: هو محمد (ﷺ). فاقتصر الزمخشريّ على القول الأول[١]، ثم قال: وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومبانة منزلته بمنزلة أفضل الأُلي محمد (ﷺ) إذا وازنتَ

(١) انظر: الكشاف: ٧١١/٤.

بين الذَكرَين حتى قرن بينهما، وقايست بين قوله: ﴿إنَّه لقولُ رسولٍ كريمٍ * ذي قوّةٍ عند ذي العرشِ مَكين * مطاعٍ ثمَّ أمين﴾ [سورة التكوير، الآية: ١٩-٢١] وبين قوله: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ [سورة التكوير، الآية: ٢٢] فطرحتُ الكشّافَ من يدي، وأخرجته من خلدي، ونويتُ أن لا أقرأه، ولا أنظرَ فيه إن شاء الله تعالى، وكان ذلك يوم البون من إقرائي لي يومَ الثلاثاء رابعَ عشر جمادى الآخرة سنة أربعٍ وخمسين وسبعمائة؛ وذلك لأني أحبُّ النبيَّ (ﷺ) وأُجِلُّه بحسب ما أوصى الله من محبته وإجلاله، وامتنعتُ من هذه الموازنة والمقايسة التي قالها الزمخشريَ: ذهب إلى أنَّ الملائكة أفضل من البشر، كما تقول المعتزلة.

أما كان هذا الرجل يستحيي من النبيِّ (ﷺ) أن يذكرَ هذه المقايسة بينه وبين جبريل بهذه العبارة؟

والذي أقوله أنَّ كتابَ الله المُبين لا مراءَ فيه، وفيه: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ [سورة النور، الآية: ٥٤] ﴿إن كنتُم تحبّون الله فاتبعوني﴾ [سورة آل عمران الآية: ٣١] ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسْوَةٌ حسنةٌ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٢١] ﴿قد جاءكم الرسول بالحقِّ من ربِّكم﴾ [سورة النساء الآية ١٧٠] وغير ذلك مما القرآن طافح به وبتعظيمه.

وأنا واحدٌ من الناس، كلُّ ما أنا فيه من خير من أُمور الدنيا والآخرة من الله تعالى بواسطة النبيِّ (ﷺ) وأعلَمُ أنَّ الله تعبَّدني بذلك، وقام جبريل عليه السلام يعلمه أكثرَ منا، فما لنا والله حولٌ في هذا المكان الضيق، ولم يكلِّفنا الله بذلك، فحسبُ امرئ إذا لم يعترف بفضل المَلَك على البشرِ، ولا البشر على المَلَك أن يتأدَّبَ، ويقفَ عند حدِّه، ويُعظِّم كُلاً منهما كما يجب له من التعظيم، ويكفَّ لسانه وحَلقَه عن فضول لا يعنيه، ولم يُكَلَّف به، ولا بعلمه، ويقدِّر في نفسه أنَّ هذين المخلوقين العظيمين حاضران وهو بين أيديهما ضئيل حقير، والله تعالى رابعهم، وهو عالِمٌ بما تُخفي الصدور. نسأل الله العصمة والسلامة منه وكرمه.

وجمهور أهل السُّنّة على أنَّ الإنسانَ أفضل من الملائكة، وعلى أنَّ محمدا (ﷺ)

أفضل الخلقِ، وبذلك قال صاحبُ التنبيه، وصلّى الله على سيدنا محمد خير خلقه.

وجمهور المعتزلة على أنَّ الملائكة أفضل، وهذه المسألة مما لم يكلِّف الله العِبادَ معرفتها حتى لو أنَّ إنسانا لم تخطر هذه المسألة بباله طول عمره ومات، لم يسأله الله عنها، فالسكوتُ عنها أسلم، والقول بأنَّ محمدا سيد الخلق ينشرح الصدر له، وهو الذي نعتقده بأدلة وفقنا الله لها، ولا نقول إنَّه يجب على كلِّ أحد أن يعتقدَ ذلك، لأنَّ علمه قد يقصر عنه، وإنَّما على أن يكفَّ لسانه وقلبه عن خلافه، وكما لا يُغنيه فضلا عما يجرّه إلى شيءٍ آخر. نسأل الله العافية.

قال ياقوت[1]: قرأتُ بخطِّ أبي محمد محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان صاحب تاريخ خوارزم فيه عند ذكر الزمخشريّ، فقال: ولقد ذكر صدر الأئمة الموفق بن أحمد المكّيّ فصلا في وصفه وشرحا لأحواله لا مزيد على ذلك، سمعته من لفظه، فأسوقه كما سمعته، قال: خوارزم كانت قبل فخرها مزهوّةً بأبي بكرها صادقة في زهوها به سنَّ بكرها مباهيةً مباهاة السمطاء ببكرها، تعدّه لغرائبه من رغامها، وتعدّه لرغائبه من غرائبها، وتفضّله في أرضه على فضلاتها تفضيل السماء المشترَى على سائر كواكبها، وتدخره واسطة قلائد عجائبها، وما أخطأت خوارزم في اعتقادها فيه وإمناطها ما سمع من النظم والنثر من فلق فيه، إذ الخوارزميّ دوَّخَ أطرازَ العراق، ونقَّبَ أطرافَ الشام، وتقلّبَ في آفاق خراسان، وطاف في أطراف سجستان، ودار في أمصار مازدران، وتوغّل في كور فارس، واستوطنَ بلاد الجبال، فلم يجسر أحد من بلغائها على مجاراته في ميدان بيانه، ولم يتجاسر نسمة من فصحائها على التحكك بجزيل تبيانه، ولم ينبز مُفلِقٌ من قطانها لمساجلته إذا أخذ في طيٍّ كلامه أو نشره، ولم يُدرِك شاعرا وكانت من سكانها ونظمه ونثره.

---

(١) لم نجد الكلام في معجم الأدباء ولا في معجم البلدان لياقوت، لكنه صرح بأنه سيذكر في ترجمة الزمخشري أبيات ابن وهاس في مدحه. ولم نجد وفاءً بوعده في المطبوع من الكتاب. انظر: معجم الأدباء: ٤/١٨٣٣.

ودعْ عنك ذِكرَ تهدِّيه ودرايته، ولا يُسأل عن حفظه وروايته، إن احتدم للدراية خلف أهلها في سفوح الجبال، واستخلص لنفسه مرائض الأوعال، وإن خاض في الرواية خاض في تيار حمضاره، وغادر الرواة في الأوشال، ولولا روايته لما تهيأ للثعالبيّ تأليف يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، إذ هو مسجون يتامى رواياته مُحلًى بقُرط مشنف مكحّل بحكاياته، ألا ترى إلى هجاء البديع الهمذاني إياه حين رام من هجائه إياه أقصاه وأتمّه وأوفاه بعد ما طُوِيَ في ثراه:

مات أبو بكر وكان امرأً ... أدهم في آدابه الغُرِّ

ولم يكن حرا ولكنه ... كان أميرَ المنطق الحرِّ

كيف سَلَّم له إمارة المنطق الحرّ وقت غضّه من قدره؟ وكيف اعترف له بالآداب الغرّ زمان إزرائه لخطره؟ ولو وجد مساغا إلى إخمال ذكره أو عَلِمَ حيلةً في دفن نظمه ونثره، أو عرف سبيلا إلى إنكار سبقه في حلبة البلغاء، أو رأى مجالا في محو اسمه عن ديوان الفضلاء، لبذل في ذلك دهرهُ وزنده، ولجاد على ذلك بطارفه وتالده، ولكن لم يتهيأ له بالراح إخفاء ضياء الصباح إذ جاء به فالق الإصباح، وخالق مثل الخوارزميّ في الأشباح، ثم لما تجلّت خوارزم فخرها، وخلّت حَبرها وبحرها، أخلصت له حجرها، وبوأته صدرها، وولت أبا بكر طهرها، نعم حال الخوارزمي في فنّه الفاذّ إلى جنب فنون العلامة حويلة، وبحره انقباض بالبسط إلى جدوله وجبله، هذا بون ما بينهما في علم الأدب وحفظ لغات العرب وراء ذلك لفخر خوارزم في علم النحو، وعلم المعاني والبيان، وحلّ مشكلات القرآن خصائص لا تُحصى، وخواصّ لا تُعَدُّ ولا تُستقصى، لم يحطب الخوارزميّ قطّ في حبالها، ولم يتزيّن شيئا من نبالها، ولم يستظلّ ولو ساعة بظلالها.

وعندي أنَّ نظم الخوارزميّ إلى قياس نظمه الحجازيّ كالخزف إلى العقيان، وأنّ جنب نثره كاللهجين إلى جنب الهجان، وأنّى يدرك سناه ومن دعا جوامح القصائد،

فركضنَ في ميدانه، وأومأ إلى شمس الرسائل، فأتينَ مسخَّرات لبيانه، ومج إليه كتاب سيبويه بأسراره، وأهدى لشعره جريرٌ نسيبه والفرزدق افتخاره، وخدمه عبد الحميد وابن العميد بديوان نثرهما مع علوٍّ بيانهما، وفخامة قدرهما، وأمطت إليه الخطابة أفلاذ كبدها، وذللت له البلاغة صعاب فنونها، فديوان نظمه نُجَعُ البصائر ونُزَهُ الأبصار، وديوان نثره مجاني الخواطر ورياض الأفكار، فهما روضة وغدير للوُرّاد والروّاد، وهو ومرتاده خبر منتهاه قد ألقِحَ بلطائف القرائح الحائلة، وأطلع في سماء الفضل كواكبه الآفلة حتى اهتدت في خوارزم بميامن فضله على عراض الأدب وظلال الإقبال، وسبغت ببركات علمه لأهله أردية الجلال، ونشأت في أيامه من تلامذته فحول الرجال، وازدحمت في منتداه الأفاضل، ومثُلت بين يديه الأماثل.

قال: ومن نفاثاتي في مرثيته:

قد جاء ربَّه جارُ الله حين رأى ... دهرا جهولاً يبيع النبع بالعزبِ
إنَّ القلاص وجرد الحبل قد عطفتْ ... وأُنضيت نحوه بالوخْذ والخببِ
فالنهر لا يشتكي من بعده أبدا ... ركْض الفحول وعضّ السرح واللببِ
والعود في روضه عنا له غازلها ... وطْفاً يبسّم عن ماء وعن عشبِ
ردٌّ الجساس على الحادي وناوله ... وضينة فارتمى بالبيع والقتبِ
عنت له العرب العرباء قاطبة ... في البدو ما ضرّه أن ليس بالعربِ
يزري إذا هدرت يوما شقاشقه ... بمانع الشيخ عُرّابٍ من القلبِ
قد ذاب جامد دمعي في رزيته ... هيهات قل وفاني حين لم أذبِ
أجابني الدمع لما جئت أسأله ... عن مشكلات قد اعتاصت فلم يُجبِ
رحى الفضائل مذ قد سار واقفةٌ ... وهل تدور رحى يوما بلا قطبِ

قال: والقصيدة طويلة، وإنّما نتفتُ منها ما يليق إيراده بهذا الموضع، ولن يصفه بليغ بما وصف به نفسه في شاكرته المشتملة على مقاماته التي جلّت عن الإحصاء

المنطوية على خصائصه التي حزمت لسان الاستقصاء، أوّلها:

سقى الله بطن الأيك أو طفّ واكفا تجلّل بطن الأيك أو رقّ وارفا
أزاهيره تُزهي الرُّبى برفيفها كأنَّ الرُّبى يسحبنَ منه رفارفا

وطالعْها إن أردتَ- الرفول في مطارف البراعة، واحفظها إن رُمتَ أن تجمّل وخارف اليراعة، ودونكَ تصانيفه التي تنبيك بعلو مرتبته، وتعرّفك سموّ منزلته كالكشّاف عن حقائق التنزيل الناطق عن دلائل التأويل الذي إن طالعته وجدتَ ثمرات نُكته الغِراب أمثالَ ثمرات الغُراب، قد نام عليها المفسرون، وسقط لها الألمعيّ الذي نُسي له أبو عُبيدة والأصمعيّ، وكالفائق في إيضاح ما التبس من الأخبار، وكشف ما أشكلَ من الآثار، وكالمفصَّل في صنعة الإعراب المشتمل مع صغر حجمه على مسائل الكتاب، وكأساس البلاغة المنطوي على لبٍّ كلام العرب المحتوي على خُلاصة الأدب الفارق بين الحقيقة والمجاز المقتضب من لطائف أهل الحجاز، وكالمستقصى في الأمثال الذي يعجز عن ذكر مداه أئمة الرجال، وكالقسطاس في العروض، وكما ثمّ قدس الله روحه حلَّى هذه المحاسن الثواقب، وجمَّل هذه المناقب بتقمّصه من الورع بلامّةٍ لا تحيك فيها سهام الشيطان، ونظره إلى الدنيا وزخارفها بعين الهوان، وقلة اكتراثه بما أقبلت أو أدبرت ولّى أخادعه عنها أظلمت أو أسفرت، وتبتله في المحراب إذا الليل أرخى سدول ظلماته، وتدارسه العلمَ إذا النهار مدَّ رواق ضيائه، ووقفته بعرفات سبع مرات، وحطّ رحله خمس سنين بالبلد الحرام، وتصنيفه بين زمزم والمقام، لا يستفزّه إلى مسقط رأسه ادّكار العيش الرغد ولا يقلقه ضنك العيش بمكة في طلب مرضاة الواحد الصمد، وفيه يقول الشريف:

أتى حرم الله الكريم مجاوراً فلله ما أدنت جِمالٌ وأينُقُ
صليبُ قَناة الدين في الله جاهداً إذا خار عزمٌ أو تخلل موثَقُ
بَلَى الزهدُ منه والتورّع صاحبا فصفق يشربْ صفوه لا يرنَقُ
به محت الأيام كلَّ إساءةٍ جنتها ولمَّ الدهرُ ما كان يفتقُ

ومن مقولاتي فيه:

أعــلاّمــةَ الدنيــا وواحــدها الذي — زممت حــروف العلم كـرها فـعـدتَهُ
هل العلم إلا بعض مـا قـد نـهـجتـه — هل الدين إلا كلّ مـا قـد وسـمـتَـهُ
وقـــدِّرْ كـــأنّ الدين في العلم كلّه — وقـيل له كنْ أنتَ شـخـصـا فكنتَـهُ
إذا قـيل هل في عَـالَم الله واحـد — غـدا عـالما في كلّ علمٍ فـأنتَ هو
ألا هـكذا فليـــبلغ المرء جـــاهه — رويدكمُ أنّى لكم ذاك فـانتـهـوا

ويُستدلّ على عظم قدر جار الله عند الخوارزميّة بمكاتباتهم إليه، فمن ذلك ما تقدّم، ومنه رسالة كتبها إليه الرشيد محمد بن محمد بن عبد الجليل المنشئ المعروف بالوطواط يستأذنه في حضور مجلسه، والإفادة من سؤالاته، نُسختُها:

لقـد حـاز جـارُ الله دام جـمـالهْ — فـضـائلَ فـيـهـا لا يشقُّ غُـبـارُهُ
تجـدّد رسمُ الفـضْل بعـد اندثاره — بـآثـار جـــار فـــالله جـــارُهُ

أنا منذ لفظتني الأقدار من أوطاني ومعاهد أهلي وجيراني إلى هذه الحُطمة التي هي اليوم بمكان جار الله أدام الله جماله جنةٌ للكرام، وجُنّة من نكبات الأيام، كانت قصوى منيتي وقصارى بُغيتي أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة التي هي فخيم السيادة ومُتقَبَّل أفواه السادة، فمن ألقى بها عصاه حاز في الدارين مناه، ونال في المجلسين مبتغاه، ولكن سوء التقصير أو مانع التقدير حرمني فيك هذه الخدمة، وحرّم عليَّ تلك النعمة، والآن أظنُّ وظنُّ المؤمن لا يخطئ أنَّ أفل جدي همَّ بالإشراق، وذائل إيراقي تحرّك إلى الإيراق، فقد أخذ في نفسي نورا مجددا يهديني إلى جنته، ومن شوقي داعيا موفقا يدعوني إلى عتبته، ويفزع في سمعي كلّ ساعة لسان الدولة أن اطلع بتلك، واطرحْ بالوادي المقدس رحلك، ولا تحفل بقصد قاصد، وحسد حاسد، فإنَّ حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب في فوائده، وأكرم من أن تستثقل وطأة طالب لعوائده، ومع هذا أرجو إشارة تصدر عن مجلسه المحروس بخطّه الشريف

فإنَّ في ذلك شرفا يدوم مدى الدهر والأيام، وفخرا يبقى على مرّ الشهور والأعوام.

وأما على لسان من يوثق بصدق مقالته، ويعتمد على بليغ رسالته من المنخرطين في سلك خدمته، والراتعين في رياض نعمته، ورأيه في ذلك أعلى وأصوب.

وكتب إليه يهنئه بالعيد:

الأعياد عرّف الله سيدنا جار الله بركة قدومها وورودها، وجعل له الحظَّ الأكمل والقسط الأجزل من ميامنها وسعودها، فرائد قلائد الأيام وغُرر جهات الأعوام، ولكنّها راحلة لا تقوم، وزائلة لا تدوم، ولنا جارَ الله أدام الله مجده لنا معشر خَدَمِه والمرتضعين بفضله وكرمه عيدٌ لا زال العيد له كصحيفة باقية محاسنه دائمة مباينه يهدي كلَّ ساعة إلى أبصارنا نورا، وإلى أرواحنا سرورا، فكيف نهنئ عيدا هذه حاله بعيدٍ لا يُؤمَنُ زواله.

أتى العيد جارَ الله وهو مجدِّد ... بخدمته عهد المهيمن تجديدا
فلستَ لعيدٍ لا يدوم مهنئا ... لصدر محيّاهُ يدوم لنا عيدا

أنشدَ الزمخشريّ في الكشّاف يهزأ بأهل السنّة في قولهم برؤية الحقّ على مقتضى وعده الصدق:

لجماعة سمُّوا هواهم سُنّة ... وجماعة حمير لعمري مؤكفهْ
قد شبّهوه بخلقه وتخوّفوا ... شفيع الورى فتستروا بالبلكفهْ

وقد ردَّ الناسُ عليه في ذلك[1].

قال أبو حيّان: أنشدني الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفيّ العاصميّ، قال: قرأتُ على شيخنا أبي الخطّاب محمد ابن الشيخ الفقيه القاضي الحافظ أبي العباس أحمد ابن القاضي أبي الحسن خليل بن إسماعيل بن عبد الملك بن خلف بن محمد بن عبدالله السكوني عن أخيه القاضي أبي بكر:

(١) انظر الردود في طبقات الشافعية الكبرى: ٩/٩-١٧.

شبّهتَ جهلا صدر أمة أحمدٍ | وذوي البصائر بالحمير المؤكفهْ
وزعمتَ أن قد شبّهوه بخلقه | وتخوّفوا فتستروا بالبلكفهْ
ورميتَهم عن نبقة سوّيتها | رمي الوليد غدا يمزّق مصحفه
وجب الخسار عليك فانظرْ مُنصفِا | في آية الأعراف فهي المنصفهْ
أترى الكليم أتى بجهل ما أتى | وأتى شيوخك ما أتوا عن معرفهْ
من ليس يدرك كيف يحجب نفسه | لَهْنهْ نهى أشياخك المتكلفهْ
وبآية الأنعام وَيْكَ خُذلتُم | فوقفتم دون المراقي المزلفهْ
المنع من إدراكه معنى به | حجب النواظر يا أصَيْبعَ زعنفهْ
أوتحسب الحجب الستائر كنفا | أنتَ اللآى حجب اللآى بالمعلقهْ
ملك يهدد بالحجاب عباده | وهو المُنَزّه أن يُرى ما أسخفه
لو كان كالمعدوم عندك لا يُرى | ذهب التمدّح في هراء السفسفهْ
خلق الحجاب فمن وراء حجابه | سمع الكليم كلامه إذ شرّفهْ
خلق الحجاب لنفسه سبحانه | فتشوقته الأنفس المستشرفهْ
لو صحَّ في الإسلام عقدك لم تقُلْ | بالمذهب المهجور في نفي الصفهْ
لبّست يا مغرور أو عطّلت إذ | ضاهيتَ في الإلحاد أهل الفلسفهْ
إنَّ الوجوه إليه ناظرة بذا | جاء الكتاب فقلتم هذا السَّفهْ
نطق الكتاب وأنتَ تنطق بالهوى | فهو الهوى بك في المهاوي المتلفهْ
فالنفي مختصٌ بدار بعدها | لك لا أبا لك موعد لن تخلفهْ

أُصيبع تصغير أصبع وله قصة مع عمّه مشهورة.

قال أبو حيّان: للقاضي أبي بكر المذكور على كتاب الزمخشريّ تصنيف سمّاه "حسنات الزمخشريّ وسيآته" لم يسبقه إليه سابق ولا لحقه فيه لاحق، تكلّم فيه على هفواته الاعتقاديّة وغير ذلك من العلوم.

وقال القاضي ناصر الدين بن المنير في "الانتصاف" :أنتقلُ إلى الهجاء، وقد أذن رسول الله (ﷺ) لحسّان بن ثابت في هجاء المشركين، فتأسيتُ، وقلتُ:

وجماعة كفروا برؤية ربّهم هذا ووعد الله ما أن يُخلِفهْ
وتلقّبوا عدليّة قلنا أجل عدلوا بربّهم فحسبهم سَفَهْ
وتلقّبوا الناجين كلا إنّهم إن لم يكونوا في لظى فعلى شَفهْ

وقال العلامة سعد الدين التفتازاني في حاشية الكشّاف: لقد عُورِضَ ما أنشده أو أنشأه من الهذيان:

لجماعة كفروا برؤية ربّهم ولقائه فهمُ حمير مؤكفه
فكما همُ علموا بلا كيف فنحن نرى فلمْ ينفعهم بالبلكفه
هم عطلوه عن الصفات وعطّلوا عنه الفِعال فيا لها من متلفه
هم نازعوه الخلق حتى أشركوا بالله زمرة حاكةٍ وأساكفهْ
هم غلّقوا أبواب رحمته التي هي لا تزال على العُصاةِ مؤكّفهْ
ولهم قواعد في العقائد رَذْلةٌ ومذاهبُ مجهولة مستنكفهْ
يبكي كتاب الله من تأويلهمْ بدموعه المنهلّة المستوكفهْ
وكذا أحاديث النبيِّ دموعها منهم على الخدّين غير مُكفكفهْ
فالله أمطر من سحاب عذابه وعقابه أبدا عليهم أوكفهْ

وقال العلامة فخر الدين الجاربرديّ:

عجبا لقومٍ ظالمين تستروا بالعدل ما فيهم لعمري معرفهْ
قد جاءهم من حيث لا يدرونه تعطيل ذات الله مع نفي الصفهْ

وقال آخر:

الله يعلمُ والعلوم كثيرة أيّ الفريقين اهتدى بالمعرفهْ
ولسوف يعلم كلُّ عبدٍ ما جنى يوم الحساب إذا وقفنا موقفهْ

فاذكر بخير أمة لم تعتقد — إلا الثناء عليه ذاتا أو صفهْ
ودع المراء ولا تُطعْ فيه الهوى — فالحقّ في أيدي الرجال المنصفهْ

وقال القاضي تاج الدين ابن السّبكيّ:

لجماعة جاروا وقالوا إنّهم — للعدل أهل ما لهم من معرفه
لم يعرفوا الرحمن بل جهلوا ومن — ذا أعرضوا للجهل عن لمح الصفه

أقول: ما زلنا نسمع من أشياخنا أنّ الزمخشريّ رجع عن الاعتزال قبل موته وانخلع. وقد رأيتُ مقاماته فرأيتُ فيها ما يدلّ على ذلك، وهي خمسون مقامة، كلّها زهديات ونصائح، قال في خطبتها[1]: هذه مقامات أنشأها عبد الله الفقير إليه أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ، والذي ندبه إلى إنشائها أنّه أُريَ في بعض إغفاءات الفجر كأنّما طاف به من يقول له: يا أبا القاسم، أجلٌ مكتوب وأملٌ مكذوبٌ. فهَبَّ من إغفاءاته تلك مشخوصاً به مما هاله من ذلك وروّعه، وضمَّ إلى هذه الكلمات ما تمّت به مقامة، وأنسها بأخوات قلائل، ثم قطع لمراجعة الغفلة عن الحقائق، وعادة الذهول عن الجدّ بالهزل، فلما أصيبَ في شهر الله الأصمّ الواقع في سنة ثنتي عشرة بالمرضة الناهكة إلى سمائها المنذرة، وكانت سبب فيئته وأخذه على نفسه الميثاق لله إنْ منّ عليه بالصحة أن لا يطأ بأخمصيه عتبة سلطان، ولا واصل لخدمة السلطان أذياله، ويعلّق بحبله حباله أن يربأ بفمه ولسانه عن قرض الشعر فيهم، ورفع العقيرة بالرواية عن أيديهم، وأن يعفّ عن ارتزاق أعطياتهم، وافتراض ما يسمونه رسوما وأدرارا وتسويغا ونحوه، ويجدّ في إسقاط اسمه من الديوان ومحوه، وأن يعنّف بنفسه حتى تقيء ما استطعمت من ذلك فيما خلا لها من سنِي جاهليتها، وتتقنع بقرصها وطمريها، وأن يعتصم بحبل التوكّل، ويتمسّك ويتبتّل إلى ربّه ويتنسّك، ويجعل مسكنه لنفسه مخبأ، ويتخذه محبسا لا يريم عن قراره ما لم يضطره أمر ذو خير لا يجد

---

(١) انظر الخطبة بتمامها في مقامات الزمخشريّ: ٩-١٥.

الصالح بدا من توليه لخطوه، وأن لا يدرسَ من الأصناف التي هو بصددها إلا ما هو مهيب بدراسته إلى الهدى، ورادع له عن الهوى، ومُجدٍ عليه في علوم القرآن والحديث وأبواب الشرع من عرف منه أنَّه يقصد بارتياده وجه الله تعالى، ويرمي به إلى الغرض الراجع إلى الدين ضاربا صفحا عما لا جدوى تحته إلا أن يتخذ أهبته للمباهاة دالّة على المنافسة، ويتسوّر على اقتباسه إلى الحظوة عند الخائضين في غمرات الدنيا، وإلى التسمي بين ظهرانيهم بالفاضل والتلقيب بالبارع وذريعة إلى ما نزع هو يده منه وتاب التوبة النصوح من الرجوع فيه أو يرجعَ اللبن في الضرع، وحين أتاح الله له الصحّة، وارتاح له بالمسحة التي لا يُطاق شكرُها، وألطف له في الوفاء بما عهد، والضمان الذي لا يخسأنّ به إلا ظالم لنفسه، انتدب الرجوع إلى رياض عمله في إنشاء المقامات حتى تمّمها خمسين مقامة، وسمّاها "النصائح الكِبار" لأنَّه أنشأ بعدها مقالات قصار في الزهد والموعظة، وسمّاها "النصائح الصغار" يعظُ فيها نفسَه وينهاها أن تركنَ إلى ديدنها الأول بفكرٍ فيه أو ذِكرٍ له إلا على سبيل التندُّم والتحسُّر، ويأمرها أن تلج في الاستقامة على الطريقة المُثلى وإلقاء الشراشر(1) على ما يقتضيه ما التزمه من المشاق، وأكَدُّه من العُقَد، ... إلى آخر الخطبة.

قال السخاويّ في سِفر السعادة(2): قال الزَّمخشريّ: مدُّ إمام المقام في الصلاة (جعله دكاء)، فقلتُ:

مـــددتَ دكّـــاء ونونتـــهـــا ... مـــا بالُ فـــعـــلائكم تنصـــرفْ
فـــعـــلاؤنا لم تنصـــرف مـــرة ... مـــا للفـــعـــالى طفـــقت تخـــتلفْ

---

(1) إلقاء الشراشر هو إلقاء الأعباء والهموم حرصاً ومحبة.
(2) سفر السعادة: ٢/١٠٥٥.

[٥٤]*

أبو عُمَر الزَّاهد

محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغداديّ المُطَرِّز المعروف بغلام ثعلب.

قال الخطيب في تاريخه: سمع أحمد بن عُبيدالله النرسيّ، وموسى بن سهل الوشّاء، وأحمد بن سعيد الجمّال، وإبراهيم بن الهيثم البلديّ، وأبا العباس الكديميّ، وبشر بن موسى الأسديّ، ونحوهم.

حدثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه، والقاضي أبو القاسم بن المنذر، وأبو الحسين بن بشران، وعبد العزيز بن محمد الشرويّ، وعلي بن أحمد الرزّاز، وأبو علي بن شاذان آخر من حَدَّثنا عنه.

عن أبي الحسن المرزبان، قال: كان ابن ماسي يُنفِذ إلى أبي عمر غلام ثعلب وقتا بعد وقت كفايته لما يُنفقُ على نفسه، فقطع عنه ذلك مدة لعذر، ثم أنفذ إليه بعد ذلك ما كان في رسمه، وكتب إليه رقعة يعتذر إليه من تأخير ذلك عنه، فردَّه وأمر من بين يديه أن يكتبَ على ظهر رقعته:أكرمتنا فملكْتنا، ثم أعرضتَ عنا فأرحتنا.

ذكر أبو علي محمد بن الحسن الحاتميّ أنّه اعتلَّ، فتأخر عن مجلس أبي عمر الزاهد، قال: فسأل عني لما تراختِ الأيامُ، فقيل له: إنّه كان عليلا، فجاءني من الغد يعودني، فاتفق أني كنتُ قد خرجتُ من داري إلى الحمام، فكتب بخطّه على بابي

[*] انظر ترجمته في: طبقات النحويّين واللغويّين: ٢٠٩. الفهرست: ١٢٠-١٢٢. تاريخ بغداد: ١٥٩/٣-١٦٢. طبقات الحنابلة: ٥٦/٢-٥٨. نزهة الألباء: ٢٠٦-٢١١. المنتظم: ١٠٣/١٤-١٠٦. معجم الأدباء: ٢٥٥٦/٦-٢٥٦٠. إشارة التعيين: ٣٢٦-٣٢٧. طبقات علماء الحديث: ٦٥/٣-٦٨. إنباه الرواة: ١٧١/٣-١٧٧. تاريخ الإسلام: (وفيات: ٣٤١-٣٥٠): ٤٢٣-٤٢٥. سير أعلام النبلاء: ٥٠٨/١٥-٥١٣. العبر: ٧١/٢. تذكرة الحفاظ: ٨٧٣/٣-٨٧٧. الوافي: ٥٣/٤. مرآة الجنان: ٢٥٣/٢-٢٥٤. طبقات الشافعية الكبرى: ١٨٩/٣-١٩١. البلغة: ٢٣٤-٢٣٥. نزهة الألباب: ٥٣/٢. لسان الميزان: ٢٦٨/٥-٢٦٩. النجوم الزاهرة: ٣٦٠/٣. البغية: ١٦٤/١-١٦٦. شذرات الذهب: ٧٩/٣-٨٠.

بإسفيداج:

وأعـــجبُ شـيءٍ ســـمـــعنا به   عـليلٌ يُعـــادُ فـــلا يوجَـــدُ

قال: وهو له.

قال: أخبرني عباس بن عُمر الكَلْوَذانيّ، قال: سمعت أبا عمر الزاهد يقول: تركُ قضاء حقوق الإخوانِ مَذلّة، وفي قضاء حقوقهم رفعة، فاحمدوا الله على ذلك، وسارعوا إلى قضاء حوائجهم ومسارّهم تُكَافَؤوا عليه.

سمعتُ غير واحد يحكي عن أبي عمر الزّاهد أنّ الأشرافَ والكُتّابَ وأهلَ الأدبِ كانوا يحضرونَ عنده ليسمعوا منه كُتبَ ثعلب وغيرها، وكان له جزء قد جمع فيه الأحاديث التي تُروى في فضائل معاوية، وكان لا يترك واحدا منهم يقرأ عليه شيئا حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء، ثم يقرأ بعده ما قصد له.

وكان جماعة من أهل الأدب يطعنون على أبي عمر ولا يوَثّقونه في علم اللغة حتى قال لي عُبيدالله بن أبي الفتح: يُقال أنّ أبا عمر كان لو طار طائر لقال: حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ، ويذكر في معنى ذلك شيئا. فأما الحديث فرأيتُ جميعَ شيوخنا يوثقونه فيه، ويصدقونه.

حدثنا علي بن أبي علي عن أبيه، قال: ومن الرواة الذين لم يُرَ قط أحفظَ منهم أبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة فيما بلغني، وجميع كتبه التي في أيدي الناس إنّما أملاها بغير تصنيف، ولسعة حفظه اتُّهِمَ بالكذبِ، وكان يُسأل عن الشيء الذي يُقدِّرُ السائل أنّه قد وضعه، فيجيب عنه، ثم يسأله غيره عنه بعد سنة على مواطأة، فيجيب بذلك الجواب بعينه.

أخبرني بعض أهل بغداد، قال: كنّا نجتاز على قنطرة الصراة نمضي إليه مع جماعة، فتذاكروا كذبه، فقال بعضهم: أنا أصحِّفُ له القنطرة، وأسأله عنها، فإنّه يجيب بشيءٍ أخرز فلما صرنا بين يديه، قال له: أيُّها الشيخ، ما القنطرة عند العرب؟ فقال:

كذا. وذكر شيئا قد أُنسيته. قال: فتضاحكنا، وأتممنا المجلسَ، وانصرفنا. فلما كان بعد شهور ذكرنا الحديث فوضعنا رجلا غير ذلك، فسأله: فقال: ما القنطرة؟ فقال: أليس قد سُئلتُ عن هذه المسألة مذ كذا وكذا شهر؟ فقلتُ: هي كذا. قال: فما دَرينا في أيِّ الأمرين نعجب في ذكائه إن كان علما فهو اتساعٌ ظريف، أو كان كذبا عمله في الحال ثم قد حفظه فلما سئل عنه ذكر الوقت والمسألة فأجاب بذلك الجواب، فهو أظرف.

قال أبي: وكان معزّ الدولة قد قلّد شرطة بغداد غلاما له مملوكا تركيّا يُعرَفُ بخواجا، فبلغ أبا عمر الخبرُ، وكان يُملي كتابَ الياقوتة، فلما جاؤوه قال: اكتبوا: ياقوتة خواجا، الخواج في أصل لغة العرب الجوع، ثم فرّع على هذا بابا وأملاه، فاستعظم الناسُ ذلك من كذبه وتتبعوه، فقال لي أبو علي الحاتميّ، وهو من بعض أصحابه: أخرجنا في أمالي الحامض عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ: الخواج: الجوع، وهو أخبرني بهذا الخبر.

حكى لي رئيس الرؤساء شرف الوزراء أبو القاسم علي بن الحسن عمَّن حدثه أنَّ أبا عمر الزاهد كان يؤدب ولد القاضي محمد بن يوسف، فأملى يوما على الغلام نحوا من ثلاثين مسألة في اللغة، وذكر غريبها، وختمها ببيتين من الشعر.

وحضر أبو بكر بن دُريد، وأبو بكر بن الأنباريّ، وأبو بكر بن مقسم عند أبي عمر القاضي، فعرضَ عليهم تلك المسائل، فما عرفوا منها شيئا، وأنكروا الشعر، فقال لهم القاضي: ما تقولون فيها؟ فقال ابن الأنباريّ: أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن، ولستُ أقول شيئا. وقال ابن مقسم مثلَ ذلك، واحتجَّ باشتغاله بالقراءات. وقال ابن دُريد: هذه المسائل من موضوعات أبي عمر ولا أصل لشيءٍ منها في اللغة، وانصرفوا، وبلغ أبا عمر ذلك، فاجتمع مع القاضي، وسأله إحضار دواوين جماعة من الشعراء، عيَّنهم له، ففتح القاضي خزانته، وأخرج له تلك الدواوين، فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كلِّ مسألة، فيخرج له شاهدا من تلك الدواوين، ويعرضه على القاضي حتى استوفى

جميعها، ثم قال: وهذان البيتان أنشدناهما ثعلب بحضرة القاضي، وكتبهما القاضي بخطّه على ظهر الكتاب الفلانيّ، فأحضر القاضي الكتاب، فوجد البيتين على ظهره كما ذكر، وانتهت القصة إلى ابن دُريد، فلم يذكر أبا عمر بلفظة حتى مات. قال رئيس الرؤساء: وقد رأيتُ أشياء كثيرة مما استُنكِرَ على أبي عمر، ونُسِبَ إلى الكذب مدونة في كُتب أئمة أهل العلم، وخاصّة في الغريب المصنَّف لأبي عُبيد.

سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن بَرْهان الأسديّ يقول: لم يتكلّم في علم اللغة أحد من الأولين والآخرين أحسن من كلام أبي عمر الزاهد. قال: وله كتاب غريب الحديث صنَّفه على مسند أحمد بن حنبل، وجعل يستحسنه جدا.

بلغني عن أبي الفتح عُبيدالله بن أحمد النحويّ، قال: أنشدنا أبو العباس اليشكريّ في محاسن أبي عمر الزاهد يمدحه:

أبو عمر أوفى من العلم مرتقى ... يذل مساميه ويردي مطاولهْ
فلو أنني أقسمتُ ما كنتُ كاذبا ... بأنْ لم يَرَ الراؤون حبرا يعادلهْ
هو السحب جسما والفضائل جمة ... فاعجب بمهزول سمين فضائلهْ
تضمن من دون الحناجر زاخراً ... تغيب على من لجَّ فيه سواحلهْ
إذا قلت شارفنا أواخر علمه ... تفجر حتى قلت هذي أوائلهْ

ولِد أبو عمر سنة إحدى وستين ومائتين، ومات يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة خمسٍ وأربعين وثلاثمائة، ودفِنَ مقابلة قبر معروف الكَرخيّ. انتهى ما أورده الخطيب.

وقال ابن النجّار في تاريخه: كان أبو عمر الزاهد جمع جزءاً في فضائل معاوية، وأكثره مناكير وموضوعات، وكان يلزم من يسمع منه الأدب أن يسمعه أولاً.

وفي كتاب اللطائف واللطف لأبي منصور الثعالبي[1]: كان أبو عمر غلام ثعلب

---

(١) لطائف اللطف: ١١٨.

يقول: لم يكمل المرء حتى يقرأ برواية[1] أبي عمرو، ويتفقّه على مذهب الشافعيّ، ويروي شعر ابن المعتزّ، ويلعب بالشطرنج.

وقال ياقوت[2]: قال الأزهريّ: وأمّا أبو عمر الوراق فإنَّ كتابه الذي سمّاه الياقوتة، وجمعه على أبي العباس أحمد بن يحيى وغيره، حُمِلَ إلينا، وفيه غرائب ونوادر عجيبة، وتصفَّحته مراراً فما رأيتُ فيه تصحيفا، ونهضَ ناهضٌ من عندنا إلى بغداد، فرأى أبا عمر وسأله إجازة الكتاب لمن وقع إليه، فأجازه.

قال ياقوت[3]: وحدثني أبو سليمان الخطابيّ، قال: بلغني بعث كُتَّابُ بغداد ورؤساؤها رسولا إلى أبي عمر أنْ قَدِّرْ قدرَ كتابك بجميع مؤونتك، وعرِّفْناه لنُجريه عليك. فقال للرسول: قل لصاحبك: إنَّ وظيفتي على من إذا غضب لم يعطها، وإذا رضي عني زادني، ولا أريد قيّما بأموري ومتكفّلاً بمؤونتي سواه.

قال ياقوت: قرأتُ في آخر كتاب اليواقيت: قال أبو عمر:

لما فرغنا من نظام الجوهرهْ   اعورتِ العين وفضَّ الجمهرهْ
ووقف الفصيح عند القنطرهْ

وقال ياقوت[4]: قال حمزة الأصبهانيّ: صنَّفَ بالأمسِ محمد بن بكر البسطاميّ كتاباً على كتاب الجمهرة لابن دُريد، وقال: كان السبب لوضعي هذا الكتاب نظري في الكتاب المسمَّى بالياقوتة، وأنَّ مصنِّفَه حشا أكثر الكتاب بما لم تنطق به العرب، وعزاه إلى ثعلب، وقد طلبنا ما ادّعى من ذلك على العرب في المصنَّفات فلم نجده، ثم سألنا عنه أصحاب ثعلب، فلم يعرفوه، والذي صنَّف هذه الكتب لم يقمْ على ما أودعه شاهدا ولا دليلا من القرآن ولا من الحديث ولا من المَثَل، ولا نحا فيما رواه إلا إلى: أخبرنا

---

(١) في لطائف اللطف: صرف. انظر: ١١٨.
(٢) لم نجد الخبر في معجم الأدباء.
(٣) لم نجد الخبر في المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه: ٦/٢٤٣٦.

ثعلب عن ابن الأعرابيّ. فتمّت له رواية تلك الأباطيل بين قومٍ لم يطالبوه بدليل.

قال ياقوت: ومن تصانيف أبي عمر الزاهد: شرح الفصيح. فائت الفصيح. المرجان. فائت الجمهرة. الموشح. البياعات. يوم وليلة. المستحسن. العشرات. الشورى. البيوع. فائت المستحسن. تفسير أسماء الشعراء. القبائل. النوادر. فائت العين. المداخل. التفاحة. المكنون والمكتوم. ما أنكرته الأعراب على أبي عُبيد فيما حكاه وصنَّفه، وأكثر ما نقل أبو محمد بن السيد البطليوسيّ في المثلث عنه.

قال أبو الطيب اللغويّ: قرأتُ على أبي عمر الزاهدِ الفصيحَ وإصلاحَ المنطقِ حفظا، وقال لي أبو عمر: كنتُ أعلّق اللغة عن ثعلب على خزف، وأجلس على دجلة أحفظها وأرمي بها.

قال البيهقيّ في شعب الإيمان[1]: أنبأنا أبو عبدالله الحافظ، أنشدنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن ثابت البغداديّ، أنشدنا أبو عمر الزاهد:

إذا أراد الله أمـــراً بامـــرئ ... وكـــان ذا رأيٍ وعـــقلٍ وبصـــرْ
وحـــيلة يُعـــمِلُهـــا في كلِّ مـــا ... يأتي به مـحـتـوم أسـبـاب القـدرْ
أغـــراه بـالجـــهل وأعـــمى عـــينه ... فـسلّه من عـقله يعـتل الشـعـرْ
حـــتى إذا أنفـــذ فـيـــه حكمـــه ... ردَّ عليـــه عـــقله ليـــعـــتـــبـــرْ

وقال ابن النجّار في تاريخه: أخبرني علي بن محمد بن الحسين بن طرويه أخبرنا والدي أخبرنا أبو الفرج الورداسيّ سمعتُ أبا محمد التميميّ يقول: حدثنا ابن حاجب النعمان، قال: دخلتُ أنا وأبي على غلام ثعلب، فسأله مسألة المصير مع الودّ في الضمير خير من الحضور في الضمير مع الصدور.

قال البيهقيّ في شعب الإيمان[2]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا أبو عمر

(١) شعب الإيمان: ٢٣٣/١.
(٢) المصدر نفسه: ١٢٥/٧.

محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب حدثنا موسى بن سهل حدثنا إسماعيل بن قتيبة عن يونس بن عبيد حدثني أبو العلاء بن الشخير حدثني أحمد بن سليمان قال، ولا أحسبه إلا وقد رأى النبيَّ (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : «إنَّ الله يبتلي عبده بما أعطاه، فمن رضي بما قسم له بارك له فيه ووسعه، ومن لم يرضَ لم يبارك له فيه».

قال البيهقيّ(١): كان في كتاب الحاكم أبي عبدالله أحمد بالدال، وكان يتوهمه تصحيفا، ويحسبه أحمر بالراء، قال البيهقيّ: وأنا أحسبه أحمد بن معاوية بن سليم بالراء، ذكره ابن مندة في الصحابه، قال: وقد رواه حماد بن زيد عن يونس، فقال عن رجل من بني سليم، فيحتمل أن يكون ذلك عن أحد بن سليم، فوقع في شيخنا أحمد. انتهى.

وقال ابن عساكر(٢): أنبأنا أبو الحسن علي بن عبيدالله الزاغونيّ أخبرنا أبو الغنايم بن عثمان أخبرنا القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحامليّ حدثنا أبو عمر غلام ثعلب حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، قال: سمعت مصعب بن سلام عن سعد بن طريف عن الأصبغ عن علي قال: ستّ من أخلاق قوم لوط في هذه الأمة: الجلاهق والصفير والبندق والخذف وحل أزهار القباء ومضغ العلك. وثمانية من الناس لا يسلَّمُ عليهم: اليهوديّ والنصرانيّ والمجوسيّ والمتفكهين بسبِّ الأمهات والشاعر الذي يقذف المحصنات وقوم يشربون الخمر بين أيديهم الريحان وأصحاب النردشير والشطرنج [قال] وستة لا يُصلُّى خلفهم: ولد الزنا والعبد والمتعزِّب بعد الهجرة والأعرابيّ والمحدود إلى أن يتوب [، والأعمى].

وقال الخطيب(٣): أخبرني علي بن أحمد الرزاز حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أملانا محمد بن يونس بن موسى الكديميّ أملانا شاصونة بن

(١) شعب الإيمان: ١٢٦/٧.
(٢) تاريخ دمشق: ٣٢١/٥٠-٣٢٢.
(٣) تاريخ بغداد: ٢١٣/٤-٢١٥.

عبيد أبو محمد اليمامي منصرفا من عدن لسنة عشرٍ ومائتين بقرية يُقال لها الجردة، قال: حدثني معرض بن عبدالله بن معرض بن معيقيب اليمامي عن أبيه عن جده قال: حججتُ حجة الوداع، فدخلتُ مكة، فرأيتُ فيها رسول الله (ﷺ) ووجهه مثل دارة القمر، وسمعت منه عجبا، جاءه رجلٌ من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفّه في خرقة، فقال له رسول الله (ﷺ): يا غلامُ، من أنا؟ قال: أنتَ رسول الله. قال: صدقتَ، بارك الله فيك. قال: ثم إنَّ الغلام لم يتكلّم بعدها حتى شبَّ، قال أبي: فكنا نسميه مبارك اليمامة. قال شاصونة: فسَمِعْتُ هذا الحديث منه منذ ثمانون سنة، ولم أسمع منه إلا هذا الحديث.

قال الدارقُطنيّ: كان الكديميّ يُتهم بوضع الحديث، وكان مما تكلّم موسى بن هارون به في الكديميّ حديث شاصونة.

قال الخطيب: أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن فضالة النيسابوريّ، قال: سمعت أبا الربيع محمد بن الفضل البلخيّ، قال: سمعت محمد بن قريش المروروذيّ يقول: دخلتُ على موسى بن هارون الحمال منصرفي من مجلس الكديمي، فقال لي: ما الذي حدثكم الكديميّ اليوم؟ فقلتُ: حدثنا عن شاصونة بن عبيد اليماميّ بحديثٍ، وذكرتُه له، وهو حديث مبارك اليمامة. فقال موسى بن هارون: أشهد أنّه حدَّث عمّن لم يُخلَقْ بعدُ. فنُقِل هذا الكلام إلى الكديميّ، فلما كان من الغد، خرج، فجلس إلى الكرسيّ، وقال: بلغني أنَّ هذا الشيخ، يعني موسى بن هارون، تَكلَّمَ فيَّ ونسَبني إلى أنني حدَّثتُ عمّن لم يخلقْ بعدُ، وقد عقدت بيني وبينه عقدة لا نحلّها إلا من يدي الجبار، ثم أملى علينا في ذلك المجلس كلَّ حديثٍ فردَه.

وانتهى الخبر إلى موسى بن هارون، فما سمعته بعد ذلك يذكر الكديميّ إلا بخير.

وقال الخطيب: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقيّ حدثنا أبو عبدالله عثمان بن جعفر العجليّ مستملي ابن شاهين بحديث الكديميّ عن شاصونة بن عبيد، ثم قال عثمان: سمعت بعضَ شيوخنا يقول: لما أملى الكديميّ هذا الحديث استعظمه الناس، وقالوا: هذا كذبٌ، من هو شاصونة؟ فلما كان بعد وفاته، جاء قوم من الرحالة ممن جاؤوا من عدن، فقالوا: وصلنا قرية يُقال لها الجردة، فلقينا بها شيخاً، فسألناه: عندك شيءٌ من الحديثِ؟ قال: نعمْ. فكتبنا عنه، وقلنا: ما اسمك: قال: محمد بن شاصونة. وأملى علينا هذا الحديث فيما أملى عن أبيه.

قال الخطيب: وقد وقع إلينا حديث شاصونة من غير طريق الكديميّ، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله الصوريّ ببغداد، وأبو محمد عبدالله بن علي بن عياض بن أبي عقيل القاضي بصور، وأبو نصر علي بن الحسين بن أحمد بن أبي سلمة الوراق بصيدا، قالوا: أخبرنا محمد بن أحمد بن جُمَيع الغسّانيّ حدثنا العباس بن محبوب بن عثمان بن شاصونة بن عبيد بمكة حدثنا أبي حدثني جدي شاصونة بن عبيد قال: حدثني معرض بن عبدالله بن معيقيب اليماميّ عن أبيه عن جده، فذكره.

وقال أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت: حدثنا أبو عبدالله بن منجر عن أبيه عن ركالة قالوا: قال عمرو بن العاص: قلتُ يوما: يا رسول الله، من أحبّ الناسِ إليك حتى أحبَّه؟ قال: عائشة. قلتُ: إنَّما سألت من الرجال؟ قال: فأبوها إذن. فقال فتى من الأنصار وكان إلى جنبي: يا رسول الله، فما بال علي؟ فقال النبي (ﷺ): من ظننت؟ إنّ أحداً يسأل عن نفسه.

[٥٥]*
الزجَّاج

أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل البغداديّ.

قال الخطيب: كان من أهل الدين والفضلِ حسنَ الاعتقاد جميلَ المذهب، وله مصنفات حِسانٌ في الأدب، روى عنه علي بن عبدالله بن المغيرة، وغيره.

قال: كنتُ أخرط الزجاج، فاشتهيتُ النحوَ، ولزمتُ المبرِّدَ، وكان لا يعلّم إلا بأجرة، فقال لي: أيّ شيءٍ صناعتك؟ قلتُ: أخرط الزجاج وكسبي كلّ يومٍ درهم ودانقان أو درهم ونصف، وأريد أن تبالغَ في تعليمي، وأنا أعطيك في كلّ يومٍ درهما، وألتزمُ بذلك أبدا إلى أن يفرّق الموتُ بيننا استغنيت عن التعلّم أو احتجت إليه. فكان ينصحني في التعليم حتى استقللتُ، وأنا أعطيه الدرهم كلّ يومٍ، فجاءه كتاب من بعضٍ يلتمسون معلّما نحويًا لأولادهم، فقلتُ له: أسمِني لهم. فأسماني، فخرجتُ، فكنتُ أعلّمهم، وأنفذ له في كلّ شهر ثلاثين درهما وأزيده ما أقدر عليه. ومضت مدة، فطلبَ منه عبيدالله بن سليمان مؤدبا لابنه القاسم، فقال: لا أعرف إلا رجلاً زجّاجاً بالصراة مع بني مارية. فكتب إليهم، فأحضرني، فأسلَمَ إليَّ القاسم، فكان ذلك سبب غِناي، فكنتُ أعطي المبرِّد ذلك الدرهم إلى أن مات، ولا أخليه من التفقّد بحسب طاقتي، فكنتُ أقول للقاسم بن عبيد: إن بلَّغكَ الله الوزارة ماذا تصنع بي؟ فيقول: ما أحببتَ. فأقول له: تعطيني

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويّين: ٣٥. أخبار النحويين: ١١٣. طبقات النحويّين واللغويين: ١١١-١١٢. الفهرست: ٩٥-٩٦. نور القبس: ٣٤٢. تاريخ العلماء والنحويين: ٣٨-٤٠. تاريخ بغداد: ٦/٨٧-٩٠. الأنساب: ٣/١٤١. نزهة الألباء: ١٨٣-١٨٥. المنتظم: ١٣/٢٢٣-٢٢٨. معجم الأدباء: ١/٥١-٦٣. إنباه الرواة: ١/١٩٤-٢٠١. إشارة التعيين: ١٢. تاريخ الإسلام: (وفيات ٣١١-٣٢٠): ٤٠٧-٤٠٨. سير أعلام النبلاء: ١٤/٣٦٠. العبر: ١/٤٦١. مسالك الأبصار: ٧/١٠٤-١٠٥، وفيه أن وفاته سنة ٣٥١هـ. الوافي: ٥/٢٢٨-٢٢٩. البلغة: ٥/٦. نزهة الألباب: ١/٣٣٩. البغية: ١/٤١١-٤١٣. طبقات المفسرين: ١/٩-١٢. مفتاح السعادة: ١/١٥٢-١٥٦. طبقات المفسرين (الأدنه وي): ٥٢. ديوان الإسلام: ٢/٣٨٣.

عشرين ألف دينار. وكانت غاية أمنيتي. فلما ولِيَ القاسم الوزارة وأنا نديمه ومُلازمه هِبتُه أن أُذَكّره، فلما كان اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق، لم أرَكَ تذكرني بالنذر. فقلتُ: عوّلتُ على رعاية الوزير. فقال لي: إنّه المعتضد ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك إليك في مكانٍ واحدٍ، ولكني أخاف أن يصير لي معه حديث في ذلك، فاسمحْ بأخذه متفرّقا. فقلتُ: يا سيدي، افعلْ. فقال: اجلسْ للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار، واشتغل عليها ولا تمتنع من مسألتي شيئا تخاطبني فيه صحيحا كان أو محالا إلى أن يحصل لك مال النذر. فكنتُ أعرض عليه كلّ يوم رقاعاً، فيوقّع لي فيها، وربّما قال: كم ضمن لك على هذا؟ فأقول كذا وكذا. فيقول: غبنتَ، هذا يساوي كذا وكذا، ارجعْ فاستزده. فأراجع القوم ولا أزال أماكسهم حتى أبلغ الحدّ الذي رُمته. فحصل عندي عشرون ألف دينارٍ وأكثر في مُدَيدة، فقال لي بعد شهور: يا أبا إسحاق، حصل مال النذر؟ فقلتُ: لا. فسكتَ، وكنتُ أعرض عليه، ويسألني كلّ شهر ونحوه: حصل مال النذر؟ فأقول: لا، خوفا من انقطاع الكسبِ، إلى أن حصل لي ضعف ذلك، فسألني يوما، فاستحييتُ من الكذب المتصل، فقلت: قد حصل ذلك ببركة الوزير. فقال: فرّجتَ والله عني، وقد كنتُ مشغولَ القلب إلى أن يحصل لك، ثم وقع إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة، فأخذتها، وامتنعتُ أن أعرضَ عليه شيئا، فلما كان من الغد، جئت، وجلستُ على رسمي، فأومأ إليّ أن هاتِ ما معك، فقلتُ: ما أخذتُ من أحدٍ شيئا لأنّ النذر حصل. فقال: يا سبحان الله! أتراني أقطع عنك شيئا قد صار فيك عادة وعلمه الناس وصارت لك به وجاهة ومنزلة وللناس غدوّ ورواح إلى بابك، ولا يُعلَم السبب فيُظنّ ذلك لضعف جاهك عندي؟ اعرضْ عليّ رسمك وخذ بلا حساب. فقَبّلتُ يده وباكرتُ إليه بالرقاع، ولم أزل كذلك إلى أن مات.

ومن تصانيف الزجّاج: معاني القرآن. الاشتقاق. المؤاخذات على فصيح ثعلب. العروض. القوافي. الفرق. خلق الإنسان. خلق الفرس. مختصر في النحو. فعلتُ وأفعلتُ. ما ينصرف وما لا ينصرف. شرح أبيات سيبويه. النوادر. الأنواء. ما فسّر من

جامع المنطق.

قال ياقوت: قال ابن بشران: كان أبو إسحاق الزجّاج ينزل بالجانب الغربيّ من بغداد بالموضع المعروف بالدُّوَيرة، وأنشدتُ له:

قعودي لا يردّ الرزقَ عني … ولا يدنيه إن لم يُقضَ شيُّ
قعدتُ فقد أتاني في قعودي … وسرتُ فعافني والسير لَيُّ
فلما أن رأيت القصدَ أدنى … إلى رشدي وأنَّ الحرصَ غيَّ
تركتُ لمدلجٍ دَلَجَ الليالي … ولي ظلٌّ أعيشُ به وفَيُّ

وأخرج الخطيب عن أبي علي الفارسيّ، قال: دخلتُ مع شيخنا أبي إسحاق الزجّاج على القاسم بن عبيدالله الوزير، فورد عليه خادم، فسارّه بشيء، فقام وعاد بسرعة، فسأله شيخنا عن ذلك، فقال: اشتريت جارية، ومضيتُ لافتضاضها، فوجدتها قد حاضت. فأخذ شيخنا الدواة، وكتب:

فارسٌ ماضٍ بحربته … حاذقٌ بالطعن في الظُّلَمِ
رامَ أن يُدمي فريسته … فاتقته من دمٍ بدمِ

وأخرج الخطيب عن القاضي محمد بن أحمد بن المحرّم قال: جرى بين إبراهيم بن السري الزجّاج وبين المعروف بمَسَّينة، وكان من أهل العلم، شرٌّ، فاتصل ونسجه إبليس وأحكمه حتى خرج الزجّاج إلى حدّ الشتم، فكتب إليه مَسَّينة:

أبى الزجّاج إلا شتمَ عِرضي … لينفعَه فآثمه وضَرَّهْ
وأقسمُ صادقا ما كان حرٌّ … ليطلقَ لفظةً في شتمِ حرَّهْ
ولو أني كرَرْتُ لفرَّ مني … ولكن للمنون عليَّ كَرَّهْ
فأصبح قد وقاه الله شرّي … ليومٍ لا وقاه الله شَرَّهْ

فلما اتصل هذا بالزجّاج قصده راجلا حتى اعتذر إليه وسأله الصفح.

قال الخطابيّ في كتابه تفسير اللغة التي في مختصر المزنيّ في كتاب الشفاعة: بلغني عن إبراهيم بن السري الزجّاج النحويّ أنّه كان يذهب إلى أنّ الصاد تُبدل سينا

مع الحروف كلّها لقرب مخرجها، فحضر يوما عند علي بن موسى، فتذاكروا هذه المسألة، واختُلِفَ فيها، وثبت الزجّاج على مقالته، فلم يأتِ على ذلك إلا قليل من المدّة، فاحتاج الزجّاج إلى كتاب لبعض العُمّال في العناية به، فجاء إلى علي بن عيسى الوزير يتنجّز الكتاب، فلما كتب علي بن عيسى صدر الكتاب، وانتهى إلى ذكره كتب: وإبراهيم بن السري من أخسّ إخواني. فقال الزجّاج: أيّها الوزير، الله الله في امرئ يُقال له علي بن عيسى، إنّما أردت "أخَصّ" وهذه لغتك. فانصرف، فإن رجعت وإلا أنفذت.

قال: وجدت في كتاب المرزبانيّ في كتاب المقتبس، وابن النديم في فهرسته قالا: كان السبب في اتصال الزجّاج بالمعتضد أنّ بعض الندماء وصف للمعتضد كتابَ جامع المنطق الذي عمله محبرة النديم أبو جعفر واسمه محمد بن يحيى بن أبي عباد العسكريّ، وكان حسنَ الأدب، ونادم المعتضد، وجعل كتابه جداولَ، فأمر المعتضد القاسم بن عبيد أن يطلب من يفسّر تلك الجداول، فبعث إلى ثعلب، وعرضه عليه، فلم يتوجّه إلى حساب الجداول، وقال: لستُ أعرف هذا. فكتب ابن عبيدالله إلى المبرِّد أن يفسّرها، فأجابهم أنّه كتابٌ طويل يحتاج إلى تعب، وأنّه قد كبر، وضعف عن ذلك، فإن بعثتموه إلى صاحبي إبراهيم بن السري رجوتُ أن يفي بذلك. فأخبر بذلك المعتضد، فتقدّم إليه بالتقدّم إلى الزجّاج بذلك، ففعل القاسم، فقال الزجّاج: أنا أعمل ذلك على غير نسخة، ولا نظر في جدول، فاستعار الزجّاج كُتبَ اللغة من ثعلبٍ والسُّكّريَ وغيرهما؛ لأنّه كان ضعيف العلم باللغة، ففسّر الثُّنائيّ كلّه، وحمله إلى الوزير، وحمله الوزير إلى المعتضد، فاستحسنه، وأمر له بثلاثمائة دينار، وتقدّم إليه بتفسيره كلّه، ولم يُخرِج لما عمله الزجّاج نسخة إلى أحد إلا إلى خزانة المعتضد ووزيره، وصار له لهذا السبب منزلة عظيمة، وجُعِل له رزق في الندماء، وورد في الفقهاء، وورد في العلماء نحوَ ثلاثمائة دينار.

قال الحافظ زكيّ الدين المنذريّ في تاريخ مصر: نقلتُ من خطّ الإمام أبي الحسن علي بن يحيى بن الجارود أخبرنا القاضي أبو الحسن الخلعيّ حدثنا أبو محمد بن

الحمامي إجازةً، قال: حدثني أبو عبدالله بن طاهر نقيب الأشراف بمصر قال: حدثني عبد غلام الزجّاج قال: قدمتُ مع أستاذي الزجّاج من بغداد إلى مصر، وأقمنا بها، ثم خرجنا إلى تنيس نشتري بها متاعا، فبينما أنا بها إذا بصائحٍ يصيح: مات الزجّاج، فجئتُ إلى الدار وهو ممدود والناسُ حواليه، فلما كان بعد وقتٍ تحرّك ورفع عينيه، فسألناه عن حاله، فقال: رأيتُ كأني ميت، وأوقفتُ بين يدي ربّي عزَّ وجلّ، وسألني عن كلِّ شيءٍ حتى عن تخيّر الشر، ففرحنا لسلامته، فلما كان من الغد توفي.

قال الخطيب: توفي الزجّاج يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. وقال الزّبيديّ: توفي الزجّاج ببغداد سنة ستّ عشرة وثلاثمائة، وقد أناف على الثمانين. وقال ياقوت: حكى ابن مهذّب في تاريخه قال: حدثني أبو العلاء المعرّيّ أنّه سمع عنه ببغداد أنّه لما حضرته الوفاة سئل عن سنّه فعقد لهم: سبعين. وآخر ما سمع منه: اللهُمَّ، احشرني على مذهب أحمد بن حنبل.

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه(١): أنبأنا أبو الفرج غيث بن علي أنشدنا الأمير سعيد الدولة أبو تراب علي بن الحسين الربعيّ أنشدنا أبو الحسن رشأ بن نظيف أنشدنا في سرّ من رأى أنشدنا أبو القاسم الزجّاجيّ أنشدني أبو إسحاق الزجّاج، قال: من أحسن ما قيل في الشيب قول ابن الروميّ، قال: وأنشدنيه لنفسه:

كما لو أردنا أن نحيل شبابنا ... مشيبا ولم يأنِ المشيبُ تعذّرا
كذلك يُعيينا إعادة شيبنا ... شبابا إذا ثوب الشباب تحسّرا
أبى الله تدبير ابن آدم نفسَه ... وأنّى يكون العبدُ إلا مدَبَّرا

في معجم الأدباء لياقوت: قال حمزة بن الحسن الأصبهانيّ في كتاب الموازنة قال: الزجّاجُ يزعمُ أنَّ كلَّ لفظتين اتفقتا ببعض الحروف، وأنَّ بعض حروف إحداهما غير حروف الأخرى، فإنَّ إحداهما مشتقة من الأخرى.

---

(١) تاريخ دمشق: ٤١٧/٤٠.

[٥٦]*

الزَّجَّاجِيّ

أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق تلميذ أبي إسحاق الزجَّاج.

قال ابن عساكر: من أهل بغداد، سكن طبريَّة، وأملى وحدَّث بدمشق عن محمد بن العباس اليزيديّ، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وإبراهيم بن السري الزجّاج، وأبي بكر بن دُريد، وأبي عبدالله نفطويه، وأبي بكر بن الأنباريّ، وأبي عبدالله الحسين بن محمد الرازيّ، وأبي علي الحسن بن علي العنزيّ.

روى عنه: أحمد بن علي الحبّال الحلبيّ، وأبو الحسن العتبيّ، وعبد الرحمن بن محمد بن نصر، وأبو محمد بن أبي نصر، وأبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمة النحويّ، وأبو علي الحسن بن علي السّقليّ.

وله كتاب مختصر لقّبه " الجُمَل" وله تصانيف وأمالي.

وروي عن أبي علي الفارسيّ أنّه قال: وقفت على كلامه في النحو، لو رآنا لاستحيا.

وإنَّما قيل له الزجّاجيّ لأنُه كان صاحبَ أبي إسحاق الزجّاج، لازمه وأخذ عنه. وله كتبٌ عدةٌ مصنّفة في علم النحو.

---

[*] انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين: ١١٩. الفهرست: ١٢٧. تاريخ العلماء النحويين: ٣٦-٣٧. الإكمال: ٤/٢٠٥-٢٠٦. الأنساب: ٣/١٤١. تاريخ دمشق: ٣٤/٢٠٢-٢٠٤. نزهة الألباء: ٢٢٧. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢١/١١٦. إنباه الرواة: ٢/٤٧٥-٤٧٦. الوافي: ١٨/٦٧. مرآة الجنان: ٢/٢٤٩-٢٥٠. إشارة التعيين: ١٨٠-١٨١. تاريخ الإسلام (وفيات ٣٣١-٣٤٠) ١٩١. سير أعلام النبلاء: ١٥/٤٧٥-٤٧٦. العبر: ٢/٦٠. البلغة: ١٢١-١٢٢. البغية: ٢/٧٧. نزهة الألباب: ٢/٢٩٥. شذرات الذهب: ٣/٦٣-٦٤. ديوان الإسلام: ٢/٣٨٤.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- الزجّاجي: حياته وآثاره ومذهبه النحوي من خلال كتابه الإيضاح.
- الزجّاجي ومذهبه في النحو واللغة.

مات بطبريّة في شهر رمضان سنة أربعين وثلاثمائة، وقيل: في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين.

قال الزجّاجيّ في أماليه[١]: حدثني أبي حدثنا محمد بن سعيد حدثنا غالب عن أبي يحيى القطّان عن يحيى بن المتوكّل عن هلال بن أبي هلال عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله (ﷺ): «أكثروا عليَّ الصلاة في يوم الجمعة؛ فإنّها تعرَضُ».

وقال: حدثنا أبو الفضل جعفر بن أحمد بن محمد بن الصباح الجرجانيّ في سنة ستٍّ وثلاثمائة حدثنا عبدالله بن معاوية الجمحيّ حدثنا صالح المرّي عن الحسن عن أنس بن مالك أنَّ سائلا أتى النبي (ﷺ) فأعطاه تمرة. فقال السائل: نبيٌّ من الأنبياء يتصدّق بتمرة؟! فقال النبي (ﷺ) :أما علمتَ أنَّ فيها مثاقيل ذر كثير.

من تصانيف الزجّاجيّ: كتاب إيضاح علل النحو[٢]، قال فيه: اعلمْ أنَّ العللَ التي أودعتها هذا الكتاب والاحتجاجات على ثلاثة أضربٍ: ضَرْبٌ منه مما كان مسطورا في كُتب البصريين والكوفيين بألفاظٍ مستغلقة صعبة، فعبّرتُ عنها بألفاظٍ قريبة من فهمِ الناظرين، وهذّبتها، وسهّلتُ مراتبها والوقوفَ عليها. وضَرْبٌ منه مما استنبطته على أصول القوم، واخترعته حسبما رأيت الكلام ينساق فيه، والقياس يطّرد عليه. وضَرْبٌ منها أخذته من علمائنا الذين لقيتهم، وقرأت عليهم سماعا مما لم يُسَطّر في كتاب ولا يكاد يوجد.

فمن العلماء الذين لقيتهم ، وقرأت عليهم، وأخذتُ منهم من البصريين شيخنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج، وأبو جعفر محمد بن رستم الطبريّ غلام أبي عثمان المازنيّ، وأبو الحسن بن كَيسان، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن العباس

---

(١) لم يرد في أمالي الزجاجي.
(٢) الإيضاح في علل النحو، ٧٨-٨٠.

المعروف بابن شُقَير، وأبو بكر محمد بن أحمد بن منصور المعروف بابن الخيّاط، وأبو بكر بن السرّاج، وأبو الحسن علي بن سليمان الأخفش.

ومن علماء الكوفة الذين أخذتُ عنهم أبو الحسن بن كَيسان، وأبو بكر بن شُقَير، وأبو بكر بن الخيّاط؛ لأنّ هؤلاء قدوة أعلام في علم الكوفيين، وكان أول اعتمادهم عليه، ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك، فجمعوا بين العلمين، وأبو بكر بن الأنباريّ، وأبو موسى المعروف بالحامض وكان الأغلب عليه علم اللغة إلا أنّا قد أخذنا عنه حكايات يسيرة، وأبو الفضل الملقّب بزبيل، وأبو محمد عبدالله بن مالك الضرير، وغير هؤلاء ممن لم يُشتهر من الكوفيين؛ وإنّما ذكرتُ لك أسماء من أخذتُ عنه وقرأت عليه؛ لتكون على ثقة مما أنقله لك، وأسنده إلى كلٍّ فريق منهم، وأكثر ما أذكره من احتجاجات الكوفيين إنّما أعبِّرُ عنه بألفاظِ البصريين.

في كتاب اللطائف واللطف لأبي منصور الثعالبيّ(١): كان أبو القاسم الزجّاجيّ(٢) يقول: ما حرَّم الله شيئا إلا وأحلَّ بإزائه خيرا: حرَّم الميتة وأباح المُذَكَّى، وحرَّم الخمر وأباح النبيذ، وحرَّم الربا وأباح البيع(٣).

---

(١) لطائف اللطف: ٨٨-٨٩.

(٢) نسب الثعالبي هذه اللطيفة إلى أبي العباس بن سريح الشافعيّ. انظر: لطائف اللطف: ٨٨.

(٣) بعد هذه الترجمة مدّ قلم لا علاقة له بترجمة أبي القاسم الزجّاجيّ؛ لأنّه إقحام لجدل نحويّ في زيادة الباء، وحذف همزة الاستفهام، وشيء من شعر المتنبي ينتهي به الجزء الأوّل من المخطوط.

[٥٧]*

ابن السَّرَّاج

أبو بكر محمد بن السَّرِيّ.

قال الخطيب في تاريخه: كان أحدَ العلماء المذكورين بالأدب وعلم العربيّة، صحبَ المبرِّد، وأخذ عنه العلم. روى عنه أبو سعيد السيرافيّ، وعلي بن عيسى الرُّمَّانيّ، وكان ثقةً.

أخبرنا علي بن أبي علي قال: حدثنا علي بن عيسى بن علي النحويّ قال: كان أبو بكر بن السَّرَّاج يقرأ عليه كتاب الأصول الذي صنَّفه، فمرَّ فيه باب استحسنه بعضُ الحاضرين، فقال: هذا والله أحسن من كتاب المقتضب. فأنكر عليه أبو بكر ذلك، وقال: لا تقل هذا. وتمثَّل ببيت، وكان كثيرا ما يتمثَّل فيما يجري له من الأمور بأبياتٍ حسنة، فأنشد حينئذٍ:

ولكن بكتْ قبلي فهيَّجَ لي البكا بكاها فقلتُ الفضل للمتقدِّم

قال: وحضر في يوم من الأيام بُنَيٌّ له صغير، فأظهر من الميل إليه والمحبة له ما يكثر من ذلك، فقال له بعضُ الحاضرين: أتحبُّه أيُّها الشيخ؟ فقال متمثِّلا:

أحبُّه حبَّ الشحيحِ مالَه قد كان ذاق الفقرَ ثم نالَه

مات ابن السَّرَّاج يوم الأحد لثلاثٍ بقينَ من ذي الحجة سنة ستَّ عشرة وثلاثمائة.

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويين: ١٣٥. طبقات النحويّين واللغويّين: ١١٢-١١٤. الفهرست: ٢٤٩. نور القبس: ٣٤٣. تاريخ بغداد: ٣٦٥-٣٦٦. الأنساب: ٣/٢٤١-٢٤٢. نزهة الألباء: ١٨٦-١٨٧. المنتظم: ١٣/٢٧٧-٢٧٨. معجم الأدباء: ٦/٢٥٣٤-٢٥٣٧. إنباه الرواة: ٣/١٤٥-١٤٧. إشارة التعيين: ٣١٣. تاريخ الإسلام: (وفيات ٣١١-٣٢٠): ٥٢٣-٥٢٤. سير أعلام النبلاء: ١٤/٤٨٣-٤٨٤. العبر: ١/٤٧٢. مسالك الأبصار: ٧/١٠٢-١٠٣. الوافي: ٣/٧٣-٧٤. كتاب الوفيات: ٢٠٤. البلغة: ١١٥-١١٦. البغية: ١/١٠٩-١١٠. شذرات الذهب: ٢/٤٧٠-٤٧١. ديوان الإسلام: ٣/٤٧، ١٣٦.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- الجهود اللغويّة لابن السرّاج.

وقال ياقوت: قال أبو عبيدالله المرزبانيّ: كان ابن السَّرَّاج أحدثَ غلمان المبرِّد سِنًا مع ذكاء وفطنة، وكان المبرِّد يستعين به، ويشرح له، وقرأ عليه كتاب سيبويه، ثم استقلَّ بعلم الموسيقى، فسئل عن مسألة بحضرة الزّجّاج، فأخطأ في جوابها، فانتهره الزجّاج ووبّخه، وقال: مثلُك يخطئ في مثلِ هذه المسألة؟! والله لو كنت في منزلي لضربتك، ولكنَّ المجلسَ لا يحتمل ذلك، وما زلنا نشبّهك في الذكاء بالحسن بن رجاء. قال: قد ضربتني يا أبا إسحاق، وكان علم الموسيقى قد شغلني عن أشغال هذا الشأن، ثم رفع إليه كتاب سيبويه، ونظر في دقائق مسائله، وجعل صناعته بالتقاسيم على لفظ المنطقيين، وعوَّل فيه على مسائل الأخفش والكوفيين، وخالفَ أصول البصريين في أبواب كثيرة.

ويُقال: ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السَّرَّاج بأصوله.

وقال المرزبانيّ: وكان الأخفشُ علي بن سليمان يعبث به وينشد أهاجيه، ولم تطل مدة ابن السَّرَّاج ولكن اغتبط، فمات شابا، وأخذ عنه أبو القاسم الزجّاجيّ، وأبو علي الفارسيّ، والسيرافيّ والرمّانيّ.

قال البطليوسيّ في شرح الفصيح: قال أبو بكر محمد بن السّريّ السَّرَّاج في يانس المُغنّي، وكان من أحسن الناس وجها، فحدَّث:

لي قمر جُدِّر لما استوى فزاده حسنا وزادت همومي
كأنّما غنّى لشمس الضّحى فَنَقَّطته طربا بالنجوم

قال: وذكر ابن خالويه أنَّ أحسنَ ما قيل في الجدريّ قول نفطويه:

وقالوا شانه الجدريّ فانظر إلى وجهٍ به أثر الكلوم
فقلت ملاحة نُثرت عليه وما حسن السماء بلا نجوم

قال البطليوسيّ: وأحسن من هذا وأغرب قول ذي الوزارتين أبي الوليد محمد بن عبدالله بن زيدون:

قال لي اعتلّ من هويتَ حسودا قلتُ أنتَ العليل ويحَكَ لا هُو

مـا الذي تنقمـون من بثـرات ... ضـاعـفت حـسنه وزادت حـلاهُ
وجـهـه في الصـفـاء والرقّة المسا ... ءُ فـلا غـرو أن خـبـأت عـلاه

وقال غيره: أحسن من هذا قول بعضهم:

قـالوا مـحـا الجُـدريّ مـهـجـتـه ... قـسـمـا بربٍّ سنّي لقـد كـذبوا
لكن ترقـرق خـمـر زينتـه ... فطفـا على وجناته الحَـبَبُ

وحضر بين يدي ابن السرّاج ولدٌ له فقيل له: أتحبُّه؟ فأنشد:

أحـبُّـه حبُّ الشـحـيحِ مـالَه ... قـد كـان ذاق الفـقـرَ ثم نالَه

قال الصلاح الصفديّ: كان ابن السرّاج إماماً في النحو أديباً شاعراً مُقبِلاً على الطرب والموسيقى، عشق ابن يانس المُغنّي، وغيره، وله أخبار وهِنات، وكان يهوى جارية، فجفته، فاتفق وصول الخليفة المكتفي من الرقّة في تلك الأيام، فاجتمع الناسُ لرؤيته، فلما رآه ابنُ السرّاج استحسنه، وأنشدَ أصحابَه:

قايستُ بين جمالها وخصالها[1] ... فـإذا الملاحـة بالخـيـانة لا تفي
حلفَتْ لنا أن لا تخـونَ عـهـودها ... فكـأنَّمـا حلفتْ لنا أن لا تفي
والله لا كلمـتُـهـا ولو انَّهـا ... كـالبدر أو كـالشمسِ أو كـالمكتفي

فأنشدها أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن زنجي الكاتب لأبي العباس بن الفرات، فأنشدها أبو العباس للقاسم بن عبيدالله بن الوزير، فاجتمع الوزير بالمكتفي، فأنشده إياها، فقال: لمن هي؟ فقال: لعبيدالله بن عبدالله بن طاهر. فأمر له بألف دينار، فوصلت إليه، فقال: ابنَ زنجي، ما أعجبَ هذه القصة! يعمل أبو بكر بن السرّاج أبياتا تكون سببا لوصول الرزق إلى عبيدالله بن عبدالله بن طاهر.

قال الصفديّ: هذه الأبيات في غاية الحسن، ومع لطفها وحسن ما فيها من الاستطراد جاء فيها لزوم التاء قبل الفاء، وقد تداولها الناس وملؤوا بها مجاميعهم، واشتهرت إلى أن قال ابن سناء الملك:

(١) في الوافي: ميزت بين جمالها وفعالها. انظر: ٣/٧٣-٧٤.

وملينة بالحسن يسخر وجهها ... بالبدر يهزأ ريقها بالقرقفِ
لا أرتضي بالشمسِ تشبيها لها ... والبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

وقال ابن النجَّار في تاريخه: أنبأنا عبد الوهاب بن علي عن محمد بن عبد الباقي أنَّ الحسنَ بن علي الجوهريّ أخبره عن أبي علي الفارسيّ النحويّ، قال: حدثني أبو الحسين أيوب بن العباس بن الحسن الوزير، قال: كان أخي أبو الحسين عشق جارية، فاشترتها له زيدانُ جاريةُ المقتدرِ، وزفَّتها إليه في ليلة كان فيها عنده ابن السَّرَّاج النحويّ، وأبو إسحاق الزجَّاج، وغيرهما، فقيل: الآن، ودخل إلى الجارية وهي بِكر، فلم يلبثْ أن عاد إلى القوم، فأنكروا حاله، وسألوه عن سرعة عَوده، فقال: وجدتها وقد حاضت الساعة، ففيكم من يحضره في هذا المعنى شيء من الشعر؟ فقال ابن السَّرَّاج في الوقت:

فارس ماضٍ بحِربته ... حاذق بالطعن في الظُّلَمِ
رام أن يُدمي فريستَهُ ... فاتقته من دمٍ بدمِ

وقال الإمام موفق الدين عبد اللطيف البغداديّ في تاريخه: أكملُ ما في النحو كتابُ سيبويه، وهو كتاب يحفَّه التأييد، ويكتنفه التسديد والتوفيق، لا يصل إلى مرتبته أحد من النحويين مع كثرتهم واجتهاداتهم وطول أعمارهم، وعاش سيبويه اثنتين وأربعين سنة، وبعده مما يصلح أن يُقرأ ويُدرَس كتاب الإيضاح لأبي علي، وكتاب اللمَع لابن جنِّي، ولا حاجة إلى أزيد من ذلك إلا شرح الكتاب لأبي سعيد السيرافيّ، ولم يكن يمكن أن يشرح الكتاب غيره، فرأيت شرحه للرُّمَّانيّ، وشرحه لأبي علي، وإنِّي لأربأ بهذين العظيمين أن أنسب إليهما هذين الشرحين، وكتاب ابن درستويه كتابٌ فاضل، وكذلك المقتضب للمبرِّد، ولم أجد كتابا زاحم كتاب سيبويه سوى كتاب الأصول لأبي بكر بن السَّرَّاج، وابنُ السَّرَّاج كان جليلَ المقدار عظيمَ الحُظوة، له كتابٌ قوَّته قوَّة المنطق يناهز اللمَع في القدر، ويشتمل على الأصول المنطقيَّة التي يُحتاج إليها في الصناعة النحويَّة، وهو أوّل من حدُّ الاسم بحدٍّ صناعيّ، وقرأتُ في التاريخ أنَّه كان

يجتمع بأبي نصر الفارابيّ، فيقرأ عليه صناعة المنطق، والفارابيّ يقرأ عليه صناعة النحو؛ لهذا تجد الفارابيّ تامّ الحذق باللسان العربيّ، وتجد أبا بكر يجري كلامه في النحو على القانون المنطقيّ مع أنّ الرُّمَّانيّ يتعانى ذلك، ويُصنِّف فيه، ورأيتُ له في ذلك تصانيفَ كِباراً وصِغاراً، والواجب أن يُرفَضَ كلّ ما يصدر عنه من هذا القبيل سوى كتاب إعجاز القرآن، وما يتضمنه كتابه الكبير في السِّيَر.

وقد كان أبو سعيد السيرافيّ، وعلي بن عيسى الرُّمّانيّ، وأبو علي الفارسيّ هؤلاء الثلاثة ببغداد في عصر واحد، وكان التلاميذ يقولون: إنّا ندخل إلى واحد فنفهم جميع ما يقول، يعنون السيرافيّ، وندخل إلى آخر فلا نفهم شيئاً مما يقول، يعنون الرُّمّانيّ، وندخل إلى الثالث فنفهم بعضا ونجهل بعضا، يعنون الفارسيّ.

وكان ابن جنّي يقع في الرُّمّانيّ على جهة التعصّب، ويُقال: إنّ الفارسيّ والرُّمّانيّ اجتمعا، فانقطع الفارسيّ، فقيل لعضد الدولة: إنّ غويّك قد انقطع. فقال: أمّا في النحو فلا. فكشف الأمر، وإذا بالرُّمّانيّ جذبه إلى مسألة أصوليّة، فانقطع فيها. انتهى.

وقال ياقوت: ولابن السَّرّاج من التصانيف: كتاب جُمَل الأصول. كتاب الموجز الصغير. كتاب الأصول الكبير. كتاب الاشتقاق، لم يتمّ ولو تمّ لكان آية. كتاب شرح سيبويه. كتاب إصحاح القراءة. كتاب الشعر والشعراء. كتاب الرياح والهواء والنار. كتاب الجُمَل. كتاب المواصلات في الأخبار والمذاكرات. كتاب الخطّ والهجاء.

قال: وقرأتُ في كتاب التذكرة لأبي علي الفارسيّ: أنشدني الشيخ أبو علي لأبي بكر بن السَّرّاج بيتين يخاطب بهما أباه في حالة الحداثة:

هَبكَ عُمِّرتَ عُمر سبعين نسرا ... أتراني أموتُ يوما وتبقى
ليتني عشت بعد موتك يوما ... لأشقنّ جيب مالك شقّا

قال العسكريّ في الأمثال: حدثنا أبو بكر بن السَّرّاج النحويّ حدثنا وكيع القاضي حدثنا إبراهيم بن أحمد القصباني ثنا عباس بن عامر بن قيس بن كعب بن معن بن عبد الرحمن بن أبيه عن ابن مسعود أنّ النبيّ (ﷺ) قال: «ما أعزّ الله بجهل قطّ، ولا أذل بعلمٍ قطّ».

[٥٨]*

السِّيْرافيّ

أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان، نزيل بغداد.

قال ياقوت: كان أبوه مجوسيًا، اسمه بهزاد أسلم فسُمِّي عبدالله، ولِدَ أبو سعيد السيرافيّ قبل السبعين ومائتين [بسيراف] وفيها ابتدأ بطلب العلم، ثم مضى إلى عُمان، وتفقَّه فيها، ثم إلى العسكر، ثم ورد بغداد، فخلف أبا محمد بن معروف قاضي القضاة على قضاء الجانب الشرقيّ، وكان أستاذه في النحو، ثم استخلفه على الجانبين.

وكان أبو سعيد إماما كبيرَ الشأن يدرِّسُ ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والحساب والعروض، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين عارفا بفقه أبي حنيفة، قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد، وأخذ اللغة عن ابن دُريد وأخذا هما عنه النحو، وأخذ النحو عن ابن السرّاج ومَبرَمان، وأخذا عنه القرآن والحساب.

قال ابن أبي الفوارس: كان يُذكَرُ عنه الاعتزال، ولم يظهر منه شيء، وكانت بينه وبين أبي الفرج صاحب الأغاني منافسة جرتِ العادة بمثلها بين الفضلاء، فقال فيه أبو الفرج:

لستَ صدراً ولا قرأتَ على صدْ ... رٍ ولا علمك البكيّ بشافِ
لعن الله كلَّ شعرٍ ونَحوٍ ... وعروضٍ يجيءُ من سِيرافِ

[*] انظر ترجمته في: الفهرست: ٩٩. طبقات النحويين واللغويين: ١١٩. تاريخ العلماء النحويين: ٢٨-٢٩. تاريخ بغداد: ٣٥٢/٧-٣٥٣. الأنساب: ٣٥٧/٣. نزهة الألباء: ٢٢٧-٢٢٩. المنتظم: ٢٦٤/١٤-٢٦٥. معجم الأدباء: ٨٧٦/٢-٩١٠. إنباه الرواة: ٣٤٨/١-٣٥٠. وفيات الأعيان: ٧٨/٢-٧٩. إشارة التعيين: ٩٣-٩٤. تاريخ الإسلام (وفيات ٣٦١-٣٧٠) ٣٩٤-٣٩٥. سير أعلام النبلاء: ٢٤٧/١٦-٢٤٩. الوافي: ٤٧/١٢-٤٩. مرآة الجنان: ٢٩٣/٢-٢٩٤. الجواهر المضية: ٦٦/٢-٦٧. البلغة: ٦١-٦٢. النجوم الزاهرة: ١٣٨/٤. البغية: ٥٠٧/١-٥٠٩. شذرات الذهب: ١٧٦/٣-١٧٧. ديوان الإسلام: ٩٣/٣.

وجرت بينه وبين متّى بن يونس الفيلسوف مناظرة طويلة في أمر المنطق.

وكان أبو حيّان التوحيديّ يعظّمه، وقد ملأ تصانيفه بذكره والثناء عليه وذكر فضائله. قال في كتابه تقريظ الجاحظ: أبو سعيد السيرافيّ شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفةً بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة، أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة ما وجِدَ له خطأ ولا عُثِرَ منه على زلّة، وقضى ببغداد، وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة ومائتي ورقة بخطه في السليمانيّ، فما جاراه فيه أحد ولا سبقه إلى تمامه إنسان، هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرواية، صام أربعين سنة أو أكثر الدهر كلّه.

قال ياقوت: وله من الكتب: كتاب شرح كتاب سيبويه. كتاب ألفات القطع والوصل. كتاب أخبار النحويين البصريين. كتاب شرح مقصورة ابن دُريد. كتاب الإقناع في النحو، لم يتمّ فتمّمه ولده يوسف، وكان يقول: وضع أبي النحو في المزابل بالإقناع، يريد أنّه سهّله حتى لا يحتاج إلى مفسّر. كتاب شواهد كتاب سيبويه. كتاب الوقف والابتداء. كتاب صنعة الشعر والبلاغة. كتاب المدخل إلى كتاب سيبويه. كتاب جزيرة العرب.

قال الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة السيرافيّ: سكن بغداد، وحدّث بها عن محمد بن أبي الأزهر البوشنجيّ، وأبي عُبيد بن حربويه الفقيه، وعبدالله بن محمد بن زياد النيسابوريّ، وأبي بكر بن دُريد، ونحوهم. حدثنا عنه الحسين بن محمد بن جعفر الخالع، ومحمد بن عبد الواحد بن رزمة، وعلي بن أيوب العمّي. وكان يسكن بالجانب الشرقيّ، وولي القضاء ببغداد، وكان أبوه مجوسيا، اسمه بهزاد، فسمّاه أبو سعيد عبدَالله. سمعت رئيس الرؤساء شرف الوزراء أبا القاسم علي بن الحسن يذكر أنّ أبا سعيد السيرافيّ كان يدرِّسُ القرآن والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والكلام والشعر والعروض والقوافي والحساب. وذكر علوما سوى هذه،

وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، وينتحل في الفقه مذهب أهل العراق.

وقرأ على أبي بكر بن مجاهد القرآنَ، وعلى أبي بكر بن دُريد اللغة، ودرسا جميعا عليه النحوَ، وقرأ على أبي بكر بن السَّرَّاج، وعلى أبي بكر المَبْرَمان النحوَ، وقرأ عليه أحدهما القرآنَ ودرس الآخر عليه الحسابَ.

وكان زاهدا لا يأكل إلا من كسب يده، وكان لا يخرج إلى مجلس الحُكم ولا إلى مجلس التدريس في كلّ يوم إلا بعد أن ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشرة دراهم تكون قدر مؤونته، ثم يخرج إلى مجلسه، وكان يُذكَرُ عنه الاعتزال، ولم يكن يظهر شيئا من ذلك، وكان نزيها عفيفا جميل الأمر، حسنَ الأخلاق، توفي بين صلاتي الظهر والعصر في يوم الاثنين الثاني من رجب سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة عن أربعٍ وثمانين سنة، ودُفِن في مقبرة الخيزران. انتهى.

وقال أبو حيّان التوحيديّ في كتاب الإمتاع والمؤانسة(١): أوصلَ وهب بن يعيش الرقي اليهوديَ رسالة يقول في عُرضها بعد التقريض الطويل العريض أنَّ هنا طريقا في إدراك الفلسفة مُذَلّلةً مسلوكة مختصرة فسيحة ليس على سالكها كدّ ولا شَقّ في بلوغ ما يريد من الحكمة ونيل ما يطلب من السعادة وتحصيل الفوز في العاقبة، وأنَّ أصحابنا طوّلوا وهوّلوا وطرحوا الشوك في الطريق ومنعوا من الجواز عليه غُشًا منهم وبخلا ولؤم طباع وقلة نُصح وإتعابا للطالب وحسدا للراغب، وذلك أنَّهم اتخذوا المنطق والهندسة وما دخل فيها معيشة مُكسِبة ومأكلة ومشربة، فصار ذلك كسورٍ من حديد لطلاب الحكمة والمحبّين للحقيقة والمتصفّحين لأبناء العالم، وكلاما هذا معناه، وإلى هذا يرجع مغزاه، وكان من الجواب: قد عرفت مذهب ابن يعيش في هذا الباب، وهو جاري، وكتب هذه الرسالة على هذا الطراز بالأمس إلى الملك السعيد سنة سبعين، وتقرّب بها ونفعته بالمسألة والتفقّد له؛ فإنّه شديد الفقر ظاهر الخصاصة لاصق بالدقعاء.

وللذي قاله وادعاه وقصده وانتحاه وجهٌ واضح وحجة ظاهرة، والذي قاله

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١/١٠٤-١٣٤.

أصحابنا، أعني مخالفته، وجه أيضا وتأويل، وللقولين أنصار وحُماة وحفظة ورُعاة، قال: هاتِ على بركة الله، فإني أحبّ أن أسمع في هذ الخطب كلٌّ ما فيه، وأكثر ما يتصل به، فكان الجواب أنَّ ابن يعيشَ يريد من هذه الخطبة أنَّ عُمر الإنسان قصير، وعلم العالِم كبير، وسرّه مغمور، وكيف لا يكون كذلك وهو ذو صفائح مركبة بالرصف المُحْكَم وذو قصائد مرتّبة التأليف المعجب المتقن؟ والإنسان الباحث عنه وعمّا يحويه ذو قُوى متقاصرة وموانع معترضة ودواعٍ ضعيفة، وأنّه مع هذه الأحوال منتبه الحسّ حالم بالعقل عاشق للشاهد ذاهل عن الغائب مستأنس بالوطن الذي ألفه ونشأ فيه مستوحش من بلد لم يسافر إليه ولم يسلم به، وإن كان صدر عنه فليس له بذلك معرفة ثاقبة ولا ثقة تامة، فإنَّ الأولى بهذا الإنسان المنعوت بهذا الضعف والعجز أن يلتمس مسلكا إلى سعادته ونجاته قريبا، ويعتصم بأسهل الأسباب على قدر جهده وطَوقه، وأسهل الأسباب هو في معرفة الطبيعة والنفس والعقل والإله تعالى، فإنّه متى عرف هذه الجملة بالتفصيل واطّلع على هذا التفصيل بالجملة، فقد فاز الفوز الأكبر، ونال الملك الأعظم، وكُفيَ مؤونة عظيمة في قراءة الكتب الكبار ذوات الورق الكبير مع العناء المتصل في الدرس والتصحيح والنُّصَب في المسألة، والجواب والتنقير عن الحقّ والصواب.

وهذا الذي قاله ابن يعيش ليس بحَيفٍ ولا بخارجٍ عن حومة الحقّ، وإن كان الأمرُ فيه صعبا وشاقّا وهائلا وعائلا، ولكن ليس لكلّ واحد هذه القوة الفائضة، وهذه الخصوصية الناهضة، وهذا الاستبصار الحسن، وهذا الطبع الوقّاد، والذهن المنقاد، والقريحة الصافية، والاستبانة والتأمّل؛ لأنَّ هذه القوة إلهيّة، فإن لم تكن إلهية فهي ملكية، فإن لم تكن ملكية فهي في أفق البشريّة.

وليس يوجد صاحب هذا النعت إلا في الشاذ والنادر في دهر مديد بين آماد جمّة العدد ذو الفائق من كلّ شيء، والبائن من كلّ صنف عزيز في هذا العالَم الوحشيّ، كما أنَّ الرديء والفاسد معدوم في ذلك العالم اللاهي.

ويمكن أن يقال بالمثل الأدنى: إنّ من يتكلم بالإعراب والصِّحّة ولا يلحن ولا يخطئ ويجري على السليقة الحميدة والضريبة السليمة قليلٌ أو عزيزٌ، وإنّ الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجيّة وهذا المنشأ إلى أن يتعلّم النحو، ويقف على أحكامه، ويجري على منهاجه، ويفي بشروطه في أسماء العرب وأفعالها وحروفها وموضوعاتها ومستعملاتها ومهملاتها، ومتى اتفق إنسان بهذه الحيلة وعلى هذا النجار، فلعمري إنّه غنيٌّ عن تطويل النحويين، كما يستغني قارض الشعر بالطبع عن علم العروض، وهكذا يستغني صاحب تلك القوة التي أشار إليها ابن يعيش عن المنطق والهندسة والحساب والموسيقى والطبِّ وغير ذلك، ولكن، أين ذاك الفرد والشاذّ والنادر؟ فإن حضر فما نفعك منه إلا أن تقلّده، وتأخذ عنه، وتتبعه، وإنّما المدار على أن تكون أنتَ بهذا الكمال حائزا لهذه الغاية، ولا سبيل لك إليه من تلقاء نفسك، وإنّما هو شيء يأتي إليك من تلقاء غيرك.

وإذاً، فبالضرورة وبالواجب ما ابتغى أن يخطو على آثار المصنِّفين والطبيعيين والمهندسين بالزحف والعناء والتكلّف والدؤوب حتى تصير متشبّها بذلك الرجل الفاضل والواحد الكامل والبديع النادر.

فلقد بان من هذا القدر صواب ما أشار إليه ابنُ يعيش، وانكشف أيضا وجه ما حثّ عليه مخالفوه، ولا عيبَ على المنقوص أن يطلب الزيادة ببذل المجهود، وإن كان الكامل مغبوطا بما مُنِح من الغبطة من غير طلب.

وأما قوله في صدر كلامه: «إنّ القوم صدّوا عن الطريق وطرحوا الشوك فيه واتخذوا نشر الحكمة مجالا للمنالة العاجلة»، فما أبعد، بل قارَبَ الحقَّ، فإنّ متّى كان يملي ورقة بدرهم مقتدريّ وهو سكران لا يعقل، ويتهكّم وهو عند ذاته في ربح، وهو من الأخسرين أعمالا الأسفلين أحوالا.

ثم إنّي، أيُّها الشيخ، أحياك الله لأهل العلم وأغنى بك طالبيه، ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح جعفر بن الفرات بين أبي سعيد السيرافيّ

وأبي الليث متَّى، واختصرتها، فقال لي: اكتب هذه المناظرة على التمام، فإنَّ شيئًا يجري في ذلك المجلس النبيه بين هذين الشيخين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يغتنم سماعه، وتُوعى فوائده، ولا يُتهاون بشيءٍ منه.

فكتبتُ: حدثني أبو سعيد بلُمعٍ من هذه القصة، فأما علي بن عيسى الشيخ الصالح، فإنَّه رواها مشروحة، قال: لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلاثمائة، قال الوزير ابن الفرات للجماعة- وفيهم الخالديّ، وابن الأخشيد، والكتبي، وابن أبي بشر، وابن رباح، وابن كعب، وأبو عمرو قدامة، وجعفر، والزهيريّ، وعلي بن عيسى الجراح، وابن فراس، وابن رشيد، وابن عبد العزيز الهاشميّ، وابن يحيى العلويّ، ورسول بن طغج من مصر، والمرزبانيّ صاحب السامان- : أريد أن ينتدب منكم إنسان لمناظرة مَتَّى في حديث المنطق، فإنَّه يقول أنَّه لا سبيل إلى معرفة الحقّ من الباطل، والصدق من الكذب، والخير من الشرّ، والحجة من الشبهة، والشكّ من اليقين إلا بما حويناه من المنطق، وملكناه من القيام به، واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه. فأحجم القوم، وأطرقوا.

قال ابن الفرات: والله إنَّ فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته وكسرِ ما يذهب إليه، وإنّي لأعدّكم في العلم بحاراً، وللدين وأهله أنصاراً، وللحقّ وطُلابه مناراً، فما هذا الترامز والتغامز اللذان تجلِّون عنهما؟ فرفع أبو سعيد السيرافيّ رأسه، وقال: اعذرْ أيُّها الوزير، فإنَّ العلم المصون في الصدر غير العلم المعروض في هذا المجلس على الأسماع المصيخة، والعيون المحدقة، والعقول الجامدة، والألباب الناقدة؛ لأنَّ هذا يستصحب الهيبة، والهيبة مَكْسَرة، ويجتلب الحياء، والحياء مَغْلبة، وليس البِراز في معركة خاصّة كالمِصاع في بقعة عامة.

فقال ابن الفرات: أنتَ لها يا أبا سعيد، فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار لنفسك راجع إلى الجماعة بفضلك. فقال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما يراه هجنة، والاحتجاز عن رأيه إخلاد إلى التقصير، ونعوذ بالله

من زلّة القدم، وإيّاه نسأل حسن المعونة في الحرب والسلم.

ثم واجه متّى وقال: حدثني عن المنطق؛ ما تعني به؟ فإذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه وردّ خطئه على سَنَن مرضيّ وطريقة معروفة.

قال متّى: أعني به أنّه آلة من آلات يُعرَفُ بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، كالميزان فإنّه يُعرَفُ به الرجحان من النقصان والشائل من الحائج.

فقال أبو سعيد: أخطأتَ لأنّ صحيح الكلام من سقيمه يُعرَفُ بالنظم المألوف، والإعراب المعروف إذا كنّا نتكلّم بالعربيّة، وفاسد المعنى من صالحه يُعرَف بالعقل إذا كنّا نبحث بالعقل، وهبكَ عرفتَ الراجح من الناقص من طريق الوزن، مَن لك بمعرفة الوزن أهو حديد أم ذهَب أو شَبَّة؟ فأراك بعد معرفة الوزن فقيرا إلى معرفة جوهر الموزون، وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عَدّها، فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك، وفي تحقيقه كان اجتهادك إلا نفعا يسيرا من وجه واحدٍ، وبقيت عليك وجوهٌ، فأنتَ كما قال الأوّل:

حفظتَ شيئا وغابت عنك أشياءُ

وبعدُ؛ فقد ذهب عليك شيءٌ ههنا: ليس كلّ ما في الدنيا يوزن بل فيها ما يوزن، وفيها ما يُكال، وفيها ما يُذْرَع، وفيها ما يُمْسَح [وفيها ما] يُحرَز. وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المرئيّة، فإنّه على ذلك أيضا في المعقولات المقررة، والإحساسات ظلال العقول، وهي تحكيها بالتقريب والتبعيد مع الشَّبَه المحفوظ والمماثلة الظاهرة. ودع هذا إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها، وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها، من أينَ يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه، ويتخذوه قاضيا وحكَما عليهم، ما شهد لهم به قبلوه، وما نكره رفضوه؟

قال متّى: إنّما لزم ذلك لأنّ المنطقَ بحثٌ على الأعراض المعقولة والمعاني المدركة، وتصفّح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة، والناس في المعقولات سواء، ألا ترى أنّ أربعة وأربعة ثمانيةٌ سواء عند جميع الأمم؟ وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شُعبها المختلفة وطرائقها المتباينة إلى هذه البيّنة في أربعة وأربعة وأنّها ثمانية؛ زال الاختلاف، وحضر الاتفاق. ولكن ليس الأمر هكذا، ولقد موهّتَ بهذا المثال، ولكم عادة بمثل هذا التمويه، ولكن مع هذا أيضا، إذا كانت الأعراض المعقولة والمعاني المدركة لا يُوصَل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليسَ قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟

قال: نعمْ. قال: أخطأتَ، قلْ في هذا الموضع: بلى. قال: بلى، أنا أقلّدك في مثل هذا. قال: فأنتَ إذاً لستَ تدعونا إلى علم المنطق، إنّما تدعو إلى تعلّم اللغة اليونانيّة وأنتَ لا تعرف لغة اليونان، فكيفَ صرتَ تدعونا إلى لغة لا تفي بها، وقد عفتْ منذ زمان طويل، وباد أهلُها، وانقرض القومُ الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريفها؟! على أنّك تنقل من السريانيّة، فما تقول في معانٍ منهوكة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانيّة ثم من هذه إلى أخرى عربيّة؟

قال متّى: يونان وإن بادت مع لغتها فإنّ الترجمة قد حفظت الأعراض وأدّت المعاني وأخلصت الحقائق.

قال أبو سعيد: إذا سلّمنا لك أنّ الترجمة صدقت وما كذبت، وقوّمت وما حرّفت، ووزنت وما حَرَفت، وأنها ما التاثتْ ولا حاقت، ولا نقصت ولا زادت، ولا قدّمت ولا أخّرت، ولا أخلّت بالخاصّ والعام، ولا بأخصّ الخاصّ، ولا بأعمّ العام، وإن كان هذا لا يكون، وليس في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني؛ فكأنّك تقول: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه.

قال متّى: لا، ولكنّهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة وبالبحث عن ظاهر هذا العالَم وباطنه، وعن كلّ ما يتصل به وينفصل عنه، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر، وانتشر ما انتشر، وفشا ما فشا من أنواع العلم وأصناف الصنائع، ولم نجد هذا لغيرهم.

قال أبو سعيد: أخطأتَ وتعصَّبتَ وملتَ مع الهوى، فإنَّ علم العالم مبثوث في العالم بين جميع من في العالم؛ ولهذا قال القائل:

العلمُ في العالَمِ مبثوثُ ونحوَه العاقلُ محثوثُ

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من في الأرض؛ ولهذا غلبَ علمٌ في مكان دون علمٍ، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة. وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة، ومع هذا فإنّما كان يصحّ قولك وتسلم دعواك لو كانت يونان معروفةً من بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة، والفطنة الظاهرة، والبيِّنة المخالفة، فإنَّهم لو أرادوا أن يُخطئوا لما قدروا، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا، وإنَّ السكينة نزلت عليهم، والحقَّ تكفَّل بهم، والخطأ تبرّأ منهم، والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم، والرذائل بَعُدت من جواهرهم وعقولهم. وهذا جهل ممّن يظنّه بهم، وعناد ممّن يدّعيه لهم، بل كانوا كغيرهم من الأمم يصيبون في أشياء، ويخطئون في أشياء، ويعلمون أشياء، ويجهلون أشياء، ويصدُقون في أمور، ويكذِبون في أمور، ويُحسِنون في أحوال، ويُسيئون في أحوال، وليس واضع المنطق يونان بأسرها، إنّما هو رجلٌ منهم، وقد أخذ عمَّن قبله، كما أخذَ عنه من بعده، وليس هو حجة على هذا الخَلْقِ الكبير والجَمِّ الغفير، وله مخالفون منهم ومن غيرهم.

ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سِنخٌ وطبيعة، فكيفَ يجوز أن يأتي رجل بشيء يرتفع به هذا الخلاف، أو يحلّله، أو يؤثر فيه؟! هيهات، هذا مُحال، ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان عليه قبل منطقه، فامسحْ وجهك بالسلوة عن شيءٍ لا يُستطاع، لأنّه منعقدٌ بالفطرة والطباع، وأنت، فلو فرّغت بالك وصرفتَ عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها، وتجارينا فيها، وتُدرِّس أصحابَك بمفهوم أهلها، وتشرح كتب يونان بعادة أصحابها لعلمتَ أنّك غنيّ عن معاني يونان.

وههنا مسألة: تقول إنّ الناس عقولهم مختلفة، وأنصباؤهم منها متفاوتة؟ قال: نعمْ. قال: وهذا الاختلاف والتفاوت بالطبيعة أو بالاكتساب؟ قال: بالطبيعة. قال: فكيفَ يجوز أن يكون ههنا شيءٌ يرتفع به هذا الاختلاف الطبيعيّ والتفاوت الأصليّ؟ قال متّى: هذا قد مرَّ في جملة كلامك آنفاً. قال أبو سعيد: فهل وصلته بجوابٍ قاطع وبيانٍ ناصع؟!

ودعْ هذا، أسألك عن حرفٍ واحد وهو دائر في كلام العرب ومعانيه مميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنتَ معانيه من ناحية منطق أرسطوطاليس الذي تُدِلُّ به وتُباهي بتفخيمه، وهو الواو: ما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجهٍ أو وجوه؟ فبُهِتَ متّى، وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه؛ لأنّه لا حاجة بالمنطيقيّ إليه، ولا بالنحويّ حاجة شديدة إلى المنطق؛ لأنّ المنطقَ يبحث عن اللفظ، فإنْ مرَّ المنطقيّ باللفظ فبالعَرَض، وإن عثر النحويّ بالمعنى فبالعَرَض، والمعنى أشرفُ من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى.

فقال أبو سعيد: أخطأتَ؛ لأنّ الكلام والمنطقَ واللغة واللفظَ والإفصاح والإعرابَ والإنباء والحديثَ والإخبار والاستخبارَ والعرض والنهيَ والحضّ والدعاءَ والنداء والطلبَ كلُّها من وادٍ واحد بالمشاكلة والمماثلة. ألا ترى أنّ رجلا لو قال: «نطقَ زيدٌ بالحقّ، ولكن ما تكلّم بالحقّ، وتكلّم بالفُحشِ، ولكن ما قال الفُحشَ، وأعربَ عن نفسه، ولكن ما أفصحَ، وأبانَ المرادَ ولكن ما أوضحَ، أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ»؛ لكان في جميع هذا محرِّفا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقّه، ومستعملا للفظ على غير شهادة عقله وعقل غيره.

والنحو منطقٌ، ولكنّه مسلوخ من العربيّة، والمنطق نحو، ولكنّه مفهوم باللغة، وإنّما الخلاف بين اللفظ والمعنى، إنّ اللفظ طبيعيّ والمعنى عقليّ؛ ولهذا كان اللفظُ بائدا على الزمان؛ لأنّ الزمانَ يقفو أثرَ الطبيعةَ؛ ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان؛ لأنّ مستملي المعنى عقلٌ، والعقلُ إلهيّ، ومادة اللفظ طينيّة، وكلّ طينيّ متهافت.

وقد بقيتَ أنتَ بلا اسمٍ لصناعتك التي تنتحلها، وآلتك التي تزهي بها إلا أن تستعير من العربيّة لها اسما، فتُعار، ويسلم لك ذلك بمقدار، وإذا لم يكن لك بُدّ من قليل هذه اللغة من أجل التجربة، فلا بدّ لك أيضا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقّي من الخلّة اللاحقة.

قال متّى: يكفيني من لغتكم هذه الاسمُ والفعل والحرف، فإني أتبلّغ بهذا القدر إلى أغراضٍ قد هذّبها لي يونان.

قال: أخطأتَ؛ لأنّك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبيانها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، وكذلك أنتَ محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف، فإنّ الخطأ والتحريفَ في الحركات كالخطأ والفساد في المتحرّكات، وهذا باب أنتَ ورهطُك عنه في غفلة، على أنّ ههنا سرًا ما علق لك ولا أسفرَ لعقلك، وهو أن تعلم أنّ لغة من لغاتٍ لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره، وما أظنّ أحدا يدفع هذا الحُكمَ أو يشكّ في صوابه ممّن يرجع إلى مُسْكَةٍ من عقلٍ، أو نصيب من إنصافٍ، فمن أينَ يجب أن تثق بشيء تُرْجِمَ لك على هذا الوصف؟ بل أنتَ إلى أن تعرف اللغة العربيّة أحوج منك إلى أن تعرف المعانيَ اليونانيّةَ، على أنّ المعاني لا تكون يونانيّة ولا هنديّة، كما أنّ اللغات تكون فارسيّة وعربيّة وتُركيّة.

ومع هذا، فإنّك تزعم أنّ المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر، فلم يبقَ إلا إحكام اللغة، فلِمَ تُزري على العربيّة وأنتَ تشرح كتبَ أرسطوطاليس بها مع جهلك تحقيقها؟! وحدِّثني عن قائل قال لك: حالي في معرفة الحقائق والتصفّح لها حال قومٍ كانوا قبل واضع المنطق، أنظرُ كما نظروا، وأتدبّرُ كما تدبّروا؛ لأنّ اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة، والمعاني نقّرتُ عنها بالنظر والرأي والاعتقاب والاجتهاد، ما تقول له؟

أتقول إنَّه لا يصحّ له هذا الحكم، ولا يستتبّ هذا الأمر؛ لأنَّه لا يعرف هذه الموجودات من الطريق التي عرفتها أنتَ؟! ولعلّك تفرح بتقليده لك وإن كان على باطل أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حقّ، وهذا هو الجهل المبين والحُكم المشين.

ومع هذا؛ فحدِّثني عن الواو، وما حكمه؟ فإني أريد أن أبينَ أنَّ تفخيمك للمنطق لا يُغني عنك شيئا، وأنتَ تجهل حرفا واحدا في اللغة التي تدعو بها إلى حكمة يونان، ومن جهل حرفا أمكن أن يجهل حروفا، ومن جهل حروفا جاز أن يجهل اللغة بكمالها، فإن كان لا يجهلها كلّها، ولكن يجهل بعضها، فلعلّه يجهل ما يحتاج إليه ولا ينفعه فيه علمُ ما لا يحتاج إليه، وهذه رُتبة العامّة أو رُتبة من هو فوق العامة بقدرٍ يسيرٍ، فلِمَ يتأبى على هذا، ويتكبَّر ويتوهّم أنَّه من الخاصّة وخاصّة الخاصّة، وأنّه يعرف سرّ الكلام وغامض الحكمة وخفي القياس وصحيح البرهان؟ فإنَّما سألتك عن معاني حرفٍ واحد، فكيفَ لو نثرت عليك الحروف كلّها وطالبتك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحقّ والتي لها بالتجوّز؟

سمعتُكم تقولون: إنَّ "في" لا يعرف النحويون مواقعها، وإنَّما يقولون: هو للوعاء، كما [يقولون] إنّ الباءَ للإلصاق، وإنَّ "في" تُقال على وجوه: يُقال: الشيء في الإناء، والإناء في المكان، والسائس في السياسة، والسياسة في السائس. أترى هذا التشقيقَ؟ هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها، ولا يجوز أن يُعقَل هذا بعقول الهند والترك والعرب؟ وهذا جهل من كلّ من يدّعيه، وخطل من القول الذي أفاض فيه؛ النحويّ إذا قال: "في" للوعاء، فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح، وكنَّى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل، ومثل هذا كثير، وهو كافٍ في موضع التكنية.

فقال ابن الفرات: أيُّها الشيخُ الموفَّقُ، أجِبْه بالصواب بالبيان عن مواقع الواو حتى تكون أشدَّ في إفحامه، وحقِّقْ عند الجماعة ما هو عاجزٌ عنه، ومع هذا هو مستبشع به.

فقال أبو سعيد: للواو وجوه ومواقع، منها معنى العطف في قولك: أكرمتُ زيداً

وعَمراً، ومنها القسَم في قولك: والله لقد كان كذا وكذا، ومنها الاستئناف في قولك: خرجتُ وزيدٌ قائمٌ؛ لأنَّ الكلام بعده ابتداء وخبر، ومنها معنى رُبَّ التي هي للتقليل، نحو قوله:

وقاتمِ الأعماق خاوي المخترق

ومنها أن تكون أصليّة في الاسم كقولك: واصل، واقد، وافد، وفي الفعل كقولك: وجل يوجل، ومنها أن تكون مقحمة نحو قوله الله عزَّ وجلَّ: ﴿فلَمَّا أسلَما وتَلَّه للجَبينِ ونادَيناه﴾ [سورة الصافات، الآية ١٣] أي: ناديناه، ومثله قول الشاعر:

فلمّا أجزنا ساحةَ الحيِّ وانتحى

المعنى: انتحى بنا، ومنها معنى الحال في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ويُكَلِّمُ الناسَ في المهدِ وكهلاً﴾ [سورة آل عمران، الآية ٤٦] أي: يكلّم الناس في حال صغره بكلام الكهل في حال كهولته، ومنها أن يكون الناسُ في حال بمعنى الجرّ، كقولك: استوى الماءُ والخشبةَ، أي: مع الخشبةِ.

فقال ابنُ الفرات: يا أبا بشر، أكان هذا في نحوك؟

ثم قال أبو سعيد: دعْ هذا، ههنا مسألة علاقتها بالمعنى العقليّ أكثر من علاقتها بالشكل اللفظيّ: ما تقول في قول القائل: زيدٌ أفضلُ الإخوة؟ قال: صحيح: قال: فما تقول إن قال: زيدٌ أفضلُ إخوته؟ قال: صحيح. قال: فما الفرقُ بينهما؟ فبلج، وخنج، وغصَّ بريقه. فقال أبو سعيد: أفتيتَ على غير بصيرة ولا استبانة، المسألة الأولى جوابك عنها صحيح، وإن كنتَ غافلاً عن وجه صحّتها. والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح، وإن كنتَ أيضا ذاهبا عن وجه بطلانها.

قال متّى: بيِّن لي ما هذا التهجين؟ قال أبو سعيد: إذا حضرتَ مع الحلقة استفدتَ، ليس هذا مكان التدريس، هو مجلسُ إزالة التلبيس مع من عادته التمويه والتشبيه، والجماعةُ تعلمُ أنَّك أخطأتَ، فلِمَ تدّعي أنَّ النحويَّ إنّما ينظر في اللفظ دون المعنى، والمنطقيَّ ينظر في المعنى لا في اللفظ؟ هذا كان يصحّ لو أنَّ المنطقيَّ كان

يسكتَ، ويجيل فكره في المعاني، ويرتّب ما يريد في الوهم السياج، والخاطر العارض والحدس الطارئ، فأما وهو يزيع أن يزن ما صحّ له بالاعتبار، والتصفّح إلى المتعلّم والمُناظِرِ فلا بدّ له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقا لغرضه وموافقا لقصده.

قال ابنُ الفرات لأبي سعيد: تمّم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس، والتبكيت عاملا في نفسِ أبي بشر.

فقال: ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا ملل الوزير، فإنَّ الكلامَ إذا طالَ ملَّ. فقال ابنُ الفرات: ما رغبت عن سماع كلامك وبيني وبين الملل علاقة، فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر.

فقال أبو سعيد: إذا قلت: زيدٌ أفضلُ إخوته، لم يجزْ، وإذا قلت: زيد أفضل الإخوة، جاز، والفصل بينهما أنَّ إخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج من جملتهم، والدليل على ذلك أنَّه لو سأل سائل فقال: من إخوةُ زيدٍ؟ لم يجز أن يقول: زيدٌ و عَمرو وبكرٌ وخالدٌ، وإنّما يقول: عمرو وبكر وخالد، ولا يدخل "زيد" في جملتهم، فإذا كان زيد خارجا عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن يقول: أفضل إخوته، كما لم يجز أن يقول: حمارُك أفرهُ البغال، لأنَّ الحمار غير البغال، كما أنَّ زيدا غير إخوته، وإذا قلت: زيد خير الإخوة، جاز؛ لأنَّه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة، ألا ترى أنَّه لو قيل: من الإخوة؟ عددته فيهم، فقلتَ: زيد وعمرو وبكر وخالد، فيكون بمنزلة قولك: حمارُك أفرهُ الحمير؛ لأنَّه داخل تحت الاسم الواقع على الحمير، فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضافَ إلى واحد منكورٍ يدلّ على الجنس، فتقول: زيدٌ أفضل رجلٍ، وحمارُك أفرهُ حمارٍ، فيدلّ رجل على الجنس كما دلّ الرجال، وكما في عشرين درهما، ومائة درهم.

فقال ابنُ الفرات: ما بعد هذا البيان مزيد، ولقد جلّ علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الإسفار.

فقال أبو سعيد: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخّي الصواب في ذلك، وتجنّب الخطأ من ذلك، وإن زاغ شيء من هذا النعت، فإنّه لا يخلو من أن يكون سائغا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردودا لخروجه من عادة القوم الجارية على فطرتهم، فأما ما يتعلّق باختلاف لغات القبائل، فذلك شيء مُسَلَّمٌ لهم ومأخوذ عنهم، وكلّ ذلك محصور بالتتبّع والرواية والسماع والقياس المطّرد على الأصل المعروف من غير تحذيف ولا تحريف، وإنّما دخل العُجبُ على المنطقيين لظنّهم أنّ المعاني لا تُعرَفُ ولا تُستَوضَحُ إلا بطريقتهم ونظرهم وتكلّفهم، فترجموا لغةً هم فيها ضعفاء ناقصون، وجعلوا تلك الترجمة صناعة، وادّعوا على النحويين أنّهم مع اللفظ لا مع المعنى.

ثم أقبل أبو سعيد على متّى، فقال: أما تعرف يا أبا بشر أنّ الكلام اسم واقعٌ على أشياء قد انتقلت بمراتب؟ وتقول بالمثل: هذا ثوب، والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوبا، لأنّه قد نُسِجَ بعد أن غُزِل، فسداتُه لا تكفي دون لحمته، ولحمته لا تكفي دون سداته، ثم تأليفه كنسجه، وبلاغته كقصارته، ورقّة سلكه كرقّة لفظه، وغلظ غَزله ككثافة حروفه، ومجموع هذا كلّه ثوب، ولكن بعد تقدمة ما يحتاج إليه.

قال ابن الفرات: سلْه يا أبا سعيد عن مسألة أخرى؛ فإنّ هذا كلما توالي عليه بان انقطاعه، وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره، والحقّ الذي لا يبصره.

قال أبو سعيد: ما تقول في رجل يقول لهذا: عليّ درهمٌ غيرُ قيراط. ولهذا الآخر: عليّ درهم غيرَ قيراط؟ قال متّى: ما لي علم بهذا النمط. قال: لستُ نازعا عنك حتى يصحّ عند الحاضرين أنّك صاحب مخرقةٍ وزَرْقٍ. ههنا ما هو أخفّ من هذا: قال رجل لصاحبه: بكم هذان الثوبان المصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوباك مصبوغين؟ بيّن هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ. قال متّى: لو نثرتُ أنا عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك حالي. قال: أخطأتَ؛ لأنّك إذا سألتني عن

شيءٍ أنظر فيه، فإن كان له علاقة بالمعنى وصحَّ لفظه على العادة الجارية، أجبتُ، ثم لا أبالي أن يكون موافقا لي أو مخالفا، وإن كان غير متعلّق بالمعنى رددته عليك، وإن كان متصلا باللفظ ولكن على موضوع لكم في الفساد على ما حشوتم به كتبكم، رددته أيضا، لأنَّه لا سبيل إلى إحداث لغة في لغة مقررة بين أهلها.

ما وجدنا لكم إلا ما استعرتم من لغة العرب كالسلب والإيجاب، والموضوع والمحمول، والكون والفساد، والمهمل والمحصور، وأمثلة لا تنفع ولا تُجدي، وهي إلى العَيّ أقرب، وفي الفهامة أذهب، ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقض ظاهر لأنَّكم تفونَ بالكتب، ولا هي مشروحة، فتدعون الشعر ولا تذكرونه، وتذكرون الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب، وقد سمعتُ قائلكم يقول: الحاجة ماسّة إلى كتاب البرهان، فإن كان كما قال، فلِمَ قُطِعَ الزمانُ بما قبله من الكتب؟ وإن كانت الحاجة مسّت إلى ما قبل البرهان فهي أيضا ماسّة إلى ما بعد البرهان، وإلا فلِمَ صنُّف ما لا يحتاج إليه ويستغني عنه؟ هذا كلّه تخليط وزَرق وتهويل ورعد وبرق.

وأما قولكم: أن تشغلوا جاهلا، وتستذلّوا عزيزا، وغايتكم أن تهولّوا بالجنس والنوع والخاصّة والفصل والعَرَض والشخص وتقولوا: الهَلِّيَّة، والأينيّة والماهيّة والكيفيّة والكميّة والذاتيّة والعَرَضيّة والجوهريّة والهيولانيّة والصوريّة والأيسيّة والليسيّة والنفسيّة، ثم تتمثلون فتقولون: جئنا بالسحر في قولنا: (أ) لا في شيءٍ من (ب) و (ج) في بعض (ب) فإنَّ (أ) في بعض (ج) و (أ) لا في كلّ (ب) و (ج) في كلّ (ب) فـ (أ) إذن لا في كلِّ (ج).

وهذا بطريق الخُلْف، وهذا بطريق الاختصاص، وهذه كلّها خرافات وتُرّهات ومغالق وشبكات، ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطُف نظره وثقُب رأيه وأنارت نفسه؛ استغنى عن هذا كلّه بعون الله وفضله. وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأي وإنارة النفس من منائح الله الهنيّة، ومواهبه السَّنيّة، يختصّ بها من يشاء من عباده، وما أعرف لاستطالتكم بالمنطق وجها.

وهذا الناشئ أبو العباس، فقد نقض عليكم، وتتبّع طريقتكم، وبيّن خطاكم، وأبرز ضعفكم، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردّوا عليه مما قال، وما زدتم على قولكم: لم يعرفْ غرضنا ولا وقف على مرادنا، وإنّما تكلّم على وهمٍ، وهذا منكم تحاجز ونكول ورضى بالعجز وكلول، وكلّ ما ذكرتم في الموجودات، فعليكم فيه اعتراض، هذا قولكم في يفعل وينفعل، ولم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما، ولم تقعوا على مقاسمهما؛ لأنّكم قنعتم فيها بوقوع الفعل من يفعل، وقبول الفعل من ينفعل، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم، ومعارف ذهبت عنكم، وهذه حالكم في الإضافة.

فأما البدل ووجوهه والمعرفة وأقسامها والنكرة ومراتبها وغير ذلك مما يطول ذكره، فليس لكم فيه مقال ولا مجال، وأنتَ إذا قلتَ لإنسان: كُنْ منطقيًا، فإنّما تريد: كُنْ عقليًا أو عاقلا أو اعقلْ ما يكون، لأنّ أصحابك يزعمون أنّ المنطق هو العقل. وهذا قول مدخول لأنّ المنطق على وجوه أنتم منها في سهو، وإذا قال لك آخر: كُنْ نحويا لغويًا فصيحا، فإنّما يريد: أفهِمْ عن نفسك ما تقول، ثم رُمْ أن يفهَمَ عنك غيرُك، وقدِّرْ اللفظَ على المعنى فلا يفضُل عنه، وقدِّر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه.

هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به، فأما إذا حاولت فرش المعنى، وبسط المراد، فأجِلْ اللفظ بالروادف الموضّحة، والأشباه المقرِّبة، والاستعارات الممتعة، وبيِّنِ المعاني بالبلاغة، أعني: لوِّح منها شيئا حتى لا يصاب إلا بالبحث عنه والسَّوقِ إليه، لأنّ المطلوبَ إذا ظفر به على هذا الوجه عزَّ وجلا وكرم وعلا، واشرحْ منها شيئا حتى لا يمكن أن يمتري به أو يتعبَ في فهمه أو يعرج عنه لاغتماضه، فهذا المذهب يكون جامعا لحقائق الأشياء ولأشباه الحقائق، وهذا باب إن استقصيته خرج من نمط ما نحن عليه في هذا المجلس، على أني لا أدري أيؤثّر فيك ما أقول أم لا؟

قال: حدِّثنا: هل فصلتم بالمنطق بين مختلفين أو رفعتم الخلاف بين اثنين؟ أتراك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أنّ الله ثالث ثلاثة، وأنّ الواحد أكثر من واحد، وأنّ الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرعَ ما يذهب إليه، والحقَّ ما هو له؟

هيهات، ههنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم، وتدقّ عن عقولهم وأذهانهم.

دعْ هذا، ههنا مسألة قد أوقعت خلافا، فارفع ذلك الخلافَ بمنطقك. قال قائل: لفلان من الحائط إلى الحائط. ما الحكم فيه؟ وما قدر المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس له: الحائطان معا وما بينهما، وقال آخرون: له ما بينهما، وقال آخرون: له النصف من كلّ واحدٍ منهما، وقال آخرون: أحدهما. هاتِ آيتكَ الباهرة ومعجزتك القاهرة، وأنّى لك بهما وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك؟

ودع هذا أيضا، قال قائل: من الكلام ما هو مستقيم حسن، ومنه ما هو مستقيم كذب، ومنه ما هو مستقيم مُحال، ومنه ما هو مستقيم قبيح، ومنه ما هو مُحال كذب، ومنه ما هو خطأ. وفسَّرَ هذه الجملة، واعترض عليه عالم آخر، فاحكمْ أنتَ بين هذا القائل والمعترض، وأرنا قوةَ صناعتك التي تميّز بين الخطأ والصواب، وبين الحقّ والباطل. فإن قلتَ: كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعت مقالته، والآخر لم أحَصِّل اعتراضه؟ قيل لك: استخرجْ بنظرك الاعتراضَ إن كان ما قاله محتملا، ثم أوضحِ الحقَّ فيهما؛ لأنَّ الأصل مسموع لك حاصل عندك، وما يصحّ به أو يطّرد عليه يجب أن يظهر منك، فلا يتعاسر علينا، فإنَّ هذا لا يخفى على من حضرته الجماعة.

فقد بان الآنَ أنَّ مركّبَ اللفظ لا يحوز مبسوط العقل، والمعاني معقولة، ولها اتصال شديد وبساطة تامّة، وليس في قوّة اللفظ من أيٍّ لغة كان أن يملك ذلك المبسوط، ويحيط به، وينصب عليه سوراً، ولا يدع شيئا من داخله يخرج، ولا شيئا من خارجه أن يدخل خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد، أعني أنَّ ذلك يخلط الحقَّ بالباطل، ويشبه الباطل بالحقّ، وهذا الذي وقع الصحيح منه في الأوّل قبل وضعِ المنطق، وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بعد المنطق.

وأنتَ لو عرفت تصرّف الفقهاء والعلماء في مسائلهم، ووقفت على غورهم في نظرهم، وغوصهم في استنباطهم، وحسن تأويلهم لما يرد عليهم، وسعة تشقيقهم

للوجوه المحتملة، والكنايات المفيدة، والجهات القريبة والبعيدة؛ لحقّرت نفسك، وازدريت أصحابك، ولكان ما ذهبوا إليه وبايعوا عليه أقلَّ في عينك من السُّهى عند القمر، ومن الحصى عند الجبل.

أليس الكِنديّ، وهو عَلَم في أصحابك يقول في جواب مسألةٍ: هذا من باب عدم فقد الوجود بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوهم بلا ترتيب حتى وضعوا له مسائل من هذا الشكل وغالطوا بها، وأروه أنها من الفلسفة الداخلة، فذهب عليه ذلك الوضع، فاعتقد فيه أنّه مريض العقل، فاسدُ المزاج، حائل الغريزة، مشوّش اللبّ؟ قالوا له: أخبرنا عن اصطكاك الأجرام، وتضاغط الأركان: هل يدخل في باب وجوب الإمكان، أو يخرج من باب الفقدان إلى ما يخفى على الأذهان؟ وقالوا له أيضا: ما نسبة الحركات الطبيعيّة إلى الصور الهيولانيّة؟ وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان أو مُزايلة على غاية الإحكام؟ وقالوا له: ما تأثير فقدان الوجدان في عدم الإمكان عند امتناع الواجب في وجوبه في ظاهر ما لا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله؟ وعلى هذا، وقد حفظ جوابُه عن جميع هذا على غاية الركاكة والضعف والفسالة والسخف، ولولا التوقّي من التطويل لسردتُ ذلك كلّه، ولقد مرّ بي بخطّه: التفاوت في تلاشي الأشياء غير محاط به لأنّه تلاقي الاختلاف في الأصول والاتفاق في الفروع، وكلّ ما يكون على هذا النهج فالنكرة تزاحم فيه المعرفة، والمعرفة تناقض النكرة، على أنّ المعرفة والنكرة من باب الإنسيّة العارية من ملابس الأسرار الإلهيّة، لا من باب الإلهيّة العارضة في أحوال البشريّة.

ولقد حدثني أصحابنا الصابئون عنه بما يضحِك الثكلى، ويشمت العدو، ويغمّ الصديق، وما ورث هذا كلّه إلا من بركات يونان، وفوائد الفلسفة والمنطق، ونسأل الله عصمةً وتوفيقاً نهتدي بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل، والفعل الجاري على التعديل، إنّه سميع مجيب.

هذا آخر ما كتبتُ عن علي بن عيسى الرّمّانيّ الشيخ الصالح بإملائه، وكان أبو

سعيد قد روى لُمَعا من هذه القصة، وكان يقول: لم أحفظ عن نفسي كلَّ ما قلتُ، ولكن كتب ذلك أقوام حضروا في ألواحٍ كانت معهم ومحابر أيضا، وقد اختلّ عليَّ كثير منه.

قال علي بن عيسى: وتقوّض المجلس وأهله يتعجّبون من جأشِ أبي سعيد ولسانه المتصرّف، ووجهه المتهلّل، وفوائده المتتابعة.

وقال الوزير ابن الفرات: عين الله عليك أيُّها الشيخ، فلقد ندّيتَ أكبادا وأقررتَ عيونا وبيّضتَ وجوها وحُكتَ طرازا لا يبليه الزمان ولا يتطرقه الحدثان.

قلتُ لعلي بن عيسى: وكم كان سنّ أبي سعيد في ذلك الوقت؟ قال: مولده سنة ثمانين ومائتين، وكان له يوم المناظرة أربعون سنة، وقد عبث الشيب بلهازمه مع السّمت والوقار والدين والجد، وهذا شعار الفضل والتقدّم، وقلَّ من تظاهر به أو تحلّى بحليته إلا جلَّ في العيون، وعظم في النفوس، وأحبته القلوب، وجرت بمدحه الألسنة.

وقلتُ لعلي بن عيسى: أما كان أبو علي الفسويّ النحويّ حاضرَ المجلس؟ قال: لا، كان غائبا، وحُدِّثَ بما كان، فكان يكتم الحسد لأبي سعيد على ما قاربه من هذا الخبر المشهور والثناء المذكور.

فقال لي الوزير عند منقطع هذا الحديث: ذكرتَني شيئا قد دار في نفسي مرارا، وأحببت أن أقف على واضحه: أين أبو سعيد من أبي علي، وأين علي بن عيسى منهما؟ وأين ابن المراغي أيضا من الجماعة؟ وكذلك المرزبانيّ، وابن شاذان، وابن الورّاق، وابن حيويه؟ فكان من الجواب:

أبو سعيد أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب، وأدخل في كلّ باب، وأخرج من كلِّ طريق، وألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق، وأروى في الحديث، وأقضى في الأحكام، وأفقه في الفتوى، وأحضر بركة على المختلفة، وأظهر أثراً في المقتبسة، ولقد كتب إليه نوح بن نصر، وكان من أدباء ملوك آل سامان سنة أربعين كتابا خاطبه فيه بالإمام، وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة الغالب عليها الحروف، وما أشبه الحروف، وباقي ذلك أمثال مصنوعة على العرب، شكَّ فيها، فسئل عنها، وكان

هذا الكتاب مقرونا بكتاب الوزير البلعميّ خاطبه فيه بإمام المسلمين، ضمّنه مسائل في القرآن، وأمثالاً للعرب مشكلة، وكتب إليه المرزبان بن محمد ملك الدُّيلم من أذربيجان كتابا خاطبه فيه بشيخ الإسلام، سأله عن مائة وعشرين مسألة، أكثرها في القرآن، وباقي ذلك في الروايات عن النبي (ﷺ) وعن الصحابة، وكتب إليه ابن حِنزابة من مصر كتابا خاطبه فيه بالشيخ الجليل، وسأله عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المرويّ عن النبي (ﷺ) وعن السلَف.

وقال لي الدارقُطنيّ سنة سبعين: أنا جمعت ذلك لابن حِنزابة على طريق المعونة. وكتب إليه أبو جعفر ملك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الفرد، سأله عن سبعين مسألة في القرآن، ومائة كلمة في العربيّة، وثلاثمائة بيت من الشعر. هكذا حدثني به أبو سليمان، وأربعين مسألة في الأحكام، وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين.

قال لي الوزير: أوهذه المسائل والجواب عليها عندك؟ قلتُ: نعم. قال: في كم تقع؟ قلتُ: لعلّها تقع في ألف وخمسمائة ورقة، لأنّ أكثرها في الظهور. قال: ما أحوجنا إلى النظر فيها والاستمتاع بها والاستفادة منها؛ وأين الفراغ؟ وأين السكون ونحن نُدفَعُ في كلِّ يومٍ إلى طامّة تُنسي ما سلف، وتُوعِدُ بالداهية؟ اللهُمَّ هذه ناصيتي بيدك، فتَوَلَّني بالعصمة، واخصُصني بالسلامة، واجعل عقباي إلى الحسنى.

ثم قال: صِلْ حديثك. قلتُ: وأما أبو علي فأشدّ تفرّدا بالكتاب، وأكثر إكبابا عليه، وأبعد من كلّ ما عداه مما هو علم الكوفيين، وما تجاوز في اللغة كتبَ أبي زيد وأطرافاً مما لغيره، وهو متّقدٌ بالغيظ على أبي سعيد، وبالحسد له: كيف تمَّ له تفسير كتاب سيبويه من أوّله إلى آخره بغريبه وأمثاله وشواهده وأبياته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء؛ لأنَّ هذا شيء ما تمَّ للمبرِّد، ولا للزجّاج، ولا للسرّاج، ولا لابن درستويه مع سعة علمهم وفيض بيانهم.

ولأبي علي أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها، ولم يأتلِ، ولكنّه قعد عن

الكتاب على النظم المعروف. وحدثني أصحابنا أنَّ أبا علي اشترى شرح أبي سعيد في الأهواز في توجّهه إلى بغداد سنة ثمانٍ وستين لاحقا بالخدمة الموسومة به، والندامة الموقوفة عليه بألفي درهم. وهذا حديث مشهور وإن كان أصحابه يأبون الإقرار به إلا من يزعم أنَّه أراد النقضَ عليه وإظهار الخطأ فيه، وقد كان الملك السعيد -رضي الله عنه- همَّ بالجمع بينهما فلم يقض ذلك؛ لأنَّ أبا سعيد مات في رجب سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة.

وأبو علي يشرب ويتخالع ويفارق هَديَ أهل العلم وطريقةَ الدَّيّانين وعادة المتنسّكين، وأبو سعيد يصوم الدهر، ولا يصلي إلا في الجماعة، ويقيم على مذهب أبي حنيفة، ويلي القضاء سنين، ويتألّه، ويتحرَّج، وغيره بمعزل عن هذا، ولولا الإبقاء لحرمة العلم لكان القلم يجري بما هو خافٍ، ويخبر بما هو محمحم، ولكن الأخذ بحكم المروءة أَولَى، والإعراض عما يجلب اللائمة أحرى.

وكان أبو سعيد حسن الخطّ، ولقد أراده الصيمريّ أبو جعفر على الإنشاء والتحرير، فاستعفى، وقال: هذا أمر يُحتاج فيه إلى دُربة وأنا عارٍ منها، وإلى سياسة وأنا غريب فيها، ومن العناء رياضة الهرم.

وحدَّثنا النصريّ أبو عبدالله -وكان يكتب التوبة للمهلبيّ- بحديث مفيد لأبي سعيد هذا موضعه، قال: كنتُ أخطّ بين يدي الصيمريّ أبي جعفر محمد بن أحمد بن محمد، فالتمسني يوما لأن أجيبَ ابنَ العميد أبا الفضل عن كتاب، فلم يجدني، وكان أبو سعيد السيرافيّ بحضرته، فبان أنَّه بفضل علمه أقوم بالجواب من غيره، فتقدَّم إليه أن يكتبَ ويجيب، فأطال في عمل نسخة كثر فيها الضَّرب والإصلاح، ثم أخذ يحرِّر والصيمري يقرأ ما يكتبه، فوجده مخالفا لجاري العادة لفظا مُبايناً لما يريده وترتيباً، قال: ودخلتُ في تلك الحال، فتمثَّل الصيمريّ بقول الشاعر:

يا باريَ القوسِ برياً ليس يصلحه ... لا تظلمِ القوسَ أعطِ القوسَ باريها

ثم قال لأبي سعيد: خفِّفْ عليك أيُّها الشيخ، وادفع الكتابَ إلى أبي عبدالله تلميذك ليجيب عنها، فخجل من هذا القول. فلما ابتدأت الجوابَ من غير نسخة تحيُّرَ مني أبو سعيد، ثم قال الصيمريّ: أيُّها الأستاذ، ليس بمستنكر ما كان مني، ولا بمستكثر. فما كان منه إلا أنا قال: الفيءُ لا يصحّ في بيت المال إلا من مستخرجٍ وجهبذٍ، والكُتّاب جهابذة الكلام، والعلماء مستخرجوه، فتبسَّم الصيمريّ، وأعجبه ما سمع، وقال: على حال، ما أخليتنا من فائدة.

وكان أبو سعيد بعيد القرين لأنَّه كان يُقرأ عليه القرآن والفقه والشروط والفرائض والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والهندسة والحديث والأخبار، وهو في كلّ هذا إما في الغاية، وإما في الوسط.

وأما علي بن عيسى، فعالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق، وعيب به أنَّه لم يسلك طريق واضع المنطق، بل أفرد صناعة وأظهر براعة، وقد عمل في القرآن كتاباً نفيسا، هذا مع الدين الثخين والعقل الرزين.

وأما ابن المراغي، فلا يلحق بهؤلاء مع براعة اللفظ وسعة الحفظ وعزّة النفس وبلل الريق وغزارة النقب وكثرة الرواية، ومن نظر في كتاب البهجة له، عرف ما أقول، واعتقد فوق ما أصف، ونخل أكثر ما أبدل.

وأما ابن المرزبانيّ وابن شاذان وابن القرمسيني وابن حَيُّوَيْه، فهم رواة وحَمَلَة، ليس لهم في شيء من ذلك نقطٌ ولا إعجام، ولا إسراج ولا إلجام. انتهى.

قال ياقوت: وقال أبو حيّان في كتاب محاضرات العلماء: حضرت مجلس شيخ الدهر، وقريع العصر، العديم المثل، المفقود الشكل أبي سعيد السيرافيّ وقد أقبل على الحسين بن مردويه الفارسيّ يشرح له ترجمة المدخل إلى كتاب سيبويه من تصنيفه، فقال له: علّق عليه، واصرفْ همّتك إليه، فإنّك لا تدركه إلا بثقب الحواسّ ولا تتصوره إلا بالاعتزال من الناس. فقال: أيَّد الله القاضي، أنا مؤثِر لذلك، ولكن اختلال الأمر وقصور الحال يحول بيني وبين ما أريده. فقال له: ألكَ عيالٌ؟ قال: لا. قال: عليك ديون؟

قال: دُريهمات. قال: فأنتَ ريِّحُ القلب حسنُ الحال ناعمُ البال، اشتغلْ بالدرس والمذاكرة والسؤال والمناظرة، واحمدِ الله على خفة الحاذِ وحُسن الحال، وأنشده:

إذا لم يكن للمرءِ مالٌ ولم يكنْ ... له طرقٌ يسعى بهنّ الولائدُ
وكان له خبزٌ وملحٌ ففيهما ... له بلغةٌ حتى تجيء العوائدُ
وهل هي إلا جَوْعَةٌ إن سَدَدْتها ... فكلّ طعام بين جنبيك واحدُ

قال: وقال له رجل: عندي ابنة بلغت حدُّ التزويج، وجماعة يخطبونها، فممَّن ترى أن أزوّجها؟ فقال: ممن يخاف الله، وأكثرهم تقية وخشية منه، فإنَّ من يخاف الله إن أحبَّها بالَغَ في إكرامها، وإن لم يحبُّها تحرَّجَ من ظلمها. فاستحسنا ذلك وأثبتناه. ثم قال: لا تنسبوا هذا إلي، إنَّما هو قول الحسن.

قال: وكان الشيخ يبين لبعض أصحابه الفرق في قوله تعالى: ﴿مثل ما إنَّكم تنطقون﴾ [سورة الذاريات، الآية ٢٣] والاحتجاج عمَّن نصبه ورفعه، والكُرديّ ما يفهم منه القليل ولا الكثير، فالتفتَ إلى أبي سعيد، وقال: يا شيخ: في أيِّ شيءٍ أنتَ؟ وفي ماذا تتكلّم؟ قال: أتكلّم في شيء لا يعرفه كلّ أحد، ولا يتصوّره كثير من الناس. قال: ففسِّره لي لعلّي أفهمه. قال: لا يكون ذلك أبدا. قال: أنتَ عالم، ومن اقتبس منك علما لزمك الجواب. فقال له: عليك بمجلسٍ يجري فيه حديث الفرض والنفل والسُّنن وظواهر أمر الشريعة لتستفيد منه وتنتفع به. فأخذ الكُرديّ في المطاولة وإيراد الهذيان وما لا محصول له. وسكت عنه أبو سعيد إلى أن مضى، ثم قال أبو سعيد: ما ظننتُ أنَّ ثقيلا تمكَّنَ من أحدٍ تمكُّنَ هذا منّا اليوم، وإنّ ألمَ ثقله خلص إلى الروح والبدن، لقد هممت تارة بضربه، فقلت: ربّما ضربني أيضا، ثم هممت بالقيام، فقلتُ: ضربٌ من الخرقِ، ثم كدتُ أصيحُ، فقلتُ: نوعٌ من الجنون، ثم بقيت أدعو سرًا، وأرغب إلى الله تعالى في صرفه، فتفضَّل الله الكريم عليَّ بذلك، ومع هذه الحالة لم تزل أبيات محمد بن المرزبان تتردّد بين لهاتي ولساني. فقلنا له: وما الأبيات؟ فقال:

أيا شـقـيق الرصـاصِ والجـبلِ ... ويا قــريـع الأيّام في الثِّــقَلِ
أرِح حـيـاتي فـقـد هجـمتَ على ... نفـسـي وأشـرفتَ بي إلى أجلي
والـلـه لـو كـنتَ والـداً حَـــدِباً ... وكنتَ تحـيـي الأمـوات في المثلِ
وتمزج الثلج في العسـاس لدى الـ ... قـيظِ وعند الشـتـاء بالعـسلِ
رحلـتُ عـن ذاك عنـد آخــره ... واخـتـرتُ أن لا أراك في الرّحلِ
فـخـذْ طريفي وتالدي فـإذا ... لم يبقَ شيءٌ فـخـذ إذاً سـملي
وارحلْ إلى الظلمـة التي ذُكـرتْ ... من خلف قـافٍ يا شـرُّ مـرتحلِ

قال: وكان قد ظهر بالعراق رِجْلٌ من الجراد، فأضَرَّتْ بالزروع والثمار، فشكا إلى أبي سعيد: فقال: لا يهولنَّك أمرها، فإنَّها جند من جنود الله مأمور؛ بلغنا أنَّ جرادة سقطت بين يدي عبدالله بن عباس، فأخذها ونشر جناحها، وقال: ما هو مكتوب عليها؟ قالوا: لا. قال: مكتوب عليها: أنا مُغلي الأسعار مع تدفّق الأنهار. وأورد في ذكر الجراد ما حيَّرَ الناظرين، ثم قال: وكان أحسن ما وُصِفَ به الجراد قول بعض الخطباء حيث يقول: إنَّ الله تعالى خلق خلقا وسمّاها جراداً، وألبسها أجلاداً، وجنَّدها أجناداً، وأدمجها إدماجاً، وكساها من الوشي ديباجا، وجعل لها ذُرِّيَة وأزواجاً، إذا أقبلت خِلتَها سحابا أو عجاجاً، وإذا أدبرت حسبتَها قوافلَ وحجاجا، مزخرفة المقاديم، مزبرجةَ المآخير، مزوَّقةَ الأطراف، منقَّطةَ الأخفاف، منمنمةَ الحواشي، منمّقةَ الغواشي، ذاتَ أردية مزعفرة، وأكسية معصفرة، وأخفية مخطَّطة، معتدلةٌ قامتها، مؤتلفة خلقتها مختلفة حِليتها، موصولة المفاصل، مدرَّجة الحواصل، تسعى وتحتال، وتميس وتختال، وتطوف وتجتال، فتبارك خالقها وتعالى رازقها، من غير حاجة منها إليها رحمة منه عليها، أوسعها رزقا، وأتقنها خلقا، ومشح منها رتقا، ووشح أعراقها، وألجم أعناقها، وطوّقها أطواقها، وقسم معايشها وأرزاقها، تنظر شزراً من ورائها، وترقب المنازل من سمائها، وتحرس الدائر من حوبائها، سلاحها عتيد، وبأسها شديد، ومضرّتها تعديد،

وتدبّ إلى ستٍّ وتطير، فسبحان من خلقها خلقا عجيبا، وجعل لها من كلِّ شجر وثمر نصيبا، وجعل لها إدبارا وإقبالا، وطلبا واحتيالا حتى دبّت ودرجت، وخرقت وسحبت، ونزلت وعرجت مع المنظر الأنيق، والعصب الدقيق، والبدن الرقيق ﴿هذا خَلْقُ الله فأروني ماذا خلَقَ الذين من دونه﴾ [سورة لقمان، الآية ١١] ثم قال: وماذا تقولون في طير إذا طار بسط، وإذا دنا من الأرض لطع؟ رِجلاه كالمنشار، وعيناه كالزجاج، عينه في جنبه، ورجله في قامته، ألا وهي الجرادة.

ثم قال: وأحسن منه: جيدُها كجيد البقر، ورأسها كرأس الفرس، وقرنها كقرن الوعل، ورِجلها كرِجل الجَمَل، وبطنها كبطن الحية، تطير بأربعة أجنحة، وتأكل بلسانها، فتبارك الله ما أحسنَها! وأحسنُ ما فيها أنَّها طعام ونقل، طاهر حيّا وميتا، تُجدِبُ أقواما وتُخصِبُ آخرين.

فقلنا له: ما معنى قولك : "تُجدِبُ أقواما وتُخصِبُ آخرين"؟ قال: إنَّها إذا حلّت البوادي والفيافي ومواضعَ الرمال؛ فهي خصبٌ لهم ومِيرة. وإذا حلَّت بمأوى الزرع والأشجار؛ فهي تُجدِب؛ لأنَّها تأتي على الشوك والشجر والرطب واليابس، فلا تُبقِي ولا تذر.

قال: وقال أيضا في تضاعيف كلامه: خادم الملك لا يتقدم في رضاه خطوة إلا استفاد بها قُدْمة وحظوة.

قال: وما رأيت أحدا من المشايخ كان أذكَرَ لحال الشباب، وأكثر تأسّفا على ذهابه منه، فإنَّه إذا رأى أحدا من أقرانه قد عاجله الشيب تسلّى به، ولم يزل يسأله عن حالةٍ كانت في أيام الشباب وزمن الصبا، وإذا ذكر بين يديه ما يتعلّق بالشيب والشباب بكى جدا، وحنّ وشكا وأنَّ، وتذكَّرَ عهد الشباب. وكان كثيرا ما ينشد مقطّعات محمود الورّاق في الشيب ويبكي عليها.

ثم قال: ما رأيت أحدا كان أحفظ لجوامعِ الزهد نظما ونثرا، وما ورد في الشيب من شيخنا أبي سعيد، وذلك أنَّه كان دَيِّنا ورعا تقيا نقيا زاهدا عابدا خاشعا، له دأبٌ

بالنهار من القراءة والخشوع، وورْدٌ بالليل من القيام والخشوع، صام أربعين سنة الدهر كلّه.

قال: وقال لي أبو إسحاق المدائنيّ: ما قرأتُ عليه خبرا ولا شيئا قطّ فيه ذكر الموت والقبر والبعث والنشور والحساب والجنّة والنار والوعد والوعيد والعقاب والمجازاة والثواب والإنذار والإعذار وذمّ الدنيا وتقلّبها بأهلها إلا وبكى منها وجزع عندها، وربّما تنغصّ عليه يومه وليلته، وامتنع من عادته في الأكل والشرب.

وكان ينشدنا ويورد علينا من أمثاله ما كُنّا نستعين به، ونستفيد منه ما نجعله حظّ يومنا.

قال: ووصّى يوما بعضَ أصحابه فقال: كُن كما قال الخليل بن أحمد: اجعل ما في كُتبك رأسَ مالك، وما في صدرك للنفقة.

قال: وشكا إليه أبو الفتح القوّاس سوء حاله، فقال له: ثق بالله خالقك، وكِلْ أمرك إلى رازقك، وأقللْ من شغَبك، وأجمل في طلبك، واعلم أنّك بمرأى من الله ومسمع، قد تكفّل برزقك، فيأتيك من حيث لا تحتسبه، وضمن لك ولعيالك قوتهم، فيدرّ عليك من حيث لا ترتقبه، وعلى حسب الثقة بالله تكون حسن المعونة، وبمقدار عدولك عن الله إلى خَلْقه تكون كلّ المؤونة، وأنشد، وذكر أنّه لبعض المحدثين:

يا طالبَ الرزقِ إنَّ الرزقَ في طلبك ... والرزق يأتي وإن أقللتَ من تعبكْ
لا يملكنّك لا حرصٌ ولا تعبٌ ... فيسلماك ولا تدري إلى عطبكْ
إن تُخفِ أسباب رزق الله عنك فكم ... للرزق من سبب يغنيك عن سببكْ

قال أبو حيان: وكان أبو سعيد يفتي على مذهب أبي حنيفة، وينصره، فجرى حديث تحليل النبيذ عنده، فقال له بعض الخراسانيين: أيُّها الشيخ، دعْنا من حديث أبي حنيفة وقول الشافعيّ، ما ترى أنتَ في شرب النبيذ؟ فقال: أما المذهب فمعروف لا عدول عنه، وأما الذي يقتضيه الرأي، ويوجبه العقل، ويلزم من حيث الاحتياط والأخذ بالأحسن والأولى، فتركه والعدول عنه. فقال له: بيِّن لنا، عافاك الله. فقال: اعلمْ أنّه لو

كان المسكرُ حلالاً في كتاب الله تعالى وسُنة رسوله (ﷺ) لكان يجب على العاقل رفضُه وتركه بحجة العقل والاستحسان، فإنّ شاربَه محمولٌ على كلِّ معصية، مدفوعٌ إلى كلِّ بليّةٍ، مذمومٌ عند كلِّ ذي عقلٍ ومروءةٍ، يُحيله عن مراتب العقلاء والفضلاء والأدباء، ويجعله من جملة السُّفهاء، ومع ذلك، فيضرّ بالدماغ والعقل والكبد والذهن، ويولّد القروح في الجوف، ويسلب شاربَه ثوبَ الصلاح والمروءة والمهابة حتى يصير بمنزلة المخبِّط المِخريق والمشيج، يقول بغير فهم، ويأمر بغير علم، ويضحك من غير عجب، ويبكي من غير سبب، ويخضع لعدوّه، ويصول على وليّه، ويعطي من لا يستحقّ العطية، ويمنع من يستوجب الصلة، ويُبَذِّر في الموضع الذي يحتاج فيه أن يُمسك، ويمسك في الموضع الذي يحتاج فيه أن يبذّر، يصير حامده ذامًا وأفعاله ملوما، عبده لا يوقّره، وأهله لا تقربه، وولده يهرب منه، وأخوه يفزع عنه، يتمرّغُ في قَيئه، ويتقلّب في سلحه، ويبول في ثيابه، وربّما قتل قريبه، وشتم نسيبه، وطلّق امرأته، وكسر آلة البيت، وقال كلّ غليظ وفحش، يدعو عليه جاره، ويزري به أصحابه، عند الله مَلوم، وعند الناسِ مذموم، وربّما تستولي عليه في حال سُكره مخايل الهموم، فيبكي دما، ويشقّ جَيبه حزنا، وينسى القريب، ويذكر البعيد، والصبيان يضحكون منه، والنسوان يفتعلنَ النوادر عليه، ومع ذلك، فبعيد من الله قريب من الشيطان، قد خالف الرحمن في طاعة الشيطان، وتمكّن من ناصيته، وزيّن في عينه إتيان الكبائر، وركوب الفواحش، واستحلال الحرام، وإضاعة الصلاة، والحنث في الأيمان، سوى ما يحلّ به عند الإفاقة من الندامةِ، ويستوجب من عذاب الله يوم القيامة. فقال الرجل: والله إنّ قولك ووصفك له أعلق بالقلب من كلِّ دليل واضحٍ وبرهان لائحٍ وحجة وأثرٍ وقول وخبرٍ. فقال له: لولا ذهاب الوقت ولا عوض له لاستدللت لكلّ خصلة ذكرتها ولفظة أوردتها بآية من كتاب الله، أو خبر مأثور عن رسول الله (ﷺ) حتى قلت: إنّ هذه الألفاظ مشتقة من ذلك مستنبطة منها، ولكنّ الأمر في هذا أظهر وأشهر من أن يُبيَّن ويوضَّح، والله المعين على أمر الدنيا والدين.

قال ياقوت: ونظير خبر أبي سعيد مع متّى خبره أيضا مع أبي الحسن العامريّ الفيلسوف النيسابوريّ، ذكره أبو حيان أيضا، قال: لما ورد أبو الفتح بن العميد إلى بغداد، وأكرم العلماءَ، استحضرهم إلى مجلسه، ووصل أبا سعيد السيرافيّ وأبا الحسن الرُّمانيّ بمالٍ، قال أبو حيان: انعقد المجلس في جمادى سنة أربع وستين وثلاثمائة، وغصٌ بأهله، فرأيتُ العامريّ وقد انتدب، فسأل أبا سعيد السيرافيّ، فقال: ما طبيعة الباء من "بسم الله"؟ فعجب الناس من هذه المطالبة، ونزل بأبي سعيد ما كاد يُشَكُّ به، فأنطقه الله تعالى بالسحر الحلال، وذلك أنّه قال: ما أحسنَ ما أدّبنا به بعضُ المؤدبين المتقدمين، فقال:

وإذا خطبتَ على الرجال فلا تكنْ ... خَطِلَ الكلام تقوله مختالا
واعلمْ بأنّ مع السكون لبابةً ... ومن التكلّف ما يكون خبالا

والله يا شيخ، لَعينُكَ أكبر من فؤادك، ولمرآك أوفى من دخلتك، ولمنثورك أبين من منظومك، فما هذا الذي طوّعتْ له نفسك، وسدّدَ عليه رأيك؟ إني أظنّ أنّ السلامة بالسكوت تعافك، والغنيمة بالقول ترغب عنك، والله المستعان. فقال ابن العميد وقد أُعجِبَ بما قال أبو سعيد:

فتًى كان يعلو مَفْرِقَ الحقِّ قولُه ... إذا الخطباءُ الصِّيدُ عضُل قِيلُها

....

جهيرٌ وممتدّ العنان مُناقِلٌ ... بصيرٌ بعورات الكلام خبيرُها

والتفتَ إلى العامريّ فقال:

وإنّ لسانا لم تُعِنه لبابةٌ ... كحاطبِ ليلٍ يجمع الرذلَ حاطبهْ

....

وذي خطلٍ بالقول يحسَب أنّه ... مصيبٌ فما يلمم به فهو قائلهْ

قال أبو حيان: فلما خرجنا قلت لأبي سعيد: أرأيتَ أيُّها الشيخ ما كان من هذا الرجل؟ قال: ما دهيتُ قط بمثل ما دهيتُ به اليوم، لقد جرى بيني وبين أبي بشر

صاحب شرح كتاب المنطق سنة عشرين وثلاثمائة في مجلس أبي جعفر بن الفرات [مناظرة] كانت هذه أشرس وأشقّ منها.

قال ياقوت: وقال أبو حيّان: جرى ليلة ذكر أبي سعيد السيرافيّ في مجلس ابن عبّاد، وكان ابن عبّاد يتعصّب له ويقدّمه على أهل زمانه، ويذكر أنَّه حضر مجلسه، وصادف من أبي سعيد بحر علمٍ وطودَ حلمٍ، فقال أبو موسى الخشكيّ: إلا أنَّه لم يعملْ في «شرح كتاب سيبويه» شيئا، فنظر إليه ابنُ عبّاد متنمِّرا، ولم يقلْ حرفا، فعجبتُ من ذلك، ثم سألته عن حلمه عن أبي موسى مع ذبّه عن أبي سعيد، فقال: والله لقد ملكني الغيظُ حتى عزب عني رأيي، ولم أجد في الحال شيئا يشفي غيظي، فصار ذلك سببا لسكوتي عنه، فشابهت الحال الحلم، وما كان ذلك حلما، وهل سبق أحد إلى مثله من أول الكتاب إلى آخره مع كثرة فنونه وخوافي أسراره. ثم حَجَبَ أبا موسى بعد ذلك.

قال ياقوت: ومن عجيب ما مرَّ بي ما قرأته في كتاب «الانتصار المنبي عن فضائل المتنبي» لأبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد المغربيّ راوية المتنبي، وكان قد ردَّ فيه على بعض من زعم أنَّ شعر المتنبي مسروق من أبي تمام والبحتريّ، وله قصيدة عارض فيها بعض قصائد المتنبي، قال: ورأيته قد استشهد بأبي سعيد السيرافيّ، وذكر أنَّه أعطاه خطَّه بأنَّ قصيدته خير من قصيدة أبي الطيّب، قال: ومن جعل الحُكم في هذه المسألة لأبي سعيد السيرافيّ؟ إنَّما يحكم في الشعر الشعراء لا النحاة، وبمثل هذا جرتْ سُنّة العرب في القديم، كانت تضرب للنابغة خيمة من أدم بسوق عكاظ، وتأتي الشعراء من سائر الآفاق فتعرض أشعارها عليه، فيحكم لمن أجاد، ولو كان أعلم الناس بالنحو أشعرهم لكان أبو علي الفارسيّ أشعرَ الناسِ، وما عُرِفَ له نظم بيت ولا أبيات، ولا سُمِع ذلك منه. انتهى.

قال أبو حيان التوحيديّ في كتاب الإمتاع والمؤانسة(١): يُقال: العالَم عتيق ولكن ليس بقديم؛ لأنَّه لو كان قديما لكان لا أوّل له، ولما كان عتيقا كان له أوّل، ومن أجل هذا

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١/٢٤.

وصفوا الله سبحانه بأنّه قديم، واستحسنوا هذا الإطلاق، وقد سألت العلماء البُصراء عن هذا الإطلاق، فقالوا: ما وجدنا هذا في كتاب الله عزَّ وجلَّ، ولا في كلام نبيّه (ﷺ) ولا في حديث الصحابة والتابعين، وسألتُ أبا سعيد السيرافيَّ الإمام: هل تعرف العرب أنَّ معنى القديم ما لا أولَّ له؟ فقال: هذا ما صحَّ عندنا منهم، ولا سبق إلى وهمنا هذا منهم، لأنَّهم يقولون: هذا شيخ قديم وبُنيان قديم، ويشرحون وهم في زمان مجهول المبدأ.

قال التوحيديّ[1]: وسمعت أبا سعيد السيرافيَّ يقول: سمعت ابنَ السرَّاج يقول: دخلتُ على ابنِ الروميَّ في مرضه الذي قضى فيه، فأنشدنا:

ولقد سئمتُ مآربي ... فكأنَّ أطيبَها خبيثُ
إلا الحديثَ فإنَّه ... مثلُ اسمه أبداً حديثُ

وقال التوحيديّ[2]: الحِلم ضبط الفكر بين الغضب. وقال شيخنا أبو سعيد السيرافيّ: اعتباره من ناحية الاسم يعطيك لطيفة، وذلك أنَّ الحِلم شريك التحلّم، فكان الحليمَ هو الذي يعدّ فيمن يحلم في عُرض الحليم الذي لا يعاج عليه ولا يكترث له.

قال أبو سعيد السيرافيّ في الطبقات الكبرى للقاضي تاج الدين بن السُّبكي[3]: حضرْتُ مجلسَ ابن دُريد، ولم يكن يعرفني قبل ذلك، فجلستُ، فأنشد بعض الحاضرين بيتين يُعزيان لآدم عليه السلام:

تغيَّرتِ البلادُ ومن عليها ... فوجهُ الأرضِ مغبرٌّ قبيحُ
تغيَّر كلُّ ذي حسنٍ وطيب ... وقلَّ بشاشةَ الوجهُ المليحُ

قال ابن دُريد: هذا شعر قد قيل قديما، وجاء فيه الإقواء. قال: فقلتُ: إنَّ له وجها يخرجه عن الإقواء، نصب بشاشة وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين، فسكون هذا التقدير نكرة منتصبة على التمييز،ثم يُرفع الوجه بإسناد قلَّ إليه، فيصير اللفظ، وقلَّ

(١) الإمتاع والمؤانسة: ١/٢٧.
(٢) المصدر نفسه: ٣/١٢٩.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ٣/١٤٠.

بشاشةُ الوجهُ المليح، قال: فرفعني حتى أقعدني بجانبه.

قال أبو العلاء المعرّيّ في رسالة الغفران[1]: هذا الوجه الذي قاله أبو سعيد في تخريجه شرٌّ من إقواء عشر مرات.

وفي الطيور باب: سمعت الصوريّ يقول: حدثني من أثق به عن أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافيّ قال: حضرتُ مجلس أبي بكر بن مجاهد أولَ ما حضرته وهو صبي، فحدّث في أخريات الناس، فقال المستملي: واجعلها تقسيم سنين كسِني يوسف، فتطاولت، وكان أبو سعيد دميما حقير المنظر، فقلت: كسني يوسف، فلم يفهم عني، فقمتُ قائماً فأعدت القول، فقال ابن مجاهد: من هذا؟ فأشاروا إليّ، فاستدعاني وقرّبني إليه، فتحَصّلتُ في أعلى المجلس بعد أن كنتُ في أدناه.

وفي تذكرة التاج بن مكتوم: قال القاضي أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافيّ: الجود والغول والعنقاء ثالثها أسماء أشياء لم تُخْلَق، ولم تكن.

وفيها: كتبتُ من خطّ شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد مما عزاه لأبي حيان التوحيديّ في كتاب الذخائر والبصائر، قال: سمعت السيرافيّ يقول: سمعتُ نفطويه يقول: لحن الكُبَراء الرفع، ولحن الأوساط النصب، ولحن السَّفَلَة الكسر.

وفيها: قال القاضي أبو سعيد السيرافيّ في شرح الكتاب ما نصّه: وحدّثني بعض أصحابه : إنّ المزني صاحب الشافعيّ، سئل عن رجل حلف، فقال: والله لا كلّمتُ أحدا إلا كوفيًا أو بصريًا. فكلّم كوفيًا وبصريًا، فقال: ما أراه إلا حانثا. فانتهى ذلك إلى بعض أصحاب أبي حنيفة المقيمين بمصر في أيام المزني، فقال: أخطأ المزني، وخاف الكتاب والسُّنّة، فأمّا الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا كلَّ ذي ظفرٍ ومن البقر والغَنَم حرّمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعَظْمٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٤٦] وكل ذلك كان مباحاً جارحاً بالاستثناء من التحريم، وأما السُّنّة فقوله (ﷺ): «فقد هممتُ أن لا أقبلَ هديّةً إلا من قرشيّ أو ثقفي» والمفهوم من ذلك أنّ القرشي والثقفي كانا جميعا مستثنَيْن. انتهى.

(١) رسالة الغفران: ٣٦٣.

[٥٩]*

يوسف ابن السيرافيّ

أبو محمد.

قال ابن النجّار: قرأ على أبيه، وخلَفه في حلقته بعد وفاته، وأقرأ الناس، وتمَّم كُتبا كان أبو ه شرع فيها، وشرح أبيات الغريب المصنَّف، وأبيات كتاب سيبويه، وأبيات إصلاح المنطق، وكان ديِّنا ورعا زاهدا متقشِّفا متقدما في اللغة والعربيّة مشاركا في العلوم الباقية.

روى عن أبيه، وروى عنه أبو الحسن محمد بن أبي عمر النوقانيّ، وعبد العزيز بن طلحة الجرجانيّ.

ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة، ومات في يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة عن خمسٍ وخمسين سنة.

قال ياقوت: ومن تصانيفه شرح أبيات الألفاظ، وتمَّمَ الممتع والإقناع لأبيه، وكان وصل فيه إلى باب التصغير. وكان له تقدّم في علم اللغة والعربيّة، وبضاعة قويّة في العلوم الباقية.

قال: وقد مات الصاحب بن عبّاد في تلك السنة أيضا، ومات أبو إسحاق الصابئ، وعلي بن عيسى الرُّمّانيّ في سنة أربعٍ وثمانين، ومات أبو منصور أحمد بن عبيدالله بن المرزبان الكاتب الشيرازيّ في سنة ثلاث وثمانين، فتعجَّب الناسُ من انقراض فضلاء العصر في ثلاث سنين متوالية، فقال الرضيّ أبو الحسن محمد بن

[*] انظر ترجمته في: تاريخ العلماء النحويّين: ٢٩. معجم الأدباء: ٦/٢٨٤٧. إنباه الرواة: ٤/٦٧-٦٩. وفيات الأعيان: ٦/٧٢-٧٤. إشارة التّعيين: ٣٩١. تاريخ الإسلام: (وفيات ٣٨١-٤٠٠): ١١٣. الوافي: ٢٩/٨٠. مرآة الجنان: ٢/٣٢٢-٣٢٣. الجواهر المضيّة: ٣/٦٢٥. البلغة: ٢٩١. البغية: ٢/٣٥٥.

ومن الدراسات الحديثة عنه، الدراسة التي قدّم بها ياسين محمد السوّاس لتحقيق شرح أبيات إصلاح المنطق لابن السيرافي.

الحسين الموسويّ يرثيهم:

لم يُنسِنا كافي الكفاة مصابه — حتّى رمانا فيك خطبٌ مضلعُ
قرح على ترح تقارب عهده — إنّ القروح على القروح لأوجعُ
وتلاحق الفضلاء أعدلُ شاهدٍ — إنّ الحمام بغير علق مولعُ

[٦٠]*

ابن سِيده

أبو الحسن علي بن أحمد، وقيل ابن محمد، وقيل ابن إسماعيل بن سِيده الأندلسيّ اللغويّ الضرير.

قال أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميديّ في تاريخه: إمام في اللغة، وفي العربيّة، حافظٌ لهما، وقد جمع في ذلك جموعا، وله مع ذلك في الشعر حظّ وتصرّف.

وقال في المُغرِب: عالِم الأندلس وحافظها في اللغة، وكان أبوه أيضا أعمى من

[*] انظر ترجمته في: طبقات الأمم: ١٠٠-١٠١. جذوة المقتبس: ٥/٢٩٣-٢٩٤. مطمح الأنفس: ٢٩١-٢٩٣. الصلَة: ٢/٤١٧-٤١٨. بغية الملتمس: ٣٦٦-٣٦٧. معجم الأدباء: ٤/١٦٤٨-١٦٥٠. إنباه الرّواة: ٢/٢٢٥-٢٢٧. وفيات الأعيان: ٣/٣٣٠-٣٣١. المغرب: ٢/٢٥٩. إشارة التعيين: ٢١٠-٢١١. تاريخ الإسلام: (وفيات ٤٥١-٤٦٠): ٤٤٧-٤٥٠. دول الإسلام: ١/٢٦٩. سير أعلام النبلاء: ١٨/١٤٤-١٤٦. العبر: ٢/٣٠٨. مسالك الأمصار: ٧/٦١-٦٢. نكت الهميان: ٢٠٤-٢٠٥. الوافي: ٢٠/١٠٠-١٠١، وفيه عرض وتوثيق للآراء المختلفة في اسم ابن سيده ونسبه. مرآة الجنان: ٣/٦٤. الديباج المذهّب: ٢/١٠٦-١٠٧. البلغة: ١٤٨-١٤٩. البغية: ٢/١٤٣. مفتاح السعادة: ١/١١٣. نفح الطّيب: ٣/٣٧٩-٣٨٠ ط ٤/٢٧-٢٨. شذرات الذهب: ٣/٤٨٨-٤٨٩. ديوان الإسلام: ٣/١١٨-١١٩.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- ابن سيده.

أهل مُرسية، وكان أبو الحسن يحفظ الغريب المصنَّف، وإصلاح المنطق، وغيرهما من كتب اللغة، وله فيها التواليف الجليلة، ومنها: المُحْكَم، والمُخَصَّص، والأنيق في شرح الحماسة، وشرح إصلاح المنطق، وله في علم المنطق كتابٌ مبسوط ذهب فيه مذهب يونس بن متّى.

وقال ابن بشكوال في الصلة: كان متفنّنا في علوم كثيرة، منها العلم القديم.

وقال السلَفيّ في معجم السفر[1]: سمعت أبا عبدالله محمد بن الحسن بن زُرارة اللغويّ بالإسكندريّة يقول: كان بالمشرق لغويّ وبالمغرب لغويّ في عصرٍ واحد، ولم يكنْ لهما ثالث، وهما ضريران، فالمشرقيّ أبو العلاء المعرّيّ التنوخيّ بالمعرة، والمغربيّ ابن سيده الأندلسيّ، وابن سيده أعلم من المعرّيّ؛ أملى من صدره كتاب المحكَم في اللغة، ثلاثين مجلدا، وما في كتب اللغة أحسن منه (وكان في زمانه لغويّ آخر يُقال له: الأعلم، وكان مولعا بالردّ عليه، وكذا ابن سيده يردّ عليه، وينقض تصانيفه مثل ابن رشيق وابن شرف بالقيروان)[2].

وقال الحميديّ: كان ابن سيده منقطعا إلى الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبدالله العامريّ، ثم حدثت له نبوةٌ بعد وفاته في أيام إقبال الدولة ابن الموفق خافه فيها فهرب إلى بعض الأعمال المجاورة لأعماله، فبقي فيها مدة، واستعطفه بقصيدة غرّاء أولها:

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليُمنى ... سبيلٌ فإنَّ الأمنَ في ذاك واليُمنا

ضحِيتُ فهل في بَرد ظِلّك نومةٌ ... لذي كبد حرّى وذي مقلةٍ وَسْنى

ونِضو هموم طلّحته ظباته ... فلا غاربا أبقينَ منه ولا متنا

فيا ملكَ الأملاكِ إني موقَّفٌ ... عن الورد لا عنه أُذادُ ولا أُدنى

ومنها:

---

(١) معجم السفر: ٣٤٨.

(٢) لم ترد هذه الزيادة في معجم السفر.

وإن تتـــأكّـــد في دمي لك نيّـــةٌ   بســـفك فـــإني لا أحبُّ له حـــقنا
إذا مـا غـدا من حَرِّ سـيـفكَ بارداً   فقدمـا غدا من بردِ برِّك لي سُـخنا
وهل هي إلا ســاعـــةٌ ثم بعـــدها   ستـقـرع مـا عـمِّـرتَ من نَدَمٍ سنا
ولله دمـــعي مـــا أقلُّ اســـتنانه   إذا في دمي أمسى سنانك مستنا
ومـــا لي من دهري حـــيـــاة ألَذّهـا   فـتـعــتـدّها نعـمى عليَّ وتمتّنُا
إذا قـبلة أرضـتكَ منا فـهـاتهـا   حـبـيبٌ إلينا مـا رضـيتَ به عنّا

وهي طويلة، صرَّفَ فيها القول، ووقع عنه الرضى بوصولها، ومات قريبا من سنة ستين وأربعمائة.

وقال ناصر الدين محمد بن قرناص في ترتيب حروف كتاب المحكَم(١):

عليك حـروف هنّ خـيـر غـوامض   قـيـود كـتـاب جلَّ شـأنا ضـوابطهْ
صـراط سـوى زلّ طالب دحـضـه   تزيد ظـهـــوراً إذ تنـاءت روابطهْ
لـذلـكم فـــــــوزاً بمُـحـكـم   مـصـنِّفـه أيضـا يفـوز وضـابطهْ

وقال الصلاح الصفديّ: كان ابن سيده مع توفّره على علوم كثيرة متوفِّرا على علوم الحكمة، وألَّف فيها تواليف كثيرة، ولم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب، وما يتعلّق بعلومها، وكان حافظا وله في اللغة مصنّفات، وروى عن أبيه، وعن صاعد بن الحسن البغداديّ.

قال أبو عمر الطلَمنكيّ: دخلتُ مُرسية، فتَشَبَّثَ بي أهلُها ليسمعوا عليَّ الغريب المصنَّف، فقلت لهم: انظروا: من يقرأ، وأنا أمسك كتابي. فأتوني برجل أعمى يُعرَفُ بابن سيده، فقرأه عليٌّ من أوله إلى آخره حفظا من قلبه، فعجبتُ منه.

قال الصفديّ: وكان ابن سيده ثقةً في اللغة حُجةً، لكن له في المُحكَم أوهام، ومن

(١) الحروف الأوائل من كل كلمة من كلمات الأبيات الثلاثة تشير إلى ترتيب الحروف في معجم المحكم.

تصانيفه: كتاب المحكَم والمحيط الأعظم، وكتاب المخَصَّص مرتَّب على الأبوب كالغريب المصنَّف، وكتاب شاذ اللغة في خمس مجلدات، وكتاب العالَم في اللغة على الأجناس في غاية الاستيعاب نحو مائة مجلد بدأ فيه بالفلك، وختم بالذرّة، وكتاب الغواص[١] في شرح إصلاح المنطق، وكتاب الأنيق في شرح الحماسة، وكتاب العالِم والمتعلِّم على المسألة والجواب، وكتاب الوافي في علم أحكام القوافي، وشرح كتاب الأخفش، وغير ذلك.

مات بالأندلس سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة.

وقال الصفديّ في تاريخه: توفي بدانية سنة ثمانٍ وخمسين، وقيل: ثمانٍ وأربعين وأربعمائة عن ستين سنة أو نحوها، كان يوم الجمعة صحيحا سويًا إلى صلاة المغرب، فدخل المتوضأ وخرج منه وقد سقط لسانه وانقطع كلامه، وبقي على تلك الحال إلى عصر يوم الأحد، وتوفي.

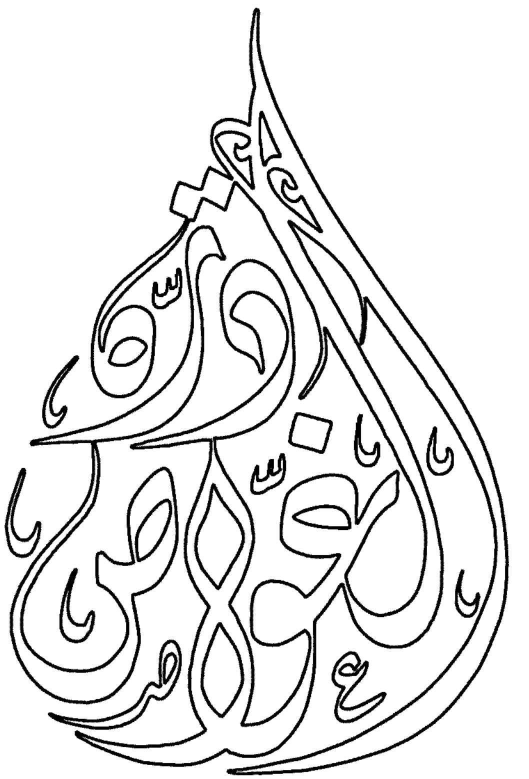
ومن شعر ابن سيده أورده في المغرب:

لا تضجرَنّ فما سواك مؤمَّلُ ... ولديك يحسن للكرام تذلّلُ
وإذا السحاب أتت بواصل درّها ... فمن الذي في الرّيّ عنها يسألُ
أنتَ الذي عوّدتنا طلبَ المنى ... لا زلتَ تُجمِل في العلى وتجمِّلُ

(١) سمّاه ياقوت في معجم الأدباء: العويص. انظر: ١٦٤٩/٤.

الجزء الثاني

تحفة الأديب
في نحاة مُغني اللبيب



تُحفة الأديب
في نُحاة مُغني اللبيب

تأليف

جلال الدين عبدِ الرحمن بن أبي بكر السّيوطي
(المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م)

دراسة وتحقيق

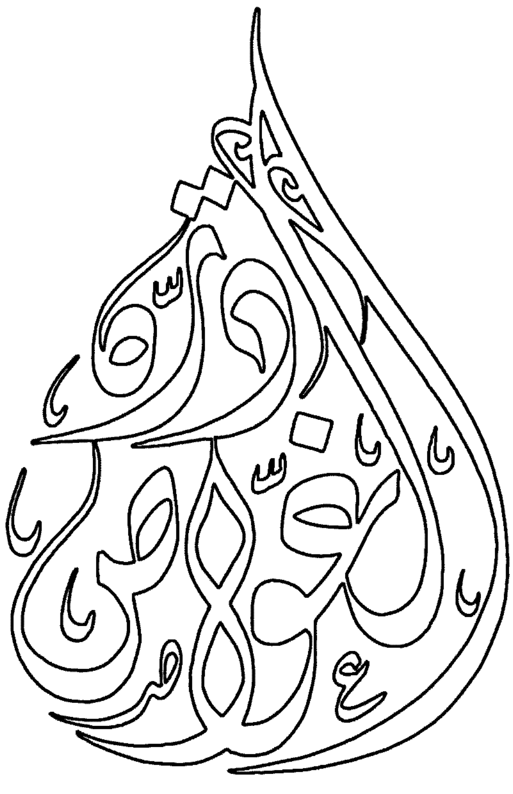
الدكتور حسن الملخ
الدكتورة سهى نعجة

الجزء الثاني

٢٠٠٨

جدارا للكتاب العالمي
عمان- الأردن

عالم الكتب الحديث
إربد- الأردن



[٦١]*

ابن السِّيْد

أبو محمد عبدالله بن محمد بن السِّيْد البطليوسيّ، نزيل بلنسية.

قال ابن بشكوال: كان عالما باللغات والآداب متبحّراً فيهما، يجتمع الناسُ إليه ويُقرِؤون عليه، وكان حسن التعليم، صنَّفَ كتبا حِسانا، منها: الاقتضاب في شرح أدب الكاتب. التنبيه على الأسباب الموجبة للاختلاف بين الأمة. كتاب في الحروف الخمسة، وهي السين والصاد والضاد والظاء والذال. شرح الموطأ. شرح ديوان المتنبي. شرح سقط الزَّند. المثلث. إصلاح الخلل الواقع في الجُمل. الحُلَل في شرح أبيات الجُمل. شرح كامل المبرِّد.

قال صاحب المغرب: أبو محمد عبدالله بن السِّيْد إمامُ النحاةِ بالمغرب المشهور بالبَطَلْيوسيّ لملازمته بَطَلْيوس، وأصله من شِلْب، رحل به أبوه منها عند تغلّب البربر عليها، ومن تصانيفه: المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس، والتنبيه على كلّ أمر من الديانة نبيه، وكتاب إثبات النبوّات وتحقيق الشرائع والديانات، وغير ذلك. مولده سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وتوفي في منتصف رجب سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، ومن شعره:

---

[*] انظر ترجمته في: قلائد العقيان: ٣/٧٠٨-٧٣١. الذخيرة: ٣/٥٨٤-٥٨٩. الصلة: ١/٢٩٢-٢٩٣. خريدة العصر (قسم شعراء الأندلس): ٢/٥٠٩-٥١٨. بغية الملتمس: ٢٩٢. معجم الأدباء: ٤/١٥٢٧-١٥٢٩. إنباه الرواة: ٢/١٤١-١٤٣. وفيات الأعيان: ٣/٩٦-٩٨. المغرب: ١/٣٨٥-٣٨٦. ديوان الإسلام: ٣/١١٩-١٢٠. مسالك الأبصار: ٧/٢١٧-٢١٩. عيون التواريخ: ١٢/١٩١-١٩٣. الوافي: ١٧/٣٠٧-٣٠٩. الديباج المذهب: ١/٤٤١. البلغة: ١١٤-١١٥. البغية: ٢/٥٥-٥٦. أزهار الرياض: ٣/١٠٣-١٤٩. نفح الطيب: ١/٦٤٣-٦٥٠. شجرة النور: ١/١٣٠.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- مقدّمة تحقيق كتاب: الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل.
- مقدّمة تحقيق كتاب: الفرق بين الحروف الخمسة.
- مقدّمة كتاب: شرح أبيات الجمل.

إذا ســــألوني عن حــــالتي وطـولَت عــــــذرا فلـم يمكـنِ
أقـــــول بخــــيـــــر ولكنّه كـــــلامٌ يـدور علـى الألسـنِ
وربُّك يعلم مـــا فـي الصــدور ويـعـلـم خـــــائـنـة الأعـينِ

قال السلفيّ في معجم السفر[1]: أنشدني أبو العباس أحمد بن معدّ بن عيسى بن وكيل التجيبيّ الأندلسيّ ويُعرَفُ بالإقليشيّ، قال: أنشدني شيخنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسيّ اللغويّ لنفسه بالأندلس:

قلْ لقــــومٍ لا يتـــوبونْ وعلى الإثم يصــــرّونْ
خـــفّــفوا تلك المعــاصي أفلح القـــوم المُخِـــفّــونْ
(لن تنالوا البـــرّ حـــتى تنفقـــوا ممّا تحـــبّـونْ)

وأورد له ابن الأبّار في تكملة الصلة:

أطمـــعني حبّ الملوك امــرؤ يحـتــاج بالرغم إليــه الملوكْ
مـــثل اليـــواقـيت ولكنّه يُنْظَم في الأفـواه لا في السلوكْ

وقال أبو الخطّاب بن دحية في كتاب المطرب من أشعار أهل المغرب: أنشدنا شيخنا الشيخ الفقيه الإمام المحدِّث الأصوليّ اللغويّ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله بن باديس بن القائد الحمزيّ ينسَبُ إلى حمزة الشرق على مقربة من أشير، ويعرف بابن قوقول في شعره عنه فيها سنة أربع وستين وخمسمائة، وأجاز لي جميع رواياته، وكان رحل إلى شرق الأندلس للقاء الأستاذ العالم إمام النحو واللغة والآداب والتاريخ والحديث والفقه والأصول والأنساب أبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطَليوسيّ، فقرأعليه كتاب التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة، وهو كتاب حسن، قال أنشدنا الأستاذ النحويّ أبو محمد بن السيد لنفسه:

---

(١) معجم السفر: ٣٧-٣٨.

أخـو العلم حيٌّ خـالدٌ بعـد مـوته وأوصـاله تحت التـراب رمـيمُ
وذو الجهل مَيْتٌ وهو ماشٍ على الثرى يُظَنُّ من الأحـيـاء وهو عـديمُ

وقال ابن دحية في الكتاب المذكور[1]: اختلف الناس في ضبط (التجيبيّ) بعد اتفاقهم على أنَّه منسوب إلى تجيب بنت ثوبان من مذحج، فقالوا: بضم التاء، وبه نطقت العرب، وكثير من الأدباء والمحدِّثين يفتحون التاء. وقال أبو مروان بن سراج: الفتح وحدَه، وزعم أنَّ التاء أصليّة، وليست للمضارعة، ولذلك أثبته صاحب كتاب العين في حرف التاء إلا أنَّه قال: تجيب وتجوب قبيلة.

وقال أبو محمد بن السيد: أنا أذهب إلى صحة الوجهين مع كون التاء من جاب تجوب وتجيب.قال ابن السيد صاحب الترجمة في كتاب شرح سقط الزند: الخال لفظ مشترك يتصرّف على معانيَ كثيرةٍ، ووجدت ثعلبا والمفضَّل وابن مقسم قد أنشدوا ثلاثة عشر بيتا، آخر بيت منها (خال) بغير معنى الآخر، ورأيت قائلها قد أغفل ألفاظاً أخَرَ كان ينبغي أن تُضَمَّ لها، فوردت فيها أبيات ضمنتها ما لم يذكره الشاعر، فبلغت اثنين وعشرين بيتا، وفي الروايات اختلاف، ذكرت منها ما وقع عليه استحساني، ورأيت إثباتها في هذا الموضع لتكون زيادة في الفائدة[2]، وهي:

أتعـرف أطلالا شـجـونكَ بالخـال وعيشاً غريراً كان في العصر الخالي
ليـالي ريعـان الشـبـاب مـسلّط عليّ بعـصـيـان الإمـارة والخـالِ
وإذ أنا خـدن للغـويّ أخي الصـبـا وللغَـزلِ المريح ذي اللهـو والخـالِ
وللخـود تصطاد الرجـال بفـاحمٍ وخـدٍّ أسـيل كـالوذيلة ذي خـالِ
إذا رنمتْ ريعـا رنمتُ رباعـهـا كما رنَم الميثاءَ ذو الريبة الخالي

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب: ٣٤.
(٢) ذكر السخاوي في سفر السعادة تسعة وعشرين بيتاً اختلفت معاني كلمة (الخال) فيها. انظر: ٢/٨٨٦-٨٩٣.

زمان أندّى من يراح إلى الصبا بعميٍ من فرط الصبابة والخالِ

وقد علمتُ أني وإن ملت للصبا إذا القوم كفوا لستُ بالرعش الخالي

ولا أرتدي إلا المروءة خلّةً إذا ضنَّ بعض القوم بالعصب والخالِ

وإني إذا نادى الصريخ أجبته على سابح عبل الشوا أو على خالِ

إذا قُطفتْ عنز وذُمَّ حلاؤها فما هو بالواني التطرف والخالِ

وإنا لننفي الخيل دون عيالنا فمن عاثر طرفا تميض ومن خالِ

جيادٌ تُباري العاصفات ولا يرى بها من لجان يستبين ولا خالِ

وإني لحاد للكماة إلى الوغى ولست بحاد للعروج ولا خالِ

وإني لحلو للصديق مرزًا ولست بحيس في الرجال ولا خالِ

وإن ضنَّ خال المرء يوما بغليه فإنَّ ندى كفّي مغزَّ على الخالِ

نهاني إلى العلياء كلّ سميدع تراه إذا جلّت حُبا القوم كالخالِ

جرينا جميع المجد جودا ونجدة فما شئت من ليث هصور ومن خالِ

وما أبصرت عينٌ لنا قط سيداً على حرج يزجى إلى المس بالخالِ

فحالفْ بحلفي كلّ خرق مهذّب وإلا تحالفْني فخالي إذن خالِ

وما زلت حلفا للسماحة والعلى كما احتلفت عبس وذُبيان بالخالِ

وثالثنا بالحلف كلّ مهنَّد لما ريم من صلب العظام به خالِ

حرام عليك الدهرَ خدع سراتنا فلا قيم في مجمع القوم أو خالِ

وهذا تفسير ما مرَّ من هذه الألفاظ على متوالي الأبيات: الخال: اسم موضع، والعصر الخالي الماضي، والخال في البيت الثاني اللواء الذي يُعقَد للأمير، وقال بعضهم: لا يُقال له خال حتى يكون أبيض، وفي البيت الثالث: التكبُّر والخُيَلاء، وفي الرابع: النُّكتة السوداء والوذيلة القطعة من الفضة، والخامس منقوص على مثال القاضي وهو الذي لا فضل له فهو يتبع المواضع التي لا أحد فيها للريبة والفجور،

وفي السادس أخو الأم، وفي السابع منقوص أيضا على مثال القاضي وهو الجَبان، و[في الثامن] العصب والخال نوعان من الثياب يُصبَغان بالثمين، وفي التاسع البعير الضخم، وفي العاشر اسم فاعل من خلأ البعير إذا حرث خففت همزته، وفي الحادي عشر اسم فاعل منقوص من خليت الخلا إذا قطعته، وخلّيت الدابّة إذا أطعمتها الخلا، وهو رطب النبات، وفي الثاني عشر ظلع يعتري الدابّة واللجان البطء في المشي، وفي الثالث عشر من قولهم هو خال مال وخائل مال إذا كان يرعى الإبل ويحسن القيام عليها، وفي الرابع عشر منقوص الذي لا يُعنى بأمره ويُخلد إلى الراحة والحيس الحسيس، وفي الخامس عشر خال السحاب، وفي السادس عشر الجبل الضخم، كذا قال ثعلب، وقال ابن دُريد الأكمة الصغيرة، وفي السابع عشر الرجل الجواد شُبِّه بخال السحاب، وفي الثامن عشر ثوب يسجى به الميت يريد أنُّهم إنَّما يموتون في الحرب لا على فُرشهم، وقوله: فخالِ إذا فعل أمر من خاليته إذا تاركته وتخلّيت عنه، وقوله عبس وذُبيان بالخال هو موضع غير الموضع الذي ذكره امرؤ القيس في قوله:

ديار لسلمى عافيات بذي خالِ

ولذلك كرر في موضعين، وقوله: به خال أي قاطع وأصله من قطع الكلام ثم يُستعار في غير ذلك؛ فلذلك كُرِّر في موضعين، وقوله في آخر الشعراء وخال من قولك خاليت الرجل مخالاة وخلاء إذا انفردت به على خلو. انتهى.

ومن نظم ابن السيد ما ختم به كتابه المسمّى بالإعلام بمعرفة نبوة محمد عليه السلام، قال:

أردت ابتغاء الأجر في نصرة الحقِّ ... وإبطالَ قول الملحدين ذوي الفسقِ
فلخّصتُ إثبات النبوات بالذي ... رأى الحكماء المؤمنون ذوو الصدقِ
وأتبعتها فضل النبي محمد ... فإن له فضلا مبينا على الخلقِ
له الرتبة الأولى وإن كان آخرا ... وشِرعته أوْلى الشرائع بالسبقِ
إذا امتحن الأديان ذو اللبِ لم يجد ... سوى دينه دينا سليما من المذقِ

فقل للذي اختار الضلالَ على الهدى ... وأصبح أعمى عن سنا صبحه الطلقِ
وظنّ النبــوات الكرام كــهــانة ... وســحــرا تَنبُّهْ قـد أتيناك بـالفـرقِ
أخلتَ إلهَ الخَلقِ أهمل خَلْقَـــه ... فأضحى سُدى غُفلا لقد جئت بالغلقِ
وعـدت من الميـزان بالهـجن ضلّة ... لك الويل فـارتقْ ما جنيت من الفتقِ
وهل تصلح الأزمـــان إلا بسُنّةٍ ... يُساسُ بها الأقوام بالعنفِ والرفقِ
وما عُميت أبصارُ قوم عن الهدى ... ولكنُّها الأقدار تسـعـد أو تُشقي

وفي تذكرة ابن مكتوم: من شعر أبي محمد بن السيد البطليوسيّ، أنشده لنفسه في كتاب الحدائق من تأليفه:

أنت وسطى مـا بين ضـدّين يا إنـ ... ـسانُ ركبت صورة في هيولى
إن عـصـيت الهـوى علوتَ علوّا ... أو أطعتَ الهـوى سـفلت سـفـولا

وله:

تقــيــه وقـد أيقنتَ أنَّكَ ممكن ... فكيف لو اسـتـيـقنتَ أنَّك واجبُ
وهل لك عن عـدْنٍ إذا متّ أو لظى ... مـحيص يرجّى أو عن الله حـاجبُ

وله:

يا واصــــفــا ربّه بجــهلٍ ... لـم تقـــدرِ الله حقّ قـــدرِهْ
كــيف يفــوت الإله علـمٌ ... بســرٍّ مــخلوقــه وجـــهــرِهْ
وهـو مـــحــيط بكلِّ شيءٍ ... وكلّهــا كــائنٌ بـأمـــرِهْ

وله في رحمون وعزون وحسُّون أولاد صاحب قرطبة، نقلته من خطِّ ابن العجاج في مجموع له:

أخفيتُ سقمي حتى كاد يُخفيني ... وهمـمت من حبِّ عـزّون فـعـزّوني
ثم ارحـموني رحـمـون فـإن ظمئتْ ... نفسي إلى ريقِ حسُّونٍ فحسُّونِ

وله أيضا:

أتحـــسب عند الموت أنّك تعـــدمُ وذاك الوجـود الحقّ لو كنتَ تفـهمُ
جهلتَ فخلتَ الجوهر الفرد ما له وجـود ولا مـوجـود إلا التـجـسّمُ
حـــيـــاتك نومٌ والردى لك يقظة تـأمّلْ رويدك إنّمـــا أنـتَ تحلـمُ
ونفـــسك فـــاعلم حـــيّـــة أبدية وإن بان عنها شخصها المتجسّمُ
وما الموت إلا أن تفارق جسمها إلى أمـدٍ من عـمـرها يتـصـرّمُ
وتُجلي غطاءً عنك توقن بعـــده بما لم تكن من قـــبله تتـــوهّمُ
ولله في تركـيـبـهـا عند بَدنها وعَـودتهـا للجـسم سـرٌّ مُكَتَّمُ
وفي الوعد والإيعاد والنشر والبلى له نبـأ جـهـل(١) خطبٍ مـعظَّمُ
يحار ذوو الألباب فيه فبعضهم يُعـارضُ من جـهل وبعض يسلِّمُ
وأنّى لجـزئيًّ بجـزئيًّ عـقله ترنّم بالكُليّـــة مـــتـــرنّمُ
أساويتَ بين النفسِ والجسمِ ضِلّةً وكيف يساوي ذا الفصاحةِ أعجمُ
وهل كان هذا الجسم يعقل ما حوى من العلم لولا النفسُ أو تتكلّمُ
بها حيي الجسم الذي كان ميّتا وأضحى يروّي في الأمور ويُجزمُ
فـإن قلتَ لا وجـدان للنفسِ دونه نقـضتَ ولم تدرِ الذي أنتَ تعـزمُ
فـإن قلتَ إنَّ الجـسمَ حيٌّ لذاتهِ فـقـولك أدهى في المُحـالِ وأعظَمُ
لأنَّ حـيـاةَ الجـسمِ تعـدم مـرّةً ولو أنّهـا للذاتِ لم تكُ تعـدَمُ
لذلك لم يعدم من النفس فاغتدت مـؤبدة تبـقى ولا تتـحـرّمُ
فإن قلت نفس الجسم فاعلمْ منَ اوجه كما قال جالينوسَ فالزور أحسمُ
لأنا نرى سوء المجاز مغيّراً لجسم الفنـاء والمرء إذ ذاك أفـهـمُ
وتبصر جسم المرء يضوي وعقله يزيد ويضوي العقل والجسم يضخمُ
وقد جعلوا أقوى الحجاج مقالةً توهّمـهـا ذو غـفلة مـتـوهِمُ

فقالوا رأينا الطفل تضعف نفسه ... ويضعف من ذي الشيب أزمان تحلمُ
ويقوى لذا حالُ الشباب فدلَّنا ... على أنَّها للجسم تلوٌّ ملزَّمُ
فقلنا وهمتم إنَّما الجسم آلة ... بها تفعلُ النفسَ الأمورَ وتحكمُ
فإن قويت آلاتها لاح فعلُها ... بأعضاء ذاك الجسم وهْو متمِّمُ
وإن ضعفت آلاتها كان عجزها ... من الجسم لا من ذاتها فتفَهَّمُ
كما يعجز الأعمى ومن هو مقعدٌ ... وذو الصمم البادي ومن هو أجذمُ
وليس لعجز النفس لكن لآلة ... بها عن قبول الفعل عجز مخيِّمُ
وروح الفتى شيء سوى النفسِ هالك ... مع الجسم يروي ذاك قوْم ويزعمُ
له القلب مثوى عنده ويمدّه ... نسيمُ الهوى المستنشق المتنَسَّمُ
وقد قيل إنَّ الروح والنفسَ واحد ... وما لهما عدم ولا متصرِّمُ
وقد قيل إنَّ الروح أشرف عنصرٍ ... من النفس وهو الناطق المتكلِّمُ
فدعْ قولَ من يقضي على النفسِ بالردى ... ويحسب أنَّ الموت فيه التصرُّمُ
وأيقن إذا ما متَّ أنك صائرٌ ... لحالين إما شقوةٌ أو مُنَعَّمُ
وجملة أصنافِ العلوم ثلاثة ... كذا قيل في تقسيمها إذ تُقَسَّمُ
فعلم تعاليم وعلم طبيعة ... وعلم إلهيٌّ إليه التسلَّمُ
هو الغرض الأقصى وما قبله له ... مقدمة للناظرين تُقَدَّمُ
وكلٌّ له فعل كما قال ذو النُّهى ... وحضٌ على إثباته من يُعلمُ
وفعل الإلهيِّ الشريف منسك ... وكيف ترى الفعل الخناء وتأثمُ
وحفظ لما قال النبيّون إنهم ألبّ ... وأدرى بالأمور وأعلمُ
فخذ بوصايا العارفين وهديهم ... لعلّك عند الموتِ تنجو وتسلَمُ

[٦٢]*

السُّهَيْليّ

أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح، وهو الداخل إلى الأندلس، الخَثْعَميّ الأندلسيّ المالقيّ الضرير الخطيب الحافظ.

كان عالماً بالعربيّة واللغة والقراءات بارعاً في ذلك، أخذ عن ابن الطراوة، وسمع منه كثيرا من اللغة والأدب، وكُفَّ بصرُه وهو ابن سبع عشرة سنة، وتصدَّر للتدريس والإقراء والتحديث، وبعُدَ صيته، وجَلَّ قدره، وجمع بين الرواية والدراية، وله من المصنَّفات: الروض الأُنف والمشرع الرويّ في [شرح السيرة] والتعريف والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام. ونتائج الفكر. وشرح الجُمَل، لم يتمّ. وشرح آية الوصيّة. ومسألة رؤية الله تعالى ورؤية النبي (ﷺ) في المنام. ومسألة السرّ في عَوَر الرجال.

قال المنذريّ: سمعتُ محمد بن أحمد بن يعلى المالقيّ يقول: كان السُّهَيْليّ من الشخوص المِلاح ضريرا مزّاحا.

وقال صاحب المغرب: كُفَّ بصرُه وهو ابن نحو سبع عشرة سنة، وكان من كبار العلماء، يكنى أبا زيد وأبا القاسم وأبا الحسن.

قال: ومن شعره:

---

[*] انظر ترجمته في: المطرب: ٢٣٠-٢٣٩. أعلام مالقة: ٢٥٢-٢٥٧. أدباء مالقة: ٢٥٢-٢٥٦. إنباه الرواة: ٢/١٦٢-١٦٤. المغرب: ١/٤٤٨. إشارة التعيين: ١٨٢-١٨٤. سير أعلام النبلاء: ٢١/٢٥٧. العبر: ٣/٨٢. الوافي: ١٨/١٠٠-١٠٢. نكت الهميان: ١٨٧-١٨٨. مرآة الجنان: ٣/٣٢٠. الإحاطة: ٣/٣٦٣-٣٦٦. الديباج المذهب: ١/٤٨٠-٤٨٣. كتاب الوفيات: ٢٩٢. البلغة: ١٢٢-١٢٤. غاية النهاية: ١/٣٧١. النجوم الزاهرة: ٦/٩٢. البغية: ٢/٨١-٨٢. نفح الطيب: ٣/٤٠٠-٤٠١. شذرات الذهب: ٤/٤٥٧-٤٥٨. ديوان الإسلام: ٣/١٠٧. الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام: ٨/٦٠-٨١. شجرة النور: ١/١٥٦.

أُســائلُ عن جـيـرانه من لقـيـتـهُ وأُعـرض عن ذكـراه والحـال تنطقُ
ومـا بي إلى جـيـرانه من صـبـابة ولكنَّ نفـسـي عن صَـبـوح ترقّقُ

وله:

لما أجـاب بلا طمـعتُ في وصله إذ حـرف «لا» حـرفـان مـعـتنقـانِ
وكـذا «نعمْ» بنعـيمِ وصلٍ آذنتْ فنعمْ ولا في اللفظ مـتـفـقـانِ

ومن شعره، أورده ابن مكتوم في تذكرته:

لما انثنت عطفـا من جـمـر الصـبـا واهتـز كـالغـصنِ الرطيب الناعمِ
واسـتـجـمـعت نار الشـبـاب ومـاؤه في خـدّه واهتـاج قلب الهـائمِ
أبدى الصـدود تورّعـا في زعـمـه عن مـأثمٍ والصـدَّ فـعل الآثمِ
أفـبـعـد أن أضـرمت قلبي لوعـة تحـمي البـرود عن الفـؤاد الحـائمِ
إيهٍ فـهَـبكَ رأيت وَصْلي مـحـرمـا مـا بالُ طرفكَ يسـتـحِلُّ مـحـارمي

أخبرتني أم الفضل بنت الشرف القدسيّ: أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد المغربيّ أخبرنا أبو النون يونس بن إبراهيم بن عبد القويّ العسقلانيّ أنشدنا أبو محمد عبد المؤمن بن رضوان بن مفادٍ الكنانيّ إجازةً أنشدنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد بن الحسن الخثعميّ السُّهَيْليّ لنفسه إجازة من المغرب، وذكر أنَّه ما سأل الله بها شيئا إلا أعطاه، وكتبها عنه الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية:

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ أنتَ المُعَـدُّ لكلِّ مـا يُتَـوَقَّعُ
يا من يُرَجّى للشـدائدِ كلِّهـا يا من إليـه المشـتكى والمَفْـزَعُ
يا مَن خـزائنُ رزقـه في قـول كنْ امنُن فـإنَّ الخـيـرَ عنكَ أجـمـعُ
مـا لي سـوى فـقـري إليك وسيلةٌ وبالافـتـقـار إليك فـقـر من أدفعُ
مـا لي سـوى قـرعي لبـابك حـيلةٌ فلئن رددتَ فـأيُّ بابٍ أقـرعُ
ومَن الذي أدعـو وأهتفُ بـاسـمـه إن كـان فضلُك عن فـقـيرك يُمنَعُ

حاشا لجودك أن تُقنِّط عاصيا ... الفضل أجزلُ والمواهب أوسعُ

قال الحافظ أبو الحسين أحمد بن أيبك الدمياطيّ في المشيخة التي خرّجها لأبي النون يونس العسقلانيّ: ولد السُّهَيْليّ سنة ثمانٍ وخمسمائة، وتوفي ليلة الخامس والعشرين سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وهو منسوب إلى سُهَيْلٍ قرية من قُرى مالقة من بلاد الأندلس لا يُرى سُهَيْل من جميع المغرب إلا من جبل مُطِلّ على هذه القرية، ومن شعر السُّهَيْليّ يرثي بلده، وكانت الفرنج خربته وقتلت رجاله ونساءه، وكان غائبا عنه:

يا دارُ أينَ البيضُ والأرآمُ ... أم أينَ جيرانٌ عليٌّ كرامُ

رابَ المحبُّ من المنازل أنّه ... حيَّا فلم يرجعْ إليه سلامُ

أخَرِسْنَ أم بَعُدَ الهوى فنَسينَه ... أم غالَ من كان المجيب حِمامُ

دمعي شهيدي أنني لم أنسَهم ... إنَّ السلُوَّ على المحبِّ حرامُ

لما أجابني الصدى عنهم ولم ... يلج المسامعَ للحبيب كلامُ

طارحتُ وُرق حَمامها مترنِّما ... بمقالِ صَبٍّ والدموعُ سِجامُ

يا دارُ ما صنعتْ بك الأيّامُ ... ضامتكِ والأيّام ليس تُضامُ

وذكره ابن دحية في كتاب المطرب من أشعار أهل المغرب، فساق نسبه كما تقدّم، وقال: هكذا أملى عليٌّ نسبه، وقال: إنّه من وَلَدِ أبي رويحة الخثعميّ الذي عقد له رسول الله (ﷺ) لواء عام الفتح.

قال ابن دحية: الأستاذ المحدِّث الفقيه النحويّ الأصوليّ، نشأ بمالقة وبها العرب، وفي أكنافها تصرّف حتى بزغت بالبلاغة شمسه، ونزعت به إلى مطامح العلم نفسه، أخبرني أنه قرأ القرآن العظيم جمعا وإفرادا على المقرئ الشهير أبي علي الحسين بن منصور بن يعلى الأحدب، ثم قرأه أيضا بالمقرأين عن نافع وابن كثير على المقرئ أبي الحسن علي بن عيسى المرويّ نزيل مالقة، وقرأه أيضا بالمقارئ الأربعة، وشيئا من

العربيّة على المقرئ النحويّ الزاهد الضرير أبي مروان عبد الملك بن مجير، وسمع على الإمام أبي عبدالله محمد بن معمر، وسمع كتاب الهداية لأبي العباس المهدويّ على الشيخ الفقيه الأستاذ النحويّ أبي عبدالله محمد بن سليمان يُعرَفُ بابن أخت غانم، وقرأ الموطأ تفقّهاً وعرضا، ومنتخب الأحكام لابن أبي زَمنين على الفقيه المحدِّث أبي محمد عبدالله بن الرشيد المالقيّ[1]، وسمع الموطأ على خال أبيه الفقيه المحدّث الخطيب أبي إسحاق علي بن عباس[2] الظاهريّ، وقرأ النحو على الأستاذ الشهير أبي الحسين سليمان بن الطراوة الشيبانيّ، فلما مات قرأ على الأستاذ النحويّ الفقيه أبي محمد القاسم بن دحمان، ورحل إلى قرطبة فقرأ القرآن العظيم بالمقارئ السبعة على المقرئ أبي داود سليمان بن يحيى، ثم قرأها بالمقارئ الثلاثة بجامع قرطبة على المقرئ بها الخطيب بجامعها أبي القاسم عبد الرحمن بن رضى، وسمع على الفقيه الحافظ أبي عبدالله محمد بن نجاح الذهبيّ القرطبيّ، وعلى الوزير الأديب أبي عبدالله جعفر بن محمد بن مكيّ، ثم رحل إلى إشبيليّة فلزم القاضي الإمام أبا بكر بن العربيّ، فأخذ عنه كثيرا من الحديث والأصول والتفسير، ثم سمع على المحدّث الجليل أبي بكر محمد بن طاهر القيسيّ الإشبيليّ جملةً من الحديث، وسمع على القاضي أبي الحسن شريح بن محمد ولزم الأستاذ الماهر النحويّ أبا القاسم بن الرماك، فلقّن عنه فوائد من النحو، وكان لقي قبله الأستاذ الإمام النحويّ الزاهد أبا القاسم بن الأبرش، فلقّن عنه فوائد من النحو، وأجاز له المحدّث الراحل إلى مدينة السلام أبو الحسن عباد بن سرحان، والقاضي الإمام العالم الأوحد أبو القاسم بن ورد، إلى جماعة من العلماء والنحاة والأدباء.

وكان أقام للتصريف وعلل النحو برهاناً، وتيّم ألباباً وأذهانا، فيرشف من ماء العربيّة أتيّ مزنه، ويتوطأ من أكنافها كلّ سهل وحَزنه، وأفاض على الطلبة من سجله،

---

(١) في المطرب: أبي محمد عبدالرشيد المالقيّ. انظر: ٢٣١.

(٢) في المصدر نفسه: أبي الحسن علي بن عبّاس. انظر: ٢٣١.

وأجلبَ عليهم بخيله ورَجله، وتلقّى الراية باليمين، وحوى الغاية بالهزيل والسمين.

وكان ببلده يتسوّغ بالعفاف، ويتبلّغ بالكفاف إلى أن وصلت إليه، وصحّح الروض الأُنُف بين يديه، فطلعت به إلى حضرة مراكش، فأوقعت الحضرة عليه، فبذلوا له من نعمتهم، وكان وصوله إلى الحضرة والعمر قد عشا وذبل عودُه وذهب العيش وأفل سعوده، فعندما عاش مات، وهيهات من الانقطاع لغير الله هيهات، وكان مقامه بالحضرة نحواً من ثلاثة أعوام.

سألته عن مولده، فأخبرني أنّه ولِدَ سنة ثمانٍ وخمسمائة. وتوفي بحضرة مراكش يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان عام أحد وثمانين. قرأت عليه وسمعت كثيرا من أماليه التي أملاها في معاني الكتاب العزيز ودقائق النحو والأصول، وأملى علينا كتاب التعريف والإعلام، وكتاب نتائج الفكر، وسمعت عليه مسألة رؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبي (ﷺ) وكلامه في حديث الأمة السوداء كيف سألها عن الأينيّة حيث قال: أين الله؟ ولم يسألها عن إثبات إله، فيقول لها: من الربّ؟ وأملى عليّ السرّ في عور الرجال، وتفسير قول النبي (ﷺ): «قل هو الله أحد تَعْدل ثلث القرآن»، وكلامه في قوله تعالى: ﴿وما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٨] وكلامه في قوله تعالى: ﴿يتفيّأ ظلاله عن اليمين والشمال﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٨] وكلامه على ﴿سبحانَ الله﴾ بإعرابها وشرحها، إلى غير ذلك من مسائله في فنون العلم والنثر والنظم.

وأجاز لي ولأخي الحافظ أبي عمرو جميع مروياته ومسموعاته ومجموعاته، وسمعت عليه كتاب الروض الأُنُف، وأنشدني القصيد الذي صنّفه فيه الذي من أوّله:

من سرّه أن يشيم الطرف من شرفٍ ... في روضة جمّة الأزهار والطُّرَفِ
فناظرُ القلب أولى أن ينزّهه ... من المعارف وسط روضة الأنفِ
فقد ألاحت لذي لُبٍّ أزاهرها ... وقد دعتْ لجناها كفَّ مقتطفِ

الأبيات إلى آخرها.

وقد أنشدنا وقد حضر بين يديه طعام يسمَّى بالمغرب بالمجبّنات:

شَغَفَ الفؤادَ نواعم أبكارُ ... بردتْ فؤادَ الصبّ وهي حِرارُ
أذكى من المسك الفتيق لناشق ... وألذّ من صهباء وهي تُدارُ
صفت البواطن والظواهر مثلها ... لكن حكتْ ألوانها الأزهارُ
فكأنُّها صافي اللُّجين فلونها ... وكأنَّما ألوانها أسرارُ
عجبٌ لها وهي النعيم يصوغها ... نارٌ وأين من النعيم النار

وأنشدني يخاطب شيخنا المحدِّث الفقيه اللغويّ النحويّ الأصوليّ أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف يُعرفُ بابن قرقول أيام كونه في مدينة سبتة، فلما رحل منها إلى سلا قال مرتجلاً:

ألا فَسَلا عمَّن عهدتُ تحفيا ... وهل نافعي إن قلتُ من لوعةٍ سلا
سلا عن سلا إنَّ المعارف والنُّهى ... بها ودعا أمّ الرباب ومأ سلا
بكيت أسى أزمان كان بسبتةٍ ... فكيف التأسي حين منزله سلا
وقال أناس إنَّ في البعد سلوةً ... وقد طال هذا البعد والقلب ما سلا
فليت أبا إسحاق إذ شطَّتِ النوى ... تحيَّته الحسنى مع الريح أرسلا
فعادت دبور الريح عنديَ كالصبا ... لدى عُمَرٍ إذ مرُّ زيدٌ ينسلاً

يشير إلى قول عمر بن الخطاب حين قُتِلَ أخوه زيد: ما هبَّت الصبا إلا ذكرته.

فقد كان يهديني الحديث موصّلا ... فأصبح موصولا الأحاديث مرسلا
فلله أمٌّ بالمريَّة أنجبتْ ... به وأب ماذا من الخير أنسلاً
وإني إلى تلك الموارد عاطش ... وإن ألبن القلبُ المتشوّق وأعسلا
أقمتُ بشرقٍ والأماني بمغربٍ ... فأصبحت في كفِّ الصبابة منسلاً
فلو كنت من قيد الحوادث مطلقاً ... شددت له كورا وأنضيت عنسلا

العنسل: الناقة السريعة.

وأرفلت نحو المجد فالمجد عنده ... ولم أكُ في التطلاب كمن ترسّلا

وقال لي يوما: يا عجبا للحريريّ حيث يقول في بيتيه: «قد أمنّا أن يعزّزا بثالث»[1]. فقد جاء من عززها بثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وثامن وتاسع وعاشر وحادي عشر وثاني عشر.

والمهر مَهْر العس لا تُغلهِ ... فإنَّه مهما غلا مهرمةْ

من دمه صان لحرز التقى ... لم يخشَ من لؤم ولا مندمةْ

من عمّه القلب له شيمة ... لم يدرِ ما بؤسى ولا منعمةْ

أُب لمّتي إلى الرضا واقتسم ... مالي معي إن شئت كالأبلمةْ

أب ارجع، ولمة الرجل من على سنه، والأبلمة الخوص.

ما الأمة المخصوص مقدارها ... توضى بما في الهجر من ملأمةْ

ما الكمة المجتثّ أعراقها ... إلا كأصل المرتضي ملكمه

ملكمة مفعلة من الضرب، يقول: لا ترتضيها إلا من أصل له. كالكمأة والكمة الكمأة: سهُل همزتها، فنقل حركتها إلى ما قبلها.

ما الحمة السوداء إلا الورى ... فَلِمْ ترى بينهم ملحمةْ

الحمة هي الحمأة فسهُل همزتها.

فالهَين مهلاً لا تلُم هيّنا ... خلقه واحذر من الهينمةْ

الهينمة الكلام الخفيّ.

والهذرمة دعْه وكن ناطقا ... بالقصد إنَّ العاب في الهذرمه

الهذرمة: التخليط في الكلام والسرعة، والعاب: العيب.

كم كمه وكم عمى جرّه ... حبُّ ذوات الخُمر والكمكمةْ

(١) مقامات الحريري: ٥٠١.

الكمه: العمى، وذوات الخُمر: النساء، والكمكمة: من زيّ الحرائر ومن لا يمتهنّ من النساء.

وذكر لي أنَّه لم يسأل الله حاجة إلا أعطاه إياها، وكذلك من استعمل إنشاده:

يا من يرى ما في الضمير [ويسمعُ]

الأبيات السابقة.

قال ابن دحية: قوله: "فإنَّ الخيرَ عنك أجمعُ" أما رفع "أجمع" في هذا البيت فيجوز أن تكون توكيداً لمكان "إنَّ" الابتدائيّة إذ موضعها الابتداء؛ ولهذا عطفوا على اسمها بالرفع إذا استوفت خبرها، نحو: إنَّ زيداً قائمٌ وعمرو، العطف كما لو كان على المسند أو إذا كان كذلك جاز أيضا توكيد الموضع بالرفع[1].

قال ابن دحية[2]: أنشدني الأستاذ أبو القاسم السُهَيْليّ، والأستاذ كلمة ليست عربيّة ولا توجد هذه الكلمة في الشعر الجاهليّ، واصطلحت العامّة إذا عظّموا المجرب أن يخاطبوه بالأستاذ، وإنَّما أخذوا ذلك من الماهر بصنعته لأنَّه ربَّما كان بين يديه غلمان يؤدبهم، فكان أستاذاً في حسن الأدب. حدّثني بهذا جماعة ببغداد منهم جمال الدين أبو الفرج بن الجوزيّ، قال: سمعته من شيخنا اللغويّ أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقيّ في كتاب المعَرَّب من تأليفه[3].

وكان السُهَيْليّ فرداً في زمانه لبراعته في العلوم وافتنانه. انتهى.

وقال ابن دحية في كتاب التنوير في مولد السراج المنير: ذكر أبو بكر الزبيديّ النحويّ، وأبو جعفر بن النحاس أنَّه لا يجوز أن يُقال: اللهُمَّ، صَلِّ على محمد، وعلى آله؛ لأنَّ المضمر يردّ المعتلّ إلى أصله، وأصل آل: أهل، فلا يُقال إلا وعلى أهله. قال لي شيخنا العالم النحويّ أبو القاسم عبد الرحمن السُهَيْليّ: وقولهما خطأ من وجوه، وغير معروف في قياس ولا سماع، وما وجدنا قط مضمرا يردّ معتلا إلى أصله إلا قولهم

(١) انظر تفصيل الإعراب في المطرب: ٢٣٤-٢٣٥.
(٢) المصدر نفسه: ٩٢-٩٣.
(٣) انظر: المعرّب: ١٢٥.

أعطيتكموه يرد الواو، وليس هذا من هذا في ورد ولا صدر، ولا نقول أيضا: إنَّ الآل أصله الأهل، ولا هو في معناه، ولا نقول: إنَّ أُهَيلاً تصغير آل، كما ظنَّ بعضهم، وقد أنشد العلماء بالضمير:

وانصـــــر على آل الصليبِ ... وعـــــابديه اليـــــومَ آلكْ

وهو بيت باهليّ صحيح، وفيه ردّ عليهما .انتهى.

وقال صاحب المغرب: جرى بين السُّهَيْليّ وبين الوضّاح الشاعر ما أوجب أن قال الرصافيّ:

عـفـا الله عني فـإني امـرؤ ... أتيتُ السـلامـةَ من بابهـا

عـلـى أنَّ عـندي لمن هـاجـني ... كنائن غـصـّت بنشـابهـا

ولو كنتُ أرمي بهـا مـسلمـا ... لكان السُّـهَـيْليّ أولى بهـا

ومن شعر السُّهَيْليّ وقد قال: كيف أمسيت؟ في موضع: كيف أصبحت؟

لئن قلْت صبحا: كيف أمسيت مخطئا ... فـمـا أنا في ذاك الخطا بملوم

طلعت وأفـقي مظلِمٌ لفـراقكمْ ... فـخِلتك بدرا والمساء همـومي

وقال الشيخ تاج الدين بن مكتوم في تذكرته: رأيت في تاريخ مالقة للأستاذ أبي عبدالله بن عسكر في ترجمة الشيخ أبي جعفر أحمد بن عبدالله العسكريّ أحد أصحاب أبي زيد السُّهَيْليّ أنَّ السُّهَيْليّ كان يمتحن أذهان الطلبة ببيتين صنعهما لذلك، وهما:

أشـرتُ إليـهـا بالجـفـون أنيني ... فـقـولك يشـفي يا أُسَـيم أنيني

فـولّت صـدوداً عن مـشـوق بحـبّهـا ... كـأنيَ قلت إذ أشـرت أنيني

قال ابن مكتوم: ولم يذكرْ ابن عسكر شيئا من شرحهما، ولا أومأ إليه، ففكرت فيهما لحظة ففككتهما، وزدت عليهما:

ومن بعد ما زلت تولّت بشاشتي ... ونـادمت روعـات الزمـان أنيني

وشرح ذلك أن يُقال: آنَ الشيءُ يئين بمعنى حان يحين أي قرب. ويُقال: آنَ أيضا إذا رفق في سيره وأمره، حكى ذلك ابن طريف وغيره. فقوله: بالجفون أنيني أصله أن إيني بمعنى حيني أي اقربي بنقل حركة الهمزة من إيني إلى نون أن وحذفها، فبقي ايني، وحقّه أن يُكتبَ هكذا (ئنى). وقوله: يا أسيم أنيني، وهو أنين مضاف إلى ياء المتكلّم، والأنين معروف. وقوله إذا أشرت أنيني أي أبعديني، فعل أمر للمؤنث من أنأى أي أبعده، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ثم حذفت، فصارت أنيني.

ومرّ لي في اخر البيت الثالث أنيني أصله آنَ يئين أيضا كالأول إلا أنّه هنا بمعنى ارفقي، ففعل به ما فعل بالأول من نقل حركة الهمزة إلى نون أن وحذفها، وحقّه أن يُكتب أن ئني كما ذكرنا. انتهى.

[٦٣]*

السخاويّ

عَلَمُ الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الواحد بن عبد الغالب بن عطاس الهمذانيّ المصريّ السخاويّ المقرئ النحويّ.

---

[*] انظر ترجمته في: معجم الأدباء: ١٩٦٣/٥. الذيل على الروضتين: ٢٧١/٥-٢٧٢. إنباه الرواة: ٣١١/٢-٣١٢. مرآة الزمان: ٧٥٨/٨-٧٥٩. وفيات الأعيان: ٣٤٠/٣-٣٤١. إشارة التعيين: ٢٣١-٢٣٢. الإشارة إلى وفيات الأعيان: ٣٤٥. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٤١-٦٥٠): ١٩٢-١٩٦. دول الإسلام: ١٤٩/٢. سير أعلام النبلاء: ١٢٢/٢٣-١٢٤. العبر: ١٤٧/٣. معرفة القراء الكبار: ٦٣١/٢-٦٣٤. مرآة الجنان: ٨٦/٤. طبقات الشافعية الكبرى: ٢٩٧/٨-٢٩٨. طبقات الشافعية: ٣٤٥/١-٣٤٦. البلغة: ١٦٦-١٦٧. ذيل التقييد: ٢١٣/٢. غاية النهاية: ٥٦٨/١-٥٧١. النجوم الزاهرة: ٣١٣/٦. البغية: ١٩٢/٢-١٩٤. حسن المحاضرة: ١٩٢/١. طبقات المفسّرين (السيوطي): ٧٢-٧٣. طبقات المفسرين (الداودي): ٤٢٩/١-٤٣٢. شذرات الذهب: ٢٤٤/٥-٢٤٥. خزانة الأدب: ٧٨/٦. طبقات المفسرين (الأدنه وي): ٢٣٤-٢٣٥.

ومن الدراسات الحديثة عنه، الدراسة التي قدم بها أستاذنا الدكتور علي حسين البواب لتحقيق كتاب: جمال القرّاء وكمال الإقراء للسخاوي.

قال الحسينيّ في التكملة: ولِدَ في سنة ثمانٍ أو تسعٍ وخمسين وخمسمائة بسخا ظنًّا، وقرأ القرآن الكريم بالقراءات على أبي القاسم الشاطبيّ وغيره، وبرع في ذلك، وسمع في الإسكندريّة من الحافظ أبي طاهر السلفيّ، والفقيه أبي الطاهر إسماعيل بن مكيّ بن عوف، وبمصر من أبي الجيوش عساكر بن علي بن إسماعيل بن نصير، والحافظ أبي محمد القاسم بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر، وأبي القاسم هبة الله بن علي البوصيريّ، وأبي الطاهر إسماعيل بن صالح بن ياسين، وأبي عبدالله محمد بن حميد بن حامد، وأبي الفضل محمد بن يوسف الغزنويّ، وفاطمة بنت سعد الخير الأنصاريّ، وبدمشق من العلامة أبي اليُمن زيد بن الحسن الكنديّ. وحدَّث، وكان أحد الأئمة الفضلاء المشهورين، أقرأ القرآن مدة، وانتفع به خلقٌ كثيرون، وله تصانيف مشهورة.

مات في ليلة الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بدمشق، ودفِنَ بجبل قاسيون.

وقال الصلاح الصفديّ في تاريخه: كان السخاويّ إماماً علامةً مقرئا محققا مجودا بصيرا بالقراءات وعللها إماماً في النحو واللغة والتفسير، وله معرفة تامة بالفقه والأصول، وكان يفتي على مذهب الشافعيّ، وتصدّر للإقراء بجامع دمشق، وازدحم عليه الطلبة، وتنافسوا في الأخذ عنه، وقصدوه من البلاد.

قال ابن خلكان: رأيته مراراً راكباً بهيمةً إلى الجبل وحوله اثنان وثلاثة يقرؤون عليه في أماكنَ مختلفةٍ دفعةً واحدة وهو يردّ على الجميع.

قال الذهبيّ: وفي نفسي شيء من صحة هذه الرواية على هذا النعت لأنَّه لا يُتَصوَّر له أن يسمع مجموع الكلمات، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وأيضا فإنَّ هذا الفعل من خلاف السُّنَّة، ولا أعلم أحداً من شيوخ المقرئين كان يترخَّص في هذا إلا الشيخ علم الدين.

وكان أقعدَ بالعربيّة والقراءات من الكِنديّ، وقد أخذ عن الكِنديّ والغزنويّ ولم

يُسنِد عنهما القراءات، قيل لأنَّ الشاطبيّ قال له: إذا مضيت إلى الشام فاقرأ على الكِنديّ ولا تروِ عنه. وقيل: إنَّه رأى الشاطبي في المنام فنهاه أن يقرأ بغير ما أقرأه.

ومن تصانيفه: شرح الشاطبيّة، وشرح الرائيّة، والتفسير وصل فيه إلى الكهف، وجمال القرّاء وتاج الإقراء، وتنوير الدياجي في تفسير الأحاجي، والمفضَّل في شرح المفصَّل، وسفر السعادة وسمير الإفادة، وقصيدة تسمَّى ذات الحُلل على طريق اللغة وشرحها، وتحفة الفُرَّاض وطرفة تهذيب المرتاض، وهي أرجوزة في القرآن، وهداية المرتاب وغاية الحُفَّاظ والطلاب في متشابه الكتاب، والكوكب الوقّاد في تصحيح الاعتقاد أرجوزة، والناصرة لمذاهب الأشاعرة، وعروس السمر في منازل القمر، والمدائح النبويّة.

ولما حضرته الوفاة أنشد لنفسه:

قالوا غداً يأتي ديار الحمى ... وينزل الركب بمغناهمُ
وكلّ من كان مطيعاً لهمْ ... أصبح مسروراً بلُقياهمُ
قلت فلي ذنبٌ فما حيلتي ... بأيِّ وجهٍ أتلقّاهمُ
قالوا أليس العفو من شأنهمْ ... لا سيما عمَّن ترجَّاهمُ

وقال القاضي تاج الدين السُّبكيّ في الطبقات الكبرى: كان مُعمَّما يفتي الناس، وإماماً في النحو والقراءات والتفسير، قصده الخلقُ من البلاد لأخذ القراءات عنه، وله المصنَّفات الكثيرة، والشعر الكثير، وكان من أذكياء بني آدم، سمع من ابن طبرزد وخلق. روى عنه الشيخ زين الدين الفارقيّ، وخلق.

ذكره العماد الكاتب في كتاب السيل والذيل، وذكر أنَّه مدح السلطان صلاح الدين بقصيدة منها:

بين الفؤادين من صبٍّ ومحبوب ... يظلّ ذو الشوقِ في شدٍّ وتقريبِ

وهي طويلة أورد العماد قطعة منها.

قال ابن السبُكيّ: ومن الغريب أنَّ هذا السخاويّ مدح الشيخ رشيد الدين الفارقيّ بقصيدة مطلعها:

فاق الرشيد فأتّت بحره الأممُ وصدٌ عن جعفرٍ ورداً له أممُ

وبين وفاة أحمد وحسين أكثر من مائة سنة، ولا أعلم لذلك نظيراً. انتهى.

وقال الصلاح الصفديّ في شرح لاميّة العجم[1]: ذكر أصحاب الخواصّ والتجارب أشياء تورث النسيان، نظمها الشيخ علم الدين السخاويّ، فقال:

توقَّ خصالاً خوفَ نسيان ما مضى قراءة ألواح القبور وتديمُها
وأكلكَ للتفاح ما دام حامضا وكسفرة خضراء فيها سمومها
كذا المشي ما بين القطار وحجمك الـ قفاء ومنها الهمّ وهو عظيمها
ومن ذاك بول المرء في الماء راكداً كذلك نبذ القمل حين تميطها
ولا تنظر المصبوب والماء واقفا وأكلك سؤر الفأر وهو تميمها

نقلتُ من خطّ ابن الصائغ في تذكرته لأحمد بن أبي الفضائل بن أبي المجد بن أبي المعالي بن الدُخميسيّ يمدح كتاب سفر السعادة للسخاويّ:

صباحُ الهداية قد أسفرا بسفر السعادةِ مستبشِرا
سفير الإفادة كم غامض بسحر البلاغة قد أظهرا
كتاب غدا غرّة للزمان فأضحى دجاه به مقمرا
فوائده جمّةٌ جزلةٌ معانيه تعظم أن تُحصَرا
وألفاظه سهلةٌ حقّها بذَوْبٍ من التبر أن تسطُرا
مصنّفه بحر كلّ العلوم فلا غروَ أن يقذفَ الجوهرا
هو الحبر قد أرشدتْ أمة بما قد أفاد وما حبّرا
هو الألمعيّ الذي فكره يكاد عن الغيب أن يخبرا

---

(١) الغيث المسجم في شرح لامية العجم: ٢/٤١٠.

أمــــام مــــجـــالســــه جنة　　　أســــال نداه بهـــا كـــوثرا
كـــريم الســـجـــايا لـه أنعمٌ　　　على طالبي العلم لن تُكفَــــرا
خــطـيــب ثــنــائــيَ لا يــأتــلــي　　　على مــجــده راقــيــا منبــرا
ومـــشـــهــــود ودّي له ثـابت　　　صــحــيح بريء من الافــتــرا
أيا عَلم الدين قـــد أعـــجــزت　　　فـــضـــائلك الغـــرّ كلُّ الورى
وذكــرك قــد طبُّق الخــافــقين　　　ومِــسْكيّـــه لـهــمـــا عطّرا
ســمـــاء العُـــلا أنتَ بدرٌ لـهـــا　　　فـــلا زلتَ في أفـــقـــهـــا نيّـــرا
ولا زلتَ للفـــضـل والمكرمـــات　　　كـــذا دائمـــاً مـــوردا مـــصـــدرا

حكى السخاويّ في سفر السعادة[1] أنّه كان في مجلس رجل من الفقهاء، فجاءت إليه رقعة فيها سؤال:

فتى كـان في وطء الحلال مُساترا　　　فــأعلن في وطء الحــرام جــهــارا
ولا هو يـأتي في الصــلاة جـمـاعـة　　　ويأكل في شــهـر الصــيـام نهـارا
وليس بذي عـــذر ولا بمســـافـــر　　　ولكن أتى هذي الفـــعـــال مــرارا
ليـــبلغ رضـــوان الإله بفـــعله　　　ويصـــرَف عنه في القـيـامــة نارا

فتوقف ولم يدرِ ما يقول، فقلت له: أراد بوطء الحلال أرضَ الحِل، مساتراً لا يسمع منه فيها ما أعلن به في أرض الحرم من رفع الصوت بالتلبية والتكبير والجهر بذلك، ومعنى قوله: "ولا هو يأتي في الصلاة جماعة" أراد بالصلاة الدعاء. قال: تقول معي وقد قرأت البيتين[2].

---

(١) سفر السعادة: ٢/٨٧٧-٨٧٩.

(٢) البيتان هما:

تقول بنتي وقد قـرّبـتُ مـرتحـلا　　　يا ربِّ جنِّبْ أبي الأوصاب والوجعا
عليكِ مثل الذي صلّيت فاغتمضي　　　يومـاً فإنّ لجنب المرء مضطجعا

انظر: سفر السعادة: ٢/٨٧٨.

وقال عليه السلام: «خير الذكر الخفي» وأراد بالنهار فرخ الحُبارى، لأنَّ الصيدَ من أحلّ ما يأكله الإنسان.

قال السخاويّ في سفر السعادة[1]: معنى قوله (ﷺ) : «وإن وجدناه لبحراً» إنّا قد أجرينا هذا الفرس الواسع إلى الأمد البعيد، فلم نجد ما يروّعكم ليطمئنوا بذلك وليعملوا بقوله «وإن وجدناه لبحراً» أنّه جدّ في الطلب، ولم يتأنَّ كما يفعل الجبناء، وهو معنى مليح لمن تدبّره، وما رأيت أحداً ذكره، وهو الفائدة في قوله: «وإن وجدناه لبحراً» لأنّه إنّما يجد ذلك منه إذا أجراه. انتهى.

في تذكرة الوداعيّ: سئل الشيخ علم الدين السخاويّ عن قولهم: قاضي القضاة، وأقضى القضاة أيُّهما أعلى؟ فقال: أقضى القضاة لأنّه يريد قوله تعالى: ﴿أحكم الحاكمين﴾ [سورة هود، الآية: ٤٥] وإنما قاضي القضاة قاضٍ.

ومن نظم السخاويّ في أسماء القِداح، أوردها في سفر السعادة:

يلي الفذَّ منها توأمٌ ثم بعده ... رقيبٌ وحِلس بعده ثمّ نافِسُ
ومُسبلها ثمّ المعلّى فهذه الـ ... سهام التي دارت عليها المجالِسُ

ومن نظمه[2] في الأسماء المؤنثة بغير علامة:

نفسي الفداء لسائلٍ وافاني ... بمسائلٍ فاحت كغصن البانِ
أسماء تأنيثٍ بغير علامةٍ ... هي يا فتى في عرفهم ضربانِ
قد كان منها ما يؤنّث ثمّ ما ... هو فيه خيرٌ باختلافِ معاني
أما التي لا بدّ من تأنيثها ... ستّون منها العَيْن والأذانِ

---

(١) سفر السعادة: ٢/١٠٤٧-١٠٤٨.

(٢) المعروف أن قصيدة الأسماء المؤنثة السماعية لابن الحاجب، وهي منشورة باسمه متداولة. ولعل هذا هو الراجح لأنّ السيوطي على غير عادته لم يشر إلى مصدره في نسبة القصيدة إلى السخاوي، ولم نقع على إشارة فيها شك في نسبة القصيدة لابن الحاجب.
للتوسع: انظر: القصيدة، مع تحقيقها ودراستها وشرحها. "القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة السماعية" تحقيق ودراسة: الدكتور: طارق نجم عبدالله.

والنّفس ثم الدار ثمّ الدلو من ... أعدادها والسّنّ والكتفانِ
وجهنّمٌ ثم السّعير وعقرب ... والأرض ثمّ الإست والعضدانِ
ثمّ الجحيم ونارها ثمّ العصا ... والريح منها واللّظى ويدانِ
والغول والفِردوس والفلك التي ... في البحر تجري وهي في القرآنِ
وعروض شعر والذّراع وثعلبٌ ... والملح ثمّ الفأس والوركانِ
والقوس ثم المنجنيق وأرنبٌ ... والخمر ثمّ البئر والفخذانِ
وكذاك في ذَهَبٍ وفِهْر حكمهمْ ... أبداً وفي ضربٍ بكلّ بيانِ
والعين للينبوع والدّرع التي ... هي من حديد قطّ والقدمانِ
وكذاك في كبد وفي كرش وفي ... سَقَرٍ ومنها الحرب والنعلانِ
وكذاك في فرس وكأس ثم في ... أفعى ومنها الشمس والعقبانِ
والعنكبوتُ تحوكُ والموسى معاً ... ثمّ اليمين وأصبع الإنسانِ
والرِّجْلُ منها والسراويل التي ... في الرِّجل كانت زينة العُريانِ
وكذا الشمال من الإناث ومثلها ... ضَبْعٌ ومنها الكفّ والساقانِ
أما الذي قد كنتَ فيه مخيراً ... هي سبع عشرة كان للتّبيانِ
السِّلم ثم المسك ثم القِدر في ... لغة ومثل الحال كلّ أوانِ
والليث منها والطريق مع السرى ... ويقال في عنق كذا ولسانِ
وكذاك أسماء السبيل وكالضحى ... وكذا السلاح لقاتلٍ طعّانِ
والحكم هذا في القفا أبداً وفي ... رحِمٍ وفي السّكّين والسّلطان
فقصيدتي تبقى وإنّي أكتسي ... ثوب الفناء وكلّ شيءٍ فانِ
ونسيت ذكر الربّ أرجو عفوهُ ... والله يغفر زلة الإنسانِ[1]

وهذِهِ ذات الحلل ومهاة الكِلل[2]، تغرّ بالألفاظ المؤتلفة، وتسرّ بالمعاني المختلفة،

(١) لم يرد هذا البيت في قصيدة ابن الحاجب التي حققها ونشرها الدكتور طارق نجم عبدالله.
(٢) وردت القصيدة مع شرحها ملحقة بآخر سفر السعادة. انظر: ٢/٨٧٥-١٠٦٧.

تخدع سامعها خَدْع الساحر، وتجن في باطنها خلاف الظاهر، لها وجهان معشوقان، ولسانان مومومقان، تتلوّن في أثوابها، وتتفنن في مخارج أبوابها؛ فإن أضلّك ظاهرها وحير، دلّكَ باطنها وخبّر. وها أنا أتلوها على الأعيان، وأبرزها للمشاهدة والعيان، وأقول -والله المستعان، وهو أقدر من أرشد وأعان-:

بحمد الله رب العالمينا ورب العرش أبدأ مستعينا
وصلى الله خلاق البرايا على خير البرية أجمعينا
محمد النبي وآله والـ ... قرابة والصحابة والبنينا
وبعد فانني أظهرت مالو حواه سواي كان به ضنينا
كنوزا ما اهتدى غيري اليها فأبرز جوهرأ فيها دفينا
عن العلماء إيماء إليها وعون الله سهل لي الحزونا
سأخبر بالغريب من المعاني وأُطْرِفُ بالعجيب السامعينا
بأمّ بنين مرجعهم إليها وما ولدت ولا حملت جنينا

المراد بالأمّ: الراية التي يتبعها الجيش.

وأم لم تزل تؤتى حراما وحلالاً لا تعيب الواطينا
إذا ما انحط عنها ابنٌ أتاها أبُوه وعد ذلك منه دينا

المُراد: أم الطريق، وهي معظمة. والحرام: أرض الحَرَم، والحِلُّ: ما سوى ذلك. أي يطؤها الناس في أرض الحرم وأرض الحل، الابنُ وأبوه وغيرهما.

قال المصنف: وكنتُ في مجلس رجل من الفقهاء بالإسكندرية، فجاءت إليه رقعةٌ فيها سؤال:

فتىً كان في وَطْءِ الحلال مُساتراً فأعلن في وطء الحرام جهارا
ولا هو يأتي في الصّلاةِ جماعة ويأكل في شهر الصيام نهارا

وليس بذي عُـذرٍ وليسَ فـافِـراً ... ولكن أتى هذي الفـعـال مـرارا
ليـبلُغَ رِضْـوانَ الإله بفـعله ... ويصـرف عنه في القـيـامـة نارا

فتوقف ولم يدر ما يقولُ، فقلت له: أراد بـ «وطء الحلال» أرض الحلِّ. مساتراً: لا يُسمَعُ منه فيها ما أعلن به أرض الحرَم، من رفعِ الصوت بالتلبية والتكبير والجهر بذلك. ومعنى قوله: «ولا هو يأتي في الصلاة جماعة» أراد بالصلاة الدعاء.

وقد قال النبي (ﷺ): «خير الذكر الخفيّ».

ومعنى قوله: «ويأكل في شهر الصيام نهارا» أراد بالنهار فرخ الحُبارَى.

وعَـمٌّ آكـلٍ فـي بـعـض يـومٍ ... زَبِيـبـاً ضِـعْفَ قنطارٍ وتينا

العَمُّ: الجماعة من الناس؛ قال الشاعر:

وخـالٍ مـا يكون له ابنُ أختٍ ... وتكرهُهُ البَـريّة أجـمـعـونا

الخالُ: الخُيَلاء والكِبْرُ والعُجْب.

وخـالٍ جَـرّه خـالٌ فـأضـحـى ... لمقت الله في المُتَـعـرِّضـينا

الخال: ضَرْب من البرود: سَحَبَه خالٌ، أي: رجل مختال. وهذا غير الأول، لأن الخيلاء تسمى خالاً، والمختال يسمّى خالاً.

وخـال سَـرٌ مَـرْآهُ عِـجـافـا ... وخـالٍ قُـدْوَةٍ للْمُـهـتـدينا

الخال: السحابُ والغيم. والخالُ الذي يُهتَدى به: لواء الجيش.

وخـال تكثُـرُ الرّغـبـات فـيـه ... وخـالٍ عُـدّةٍ للظّاعِنينا

الخال الذي يكون في الخدّ والذي هو عدّة للظاعنينا: الفحل الأسود عن ابن الأعرابي:

وخـال قـد أتاه خـال مـالٍ ... فـأصـبح عنده في الواردينا

الخال: جبلٌ عنده ماء لبني سُلَيم.

أي: أتى هذا الماء خلال ماء ليرده. يقال: هو خال مالٍ، أي: يقوم على المال ويُصلحه.

وكم خالٍ له في الرأس عين   وفيه تكون عين الحاذرينا

الخال: الجبل. والعين: الربيئة.

وجدٌّ لم يَلِدْ ولداً ولكن   به نَالَ المُراد الطَّالِبونا

الجدّ هنا: الحظّ والبختُ. وسمعت بعض النحاة ينشد:

إذا صدق الجد افترى العم للفتى   مكارم لا تُكرى وإن كَذَبَ الخالُ

العمُّ: الجماعة من الناس. لا تُكرَى: لا تُنقَصُ.

وإن كذب الخال معناه: المخيلة.

وآلٍ ليس يسمع من ينادي   وفي عجل يجيب الصارخينا

الآل: نواحي الجبل.

وآلٍ يُدخِلون الآلَ ناراً   وكان يقيهم ما يكرهونا

الآل الأول: الأهل والعيال والأتباع، والثاني: الخشبات التي تُبنى عليها الخيام.

وآلٍ قد أحاط به بواكٍ   على آلٍ تُسرُّ الشامتينا

الأول: السرير، والثاني جمع آلةٍ وهي الحالةُ.

وآلٍ لا يُرى إلا نهاراً   ويخفي الليل آل القانتينا

الأول: السراب، والثاني: الشخص.

ومحدود ولم يقرف بذنب   وحداد وما إنْ كان فينا

المحدود: الممنوع من كل شيءٍ، من حظ وغيره. والحدّادُ: البواب.

وفي بطن العجوز أقام كلب   فدامت وهي تحمله سنينا

العجوز: قَبِيعة السيف. والكلب: المسار الذي فيها.

وكم مُــتـعَـفِّفٍ يُجـفى ويُهْـجى ... وكم مـتـجـمّلٍ قـد عُـدّ شَـيْنا

المُتعفِّف: الذي يشرب العُفافة، وهي ما بقي في الضَّرع من اللبن، والمتجمل، الذي يأكل الجيل، وهو الشحم المذاب.

وصَـــــومٍ إن تـخـلـل مـن نـواه ... نـهـاراً لم يكن في الصـائمـينا

أي: أكل الخلّ.

وصـومٍ مُـفـسـدٍ لصـلاةِ قـومٍ ... ويكرَه شَـيْنُهُ المُتـوَرِّعـونا

الصوم: ذَرْق النعام.

وقـــومٍ بـالـغٍ مـــائـتي ذراعٍ ... إمـامـهـم وكـان لـهم مُـعـينا

الإمام: خيطُ البناء.

وقـومٍ يُصـبـحـون إذا تعشَّـوْا ... ونصف الليل أيضـا يُصـبـحـونا

أصبح: إذا أوقد المصباح.

وعـنـدهـم أتـان فـي غـــديـر ... وقـــد ألِفَتْ به مـــاءً وطينا

الأتانُ: الصخرة تكون في الماء الضَّحضاحِ.

وإن عـطـش المـواشـي أوردوهـا ... على ثُعـبـانِ وادٍ فـارتوينا

الثعبان: مسايل الماء إلى الوادي، والواحد: ثعب.

وتصـدرُ وهي حـامـضـةٌ رِواءً ... جـفت ذا خلّةٍ وعَلَتْ مُـتُـونا

إبل حامضة: تأكل الحمض، وهو ما ملح من النبات كالطرفاء والأثل، وهو فاكهة الإبل. والخلّة من النبات ما كان حلواً وهو خبز الإبل. وعلت متوناً: سمنت ظهورها.

يظلُّ بصـيـرهم يجـفى ويُقـصى ... ويرمـيـه الأصـاغـر بالقلينا

بصيرهم: كلبهم، والقلّة: خشبة صغيرة يلعبُ بها الصبيان.

وكم بَدْنٍ لهم يبكي ويشكو الـ ... ـعُـقـوقَ ويشـتكي ظلمَ البنينا

وكم بَدْنٍ لهم ذبحوه أيضا فكان أحلُ قوتِ العابدينا

البَدْنُ الأول: الشيخ المسنّ. والبدنُ الثاني: الوعل الكبير.

لهم من بطن شافعهم حليبٌ بُعَيْد الردّ يُغني الشّاربينا

الشافع: الشاةُ التي معها ولدها. وبُعيد الردّ: بعد ردِّها من المرعى.

وفيهم صَيْدَل[1] يتلو المثاني ويحملُ عنهم ما يحملونا

الصيدلُ: العظيم الرأس.

يرى لهم الأهلّةَ كلّ شهرٍ ضريرٌ فاق فيها المُبْصرينا

الضرير: الصبور على المكروه.

ويحكم عاجنٌ فيهم عليهم إذا راحوا عليه مُسَلِّمينا

العاجن: الشيخ الكبير.

له في عروة بيت كبير يُلاذ به ويُؤوي المجحَرينا

العُروة، من الشجر: ما يبقى على الجدبِ

تظل ببيته العنقاء تقري أخا سَغَبٍ وتؤوي الطارقينا

العنقاء: الطويلة العنق.

يُسَرُّ بعانَةٍ مهما رآها ويشتم من يراه مستعينا

العانة: القطيع من حُمُر الوحش. والمستعين: الذي يحلق عانته.

وعاتقه عليه عاتقٌ قد تلته عاتقٌ وغَدَت معينا

العاتقُ: ما بين الكتفين إلى العنق. عاتق: هو الزّقُّ الكبير الجيد الواسع. تلته تبعته لتعينه، وهي الجارية التي أدركت.

له في كلّ عافيةٍ نجيبٌ ويُطْعِم علجَهُ للجائعينا

---

(١) في سفر السعادة: صندل. انظر: ٢/٩٠٧.

العافية: الدار الخالية يُبكى على أهلها. وعلجه: رغيفه.

له في مخرج العاني امتصاصٌ إذا ما القوم باتوا معطشينا

العاني: الماء السائل. ومخرجهُ: موضع خروجه.

ويجتنب المليح بكل أرض ويتخذ الدنيَّ له قرينا
وليس بمخطئ في ذا ولا ذا ويلعن إذ يحجُّ الزّائرينا

المليح: الماء الملح. والدُّنيُّ: القريب. والزائرون: الأعداء، ومن يقطع الطريق.

وراحة قلبه عند العُرَيجا وقد يسقي العريجاء الظّعونا

العريجاء: الهاجرة؛ لأنّه يقيل في ذلك الوقت ويستريح. والعُرَيجاء: أن تُسقى الإبل يوماً بالغداة، ويوماً بالعشي، والظُّعون: بفتح الظاء: البعير الذي يحمل عليه.

ومن عَرَقٍ له إبلٌ وخَيْلٌ غدت عرقاً بساحته صفونا

العرق الأول: النتاج. والعرق الثاني: أن تصطف الخيل.

ويصلح قوته عبثٌ ولولا الـ ـغراب لما غدا في الزارعينا

العبث: تجفيف الأقطِ في الشمس. والغراب: حدّ الفأس.

ويركب كوكبا طورا ويعلو مراراً كوكبا في المُسرفينا

الكوكب الأول: معظم الماء. والثاني: جبل بمكة.

ويبطن حب عمرو وهو من يرى لعليّ الفضل المُبينا

عمروٌ: قراط في أذن المرأة.

يُجاوز دهره مَلَكا ويأوي إلى ندٍّ غدا حِصْنا حَصِينا

المَلَك بفتح اللام: الماء، والندّ: التل المرتفع.

ونام قميصُهُ وبِوَجْهِهِ قَدْ أقامت ناقة فيه سِنِينَا

نام قميصه، أي: أخلق. والناقة: بثرة. والناقة: من نجوم السماء.

ويأكل ناصحاً أكلاً هنيئاً ... وينصر مَهْمَهاً مهما أُهينا

الناصحُ: ما ابيضَّ من العسل وثخن. وينصر مهمهاً، أي: يأتيه ويفرّ إليه غضبا وأنفةٍ، لأنّه لا يرضى بالإهانة، ولا يستقر معها دون أن يرحل ويأتي المهامة.

وإن يبرَ ناطحاً للحي يغشى ... نعامتهم رأيت له أنينا

الناطح: الأمر الشديد. والنعامة: الجماعة.

ولمّا خاف نملة اعترته ... تمنّى نِقْرِساً كي لا يحينا

النملة: قرحة تخرج في الجنب. والنِّقرس: الطبيب الحاذق.

له في شدة الظلمات نورٌ ... يلذّ حديثه ويقرّ عَينا

النور ههنا: جمع نوارٍ، وهي المرأة النفور من الريبة وغيرها.

ويركب وهمه في كل هجر ... ليوردَه عقيب المصدرِينا

وهمه، أي: جملَه، والوهم: الجمل العظيم: والهجر: نصف النهار في القيظ.

ولمّا أن حوى هنداً أراها ... غنى وأعاش منها المقترينا

هند: اسم المائة من الإبل.

ويهجر ذا العرارة أهل نجدٍ ... وكانوا بالعرارة مغرمينا

ذو العرارة: السيء الخلق، والعرارة الثاني: نبت طيّب الريح.

ويعتصم الشجاع النَّدْب منهم ... بحِرباءٍ فيُردي المعتدينا

الحرباء: واحد حرابي الدرع، وهي رؤيس مسامير.

وكم قطعوا أكفَّاً من أناسٍ ... لأنْ حَرَسوا بيوت الغائبينا

حرسوا: سرقوا.

وكم قد أتبعوا حرجا نجيبا ... وكم حرج لقُوا مستبشِرينا

الحرَج الأول: النعش. والثاني: المحفّة

وإن نظروا إلى الجــرباء سُــرُّوا ... وأعــجــبــهم بهــا مــا ينظرونا

الجرباء: السماء.

وجلدهم يســيــر بهم ســريعــا ... مـتى نهـضـوا يقـضـون الشّـؤونا

الجلد: الإبل الكثيرة.

يظل جليلهم فــيــهم مــهــاناً ... ومن عـــاداهم أمـــسى جنينا

الجليل: الثمام. والجنين: الدفين. أي مقبوراً.

ولم يذق الخليل لهم طعــامــا ... وقــالوا: اســتـغن بالدهمـاء فـينا

الخليل: الفقير. والدهماء: الشاة الخالصة الحمرة.

وأكـثـر مـا يكون الجدب فـيـهم ... إذا مُطِروا وكـانوا مـخـصـبـينا

الجدب: العيب.

وفي رجبٍ هم هزمـوا الأعــادي ... بشــوّالٍ لخــمسٍ قــد خلونا

الرَّجبُ: الهيبة.

ويقـدم حــارس الهـيـجـاء منهم ... رداحــاً قــد تجــاوزت المئـينا

الرّداح: الكتيبة العظيمة.

وإن رأوا الرّقـيع اسـتـعظمـوا مـا ... رأوا وبه هدًى للمـــهـــتـــدينا

الرقـيع: السـمـاء، والرقـيع من الرجـال: الواهي العقل، وهي كلمة مولَّدة، كـأنهم سمّوه بذلك لأنّ الذي يُرقع من الثياب الواهي الخلَق.

وكم زرعـــــوا بـخـلّ خـنـدريـا ... فــراحــوا من خـيــار مــوقــرينا

الخلُّ: وادٍ في بلاد مذحج. والخندريسُ: الحنطة القديمة. والخيـار: الشيء الذي يُختار.

وأرضهم يُسام بها وفيها ... يباع وما بها من بائعينا

يسام بها، أي: تسوم فيها الإبل، أي: تذهب وتجيء ويباع فيها، أي: تمدّ فيها الإبل أبواعها. وما بها بائعٌ مشترٍ:

تَؤمُّهم العقاب فلم يضلوا ... ويخشون العقيم ويتقونا

العقاب: الراية. والعقيم: الريح التي لا تلقح الشجر ولا السحاب.

تحلّ النيب عقدتهم لترعى ... ويرجع فحلهم منها بطينا

العقدة: الموضع الكثير الشجر.

وعقرٍ كان مسكنهمْ فأودى ... فكلهم بعرق يسكنونا

العقر: القصر الذي تهدم بعضه على بعض، والعرق: موضع بعينه.

وعَوْدُهُم به شرُفوا وتُخْشى ... عناقهم عشية يغضَبونا

العَوْدُ: السؤدد. والعناق: الداهية.

وفي أكلِ العتيق لهم سرورٌ ... كَسَاهُمْ بالعماية يفرحونا

العتيق: الشحم. والعماية: السّحاب.

ومن عجلاتهم تُسقى الأراضي ... ومما قد أفاضت يشربونا

العجلات: جمع عجلة، وهي الدولاب:

وأقبلت الغياهب في الضحى فاغـ ... ـتَدوا لمجيئها مستبشرينا

الغياهب: جمع غيهب، وهو الفرس الأدهم.

وقد ساروا على جَلَد ولكن ... بلا جَلَد شمالا أو يمينا

الجلد: الكبار من النوق التي لا أولاد لها، ولا ألبان في أخلافها. وليس لهم جَلَد: أي جلادة، وهي الصّلابة.

لهم في غُرَّةٍ فخر وعز ... وفي غار لدى المتفاخرينا

الغرّة: السّيد. والغار: الأصل أي: يفخرون بشرف أصلهم.

وإن رأوا الجدا نفروا سراعا ... على عجل وقد خافوا الجنونا

الجدا: المطر، وخافوا الجنونا: أي جنون الليل وهو اختلاطه.

وطول رقيبهم ألفا ذراعٍ ... وجانب رأسه ملأ الحصونا

الرقيب: الجبل المرتفع الذي يقف عليه من يرقب والرأس: الجماعة من الناس. والهاء في رأسه تعودُ إلى الرّقيب.

ومهما عاينوا رملاً ألظُّوا ... بـ "ياذا الطَّوْلِ" رَوِّ المُجْدبينا

الرِّملُ: المطر القليل.

وأكل روقه فيهم مطاعٌ ... وروق الثور فيه ينتدونا

يقال: أكل فلان روقه، أي: طال عمره حتى تحاتت أسنانه، فهذا يطاع أمره؛ لأنه شيخهم وكبيرهم. وروق الثور بيت السيد. فيه ينتدون: أي يجتمعون للحديث.

وريبٍ فيه سعيهم وراحوا ... لريحانٍ جميعا طالبينا

الريب: الحاجة. والريحان: الرزق.

وكم مسحوا الرّجيع تبركاً واغـ ... ـتدى في الحي أحمقهم رصينا

الرّجيع: الذي رجع من مكّة، وكل مسافر رجع. والرصين الموجع الجوف.

وفي بغداد قد كره النصارى الـ ... ـمسيحَ وما اقتدوا بالمسلمينا

المسيح: الطعام الذي لا ملح فيه.

وفي كفّ الصغير مدجُّجٌ قد ... سطا في الكف سَطْو القادرينا

المدجِّج: القنفذ.

وخودٍ مَكْرُها المحبوب منها ... وأرض مكرها ملا البطونا

المكر الأول: خدالة الساق. والثاني: ضرب من الشجر تأكله الإبل.

ومهما لم يجد طاوي مصيرٍ ... مصيراً كان بعض الهالكينا

المصير الأول واحد المصران. والثاني المرجع.

ومصرٍ طوله خمسون باعاً ... وليس بموطنٍ للسّاكنينا

المصر: الحدُّ

وأقبل ضاحكٌ في الجوِّ فيه الـ ... ـحياةُ وفيه حبس الضارينا

الضاحك: السحاب الذي فيه البرق. والضاربون: المتاجرون.

وعنز حلقت في الجو تعلو ... كتائب يطّعن ويرتمينا

العنز: الأنثى من النسور، ومن العقبان.

ووجه تسرح الأنعام فيه ... ويُدْعَى باسمه السادات فينا

الوجه: أول الشيء وصدره.

وشيخٍ كان مفتخراً بِبَوْلٍ ... يرى من أجله النُّبلاءَ دونا

البَوْل: الأولاد، والعدد الكثير.

يُسمى راضِعاً وتراه هِسًّا ... وذلك من صفات الألأمينا

الراضع: اللئيم.

ترى في كفِّه أرضا وفي رأْ ... سِهِ أرضاً وفي الرأس الشؤونا

الأرض التي في كفّه: الرعدة، والتي في رأسه الزكام.

ويعدو راكباً والأرض تمشي ... بهِ مشيا سريعا ليس هونا

الأرض: باطن حافر الفرس.

وفي فم مهره ديك وفي الوجهـ ... ـه عصفوران قد لزما الجبينا

الديك: طرف لسان الفرس. والعصفوران: عظمان ناتئان في جانبي جبين الفرس يمنةً ويسرةً.

وراح إلى المراح فصار عنزاً ... وجاء إلى الغدير فصار نونا

صار عنزاً : أي أخذه وأماله إليه، من قوله «فصرهُنّ إليك» [سورة البقرة، الآية

٢٦٠]. والنون: الحوت، أي: أخذه.

وفيّا قد مضى قد كان صوفا يحوك البتَّ منه الناسجونا

كان الصوف: إذا غزله.

وأفقره لئيم فاصطفاه لخلّته وصار له خدينا

أفقره: أعاره دابته ليركبها.

وأفقره الفرا في يوم عيدٍ فأغناه عن المتصدِّقينا

أفقره الفرا، أي: أمكنه من صيده.

وتُقلقه الشقائق إن رآها وتقصد رجله الشرك المبينا

الشقائق: جمع شقيقة، وهي الرمل المستطيل. والشرك: وسط الطريق، فهو يقصد سلوكه.

له في الرأس في الحمّام شَنٌّ يديم به على الجسد الشنينا

الشن: صب الماء، والشنين: قطر الماء.

ويحلِفُ ما له في القوم شيءٌ ويصدق وهو قد ملك المئينا

الشيء: مصدر: شاء يشاء شيئاً، أي: إرادة ومشيئة.

ويكره أن يرى شفقاً ويأتي الشّـ ـباك ليشرب الماء المعينا

الشفق: الرديء من كل شيء. والشباك: جمع شبكة وهي الأرض الكثيرة الآبار المتجاورة المتدانية.

ويبسط كفّه للنجْو يغدو به فرحا وكان غدا حزينا

النُّجْوُ: السحاب.

له ورق تجود به يداه على ورق فعاشوا أجمعونا

الورق الأول: المال، من الإبل والذهب وغيره. والثاني: الضعفاء.

ويخشى النّثْر من نظم ويأتي الـ ـوبيل بإبله كي يرتعينا

النثر: الانتشار. والنظم: الجراد. والوبيل: الكلأ.

له شــــهــــلاءُ تحــــدث كل يوم ونحن كـذاك أيضـا مـا بقـينا

الشهلاء: الحاجة.

وفل بشـوكـة مـعـه سـيـوف الـ ـعِـدَى وثنى رمــاح الطاعنينا

الشوكة: شدة البأس والقوة والحدة.

يُديم على الشـعـيـرة أيّ حـرصٍ ويأثَمُ إن قــلاها مــســتــهــينا

الشعيرة: واحدة شعائر الدين.

وفي رمضان أفضل ما يراه الصّـ ـليب ونعم ذخـــر الذاخــرينا

الصليب: الودك.

ويقـسِمُ ليس يعـرف صـوفَـةً وَهْـ ـوَ ذو بتٍّ ويسـتـوفي اليـمـينا

صوفة: قوم معروفون. والبتّ: الكساء.

ويُفْـــزِعُـــهُ الصّـــبي إذا رآهُ ويهـــوى الصلّ إذ أعطاه لينا

الصبي من السيف: ما قرب من ظبَتِه إلى حده. والصلّ: نبات.

يسـيـر وتحـتـه الصـحـراء تعدو بهـا قطع السّـهـولة والمتـونا

الصحراء: أتان ذات صحرةٍ، وهي كهبٌ معها سوداء. والكُهبة: حمرة ليست بخالصة.

وبات بصــــــدره ضبٌ وضبٌ بِخُفٍّ بعـيـره فـحكى الصـفـونا

الضبّ الأول: الحقد. والثاني: ورم يحدث في خُفّ البعير.

يسـرى في قـتلِ عـثـمـان ثوابا ويلعن قــاتلي عــثــمــان دينا

العثمان: فرخ الثعبان.

ويطعم أهله ليـــلاً نهـــاراً وكــان بذاك أزكى المطعـــمـينا

النهار: فرخ الحبارى. والليل: فرخ الكروان.

وفي عـــرقـــوبة يأوي ويحـــمي   بعنبـــره وبالســـيف القطينا

العرقوب: موضع من الوادي ذو انحناء شديد. والعنبر: الترس.

ويلزمـــه عـــقـــال كل عـــام   يُعَــدّ به من المتــصــدّقــينا

العقال: صدقة عام.

ترى في وجـهـه عَلَمـا عـجـيـبـاً   به ولدته أمـــه مـــســـتــبــينا

العلم: أن تكون الشفة مشقوقةً مثل الجمل.

ومن عَـرَج الـغـزالةِ خـاف عَـدْواً   فَسَاقَ العَـفْوَ سَـوْقَ المُجْـحِـفِـينا

عرج الغزالة: غيبوبة الشمس؛ خاف أن يُعْدى عليه إذا غابت، والعدو: العدوان. والعفو: الجحش.

له غـرض له قـد قـيل: مـا إن   له غـــرضٌ، وشقّ على الأخـــينا

الغرض الأول: الملالة والضجر والسأم. والثاني: الشوق.

ترى بيـمـينه شـرقـاً وغـرباً   وغُـرفـتـه تُرى دُرّاً مـصـونا

الشرق: شقّ أذن الشاة. والغرب: حدّ السكين.

ويصطاد القـعـيـد فـإن يَفُـتْـهُ   يوافِقْ في القَـعِـيـد العـاجـزينا

القعيد من الصيد: ما يأتي من وراء الصائد. والقعيد الآخر: الجراد الذي لم تستوِ أجنحته.

له كـرشٌ بهـا كَـبَت الأعـادي   إذا عُـدَت تفـوق الأربعـــينا

الكرش ههنا: صغار الأولاد.

وأفـــضل أكله كَـعْبٌ ويأتي   إلى كُـرٍّ فـيـشـربه مـعـينا

الكعب: القطعة من السن. والكُرّ: الحِسْيُ، وهو المكان الذي إذا نُزِحَ منه الماء ظهر ماؤه.

ويُطرِق رافـعـاً رأسـاً مُنيـلاً   ولم يُطرق كـفِـعْل مـعَـذِّرينا

أطرق: إذا أعارَ فحله. ومنيلاً: معطيا. ولم يطرق: لم يسكتْ

وذي جــودٍ أشــدَّ الناس بخـــلا ترى الجــوزاء ترضــعــه مــهــينا

الجود: الجوع. والجوزاء من الشاء: التي في وسطها بياض، وهو للؤمه يرتضع منها ليلاً يحلب فيسمع صوته الحلب، فيطلب منه اللبن. وهو أغرب حرف جاء في أسمائه.

ورِجْل ظلّ يعلو الرأس تحت الرُّ حَى ويُخــيف جــمع الزارعــينا

الرِّجلُ: القطعة من الجراد. والرَّحى: السحابة المستديرة.

وحِسّ لا يكون لغــيــرِ حُــبْلَى وحــــرقٍ لا بِنَار الموقــــدينا

الحِسُّ: وجعٌ تجده المرأة قرب الولادة، والحَرْق: الحكّ.

ولم يُطِق السِّناد الشــيخ مِنّا وســـاحــرنا يُفــدّى بالأبينا

السِّناد: الناقة القوية. والساحر: العالم.

وسِنّ كَــسْــرُهُ حِلٌّ مُــبــاح وســوطٍ لا كــســوطِ الضــاربينا

السِّنّ: الثور الوحشي. والسوط: الخلط.

وســوقٍ ظلّ للســوق اضطراب بهــا ولهــا اضطرام المضــرمــينا

السوق: حومة القتال تضطرب فيها السوق جمع ساقٍ، لشدّة الخوف.

وذي سَــرْوٍ يجــوز الحــدّ جــوداً بلا سَــرَفٍ وفــاق البــاذلينا

السّرو: المروءة مع السخاء. وبلا سرف: أي: بلا ترك.

وشَــرْبٌ عند أهل العِلْم خَــيْــرٌ من الدنيــا خــلاف الجــاهلينا

الشرب: الفهم.

وأعـــمى ظلّ ذا شَـــزرٍ وبتّ لـزوجـــــتـــه إرادة أن تـلـينا

الشزر: إدارة الرحى إلى جهة اليمين. والبتّ: إدارتها إلى جهة الشمال. أراد أنّه تولى الطحن عنها وأراحها منه.

وصِـيـرٍ مـا على الأعـمى مـلامٌ　　به لكن عَلَى المُتَـبَـصِّـرينا

الصِّير: شقّ الباب.

وصَـبـرٍ قـد أتانا النهي عنه　　به لكن عَلَى المُتَـبَـصِّـرينا

الأول: حبس البهيمة ثم ترمى. والثاني: الكفالة.

وصـرفٍ نسـأل الله المعـافي　　كـفـايتـه ونرغب أن يَقـينا

هو واحد صروف الزمان. قال المصنِّف: وقالوا في قوله (ﷺ): «لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلاً» الصرف: الفريضة، والعدل: النافلة. وما أرى لهذا التأويل أصلاً يرجع إليه. قال يونس: الصرف في هذا الحيلة، ومنه قولهم: إنّه لمتصرّف في الأمور. وقد قال الله تعالى: ﴿فما تستطيعون صرفا ولا نصرا﴾ [سورة الفرقان، الآية ١٩].

وهذا القول أشبه إن أراد بالحيلة التصرّف في الاعتذار، وإلا فإنّه لا يُقال: لا يقبل الله منه حيلة.

وعـهـد يُصلح الأشـيـاء طوراً　　ويُصْلِحـهـا بفـعل المكثـرينا

العهد: الملح.

وعَـيْـر في السـمـاء له صـعـود　　ويرجع عندمـا يعلو إلينا

العير: إنسان العين.

وعَـيْـرٍ فَـوق وجـه الماء طافٍ　　وعَـيْـرٍ تحت ضـرب الضـاربينا

العير الأول: الغثاء الذي على وجه الماء. والثاني: الوتد.

وكم عـربٍ شكت عـرباً فكان الطّـ　　ـبيب بدفع شكواها قـمـينا

الأول: النفس. والثاني: فساد المعدة.

وكم من عِـرْمِسٍ تمضي الليـالي　　ولا تمضي وتبـقى مـا بقـينا

العِرْمِسُ: الصخرة.

وعــصــــرٍ مــالَهُ في الذِّكْــرِ ذكْــرٌ ولكنْ في أيادي المُنْعِــــمــــينا

العَصْرُ: الفطنة[1].

وعِــقْــدٍ فــيــه للرِّجلين قــيــدٌ وعــزٌ يُضــعِفُ الرأس الرصــينا

العقد: الرمل المتراكم. والعز: المطر الكثير.

وعَــضْبٍ ليس يُطْبع من حــديد يجيءُ به حــديد المبــغــضــينا

العضب: الشتم. والحديد: الكلام السيء.

وعَــقْصٍ عُــدَّ من عــيب الجــواري ومن عــيب الرِّجــال البــاخلينا

العقص: إمساك اليد بُخلاً.

وكم من عــاذرٍ قــد شــان وجــهــا وعــاتٍ مُــسْــبِلٍ سِــتْــراً ثخــينا

العاذر: أثر الجرح. والعاتي: الليل الشديد الظلمة.

وغُــلٍّ حَــلَّــهُ مــــــــــادٌ زُلالٌ وغَــيْمٍ نبــتــغي مــعــه العــيــونا

الغلّ والغُلَّة: أشدُّ العطش. والغيمُ: العطش أيضا.

وقَــصْــرٍ فــيــه تَعْــمَى كل عين عــمىً يُشــفى بقَــدْحِ القــادحــينا

القصرُ اختلاط الظلام. والقدح: قدح النار.

وكـــــانونٍ وإنْ كـــــانون وافَــى رأيتَ له الورى مُــسْــتَــثْــقِلينا

الكانون هنا الثقيل.

وراح بجـــــعــــدةٍ يومــــا أبوها لـيــــأكـلـهــــا وأذى الآكـلـيـنـا

الجعدة: الرخلة. وأبو جعدة: الذئب. كنّى بها.

وجــفنٍ فــيــه فــاكــهــةٌ وطيب وجـــفن يسنع النوم الجــفــونا

الجفن الأول: جمع جفنة، وهي الكرمة. والثاني: منع النفس عن الدناءة.

وجــــمعٍ زادهم جــــمعٌ بجــــمعٍ وفــيــهم جــمــرَةٌ بلغت مِــئِــينا

الجمع الأول: الجماعة من الناس. والثاني: ما كان من التمر لا يعرف له اسم.

---

(١) في سفر السعادة: العطية. انظر: ٢/١٠٠٥.

والثالث: مزدلفة. والجمرة من جمرات العرب ثلاثمائة فارس من القبيلة.

وجَبْهةِ فارس هزمت جيوشا ... فكان جرادهم حصنا حصينا

الجبهة: جماعة من الناس. وجراد: جبل.

ومن عرف الجلا وراه يوْماً ... تداوي بالجلا حينا فحينا

الجلا الأول: الجلحُ، والثاني ضربٌ من الكحل.

وأكمه بالعشيٍّ رأى هلالا ... وزارَ أبا له فغدا لعينا

هلال: اسم رجل. وراهُ: ضربه على رِئته. وزار أباه: أي: ضربه على زَوْرِه، وهو أعلى الصدر.

ومن ضرب الحصير غدا يُنادي: ... حشاي حشاي يُتبعه أنينا

الحصير: الجنب.

وحُرٌّ ترجف الأحشاء منه ... وحرّ يطرب الرجل الرصينا

الأول: ضرب من الحيات. والثاني: طائر حسن الصوت.

وحرّ ناشئ في بطن حرٍّ ... وحرٌّ بات في حرٍّ رهينا

الأول: واحد أحرار البقول، وهو كلّ ما يؤكل منها غير مطبوخ، نشأ في بطن حرٍّ وهو الذي لا رمل فيه. وحرّ باتَ: هو ضد العبد بات في وسط الدار.

وحَشٌّ تَحْسُنُ الصلواتُ فيه ... وحشٌ مِنْ سلاح القاتلينا

الحشُّ الأول: البستان. والثاني: مصدر حشَّ سهمَه: إذا ركّب القُذَذَ عليه.

وحَدْسٍ فيه إذْلال وحَدْسٍ ... تُراح به المطيُّ إذا عَيِينا

الحدسُ الأول: من قولهم حدسَ به الأرضَ: إذا صرعه. والثاني: الإناخة.

وحدْسٍ فيه إتلاف وحدسٍ ... لقوم في سراهم يُسرعونا

الأول: وطءُ الشيء بالرجل. والثاني: سرعة السير.

وسبعٍ فيه عدوانٌ وجَوْرٌ ... له مَدَحَ الإله الصّابرينا

السَّبْعُ: الشتم، والوقيعة والسبّ.

وحُسْبانٍ يريح المرء حِينا وحُسْبانٍ يَسُوق إليه حينا

الأول: الوسائد الصغيرة. والثاني: السِّهام الصِّغار واحدها حسبانة.

وحِبْرٍ قد غَدا رأساً ووجهاً ووجهٍ قد كساه الحِبرُ زَيْنا

الأول: العالم. والثاني: الجمال.

ومنكِب فارسٍ رجعوا إليه إذا اشتجروا فكف الجائرينا

المنكب: رأس العرفاء.

وما إنْ فيهم ورعٌ ونالوا بسيرتهم مقام الفائزينا

الورع: الجبان.

وأنفٍ تخضع الأقوام ذلاً له وترى السلامة أن تدينا

الأنف: سيِّد القوم وشريفهم.

ويُطعم أدماً ويُجيع حوّاً ويُقْسم ما رأى الحَسَن الحُسَيْنا

الآدم: الأسمر من الرجال. والحواء: السمراء الشفة. والحسن والحسين: جبلان.

وجاء بروضة في ظهره قد علتها ظبية مُلِئت قرونا

الروضة: ماءٌ يكون في القربة إلى نصفها. والظبية: كيسٌ من أدمٍ وقد ملأه قروناً.

ويقال لفرجِ الفرس ظبيةٌ، وهو غير هذا الذي نحن فيه.

ويُحْزنه السَّواك ويشتكيه إلى مَن يرسل الغيث الهتونا

السواك: المشي الضعيف من الجوع.

وغسْل العرشِ مفروض عليه نعم، وعلى جميع المحدثينا

العرش: الرسغُ من قدم الإنسان في ظهرها.

يكون بغير مكة ذا اعتسارٍ ويتركه بها كالمحرمينا

الاعتسار: لبس العمامة.

وألهاه السفا عن سوم مالٍ وأبكاه فلم يألف قطينا

السفا: تراب القبر. وسوم مال: رعي الإبل.

ومن ذات السوار يفرّ بُغضاً ... ومن ذات الشذا حتى يبينا

السوار: المواثبة. والشذا: الأذى.

وإن جَرَح استقام ونال خيرا ... وفدّاه الأقارب بالأبينا

جرح في بيعه: ربح وكسب.

وعادى الأنثيين فشرَّداه ... عن الأوطان مُكْتَئباً حزينا

الأنثيان: بجيلة وقضاعة.

وتاه بحجَّةٍ فغدا بها مُفْـ ... ـسِداً لِلْحجّ فُتُونا

الحجّة: لؤلؤة تُعلّق في الأذن؛ هام بها فأوقعته فيها فأفسد حجه.

وإنسان كَسُدْسِ الميلِ طولا ... يُسَبِّح ربّه في الذاكرينا

الإنسان: الأنسُلَة.

وأبرص يملأ الأبصار حُسنا ... وأعور سالمٍ لم يشْكُ عَيْنا

وأعور يرتقي في الجوِّ أيضا ... ولسْتَ تعيبُ في عينيه شَيْنا

الأبرص: القمر. والأعور: الذي لا بصَرَ له بالطريق. والأعور الآخر: الغراب.

وإبريقٍ يُخاف وحامِلوه ... كذاك وقد يزين الحاملينا

الإبريق: السيف.

وأجلح تركب النِّسْوانُ فيه ... إذا نزلت سُعاد عَلَت لُبَيْنا

الأجلح: الهودج الذي لا قبّة له.

وبرٍّ فِعْلُه أبداً فسادٌ ... ومأكولٍ يُحِبّ الآكلينا

البِرّ: الفارة. والمأكول: الرعية. والآكلون: الملوك.

وأعجفَ سَيْرُهُ كالرِّيحِ تُخشى ... مواقعُه على المُتَباعدينا

الأعجف: النّصل الرقيق من نصول السهام.

وقِدْرٍ ضُمِّنت ديكا وديكا ... وما فيها سوى ديك يقينا

ديكٌ وديكٌ، أي: له ودكٌ.

ومصباحٍ له عقل وشكٌّ ولولا شكّه لغدا سمينا

المصباح من الإبل: ما يصبح في مبركه لا يرتعي حتى يرتفع النهار. والعقل: ربطه بالعقال. والشكّ: ظلع يصيب البعير.

وشرٌّ من ضروب الخير ممّا يقيم به الصلاة المُتَّقونا

الشرّ: مصدر شَرَرْتُ الثوب ليجفّ في الشمس.

وقفرٍ ما لِمَهْمَهِهِ تَناهٍ ويُقْطَعُ في فراسِخَ أربعينا

التناهي: جمع تنيهة، وهي الجرف الذي ينتهي إليه ماء الوادي.

ووادٍ يستعين بمن أتاه ويطلب أن يُقضّي عنه دَينا

الوادي: اسم فاعل من: وديتُ القتيل: أعطيت ديته.

وأبله يرغب العُلماء فيه ويُكْسِبُهم ذكاءً وادعينا

يقال: عيشٌ أبله: لا همٌّ فيه ولا نكد.

وبَحْرٍ قد نهانا الله عنه فلا يأتيه إلا المُجْرمونا

هو مصدر: بَحَرَ ناقتَه إذا شقّ أذنها.

ونصٌّ يُنْكِرُ الفقهاء فيه على نُظّارِهِ المُتَبَحِّرينا

هو مصدر: نصصت العروس إذا رفعتها على المنصّة.

وشَرْعٍ ما أتت رسلٌ به وهـ ـوَ دِينُ الهُدى والمشركينا

هو: مصدر شرع الإهاب شرعاً: إذا شق ما بين الرِّجلين. ودين: عادة.

ومنٌّ قائم بالقسط عدلٍ ومَنٌّ من صفات الجائرينا

الأول: الذي يوزن به. والثاني: أن تذكر الصدقة على وجه التقريع.

وبعلٍ كان فدية بعل بعلٍ فبانا بعدما اصطحبا سنينا

البعل: النخل الذي يشرب بعروقه كان لامرأة، فافتدت به من زوجها، وهما البعلان.

ورُبّت بيضةٍ في عرْضِ ميلٍ يخاف الرَّكْبُ فيها الخاربينا

البيضة: الأرض البيضاء العارية من النبات.

وأوجع بطنُ عـمـرٍو بطنَ هند ... إذ احـتـفـرا ببطنهـمـا عـيـونا

هو مصدر: بطنها إذا ضربها على بطنها. والبطن: الغامض من الأرض، احتفرا فيه عيونا، فاشتجرا فضربها على بطنها فأوجع بطنها.

وتمساحٍ تكلم فـازدروه ... وتِبْنٍ يحـفظُ اللبن الثـخـينا

التمساح: الكذاب. والتبن: إناء كبير يروي العشرين.

وعُـرِّيَ ثعلبٌ فكسـاه ثَوْرٌ ... كـريمٌ جُـبَـةً فـحـمَى الحـصـونا

الثعلب: طرفُ الرمح الداخل في جبّة السنان. والثور: السيد.

وراح يسـوق ثُوراً بـعـد ثورٍ ... ويقـري بالشّـواء الجـائعـينا

يسوق ثوراً من بقر الوحش. بعد ثور: بعد نهوضٍ.

ورُبّتَ قـريةٍ ضـاقت بثـور ... له سكّانُهـا يتـجـاذبونا

وكم دكـاء ترعى في الفـيـافي ... وخـيطٍ قـد أخـافَ الخـادعـينا

الدكّاء: الناقة التي لا سنام لها. والخيط: ضوء الفجر.

وإصـلاح الدّوا لِلْعِلْم أصلٌ ... وإصـلاح الدّوا لك لَن يكونا

الدوا: جمع دواة كنَوى جمع نواة. والثاني: الحمق.

وكم من دِمْنَةٍ عـسِـرٍ شِـفَـاها ... وكم من دِمْـنَةٍ أبكت عـيـونا

الأول: الحقد. والثاني: الدار.

وزَيـنٍ لا يُـرَى إلا مُـهـانـاً ... وزَيْفٍ قـد أضلُّ الوامـقِـينا

الزّيْن: عُرف الديك. والزيف: مشية للمرأة.

وزوجٍ في الثّـرى يُلهي بيـهـجٍ ... وزوْجٍ قـد عـلا للظاعنينا

الأول: النبات. والثاني: ثوب من الصوف يطرح على الهودج.

وسمٍّ أعظمِ الأشـيـاء نفـعـاً ... دواءٍ لـلنُّـفـوسِ إذا دَوينـا

السمّ: الإصلاح بين القوم. ودوِيَ صدرُه: ضغن.

وسِلْقٍ أكْلُهُ جِـــــرْمٌ علينا ... ويأكلُنا ويَسْلُبُ مـــا اقـــتَنَيْنا

السِّلْقُ: الذئب.

وسَـــهْـوٍ تحفَظُ الأشياء فيه ... وســـاهرةٍ ومـــا رُزِقَت جـفونا

السَّهْوُ: المُخْدع. والساهرة: الفلاة.

وجَـــبَّـــارٍ بمدْحِ نبـيِّنا قـدْ ... عَـــلاَ وتراه يُحيي الكافرينا

الجبّار: النخل الطويل. ومدحَه النبي (ﷺ) فقال: «نعم المال النَّخل، الرّاسخات في الوحل، المطعمات في المحل».

وفي رمـضـان شـعـبانٌ أتانا ... وفـيـه قـدوةٌ للمـقـتـدينا

شعبان: حي من همدان، منهم الشعبي المشهور.

ومكة عكّةٌ فـيـهـا وتبـري ... بصكّتـهـا جلود المجـرمـينا

العكّة: فورة الحرّ. والصكة: أشد الهاجرة.

وضـرّة هندَ قد خسدت عليها ... وغـاظت ضـرّتاها الحـاسدينا

الضرّة: المال الكثير. والضرّتان: اللحمتان تحت الإبهامين.

وعـيـدٍ لَمْ يكن عـيـداً لفِطْرٍ ... ولا نَحْـرٍ ولا يَخْـتَصُّ دِينا

بكى من أجله قَـيْسٌ ولُبْنى ... وأرّقَـهـا فَـرَجَّـعت الحَنينا

العيد: ما اعتاد الإنسان من همّ، أو هوًى، أو نحو ذلك.

جَلَوتُ خـريدةً كُـسِـيَتْ بهـاءً ... وحُـسْنا رائعا مـلأ العـيونا

فـقل: رَحِمِ الرحيم فـتىً حـبـاهُ ... بجِلْوَتِهـا تَسُـرُّ الناظرينا

بحـمـد الله تمت والعطايا ... لديْه تفوق حـمـد الحـامدينا

وصلّى الله أفـضل مـا يُصلي ... على من سادَ في الفضل القرونا

مـحـمّـدٍ النبيِّ وآلِهِ والصّـ ... ـحَـابِ الطيِّـبين الأكـرمـينا

وحَسْبِي جودُ رَبِّي والتِجَـائي ... إلَيْـهِ لِمَا أؤمِّلُ أنْ يكونا

[٦٤]*
السَّكَّاكيّ

....

....(١)

[٦٥]**
سيبويه

النحويّ[٢] جالساً[٣] في حلقته بالبصرة، فتذاكرنا شيئا من حديث قتادة، فذكر

---

[*] هو يوسف بن محمد الخوارزميّ إمام في العربيّة توفي سنة ست وعشرين وستمائة. انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٢١-٦٣٠): ٢٧٣. مسالك الأبصار: ٣٧٥/٧. البغية: ٣٦٤/٢. شذرات الذهب: ١٢٢/٥. الفوائد البهيّة: ٢٨٢-٢٨٤. أبجد العلوم: ٤٦/٣.

(١) فسح له السيوطي صفحتين لم يكتب فيهما شيئا.

[**] انظر ترجمته في: مراتب النحويّين: ١٠٦. أخبار النحويّين البصريّين: ٦٣-٦٥. طبقات النحويّين واللغويّين: ٦٦-٧٢. الفهرست: ٨١. نور القبس: ٩٥. تاريخ العلماء النحويّين: ٩٠-١١٢. تاريخ بغداد: ١٩٠/١٢-١٩٤. الإكمال: ٤٢٠/٤. نزهة الألباء: ٥٤-٥٨. المنتظم: ٥٣/٩-٥٦. معجم الأدباء: ٢١٢٢/٥-٢١٢٩. إنباه الرواة: ٣٤٦/٢-٣٦٠. وفيات الأعيان: ٤٦٣/٣-٤٦٥. إشارة التعيين: ٢٤٢-٢٤٥. تاريخ الإسلام: وفيات (١٧١-١٨٠): ١٥٤-١٥٧. دول الإسلام: ١١٦/١. سير أعلام النبلاء: ٣٥١/٨-٣٥٢. الوافي: ٦٦/٢٣-٧٣. مرآة الجنان: ٣٤١/١. البلغة: ١٧٣-١٧٦. غاية النهاية: ٦٠٢/١. البغية: ٢٢٩/٢-٢٣٠. شذرات الذهب: ٤٠٨/١-٤١١. ديوان الإسلام: ١١/٣.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- سيبويه إمام النحاة.
- سيبويه النحوي: حياته، كتابه، مصادر ترجمته ومراجعها.
- المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه.

(٢) ثمّة سقط في المخطوط مقداره صفحة كاملة، ويغلب على ظنّنا أنّ المعلومات التي فيها نقلها السيوطيّ عن الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد. وسيبويه هو عمرو بن عثمان بن قنبر البصريّ.

(٣) بداية الخبر قول الخطيب البغدادي: «حدثني ابن الأعلم حدثنا محمد بن سلام قال: كان سيبويه...». انظر: تاريخ بغداد: ١٩٢/١٢.

حديثا غريبا، وقال: لم يروِ هذا إلا سعيد بن أبي عروبة. فقال بعض ولدِ جعفر: ما هاتان الزيادتان يا أبا بشر؟ قال: هكذا يقال؛ لأنَّ العَروبة يوم الجمعة، فمن قال: عروبة، فقد أخطأ. قال ابن سلاَّم: فذكرتُ ذلك ليونس، فقال: أصاب، لله درّه.

ورويَ عن ابن عائشة قال: كنّا نجلس مع سيبويه النحويِّ في المسجد، وكان شابا جميلا نظيفا قد تعلّق من كلِّ علمٍ بسببٍ، وضرب من كلِّ أدبٍ بسهم مع حداثة سنِّه وبراعته في النحو، فبينما نحن عنده ذات يومٍ إذ هبَّتْ ريح أطارتْ الورق، فقال لبعض أهل الحلقة: انظر: أيّ ريحٍ هي؟ وكان على منارة المسجد تمثال فرس، فنظر ثم عاد، فقال: ما ثبتت الفرس على شيءٍ. فقال سيبويه: العرب تقول في مثل هذا: قد تذاءبتِ الريح، وتذاءبتْ أي فعلت فعل الذئب؛ وذلك أنّه يجيء من ههنا وههنا، ليختل فيتوهّم الناظر أنّه عدة ذئاب.

وروى الخطيب عن أبي الحسن بن كيسان، قال: سهرتُ ليلة أدرسُ، ثم نمتُ، فرأيت جماعة من الجنِّ يتذاكرون بالفقه والحديث والحساب والنحو والشعر، فقلتُ: أفيكم علماء؟ قالوا: نعمْ. فقلتُ من همي بالنحو: إلى من تميلون من النحويين؟ قالوا: إلى سيبويه. قال أبو عمر الزاهد: فحدّثتُ بها أبا موسى، وكان يغيظه لحسدٍ كان بينهما، فقال لي أبو موسى: إنّما مالوا إليه لأنَّ سيبويه من الجنِّ.

وروى الخطيب من طريق ثعلب عن سلَمة قال: لما دخل سيبويه من البصرة إلى مدينة السلام، أتى حلقة الكسائيِّ، وفيها غلمانه: الفرَّاء وهشام ونحوهما، فقال الفرَّاء للكسائيِّ: لا تكلّمه ودعنا وإيّاه. فلما جلس سيبويه: سأل عن مسائل والفرَّاء يُجيب، ثم قال له الفرَّاء: ما تقول في قول الشاعر:

تمتّ بقربي الزينبين كلاهما ... إليك وقربي خالدٌ وسعيدُ

فلحق سيبويه حيرة السؤال، وقال: أريد أمضي لحاجة وأدخل. فلما خرج، قال الفرَّاء لأهل الحلْقة: قد جاء وقت الانصراف، فقوموا بنا، فقاموا، فخرج سيبويه، فذكر

علّة البيت، فرجع، فوجدهم قد انصرفوا.

وروى الخطيب عن أبي بكر العبديّ النحويّ، قال: لما قدم سيبويه إلى بغداد، فناظر الكسائيّ وأصحابَه، فلم يظهر عليهم، وسأل: من يبذل من الملوك ويرغب في النحو؟ فقيل له: طلحة بن طاهر. فشخص إليه إلى خراسان، فلما انتهى إلى ساوة، مرض مرضه الذي مات به، فتمثّل عند الموت:

يؤمّل دنيا لتبقى له فوافى المنيّة دونَ الأمَلْ
حثيثا يروّي أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجلْ

وروى الخطيب عن أبي الحسن المدائنيّ، قال: قال أبو عمر بن يزيد: احتضِر سيبويه النحويّ، فوضع رأسه في حجر أخيه، فأغمي عليه، فدمعت عين أخيه، فأفاق، فرآه يبكي، فقال:

وكنّا جميعاً فرّق الدهرُ بيننا إلى الأمد الأقصى فمن يأمن الدهرا

وروى الخطيب من طريق المرزبانيّ، قال: حدثنا عبد الباقي بن قانع، قال: مات سيبويه النحويّ بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. قال المرزبانيّ: وهذا غلط قبيح؛ لأنَّ سيبويه بقي بعد هذا مدّة طويلة.

وقال المرزبانيّ: أخبرنا ابنُ دُريد، قال: مات سيبويه بشيراز وقبره فيها.

قال الخطيب: وذكر بعض أهل العلم أنّه مات في سنة ثمانين ومائة.

وقرئ على ظهر كتاب لأحمد بن سعيد الدمشقيّ: مات سيبويه سنة أربعٍ وتسعين ومائة. قال الكمال بن الأنباريّ: والأول أشبه لأنّه مات قبل الكسائيّ، والكسائيّ مات سنة ثلاث وثمانين.

قال الخطيب: ويقال إنَّ سِنَّه كانت اثنتين وثلاثين سنة.

وفي كتاب نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات بن الأنباريّ: كُنية سيبويه أبو الحسن وأبو بشر، وأبو بشر أشهر.

قال نصر بن علي: كان سيبويه يستملي على حمّاد بن سلَمة، فقال حمّاد يوماً: قال رسول الله (ﷺ): «ليس أحد من أصحابي إلا وقد أخذتُ عليه ليس أبا الدرداء» فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال له حمّاد: لحنتَ، ليس أبا الدرداء. فقال سيبويه: لأطلبَنَّ علماً لا تلحنني فيه أبداً. وطلب النحو، وأخذ عن الخليل بن أحمد، وعن يونس بن حبيب، وعيسى بن عمر، وغيرهم، وبرع في النحو، وصنَّف كتابه الذي لم يسبقه أحدٌ إلى مثله ولا لحقه أحدٌ من بعده.

وقال المبرِّد: ذُكِر سيبويه عند يونس بن حبيب البصريّ، فقال: أظنُّ هذا الغلام يكذبُ على الخليل. فقيل له: وقد روى عنك أشياء، فانظر فيها. فنظر فيها، وقال: صدق في جميع ما قال، هو قولي.

قال نصر بن علي: برز من أصحاب الخليل أربعة: سيبويه، والنضر بن شُميل، وعلي بن نصر الجهضميّ، ومؤرج السدوسيّ، وكان أبرزهم في النحو سيبويه، وغلب على النضر بن شُميل اللغة، وعلى مؤرج الشعر واللغة، وعلى علي بن نصر الجهضميّ الحديث.

وكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب؛ فيعلم أنَّه كتاب سيبويه. وقرأ نصف الكتاب، فلا يُشَكّ أنَّه كتاب سيبويه.

وكان المبرِّد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه، يقول له: هل ركبتَ البحرَ؟ تعظيماً لكتاب سيبويه، واستصعاباً لما فيه.

وكان أبو عثمان المازنيّ يقول: من أراد أن يعملَ كتابا كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه، فليستحي.

وأخذ عنه أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، وأبو علي بن المستنير المعروف بقُطرُب، وكان أبو الحسن الأخفش أكبر سِنًا من سيبويه، ويروى أنَّه جاءه الأخفش يوما يُناظره بعد أن برع، فقال له الأخفش: إنَّما ناظرتك لأستفيدَ منك. فقال له سيبويه: أتراني أشكُّ في هذا؟

قال ابن الأنباريّ: مات سيبويه في أيام الرشيد، وقيل: إنَّه مات سنة ثمانٍ وثمانين ومائة. وقيل: سنة اثنتين وثمانين. والأول أشبه؛ لأنّه مات قبل الكسائيّ، والكسائيّ مات سنة ثلاث وثمانين ومائة.

ويُقال: إنَّ سيبويه عاش اثنتين وثلاثين سنة. ويقال: إنَّه نيف على الأربعين سنة. انتهى كلام ابن الأنباريّ.

وقال السيرافيّ في طبقاته: ذكر أبو زيد اللغويّ النحويّ كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه، قال: ما قال سيبويه "وأخبرني الثقة" فأنا أخبرته. ومات أبو زيد بعد موت سيبويه بنيِّفٍ وثلاثين سنة.

قال السيرافيّ: وكان سيبويه لشُهرته وفضله عَلَماً عند النحويين، فكان بالبصرة يقال: قرأ فلان الكتاب، فيُعلَم أنَّه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب، فلا يُشَكّ أنَّه كتاب سيبويه.

وقال محمد بن إسحاق النديم في الفهرست: قرأت بخطّ أبي العبّاس ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنسانا منهم سيبويه، والأصول والمسائل للخليل. وقد قدم سيبويه أيام الرشيد إلى العراق وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، وتوفي وله نيِّف وأربعون سنة بفارس.

قال: وقال غيره: كان وروده العراق قاصداً يحيى بن خالد، فجمع بينه وبين الكسائيّ والأخفش، فناظراه وخطّآه في مسائل سألاه عنها، وحاكماه إلى فصحاء الأعراب، وكانوا قد وفدوا على السلطان، وهم: أبو فقعس، وأبو دثار، وأبو الجرّاح، وأبو ثروان، فكان الكسائيّ على الصواب، وكلَّم الكسائيُّ يحيى بن خالد، فأجازه بعشرة آلاف درهم، فأخذها وعاد إلى البصرة، ومنها إلى فارس، ومات بها سنة تسعٍ وسبعين ومائة.

وقال أبو الطيب اللغويّ في كتاب مراتب النحويين: أخذ النحوَ عن الخليل جماعةٌ مثل سيبويه، وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألَّفَ كتابه الذي سمّاه الناسُ قرآنَ

النحو، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل، وكان يكنى أبا بشر وأبا الحسن وأبا عثمان، وأثبتها أبو بشر.

قال: وأخبرنا جعفر بن محمد قال: أخبرنا عسل بن ذكوان، قال: أخبرونا عن الجَرميّ، قال: نظر أبو زيد في كتاب سيبويه، فقال: قد أكثر هذا الغلام الحكايةَ، إن كان سمع. فقلتُ له: قد روى عنك شيئا كثيرا، فهل صدق فيه؟ قال: نعمْ. قلتُ: فصدِّقْه فيما روى عن غيرك[1].

قال: وقد قيل: إنَّ يونسَ كان صاحبَ هذه القصة.

قال: وأخبرنا جعفر بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن غياث النحويّ، قال: أخبرنا المازنيّ أنّه قال: كلّ ما في كتاب سيبويه من قوله "أخبرني الثقة. وسمعت من أثق به" فهو عن أبي زيد[2].

وأخبرنا محمد بن يحيى، قال: أخبرنا المبرِّد، قال: حدّثنا المازنيّ، قال: كنّا عند أبي عُبيدة يوما وعنده الرياشيّ يسأله عن أبيات في كتاب سيبويه وهو يُجيبه، ثم فطن، فقال: أتسألني عن أبياتٍ في كتاب الخوزيّ؟ لا أجيبك[3].

وقال الشيرازيّ في الألقاب: سيبويه: بشر بن سعيد، ويقال: عمرو بن عثمان، يكنى أبا بشر، مولى الحارث بن كعب. انتهى.

وتسميته بشر بن سعيد غريب جداً لم أرَه في غير كتاب الشيرازيّ[4].

وقال ياقوت: قال ابن خالويه: كان سيبويه لا يزال من يلقاه يشم منه رائحة الطيب، فسُمِّي سيبويه، ومعنى (سي) ثلاثون و (بويه) الرائحة، وكأنّه رأى رائحة الطيب. قال: ولم أرَ أحداً قال ذلك غير ابن خالويه.

وكان الخليل بن أحمد إذا رأى سيبويه، قال: مرحباً بزائر لا يُمَلّ.

---

(١) مراتب النحويّين: ١٢٤.
(٢) المصدر نفسه: ١٢٣.
(٣) المصدر نفسه: ١٢٣-١٢٤.
(٤) هذا الكلام للسيوطيّ.

ولما مات سيبويه قيل ليونس بن حبيب: إنَّ سيبويه قد ألَّفَ كتاباً في ألف ورقة من علم الخليل. قال يونس: ومتى [سمع] سيبويه هذا كلَّه من الخليل؟ جيئوني بكتابه. فلما رآه ونظر فيه، رأى كلَّ ما حكاه، فقال: يجب أن يكون هذا الرجل صدق عن الخليل في جميع ما حكاه كما صدق فيما حكاه عني.

وقال صاعد بن أحمد الجَيَّانيَّ من أهل الأندلس[1]: لا أعرفُ كتاباً أُلِّفَ في علم من العلوم قديمها وحديثها، فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفنِّ غير ثلاثة كُتبٍ: أحدها: المجسطيّ لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني: كتاب أرسطاطاليس في المنطق، والثالث: كتاب سيبويه في النحو؛ فإنَّ كلَّ واحدٍ من هذه لا يشذُّ عنه من أصول فنِّه شيء إلا ما لا خطبَ له.

وقال الصلاح الصفديّ: مات سيبويه بشيراز سنة ثمانين ومائة، وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة، ويقال: إنَّه نيَّفَ عن الأربعين سنة. قال: وهو الصحيح؛ لأنَّه روى عن عيسى بن عمر، وعيسى مات سنة تسعٍ وأربعين ومائة، فمن وفاة عيسى إلى وفاة سيبويه إحدى وثلاثون سنة، وما يكون قد أخذ عنه إلا وهو يَعْقِل، ولا يَعْقِل حتى يكون بالغاً، وعلى قبر سيبويه بشيراز هذه الأبيات، وهي لسليمان بن يزيد العدويّ:

ذهب الأحبة بعد طول تزاورٍ ... ونأى المزارُ فأسلموكَ وأقشعوا
تركوكَ أوحشَ ما تكون بقفرةٍ ... لم يؤنسوكَ وكربةٌ لم يدفعوا
قُضيَ القضاءُ وصرتَ صاحبَ حفرةٍ ... عنك الأحبة أعرضوا وتصدَّعوا

وفي طبقات الزبيديّ: قال أحمد بن معاوية بن بكر العُلَيميّ: ذُكِرَ سيبويه عند أبي، فقال عمرو بن عثمان: قد رأيته، وكان حدث السِّنّ، كنتُ أسمع في ذلك العصر أنَّه أثبتُ من حمل عن الخليل، وقد سمعته يتكلَّم ويناظر في النحو، وكانت في لسانه حُبسة، ونظرتُ في كتابه، فقلمه أبلغُ من لسانه.

---

(١) طبقات الأمم: ٤٠.

وقال ابن النطّاح: كنتُ عند الخليل بن أحمد، فأقبل سيبويه، فقال الخليل: مرحباً بزائرٍ لا يُمَلّ. وقال أبو عمر الجَرميّ - وكان كثير المجالسة للخليل -: ما سمعت الخليل يقولها إلا لسيبويه.

وقال الرياشيّ: كان سيبويه سُنيّاً على السُّنَّة.

وحكى أبو جعفر النحّاس أنّ كتابَ سيبويه وجِدَ بعضُه تحت وسادة الفرّاء.

وقال الزُّجّاج: إذا تأمّلتَ الأمثلة من كتاب سيبويه تبيُّنتَ أنّه أعلمُ الناسِ باللغة.

وقال أبو عبدالله بن طاهر: سيبويه اسمٌ فارسيّ، (سي) ثلاثون، و(بويه) رائحة، فكأنّه قال في المعنى ثلاثون رائحة، وكان فيما يُقال حسنَ الوجهِ.

وقال الأخفشُ: أقام سيبويه مُدَيدةً بالأهواز، ثم مات من كربٍ أصابه، وما قتله إلا الغمّ مما جرى عليه.

وقال الزُّجّاج[1]: قال نصر بن علي الجهضميّ: لما أراد سيبويه أن يؤلّفَ كتابه، قال لأبي: تعالَ نحيي علمَ الخليل.

وقال الزَّجّاج[2]: حدثّني القاضي إسماعيل بن إسحاق، قال: حدثّني نصر بن علي، قال: سمعتُ الأخفشَ يقول: نفذ من أصحابِ الخليل في النحو أربعة: سيبويه، والنضر بن شُميل، وعلي بن نصر الجهضميّ، ومؤرج السدوسيّ. انتهى.

وفي تذكرة ابن مكتوم: قال صاعد اللغويّ في كتاب الفصوص[3]: قال لنا أبو علي الفارسيّ: تزوّج سيبويه بالبصرة جارية عشقته، وهو قد بنى عقد كتابه، وصنّف أوائل أبوابه، وهي في جزازات، فلم يكن يقبل على الجارية، ولا يشتغل بها، وهي مشغوفة بحبّه، ولم يكن يشغله غير النظر والسهر والكُتب، فرصدت خروجه إلى السوق في بعض حوائجه، وأخذت جذوة نارٍ فطرحتها في الكتب حتى احترقت، فرجع

---

(١) طبقات النحويّين واللغويّين: ٧٥.
(٢) المصدر نفسه: ٧٥.
(٣) المختار من كتاب الفصوص: ٣/١٢٠.

سيبويه إلى كُتبه وهي هباء، فغُشيَ عليه أسفاً، ثم أفاق فطلَّقها، ثم ابتنى الكتاب بعد ذلك ثانية. قال لنا أبو علي: وذهب منه علمٌ كثير أخذه عن الخليل فيما احترق له، وإنا لله على ذلك. انتهى.

قال العلماء[1]: وفد سيبويه إلى بغداد على يحيى البرمكيّ، فجمع بينه وبين الكسائيّ للمناظرة بحضور سعيد بن مسعدة الأخفش، والفرَّاء، والأحمر، فلما جلس قال له الكسائيّ: كيف تقول يا بصري: خرجتُ فإذا زيدٌ قائمٌ؟ قال: خرجتُ فإذا زيدٌ قائمٌ. قال: أفيجوز أن يقال: خرجتُ فإذا زيدٌ قائماً؟ فقال: لا. قال الكسائيّ: فكيف تقول: قد كنتُ أظنُّ أنَّ العقربَ أشدُّ لسعةً من الزُّنبور، فإذا هو هي، أو هو إيَّاها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب. فقال الكسائيّ: لحنتَ. وخطَّأه الجميع.

وقال الكسائيّ: العرب ترفع ذلك كلّه وتنصبه. فقال يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائيّ: هذه العرب ببابك قد جاؤوا من كلِّ أوبٍ، ووفدوا من كلِّ صُقعٍ، وهم فصحاء الناس، وقد قنع بهم أهل المصرين، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم، فيُحضَرون ويُسألون. فقال يحيى: أنصفتَ. وأمر بإحضارهم، فدخلوا، وفيهم أبو فقعس، وأبو زياد، وأبو الجرَّاح، وأبو ثروان، فسُئلوا، فاتبعوا الكسائيّ، وقالوا بقوله. فقال يحيى لسيبويه: قد تسمع. فاستكان سيبويه، فقال: أيُّها الوزير، سألتكَ بالله إلا أمرتهم أن ينطقوا بذلك، فإنَّ ألسنتهم لا تجري عليه، وإنَّما كان العرب قالوا الصواب ما قاله هذا الشيخ.

ثم إنَّ الكسائيّ أقبل على يحيى، وقال: أصلح الله الوزير، إنَّه قد وفد عليك من بلده مؤمِّلاً معروفكَ، فإن رأيتَ ألا تُخَيِّبَه. فأمر له بعشرة آلاف درهم. وصيَّرَ وجهه إلى فارس.

قال السخاويّ[2] في سفر السعادة: فإذا هو هي بالرفع لا يجوز غيره، كما تقول:

(١) انظر تفصيل المناظرة وتحليلها في: مجالس العلماء (الزجاجي): ٨-١٠. سفر السعادة: ٢/٥٤٩-٥٦٩. مغني اللبيب: ١/ ١٧٩-١٨٣. الأشباه والنظائر: ٥/٣١-٣٤.
(٢) سفر السعادة: ٢/٥٦١-٥٦٢.

خرجتُ فإذا عبدالله قائم، جاءت إذا هذه للمفاجأة، وهي ظرف مكان. قال أبو بكر بن الخيَّاط: تقرير قولك: خرجتُ فإذا عبدالله قائمٌ، فإذا عبدالله قائمٌ خرجتُ فيحضرني عبدالله، فتكون إذا بمنزلة قولك: يحضرني، ظرف مكان، وجائزٌ أن تجيء معها الحال، تقول: خرجتُ فإذا عبدالله قائماً، كما تقول: خرجتُ فيحضرني عبدالله قائماً، فإذا أدخلتَ الألفَ واللام، قلتَ: خرجتُ عبدالله القائمُ، رفعتَ القائم برفع عبدالله، والقائم خبره، ولا يجوز نصبه لأنَّه معرفة، والحال لا يكون معرفة، فلما بطلتِ الحالُ رجع إلى الرفع لأنَّه لا ناصبَ له. وأهل الكوفة يجوِّزونَ نصبَه، تقول: خرجتُ فإذا عبدُالله القائمَ.

قال السخاوي[1]: وهذا القول ظاهر الإحالة؛ لأنَّه إن كانت إذا وحدها بمنزلة وجدت وتعمل عملها، فالسبيل أن يُنصَبَ بها اسمان، ويُرفَعَ اسمٌ، كما تقول: وجدتُ عبدَالله قائماً، فترفع الفاعل وتنصب مفعولين. وإذا كان قولك: فإذا عبدالله، إذا مع عبدالله بمنزلة وجدت، فقد وجب أن ينتصب بعد عبدالله اسمان لأنَّ وجدت ههنا ليست من وجدان الضالّة، وإنَّما هي عندهم التي بمنزلة علمت الناصب لمفعولين، فكيف صرفوها فلا سبيل إلى رفع عبدالله ونصب القائم.

وإن قالوا: إنَّ إذا إنَّما هي بمعنى وجدت ولا تعمل عمل وجدت، كما أنَّ قولك: حَسْبُكَ بمعنى الأمر وهو اسم، وكما أنَّ صَهْ ومهْ بمنزلة اسكتْ واكففْ، وليسا على بناء الفعل ولا مثاله، وكما أنَّ قولك: أحسِنْ بزيد! لفظه لفظ الأمر وهو تعجّب في المعنى، وكما أنَّ قولنا: غفر الله لزيد، لفظه لفظُ الخبر وتأويله الدعاء، وكما أنَّ قولَه تعالى: ﴿لا تُضارّ والدةٌ بولدها﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣٣] في قراءة من رفع، لفظه لفظُ الخبر وتأويله النهي، ومثله كثير، فالشيء قد يكون له لفظٌ وتأويله على خلاف ذلك، فنعطيه ما يستحقّه لفظاً ونتأوّل معناه على ما وضع له، فلذلك نقول نحن: إنَّ قولنا: خرجتُ فإذا عبدالله قائم، تأويل إذا هنا تأويل وجدت في المعنى، وهي في اللفظ ظرف، وليس لها عملُ وجدت، فنعملها في اللفظ عملَ الظروفِ من المكان، لأنَّها ظرف، ونتأول معناها

(١) سفر السعادة: ٢/٥٦٢–٥٦٥.

على ما أدّت عنه، فإذا صحّ ذلك فقد وجب الرفع في الاسمين المذكورين بعدها إذا كانا معرفتين، وبطل النصب، وجاز في القياس نصب الثاني على الحال إذا كان نكرة.

فقد تبيَّن لك وصحّ أنّ قولَك: فإذا هو هي لا يجوز النصب في هي لأنّه لا ناصبَ لها؛ لأنّها ابتداء وخبر، وبطل أن تعمل إذا بلفظها عملين مختلفين: عملَ الفعل وعملَ الظرف، كما زعموا، فترفع الأولَ على أنّها ظرف وتنصب الثاني على أنّها فعل ينصب مفعولين، فينصَبُ بها واحدٌ ولم يؤتَ بالفعل[1].

وهذا كمثل النعامة إذا قيلَ للنعامة: احملي، قالتْ: أنا طائر. وإذا قيلَ لها: طيري، قالتْ: أنا جمل. وهذا من المُحال؛ لأنّهم إذا أعملوها عملَ وجدت، طالبناهم بفاعل ومفعولين، ولا سبيل لهم إلى إيجادِ ذلك، وإن أعملوها عملَ الظروفِ، رُفِعَ اسمٌ، ونُصِبَ واحدٌ، وبقي المنصوب بلا ناصبَ إلا إنْ رجعوا إلى الحقّ، وقد مضى ذكره.

وإنْ كان قولُهم: فإذا هو إيّاها محفوظاً عن العرب، فهو من الشاذّ الذي لا يُعرَّج عليه، وقد حكى أبو زيد الأنصاريّ: قد كنتُ أظنُّ أنّ العقربَ أشدُّ لسعةً من الزنبور فإذا هو إيّاها. فإما أن يكون سيبويه قد بلغته هذه اللغة، فلم يقبلها، ولا عرَّجَ عليها؛ لأنّه ليس كلُّ ما سُمِعَ منه أهلاً عنده للقبول والحملُ عليه؛ ألا ترى أنّهم قد حكَوا أنّ من العرب من ينصب بـ (لم) ويجزِمُ بـ (لن وكي) حكى ذلك اللحيانيّ، وليس ذلك مما يُلتفت إليه، ومثل ذلك في الشذوذ خفضُ بعضِ العرب بـ (لعلَّ)، فلم يلتفتْ سيبويه إلى مثل هذا ولا حكاه، والكوفيّون حكوه وقاسوا عليه.

ثم قال السخاويّ[2]: ولم أسمعْ في هذه المسألة أحسنَ ولا أبلغَ من قول الكِنديّ: المعاني لا تنصب المفاعيلَ الصريحة.

قال ياقوت: حدَّث أبو حاتم السجستانيّ، قال: دخلتُ على الأصمعيّ في مرضه الذي مات فيه، فسألته عن قبره، ثم قلتُ: كم سنة مضى من عمرك؟ قال: لا أدري،

---

(١) سفر السعادة: ٢/٥٦٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٥٦٩.

ولكنّي أحدثك: كنتُ شاباً مقتبلاً، فتزوّجتُ، فوُلِدَ لي، وولِدَ لأولادي وأنا حيّ. ثم أنشدَ:

إذا الرجال ولدتْ أولادها ... واضطربت من كِبَرٍ أعضادُها

وجعلت أسقامها تعتادها ... فهي زروعٌ قد دنا حصادُها

فقلتُ له: في نفسي شيءٌ أريدُ أن أسألك عنه. قال: سلْ. فقلتُ: حدّثني بما جرى بينك وبينَ سيبويه من المناظرة. فقال: والله لولا أني لا أرجو الحياة من مرضتي هذه ما حدّثتك: إنّه عرضَ عليّ شيءٌ من الأبيات التي وضعها سيبويه في كتابه، ففسرتها على خلاف ما فسّره، فبلغ ذلك سيبويه، فبلغني أنّه قال: لا ناظرته إلا في المسجد الجامع. فصلّيتُ يوماً في الجامع ثم خرجتُ، فتلقّاني في المسجد، فقال لي: اجلسْ يا أبا سعيد، ما الذي أنكرتَ من بيتِ كذا وبيت كذا؟ ولِمَ فسّرتَ على خلاف ما يجبُ؟ فقلتُ له: ما فسّرتُ إلا على ما يجب، والذي فسّرته أنتَ ووضعته خطأ، تسألني وأجيب. ورفعتُ صوتي، فسمع العامةُ فصاحتي، ونظروا إلى لكنته، فقالوا: غلبَ الأصمعيُّ سيبويه. فسرّني ذلك، فقال لي: إذا علمتَ أنتَ يا أصمعيُّ ما نزل بكَ مني لم ألتفتْ إلى قول هؤلاء. ونفض يده في وجهي ومضى. ثم قال الأصمعيّ: يا بُني، فوالله لقد نزل بي منه شيءٌ وددتُ أني لم أتكلّم في شيءٍ من العلم.

في شرح الكامل للبَطَلْيوسيّ مسألتان حملتا سيبويه على ملازمة الخليل، إحداهما: أنّه أتى حمّاد بن سلَمة، فقال له: حدّثك هشام بن عوف عن أبيه في رجلٍ رَعُفَ في الصلاة؟ فقال له حمّاد: أخطأتَ، إنّما هو رَعَفَ. فانصرف إلى الخليل، فشكى إليه ما لقيه من حمّاد، فقال: صدق حمّاد.

والمسألة الأخرى أنّه لما قدم البصرة ليكتبَ الحديثَ، لزمَ حلْقة حمّاد، فبينما هو يستملي على حمّاد قول النبي (ﷺ): «ليس من أصحابي إلا من إذا شئتُ أخذتُ عليه ليسَ أبا الدرداءِ» فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء. وظنّه اسمَ ليس. فقال له حمّاد: لحنتَ

يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبتَ، إنَّما ليس ههنا استثناء. فقال: سأطلبُ علماً لا تلحنني فيه. فلزم الخليل، فبَرَعَ.

وفي تذكرة ابن مكتوم[1]: أنكر سيبويه على بشّار قوله: (نِينان) حيث قال يصف السفينة[2]:

وعــذراء لا تجــري بلحمٍ ولا دمٍ   قليلة شكوى الأينِ ملحــمــة الدبرِ
تلاعب نِينانَ البحــور وربّمــا   رأيتَ نفوسَ القوم من جريها تجري

وزعم سيبويه أنَّ العربَ لا تقوله. فقال بشّار: ويحَه! أما يقول: حوت وحِيتان، وغول وغِيلان، وكذلك نِينان؟! وأنكر سيبويه قوله في نسيب هذه القصيدة:

على الغَزَلى منّي السلام وربّما   لهوت بها في ظلِّ مخضّرةٍ زُهْرِ

فعاب سيبويه أيضاً (الغَزَلى) وقال: لم يُسمَعْ هذا من العرب. واتصلَ ذلك به، فقال: هذا مثل النُّقَرى والجَفَلى والمَرَطى. وتواعد سيبويه ولذعه بأبياتٍ فيها[3]:

أسيبويهِ يا ابن الفارسيّةِ ما الذي   تحدَّثتَ من شتمي وما كنتَ تَنبذُ
أظلتَ تغنّى ســادراً بمســاتي   وأمّك بالمصــرين تُعطي وتأخــذُ

فكفَّ عن تتبّعِ شعره، واحتجَّ ببعضه تقرُّباً إليه واستكفافاً لشرّه. وكان بالبصرة زانية يقال لها: الفارسيّة، فنَسَبَ سيبويه إليها. انتهى.

في تذكرة الوداعيّ، قال: وجدت في بعض تعاليق أهل الأدب أنَّ سبعةً مات كلُّ واحدٍ منهم وعمرُه ستٌّ وثلاثون سنة: الإسكندر ذو القرنين، وأبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة، وابن المقفّع، وسيبويه النحويّ، وأبو تمّام الشاعر، وإبراهيم النَّظّام، وابن الراونديّ.

---

(١) الحكاية مفصّلة في نور القبس والموشح وفيهما تصريح باحتمال أن تكون الحكاية قد جرت بين أبي الحسن الأخفش وبشار. انظر: نور القبس: ٩٥-٩٦. الموشح: ٣١٣-٣١٤.

(٢) ديوان بشار بن بُرد: ٣/٢٥٢-٢٥٣، ٢٥٠.

(٣) البيتان في ملحقات ديوان بشار. انظر: ٤/٦١.

قلتُ: رأيتُ هذا في حماسة البحتريّ بخطّه.

قال الشيرازيّ في الألقاب: سمعتُ أبا عمر لاحق بن الحسين المقدسيّ، يقول: سمعت محمد بن عبدالله بن حُلَيس يقول: سمعتُ أبا عثمان المازنيّ بكر بن محمد يقول: سمعتُ سيبويه يقول: سمعتُ الخليل بن أحمد يقول: حدثّنا ذَرّ الهمدانيّ عن الحارث العُكليّ عن علي بن أبي طالب عن النبي (ﷺ) قال: «أهلُ المعروفِ في الدنيا هم أهل المعروفِ في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة».

أخرجه الخطيب في تاريخه(١)، وقال: لاحقٌ كان يضع الحديث.

قال ياقوت: حدثّ التاريخيّ عن المبرِّد عن المازنيّ عن الجَرميّ، قال: في كتابِ سيبويه ألفٌ وخمسون بيتاً، سألتُ عنها، فعرِفَ ألفٌ، ولم تُعرَفْ خمسون.

وحدثّ عن النُظّام أنّه دخل على سيبويه في مرضه، فقال له: كيف تجدكَ أبا بشر؟ قال: أجدني ترحل العافيةُ عني بانتقال، وأجد الداء يُخامرني بحلول، غير أني وجدت الراحة منذ البارحة. قلتُ: فما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أشتهي. قال: ثم دخلتُ إليه بعدَ ذلك، فقلتُ: كيفَ تجدكَ؟ فقال:

يسرُّ الفتى ما كان قدَّم من تُقى ... إذا عرف الداء الذي هو قاتلُهْ

قال النُظّام: ثم مات من يومه.

---

(١) تاريخ بغداد: ٢/٢٤١.

[٦٦]*

ابن السكّيت

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق البغداديّ النحويّ اللغويّ، وإسحاق هو المعروف بالسكّيت خوزيٌّ من قرى دورق من كُوَر الأهواز.

كان دَيِّناً موثوقاً فاضلاً، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وغيره، وأدَّبَ أولادَ الأمير محمد بن عبدالله بن طاهر، ثم ارتفع شأنه، وأدَّبَ أولاد المتوكِّل: المعتزّ والمؤيَّد.

وله من التصانيف: إصلاح المنطق. الألفاظ. معاني الشعر. القلب والإبدال. الزبرج. الأمثال. المقصور والممدود. الأجناس. المذكَّر والمؤنَّث. الفرق. السرج واللجام. فعل وأفعل. الحشرات. الأصوات. الأضداد. الشجر والنبات. الوحوش. الإبل. النوادر. معاني الشعر الكبير. الصغير. الأيام والليالي. سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه. المثنى والمكنّى. طبقات الشعراء. مجاز ما جاء في الشعر فصُرِفَ عن جهته. غريب القرآن. الأنساب. الأنواء. شرح المعلّقات. شرح شعر زُهير. شعر الأخطل. شعر القتّال الكِلابيّ. شعر الحارث بن صعصعة. شعر عمرو بن قميئة. شعر الأعشى. شعر أبي نواس جعله اثني عشر صنفاً في نحو ثلاثمائة ورقة.

وجمع من دواوين العرب ما لا يُحصى.

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويّين: ١٥١-١٥٢. طبقات النحويّين واللغويّين: ٢٠٢-٢٠٤. الفهرست: ١١٤-١١٥. نور القبس: ٣١٩-٣٢٢. تاريخ بغداد: ١٤/٢٧٤-٢٧٦. نزهة الألباء: ١٣٨-١٤٠. المنتظم: ١١/٣١٠-٣١٢. معجم الأدباء: ٦/٢٨٤٠-٢٨٤١. إنباه الرواة: ٤/٥٦-٦٣. وفيات الأعيان: ٦/٣٩٥-٤٠١. إشارة التعيين: ٣٨٦-٣٨٧. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٤١-٢٥٠): ٥٥١-٥٥٣. دول الإسلام: ١/١٤٧. سير أعلام النبلاء: ١٢/١٦-١٩. العبر: ١/٣٤٩. الوافي: ٢٨/١١٧-١١٨. عيون التواريخ: ٣٤٣-٣٤٦، وجعله من وفيات ٢٤٤هـ. مرآة الجنان: ٢/١٠٩-١١١. البلغة: ٢٨٨. البغية: ٢/٣٤٩. شذرات الذهب: ٢/٢٣٩. ديوان الإسلام: ٣/١٢٠-١٢١.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن السكّيت اللغوي.

قال ياقوت: كان ابنُ السِّكِّيتِ عالِماً بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر راويةً ثقةً.

أخذَ عن البصريين والكوفيين كالفرَّاء، وأبي عمرو الشيباني، والأثرم، وابن الأعرابيّ.

وكان شيعيّاً ولا حظٌّ له من السُّنَن. وله تصانيف كثيرة في النحو ومعاني الشعر وتفسير دواوين العرب، زاد فيها على من تقدّمه، ولم يكن بعد ابن الأعرابيّ مثله.

وحضر مرة عند ابن الأعرابيّ، فحكى شيئاً فعارضه يعقوب، وقال: من يحكي هذا، أصلحكَ الله؟ فقال له ابن الأعرابيّ: ما أشدُّ حاجتك إلى من يفرك أذنكَ ثم يصفعك. فأطرق يعقوب حتى سكتَ ابن الأعرابيّ، ثم قال له: ما كان يسرّني أنَّ هذه البادرة بدرت منك إلى غيري، ثم لم تحتملها. فرأينا الانكسار فيه والاستكانة. ثم ابتدأ يقرأ عليه، فاستمع لقراءته إلى أن أمسكَ يعقوب من تلقاء نفسه، ولم يزل يقرأ ثانية، ويقرأ عليه كلَّ يومٍ ما يريد إلى أنْ فرَّقَ بينهما الدهرُ، فكان أبو العباس ثعلب يقول: ما كان أعظمَ بركة ذلك المجلسِ وذلك اليوم.

قال عبدالله بن عبد العزيز: شاورني ابن السِّكِّيت فيما دعاه المتوكّل إليه من منادمته، فنهيته، فلم يقبلْ قولي، وحمله على الحسد، وأجاب إلى ما دُعيَ إليه، فبينما هو مع المتوكّل في بعض الأيام إذ مرَّ ولداه المعتزّ والمؤيّد، فقال له: يا يعقوبُ، أيّما أحبّ إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فغضَّ يعقوب من ابنيه، وقال: قنبر - يعني مولى علي - خيرٌ منهما. وأثنى على الحسن والحسين بما هما أهله. فأمر المتوكّل الأتراك، فداسوا بطنه، فحُمِلَ إلى داره، فعاش يوماً وبعض اليوم، ومات، وقيل: بل حُمِلَ ميتاً في ساعته. وقيل: سلّوا لسانه من قفاه، فمات، وذلك يوم الاثنين لخمسٍ خلونَ من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين، ووجَّه المتوكّل إلى ولده بديته.

وقيل: كانت وفاته سنة ثلاثٍ. وقيل: سنة ستٍّ وأربعين، وقد بلغ من العمر ثمانيا وخمسين سنة، وقال عبدالله بن عبد العزيز في ذلك:

نهيتك يا يعقوبُ عن قربِ شادنٍ | إذا ما سطا أربى على أمِّ قشعمِ
فذقْ واحسُ ما استحسيته لا أقول إذ | عثرتَ لعا بل لليدين وللفم

وقال أبو الحسن الطوسيّ: كُنا في مجلس أبي الحسن علي اللحيانيّ وكان عازما على أن يملي نوادره ضِعفَ ما أملى، فقال يوماً: تقول العربُ: مُثْقل استعان بذقنه. فقام إليه ابن السكّيت وهو حدَثٌ، فقال: إنّما هو: مُثْقل استعان بدفيّه. يريدون الجملَ إذا نهض بحمله استفاق بجنبيه. فقطع الإملاء.

فلما كان المجلسُ الثاني أملى، فقال: تقول العرب: هو جاري مكاشري. فقام إليه ابنُ السكّيت، فقال: أعزّك الله، وما معنى مكاشري؟ إنّما هو مكاسري كِسْر بيتي إلى كسر بيته. فقطع اللحيانيّ الإملاء، وما أملى بعد ذلك شيئاً.

قال ياقوت: وحدَّثَ محمد بن يحيى، قال: يروى أنَّ يعقوبَ بن السكّيت لما أحضره المتوكّل ليؤدبَ ولديه، جلس عند المعتزّ بالله، فقال له: أيَّ شيءٍ يحبُّ الأميران جدا؟ يريد: من العلوم. فقال له المعتزّ بالانصراف، قال ابن السكّيت: فأقوم. قال المعتزّ: أنا أخفُّ نهوضاً منك. وقام المعتزّ، فاستعجل، فعثر بسراويله، فسقط، فالتفتَ إلى ابن السكّيت خَجِلاً وقد احمَرَّ وجهه، فأنشد ابنُ السكّيت:

يُصابُ الفتى من عثرة بلسانه | وليس يُصاب المرء من شدة الوبلِ
فعثرته في القول تُذهِبُ رأسَه | وعثرته بالرجل تبرا على مهلِ

فلما كان من الغدِ دخل ابن السكّيت على المتوكّل، وأخبره بما جرى، فأمر له بخمسينَ ألف درهم، وقال: لقد بلغني البيتان.

قال ياقوت: قال التاريخيّ: وأنشد من شعر ابن السكّيت:

إذا اشتملت على اليأس القلوب | وضاق لما به الصدر الرحيبُ
وأوطنت المكاره واستعلّت | وأرست في أماكنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشاف الضرّ وجهاً | ولا أغنى بحيلته الأريبُ

أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ ... يمنُّ به اللطيف المستجيبُ
وكلُّ الحادثات إذا تناهت ... فموصولٌ بها فرجٌ قريبُ

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن أبي عمر اللغويّ، قال: سمعتُ ثعلباً وقد ذكر يعقوبَ بن السكّيت، فقال: ما عرفنا له خربة قط.

وأخرج عن أبي سهل أحمد بن محمد بن عبدالله بن زياد القطّان، قال: سمعتُ ثعلباً يقول: عديّ بن زيد العِباديّ أمير المؤمنين في اللغة. وكان يقول في ابن السكّيت قريباً من هذا. قال أبو سهل: وسمعتُ المبرِّد يقول: ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسنَ من كتابِ يعقوب بن السكّيت في إصلاح المنطق.

وأخرج عن أحمد بن محمد بن أبي شداد، قال: شكوتُ إلى ابن السكّيت ضائقة، فقال: هل قلتَ شيئاً؟ قال: لا. قالَ: فأنا أقول، ثم أنشدَني:

نفسي تروم أموراً لستَ تدركها ... ما دمتَ احذر ما يأتي به القدرُ
ليس ارتحالك في كسب الغنى سفراً ... لكن مقامك في ضرٍّ هو السفرُ

وقال المعافى بن زكريا: حدثنا عبدالله بن جعفر بن درستويه، حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد عن المازنيّ، قال: اجتمعتُ مع يعقوب بن السكّيت عند محمد بن عبد الملك الزيّات، فقال لي محمد بن عبد الملك: سلْ أبا يوسف عن مسألة، فكرهتُ ذلك، وجعلتُ أتباطأ وأدافع مخافةَ الوحشة لأنّه كان صديقاً لي، فألحَّ عليَّ محمد بن عبد الملك، وقال لي: لِمَ لا تسله؟ واجتهدتُ في اختيار مسألة سهلة لأقاربَ يعقوبَ، فقلتُ له: ما وزن "نكتلْ" من الفعل في قوله تعالى:﴿فأرسلْ معنا أخانا نكتلْ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٦٣] فقال لي: نفعلْ. قلتُ: فينبغي أن يكون ماضيه "كتل". فقال: لا، ليس هذا وزنه، إنّما هو نفتعلْ. فقلتُ له: نفتعلْ، كم حرف هو؟ قال: خمسة أحرف. قلتُ: فـ"نكتلْ" كم حرف هو؟ قال: أربعة أحرف. قلتُ: كيفَ يكون أربعة أحرفٍ يوازن خمسة أحرفٍ؟ فانقطع وخجل وسكت، فقال محمد بن عبد الملك: تأخذ كلَّ شهرٍ ألفي درهم ولا تحسنُ

ما وزن "نكتلْ"؟ فلما خرجنا قال لي يعقوب: يا أبا عثمان، ما صنعتَ؟ فقلتُ له: والله لقد قاربتك، وما لي في هذا ذنب.

قال أبو حيان التوحيديّ في كتاب الإمتاع: قال يعقوب صاحبُ إصلاحِ المنطق: دخل أعرابيٌّ الحمّامَ، فزلق، فاتسخَ، فأنشأ يقول:

وقــالوا تطهَّــرْ إنّه يوم جُـمْـعــة ... فـرحْتُ من الحـمّـام غـيـرَ مطهَّـرِ

تزوّدت منه ســاعــةً شجَّ مــفــرقي ... بفَلسين إني بئس ما كان متجري

وما يُحسن الأعرابُ في السوقِ مشيةً ... فكيفَ ببيـتٍ من رخـامٍ ومـرمـرِ

تقـــول لي الأنبـــاطُ إذا أنا نازل ... به لا بظبي بالصــريمة أعــفـــرِ

وقال -حرس الله نفسه- كنتُ أروي قافية هذا البيت "أعقرا"، وهذه فائدة كنتُ عنها في ناحية، وانصرفتُ.

وقال الشيرازيّ في الألقاب: أخبرنا أحمد بن سعيد المعدانيّ أخبرنا محمد بن أحمد بن إسحاق الماشي حدثنا محمد بن جابر حدثنا أبو يوسف يعقوب بن السكّيت حدثني الأثرم عن أبي عُبَيدة، حدثنا أسمع بن عبد الملك عن محمد بن علي بن الحسين عن آبائه عن النبي (ﷺ) قال: أوّل من فُتِقَ لسانُه بالعربيّة المُبِينة إسماعيلُ، وهو ابن أربع عشرة سنة.

وقال: أخبرنا أحمد بن سعيد حدثنا أحمد بن محمد بن عمر البسطاميّ: سمعتُ محمد بن جابر يقول: سمعتُ أبا يوسفَ يعقوبَ بنَ السكّيت يقول: العرب تجمع ما كان واحداً في الجسد أو مثنى، وأنشدنا بيتَ الأعشى:

ووجـــهٍ نقي اللون صـــافٍ يزينه ... مع الجِيـد لُبّـاتٌ لـهـا ومـعـاصـمُ

قال: الجِيد: العنق، وقال: لُبّات لها، وإنّما لها لُبّة واحدة، ويُقال للمرأة: إنّها لواضحة اللُّبّات رائقة الأجياد، ويقال: ألقاه في لهواته، وإنّما هي لهاة واحدة.

وقال: أخبرنا أحمد بن أبي حامد القزوينيّ، قال: سمعتُ علي بن إبراهيم القطّان

يقول: سئل ثعلب: هل رأيت السكّيت؟ فقال: نعم، وكان لي أخاً وشبيهاً بالأخِ، وكان سِكِّيتاً كاسمه.

وقال أبو الطيب: انتهى علم الكوفيين إلى أبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكّيت، وأبي العباس ثعلب، وكانا ثقتين أمينين، ويعقوب أسنّ وأقدم موتاً، وكان أحسنَ الرجلين تأليفاً، وكان ثعلب أعلمَهما بالنحو، وكان يعقوب يُضَعِّفُ فيه، فحدثنا عبد القدوس بن أحمد أخبرنا ثعلب، قال: كنتُ عند يعقوب يوماً، فسألني عن شيءٍ، فصحتُ وكان ثعلب شديدَ الحسد، فقال لي: لا تصح، فوالله ما سألتكَ إلا مستفهماً.

وأخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا ثعلب قال: كنتُ عند يعقوب يوماً، فجاءه رجل من غلمان المازنيّ من أهل البصرة، فقال: أخبروني: ما وزنُ "نكتلْ" من الفعل؟ فقال يعقوب: نفعلْ. فقلتُ له: إنَّه يقول لك "نفتعل". فلَقّنها يعقوب وفطن، ثم التفتَ إلى البصريّ، فقال له: كيف تقول؟ أحوج ما أنتَ إليه النحوُ. فقال: أخطأت، إنَّما الكلام، أحوج ما أنتَ إليه محتاج النحو. قال: فخرس.

وكان يعقوب أخذ عن أبي عمرو والفرّاء، وكان يحكي عن الأصمعيَ وأبي عُبَيدة وأبي زيد من غير سماعٍ إلا ممن سمع منهم نحو الأثرم، وابن نجدة، وأبي نصر، وكان ربما حكى عن أعراب ثقاتٍ عنده، وقد أخذ عن ابن الأعرابيّ شيئاً كثيراً. انتهى.

وقال أبو الفرج الأصفهانيّ في الأغاني(١): قال يعقوب بن السكّيت: حدثني سلمة النميريّ - وتوفي وله مائة وأربعون سنة - أنَّه حضر هشاماً وله تسع عشرة سنة، وحضر جرير والفرزدق والأخطل عنده، فأحضر هشامٌ ناقةً له، فقال متمثِّلاً:

أُنيخُها ما بدا لي ثم أرحلُها

ثم قال: أيُّكم أتمَّ البيتَ كما أريد فهي له. فقال جرير:

كأنَّها نِقْنِقٌ يعدو بصحراءِ

---

(١) الأغاني: ٨/٢١٥.

فقال: لم تصنع شيئاً. فقال الفرزدق:

كـأنَّهـا كـاسـرٌ بالدَّوِّ فتـخـاءُ

فقال: لم تُغنِ شيئاً. فقال الأخطل:

تُرخي المشافرَ واللحيين إرخاءَ

فقال: اركبها، لا حملك الله!

وقال الزبيديّ في طبقاته: قال ثعلب: كان أبو نصر صاحبُ الأصمعيّ يُمِلُّ شعر الشمّاخ، وكنتُ أحضرُ مجالسَه، وكان يعقوب بن السكّيت يحضرها قبلي؛ لأنّه كان قد قعد عن مجالسهم وطلب الرياسة، فجاء إلى منزلي، فقال: اذهبْ بنا إلى أبي نصر حتى نفقهَ على ما أخطأ فيه، وصحّفَ من شعر الشمّاخ، فإنّه أخطأ في بيت كذا، وصحّف في حرف كذا، وأنا ساكتٌ. فقال: ما تقول؟ فقلتُ: ليس يحسن هذا، بالأمس تُرَى على باب الشيخِ تسأله، وتكتب عنه، ثم تسير إليه الآنَ لكي تخطئه وتهجِّنه؟! فقال: لا بدَّ من ذلك. فمضينا، فدققنا على الباب، فخرج الشيخُ يرحّب، فأقبل عليه يعقوب، فقال: كيف تنشد هذا البيت للشمّاخ؟ قال: كذا. قال: أخطأتَ، فكيف تقول في هذا الحرف من شعره؟ قال: كذا. قال: أخطأتَ. فلما مرَّت ثلاث أو أربع مسائل اغتاظ الشيخ، ثم قال: يا مَصَّان، تستقبلني بمثل هذا وتقوى نفسُك على ذلك وأنتَ بالأمسِ تلزمني حتى يتهمني الناسُ بك. ونهض فدخل بيته وردَّ بابه في وجوهنا، فاستخزى يعقوب، فأقبلتُ عليه، فقلت: ما كان أغنانا عن هذا! فأمسك فما نطق بحلوة ولا مُرَّة.

وقال ياقوت: حدَّث المرزبانيّ عن أبي عمر الزاهد، قال: قال ثعلب: دخلتُ على يعقوب بن السكّيت وهو يعمل المنطق، فقال: يا أبا العباس، رغبتَ عن كتابي؟ فقلتُ له: كتابُك كبير، وأنا عملتُ الفصيح للصبيان.

وقال ياقوت وقال محمد بن إسحاق النديم: قال ثعلب: كان يعقوب بن السكّيت متصرِّفاً في أنواع العلوم، وكان أبوه رجلاً صالحاً من أصحاب الكسائيّ حسنَ

المعرفة باللغة والعربيّة، وكان يعقوب يقول: كان أبي أعلمَ مني بالشعر واللغة، وأنا أعلم من أبي بالنحو. وكانا كوفيي المذهب.

قال: وقيل لابن السكّيت: أيُّ الأدب أنفع للمتأدب؟ فقال: ما أعلم شيئاً أفتق للسان، ولا أظهرَ للبيان، ولا أفصحَ وأطلقَ للسان من شعر الأحداث الذين نبغوا في الإسلام، ولم يغربوا في الكلام بما تنبو عنه الأفهام، بل قالوا فأفصحوا وبيّنوا فأوضحوا مع اقتصادٍ في مديح وهجاءٍ غير قبيح. وأما أشعار الجاهليّة فإنّها كانت لرجال زمانها، قد مضى نفعُها في أوانها ، لا يُقتدى بها في فعال، ولا يُستعان بها في مقال.

قال ياقوت: وجدت بخطّ جُخْجُخ النحويَ في كتابٍ ألّفه أبو العباس القمريَ في أخبار أبي بشر اليمان بن أبي اليمان البندبنجيَ، قال: أخبرني إبراهيم بن سهل. قلتُ: يريد رواية أبي بشر أنّه دخل على ابن السكّيت، واسمه يعقوب بن إسحاق ويكنى أبا يوسف، ووصف مجلسه، وقال: كان المؤيّد بن المتوكّل أنزله داراً فوزاء كبيرة معمولة بالساج، وكان فيها دورٌ كثيرة، وكان في الدار الكبيرة أسرّة كثيرة عليها حُصُر سترته، في صدرها مطرح، وعليها مسورتان كان يجلس عليه أبو يوسف، وكان يوم يفتح الباب وقد وكّل به خادماً يُدخِل الناسَ فرقة فرقة، فمن كان من أبناء الوزراء والكُتّاب يجلس على تلك الأسرّة إلى أن يمتلئ الصحن، قال: فخرج خادم من بعض تلك الدُور، فوقف على الباب ساعة يتأمل الناس، ثم رجع ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً[1].

---

(١) لا تبدو الرّواية كاملة، ولكنّ ترجمة ابن السكّيت انتهت.

[٦٧]*
ابن شُقَيْر

قال ياقوت: هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن العباس بن الفرج النحويّ.

أخذ عن أحمد بن عبيد بن ناصح، وكان مشهوراً برواية كتبِ الواقدي عن أحمد بن عبيد عنه، ومات في صفر سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وهو في طبقة أبي بكر بن السرَّاج.

وله تصانيف، منها: مختصر في النحو. كتاب المقصور والممدود. كتاب المذكَّر والمؤنث.

قرأتُ في كتاب ابن مسعر[1] أنَّ الكتابَ الذي يُنسبُ إلى الخليل، ويسمَّى "الجُمل" أنَّه من تصنيف ابن شُقَيرٍ هذا. قال: يقول فيه: النصب على أربعين وجهاً[2]. انتهى ما ذكره ياقوت.

---

[*] انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويّين: ١١٦. الفهرست: ١٣٣، واسمه: عبدالله بن محمد بن شقير النحوي. تاريخ العلماء النحويّين: ٤٨-٤٩، واسمه: محمد بن شقير. تاريخ بغداد: ٣٠٩/٤، واسمه: أحمد بن الحسن. الإكمال: ٢١١/٤. الأنساب: ٤٤٥/٣. نزهة الألباء: ١٨٧-١٨٨، واسمه: أحمد بن الحسن. معجم الأدباء: ٢٣٢/١، واسمه: أحمد بن الحسين. إنباه الرواة: ٦٨/١، واسمه: أحمد بن الحسن. تاريخ الإسلام: وفيات (٣١١-٣٢٠): ٥٢٧-٥٢٨. الوافي: ٢١٧/٦، واسمه: أحمد بن الحسين. البغية: ٢/١-٣، واسمه: أحمد بن الحسن.
ومن الدراسات الحديثة عنه الدراسة التي قدَّم بها الدكتور فائز فارس لتحقيق كتاب المحلَّى.

(١) تاريخ العلماء النحويّين: ٤٨-٤٩.

(٢) في كتاب "المحلَّى" لابن شقير أحدٌ وخمسون وجهاً. انظر: المحلَّى: ٢. لكن يمكن أن تصبح أربعين بدمج بعض الأبواب المتداخلة، مثل: باب النصب بخبر كان، والنَّصب بإضمارها و... .

[٦٨]*

ابن الشَّجريّ

هو الشريف ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة بن علي بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي الحسن بن عبدالله الأمير بن عبدالله بن الحسن بن جعفر بن الحسن أبي الحسن بن علي بن أبي طالب.

قال الكمال بن الأنباريّ: كانَ أنحى من رأينا من علماء العربيّة، وآخر من شاهدنا من حُذَّاقهم وأكابرهم، فريد عصره ووحيد دهره في علم النحو، وكان تامَّ المعرفة باللغة، أخذ عن أبي المعمر يحيى بن طباطبا العلويّ، وصنَّف في النحو تصانيفَ وأملى كتاب الأمالي، وهو كتاب نفيس كثير الفائدة يشتمل على فنون من علم الأدب.

وكان فصيحاً حلوَ الكلام حسنَ البيان والإفهام، وكان نقيب الطالبيين بالكرخ نيابةً عن الطاهر، وكان وقوراً في مجلسه ذا سمتٍ لا يكاد يتكلّم في مجلسه بكلمةٍ إلا وتتضمن أدبَ نفسٍ أو أدبَ درسٍ، ولقد اختصم إليه يوماً رجلان من العلويين، فجعل أحدهما يشكو الآخر ويقول عن الآخر أنَّه قال فيَّ كذا وكذا. فقال له الشريف: يا بُني، احتملْ فإنَّ الاحتمالَ قبر المعايب. وهذه كلمة حسنة، فإنَّ كثيرا من الناسِ تكون لهم عيوبٌ، فيغضون عن عيوب الناس ويسكتون عنها، فتذهب عيوبٌ لهم، وكثير من الناس يتعرّضون لعيوبِ الناس ، فتصير لهم عيوبٌ لم تكنْ فيهم.

---

[*] انظر ترجمته في: نزهة الألباء: ٢٩٩-٣٠٢. المنتظم: ١٨/٦١-٦٢. معجم الأدباء: ٦/٢٧٧٥-٢٧٧٦. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢١/١٨٩-١٩٠. إنباه الروّاة: ٣/٣٥٦-٣٥٧. وفيات الأعيان: ٦/٤٥-٥٠. إشارة التعيين: ٣٧٠. تاريخ الإسلام: (وفيات ٥٤١-٥٥٠): ١٢٨-١٣٠. سير أعلام النبلاء: ٢٠/١٩٤-١٩٦. العبر: ٢/٤٦٣. مسالك الأبصار: ٧/١١٩-١٢١. عيون التواريخ: ١٢/٤١٣-٤١٥. الوافي: ١٧/١٧٤-١٧٧. مرأة الجنان: ٣/٢١١-٢١٢. البلغة: ٢٧٨. النجوم الزاهرة: ٥/٢٧٢. البغية: ٢/٣٢٤. شذرات الذهب: ٤/٢٩٧-٢٩٩.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن الشجريّ ومنهجه في النحو.
- المقدّمة التي قدم بها الدكتور محمود محمد الطناحي لتحقيق كتاب أمالي ابن الشجريّ.

وسـأله يومـاً ولدُ النقـيب الطاهر عن الآل، فقـال: الآل الذي يرفـع الشـخـوص أول النهـار وآخره، والأصـل فيـه الشـخص، يقـال: هذا آلٌ قـد بدا. أي: شـخص. والآل: أهل البيت. وذكر فيه وجوهاً. فقال له ولدُ النقيب: هل جاء في اللغة في الآل غير هذا؟ فقال: لا. فقلتُ: ما تقول في قول زهير:

فلم يبقَ إلا آلُ خيِمٍ منضد

أليس المراد به عِيدان خيم؟ فقال: أليس قـد قلتُ أنَّ الآل في الأصل هو الشـخص في قولهم : هذا آلٌ قد بدا أي: شخص قد ظهر؟ فقوله "آل خيم" يرجع إلى هذا.

ولقـد حكى يومـا قـول أبي العبـاس المبرِّد في بنـاء "حَذامِ وقَطامِ" أنَّه اجـتـمع فـيـه ثلاث علل: التـعريف والتـأنيث والعدل، فبعلِّتين يجب منع الصـرف وبالثـالثـة يجب البناء إذ ليس بعد منع الصـرف إلا البناء. فقلتُ له: هذا التـعليل ينتقض بقولـهم: "أذربيجـان" فإنَّ فـيـه أكثر من ثـلاث عللٍ ومع هذا فليس بمبنيّ بل هو مـعرب غـيـر منصـرف. فـقـال: هكذا قيل وهكذا قيل عليه.

قـال ابن الأنبـاريّ: وعنه أخـذتُ علمَ الـعربيّة، وأخـبـرني أنَّه أخـذه عن ابن طبـاطبـا العلويّ، وأخـذه ابن طبـاطبـا عن علي بن عـيـسى الربعيّ، وأخـذه الربعيّ عن أبـي علي الفـارسـيّ، وأخـذه الفـارسـيّ عن أبي بكر بن السَـرَّاج، وأخـذه ابن السَـرَّاج عن أبي العباس المبرِّد، وأخذه المبرِّد عن أبي عثمان المازنيّ وأبي عمر الجَرميّ، وأخذاه عن أبي الحسن الأخفش، وأخذه الأخـفش عن سـيبويه، وأخـذه سـيبـويه عن الخليل، وأخـذه الخليل عن عيسى بن عمر، وأخذه عيسى بن عمر عن ابن أبي إسحاق، وأخذه ابن أبي إسـحاق عن ميمـون الأقرن، وأخـذه ميمون الأقرن عن عنبسـة الفيل، وأخـذه عنبسـة عن أبي الأسـود الدؤليّ، وأخذه أبو الأسـود عن علي بن أبي طالب - رضـي الله عنه -.

توفي ابنُ الشـجـريّ سنة اثنتين وأربعين وخمسمـائة في خلافـة المقتفي. هذا آخر كلام ابن الأنباريّ.

وقـال غيره: كـان ابن الشـجـريّ إمـامـاً في النحـو واللغـة وأشـعـار العرب وأيامـهـا

وأحوالها كاملَ الثقة بها متضلعاً فنَّ الأدب، صنَّفَ فيه عدة تصانيف، قرأ على ابن طباطبا العلويّ، وابن فضَّال المجاشعيّ، وأبي جعفر سعيد بن علي السلاليّ الكوفيّ، وأبي زكريا التبريزيّ.

وسمع الحديث على أبي الحسن المبارك بن عبد الجبَّار بن أحمد بن القاسم الصيرفيّ، وأبي علي محمد بن سعيد بن سهل الكاتب، وغيرهما.

وكان حسنَ الكلام حلوَ الألفاظ جيدَ البيان والتفهيم، وجمع كتاباً سمَّاه الحماسة وله كتاب الأمالي، وهو أكبر تواليفه وأكثرها فائدة أملاه في أربعةٍ وثمانين مجلساً، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب، وختمه بمجلسٍ قصره على شعر المتنبي، تكلَّم عليه، وذكر ما قاله الشُرَّاح وزاد من عنده ما سنح له، وهو من الكتب الممتعة، ولما فرغ منه حضر إليه أبو محمد عبدالله بن الخشَّاب، وأراد سماعه، فما أجابه، فعاداه، وردَّ عليه في مواضع من الكتاب، ونسبه فيها إلى الخطأ، فوقف عليه ابن الشجريّ، وردَّ عليه، فحدَّد وبيَّن وجوه غلطه، وجمعه كتاباً وسمَّاه الانتصار، وهو على صغر حجمه مفيدٌ جدا، وسمعه عليه الناس، وممن قرأ عليه الشيخ تاج الدين أبو اليمن الكِنديّ.

ولد ابن الشجريّ في رمضان سنة خمسين وأربعمائة، ومات في يوم الخميس سادسَ عشر من رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.

قال ياقوت: أقرأ النحو سبعين سنة، ونُسِبَ إلى بيت الشجريّ من قِبَل أمّه. وقال ابن خلكان: شجرة: قريةٌ من أعمال المدينة. وشجرة: اسم رجل، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء، ولا أدري إلى من يُنسب هذا الشريف.

وقال الصلاح الصفديّ: ذكر بعضهم أنَّه كانت في دارهم شجرة ليس في البصرة غيرها، فنسِبَ إليها.

قال: وقد مُتِّع ابنُ الشجري بجوارحه إلى أن مات. ومن نوادره أنَّه حضر عند نقيب النقباء الكامل طراد بن محمد الزينبيّ في يوم هناء وقد حضر عنده جماعة من

الهاشميين والعلويين، فقال له طراد: يا شريف، ما ورّخ عن علويٍّ أنّه كان له حلقة في جامع المنصور يُدرِّس فيها إلاك. فقال مسرعاً: يا سيدنا، ولا ورَّخ أنَّ علويّاً يقول: معاوية خالُ عليٍّ غيري. فأعجب حسنُ جوابه الحاضرين. أورده ابن النجّار في تاريخه.

وقيل له: قد كتبوا على عقد السماكين بالكرخ: "محمد وعلي خير البشر" فقال: صدقوا، هذا قسمٌ عن أمير المؤمنين عن النبي (ﷺ) أورده ياقوت.

ومن شعر ابن الشجريّ:

هل الوجد خافٍ والدموع شهود ... وهل مُكذبٌ قولَ الوشاة جَحودُ
وحتى متى تفني شؤونك بالبكا ... وقد خدَّ خدّاً للبكاء لبيدُ
وإني وإن لانت قناتي كَبْرةٌ ... لذو مِرةٍ في النائبات جليدُ

ومن شعره يمدح الوزير نظام الدين المظفَّر بن علي بن محمد بن جهير:

هذي السديرةُ والغديرُ الطافحُ ... فاحفظْ فؤادكَ إنني لك ناصحُ
يا سدرة الوادي الذي إن ضلّه الـ ... ـساري هداه نشرُك المتفاوحُ
هل عائدٌ قبل الممات لُمغرَمٍ ... عيشٌ تقضَّى في ظلالك صالحُ
ما أنصف الرشأ الضنينُ بنظرةٍ ... لما دعا مصغي الصبابة طامحُ
شطَّ المزارُ به وبوِّئَ منزلاً ... بصميم قلبك فهو دانٍ نازحُ
غصنٌ يعطّفه النسيمُ وفوقه ... قمرٌ يحفُّ به ظلامٌ جانحُ
وإذا العيونُ تساهمته لحاظُها ... لم يروَ منه الناظرُ المتراوحُ
ولقد مررنا بالعقيقِ فشاقنا ... فيه مراتعُ للمها ومسارحُ
ظلنا به نبكي فكم من مضمرٍ ... وجداً أذاع هواه دمعٌ سافحُ
برتِ السنونَ رسومها فكأنّما ... تلك العِراض المقفراتُ نواضحُ
يا صاحبيَّ تأمّلا حُيِّيتما ... وسقى دياركما المِلتُّ الرائحُ

أدُمى بدتْ لعـــيــونِنا أم ربربٌ		أم خُـــرَّدٌ أكـــفـــالـهنَّ رواجحُ
أم هذه مُـــقَلُ الصـــوارِ رنتْ لنا		خللَ البـــراقع أم قنا وصــفـــائحُ
لم تبقَ جـارحـةٌ وقـد واجــهـتنا		إلا وهنَّ لـهـــا بـهن جـــــرائحُ
كيف ارتجاعُ القلبِ من أسرِ الهوى		ومن الشـــقـاوة أن يُراضَ القـارحُ
لو بلّه من مــاء ضــارجَ شـــربةٌ		مـــا أثّرتْ للوجـــدِ فـــيـــه لوائحُ

ومن شعره أيضاً:

ليلة الرملِ جـــدَّدتْ لي وصـــالا		زار فيـهـا خـيالُ سـعدى خـيالا
صـاح رِفـقـاً فطائر البين قـد صـا		ح وقـــد أزمعَ الخليطُ ارتحـــالا
عَلِقَ القلبُ من عـــقـــائل كـــعبٍ		بالأثيــلات كـــاعـــبـــاً مِكســـالا
ممليـــاتُ الغـــرام لفظاً ولحظاً		وابتـــســـامـــاً وفـــتـــرةً ودلالا
لو تـراءت لنـا بلُـجَّـــــــةِ ليلٍ		لغنينا أن نســـتـــضـيء الذُّبالا
ليتَ شــعـــري يومَ الوادع الحظا		نتـقي من عـيــونهـا أن نصــالا
أورث الحـــارثُ بن ظالم الفـــتـــ		ـك عـــيــوناً أغـرت بنا البلبـالا
لو رآها البـــرَّاضُ أحـــجـم لما		جلَّل الســـيفُ عـــروة الوصـــالا
يا خليلي مـــــا أنتَ لي بخليل		إن أعـــرتَ المســـامعَ العُـــذَّالا

وقال ابنُ النجَّار: سمع ابنُ الشجريِّ كتابَ المغازي لسعيد بن يحيى الأمويِّ من أبي الحسين المبارك بن عبد الجبَّار الصيرفيِّ، ورواه عنه.

روى عنه أبو اليمن الكِنديّ، وأبو الحسين بن الزاهد، والقـاضي أبو منصور عبدالملك بن المبارك بن عبد الملك، وأبو العباس أحمد بن يحيى بن بركة البزَّار، وأبو بكر عبدالله بن عثمان بن محمد التبيع، وأبو الفضل سليمان بن محمد بن علي الموصليّ.

وقال ابن النجَّار: أخبرنا القاضي عبد الملك بن المبارك وغيره، قالوا: أخبرنا الشريف أبو السعادات هبة الله بن الشجريّ، أخبرنا أبو الحسين المبارك بن عبد

الجبَّار بن أحمد الصيرفيّ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن نعيم، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان حدثنا أبو عبدالله أحمد بن محمد بن الغلس البزَّاز حدثنا أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان الأمويّ حدثني أبي حدثنا عبدالله بن عبدالله بن أويس عن أبي الزناد عن الأعراج عن أبي هُريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): انظروا كيفَ تصرُّفَ الله. عنى شتم قريشاً ولعنهم، يشتمون مذمما ويلعنون مذمما، وأنا محمد.

قال أبو محمد الحسن بن أحمد خطيب الريّ البغداديّ في ابن الشجريّ:

يا سـيـدي والذي يعـيـذك من　　نظم قــريض يصــدى به الفِكرُ
مـا فـيك من جـدّك النبيّ سِـوى　　أنَّك لا ينبــغي لك الشــعـــرُ

[٦٩]*

الشاطبيّ

أبو محمد القاسم بن فِيْرُّهْ -بكسر الفاء وسكون الياء وآخر الحروف وتشديد الراء وضمّها، ومعناه بلغة أهل الأندلس : الحديد- بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعينيّ -بضمّ الراء وفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتيّة- المقرئ الضرير أحد

---

[*] انظر ترجمته في: معجم الأدباء: ٥/٢٢١٦-٢٢١٧. إنباه الرواة: ٤/ ١٦٠-١٦٢. طبقات الفقهاء الشافعيّة: ٢/٦٦٥-٦٦٦. التكملة لوفيات النقلة: ١/٢٠٧-٢٠٨. تاريخ الإسلام: (وفيات/ ٥٨١-٥٩٠): ٣٨٣-٣٨٧. سير أعلام النبلاء: ٢١/٢٦١-٢٦٤. العبر: ٣/١٠٢. دول الإسلام: ٢/١٠٢. معرفة القراء الكبار: ٢/٥٧٣-٥٧٥. نكت الهميان: ٢٢٨-٢٢٩. الوافي: ٢٤/١٠٨-١١١. مرآة الجنان: ٣/٣٥٣-٣٥٤. طبقات الشافعية الكبرى: ٧/٢٧٠-٢٧٢. طبقات الشافعية: ٢/٢٧-٢٨. العقد المذهب: ٣٢٧. كتاب الوفيات: ٢٩٦. غاية النهاية: ٢/٢٠-٢٣. البغية: ٢/٢٦٠. طبقات المفسّرين (الداودي): ٢/٤٣-٤٦. نفح الطيب: ٢/١٨-٢١، ٤٩٤-٤٩٧. شذرات الذهب: ٥/٨-٩. ديوان الإسلام: ٣/١٥٦.

وثمة ترجمة كاملة له في كتاب مستقلّ بعنوان: "الفتح المواهبيّ في ترجمة الإمام الشاطبيّ".

الأعلام.

ذكره ابن الصلاح في طبقات الشافعيّة وقال: سمع من السلفيّ وغيره، وكان إماما بعلوم جمة محققا ذكيّا واسع المحفوظ كثير الفنون بارزاً في القراءات وعللها حافظا للحديث أستاذاً في العربيّة زاهداً عابداً قانتاً مهيباً، وقصيدتاه في القراءات والرسم مما يدلّ على تبحّره، وقد سارت بهما الركبان، وخضع لهما فحول الشعراء، واستوطن القاهرة، وتصدُّر للإقراء بالمدرسة الفاضليّة، وانتفع به الخلقُ.

وقال السخاويّ في شرح القصيد: كان عالماً بكتاب الله بقراءاته وتفسيره عالماً بحديث رسول الله (ﷺ) مبرزاً فيه، وكان إذا قرئ عليه البخاريّ ومسلم والموطأ يصحح النُّسَخ من حفظه ويملي النكت على الموضع المحتاج إلى ذلك منها. وأخبرني أنّه نظم في كتاب التمهيد لابن عبد البرّ قصيدة داليّةً في خمسمائة بيت، من حفظها أحاط بالكتاب علماً.

وكان مبرزاً في علم النحو والعربيّة عارفاً بعلم الرؤيا حسنَ المقاصد فيما يقول ويفعل. نظم القصيدة في القراءات وسمّاها حرز الأماني ووجه التهاني، وله القصيدة المعروفة بعقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، نظم فيها "المقنع" لأبي عمرو في الرسم، وزاد عليه، وهي مائتان وثمانية وتسعون بيتاً. قال رحمه الله :لا يقرأ أحدٌ قصيدتي هذه إلا وينفعه الله تعالى بها؛ لأنني نظمتها لله سبحانه.

وكان يتجنّب فضول القول، ولا يتكلّم في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه ضرورة، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة وخضوعٍ واستكانة، ويمنع جلساءَه من الخوض والحديث في شيء إلا في العلم والقرآن.

وكان يعتلّ العلّة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوّه، وإذا سئل عن حاله، قال: العافية. لا يزيد على ذلك.

وذكرتُ له يوماً جامعَ مصر، وقلتُ: قد قيل أنَّ الأذانَ يُسمَعُ فيه من غير المؤذنين، ولا يُدرَى ما هو. فقال: قد سمعته مراراً لا أحصيها عند الزوال.

وقال لي يوما: جرت بيني وبين الشيطان مخاطبة، فقال لي: فعلتَ كذا في أهلك. فقلتُ له: والله ما أبالي بك. وقال لي يوماً: كنتُ في طريق وتخلف عني من كان معي، وأنا على الدابة، وأقبل اثنان، فسبَّني أحدهما سَبّا قبيحاً، وأقبلت على الاستعاذة، وبقي كذلك ما شاء الله، ثم قال له الآخر: دَعْه. وفي تلك الحال لحقني من كان معي، فأخبرته بذلك، فطلب يمينا وشمالاً فلم يجد أحداً.

وكان يعذل أصحابه في السرّ في أشياء لا يعلمها منهم إلا الله. وكان يجلس إليه من لا يعرفه، فلا يرتاب في أنّه مبصر لأنّه لذكائه لا يظهر منه ما يظهر في الأعمى في حركاته. أخذَ القراءة عن الشيخ الإمام الزاهد أبي الحسن بن هُذيل عن أبي داود عن أبي عمرو الداني، وأخذها أيضاً عن أبي عبدالله محمد بن أبي العاصي النُّفزيّ.

ولد في آخر سنة ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة، ومات في يوم الأحد بعد صلاة العصر، وهو اليوم الثامن بعد العشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين ، ودفِنَ يوم الاثنين في مقبرة البيسانيّ، وتُعرَفُ تلك الناحية بسارية، وصلّى عليه أبو إسحاق المعروف بالعراقيّ إمام جامع مصر يومئذٍ.

ومن نظمه، أملى عليٌ لنفسه قصيدة في موانع الصرف:

دعوا صرفَ جمع ليس بالفردِ أكلا ... وفَعلانَ فعلى ثم ذي الوصف أفعلا
وذي ألفُ التأنيثِ والعَدْلُ عُدّةٌ ... والأعجمِ في التعريفِ خُصّ مطوّلا
وذي العدلِ والتركيبِ بالخُلْفِ والذي ... بوزن يَخُصُّ الفعلَ أو عايب علا
وما ألفٌ مع نونِ أُخراهُ زِيدتا ... وذي هاءُ وقفٍ والمؤنّثُ أُثقِلا

وقال:

رُبَّ حظٍّ لكظمِ غيظٍ عظيمٍ ... أظْفَرَ الظُّفرَ بالغليظ الظلومِ
وحِظار تُظَلُّ ظل حفيظٍ ... ظامئَ الظُّهْر في الظلام كظيمِ
يقظِ الظنّ واعظٍ كل فظ ... لفظه كالتظا شواظِ جحيمِ
مظهر لانتظار ظَعْن ظهير ... ناظر ذا لعظم ظهرٍ كريمِ

وقال:

بكى الناس قبلي لا كمثل مصائبي ... بدمع مطيع كالسحابِ السواكبِ
وكنا جميعاً ثم شتَّتَ شملَنا ... تفرُّقُ أهواءٍ عِراضِ المواكبِ
وكانت بقايا من قلوبٍ فأصبحت ... أيادي سَبا بينَ اختلافِ الركائبِ
وقد كان حلمُ القومِ يغلبُ جهلهم ... فيا لضياع الحلمِ حَشْوَ الحقائبِ
يمزِّقُه أهاً تفاقُدُ أهله ... وتخلُفُ أخلافٌ ذياب الثعالبِ
ألم ترَ أنَّ الدِّين يَندُبُ أهلَه ... غريباً شريداً واحداً دون صاحبِ
إذا عَدَّدَ القرآنَ يَسْلى حروفه ... وينسى حدوداً كلَّ أُفْقٍ وجانبِ
يقول ألستم تؤمنون بربكم ... منزِّل ايات الكتابِ العجائبِ
فما لكم عنها عُروضاً فما لكم ... ولا بد من عَرْضٍ على الله حاسبِ
لِمَن يتركُ القُرَّاءُ وِرْدُ فُراتِهِ ... وروداً من الدنيا أجاجِ المشاربِ
وكيف تواصَوا باتجاه وجوههم ... لغير مُحيَّاه خضوعَ الحواجبِ
أما والذي في ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ﴾ سَتَره ... لما الفضل إلا فضلُه دونَ حاجبِ
﴿فإني قَريب﴾ دون وهم مسافة ... ولكن بعيدٌ كلُّ ناسٍ مُجانبِ
رضيتَ فلاناً وهو مثلُكَ عاجزٌ ... وما دون إذنِ الله قربٌ لجانبِ
وما قَطَعَ الأعناقَ إلا اعتناقُها ... مطامعَ أغراض الغرورِ الكواذبِ
ولو سمعَ القُرَّاءُ حينَ اقترانهم ... فَفِي آلِ عمرانَ كنوزُ المطالبِ
بها يَنظُرُ الدنيا بعينِ احتقارِها ... فقيهُ المعاني غير عاني الذوائبِ
تمشَّت من الدنيا كؤوسُ خِداعها ... فما كأسُ إلا صائمٌ غيرَ شاربِ

وقال:

يلومونني إذ ما وجدتُ مُلائماً ... وما لي مُليمٌ حين سُمْتُ المكارما
وقالوا تعلَّم للعلوم نَفَاقَها ... بسحر نِفاقٍ يستخفُّ العزائما
وقلِّب جَناها حَولاً قُلَّباً بما ... يُدلِّي أنوفَ الشامخاتِ رواغما
وإن يَنقلِبْ عند الشراب شرابه ... كالمنجِحِ المجهودَ عذراً مُزاحما
ولا بد من مالٍ به العلمُ يعتلي ... وجاهٍ من الدنيا يكفُّ المظالما

ولولا مصابيحُ السلاطين لم تجد على ظلماتِ السُبْل بالحق قائما
فخالطهُم واصبر لذلٍّ حجابهم تنل بهم عزاً يسمّيك عالما
ودونك يا مَن لا يرى النصحَ ذِلّةً ستُوسعُ فيك الشامتين المراجما
إذا لعبت صبيانُهم بكَ وابتغَتْ شيوخُهم فيك البروقَ البراجما
فقلتُ مجيباً ليس يُسعدني سوى نجيِّ الحشا والدمع ينهَلُّ ساجِما
إلى الله أشكو وَحْدتي في مصائبي وهذا زمانُ الصبرِ لو كنتَ حازما
وكم زفرةٍ تحتَ الضلوعِ يَهيجُها حكيمٌ يبيع العلمَ بالجوْرِ حاكما
وكان جَناب العلمِ يسمُو بأهله إلى طيب أنفاسِ الحياةِ نواسِما
يردّونَ من دَرَّت له زهرة الدُّنا إلى نجعةِ الأخرى فيرتادُ حائما
نعَتْ لهم هِمَّاتُهم شهواتِهم فليس لهم إلا رضى الله سائما
بهم زانَتِ الأمجادُ نظمَ عقودِها وعمَّتْ نجوداً بالحُلى وتهائما
تُفاخِرُ أعناقَ الملوك بذُلّها لهم وترى الإقبالَ منهم مواسما
وكانوا حظايا بالقناعةِ غُنّماً فعادوا رزايا بالقُنُوع مغارما
سَرَت عنهمُ الأطماعُ كلَّ عناية فما سَرَتِ الركبانُ إلا لوائما
وجلّت خطوبُ القوم في رخصاتهم فجلّت عن الأهواءِ رُقْشاً أراقما
وكيف تناسَوا من فِعال سَراتهم مخافة يوم العرضِ يحصي الجرائما
وأُلفَتُهم في نُصرةِ الحق بينَهم مودّتُهم في الله تُحيي المكارما
ورحمتُهم كلَّ الورى وجنابُهم على بابهم حتى يفوتوا الروائما
وتحتَ ذيولِ الليل تجري دموعُهم تذوبُ على نارِ القلوب رواجِما
تُطير أعاجيب القران منامَهم وتبتسمُ الأفكار عنها كمائما
ولكنْ مفازات الوصولِ إلى المُنى تواصلُ أحزاناً وتُصلي سمائما
سوى أنّ في الأسحار بردَ مواهبٍ تهُبُّ بها الأرواحُ عزاً مباسما
أولئك أقوامٌ بهم قامت العُلا أقاموا لإجلالِ العلومِ مَقاوما

وللعلم أعلامٌ تَبينُ لأهله ... وخشيتُهم لله تهدي العوالما
وما يعقلُ الأمثالَ إلا قلوبُهم ... إذا ضُربَت للعالمين دعائما
وهم شهداء الله لله معه والـ ... ـملائك بالتوحيد والقسط قائما
تعرَّوا وجاعوا، والهواجر أظمئوا ... والأقدام صفوا والجباة أوارما
عليك بالاسترجاع إنك فاقدٌ ... حياةَ العلا وابغ السُّلوَّ منادما
عليك سلام الله ما عشتَ غيلةً ... تحية من أودعته منك جاحما
وودعتَه بين المهالك والهاً ... لما كان يرجوه لديك شوائما
بوارق لا أبكى سواها مواطرا ... ولا أشتكي إلا لهن كواظما

وقال اليغموريّ في المعجب، ومن خطّه نقلتُ: خطب ببلده شاطبة مع صغر سنّه، ودخل الديار المصريّة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وحضر عند الحافظ السلفيّ، وابن بريّ، وغيرهما.

قال: وأخبرني بعض الفضلاء أنَّ الأمير عزَّ الدين موسك بعث إلى الشيخ الشاطبيّ يدعوه إلى الحضور عنده، فأمر الشيخ بعضَ أصحابه بأن يكتبَ إليه:

قلْ للأمير مقالةً ... من ناصحٍ فَطِنٍ نبيهْ
إنَّ الفقيه إذا أتى ... أبوابكم لا خير فيهْ

قال: وله:

خالقتُ أبناء الزمان فلم أجد ... من لم أرمَ منه ارتيادي مخلصي
ردُّ الشباب وقد مضى لسبيله ... أُهيا وأمكن من صديقٍ مخلصِ

قال السخاويّ: قال شيخنا أبو القاسم الشاطبي: كان ابن السماك كثيراً ما ينشد:

ألا خلا في القبور ذو خطر ... فزره يوماً وانظرْ إلى خطرهْ
أبرزَه الموت من مساكنه ... ومن مقاصيره ومن متجرهْ

قال الشاطبيّ: فلما استحسنّاهما على الزيادة فيهما قلتُ:

إلى ديار البلى فحلٌ بها	يا ليتَ شعري ما كان من خبرهْ
لم يُغنِ عنه مالٌ ولا ولدٌ	ولا حميم يُعدُّ من نفرهْ
ولم يجد في ظلام حفرته	نوراً سوى ما أنار في عمرهْ
من لم يكن بالقبور متعظاً	لم يحمل في ورده ولا صدرهْ

قال السخاويّ: وسئلتُ أن أنظمَ عليها أبياتاً، فقلتُ:

مَرَّ بها ناسياً لوحشتها	وهو إليها يجدُّ في سفرهْ
ولم يرعه فظيع منظرها	كأنّه قد أصيب في بصرهْ
عجبتُ من شامتٍ مخترمٍ	وأنّه ذاهب على أثرهْ
ومن كبيرٍ دنتْ منيته	ولا له واعظٌ على كبرهْ
الحمد لله ما قضاه جرى	ولا يغيِّر العبادُ من قدرهْ

قال السخاويّ عند قول الشاطبيّ: (وفي واو (سوءات) خلاف لورشهم) ففي الواو عن ورش وجهان: المدّ الممكن والقصر، ولا خلاف عنه في مدّ الألف، ومن أصله أن لا يمدّ ما بعد الهمز إذا كان قبل الهمز ساكن إلا أن يكون الساكن حرف مدّ، فاقتضى ذلك أن لا يمدّ الألفَ ههنا إلا أن سكون الواو قبلها عارض، لأنَّ فعلة اسماً تُجمَعُ على فعَلات نحو: جفنة وجفَنات، فإن كان عينُ الكلمة واواً أو ياءً جُمِعتْ على فعْلات نحو: جوْزات وبيْضات، وإنّما سُكِّنتا ههنا لأنّهما إذا تحرّكتا وانفتح ما قبلهما قُلِبتا ألفا، ولأبي الحسن علي بن عبد الغني المعروف بالحُصريّ المقرئ في هذه الكلمة أبيات، قال:

سألتكمُ يا مقرئَ الغربِ كلّه	وما من سؤال الحبر عن علمه بدٌّ
بحرفين مدّ وإذا المدّ أصله	وذا لم يمدُّوه ومن أصله المدُّ
وقد جُمِعا في كلمة مستبينةٍ	على بعضكم تخفى ومن بعضكم تبدو

فالحرف الذي مُدَّ ولا أصلَ له في المدِّ في قوله (الألف)، والذي لم يمدّ ومن أصله المدّ (الواو)، وأشار إلى (سوءاتكم) بقوله: (على بعضكم تخفى ومن بعضكم تبدو).

قال: وقال شيخنا أبو القاسم الشاطبيّ في جوابه:

عجبتُ لأهلِ القيروان وما مدّوا ... لها قصر سوءات وفي همزها مدّوا

لورش ومدّ اللين للهمز أصله ... سوى مشرع الثنيا إذا عذّب الوردُ

أصله يعني أصل ورش إلا ما استثناه نحو: موئلا والموءودة.

وما بعد همز حرف مدٍّ يمدُّ ... سوى ما سكونٌ قبله ما له مدُّ

يعني: والذي بعد همز حرف مدّ يمدُّه إلا أن يكونَ قبل الهمز ساكن غير حرف مدّ.

وفي همز سوءات يمدُّ وقبله ... سكون بلا مدٍّ فمن أين ذا المدُّ

يعني أنَّ السائلَ قال بعد تقرير هذا الأصل لورش: كيف يمدُّ بعد الهمز في سوءات وقد وقع قبل الهمز ساكن ليس بحرف مدٍّ.

يقولون عينُ الجمعِ فرعُ سكونها ... فذوا القصر بالتحريك الأصلُ يُعتدُّ

وموجب مدّ الهمز هذا بعينه ... لأنَّ الذي بعد المحرّك ممتدُّ

أي: يقول العلماء: عينُ الجمعِ في فعلات أصلها التحريك، والسكون عارضٌ للعلّة التي قدمتها، وذلك موجب لقصر الواو ولمدِّ ما بعد الهمز، فكأنّه إنّما مُدَّ وقبله متحرّك.

ولولا لزوم الواو قلب لحُرِّكت ... بجمع بفعلات في أسما له عقدُ

يعني: أنَّ العلّة في إسكانها أن لا تنقلب ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وإلا ففعلة اسماً يُجمَعُ على فعَلات.

وتحريكها واليا هذيل وإن فشا ... فليس له فيما روى قارئ عَدُّ

يعني: أنَّ تحريك الواو والياء لغة هُذيل، وإن كان هذا التحريك عنهم فاشياً، فلم

يقرأ بهذه اللغة أحد في (سوءات).

وللحصري نظم السؤال بها وكم ... عليه اعتراضٌ حين زايله الحدُّ
ومن يعنِ وجهَ الله بالعلم فليعنِ ... عليه وإن عنّى به خانه الحدُّ

قال السخاويّ: وأجابه أيضاً المقرئ أبو إسحاق إبراهيم بن طلحة البيّانيّ المعروف بابن الحدّاد، فقال:

ألا أيُّها الأستاذُ والله راحمٌ ... وغافر لهوٍ ظلْتمُ دهرَكم تشدو
أسائلكم يا مقرئ الغربِ كلِّه ... وما بسؤال الحبر عن علمه بُدُّ
بحرفين مدّ وذا وما المدُّ أصله ... وذا لم يمدّوه ومن أصله المدُّ
وقد أتيا في لفظة مستبينة ... على مثلكم تخفى ومن مثلكم تبدو
وها أنا ذا فلّ الزمان أجيبكم ... فأُسمِعُ ما أسمعت قبليَ من بعدُ
بلفظة سوءات لغزتَ وواوها ... وبالألف التالي لها الزائد الفردُ
فقلت عن المدّات ما المدُّ أصله ... وقلت لواو أصلها فتحها المدُّ
وهذا مقال منك غيرَ محرّرٍ ... وحكم يجور حقُّه النسخُ والردُّ
فليتك إذ لم تُعطِ ذا الحقِّ حقَّه ... سكتَّ فلم تهجر وليتك لم تعدُ
فقلتَ وبعضُ القولِ عَيٌّ وغيله ... على مثلكم تخفى ومن مثلكم تبدو
فيا ليتَ شعري ما دهاك وما الذي ... عدا بك عن نهجٍ هو الرشدُ والقصدُ
وهل مدّ إلا في ثلاثة أحرفٍ ... ففي الأصل يدريها ويعرفها زيدُ

قال السخاويّ: لو قال:

يدري حكمها الحرُّ والعبدُ

لأجاد.

لها أمّهاتٌ هُنَّ ولدنَ مدَّها ... وهُنَّ لها أصلٌ وهُنَّ لها ولدُ
وهل مُدَّ حرف اللين إلا لكونه ... يضارعها في اللين إن مُدَّ يمتدُّ

فإن لم يُمَدَّ استُغنيَ الدهر كلُّه ... عن المدِّ فيه واستوى الوجدُ والفقدُ
وما أصل حرف اللين في جمع بيضةٍ ... وسوءاتكم إلا التحرّك لا الضدُّ
وذلك داعي من رواه لورشنا ... بقصر ومدُّوا سائر الحرفِ واعتدُّوا
لكونه أولى والأحقّ بمدّه ... لما قد ذكرنا والإله له الحمدُ

وقال بعضهم في قصيدته في القراءات:

جلا الرعَينيّ علينا ضحى ... عروسة البكر ويا ما جلى
لو رامها مبتكر غيره ... قالت قوافيها له الكلّ لا

قال ابن السُّبكيّ في الطبقات الكبرى: الصحيح أنَّ اسمه القاسم، وله كُنيتان: أبو محمد وأبو القاسم، ومنهم من جعل كُنيته أبا القاسم ولم يجعل له اسما سواها.

قال: وسمع الحديث ببلنسية من أبي الحسن بن هُذيل، ومن أبي الحسن بن النعمة، وأبي عبدالله بن سعادة، وجماعة، وارتحل فحجٌّ، فسمع من السلفيّ وغيره.

روى عنه أبو الحسن بن الجُمَيزيّ، وأبو بكر بن وضّاح، وجماعة آخرهم أبو محمد عبدالله بن عبد الوارث المعروف بابن فار اللبن. وقرأ عليه القرآن جماعات، وعظم شأنُه، وبعُدَ صيتُه، وانتهت إليه رئاسة الإقراء، وقُصِدَ من البلاد. ومن شعره:

قلْ للأمير نصيحةً ... من ناصحٍ فَطِنٍ فقيهْ
إنَّ الفقيه إذا أتى ... أبوابكم لا خير فيهْ

قال البرهان الجعبريّ في الشاطبيّة:

إذا ما رمتَ نقل السبعة الزمْ ... لتظفرَ بالمنى حِرْزَ الأماني
جزى الله المصنِّفَ كلَّ خيرٍ ... بما أسداه في وجه التهاني
بألفاظٍ حكت دُرّاً نضيداً ... وقد نادت فلبَّتها المعاني
ظما واديه عذبا ثم أوردْ ... جداوله فكلّ عنه ثاني
جلا فيها الطويل ولذَّ سمعاً ... فعدُّ عن الثالثِ والمثاني

وقال أيضاً:

رمـوز مـعـاني الشـاطبـيّـة حلّـهـا عزيز على من رام فـهـمـا محَصّلا
ولكنُّـهــا عند المحــصِّل روضــة تـأنّق فـي أزهـارهـا مــتــأمــلا
لقـد لخّص المعنى وأتقنَ نظمـهـا وأودعـهـا كنزاً من العلم مـقـفـلا
إذا فضّه ذو البحث ألفى زبرجداً ودُرّاً وياقـوتاً ثـمـيناً مـحـصّـلا

[٧٠]*

الشّلوبين

أبو علي عمر بن محمد بن عمر بن عبدالله الأزديّ الإشبيليّ.

قال الحسينيّ في التكملة: ولد بإشبيلية سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وكان أحد رؤساء العربيّة بالمغرب والأندلس، كثيرَ العناية بها، وصاحبَ مشاركةٍ في علوم غيرها، مكثِراً في الرواية، سمع من عبد المنعم بن الفرس، والسُّهَيليّ، والحافظ أبي بكر بن الجد، والحافظ أبي عبدالله محمد بن زرقون، وغيرهم.

وأجاز له السلفيّ، وابن حبيش، وابن حميد، وابن أبي جمرة، وغيرهم. وله مشيخة، وتأدُّب بابن ملكون وابن رشيد، وغيرهما من نحاة بلده.

---

[*] انظر ترجمته في: إنباه الرواة: ٢/٣٣٢-٣٣٥. التكملة: ٣/١٥٩-١٦٠. برنامج شيوخ الرعيني: ٨٣-٨٥. وفيات الأعيان: ٣/٤٥١-٤٥٢. المغرب في حلى المغرب: ٢/١٢٩-١٣٠. اختصار القدح المعلى: ١٥٢-١٥٤. الذيل والتكملة (السفر الخامس): ٢/٤٦٠-٤٦٤. إشارة التّعيين: ٢٤١. سير أعلام النبلاء: ٢٣/٢٠٧. العبر: ٣/٢٥٢-٢٥٣. مسالك الأبصار: ٧/٢٢٢-٢٢٣. الوافي: ٢٣/٢٩-٣٠. مرآة الجنان: ٤/٨٨-٨٩. الديباج المذهب: ٢/٧٨-٨٠. كتاب الوفيات: ٣١٧. البلغة: ١٧٢-١٧٣. البغية: ٢/٢٢٤-٢٢٥. شذرات الذهب: ٥/٢٥٦. ديوان الإسلام: ٣/١٤٢-١٤٣.
ومن الدراسات الحديثة عنه المقدمة التي قدم بها الدكتور تركي بن سهو العتيبي لتحقيق كتاب: "شرح المقدمة الجزولية الكبير".

وكان أحدَ الفضلاء المشهورين، وله تصانيف معروفة. مات بإشبيلية في صفر سنة خمسٍ وأربعين وستمائة.

وقال ابن الأبّار: أخذ العربيّة عن أبي الحسن نجبة، ولزم أبا بكر محمد بن خلف بن صافٍ النحويَّ حتى أحكم الفنَّ، وقعد لإقراء العربيّة بعد الثمانين وخمسمائة، وأقام على ذلك نحواً من ستين سنة، ثم ترك ذلك في حدود الأربعين لِكبَرِ سنّه، وله تواليف بديعة: شرح الجزوليّة، شرحين، وكانت فيه غفلة الفضيلة. قالوا كان يوماً إلى جانب نهر وبيده كراريس يطالعُ فيها، فوقع كُرّاس في الماء، فغرفه بآخر.

والشلوبين بالشين واللام والواو والباء الموحدة وبعدها ياء آخر الحروف ونون، وهذه اللفظة بلغة الأندلس معناها الأبيض الأشقر.

وقال صاحب المغرب في أخبار المغرب: صنَّفَ أبو علي الشلوبين كتاب التوطئة في النحو، ثم لم يزل كلّما رأى رأياً ألحقه بها، فزاد ونقص وغيّر، فسارت عنه عدة نسخٍ حتى رغب عنه من كان يرغب فيه، وله من الشهرة ما يغنيه عن الإطناب في الوصف. وكان في لسانه رثة يردُّ بها السين والصاد ثاءً، ولما أراد المأمون التوجّه إلى مرسية، وأنشده الشعر، أقام الشلوبين وأنشد قصيدة لم يُفهَمْ منها غرضٌ، ثم دعا دعاءً يقول فيه: ثلمكَ الله ونثرَكَ، فكان كما قال: عاد المأمون وقد ثُلِمَ عسكرُه ونُثِرَ.

وقال أيضا في تاريخه: يُنسَبُ إلى شلوبينة من عيون غرناطة الساحليّة، وهو إشبيليّ، وكان والده خبّازاً بها، فأنفتْ نفسه عن صنعته، وانحرفت همّته عن حرفته، وعكف في صباه على النحو حتى برع فيه، ولم يكن أحدٌ في عصره يوازيه، شهدتُ مجلسَ إقرائه بإشبيلية غاصّاً بالبلديين والغرباء من الآفاق، ثم رحلتُ فوجدتُ ذكره قد ملأ مسامعَ أهل الشام والعراق.

وكان مع إمامته في النحو مقرئاً لمصنّفات الأدب الجليلة قائماً بمعرفتها وضبطها وروايتها عامراً بذلك غدوَه وأصيله، قرأتُ عليه منها الكامل للمبرِّد، وديوان أبي الطيب، وسمعتُ غيري يقرأ عليه غير ذلك، وهو في جميع ذلك كالعارض الصيِّب إلا أنَّ النحوَ

كان الغالب عليه، والجالب من أقطار البلاد إليه، وله مصنَّفات فيه، وكان كلما زاد كتابا زاد فيه بزيادة عمره، ولا يحلّ منه إلا بحلول قبره.

واشتهرَ في إقرانه بحِدة الخُلق والسّبّ لأئمة النحو وغيرهم ممن يعرض له ذكر، لا يبالي من وضع فيه لسانَه، شانَه ذلك أم زانه، وفي هذا يقول ابن عقبة الطبيب، وكان ربُما ألمَّ بمجلسه إلمامَ الرقيب:

تجَنُّبْ إن رشـــــدتَ أبا علـي	ولا تقـــربه مـــا بـين الأنـام
ونكّب نحـــوه إن كنت تأبى	وتأنف همـــة ســـقط الكلام
يمُدُّ الرِّجلَ في الإقــراء جــهــلاً	ويشتم سيبويه بلا احتشام
وإن باراه مــعــتـــرض بحقٍّ	ســمــعتَ لديه غــوغــاء الطغـام

واتفق له مع ابن الصابونيّ الشاعر الحكاية المشهورة، وذلكَ أنَّ ابنَ الصابونيَ كان يُلَقَّب بالحمار، ويغتاظ من ذلك، فبينما هو يوماً يقرأ عليه في كتاب الإيضاح إذ مرَّتْ مسألة "السمن منوان بدرهم" وتشعُبتِ المذاكرة إلى أن اغتاظَ أبو علي عليه، فزحف إليه من صدر المجلس، وهو يقول له: يا حمار، يا حمار، وجعل يضعِّف إلى أن قال: يا مائة ألف حمار، يا ملءَ الأرضِ حميراً، وجعل أصبعيه في أذنيه، ونهق وهو يزحف إليه حتى اجتمعت العامة على باب المسجد، وكانت حاله مضحكة.

وكان أبو العلاء بن المنصور قد جعله يحضر مجلس المذاكرة في المذاهب، فوضع لسانه في أئمة المذاهب في الفقه، فمُنِعَ من الحضور، وقيل له: إنَّك لا تترك عادتك، وأئمة الفقه ليسوا كأئمة النحو، ويُخشى عليكَ أن تتعرُض لسفك دمك.

وله نظمٌ، اشتهِر منه قوله في صبيّ اسمه قاسم، وهو مما سمعته منه، وكتبته عنه للإغراب بمنزعه وهو قوله:

ومما شـجـا قلبي وفضَّ مـدامـعي	هـوى قـدُّ قلبي إذ كلفتُ بقــاسم
وكنتُ أظنُّ الميمَ أصـــلاً فلم تكن	وكـانت كـميمِ الحِقتْ في الزراقم

الزراقم: الحيّات. فانظرْ إلى هذا التعسيف والتكلّف.

وأنشدَ أيضاً بمجلسِ إقرائه لنفسه وأنا أسمع:

لو لم تكن لي أعـراقٌ لهـا كـرم ... ولم يكن في رجال الغرب لي شرفُ
لكانَ في سيبويه الفخر لي وكفى ... بذاك فخراً فكيف العلمُ والشرفُ
أمرانِ لي جُمِعا في نفسي بهما ... من كـان لي عنده التكرّم واللطفُ
فالحمدُ لله حمداً لا انصرامَ له ... فكلّ ذي حسبٍ في مثل ذا وقفوا

وله حكايات في التغفّل مشهورة، منها العنقود، فإنّه وضعه في نهر إشبيلية حتى يبرد، ومدُّ يده ليأخذه. ومنها أنّه كان ينسخ والحبر إلى جانبه، فنشر الورقة، فسوّد جميعها. ومع هذا، فكان من أهل المروءات، توفي بإشبيلية سنة ستٍّ وأربعين وستمائة. انتهى.

قال الكمال جعفر الأدفويّ فيما انتقاه من هذا التاريخ: الشلوبين غير منسوب إلى شلوبينة كما ذكره غير ابن سعيد، وإنّما هي الزُّرقة في اللون، وأما الأبيات التي ذكرها، فأنشدها شيخنا العلامة أثير الدين أبو حيان: أنشدنا شيخنا القاضي أبو علي بن أبي الأحوص، أنشدنا أبو الربيع بن سالم، أنشدني القاضي أبو عبدالله بن حميد، أنشدنا شيخنا أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون -عُرِفَ بابن الأبرش- لنفسه:

لو لم يكن لي آباء أسـودُ بهم ... ولم ينسب رجال الغرب لي شرفا
ولم أنل من مليك العصر منولةً ... لكان في سيبويه الفخر لي وكفى
فكيف بمجد وعلمٍ قد جمعتُهما ... وكلّ مفتخر في مثل ذا وقفا

وقد ذكر ذلك البياسيّ في خُماسيّته، فغيّرَ أبو علي القافية من الرفع إلى النصب، وزاد بيتين، ونقص بيتين. انتهى.

وقد أورد ابن مكتومٍ في تذكرته حكايته مع الصابونيّ، وعزاها إلى كتابٍ في البخل.

وفي معجم الأدباء لياقوت في ترجمة أبي عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسيّ[1] أنّه قرأ على الشلوبينيّ هذا، قال: وشلوبين حصنٌ في غرب الأندلس. قال المرسيّ: وكان الشلوبين عجيباً في علوم العربيّة، لم ترَ عيني أعرفَ منه بعلوم العرب والنحو، وله تصانيف كثيرة في علوم العربيّة، منها: شرح الجُمل، وشرح الإيضاح كبير جداً، وشرح المفصَّل، وشرح الجزوليّة.

قال الشيخ تاج الدين بن مكتوم، ومن خطّه نقلتُ:

إنَّ الشلوبين أبا عليّ ... أستاذ كلِّ نحوي
علاّمة في فنّه إمام ... وقدره في النحو لا يُرام
قد شهدت بفضله الدفاتر ... واعترفت بنبله الأكابر
وضربت بمجده الأمثال ... وهجرت لقصده الأطلال
ولم يدع في عصره لمغربي ... في النحو ذكرا لا ولا في الأدب
فكم وكم له على "الكتاب" ... وغيره من كُتب الإعراب
من طرر كثيرة الفوائد ... وغرر تزهي على القلائد
وكم له من صاحب شهير ... علاّمة في فنّه نِحرير
قد طبّقوا بذكره الآفاقا ... ونمّقوا بدُرّه الأوراقا
ونقلوا عنه علوما جمة ... جليلة بديعة مهمة
أنتجها عكوفهم عليه ... وحرصهم في أخذ ما لديه
وبحثهم عن سرّ ما في الكتب ... بين يدي مؤيّد مهذّب
فرحمة الله مع السلام ... عليه من علاّمة إمام
ما ملئت بعلمه الطروس ... وابتهجت بذكره النفوس

قال ابنُ مكتوم: وقد أنشدنا شيخنا الإمام أبو حيان، قال: أنشدنا الشيخ قطب الدين بن القسطلانيّ، قال: أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم البلفيقيّ، قال: أنشدنا الأستاذ

(١) لم يرد هذا الكلام في معجم الأدباء في ترجمة أبي عبدالله المرسي. انظر: ٦/٢٥٤٦-٢٥٤٧.

أبو علي الشلوبين لنفسه:

وعلّقت جهدي قاسما فوجدته لفرط شقائي قاسيا غير راحمِ
وكنتُ أظنُّ الميمَ أصلاً فلم تكن وكانت كميمٍ ألحِقتْ في الزراقمِ

ومن شعر الشلوبين:

قالوا حبيبك ملتاث فقلت لهمْ نفسي الفداء له من كلِّ محذورِ
يا ليتَ علّته بي غير أنَّ له أجر العليل وأنّي غير مأجورِ

[٧١][*]

[أبو شامة]

ومن تصانيفه(١): شرح الشاطبيّة. مختصر تاريخ ابن عساكر الأكبر. مختصره الأصغر. شرح القصائد النبويّة للسخاويّ. كتاب الروضتين في أخبار الدولتين. الذيل عليها. شرح الحديث المقتفى في مبعث المصطفى. ضوء الساري إلى معرفة الباري. المحقق في علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول. كتاب البسملة. الباعث على إنكار البدع والحوادث. كتاب السواك. كتاب كشف حال بني عبيد. الأصول من الأصول.

[*] انظر ترجمته في: طبقات علماء الحديث: ٤/٢٤٦-٢٤٨. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٦١-٦٧٠): ١٩٤-١٩٧. تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٦٠-١٤٦٢. معرفة القراء الكبار: ٢/٦٧٣-٦٧٤. الإشارة إلى وفيات الأعيان: ٣٦١. فوات الوفيات: ١/٦١٧-٦١٩. عيون التواريخ: ٢٠/٢٥٢-٢٥٥. الوافي: ١٨/٦٧-٧٢. مرآة الجنان: ٤/١٢٤. طبقات الشافعية الكبرى: ٨/١٦٥-١٦٨. غاية النهاية: ١/٣٦٥-٣٦٦. السلوك لمعرفة دول الملوك: ٢/٤٥. المنهل الصافي: ٧/١٦٤-١٦٦. البغية: ٢/٧٧-٧٨. طبقات المفسّرين (الداودي): ١/٢٦٨-٢٧١. كشف الظنون: ٥/٥٢٤-٥٢٥. شذرات الذهب: ٥/٤٥٨-٤٥٩. طبقات المفسّرين (الأدنه وي): ٢٤٤. ديوان الإسلام: ٣/١٥٠-١٥٢.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- المؤرّخ أبو شامة وكتابه الرّوضتين في أخبار الدولتين النّورية والصلاحيّة.

(١) هذه ترجمة أبي شامة شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسيّ الدمشقيّ، ترك السّيوطيّ من أولّها صفحتين بلا تسويد وترك في آخرها صفحة كذلك ثمّ تلتها ترجمة الصفّار.

مفردات القُرَّاء. نظم المفصّل للزمخشريَ. مقدمة نحو. شيوخ البيهقيَ. وأشياء كثيرة لم يُتمُّها.

وذكر أنُه حصل له الشيب وعمره خمس وعشرون سنة، وكان متواضعاً مطرحاً للتكليف.

ولما ولي مشيخة دار الحديث الأشرفيّة سنة اثنتين وستين وستمائة حضر درسه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان، والأعيان على العادة.

وذكر من أول تصنيفه في كتاب المبعث الخطبة والحديث والكلام على سنده ومتنه، فقال بعض الشعر في ذلك:

العلم والمعلوم قد أدركتَه — وسماعك البحر المحيط فحدّثِ
وبعثت في دار الحديث بمعجز — وأبان عنه لك افتتاح المبعثِ
مكثت له الألباب طائعة الندى — والحسن من طرب به لم يمكث

وله في أيّام العجوز:

سأذكر أيّامَ العجوز مرتبا — لأسمائها نظماً صحيحا ليستمرّ
فصن وصنبر دوير معامل — ومطفئ جمر أمرّ ثم مُؤْتَمِر

وله، وكتب به على مصنف قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل الخولي، في العروض:

أحمد بن الخليل أرشده الله — لما أرشد الخليل بن أحمدْ
ذاك مستخرج العروض وهذا — مظهر السرّ منه والعود أحمدْ

وله في السبعة الذين يظلّهم الله بظلّه:

إمام محب ناشئ متصدّق — وباك مصلٍّ خائف الباسِ
يظلّهم الله الجليل بظلّه — إذا كان يوم العرض لا ظل للناسِ
أشرتُ بألفاظٍ تدلّ عليهم — فيذكرهم بالنظم من بعضهم ناسِ

[٧٢]*
الصفّار

....

(١)...

[٧٣]**
صاحب المستوفى[٢]

قال أبو حيّان في تفسيره "البحر" عند قوله تعالى: ﴿فاذكروه كما هداكم﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٨] أبو سعد علي بن مسعود بن الفرُّخال[٣] صاحب المستوفى[٤].

ذكره ابنُ هشام في بحث الكافة والمكفوفة[٥]، ولم يذكره السيوطيّ[٦] في هذا الكتاب.

---

[*] انظر ترجمته في: إشارة التعيين: ٢٦٦. البلغة: ١٨٨. البغية: ٢/٢٥٦.

(١) هو قاسم بن علي الأنصاريّ البطليوسيّ. فسح له السّيوطيّ صفحة كاملة لم يكتب فيها شيئاً.

[**] انظر ترجمته في: البغية: ٢/٢٠٦.

(٢) كلّ رؤوس التّراجم "أسماء الشخصيّات" بخطّ واضح متجانس لعلّه خطّ السيوطي نفسه، إلا هذه الترجمة؛ فالخطّ مغاير، كما أنّه ذكر العنوان وتمّم الكلام من غير أن يفرد العنوان بسطر مستقلّ.

(٣) انفرد أبو حيّان بهذه الكلمة، والمعروف أنّه ابن الفرخان.

(٤) حقّق الدكتور محمد بدوي المختون كتاب "المستوفى في النحو" وجمع في مقدّمة تحقيقه الشذرات المتناثرة من المعلومات القليلة عن أبي سعد علي بن مسعود بن الفرخان وهي لا تكفي لإضاءة جوانب هذه الشخصية المستورة الحال في النحو العربيّ مع أنّ كتابه خير دليل على تبحّر صاحبه في النحو وعلله. وهذه الترجمة منقولة من البحر المحيط: ٢/١٠٦.

(٥) لم يذكر ابنُ هشام ابنَ الفرخان صاحب المستوفى، والذي ذكره في بحث الكافة والمكفوفة هو أبو حيان الأندلسيّ في البحر المحيط. انظر كتابه: ٢/١٠٦.

(٦) هذا يدلّ على أنّ هذه الترجمة مقحمة على أصل الكتاب وليست منه.

[٧٤]*

ابن الضّائع

....

....(١)

[٧٥]**

الطُّوَّال

أبو عبدالله محمد بن أحمد النحويّ.

قال ابن النجّار: من أهل الكوفة أحدُ أصحاب الكسائيّ، وقد حدَّث عن الأصمعيّ، قدم بغداد وحدَّث بها، سمع منه أبو عمر حفص بن عمر الدوريّ المقرئ.

مات يوم الجمعة سلخ المحرّم سنة ثلاثٍ وأربعين ومائتين. انتهى.

رأيتُ في تعاليق أبي علي الآمديّ بخطّه، قال أبو العباس ثعلب: كان الطُّوَّال حاذقاً بإلقاء العربيّة، وكان سلَمة حافظاً لتأدية ما في الكتب، وكان ابنُ قادم حسنَ النظرِ في العلَل.

---

[*] انظر ترجمته في: الذيل والتكملة: ٥/٣٧٣. إشارة التعيين: ٢٣٥. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٧١-٦٨٠): ٣٥٨. الإحاطة: ٤/٩٥-٩٦. البغية: ٢/٢٠٤. نفح الطيب: ٣/٢٩٧. ديوان الإسلام: ٣/٢٢٠.

(١) هو علي بن محمد بن علي الإشبيليّ، فسح له السيوطي صفحتين من غير أن يكتب فيهما شيئاً.

[**] انظر ترجمته في: الفهرست: ١٠٧. تاريخ العلماء النحويّين: ١٨٣-١٨٤، وفي الهامش تفصيل لخلط بعض المؤرخين بين الطوال وابن قادم. إنباه الرواة: ٣/٦٠. البغية: ١/٥٠.

[٧٦]*

الطبريّ

محمد بن جرير بن يزيد بن محمد بن خالد، وقيل: ابن كثير بن غالب الإمام المجتهد أبو جعفر.

قال ابن عساكر: ولِدَ سنة أربعٍ وعشرين ومائتين بآمل طبرستان.

وسمع من محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وإسحاق بن إسرائيل المروزيّ، وإسماعيل بن موسى الفِزاريّ، وأبي كريب محمد بن العلاء، وهناد بن السري، وأحمد بن منيع، ومحمد بن حميد الرازيّ، ويونس بن عبد الأعلى الصدفيّ، وأبي هُمام الوليد بن شجاع الكوفيّ، وأبي سعيد عبدالله بن سعيد الأشجّ، ويعقوب بن إبراهيم الدروقيّ، وعمرو بن علي القلاس، وأبي بكر محمد بن بشّار، وأبي موسى محمد، وخلقٍ سِواهم من أهل العراق والشام ومصر.

وروى عنه أبو شعيب عبدالله بن الحسن الحرّانيّ، وهو أكبر منه سِنًا، وأقدم

---

[*] انظر ترجمته في: الفهرست: ٣٨٥-٣٨٣. تاريخ بغداد: ١٦١/٢-١٦٥. الأنساب: ٤/٤٦-٤٧. تاريخ دمشق: ٥٢/١٨٨-٢٠٨. المنتظم: ١٣/٢١٥-٢١٧. معجم الأدباء: ٦/٢٤٤١-٢٤٦٩. طبقات الفقهاء الشافعية: ١/١٠٦-١١٢. المحمدون من الشعراء: ١٨٧-١٨٩. إنباه الرواة: ٣/٨٩-٩٠. وفيات الأعيان: ٤/١٩١-١٩٢. طبقات علماء الحديث: ٢/٤٣١-٤٣٦. تاريخ الإسلام: (وفيات ٣٠١-٣١٠): ٢٧٩-٢٨٦. سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٢٦٧-٢٨٢. العبر: ١/٤٦٠. دول الإسلام: ١/١٨٧. تذكرة الحفاظ: ٢/٧١٠-٧١٨. معرفة القراء الكبار: ١/٢٦٤-٢٦٦. الوافي: ٢/٢١٢-٢١٤. مراة الجنان: ٢/١٩٥-١٩٦. النجوم الزاهرة: ٣/٢٣٠-٢٣١. طبقات الشافعية الكبرى: ٣/١٢٠-١٢٩. غاية النهاية: ٢/١٠٦-١٠٨. الكشف الحثيث: ٢٢١. لسان الميزان: ٥/١٠٠-١٠٥. النجوم الزاهرة: ٣/٢٣٠-٢٣١. طبقات المفسرين (السيوطي): ٨٢-٨٣. طبقات المفسرين (الداودي): ٢/١١٠-١١٨. شذرات الذهب: ٢/٤٥٠: طبقات المفسرين (الأدنه وي): ٤٨-٥١.
- ومن الدراسات الحديثة عنه:
- الطبري: السيرة والتاريخ.
- الإمام الطبري.
- الإمام الطبري في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته.

وفاةً، وأبو عمرو بن حمدان النيسابوريّ، وأبو الفرج أحمد بن القاسم بن عبد الجبار البغداديّ، وأبو الحسن علي بن الحسن بن علاّن الحرّانيّ، وأبو الفضل محمد بن عبدالله بن همام الشيبانيّ، وأبو جعفر أحمد بن علي بن محمد الكاتب، وأبو الطيب عبد الغفار بن عبيدالله بن السريّ الواسطيّ، وسليمان بن أحمد الطبرانيّ، وأبو محمد الفرغانيّ، وأحمد بن كامل القاضي، وأبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن أيوب القطّان، وجماعة.

وقرأ القرآن على سليمان بن عبد الرحمن الطلحيّ صاحب خلاد.

قال الخطيب: كان أحد الأئمة، يُحكَمُ بقوله، ويُرجَعُ إلى رأيه لمعرفته وفضله، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيها أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسُّنَنِ وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم بصيراً بأيام الناس وأخبارهم، له الكتاب المشهور في تاريخ الإسلام، وتهذيب الآثار، ولم أرَ مثله في معناه إلا أنَّه لم يتمّه، وله في أصول الفقه وفروعه كتبٌ كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرُّد بمسائل حُفِظتْ عنه، ومكث أربعين سنة يكتب في كلِّ يومٍ أربعين ورقة.

قال الزعفرانيّ: حسبَ تلاميذه كتابته منذ بلغ الحلِم إلى أن مات، فصار له لكلِّ يومٍ سبع عشرة ورقة.

وقال أبو حامد أحمد بن طاهر الإسفرايينيّ: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصِّل تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً.

وكان من الأئمة المجتهدين لا يُقلِّد أحداً، وكان أبو الفرج المعافى بن زكريا النهروانيّ على مذهبه، وكان ابن جرير ثقةً في نقله، وتاريخه أصحّ التواريخ، مات يوم السبت سادس عشر من شوال سنة عشرٍ وثلاثمائة، ودفنَ يوم الأحد في داره.

وفي تاريخ ابن عساكر عن محمد بن جعفر بن جمهور، قال: سألتُ أبا جعفر أن

يزيدني في نسبه، فقال متمثِّلاً بقول رؤبة:

قـد رفع العـجَّـاجُ بيتـاً فـادعني   باسـمي إذا الأنسـاب طالت يكفني

وعن أبي العباس البكريّ، قال: جمعتِ الرحلةُ بين محمد بن جرير، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزيّ، ومحمد بن هارون الرويانيّ، فأرملوا ولم يبقَ عندهم ما يقوتهم، وأضرَّ بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزلٍ كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيُهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجتْ عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلِّي صلاة الخيرة، فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع وخصيٍّ من قِبَل والي مصر، فدقَّ الباب، ففتحوا الباب، فنزل عن دابته، فقال: أيُّكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو هذا. فأخرج صرَّةً فيها خمسون ديناراً، فدفعها إليه، ثم قال: أيُّكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو ذا. فأخرج صرَّةً فيها خمسون ديناراً، فدفعها إليه، ثم قال: أيُّكم محمد بن هارون؟ فقالوا: هو ذا. فأخرج صرَّة فيها خمسون ديناراً، فدفعها إليه، ثم قال: أيُّكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو هذا يصلّي، فلما فرغ دفع إليه الصُّرَّة وفيها خمسون ديناراً، ثم قال: إنَّ الأميرَ كان نائماً، فرأى في المنام خيالاً قال إنَّ المحامدَ طووا كشحهم جياعا، فأنفذَ إليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم إذا نفذت فابعثوا إليَّ أمدُّكم.

قال ابن عساكر: وذكر أبو محمد الفرغانيّ صاحب أبي جعفر بن جرير في ذيل تاريخه، قال: حدثني أبو علي معروف بن عبد العزيز أنَّ أبا جعفر بن جرير لما دخل بغداد كانت معه بضاعة يتقوّت منها، فسُرِقت، فأفضتْ به الحالُ إلى بيع ثيابه، فقال له بعض أصدقائه: تنشط لتأديب بعض ولدِ الوزير أبي الحسن عبيدالله بن يحيى بن خاقان؟ قال: نعم. فمضى الرجل فأحكمَ أمرَه وعاد إليه، فأوصله إلى الوزير بعد أن أعاره ما يلبسه، فلما رآه عبيدالله قرَّبَه ورفعَ مجلسَه، وأجرى عليه عشرة دنانير في

الشهر. فاشترط عليه أوقات طلبه العلمَ والصلوات والأكل والشرب والراحة في حينها، وسأله إسلافه رزق شهر ليصلح به حاله. ففعل. وأدخِل في حجرة التأديب، فأجلِسَ فيها، وكان قد فرِشَ له، وخرج إليه الصبيّ، وهو أبو يحيى، فلما جلسَ بين يديه كتبه، فأخذ الخدم اللوح ودخلوا مستبشرين، فلم تبقَ جارية إلا أهدت إليه صينية فيها دراهم ودنانير، فردُّ الجميعَ، وقال: قد شورطت على شيء، وما هذا لي بحقٍّ، وما آخذ غير ما شورطت عليه. فعرُف الجواري الوزيرَ ذلك. فأدخله إليه، وقال له: يا أبا جعفر، سررتَ أمهات الأولاد في ولدهنَّ فبررنَك، فغممتهنَّ بردِّ ذلك. فقال له: ما أريد غير ما وافقتني عليه، وهؤلاء أرِقّاء، والأرِقّاء لا يملكون شيئاً. فعظم ذلك في نفسه، وكان رُبَّما أهدى إليه بعض أصدقائه الشيء من المأكول، فيقبله اتّباعاً للسُّنَّة، ويكافئه لعظم مروءته أضعافا، وربَّما يجحف به، فكان أصدقاؤه يجتنبونَ مهاداته.

قال الفرغانيّ: وكتب إلى المراغي يذكر أنَّ المكتفي قال للعباس بن الحسن: إني أريد أن أقفَ وقفاً تُجمِعُ أقاويل العلماء على صحته، ويسلم من الخلاف. فأحضِرَ الطبريّ، وأجلِسَ في دارٍ يسمع فيها المكتفي كلامه، وخوطِبَ في أمر الوقف، فأملى عليهم كتابا لذلك على ما أراده الخليفة، فلما فرغ وعزم على الانصراف، أخرِجَتْ له جائزة سنيّة، فأبى أن يقبلها، فحرص به صافي الخرمي، وابن الحواريّ لأنَّهما كانا حاضرين، وبينه وبين المكتفي ستر، وعاتباه على ردِّها، فلم تكن فيه حيلة، فقيل له: من وصل إلى الموضع الذي وصلتَ إليه لم يحسُنْ أن ينصرفَ إلا بجائزة أو قضاء حاجة. فقال: أما قضاء حاجة فإني أسأل. فقيل له: قُلْ ما تشاء. فقال: يتقدم أمير المؤمنين إلى أصحاب الشُّرَط بمنع السُّؤّال من دخول المقصورة يوم الجمعة إلى أن تقضى الخطبة. فتقدم بذلك وعظم في نفوسهم.

قال الفرغانيّ: وأرسل إليه العباس بن الحسن: قد أحببتُ أن أنظرَ في الفقه، وسأله أن يعمل له مختصراً على مذهبه، فعمل له كتاب الخفيف، وأنفذه إليه، فوجَّه إليه بألفِ دينار، فردَّها عليه، ولم يقبلها. فقيل له: تصدَّقْ بها. فلم يفعل، وقال: أنتم أولى

بأموالكم وأعرَفُ بمن تصدَّقون عليه.

وروى الخطيب عن الحسين بن علي القميّ، قال: لما رجعت من بغداد إلى نيسابور، سألني أبو بكر بن خزيمة، فقال لي: من سمعتَ ببغداد؟ فذكرتُ له جماعة ممن سمعتُ منهم، فقال: هل سمعتَ من محمد بن جرير شيئاً؟ فقلتُ: لا، إنَّه ببغداد لا يُدخَلُ عليه لأجل الحنابلة، وكانت تمنع من الدخول عليه، فقال: لو سمعتَ منه لكانَ خيراً لك من جميع من سمعتَ منه سواه.

قال القاضي: تاج الدين بن السُّبكيّ في الطبقات: كان ابنُ جرير قد منع نفسه عن الأراذل المتعرضين إلى عرضه، فلم يكن يأذن في الاجتماع به إلا لمن يختاره ويعرف أنَّه على السُّنَّة.

ومن الشعر المنسوب لابن جرير:

إذا أعسرتُ لم يعلم شقيقي ... وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظٌ لي ماءَ وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سمحتُ ببذل وجهي ... لكنتُ إلى الغِنى سهلَ الطريقِ

وله:

عليكَ بأصحابِ الحديثِ فإنَّهم ... على نَهَج للدين لا زال معلما
وما الدين إلا في الحديث وأهله ... إذا ما دجى الليلُ البهيمُ وأظلما
وأعلى البرايا من إلى السُّنن اعتزى ... وأغوى البرايا من إلى البدع انتمى
ومن ترك الآثار ضلل سعيه ... وهل يترك الآثار من كان سلما

وقال الخطيب: أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطيّ حدثنا سهل بن أحمد الديباجي، قال: قال لنا أبو جعفر بن جرير: كتبَ إليَّ أحمد بن عيسى العلويَ من البلد:

ألا إنَّ إخوان الثقات قليل ... وهل إلى ذاك القليل سبيلُ

سلِ الناسَ تعرفْ غثَّهم من سمينهم فكلٌّ عليه شاهدٌ ودليلُ

قال أبو جعفر: فأجبته:

يُسيءُ أميري الظنَّ في جهد جاهدٍ فهل لي بحسنِ الظنِّ منه سبيلُ
تأمل أميري ما ظننتَ وقلته فإنَّ جميل الظنِّ منك جميلُ

وروى الخطيب عن أبي القاسم بن عقيل الورّاق أنَّ أبا جعفر بن جرير قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه. فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنّا لله، ماتت الهِممُ، فاختصره نحو ما اختصر التفسيرَ.

وروى ابنُ عساكر عن أبي بكر بن بالويه، قال: قال لي أبو بكر بن خزيمة: بلغني أنَّك كتبتَ التفسيرَ عن محمد بن جرير. قلتُ: نعم، كتبتُ التفسيرَ عنه إملاءً. قال: كلَّه. قلتُ: نعم. قال لي: في أيِّ سنة؟ قلتُ: من سنة ثلاثٍ وثمانين إلى سنة تسعين. قال: فاستعاره مني فردَّه بعد سنين، ثم قال: قد نظرتُ فيه من أوّله إلى آخره، وما أعلمُ على أديم الأرض أعلمَ من محمد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة.

قال الفرغانيّ: تمَّ من كتبه: كتاب تفسير القرآن، وجوَّده وبيَّن فيه أحكامه وناسخه ومنسوخه ومشكله وغريبه ومعانيه واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه، وتأويله والصحيح لديه من ذلك وإعراب حروفه، والكلام على الملحدين فيه، والقصص وأخبار الأمم والفتن، وغير ذلك مما حواه من الحِكم والعجائب كلمةً كلمةً وآيةً آيةً، فلو ادعى عالمٌ أن يصنِّف منه عشرة كتبٍ كلَّ كتابٍ منها يحتوي على علم مفردٍ عجيبٍ مستقصى، لفعل.

وتَمَّ من كتبه أيضاً كتاب القراءات، والتنزيل، والعدد. وتَمَّ أيضاً كتاب اختلاف

علماء الأمصار. وتَمَّ أيضاً التاريخ إلى عصره. وتَمَّ أيضاً تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين والخالفين إلى رجاله الذين كتب عنهم. وتَمَّ لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، وهو مذهبه الذي اختاره وجرّده واحتجَّ له، وهو ثلاثة وثمانون كتاباً، منها كتاب البيان عن أصول الإسلام، وهو رسالة اللطيف، وتَمَّ أيضاً كتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام، وهو مختصر لطيف. وتَمَّ أيضاً كتابه المسمّى التبصير، وهي رسالة إلى أهل آمل طبرستان، يشرح فيها ما يتقلّده من أصول الدين.

وابتدأ بتصنيف تهذيب الآثار، وهو من عجائب كتبه، فابتدأ بما رواه أبو بكر الصِّدِّيق مما صحَّ عنه بسنده، وتكلَّم على كلِّ حديثٍ منه ، فابتدأ بعلله وطرقه وما لحقه من الفقه والسُّنن واختلاف العلماء وحججهم وما فيه من المعاني والغريب، وما يطعن فيه الملحدون والردّ عليهم، وبيان فساد ما يطعنون به، فخرَّج منه مسند العشرة وأهل البيت والموالي، ومن مسند ابن عباس قطعةً كبيرة، وكان قصده فيه أن يأتي بكلِّ ما يصحُّ من حديث رسول الله (ﷺ) عن آخره، ويتكلَّم على جميعه حسبما ابتدأ به، فلا يكونَنَّ لطاعنٍ به في شيءٍ من علمٍ رسول الله (ﷺ) مطعنٌ، ويأتي بجميع ما يحتاج إليه أهل العلم، كما عمل في التفسير، فيكون قد أتى على علم الشريعة القرآن والسُّنن، فمات قبل تمامه، ولم يمكن أحداً بعده أن يفسِّرَ منه حديثاً، وتكلَّم عليه حسبما فسَّرَ من ذلك، وتكلَّم عليه.

وابتدأ بكتابه البسيط، فخرَّج منه كتاب الطهارة في شبيه بألفٍ وخمسمائة ورقة؛ لأنَّه ذكر في كلِّ بابٍ منه اختلافَ الصحابة والتابعين وغيرهم من طرقها وحجة كلّ من اختار منهم لمذهبه، واختياره في آخر كلِّ بابٍ منه، واحتجاجه لذلك، وخرَّج من البسيط أكثر كتاب الصلاة، وخرَّج منه آداب الأحكام تاماً، وكتاب المحاضر والسجلاّت، وكتاب ترتيب العلماء.

وابتدأ بآداب النفوس، وهو أيضاً من كتبه النفيسة لأنَّه عمله على ما ينوب الإنسان من الفرائض في جميع أعضاء جسده، فبدأ بما ينوب القلب واللسان والبصر

والسمع على أن يأتي بجميع الأعضاء، وما روي عن رسول الله (ﷺ) في ذلك، وعن الصحابة والتابعين، ويحتجّ فيه، ويذكر فيه كلام المتصوفة والمتعبّدين وما حُكي من أفعالهم وإيضاح الصواب في جميع ذلك، فلم يتمّ الكتاب.

وكتاب آداب المناسك، وهو مما يحتاج إليه الحاجّ من يوم خروجه وما يقوله ويدعو به إلى انقضاء حجّه. وكتاب شرح السُّنة، وهو لطيف بيَّنَ فيه مذهبه وما يدين الله به على ما مضى عليه الصحابة والتابعون ومُتفقهة الأمصار.

وكتابه المسند المخرَّج يأتي على جميع ما رواه الصحابة عن رسول الله (ﷺ) من صحيح وسقيم، ولم يتمّه.

ولما بلغه أنَّ أبا بكر بن أبي داود تكلَّم في حديث غدير خم، عمل كتاب الفضائل، فبدأ بفضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وتكلَّم على تصحيح غدير خم، واحتجَّ لتصحيحه، وأتى من فضائل علي بما انتهى إليه، ولم يتمّ الكتاب.

وكان ممن لا تأخذه في دين الله لومة لائم، ولا يعدل في علمه وبيانه عن حقٍّ يلزمه لربّه وللمسلمين إلى باطلٍ لرغبةٍ ولا لرهبةٍ مع عظم ما كان يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد. فأما أهل الدين والورع والعلم فغير منكرين علمه وفضلَه وزهدَه في الدنيا ورفضَه لها مع إقبالها عليه وقناعته بما كان يردُ عليه من حصّة من ضيعةٍ خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة.

قال الفرغانيّ: وحدثني هارون بن عبد العزيز قال: قال أبو جعفر الطبريّ: استخرتُ الله تعالى وسألته العونَ على ما نويته من تصنيفِ التفسير قبل أن أعمله بثلاث سنين، فأعانني.

قال الفرغانيّ: وحدثني شيخ من جيران أبي جعفر عفيف، قال: رأيتُ في النوم كأني في مجلس أبي جعفر الطبريّ، والتفسير يُقرأ عليه، فسمعتُ هاتفاً بين السماء والأرض يقول: من أراد أن يسمع القرآن كما أُنزلَ وتفسيره، فليسمع هذا الكتاب.

قال الفرغانيّ: وحدثني هارون بن عبد العزيز قال: قال لي أبو جعفر الطبريّ:

أظهرتُ مذهبَ الشافعيّ وأفتيتُ به في بغداد عشر سنين، وتلقَّنه مني ابنُ بشّار الأحول أستاذ ابنِ سريج.

قال الفرغانيّ: فلما اتسع علمه أدّاه اجتهاده إلى ما اختاره في كلِّ صنفٍ من العلوم في كتبه إذ كان لا يسعه فيما بينه وبين الله إلا الدّيْن بما أدّاه اجتهاده إليه فيما لم ينصّ عليه من يجب التسليم لأمره، فلم يألُ نفسه والمسلمين نصحاً وبياناً فيما صنَّفه.

قال الفرغانيّ: وكتب إلى المراغي، قال: لما تقلَّد الخاقانيّ الوزارة وجَّه إلى أبي جعفر الطبريّ بمالٍ كثيرٍ، فامتنع من قبوله، فعرض عليه القضاء، فامتنع، فعرض عليه المظالم، فأبى، فعاتبه أصحابُه، وقالوا: لكَ في هذا ثوابٌ وتحيي سُنّةٌ قد درست. فطمعوا في قبوله، فباكروه ليركبَ معهم لقبول ذلك، فانتهرهم، وقال: قد كنتُ أظنُّ أني لو رغبتُ في ذلك لنهيتموني عنه، ولامهم. قال: فانصرفنا من عنده خجلين.

ومن أخبار ابنِ جرير أنَّ الحنابلة سألوه عن حديث الجلوس على العرش، فأنكره، وكتبَ على بابه:

سبحانَ من ليسَ له أنيسُ ... ولا له في عرشه جليسُ

فوثبوا عليه، وأعانتهم العامة، ورموا باب داره بالحجارة حتى صار عليه كالتلّ العظيم، فركب تازوك صاحب الشرطة في عدة ألوفٍ من الجندِ يمنع عنه العامة، ووقف على بابه إلى الليل، وأمر برفع الحجارة عنه، وجاء بعض الحنابلة فكتبَ على بابه:

لأحمدَ منزل لا شكَّ عالٍ ... إذا وافى إلى الرحمن وافدْ
فيدنيه ويقعده كريماً ... على رغم لهم في أنفِ حاسدْ
على عرشٍ مغلَّفةٍ بطيبٍ ... على الأكياد من باغ وعاندْ
له هذا المقام يكون حقّا ... كذاك رواه ليث عن مجاهدْ

وفي كتاب نزهة المذاكرة: قال محمد بن داود الأصفهانيّ في كتاب "الانتصار":

أخبرني قاضٍ من جلة المسلمين أنَّه سمع محمد بن جرير الطبريَ يقول: أنا أقدر أن أعلمَ النحوَ في كلمتين. قال: فقلتُ له: ما الكلمتان؟ قال: هيهاتَ، لا أعلِّمها إلا خليفة أو ولي عهد.

وروى الخطيب عن أبي علي الطوماريَ، قال: كنتُ أحمل القنديل في شهر رمضان بين يدي أبي بكر بن مجاهد إلى المسجد لصلاة التراويح، فخرج ليلة، فمرَّ على مسجد ابن جرير ومحمد يقرأ سورة الرحمن، فاستمع قراءته طويلاً، ثم انصرف، فقلتُ له: يا أستاذ، تركتَ الناسَ ينتظرونك وجئتَ تسمع قراءة هذا؟ قال: يا أبا علي، دعْ هذا عنكَ، ما ظننتُ أنَّ الله تعالى خلق بشراً يُحسِنُ هذه القراءة.

وروى ابن عساكر عن محمد بن علي بن محمد بن سهل المعروف بابن الإمام صاحب محمد بن جرير، قال: سمعتُ أبا جعفر بن جرير وهو يكلِّمُ المعروف بابن صالح الأعلم، وجرى ذكر علي بن أبي طالب، فجرى خطاب، فقال له محمد بن جرير: من قال أنَّ أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى؟ أَيْشٍ هو؟ قال: مبتدع. فقال له ابنُ جرير إنكاراً عليه: مبتدعٌ مبتدعٌ؟! هذا يقتل من قال أنَّ أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى يقتل يقتل.

وروى ابن عساكر عن أبي سعيد عثمان بن أحمد الدِّينَوريَ، قال: حضرتُ مجلسَ محمد بن جرير، وحضر الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات، وكان قد سبقه رجل ليُقرأه، فالتفتَ إليه محمد بن جرير، فقال له: ما لك لا تقرأ؟ فأشار الرجل إلى الوزير، فقال له: إذا كانت لك النوبة فلا تكترث لدجلة ولا الفرات.

وقال المعافى بن زكريا: حكى بعضُ بني الفرات أنَّه كان بحضرة أبي جعفر بن جرير قبل موته بساعة أو أقلّ، فذكر له دعاءً رواه نصر بن كثير عن جعفر بن محمد، فاستدعى محبرةً وصحيفة، فكتبه، فقيل له: أفي هذه الحال؟ فقال: ينبغي للإنسان أن لا يدعَ اقتباسَ العلم حتى يموت.

والدعاء المذكور أخرجه المعافى بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن جعفر بن أحمد

بن يزيد الطبريَ حدثنا أبو أحمد جعفر بن محمد الجوهريَ حدثنا عبيدالله بن إسحاق العطار أخبرنا نصر بن كثير، قال: دخلتُ على جعفر بن محمد أنا وسفيان الثوريَ، فقلتُ له: إني أريد البيتَ الحرام، فعلّمني شيئاً أدعو به. قال: إذا بلغتَ البيتَ الحرامَ، فضعْ يديك على حائط البيت، ثم قلْ: يا سابق الفوت، ويا سامع الصوت، ويا كاسي العظام لحما بعد الموت. ثم ادعُ بعده بما شئت.

قال الفرغانيَ: حدثني أبو بكر الدِّينوريَ، قال: لما كان وقتُ الظهر من اليوم الذي توفي ابن جرير في آخره، طلبَ ماءً ليتوضأ لصلاة الظهر، فقيل له: تؤخِّر الظهرَ لتجمعَ بينه وبين العصر. فأبى، وصلَّى الظهر مفردة، والعصر في وقتها أتمَّ صلاةٍ وأحسنَها، وحضر وقتَ موته جماعة من أصحابه، منهم: أبو بكر بن كامل، فقيل له قبل خروج روحه: يا أبا جعفر، أنتَ الحجة فيما بيننا وبين الله عزَّ وجل فيما ندينه به، فهل من شيءٍ توصينا به من أمر ديننا وتبينه لنا نرجو به السلامة في معادنا؟ فقال: الذي أدين الله به أوصيكم: هو ما بيّنتُ في كتبي، فاعملوا به وعليه. وأكثرَ التشهُّد، وذكر الله تعالى، ومسح يده على وجهه، وغمض بصره بيده، وبسطها وقد فارقت روحُه جسدَه، ولم يؤذن به أحد، واجتمع عليه من لا يحصيهم عدداً إلا الله، وصُلِّيَ على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً، ورثاه خلقٌ كثير من أهل الأدب، وكانَ أسمرَ إلى الأدمة أعينَ نحيفَ الجسمِ مديدَ القامةِ فصيحَ اللسانِ.

قال الفرغاني: حدثتُ عن الحسن بن عبد العزيز الهاشميَ، قال: رأيتُ في النوم أبا جعفر بن جرير، عليه ثيابٌ يحارُ في سعتها، قلتُ: أبو جعفر محمد بن جرير؟ قال: نعمْ. قلتُ: أليس قدْ متَّ؟ قال: بلى. قلتُ: كيف رأيتَ الموتَ؟ قال: ما رأيتُ إلا خيراً. قلتُ: كيف رأيتَ هولَ المطلع؟ قال: ما رأيتُ إلا خيراً. قلتُ: وكيف رأيتَ منكراً ونكيراً؟ قال: ما رأيتُ إلا خيراً. قلتُ: إنَّ ربَّكَ بك حَفيٌّ، اذكرْنا عند ربِّك. قال: إنَّ ربِّي بي حفيٌّ يا أبا علي، تقول اذكرْنا عند ربِّكَ ونحنُ نتوسَّلُ بكم إلى رسول الله (ﷺ)؟!

وفي معجم الأدباء لياقوت، قال أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبريَ: كان أبو

جعفر بن جرير من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحدٌ عرفَه؛ لجمعه من علوم الإسـلام مـا لم نعلمه اجتمع لأحدٍ من هذه الأمّة، ولا ظهر في كتب المصنِّفين، ولا انتشـر من كتب المؤلفين مـا انتشر له، وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات والحديث واختلاف الفقهاء واللغة والنحو، وكان له قدم في علم الجدل، وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والأمانة وتصفية الأعمال وصدق النية وحقائق الأفعال ما دلَّ عليه كتابه في "آداب النفوس"، وكان يحفظ من الشعر للجاهلية والإسلام ما لا يجهله إلا جاهل به.

وقال أبو بكر بن مجاهد: قال أبو العباس: قلتُ يوماً: من بقي عندكم في الجانب الشرقيّ ببغداد من النحويين؟ فقلتُ: ما بقي أحد، مات الشيوخ إلا أن يكون الطبريّ الفقيه. فقال لي: ابن جرير؟ قلتُ: نعمْ. قال: ذاك من حُذّاق الكوفيين. قال ابن مجاهد: وهذا من أبي العباس كبيرٌ لأنَّه كان شديد النفس شرسَ الأخلاق، وكان قليل الشهادة لأحدٍ بالحذق في علمه.

وقال عبد العزيز بن محمد: كان ابن جرير قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثيرٍ من فنون أبواب الحساب، وفي الطبِّ وأخذ منه قسطاً وافراً، وكان متنزهاً عن الدنيا تاركاً لها ولأهلها، يرفع نفسَه عن التماسها، وكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدِّث الذي لا يعرفُ إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرفُ إلا الفقه، وكالنحويّ الذي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب، وكان عاملاً للعبادات جامعاً للعلوم، وإذا جمعتَ بين كتبه وكتبِ غيره وجدتَ لكتبه فضلاً على غيرها.

وقال أبو بكر بن كامل: قد اشتهر تفسيره وارتفع ذكره، وفي الوقت المبرِّد، وثعلب وأبو جعفر الرُستميّ، وأبو الحسن بن كَيسان، والمفضَّل بن سلمة، والزَّجَّاج، وغيرهم من الفرسان، وحُمِل هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً، وقرأه كلّ من كان في وقته من العلماء، وكلٌّ فضَّله وقدَّمه.

قال أبو جعفر: حدثتني به نفسي وأنا صبيّ.

وقال أبو عمر الزاهد: قرأته من أوّله إلى آخره، فما وجدتُ فيه حرفاً واحداً خطأ في نحوٍ ولا لغةٍ.

قال أبو جعفر: استخرتُ الله تعالى في عمل كتابِ التفسير، وسألته العونَ على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أكمله، فأعانني.

وقال أبو محمد عبدالله بن أحمد بن جعفر الفرغانيّ: أخبرني شيخٌ من خبر ابن عفيفٍ، قال: رأيتُ في النوم كأنّي في مجلس أبي جعفر والناس يقرؤون عليه كتاب التفسير، فسمعتُ هاتفاً بين السماء والأرض يقول: من أرادَ أن يسمع القرآن كما أنزِل، فليسمع هذا الكتاب.

قال ابن مجاهد: وذكر فيه من كتب التفسير المصنَّفة عن ابن عباس خمسة طرق، وعن سعيد بن جُبير طريقين، وعن مجاهد ثلاثة طرق، وربُّما كان عنه في مواضع أكثر من ذلك، وعن قتادة ثلاثة طرق، وعن الحسن البصريّ ثلاثة طرق، وعن عكرمة ثلاثة طرق، وعن الضَّحَّاك بن مزاحم طريقين، وعن ابن مسعود طريقين، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وتفسير ابن جريج، وتفسير مقاتل بن حيّان. ولم يتعرّض لتفسير غير موثوق به؛ فإنّه لم يُدخل كتابه شيئا من كتاب محمد بن السائب الكلبيّ، ولا مقاتل بن سليمان، ولا محمد بن عمر الواقديّ؛ لأنّهم عنده أظِنّاء. وكان إذا رجع إلى التاريخ والسِّير وأخبار العرب حكى عن الكلبيّ وابن هشام والواقديّ وغيرهم مما يفتقر إليه، ولا يؤخذ إلا عنهم. وذكر فيه مجموع الكلام والمعاني من كتاب الكسائيّ، والفرّاء، وأبي الحسن الأخفش، وقطرب، وغيرهم؛ إذ كانوا هؤلاء المتكلّمون في المعاني، وعنهم تؤخذ معانيه وإعرابه. انتهى.

وقال أبو بكر بن دُريد يرثي ابنَ جرير

لن تستطيعَ لأمر الله تعقيبا — فاستنجدِ الصبرَ أو فاستشعرِ الحوبا
وافزع إلى كنفِ التسليم وارضَ بما — قضى المهيمنُ مكروهاً ومحبوبا

إنَّ العـزاءَ إذا عـزته جـائحـة ذلت عـريكتـه فـانقـادَ مـجنوبا
فـإن قـرنتَ إليـه العـزمَ أيّده حـتى يعـود لديه الحـزن مـقلوبا
فارمِ الأسى بالأسى تطفئ مواقعها جمراً خلال ضلوع الصدر مشبوبا
من صاحبَ الدهرَ لم يعدم مجلجلةً يظلُّ منهـا طوالَ العـيشِ منكوبا
إنَّ الرزيَّةَ لا وفـرٌ يدعـدعـهـا أيدي الحـوادث تشتيتاً وتشذيبا
ولا تفـرّق ألافَ يقـوت بـهم بينٌ يغادر حبل الوصلِ مقضوبا
لكن فقدان من أضحى بمصرعه نور الهـدى وبهـاء العلم مسلوبا
أودى أبو جعفر والعلم فاصطحبا أعظِمْ بذا صاحباً أو ذاك مصحوبا
أهدى الردى للثرى إذ نال مهجته نجماً على من يعادي الحقُّ مصبوبا
إنَّ المنيـةَ لم تتلف به رجـلاً بل أتلفت علمـا للدين منصـوبا
كـان الزمـان به تصـفـو مشـاربه فـالآنَ أصـبحَ بالتكدير مـقطوبا
كـلا وأيامـه الغُـرّ التي جَـعلت للعلم نوراً وللتـقـوى مـحـاريبا
لا ينسري الدهر عن شبهٍ له أبدا ما استوقف الحج بالأنصاب أركوبا
أوفى بعـهـدٍ وأورى عند مظلمـةٍ ونداً وأكـد إبرامـاً وتأديبـا
منه وأرصن حلمـاً عند مـزعـجـة تغـادر القُلّبيّ الذهن منجـوبا
إذا انتضى الرأي في إيضاح مشكلةٍ أعاد منهـجـهـا المطموسَ ملحـوبا
لا يعـزب الحلم في عـتب وفي نزقٍ ولا يجـرع ذا الزلأت تثـريبـا
لا يولج اللغـوَ والعـوراء مسـمعـه ولا تعـارف مـا يعـشيـه تأنيـبا
إن قال قاد زمام الصدق منطقُه أو آثر الصمتَ أولى النفسَ تهييبا
لقلبـه ناظراً تقـوى سـمـا بهـمـا فـأيقظَ الفكرَ ترغـيبـا وترهيـبـا
تجلو مـواعظه رينَ القلوبِ كـمـا يجلو ضياء سنا الصبح الغياهيبا
سِـيّـانِ ظاهره البـادي وباطنُه فـلا تراه على العـلأت مـحـروبا
لا يأمن العجز والتقصيرَ مادحُه ولا يخـاف على الإطنابِ تكذيبـا

ودَّتْ بقـــاعُ بلادِ الله لو جُــعِلتْ قـبـراً لـه وحـبـاها جـسـمَـه طِيبـا
كـانت حـيـاتُكَ للدنيـا وسـاكنـهـا نوراً فـأصـبحَ عنهـا النورُ مـحـجـوبا
لو تعلم الأرضُ ما وارتْ لقد خشعتْ أقطارُها لك إجـلالاً وترحــيـبـا
كنتَ المقـــوِّمَ من زيغٍ ومن ظلعٍ وقـاك نصـحـا وتسـديداً وتأديبـا
وكنتَ جـامعَ أخــلاقٍ مطهَّــرةٍ مـهذَّبا من قِراف الجـهلِ تـهـذيبـا
فــإن تنلك من الأقــدار طالبــةٌ لم يثنِها العـجـز عـمّـا عـزَّ مطلوبا
فـإنَّ للمــوتِ ورداً ممقــراً فظعـاً على كــراهـتــه لا بُدَّ مــشــروبا
إن يندبوك فـقـد ثُلَّتْ عـروشـــهمُ وأصـــبح العـلمُ مــرثيّــاً ومندوبا
ومن أعـاجيب مـا جـاء الزمـانُ به وقـد يبين لنا الدهرُ الأعـاجـيـبـا
أن قدْ طوتكَ غموضُ الأرضِ في الحف وكنتَ تملأ منهـا الســهل واللوبا

وقال محمد بن الروميّ مولى الظاهريّ في ابن جرير:

كـــان بحــــراً من العلوم فلمــا فــاظ بالنفسِ غـاض بحـرٌ مـعينُ
من لـه بعــــــــده إذا هـو لا هـو مـــثله غــيــــره عليـــه أمينُ

وقال أبو سعدٍ الأعرابيّ يرثيه، وهي طويلة:

حـــدثٌ مـــفظِعٌ وخطبٌ جليل دقَّ عن مـثله اصطبـارُ الصـبـورِ
قـــام نـاعي العلوم أجـــمـع لما قـام ناعي مــحــمــد بن جــريرِ
فـــهــوتْ أنجمٌ لهـــا زاهراتٌ مــؤذناتٌ رســـومــهـــا بالدثورِ
وتغـشّى ضـيــاءها النيّـر الإشـ ـراق ثوب الدجنة الديجـــــورِ
وغـدا روضـهـا الأنيقُ هشـيـمـاً ثم عــادتْ ســهـولهـا كـالوعـورِ
يا أبا جـعـفـر مـضـيتَ حـمـيداً غـيـرَ وانٍ في الجدّ والتـشـمـيـرِ
بينَ أجـرٍ على اجـتـهـادك مـوفـو رٌ وســـعي إلى التـقـى مـشكورِ
مــســتــحِـقّــاً به الخلود لدى جنة عـــدن في غـــبطة وســـرورِ

حديث الهميان:

أخبرني غير واحدٍ إجازةً عن أبي العباس الواسطيّ أخبرنا أبو الفتح الميدويّ أخبرنا أبو الفرج الحرانيّ، كلاهما، وأملى علينا محمد بن مقبل عن الصلاح بن أبي عمر عن أبي الحسن بن البخاريّ عن أبي الفتوح بن الحوري أخبرنا أبو الفضل بن ناصر أخبرنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميميّ أذناً حدثنا أبو الحسن أحمد بن علي البار حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان حدثنا أبو حازم المعلَّى بن سعيد البغداديّ البزّار بمصر سنة ٣٤٦ سمعتُ أبا جعفر محمد بن جرير(١).

[٧٧]*

طاهر بن القزوينيّ

....

....(٢).

(١) حديث غير مكتمل.

[*] انظر ترجمته في: الوافي: ١٦/٢٢٥.

(٢) المعروف بهذا الاسم هو طاهر بن أحمد بن محمد القزويني المعروف بأبي محمد النجار المتوفى سنة ثمانين وخمسمئة، وقد فسح له السيوطي صفحتين لم يكتب فيهما شيئاً.

[٧٨]*

ابن الطراوة

أبو الحسين سليمان بن محمد بن عبدالله السبائيّ، بمهملة وموحّدة، المالقيّ عالم الأندلس بالنحو في زمانه.

قال ابن عبد الملك في الذيل والتكملة: كان نحويّاً ماهراً أديباً بارعاً يقرض الشعر ويُنشئ الرسائل، سمع على الأعلمِ كتابَ سيبويه، وعلى عبد الملك بن سرّاج، وروى عن أبي الوليد الباجي وغيره، وعنه السُّهَيليّ، والقاضي عياض، وخلائق، وله آراء انفرد بها وخالفَ فيها جمهور النحاة، وعلى الجملة، كان مبرزاً في علوم اللسان نحواً ولغةً وأدباً لولا ارتكابه لتلك الآراء، فمن مُثنٍ عليه بالإمامة والتقدّم في الصناعة كأبي بكر بن سمحون، فإنّه كان يغلو في الثناء عليه، ويقول: ما يجوز على الصراط أعرف منه بالنحو. ومن غامزٍ يجهّله وينسبه إلى الإعجاب بنفسه كابنِ خروفٍ.

تجوّل كثيراً في بلاد الأندلس، وله تصانيف، منها: الترشيح - بالراء - في النحو، وهو مختصر، والمقدمات على كتاب سيبويه، ومقالة في الاسم والمسمّى.

مات في رمضان أو شوال سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة عن سنٍّ عالية، ومن شعره في فقهاء مالقة:

إذا رأوا جملاً يأتي على بُعْدٍ ... مدُّوا إليه جميعاً كفَّ مقتنصِ
أو جئتهم فارغاً لزّوك في قَرَنٍ ... وإن رأوا رشوةً أفتَوْك بالرُّخَصِ

---

[*] انظر ترجمته في: بغية الملتمس: ٣٠٤. معجم الأدباء: ١٤٠٢/٣. أعلام مالقة: ٣٤٣-٣٤٤. إنباه الرواة: ١١٣/٤-١١٥. تحفة القادم: ١٨-١٩. التكملة: ٩١/٤-٩٢. المغرب: ٢٠٨/٢-٢٠٩. الذيل والتكملة: ٧٩/٤-٨١. صلة الصلة: ١٩٩/٤-٢٠٠: البلغة: ٩١-٩٢. إشارة التعيين: ١٣٥. سير أعلام النبلاء: ١٩-٦٠٩. الوافي: ٢٥٧/١٥-٢٥٨. عيون التواريخ: ٢٨٤/١٢-٢٨٥. فوات الوفيات: ٤٦٢/١-٤٦٣. البغية: ٦٠٢/١.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو الحسين بن الطراوة وأثره في النحو.

وقال صاحب المغرب: كان نحويَّ المريّة، وانفرد عن النحاة بمذهب شذَّ فيه، وله أمداحٌ في ملك بلده المعتصم بن صمادح، وطال عمره إلى أن مدحَ أميرَ المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وكان بينه وبين الحصريِّ أهاجٍ ومنازعات ومناقضات.

قال: ومن شعر ابن الطراوة:

شربنا بمصباح السماء مدامةً ... بشاطي غدير والأزاهرُ تنفحُ
وكلّ جهول يرقبُ الصبح ضلّةً ... ومن أكؤسي لم يبرح الليل يصبحُ

وله:

ألا بأبي وغير أبي غزال ... أتى وبراحه للشربِ راحُ
فقال منادمي في الحسن صِفْهُ ... فقلت الشمسُ جاء بها الصباحُ

وله:

وقائلةٍ أتهفو للغواني ... وقد أضحى بمفرقك النَّهارُ
فقلت لها حثثتُ على التصابي ... أحقّ الخيل بالركض المعارُ

وأورد له ابن الأبَّار في تحفة القادم:

خرجوا ليستشقوا وقد نشأت ... بحريّة قمنٌ بها السَّحُّ
حتى إذا اصطفوا لدعوتهم ... وبدا لأعينهم بها نضحُ
كُشفَ الغمامُ إجابةً لهمُ ... فكأنما خرجوا ليستصحوا

وقال أبو جعفر بن الزبير: ليس هذا من شعره، هذا أقدم منه.

وفيه يقول أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري[1]:

ولابن الطراوة نحوٌ طري ... إذا شمَّه الناس قالوا خري

وقال هو في ابن الحُصَريّ:

---

(١) انظر في المهاجاة بَيْن الحصريّ وابن الطراوة: أخبار وتراجم أندلسيّة: ٦٣.

إذا الحُصريّ اللئيم انتحى   وظلّ بهذا الورى ساخرا
وأُنسيَ ما كان فاذكر له   عليَّ بنَ بكارٍ الشاعرا

قال السلفيّ في معجم السفر[1]: سمعتُ أبا محمد عبدالله بن جابر المالقيّ بالإسكندريّة يقول: كان بين أبي الحسين سليمان بن محمد بن الطراوة وبين أبي الحسن بن عبد الغني الحُصَريّ القيروانيّ منافرةٌ ومناقرةٌ ويهجو كلٌّ واحدٍ منهما الآخر، فمما قال الحُصريّ في ابن الطراوة: وذَكَرَ ما تقدَّم.

وقال الحافظ زكيّ الدين المنذريّ في جزءٍ له: أنشدني الإمام الحافظ أبو الحسن المقدسيّ، قال: أنشدني أبو مروان عبد الملك بن خلفن قال: أنشدني أبو علي الحسين بن محمد القيسيّ لشيخه أبي الحسين بن الطراوة اللغويّ يصفُ أقلاماً:

وناحلةٍ صُفرٍ وما درَتِ الهوى   ولم تشكُ بيناً من خليطٍ ولا أهلِ
إذا حفَّ منها واحدٌ بثلاثة   وأولى بذي بثر وليس بذي حبلِ
رأيتَ بياضَ الصبحِ طُرِّزَ بالدُّجى   وخدّاً من الكافور يُوشَمُ بالكحلِ

قال ابن مكتوم في تذكرته: وله في قومٍ كانوا من جراوة ثم انتسبوا إلى كلب:

خرجتم من جراوة ثم قُلتم   جراوة في التناسخ من كلابِ
صدقتم ليس فيكم غير كلبٍ   ومن تلدون أبناءَ الكلابِ

---

(١) معجم السفر: ١٦٧.

[٧٩]*

ابن طاهر

أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاريّ الإشبيليّ المعروف بـ" الخِدَبّ" بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وتشديد الباء الموحَّدة.

قال أبو جعفر بن الزبير في تاريخ الأندلس: نحويّ مشهور حافظٌ بارع، اشتُهِر بتدريس كتاب سيبويه فما دونه، وله على الكتاب طُرَر مدوَّنة مشهورة اعتمدها تلميذه ابن خروف في شرحه، وله تعليق على الإيضاح، وغير ذلك، وكان يُرحَلُ إليه في العربيّة، موصوفاً فيها بالحذق والنُّبل، صاحب اختيارات وآراء، أخذ الكتاب عن ابن الرمّاك وابن الأخضر، وكان يقرئ بفاس، ويتعاطى الخياطة، وكان من حُذّاق النحويين، وأئمة المتأخرين، أخذ عنه ابن خروف، ومصعب الخشنيّ، وعبد الحقّ بن خليل السكوني، وأطنبوا في الثناء عليه، مات في عشر الثمانين وخمسمائة.

قال الحافظ زكيّ الدين المنذريّ في تاريخ من دخل مصر: إمام في العربيّة، طويل الباع، اشتغل على ابن الأخضر، وقدم مصر واشتغل عليه بها جماعة، وكان يعرف كتابَ سيبويه. أنشدني السديد بن الذهبيّ، قال: أنشدنا ابن طاهر لنفسه بمصر:

مغانيَ سلمى بالشريف ألا اسلمي ... سقتك الغوادي كلُّ أوطف أسحمِ
فكم وقعة لي في جنابك أعربتْ ... عن الشوق حتى قيل عين المتيَّمِ
وصهباء شملال كأنّ مسيرها ... إلى الريح ينمى للجديد وشدقم

سمعت الفقيه أبا الحسن علي بن أحمد المراكشيّ يقول: سمعتُ بعضَ من لقيته

---

[*] انظر ترجمته في: إشارة التّعيين: ٢٩٥. تاريخ الإسلام: (وفيات ٥٧١-٥٨٠): ٣١٣. الوافي: ٨١/٢. المقفّى الكبير: ١٨٢/٥-١٨٣. طبقات النحاة واللغويين: ٤٠. لسان الميزان: ٤٨/٥، وقد سمّاه ابن حجر (الخربّ) بالراء المهملة والباء المشددة. البلغة: ٢٠٦: البغية: ٢٨/١.

من النحويين يقول: لم يقل ابن طاهر سوى بيتٍ واحد وهو:

وأعـــجبُ شيءٍ ســـمـــعنا به   مـــريضٌ يُعـــادُ فـــلا يوجـــدُ

قال المنذريّ: وهذا البيت قد حكاه الخطيب في تاريخه.

سمعتُ أبا محمد الحسن بن الحسين القيسرانيّ يقول: سمعتُ ابنَ طاهر يقول: كنتُ في صباي أربط شعري بالحائط حتى لا أنام عن الاشتغال، وتركت أَبَوَيَ وسكنتُ في الفندق إيثاراً لطلب العلم أربعَ عشرةَ سنة.

وسمعتُ الفقيه أبا الحسن علي بن أحمد يقول: كان مع ابن طاهر عند دخوله مصر أربعة آلاف دينار، فيُقال أنَّ أخاه أخذها منه، فاختلَّ عقله لذلك، وعاد إلى بجاية.

وسمعتُ غيره يقول: قال لي شخص أنَّه كان ببجاية في مسجدٍ وقتَ الاختلال وهو بالعمل يسردُ أبياتاً مجردة، فعلقتها عنه، فإذا هي أبيات ستون. انتهى كلام المنذريّ.

وقال الصلاح الصفديّ في تاريخه الكبير: أقرأ بمصر، وحجَّ، ووردَ حلب والبصرة، ثم رجع، واختلط عقله، فأقام ببجاية، وربُّما ثاب إليه عقله، فيتكلّم في مسائل أحسن ما يكون.

[٨٠]*

عيسى بن عمر

الثقفيّ أبو عمر مولى خالد بن الوليد.

من أهل البصرة، نزل في ثقيف، فنُسِبَ إليهم، وهو في طبقة أبي عمرو بن العلاء، ومات قبل أبي عمرو بخمس سنين سنة خمسين ومائة، وقيل: سنة تسع وأربعين، وله مصنفان، أحدهما: الجامع، والآخر المكمّل، وفي ذلك يقول الخليل بن أحمد:

بطل النحو جميعاً كلّه ... غير ما أحدثَ عيسى بن عمرْ
ذاك إكمالٌ وهذا جامعٌ ... فهما للناسِ شمسٌ وقمرْ

وقال أبو الطيب(١): المكمّل مختصر، والجامع مبسوط، وأخبرنا محمد بن يحيى، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، قال: قرأتُ أوراقاً من أحد كتابَي عيسى بن عمر، وكان كالإشارة إلى الأصول.

وقال السيرافيّ: هذان الكتابان لم يقعا إلينا ولا رأينا أحداً ذكر أنّه رآهما.

وقال شبيب بن شبة: جمعتُ بين أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر، وكان عيسى أشدهما قياساً، وكان أبو عمرو أكثرَهما سماعاً، وكان عيسى يقول: أنا أفصح

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويّين: ٤٣. أخبار النحويين: ٤٩-٥٠. طبقات النحويين واللغويين: ٤٠-٤٥. الفهرست: ٦٥-٦٦. نور القبس: ٤٦-٤٧. تاريخ العلماء النحويين: ٢٢٩. نزهة الألباء: ٢٨-٣٠. المنتظم: ١١٨/٨. معجم الأدباء: ٢١٤١/٥-٢١٤٣. إنباه الرواة: ٣٧٤/٢-٣٧٧. وفيات الأعيان: ٤٨٦/٣-٤٨٨. تهذيب الكمال: ١٣/٢٣-١٢. إشارة التعيين: ٢٤٩-٢٥٠. تاريخ الإسلام: (وفيات ١٤١-١٦٠). سير أعلام النبلاء: ٢٠٠/٧. الجرح والتعديل: ٢٨٢/٦. الوافي: ١٥٤/٢٣-١٥٧. مرآة الجنان: ٢٤٠/١. البلغة: ١٧٩-١٨١. غاية النهاية: ٦١٣/١. البغية: ٢٣٧/٢-٢٣٨. مفتاح السعادة: ١٤٥/١. شذرات الذهب: ٢٦٨/١-٢٦٩. خزانة الأدب: ١١٦/١-١١٧. ديوان الإسلام: ٢٧٣/٣.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- عيسى بن عمر الثقفي: نحوه من خلال قراءته.

(١) مراتب النحويّين: ٤٦.

من معد بن عدنان.

ويُقال: إنَّه صنَّف نيّفاً وسبعين مصنّفاً، ذهبتْ كلّها.

روى عن عطاء بن أبي الأسود، والحسن البصريّ، والعجاج بن رؤبة، وحبيب بن شوذب، وجبر بن حبيب، والحكم بن الأعرج القارئ.

وروى عنه الأصمعيّ، وعلي بن نصر الأكبر، وهارون بن موسى النحويّ، وأحمد بن موسى اللؤلؤيّ.

وكان علاّمة في القراءة والنحو وكلام العرب، أخذ عن عبدالله بن أبي إسحاق الحضرميّ، وغيره، وأخذ عنه الخليل بن أحمد، ودخل بغداد، وناظر النحاة، وكان دقيق الصوت صاحبَ تقعير في كلامه، اتهمه عمر بن هبيرة بوديعة لبعض العُمّال، فضربه نحو عشرين سوطاً، فجعل يقول: إن كانتْ إلا أُسَيَّاطاً في أُسيفاط، فقبضها عشّاروك.

وسقط يوماً عن دابّته، فاجتمع عليه الناس، فقال: ما لكم تكأكأتم عليٍّ تكأكؤكم على ذي جِنَّة، افرنقعوا عني. فقال بعضُ الحاضرين: دَعوه؛ فإنَّ شيطانه يتكلَّم بالهنديّة.

وكان طول عمره يحمل في كُمِّه خرقةً فيها سكر العشب والآجاص اليابس.

قال الأصمعيّ: وربُّما رأيته واقفاً أو سائراً أو عند بعض الولاة، فتُصيبه نهكة في فؤاده، فيخفق عليه حتى يكاد يفلت، فيستغيث بآجاصه وسُكره يلقيها في فمه ثم يمتصّها، فإذا فعل ذلك سكنَ عليه، فسئل عن ذلك، فقال: أصابني هذا من الضرب الذي ضربني عمر بن هبيرة، فعالجته بكلّ شيء، فما رأيت أصلحَ من هذا.

وقال الداني في طبقات القُرَّاء: أخذ القراءة عرضاً عن عبدالله بن أبي إسحاق، وروى الحروف عن ابن كثير، وابن محيصن، وله اختيار في القراءة على قياس العربيّة، وروى عنه الخليل بن أحمد، وسهل بن يوسف، وعبيد بن عقيل، وشجاع بن أبي نصر.

وعن يحيى بن معين: هو بصريٌّ ثقة.

وقال الكمال بن الأنباريّ: وأمّا عيسى بن عمر الثقفيّ، فكُنيته أبو سليمان، ويقال أبو عمر، وكان ثقة عالماً بالعربيّة والنحو والقراءة، وقراءته مشهورة، وكان فصيحاً يتقعّرُ في كلامه، ويعدلُ عن سهلِ الألفاظ إلى الوحشي والغريب، كتب يوسف بن عمر بن هبيرة أميرُ العراق إلى واليه بالبصرة أن يحملَ إليه عيسى بن عمر مقيّداً، فدعا به ودعا بالحدّاد، وأمر بتقييده، وقال: لا بأسَ عليكَ إنّما أراد الأميرُ أن يؤدبَ ولده. قال: فما بالُ القيد إذن؟ فبقيت مثلاً بالبصرة.

وقال يحيى بن المبارك اليزيديّ:

يا طالبَ النحوِ ألا فابكهِ ... بعد أبي عمرو وحمّادِ

وابن أبي إسحاق في علمه ... والزين في المشهد والنادي

عيسى وأشباه لعيسى وهل ... يأتي لهم دهرٌ بأندادِ

ويونس النحويّ لا تنسَه ... ولا خليلاً حبّةَ الوادي

وقال الزبيديّ في طبقاته: كان عيسى بن عمر يطعن على العرب، قال: أساء النابغة في قوله:

فبتُّ كأنّي ساورتني ضئيلةٌ ... من الرقشِ في أنيابها السمّ ناقع

ويقول: وجهه "السمُّ ناقعاً"، وكان يقرأ: ﴿هؤلاءِ بناتي هُنَّ أطهرَ لكم﴾ [سورة هود، الآية: ٧٨] وهذا مخالفٌ لما قاله النحويون أجمعون، ولما قرأ به القُرّاء أنكرها أبو عمرو بن العلاء عليه، فقال: فكيف يقول: "هؤلاء بناتي" هُنَّ ماذا؟ فقال: عشرين امرأة. فأنكرها أبو عمرو.

وكان عيسى وأبو عمرو يقرآن: ﴿يا جبالُ أوّبي معَه والطيرَ﴾ [سورة سبأ، الآية: ١٠] بالنصب، ويختلفان في التأويل، كان عيسى يقول: هو على النداء، كما تقول: "يا زيدُ والحارثَ" لما لم يمكنه "ويا الحارث". وقال أبو عمرو: لو كان على النداء لكان رفعاً، ولكنها على إضمار "وسخّرنا الطير" كقوله عزَّ وجل على إثر هذا: ﴿ولسليمانَ الريح﴾

[سورة سبأ، الآية: ١٢].

وجمع الحسنُ بن قحطبة عند مقدمه مدينة السلام الكسائيَّ والأصمعيَّ وعيسى بنَ عمر، فألقى عيسى على الكسائيّ هذه المسألة: "همُّك ما أهمَّك"، فذهب الكسائيُّ يقول: يجوز كذا ويجوز كذا. فقال له عيسى: عافاك الله، إنَّما أريد كلام العرب، وليس هذا الذي تأتي به من كلام العرب.

قال أبو العباس ثعلب: وليس أحد يقدر أن يخطئ في هذه المسألة بأنَّه كيف عرف فهو مصيب، وإنَّما أراد عيسى من الكسائيّ أن يأتيه باللفظة التي وقعت إليه. انتهى.

وفي كتاب معاني مشكل القرآن لبعض تلامذة المبرِّد: قيل ليونس: إنَّ عيسى قال في هذا الحديث: "اتقوا على أولادكم قحم العشاء" وقال أبو عمر: "فحم العشاء" بالفاء، فقال عيسى: صحَّفَ أبو عمرو. قال يونس: ليس، هو صحَّفَ، هي بالفاء كقول أبي عمرو.

وقال الزبيديّ: قال أبو عبد الملك مروان: أخبرنا عيسى بن إسماعيل، قال: حدثني بكر بن محمد أبو عثمان المازنيّ، قال: حدثنا الأصمعيّ، قال: جاء عيسى بن عمر يوماً إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: مررتُ بقنطرة قرة، فلقيني بعيران مقرونان في قرن واحد، فما شعرت شعرة حتى وقع قرانهما في عنقي، فلُبِّجَ بي، فافرنقع عني والناس قيامٌ ينظرون. قال: فكاد أبو عمرو ينشقُّ غيظاً من فصاحته.

قال الزبيديّ[1]: وذكر ابن أبي سعد عن الباهليّ، قال: أخبرنا الأصمعيّ عن أبي عمرو أنَّه كان عند بلال بن بردة هو وعيسى بن عمر، فقال عيسى بن عمر: كتبتُ شطراً. وقال أبو عمرو: وكتبتُ شطراً. فأرسلوا إلى أبي بكر بن حبيب السهميّ، فحكَّموه، فقال: هذا شطر، فخفف وهو أفصحهم.

(١) طبقات النحويّين واللغويّين: ٤٦.

[٨١]*

أبو عمرو بن العلاء

قال أبو بكر بن مجاهد، ثم السخاويّ في شرح الشاطبيّة، ثم الحافظ جمال الدين المزّيّ في تهذيب الكمال: هو أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن العُريان - واسمه عمرو - بن عبدالله بن الحصين بن الحارث بن جلهم - ويقال: جلهمة - بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مُرّ التميميّ المازني البصريّ المقرئ أحد الأئمة السبعة.

قال الأصمعيّ وأبو زيد والمبرِّد وغيرهم: اسمه كُنيته، وقيل: اسمه زَبَّان بزاي ثم موحدة مشددة، وقيل: رَبَّان بالراء، وقيل: يحيى، وقيل: عُيَينة، وقيل: العريان، وقيل: محبوب، وقيل: جُنيد، وقيل: عُتيبة، وقيل: عثمان، وقيل: عمّار، وقيل: جبر، وقيل: خير، وقيل: جزء، وقيل: حميد، وقيل: حمّاد، وقيل: عقبة، وقيل: عيّار، وقيل: فائد، وقيل: محمد، وقيل: قبيصة. وكان لجلالته لا يُسأل عن اسمه.

قال الداني في طبقات القرّاء: أبو عمرو النحويّ البصريّ، اسمه زبَّان بن العلاء بن عمّار المازني، أخذ القراءة عرضاً عن أهل الحجاز، وأهل البصرة، فممن عرض عليه بمكة مجاهدٌ، وعطاءٌ، وسعيد بن جبير، وعكرمة بن خالد، وعبدالله بن كثير، وابن

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويّين: ٣٢-٤٢. الثقات: ٦/٣٤٥-٣٤٦. أخبار النحويين البصريين: ٤٦-٤٨. الفهرست: ٤٤. طبقات النحويين واللغويين: ٣٥-٤٠. نور القبس: ٢٥-٣٦. تاريخ العلماء النحويين: ١٤٠-١٥١. نزهة الألباء: ٣٠-٣٥. تاريخ دمشق: ٦٧/١٠٣-١١٩. المنتظم: ٨/١٨٢. معجم الأدباء: ٣/١٣١٦-١٣٢١. وفيات الأعيان: ٣/٤٦٦-٤٦٦. تهذيب الكمال: ٣٤/١٢٠-١٣١. إشارة التعيين: ١٢١. تاريخ الإسلام: (وفيات ١٤١-١٦٠): ٦٨٣-٦٨٧. العبر: ١/١٧١-١٧٢. معرفة القراء الكبار: ١/١٠٠-١٠٥. الجرح والتعديل: ٣/٦١٦. الوافي: ١٤/١١٥-١١٦. فوات الوفيات: ٣/٤١٤-٤١٦. البلغة: ٨١. غاية النهاية: ١/٢٨٨-٢٩٢. لسان الميزان: ٧/٤٧٦. البغية: ٢/٢٣١-٢٣٢. شذرات الذهب: ١/٣٨٦-٣٨٧. ديوان الإسلام: ٣/٢٩٥. مفتاح السعادة: ١/١٤٥-١٤٦.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو عمرو بن العلاء اللغويّ والنحويّ ومكانته العلميّة.
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربيّ: أبو عمرو بن العلاء

محيصن، وحميد بن قيس الأعرج، وبالمدينة يزيد بن القعقاع، ويزيد بن رومان، وشيبة بن نصاح، وممن عرض عليه بالبصرة وسمع قراءته الحسن بن أبي الحسن، ويحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، وعبدالله بن أبي إسحاق، وروى عن عاصم بن أبي النجود، وسمع نافعاً مولى ابن عمر، وروى عنه القراءة، وخلق كثير، منهم: عبد الوارث بن سعيد، والعباس بن الفضل، ومعاذ بن معاذ العنبريّ، وشجاع بن أبي نصر، وأبو زيد سعيد بن أوس، وعبد الملك بن قريب الأصمعيّ، وهارون بن موسى الأعور، وسلاّم الطويل، وعلي بن نصر الجهضميّ، وحسين بن علي الجعفيّ، وعبيد بن عقيل الهلاليّ، ويونس بن حبيب، ويحيى بن المبارك اليزيديّ، وداود بن يزيد الأودي، ومحبوب بن الحسن، وعبد الرحيم بن موسى، وسهل بن يوسف، وعبد الوهاب بن عطاء، وأحمد بن موسى اللؤلؤيّ، وخارجة بن مصعب، وغير هؤلاء جماعة كثيرة غيرَ أنَّ هؤلاءِ هم المكثِرون عنه. ويقال: لم يأخذ القراءة عنه تلاوة غيرُ شجاعٍ، واليزيديّ، وسلاّم.

ويقال أنَّه ولد بالكوفة سنة ثمانٍ وستين، وقيل: قبلها، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة، وقيل في اسمه: العريان، وقيل: يحيى، وقيل: عثمان، وقيل: محبوب، وبه كان يُعرَفُ في أهله، وقيل: عيينة، وقيل: عيَّار، وقيل: جنيد، وتوفي سنة أربعٍ وخمسين ومائة، وقيل: سنة سبعٍ وخمسين، وقيل: وهو ابن ستٍّ وثمانين.

وقال المزّيّ في تهذيب الكمال في ترجمته: روى عن أنس بن مالك، وإياس بن جعفر البصريّ، وبُدَيل بن ميسرة العقيليّ، وجعفر بن زيد العبديّ، وجعفر بن محمد الصادق، والحسن البصريّ، وداود بن أبي هند، وذكوان أبي صالح الزَّيّات، وذي الرِّمّة الشاعر، والذيال بن حرملة، ورؤبة بن العجّاج الراجز، وصخر بن جويريّة وهو من أقرانه، وعطاء بن أبي رباح، وأبيه العلاء بن عمّار، وفرقد السنجي، ومجاهد، ومحمد بن سيرين، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وأبي الزبير محمد بن مسلم المكّيّ، ومغيرة بن مقسم الضبّيّ، ونافع مولى ابن عمر، ونهشل بن سعيد الخراسانيّ، وهشام بن عروة، والوليد بن السمط، ويعلى بن حكيم، ويونس بن عبيد، وأبي رجاء العطارديّ.

وروى عنه: إسحاق بن مرار أبو عمرو الشيبانيّ، والحسين بن واقد المروزيّ، وأبو أسامة حمّاد بن أسامة، وحمّاد بن زيد، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاريّ، وسلاّم بن سليمان بن سوار المدائنيّ، وعمّه شبابة بن سوار المدائنيّ، وأبو نعيم شجاع بن أبي نصر البلخيّ، وشراحيل بن عبيدالله السعديّ، وشريك بن عبدالله النخعيّ، وشعبة بن الحجاج، وشعيب بن إسحاق الدمشقيّ، وعبد العزيز بن الحصين الترجمانيّ، وعبد الملك بن قريب الأصمعيّ، وعبد الوارث بن سعيد، وعبيد بن عقيل الهلاليّ، وعفّان بن سيار الجرجانيّ، وعيسى بن يونس، وأخوه معاذ بن العلاء، ومعتمر بن سليمان، ومعمر بن راشد، وأبو عُبَيدة معمر بن المثنى، وأبو فيد مؤرج بن عمر السدوسيّ، وهارون بن موسى النحويّ الأعور، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن حفص الأسديّ الرازيّ المقرئ النحويّ، وأبو محمد يحيى بن المبارك اليزيديّ، ويعلى بن عبيد الطنافسيّ، ويونس بن حبيب النحويّ، وأبو بحر عبد الرحمن بن عثمان البكراويّ.

وقال أبو بكر بن مجاهد: وأما البصرة فقام بالقراءة بها من التابعين جماعة، منهم: أبو عمرو بن العلاء، وكان أبو عمرو بن العلاء مقدّماً في عصره عالماً بالقراءة ووجوهها قدوةً في العلم باللغة إمامَ الناسِ في العربيّة، وكان مع علمه باللغة وفقهه في العربيّة متمسّكاً بالآثار لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله متواضعاً في علمه، قرأ على أهل الحجاز، وسلك في القراءة طريقهم، ولم تزل العلماء في زمانه تعرفُ له تقدّمه، وتُقِرّ له بفضله، وتأتمُّ في القراءة بمذاهبه، وكان حسن الاختيار سهلَ القراءة غيرَ متكلّف مؤثرَ التخفيف ما وجد إليه السبيل.

وكان في عصره بالبصرة جماعة لم يبلغوا مبلغه، منهم عبدالله بن أبي إسحاق، وعاصم الجحدريّ، وعيسى بن عمر الثقفيّ، وكلُّ هؤلاءِ أهلُ فصاحةٍ أيضاً، ولم يُحفَظ عنهم في القراءة ما حفِظَ عن أبي عمرو، وإلى قراءة أبي عمرو صار أهل البصرة أو أكثرهم.

وقال السيرافيّ في طبقاته: وأمّا أبو عمرو بن العلاء فهو من الأعلام في القرآن،

وعنه أخذ يونس بن حبيب، والرواية عنه في القراءة والنحو واللغة كثيرة، وذكر حسين بن فهم، قال: سألتُ ابن سلاّم أخبرنا يونس أنَّ أبا عمرو كان أشدَّ تسليماً للعرب، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان على العرب.

وذكر محمد بن سلاّم[1] قال: كان بعدَ عنبسة وميمون الأقرن عبدُالله بن أبي إسحاق الحضرميّ، وكان في زمان ابن أبي إسحاق عيسى بنُ عمر الثقفيّ، وأبو عمرو بن العلاء، ومات ابن أبي إسحاق قبلهما، ويُقال أنَّ ابنَ أبي إسحاق كان أشدُّ تحريراً للقياس، وكان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها، وكان بلال بن أبي بردة جمع بينهما، وهو على البصرة في أيام هشام بن عبد الملك قال يونس: قال أبو عمرو بن العلاء: فغلبني ابنُ أبي إسحاق يومئذٍ بالهمز، فنظرتُ فيه بعد ذلك، وبالغتُ فيه.

وقال أبو الطيب: كان في عصر عبدالله بن أبي إسحاق أبو عمرو بن العلاء، وكان أخذ عمَّن أخذ عنه عبدالله، قال الخليل: فكأن عبدالله تقدَّم على أبي عمرو في النحو، وأبو عمرو تقدَّم عليه في اللغة. وأخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا أحمد بن غيَّاث النحويّ أخبرنا الرياشيّ عن الأصمعيّ، قال: قلتُ لأبي عمرو: ما اسمك؟ قال: أبو عمرو.

وكان نقش خاتمه:

إنَّ امرأً دنياه أكبرُ همِّه … لمستمسكٌ منها بحبل غُرورِ

وهذا البيت له، وكان رجلا صالحاً، ولا نعرفُ له شعر إلا هذا البيت.

ومما كتب به إليَّ أبو روق الهزانيّ البصريّ، قال: أخبرنا الرياشيّ عن ابنِ مناذر قال: قال أبو عمرو بن العلاء: أنا قلتُ:

وأنكرتني وما كان الذي نكرتْ … من الحوادث إلا الشيبَ والصلعا

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١/١٤.

فألحقه الناس في شعر الأعشى.

وكان سيد الناس وأعلمَهم بالعربيّة والشعر ومذاهب العرب.

وقال الكمال بن الأنباريّ: وأما أبو عمرو بن العلاء فهو العلَمُ المشهور في علم القراءة واللغة والعربيّة، وكان من هذا الشأن بمكانٍ، واسمه زَبّان، ويروى أنَّ الفرزدق جاء معتذراً إليه من أجلِ هجوٍ بلغه عنه، فقال له أبو عمرو:

هجوتَ زبّانَ ثم جئتَ معتذراً   من هجوِ زبّان لم تهجو ولم تدعِ

قال فهذا يدلُّ على أنَّ اسمه زبّان.

وروى الأصمعيّ عن الخليل عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال: أكثر من تزندقَ بالعراق لجهلهم بالعربيّة.

وحكى الأصمعيّ، قال: غدوتُ ذاتَ يومٍ إلى زيارة صديقٍ لي، فلقيني أبو عمرو بن العلاء، فقال لي: إلى أين؟ قلتُ: إلى صديقٍ لي. فقال إن كان لفائدة أو لمائدة أو لعائدة وإلا فلا.

ويروى أنَّ أبا عمرو سأل أبا خيرة عن قولهم: "استأصل الله عرقاتهم" فنصب أبو خيرة التاء من "عرقاتهم"، فقال له أبو عمرو: هيهات يا أبا خيرة، لان جلدُكَ. وذلك أنَّ أبا عمرو استضعف النصب؛ لأنّه كان قد سمعها منه بالجرّ، وكان أبو عمرو بعد ذلك يرويها بالنصب والجرّ.

وكان أبو عمرو يقول: إنّما نحن بالإضافة إلى من قبلنا كبقلٍ في أصول رقل إلى نخل طوال. وهذا يدلُّ على كماله في فضله، قال الشاعر:

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه   بمثل اعتقاد الفضلِ في كلِّ فاضلِ

وإنَّ أخسَّ النقص أن يرى الفتى   قذى العين عنه بانتقاص الأفاضلِ

وحكى يونس بن حبيب عن أبي عمرو أنّه قال: ماانتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلُّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير.

وحكى الأصمعيّ، قال: أنشدنا أبو عمرو:

فما جبنوا أنّا نشدّ عليهمُ ولكن رأوا ناراً تحشُّ وتسفع

قال: فذكرتُ ذلك لشعبة، فقال: ويلَكَ، إنّما هي "تَحُسُّ وتسفعُ" أي تحرق وتسوِّد. قال الأصمعيّ: وقد أصاب أبو عمرو؛ لأنَّ معنى "تحشّ" أي توقد، وقد أصاب شعبة أيضاً، ولم أرَ أعلمَ بالشعر من شعبة. انتهى.

وفي تاريخ ابن عساكر: قال يحيى بن معين: أبو عمرو بن العلاء ثقةٌ. وقال أبو خثيمة زهير بن حرب: كان أبو عمرو بن العلاء رجلاً لا بأسَ به، ولكنَّه لم يحفظ.

وقال شجاع بن أبي نصر: قال أبو عمرو بن العلاء: رآني سعيد بن جبير وأنا جالسٌ مع الشباب، فقال: ما يجلسكَ مع الشباب، عليكَ بالشيوخ.

وقال الأصمعيّ: سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول: كنتُ رأساً والحسنُ حيٌّ.

وقال: نظرتُ في هذا العلم قبل أن أختتن[1].

وقال ثعلب: سمعتُ أبا عمرو الشيبانيّ يقول: ما رأينا مثلَ أبي عمرو بن العلاء.

وقال أبو عُبَيدة معمر بن المثنى: كان أبو عمرو بن العلاء أعلمَ الناسِ بالقرآن والعربيّة والعرب وأيامها والشعر وأيام الناس، وكانت دفاتره ملءَ بيتٍ إلى السقف، ثم تنسَّك، فأحرقها. وقال فيه الفرزدق:

ما زلتُ أفتحُ أبواباً وأغلقها حتى أتيتُ أبا عمرو بن عمّارِ

وقال سفيان بن عُيينة: رأيتُ رسولَ الله (ﷺ) في المنام، فقلتُ: يا رسولَ الله، قد اختلفتْ عليَّ القراءات، فبقراءة من تأمرني أن أقرأ؟ قال: بقراءة أبي عمرو بن العلاء.

وقال وهب بن جرير: قال لي شعبة: تمسَّكْ بقراءة أبي عمرو؛ فإنَّها ستصير

---

(١) في تاريخ دمشق: أختن. انظر: ٦٧/١٠٨.

للناسِ إسناداً. وقال نصر بن علي: قال أبي: قال لي شعبة: انظر ما يقرأ به أبو عمرو مما يختاره لنفسه، فاكتبه؛ فإنَّه سيصير للناسِ أستاذاً.

قال نصر: قلتُ لأبي: كيف تقرأ؟ قال: على قراءة أبي عمرو. قلتُ للأصمعيِّ: كيف تقرأ؟ قال: على قراءة أبي عمرو.

وقال ابن مجاهد: من قرأ قراءة أبي عمرو رواية اليزيديِّ، وعدَّ عدد الكوفي، وانتقل بحذو أبي الصعو، فقد أكمل الظرف. وأبو الصعو هذا كان حذَّاءً في عصر ابن مجاهد من الحُذَّاق.

وقال الأصمعيِّ: قال: قال لي أبو عمرو بن العلاء: لو تهيَّأ لي أن أفرغَ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلته.

وقال: لقد حفظتُ في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها.

وقال: لولا أن ليس لي أن أقرأ إلا كما قرئ به لقرأتُ حروفَ كذا وكذا. وذكر حروفاً.

وقال محمد بن سلاَّم: مرَّ أبو عمرو بن العلاء بمجلس قومٍ، فقال رجلٌ منهم: ليتَ شعري، من هذا أعرابيٌّ أم مولى؟ فقال: النسب في مازن والولاء للعنبر.

وقال ابنُ مجاهد: قال أبو سفيان بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء: كان أبو عمرو إذا ألمَّ بجمعٍ أمرني، فسألت عكرمة بن خالد عن الحروف.

وقال الأصمعيِّ: قلتُ لأبي عمرو بن العلاء: أقرأتَ على ابن كثير؟ فقال: نعم، ختمتُ على ابن كثير بعد ما ختمتُ على مجاهد، وكان ابن كثير أعلم باللغة من مجاهد. فقلتُ له: فلِمَ لمْ تفرِّق بين القراءتين؟ فقال: لم يكن بينهما كبير[1] إلا أني كنتُ رُبَّما سألتُ ابنَ كثير عن الشيء، فيقول لي: هو جائز، الذي أختار هو غيره. قال الأصمعيِّ: يعني من قراءة مجاهد.

(١) في تاريخ دمشق: كثير. انظر: ١٠٦/٦٧.

وقال الأصمعيّ: كنتُ إذا سمعتُ أبا عمرو يتكلّم ظننتُ أنّه لا يحسنُ شيئاً، ولا يلحن، يتكلّم كلاماً سهلاً.

وقال الأصمعيّ: قلتُ لأبي عمرو بن العلاء: (وباركنا عليه) في موضع، (وبركنا عليه) في موضعٍ آخر، أتعرفُ هذا؟ فقال: ما أعرف إلا ما سمعَ من المشايخ الأولين.

قال: وقال أبو عمرو: ما نحن فيمن مضى إلا كبقلٍ في أصول نخل طوال.

وقال الأصمعيّ: قال أبو عمرو بن العلاء: لو أني كلّما أخطأتُ رُمِيَ في حجري بجوزة، امتلأ حجري جوزاً.

وقال عبيدالله بن محمد التميميّ عن أبيه: كُنا عند أبي عمرون فقرأ عليه رجلٌ شعراً، فجعل مكان "مباديل" "مناديل" فقال رجل: يا أبا عمرو، لو غيرك يقرأ عليه هذا لقلنا "مباديل". فقال أبو عمرو: "مباديل مباديل" لو كنتُ كلّما أخطأت سقطت في حجري جوزة ما قمتُ إلا وحجري مملوءٌ جوزاً.

وقال أبو الطيب: لم يؤخذ على أبي عمرو خطأ في شيء من اللغة إلا في حرف قصر عن معرفته علم من خطّأه فيه وروايته.

أخبرنا جعفر بن محمد أخبرنا علي بن حاتم وغيره عن الأصمعيّ عن يونس، قال: قيل لأبي عمرو بن العلاء: ما الثغر؟ قال: الاست. فقيل له: إنّه القبل. فقال: ما أقربَ ما بينهما. فذهب قومٌ من أهل اللغة إلى أنَّ هذا غلط من أبي عمرو. وليس كما ظنّوا، فقد ذكر أبو عمرو الشيبانيّ في نوادره في قول الراجز:

قد نفثوا ثغر الحمار المنسلقْ

قال: ثغر الحمار دبرُه، وكذلك قول الأخطل:

اصــخ يا ابن ثغر الكلبِ[1]

قال: أراد دبر الكلب.

(١) جزء بيت للأخطل، تمامه:

..... عــــن آل دارمٍ فإنك لن تستطيع تلك الروابيا

وقال محمد بن سلاّم في طبقات الشعراء: سمعتُ أبي يقول: سمعتُ يونس يقول: لو كان أحدٌ ينبغي أن يؤخذ بقوله كلِّه في شيء واحدٍ لكان ينبغي لقول أبي العلاء في العربيّة أن يؤخذ كلّه، ولكن ليسَ أحدٌ إلا وأنت آخذٌ من قوله وتارك.

وكان أبو عمرو يقول: أنا قلتُ هذا البيت:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيبَ والصلعا

وألحقته بشعر الأعشى، وكنتُ به معجبا حتى لقيتُ أعرابيّاً فصيحاً، فلما أنشدته إياه، قال: أخطأت، است صاحبه الحفرة، ما الذي بقي له بعد الشيب والصلع؟ فعلمتُ أني لم أصنع شيئاً.

وأخرج الخلعيّ في فوائده وابن عساكر من طريق يحيى بن الفضل، قال: حدثني الأصمعيّ، قال: كان نقشُ خاتم أبي عمرو بن العلاء:

وإنَّ امرأً دنياهُ أكبرُ همِّه ... لمستمسِكٌ منها بحبل غرورِ

فسألته عن ذلك، فقال: كنتُ في ضيعتي نصفَ النهار أدور فيها، فسمعتُ قائلاً يقول هذا البيت، فنظرتُ فلم أرَ أحداً، فكتبته على خاتمي.

وأخرج ابن عساكر من طريق آخر عن الأصمعيّ عنه، وزاد: فقلتُ: إنسيٌّ أم جنِّيٌّ؟ فقال: بل جنِّيٌّ، فنقشته على خاتمي.

وأخرج أيضا من طريق يحيى بن الفضل، قال: حدثني الأصمعيّ، قال: أنشدني أبو عمرو بن العلاء:

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت ... حميمكَ فاعلم أنَّها ستعودُ
وإنَّ امرأً ينجو من النار بعدما ... تزوَّد من أعمالها لسعيدُ

وأخرج ابن عساكر من طريق الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كنتُ عندَ جرير وهو يملي عليَّ:

ودِّعْ أُمـيـمـة حـان منكَ رحـيلُ   إنَّ الوداعَ من الحـبـيبِ قليلُ

فمرَّت به جنازة، فترك الإملاء، وتغيُّر لونه، وقال: شيّبتني هذه الجنائز. قلتُ: فلأيِّ شيءٍ تشتم الناس؟ قال: هم يبدؤونني.

وأخرج ابن عساكر عن أبي عُبَيدة، قال: مرَّ أبو عمرو بن العلاء بالبصرة، فإذا أعدالٌ مطروحة مكتوب عليها "لأبو فلانٌ" فقال أبو عمرو: يا ربِّ، يلحنون ويُرزَقون.

وفي الأصمعيات عن الأصمعيِّ، قال، قال أبو عمرو: من قرأها: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقت﴾ [سورة الغاشية، الآية: ١٧] بالتخفيف عنى بها البعير، ومن قرأها بالتثقيل عنى بها السحاب التي تحمل الماء المطر.

قال: وسئل أبو عمرو عن تصفيق المرأة في الصلاة: كيف تصفّق؟ فقال: تصفّق بظاهر كفّها اليمنى على باطن كفّها اليسرى.

وقال(١) أيضاً لي: حدثنا أبو بكر بن دُريد حدثنا أبو حاتم، قال: سمعتُ الأصمعيَّ يقول: جاء عيسى بن عمر الثقفيّ ونحن عند أبي عمرو بن العلاء، فقال: يا أبا عمرو، ما شيءٌ بلغني عنك تجيزه؟ قال: وما هو؟ قال: بلغني أنَّك تجيز "ليس الطيبُ إلا المسكَ" بالرفع. قال أبو عمرو: نمتَ يا أبا عمر وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازيٌّ إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميميٌّ إلا وهو يرفع. ثم قال أبو عمرو: قم يا يحيى - يعني اليزيديَّ - وأنتَ يا خلف - يعني خلفاً الأحمر - فاذهبا إلى أبي المهديِّ؛ فإنَّه لا يرفع، واذهبا إلى المنتجع، فلقّناه النصب؛ فإنَّه لا ينصب. قال: فذهبا، فأتيا أبا المهديِّ، قال: ما خطبُكما؟ قالا: جئنا نسألك عن شيءٍ من كلام العرب. قال: هاتيا. فقلنا: كيف تقول "ليس الطيبُ إلا المسك" فقال: تأمرانني بالكذب على كبرة سِنِّي؟ فأين الجاديُّ؟ وأين كذا؟ وأين بنّة الإبل الصادرة؟ فقال له خلف: "ليس الشرابُ إلا العسل". فقال: ما يصنع سُودان هجر؟ ما لهم شرابٌ إلا هذا التمر. قال اليزيديّ: فلما رأيتُ

---

(١) انظر: مجالس العلماء: ٣-٥.

ذلك منه، قلتُ له: "ليس ملاك الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها". فقال: هذا كلام لا دخلَ فيه "ليس ملاكُ الأمر إلا طاعة الله" فقال اليزيديّ: "ليس ملاكُ الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها" فقال: ليس هذا لحني ولا لحنَ قومي. فكتبنا ما سمعنا منه، ثم أتينا أبا المنتجع، فقال له خلف: "ليس الطيب إلا المسك" فلقّناه النصب، وجهدنا به، فلم ينصب، وأبى إلا الرفع، فأتينا أبا عمرو، فأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يبرح، فأخرج عيسى بن عمر خاتمَه من يده، وقال: لك الخاتم، بهذا والله فُقتَ الناس.

وقال ابن دُريد في أماليه: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه، قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: يا أبا عمرو، أيخلِفُ الله وعده؟ قال: لا.؟ قال: أفرأيت من أوعده الله مصاباً، أيخلف وعده فيه؟ قال: من العجمة أتيت يا أبا عثمان، إنَّ الوعد غير الوعيد، إنَّ العرب لا تعدُّ عاراً ولا خلفاً أن تعِدَ شراً ثم لا تفعل، ترى ذلك كرماً وفضلاً، وإنّما الخلف أن تعدَ خيراً ثم لا تفعله. قال: فأوجدني هذا في كلامهم، فأنشده:

لا يرهب ابنُ العم ما عشتُ صولتي ... ولا أختشي من خشية المتهدِّدِ
وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلِفُ إيعادي ومنجِزُ موعدي

وفي الأصمعيات، قال الأصمعيّ: سئل أبو عمرو بن العلاء عن قراءة هذا الحرف: ﴿فتذكّرَ إحداهما الأخرى﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٢] قال: من قرأها "فتذكّر" بالتشديد فهو من طريق المرأتين تشهدان بشهادة، فتنسى إحداهما الشهادة، فتذكرها صاحبتها: تذكرين في يومٍ شهدنا في موضع كذا، وبحضرتنا فلان أو فلانة حتى تذكر الشهادة. ومن قرأها بالتخفيف، قال: إذا شهدت المرأة عليَّ شهادة ثم جاءت الأخرى، فشهدت معها، أذكرتْها، لأنّهما تقومان مقام الرجل.

وأخرج أبو داود في كتاب القدر عن حمّاد بن زيد، قال: سألتُ أبا عمرو بن العلاء عن القدر. فقال: تلك آيات في القرآن: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون

إلا أن يشاء الله﴾ [سورة التكوير، الآية: ٢٧، ٢٨] ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربّه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ [سورة الإنسان: الآية: ٢٩، ٣٠] ﴿فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ [سورة المدثر، الآية: ٥٥].

وأخرج أبو داود في القدر وابن ماجة في التفسير عن هارون بن موسى عن عمرو عن الحسن وعن أبي عمرو: ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٣٥] قال أبو عمرو: إنّما نهلك في الموت، ونهلك في الصلت.

وقال أبو عوانة الإسفراييني عن أحمد بن عبد الرحيم عن الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء، قال: ما تشاتمَ رجلانِ قطّ إلا غلب المهمل.

وقال أبو العيناء عن الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء: من عرف فضل من فوقه عرف له من دونه، ومن جَحَد جُحِد.

وقال الشيرازيّ في الألقاب: أخبرنا أبو عبدالله أحمد بن محمد بن إبراهيم الأنباري المقرئ حدثنا يموت بن المزرع حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستانيّ حدثنا أبو عُبَيدة، قال: قال لي يونس بن حبيب النحويّ، أنشدني شعبة:

تذكّر ليلى ودُّها وصفاءها ... وأحببْ بها لو أستطيع لقاءها

إلى أن بلغ قوله:

سددتُ بها كفّي فأنهزت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها

قال: ثم ضحك شعبة، فقال: ليس هذا طعنة ولكنه نقب في جنبها دربا، ثم صرتُ إلى أبي عمرو، فقال لي: من أينَ بك يا يونس؟ قلتُ: من عند شعبة. وأنشدته ما أنشدنيه، فقال لي: صحّف شعبة في هذا البيت في موضعين، قال: "سددتُ بها كفّي" وإنّما هو "شددت بها" وقال: "فأنهزت فتقها" وإنّما هو "فأنهرت فتقها" أي وسّعت فتقها. يا يونس، أما سمع الله تعالى يقول: ﴿إنَّ المُتَقينَ في جنَّاتٍ ونهَر﴾ [سورة القمر، الآية: ٥٤] يريد في جنّات وسعة.

في فوائد النَّجيرميِّ، قال: أبو عمر بن العلاء: الإفراط في المؤانسة يُذهِب المهابة، ورضى الناسِ غاية لا تُدرَك، وغاية من عرف فضل من فوقه عرف له من دونه فإن جحَدَ جُحِد.

قال: ودخل أبو عمرو بن العلاء دارَ مسلمٍ بالبصرة، فإذا أعدالٌ مطروحة عليها "لأبو فلان" فقال: العجب تلحنون وتربحون.

وقال البيهقيّ في شُعب الإيمان(١): أخبرنا أبو محمد يوسف، قال: سمعتُ أبا سعيد بن الأعرابيّ يقول: حدثنا أبو يعلى الساجي، قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: كان لأبي عمرو بن العلاء من غلّته كلُّ يومٍ فلسان يشتري بفلسٍ ريحاناً وكوزاً جديداً بفلس، يشرب فيه يومه، وإذا أمسى تصدَّق به، ويشمّ الريحان يومه، فإذا أمسى قال للجارية: جففيه ودُقّيه في الأشنان.

وقال أيضاً(٢): أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عمرويه المذكر بمرو أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى المعروف بابن بنت الذهليّ، قال: سمعتُ جدي الذارع يقول: الطلاق الثلاث البتُّ له لازم، لقد سمعتُ أبا عُبَيدة معمر بن المثنى يقول: الطلاق الثلاث البتُّ له لازم، لقد سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول: الطلاق الثلاث البتُّ له لازم؛ إن كانت العرب قالت أجود من هذه الأربع الأبيات:

كُن للمكاره بالعزاء مُقلّعا ... فلقلَّ يومٌ لا ترى ما تكرهُ
فلربُّما استتر الفتى فتنافست ... فيه العيون وإنّه لمموّهُ
ولربُّما خزن الكريمُ لسانه ... حذرَ الجوابِ وإنّه لمفوّهُ
ولربُّما ابتسم الكريمُ من الأذى ... وفؤاده من حرِّه يتأوّهُ

وقال أيضاً(٣): أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو أحمد الحبيبيّ أخبرني

(١) شعب الإيمان: ٥/٢١٨.
(٢) المصدر نفسه: ٧/٢٢٥-٢٢٦.
(٣) المصدر نفسه: ٦/٣٧٩.

شهاب بن الحسين أخبرني الأصمعيّ، قال: سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول: زرتُ يوماً العلاء بن زيد، فأقمتُ يومي عنده إلى المساء، فرأيتُ له غلاماً يخدمه، ما رأيتُ غلاما أقلَّ طاعةً ولا أكثرَ خلافاً لمولاه منه، فقلتُ له: أبا سليمان[١]، ما[٢] تصنع بهذا؟ أبعده أو بِعْه واستبدِل به. فقال لي: والله ما أمسكه إلا لِخلّة. قلتُ[٣]: وما هي؟ قال: أتعلّمُ عليه الحلم.

وقال عدنان بن أبي الدنيا: حدثني أبو عرفان حدثني أبو عُبَيدة معمر بن المثنّى عن يونس بن حبيب، قال: قال لي أبو عمرو بن العلاء: كُنّا هِراباً من الحَجّاج بصنعاء، فسمعتُ منشداً ينشدُ:

رُبَّمـا تكره النفـوسُ من الأمـ ـر له فَـرجـة كـحل العـقـالِ

فاستظرفتُ قوله "فَرجة"، فإني لكذلك إذ سمعتُ قائلاً يقول: مات الحجّاج، فما أدري بأيِّ الأمرين كنتُ أشدُّ فرحاً بموت الحجّاج أم بذلك البيت. أخرجه البيهقيّ في الشُّعب[٤] من طريقه، وأخرجه ابن عساكر من طرقٍ أخرى، وزاد: لأني كنتُ أطلبُ شاهداً لاختياري القراءة في سورة البقرة: ﴿إلا من اغترفَ غرفة﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٤٩].

وأخرج ابن عساكر عن إبراهيم الحربيّ، قال: كان أهل البصرة - يعني أهل العربيّة منهم - أصحابَ الهوى إلا أربعة؛ فإنّهم كانوا أصحاب سُنّة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعيّ.

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعيّ، قال: سمعتُ أبا عمرو يقول: أشهدُ أنّ الله يضلُّ ويهدي، فإن قال قائل: فسِّرْ. قلتُ: أغنِ عني نفسَكَ.

---

(١) في شعب الإيمان: سالم. انظر: ٦/٣٧٩.
(٢) من غير (ما) في المصدر نفسه. انظر: ٦/٣٧٩.
(٣) في المصدر نفسه: (قلت له). انظر: ٦/٣٧٩.
(٤) المصدر نفسه: ٧/٢٠٨.

وفي طبقات النحويين لأبي بكر الزبيديّ، قال: حدثني أبو علي إسماعيل بن القاسم، قال: سمع أبو عمرو بن العلاء رجلاً ينشد:

ومن يغوَ لا يعدمْ على الغيِّ لائما

فقال: أقوِّمك أم أتركك تتسكَّع في طُمَّتك؟ فقال: بل قومني. فقال: قلْ "ومن يُغوِ" بكسر الواو، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿فغَوَى﴾ [سورة طه، الآية: ٢٠]. قال: تتسكَّع: تتلوَّث، والطُّمَّة: الخُرأة.

قال الأصمعيّ: وسمعتُ أبا عمرو يقول - ولم يقله إن شاء الله بغياً ولا تطاولاً - :ما رأيتُ أحداً قطُّ أعلمَ مني.

وقال الأصمعيّ: سألتُ الخليلَ بن أحمد عن قول الراجز:

حتى تحاجُزْنَ عن الذّوادِ تحاجُزَ الرِّيّ ولم تكادي

لِمَ قال "ولم تكادي" ولم يقل "ولم تكدْ" فطحنَ يوماً أجمع، فسألتُ أبا عمرو بن العلاء، فكأنَّما كان على طرف لسانه، فقال: "ولم تكادي أيتها الإبل".

وقال أبو عُبَيدة عن أبي عمرو، قال: كُنا عند بلال، فسمعني الفرزدق أنشد بيت التغلبيّ:

نُعاطي الملوكَ القِسْطَ ما قصدوا لنا وليس علينا قتلُهم بمُحرَّمِ

فقال الفرزدق: أرشدُكَ أم أدعُكَ؟ قلتُ: أرشدني. قال: "ما قصدوا بنا".

وقال الأصمعيّ: لم أرَ قطّ أذكى من أبي عمرو بن العلاء، وسلمة بن عياش، وأبي هلال الراسبيّ، وأبي الأشهب العطارديّ.

وقال ابنُ نوفل: سمعتُ أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرْني عمّا وضعتَ مما سمّيتَ عربيّةً؛ أيدخلُ فيه كلام العربِ كلّه؟ فقال: لا. فقلتُ: فكيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حُجّة؟ قال: أحملُ على الأكثر، وأسمّي ما خالفني لغات. انتهى ما نقلته من طبقات الزبيديّ.

وقال الخطّابيّ: أخبرنا ابن مالك وهو أحمد بن إبراهيم حدثنا الدغوليّ عن المازنيّ عن الأصمعيّ، قال: جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء وبين محمد بن مسعر الفدكيّ، قال أبو عمرو: ما تقول؟ قال: أقول: إنَّ الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجزٌ إيعاده كما هو منجز وعده. فقال أبو عمرو: إنَّك رجل أعجمُ لا أقول أعجم اللسان ولكن أعجم القلب؛ إنَّ العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤماً، وعن الإيعاد كرماً. وأنشدَ:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... ليكذب إيعادي ويصدق موعدي

وأخرج الخرائطيّ، وابن عديّ، والبيهقيّ[1] في شُعب الإيمان، والخطيب، وابن عساكر من طرقٍ عن الأصمعيّ، قال: كنتُ عند أبي عمرو بن العلاء، فجاءه عمرو بن عبيد، فقال: يا أبا عمرو، الله يخلفُ الميعاد؟ قال: لا. قال: فإذا وعد على عملٍ ثواباً، أنجزَه؟ قال: نعم. قال: وإذا أوعد على عملٍ عقاباً، أنجَزَه؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت؟ إنَّ الوعد عند العرب غير الوعيد، إنَّ العرب لا تعد خلفاً أن تعد بالشرّ فلا تفي به، إنَّما الخلف عندهم أن تعد بالخير، فلا تفي به، أما سمعتَ قول الشاعر:

لا يرهب ابنُ العمِّ والجار سطوتي ... ولا أختشي من سطوة المتهدِّدِ
وإني وإن أوعدته أو وعدته ... ليكذب إيعادي ويصدق موعدي

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن حفص، قال: تكلّم عمرو بن عبيد في الوعيد سنة، فقال أبو عمرو: إنَّك لألكن الفهم إذ صيرتَ الوعيد في أعظم شيءٍ مثله في أصغر شيء، فاعلمْ أنَّ النهيَ عن الصغير والكبير ليسا سواء، وإنَّما نهى الله عنهما لتتمَّ حجّته على خلقه، ولئلا يعدل عن أمره وطاعته، ووراء وعيده عفوُه ووسيعُ كرمِه. وأنشدَ:

وإني وإن أوعدته ووعدته ... لمخلفُ إيعادي ومنجز موعدي

فقال له عمرو: صدقتَ، إنَّ العربَ تمتدح بالوفاء بالوعد دون الإيعاد، وقد تمتدح

---

(١) شعب الإيمان: ١/٢٨٧ من غير ذكر للبيت الأول.

بالوفاء بهما، ألمْ تسمع قول الشاعر:

إنَّ أبا خـالدٍ لمجـتـمعُ الـ ـرأي شـريفُ الأفـعـال والبـيتِ
لا يخلف الوعـدَ والوعـيـدَ ولا يبـيـتُ من ثأره على فـوتِ

قال عمرو: قد وافق هذا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ونادى أصحابُ الجنَّةِ أصحابَ النار أن قد وجدنا﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٤٤] فقال له أبو عمرو: قد وافق الأول إخبار رسول الله (ﷺ) والحديث تفسير القرآن.

وفي الأصمعيّات: قال الأصمعيّ، قال أبو عمرو بن العلاء في قول رسول الله (ﷺ): «في الجنين غُرَّة عبدٍ أو أمة» لولا أنَّ رسول الله (ﷺ) أراد بالغُرَّة معنى، لقال في الجنين عبد أو أمة، ولكنَّه عنى البياض لا يقبل إلا غلاما أبيض أو جارية بيضاء، لا يقبل أسود ولا سوداء.

وقال البخاريّ في تاريخه: حدثنا علي بن عبدالله - هو ابن المدائنيّ - حدثنا سفيان - هو ابن عُيينة - قال: لما قدم الأعمش، فحدَّث بهذا الحديث، كان رسول الله (ﷺ) يتخوَّلنا بالموعظة. قال له أبو عمرو: إنّما هو يتخوّننا. فقال الأعمش: والله لتسكُتنَّ وإلا عرّفتك أنّك لا تحسنُ من العربيّة شيئاً.

وأخرجه أبو أحمد العسكريّ في كتاب التصحيف[1] من طريق الأصمعيّ عن سفيان بن عُيينة، وزاد: ثم قال الأصمعيّ: قد ظلمه أبو عمرو، يقال: تخولنا وتخوننا جميعاً، فمن قال: يتخولنا يقول يستصلحنا، يقال: رجلٌ خائل مالٍ. ومن قال: يتخوننا قال يتعهّدنا. وأنشد لذي الرمّة:

لا ينعش الطرق إلا مـا تخـونه داعٍ يناديه باسم الماء مـبـغـومُ

قال العسكريّ: وسمعتُ أبا بكر بن دُريد يقول: التخوّل والتخوّن واحد.

وقال أبو الطيب: أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا المبرِّد حدثني العباس بن ميمون

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: ٩٥-٩٦.

حدثنا الأصمعيّ عن سفيان الثوريّ، قال: كُنا عند الأعمش وعنده أبو عمرو بن العلاء، فحدّث عن أبي وائل عن عبدالله، قال: كان رسول الله (ﷺ) يتخولنا بالموعظة. ثم قال الأعمش: يتعاهدنا. فقال له أبو عمرو: فإن كان يتعاهدنا فيتخوننا، فأما يتخولنا فيستصلحنا.

قال أبو الطيب: والأمر على ما قال أبو عمرو، يقال: تخولتُ الشيءَ تخوّلاً إذا تعهدته بالإصلاح، والتخوّن: التعهّد بالوقت بعد الوقت.

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعيّ قال: قال أبو عمرو بن العلاء: امتحنتُ خِصال الإنسان، فوجدتُ أشرفها صدق اللسان.

وأخرج المعافى بن زكريا في كتاب الجليس، وابن عساكر عن الأصمعيّ، قال: قال لي أبو عمرو بن العلاء: يا عبدَ الملك، كنْ من الكريم على حذر إذا أهنتَه، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته. وليس من الأدب أن تُجيب من لا يسألك، أو تسأل من لا يُجيبك، أو تحدّث من لا يُنصت لك.

قال المعافى بن زكريا: وكأنَّ قول البحتريّ:

وسألتُ من لا يستجيب فكنتُ في اسـ ... ـتخباره كمجيب من لا يسألُ

مأخوذ من قول أبي عمرو في هذا الخبر.

وأخرج ابن النجّار عن أبي عُبَيدة، قال: دخل أبو عمرو بن العلاء على سليمان بن عبد الملك، فسأله عن شيء، فصدَقه فيه، فلم يعجبه ما قال، فخرج أبو عمرو وهو يقول:

أنفتُ من الذّلّ عند الملوك ... وإن أكرموني وإن قرّبوا

إذا ما صدقتهمُ خفتهم ... ويرضون مني بأن يُكذَبوا

وأخرج الحافظ أبو محمد الحسن بن محمد الخلال في كتاب أخبار الثقلاء، والخطيب وابن عساكر عن معاوية بن سالم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن

العلاء، قال: كان جدي أبو عمرو بن العلاء يجلس إليه رجل يستثقله، فكان إذا طلع، دخل، وتركه، وكتب إليه يستعطفه، فكتب إليه أبو عمرو:

أنتَ يا صاحبَ الكتابِ ثقيل وقليل من الثقيل كثيرُ

وقال وكيع في الغُرَر: حدثني محمد بن إسماعيل بن يعقوب حدثنا محمد بن سلاَّم الجُمَحيّ، قال: كان ابنُ أختِ يونس مريضاً، فعاده أصحابه، فكان يطعمهم الخبيص، فقال معاوية بن أبي عمرو بن العلاء:

أقام الخبيصَ لعُوَّاده فعُوَّاده مثل عرف الفرسْ

وقال وكيع: قال محمد بن يزيد النحويّ: أنشدني أبو عثمان المازنيّ أنشدني الأصمعيّ، قال: قال أبو عمرو بن العلاء: هذا الشعر لابن خذَّاق العبديّ في أول ما قيل في الزهد:

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من واقي
قد رجّلوني وما رجّلت من شعثٍ وأدرجوني كأنني طي محراقي
وساندوني وقالوا أيّما رجل وألبسوني ثياباً غير أخلاقِ
وأرسلوا فتية من خيرهمْ حسبا لينشُدوا في يبيس الترب تطباقي
واقتسموا المال وارفضّت عوائدهم وقال قائلهم مات ابن خذّاقِ
هوّن عليك ولا يؤتى بإشفاق كأنّما أمرنا للواحد الباقي

وقال وكيع: حدثني محمد بن علي حدثنا المازنيّ حدثني الأصمعيّ عن أبي عمرو، قال: أوّل من وضع كتاب العربيّة رجلان: أحدهما من عين التمر، والآخر من الأنبار، يقال لأحدهما مُرامِر بن مروة، والآخر عامر بن سدرة، ولم يكونا عربيين.

وقال: حدثني محمد بن القاسم حدثنا الأصمعيّ قال: سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول: الحقُّ نُتَفٌ.

حدثنا محمد بن شجاع حدثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء، قال: لا يزال

الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً، أو يضع كتاباً.

أخبرني أبو سعيد حدثنا الأصمعيّ قال: قال لي أبو عمرو بن العلاء: لا يزال الناسُ بخير ما تعجبُ من العجب.

وأخرج ابن عساكر من طريق الأصمعيّ: حدثنا يونس النحويّ، قال: قال أبو عمرو بن العلاء: الحقُّ نُتَفٌ، ويُكره الإكثارُ في كلِّ باب، وأحسن الأشياء في ذلك أن يقصد إلى إيجاز الكلام.

وأخرج ابن عساكر من طريق الأصمعيّ عن معاذ بن العلاء، قال: سأل رجل أبا عمرو بن العلاء حاجةً، فوعده بها، ثم إنَّ الحاجة تعذَّرت على أبي عمرو، فلقيه الرجل بعد ذلك، فقال له: يا أبا عمرو، وعدتني وعداً فلم تنجزه. قال أبو عمرو: فمن أولى بالغَمِّ؟ قال: أنا. قال: بل أنا. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأني وعدتك وعداً، فأنتَ تفرح بالوعد، وأُبْتُ أنا بهَمِّ الإنجاز. فبِتُّ ليلَتك فرحاً مسروراً، وبتُّ ليلتي مفكّراً مهموما، ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة، فلقيتني مُدِلاً ولقيتكَ محتشماً.

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعيّ، قال: سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول: إني لأحبُّ أن أرى أهلَ ودّي كلَّ يومٍ مرتين.

قال: وسمعتُ أبا عمرو يقول: ما ضاق مجلس بين متحابّين.

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعيّ، قال: مرض أبو عمرو بن العلاء مرضة، فأتى أصحابه إلا رجلاً منهم، ثم جاءه بعد ذلك، فقال: إني أريد أن أسامرك الليلة. فقال: أنتَ معافى وأنا مبتلى، والعافية لا تدعك تسهر، والبلاء لا يدعني أنام، والله أسأل أن يسوق إلى أهل العافية الشكرَ، وإلى أهل البلاء الأجرَ.

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعيّ، قال: سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول: إني لأبغضُ الشتاء؛ لنقص الفروض وذهاب الحقوق وزيادة الكُلفة على الضعفاء.

وأخرج ابن عساكر عن أبي عبيدالله محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثني عبيدالله عمّي، قال: غاب أبو عمرو بن العلاء عن مجلسه عشرين سنة، ثم عاد إليه، فلم

يعهد به الذين كان يُجالِسُ، فأنشدَ:

يا منزلَ الحيِّ الذيـ ـن تفرّقت بهم المنازلْ
أصبحتَ بعد عمارة قفرا تخرقك الشمائلْ
فلئن رأيتُكَ موحشا فيما تكون وأنتَ أهِلْ

وأخرج الخطيب عن إبراهيم بن محمد اليزيديِّ، قال: حدثني أبي، قال: كنتُ مع أبي عمرو بن العلاء في مجلس إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، فسأل عن رجلٍ من أصحابه فقدَه، فقال لبعض من حضره: اذهبْ فسلْ عنه. فرجع، فقال: تركته يريد أن يموت. فضحك منه بعض القوم، وقال: في الدنيا إنسانٌ يريد أن يموتَ؟ فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها، عربيّة إنّ (يريد) في معنى يكاد، قال الله تعالى: ﴿جداراً يريد أن ينقضَّ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧٧] أي: يكاد. فقال أبو عمرو: لا نزال بخير ما كان فينا مثلك.

وقال أبو عمرو: الغين غَينان: الغلاء والرداء، فإذا استجدت الشرى ذهب أحد الغينين.

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعيِّ، قال: قال أبو عمرو بن العلاء: إنَّ لكلِّ شيءٍ ذؤابة. وذؤابة الشرف الأدب، وإنَّ لكلِّ شيءٍ عروة، وعروة العزِّ الأدب. قال أبو عمرو: كان يقال: شخصٌ بلا أدب كجسدٍ بلا روحٍ.

وأخرج ابن عساكر عن أبي عُبَيدة، قال: خرج أبو عمرو بن العلاء إلى دمشق إلى عبد الوهاب بن إبراهيم يجتديه، ثم رجع، فمات بالكوفة، فصلَّى عليه محمد بن سليمان، وهو أمير الكوفة يومئذٍ، قال أبو عُبَيدة: فحدثني يونس أن أبا عمرو كان يُغشى عليه، ويفيق، فأفاق من غشيةٍ له، فإذا ابنه يبكي، فقال: ما يبكيك وقد أتت عليَّ أربعٌ وثمانون سنة؟

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن القاسم بن إسماعيل المؤدب الحلبيِّ، قال:

أنشدونا لأبي عمرو بن العلاء:

دعِ الهمَّ بالرزقِ يا غـافـلاً ... فـربّك منه لنا قـد فـرغْ
فـمـا لك منه إذا مـا افـتكرت ... بعقلٍ صحيح سوى ما مضغْ
وجـاز التـراقي بلا مـانعٍ ... وفـاتك بالحـرف لمّا بلغْ
فـدع ذكـرَ دنيـا تبـدّت لنا ... كـسمِّ الشـجـاع إذا مـا لدغْ
فـإني خلوتُ بذكـري لهـا ... وخـالفتُ إبليسَ لمّا نزغْ
فـألفـيتـهـا مـثل مـاء الإناء ... وكلب العـشـيـرة فـيـهـا يلغْ
فـخليـتـهـا عن قلى كلّهـا ... وعللتُ نفـسي بأخـذ البُلَغْ

قال إسماعيل: وأنشدونا لأبي عمرو بن العلاء:

أبُنيَّ إنَّ من الرجـال بهـيـمـةً ... في صورة الرجل السميعِ المبصرِ
فَطِنٌ بكلِّ مـصـيـبـة في مـاله ... فـإذا أتت في دِينه لم يشـعـرِ

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعيِّ، قال: أنشدني أبو عمرو بن العلاء:

أتبكي على ليلى ونفسُك باعـدتْ ... مـزاركَ من ليلى وسـعـياكما معا
فـما حـسَنٌ أن تأتي الأمـر طائعـا ... وتجزع إن داعي الصبابة أسمعا
بنفسي تلك الأرضَ ما أطيبَ الربى ... ومـا أحـسنَ المصطاف والمتربعا
وأذكـر أيام الحـمى ثم أنثني ... على كبدي من خشـية أن تقطّعا
ألا ليس أيام الحـمى برواجع ... عليكَ ولكن خلِّ عـينيك تدمـعـا

وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ: أخبرني أبو عبدالله بن شارك أحسبه عن أبي محمد القصاص، قال: كان ولدُ العلاء بن عمّار أربعة: أبو سفيان واسمه شفيق[1]، وأبو حفص عمر، ومعاذ، وأبو عمرو، وكان آخرَهم موتاً أبو عمرو.

وقال ابن معين: أبو عمرو بن العلاء وأخوه أبو سفيان ثقتان.

---

(١) في تاريخ دمشق: شقيق. انظر: ٦٧/١٠٥.

وفي كتاب اللطائف واللطف للثعالبيّ[1]: وصفَ أبو عمرو بن العلاء رجلاً، فقال: إن كان لله تعالى عبد مخلوق من الذهب الأحمر والمسك الأذفر فهو ذاك. ونظر إلى بعض أصحابه، وعليه مشهرة، فقال: يا بُني، كُلْ ما تشتهي والبس ما يشتهي الناس، وقد نظمه من قال:

أما الطعامُ فكلْ لنفسِك ما اشتهت   والبس ثيابك ما اشتهته الناسُ

قال الإمام أحمد في مسنده[2]:حدثنا وكيع حدثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء عن ابن سيرين سمعاه عن أبي عُبَيدة عن علي، قال: قال رسول الله (ﷺ) «يخرج قومٌ فيهم رجل موذن اليد، أو مثدون اليد، أو مخدج اليد، ولولا أن تبطروا لأنبأتكم ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان نبيهم (ﷺ).

وقال البيهقيّ[3]: أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ، حدثني أحمد بن منصور الصوفيّ الحافظ أبو العباس الشيرازيّ، حدثنا أحمد بن محمد النحويّ، حدثنا أبو العيناء محمد بن القاسم، حدثنا أبو زيد النحويّ، حدثنا أبو عمرو بن العلاء عن أنس بن مالك عن أبي بكر الصدِّيق أنَّ النبيَّ (ﷺ) كانت له خرقة يتنشَّف بها بعد الوضوء.

وقال الشيرازيّ في الألقاب: أخبرنا أبو بكر عبدالله بن أحمد الفارسيّ ولاحق بن الحسين المقدسيّ قال: حدثنا أبو الحسن حامد بن حمَّاد بن المبارك السرمريّ حدثنا إسحاق بن محمد بن سيَّار النصيبيّ حدثنا الأصمعيّ حدثنا أبو عمرو بن العلاء، قال: سمعتُ ذا الرمّة غَيلان بن عقبة، قال: سمعتُ ابنَ عباسٍ يقول: قال رسول الله (ﷺ): «إنَّ من الشعر حكمة».

(١) لطائف اللطف: ٧٥.
(٢) مسند الإمام أحمد: ٩٥/١.
(٣) سنن البيهقي الكبرى: ١٨٥/١.

[٨٢]*

أبو عمرو الشيبانيّ

إسحاق بن مِرار.

قال الخطيب: صاحب العربيّة كوفيّ، نزل بغداد، وحدَّث بها عن ركن(١) الشاميّ، روى عنه ابنه عمرو، وأحمد بن حنبل، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم. وقيل: إنّه لم يكن شيبانيّاً، ولكنّه كان مؤدباً لأولاد ناسٍ من بني شيبان، فنُسِبَ إليهم، كما نُسِبَ اليزيديّ إلى بني يزيد. وكان من أعلم الناس باللغة موثّقاً فيما يحكيه، وجمع أشعار العرب ودوَّنها، فحكى عنه ابنه عمرو، قال: لما جمع أبي أشعار العرب، كانت نيِّفاً وثمانين قبيلة، فكان كلّما عمل منها قبيلة، وأخرجها إلى الناس، كتبَ مصحفاً، وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيِّفاً وثمانين مصحفاً.

وقال ثعلب: كان مع أبي عمرو الشيبانيّ من العلم والسماع عشرة أضعاف ما كان مع أبي عُبَيدة، ولم يكن من أهل البصرة مثل أبي عُبَيدة في السماع والعلم.

وقال أبو بكر بن الأنباريّ: أبو عمرو الشيبانيّ صاحب ديوان اللغة والشعر، كان خيِّراً فاضلاً صدوقاً.

---

[*] انظر ترجمته في: المعارف: ٥٤٥. مراتب النحويين: ١٤٥-١٤٦. طبقات النحويّين واللغويين: ١٩٤-١٩٥. الفهرست: ١٠٧-١٠٨. نور القبس: ٢٧٥-٢٧٨. تاريخ العلماء النحويّين: ٢٠٧-٢٠٨. تاريخ بغداد: ٣٢٧/٦-٣٣٠. الإكمال: ٢٣٩/٧، وقد نصّ فيه على أنّ كلمة مرار بكسر الميم وتخفيف الراء. نزهة الألباء: ٧٧-٨٠. المنتظم: ٢١٨/١٠-٢١٩. معجم الأدباء: ٦٢٥/٢-٦٢٨. إنباه الرواة: ٢٥٦/١-٢٦٤. وفيات الأعيان: ٢٠١/١-٢٠٢. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٠١-٢١٠): ٥٤-٥٦. دول الإسلام: ١٢٩/١. العبر: ٢٨١/١. الكاشف: ٤٤٦/٢. مسالك الأبصار: ١٨/٧-١٩. الوافي: ٢٧٥/٨-٢٧٦. مرآة الجنان: ٣٧/٢. البلغة: ٣٨. لسان الميزان: ٤٧٦/٧. النّجوم الزاهرة: ٢٣٧/٢. البغية: ٤٣٩/١-٤٤٠. شذرات الذهب: ١٠٦/٢. ديوان الإسلام: ٢٩٦/٣.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- دراسة في المعاجم العربيّة: كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني.
- مقدّمة تحقيق كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني.

(١) في تاريخ بغداد: ذكن. انظر: ٣٢٧/٦.

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: كان أبي يلزم مجالسَ أبي عمرو يكتبُ أماليه. قال: وسمعتُ أبي يقول: سألتُ أبا عمرو الشيبانيّ عن قوله (ﷺ): «أخنع» اسم. فقال: أوضع.

وأخرج الخطيب من طريق ثعلب، قال: حدثنا سلمة بن عاصم، قال: كُنّا في مجلسِ سعيد بن سالم الباهليّ، وفيه الأصمعيّ، وأبو عمرو الشيبانيّ، فأنشد الأصمعيّ بيتَ الحارث بن حلِّزة:

عَنَتاً باطلاً وظلماً كما تعـ ـنز عن حجرة الربيض الظباءُ

فقال الأصمعيّ: ما معنى "تعنز"؟ قال: تنحى، ومنه قيل: العنزة التي كانت تُجعَل قُدام رسول الله (ﷺ)، فقال له أبو عمرو: الصواب "كما تعتر" أي تنحر، فتصير عتائر. فوقف الأصمعيّ، فقال له أبو عمرو: والله لا تنشد بعد هذا اليوم إلا "تعتر".

وأخرج الخطيب من طريق ثعلب عن ابن الأعرابيّ عن الأصمعيّ عن يونس بن حبيب، قال: دخلتُ على أبي عمرو الشيبانيّ، وبين يديه قمطر فيه أشياء من الكتب يسيرة، فقلتُ له: أيُها الشيخ، هذا جميع علمك؟ فتبسَّم إليَّ، وقال: إنَّه من صدق كثير.

وأخرج الخطيب عن ثعلب، قال: دخل أبو عمرو الشيبانيّ البادية، ومعه دستيجتان حبراً، فما خرج حتى أفناهما بكَتْبِ سماعه من العرب.

وكان أبو عمرو الشيبانيّ نبيلاً فاضلاً عالماً بكلام العرب حافظاً للغاتها، عمل للشعراء ربيعة ومُضَر واليمن إلى ابن هرمة، وكان سمع من الحديث سماعاً واسعاً، وعُمِّر عمراً طويلاً حتى أناف على التسعين، وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية مشهورٌ معروفٌ، والذي قصَّر به عند العامة من أهل العلم أنَّه كان مشتهراً بالنبيذ والشرب له.

مات سنة عشر ومائتين، وقد كتبَ عنه أحمد بن حنبل، حدَّث عن ركن[1] عن

---

(١) في تاريخ بغداد: ذكن. انظر: ٦/٢٣٠.

مكحول أحاديث. انتهى ما أورده الخطيب.

وأخرج ابن النجّار في تاريخه من طريق المعافى بن زكريا، قال: حدثنا أبو علي الكوكبيّ حدثنا إبراهيم الحربيّ، قال: قال عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ: كان أبو عمرو يؤدب أبا أحمد بن الرشيد. فلما كبر أبو أحمد لم يرَ أبو عمرو منه ما أمَّل فيه، فكتبَ إليه:

إنَّ حقَّ التأديبِ حقُّ الأبوَّهْ ... عند أهل النُّهى وأهل المروَّهْ
وأحقُّ الأقوامِ أن يعرفوا الحقَّ ... ويرعوه أهل بيت النبوَّهْ

وقال أبو الطيب: ومن أعلمهم باللغة وأحفظهم وأكثرهم أخذاً عن ثقات الأعراب أبو عمرو الشيبانيّ، وهو من أهل الرمادة بالكوفة، وإنَّما جاور بني شيبان، فنُسِبَ إليهم، وهو صاحب كتاب الجيم، وكتاب النوادر، وهما كتابان جليلان، فأما النوادر فقد قرئ عليه، وأخذناه رواية عنه، أخبرنا به أبو عمر محمد بن عبد الواحد أخبرنا ثعلب عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، وأما كتاب الجيم فلا رواية له؛ لأنَّ أبا عمرو بخِلَ به على الناس، فلم يقرأه عليه أحد.

وقد روى عنه أبو الحسن الطوسيّ، وأبو سعيد الضرير، وأبو سعيد السُّكريّ، وأجلُّ من روى عنه أبو نصرٍ الباهليّ، وأبو الحسن اللحيانيّ، ثم يعقوب بن السِّكِّيت. فأما الطوسيّ والسُّكَريّ فإنَّهما راويتان وليسا إمامين. انتهى.

وقال أبو القاسم علي بن حمزة في كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة[1]: نُقِلَ إلينا من غير وجهٍ أنَّ أبا عمرو الشيبانيّ قال: روى أبو عُبَيدة بيت الأعشى:

أني لعمر الذي خطَّت مناسمها ... تخدى وسيق إليه الباقرُ العثلُ

فأرسلتُ إليه: قد صحفتَ، إنَّما هو "الغُيُلُ" أي: الكثير، يقال: ماء غيل إذا كان كثيراً.

---

(١) التنبيهات: ٨٠.

وروى عنه أيضاً أنَّه قال: "الغُيُل" السِّمان، من قولهم: ساعِدٌ غيلٌ.

وقال ياقوت في معجمه: قال الأزهريّ: كان أبو عمرو الشيبانيّ يُعرَفُ بأبي عمرو الأحمر، وابن مِرار بكسر الميم وراءين مهملتين مخففتين، وهو مولى وليس من بني شيبان.

وقال أبو إسحاق النجيرميّ في أماليه: ذكر يوسف الأصبهانيّ أنَّ أبا عمرو الشيبانيّ من الدهاقين، وإنَّما قيل له الشيبانيّ؛ لأنَّه كان يؤدب ولد هارون الرشيد الذين كانوا في حجر يزيد بن مزيد الشيبانيّ، فنُسِبَ إليه.

قال عبدالله بن جعفر: أبو عمرو راوية أهل بغداد واسعُ العلم باللغة والشعر ثقةٌ في الحديث كثيرُ السماع، وله كتبٌ كثيرة في اللغة جِياد.

مات سنة ستٍّ أو خمسٍ ومائتين، وقد بلغ مائة سنة وعشر سنين.

وقال ابن السِّكِّيت: مات أبو عمرو وله مائة وثماني عشرة سنة، وكان يكتبُ بيده إلى أن مات.

وقال ابن كامل: مات أبو العتاهية، وأبو عمرو الشيبانيّ، وإبراهيم المغنِّي والد إسحاق في يومٍ واحدٍ سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد.

قال ابن درستويه: وله بنون وبنو بنين يروون عنه كثيراً وأصحاب علمٍ ثقات، وكان ممن يلزم مجلسَه ويكتبُ عنه الحديث أحمد بن حنبل، وكان يقول: تعلَّموا العلمَ فإنَّه يوطئ الفقراء بُسُطَ الملوك.

ورويَ عن أبي عمرو الشيبانيّ أنَّه قال يوماً لأصحابه: لا يتمنَّيَنَّ أحدٌ أمنية سوءٍ فإنَّ البلاء موكَّلٌ بالمنطقِ، هذا المؤمَّل قال:

شفَّ المؤملَ يومَ الحيرةِ النظرُ ... ليتَ المؤملَ لم يُخلَقْ له بصرُ

فذهب بصره، وهذا مجنون بني عامر قال:

فلو كنتُ أعمى أخبط الأرضَ بالعصا ... أصمُّ ونادتني أجبتُ المناديا

فعمي وصم.

قال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب: كتاب الجيم. كتاب النوادر. كتاب أشعار القبائل ختمه بابن هرمة. كتاب الخيل. كتاب غريب المصنّف. كتاب اللغات. كتاب غريب الحديث. كتاب النوادر الكبير على ثلاث نُسَخ.

قال ياقوت: قرأتُ بخطِّ أبي منصور الأزهريّ في كتاب نظم الجُمان للمنذريّ: حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن النضر، قال: حدثني سعيد بن صبيح، قال: حدثني أبوك - يعني النضر - قال: كنتُ عند إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة، وجاء أبو عمرو الشيبانيّ، فقال لي: من هذا الشيخ؟ قلتُ: هذا أبو عمرو الشيبانيَ صاحب العربيّة والغريب، وكان قد أتى عليه نحوٌ من مائة سنة وخمس عشرة سنة، فالتفتَ إليه يسائله عن أيّامه وسنِّه، ثم قال: ما راح بك؟ ألكَ حاجة؟ قال: نعم، بلغني أنَّك تقول إنَّ القرآن مخلوق. قال: نعم. قال: فمتى خلقه؟ قبل أن يتكلَّم به أو بعد ما تكلَّمَ به؟ فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسَه، وقال: أنتَ شيخٌ جَدِلٌ. هذا قولي وقول أمير المؤمنين.

قال ياقوت: وقال أبو شبل يهجو أبا عمرو الشيبانيّ:

قد كنتُ أرجو أبا عمرو أخا ثقةٍ ... حتى ألَمتْ بنا يوماً مُلِمّاتُ
فقلتُ والمرءُ تخطيه منيته ... أدنى عطيته إياي ميّاتُ
فكان ما جاد لي لا جاد عن سعةٍ ... ثلاثة ناقصات مدلهماتُ
ما الشعر ويحَ أبيه من صناعته ... لكنْ صناعته بخلٌ وبالاتُ
ودنٌّ خلٍّ بفتلٍ فوقَ عاتقه ... فيه رُبيثاءُ مخلوطٌ وصحناتُ
فلو رأيت أبا عمرو ومشيته ... كأنَّه جاحظُ العينين نهّاتُ

نهّات أي: نهّاق.

[٨٣]*

أبو عُبَيدة

معمر بن المثنّى التيميّ.

قال السيرافيّ: تيم قُرَيش لا تيم الرباب، وهو مولى لهم، البصريّ العلاّمة.

قال أبو الطيب: كان أبو عُبَيدة أعلمَ الثلاثة بأيّام العرب وأخبارهم، وأجمعَهم لعلومهم، وكان أكملَ القوم، ومع ذلك فإنّه كان ربّما ينشد البيت فلم يُقِمْ وزنه حتى يكسره، ويخطئ إذا قرأ القرآن نظراً.

أخبرنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا مسعود بن بشر، قال: سمعتُ زيدَ بن مرّة يقول: ما كان أبو عُبَيدة يفتِّشُ عن علمٍ من العلوم إلا كان من يفتّشه عنه يظنُّ أنّه لا يحسِن غيره، ولا يقوم بشيءٍ أجود من قيامه به.

وأخبرنا جعفر بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: سمعتُ أبا زيد عمر بن شبّة يقول: قال أبو عُبَيدة: ما التقى فَرَسان في جاهليّة ولا إسلام إلا عرفتُهما، وعرفتُ فارسيهما. قال عمر بن شبّة: وأنا أقول ذلك في الإسلام خاصّة.

---

[*] انظر ترجمته في: المعارف: ٥٤٣. مراتب النحويين: ٧٧-٧٩. أخبار النحويّين البصريين: ٨٠-٨٣. طبقات النحويين واللغويّين: ١٧٥-١٧٨. الفهرست: ٨٣-٨٥. نور القبس: ١٠٩-١٢٤. تاريخ العلماء النحويّين: ٢١١-٢١٣. تاريخ بغداد: ١٣/٢٥٢-٢٥٧. تاريخ دمشق: ٥٩/٤٢٣-٤٢٦. نزهة الألباء: ٨٤-٩٠. المنتظم: ١٠/٢٠٦-٢٠٩. معجم الأدباء: ٦/٢٧٠٤-٢٧٠٩. إنباه الرواة: ٣/٢٧٦-٢٨٧. وفيات الأعيان: ٥/٢٣٥-٢٤٣. إشارة التعيين: ٣٥٠-٣٥١. طبقات علماء الحديث: ١/٥٣٣-٥٣٤. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٠١-٢١٠): ٣٩٧-٤٠٠. سير أعلام النبلاء: ٩/٤٤٥-٤٤٧. ميزان الاعتدال: ٦/٤٨٣. مسالك الأبصار: ٧/١٥-١٨. مرآة الجنان: ٢/٣٤-٣٥. البلغة: ٢٦١. البغية: ٢/٢٩٤-٢٩٦. طبقات المفسرين (الداودي): ٢/٣٢٦-٣٢٨. مفتاح السعادة: ١/١٠٥-١٠٦. شذرات الذهب: ٢/١٠٧-١٠٨. طبقات المفسّرين: (الأدنه وي): ٣٠-٣١. ديوان الإسلام: ٣/٢٩٩-٣٠٠.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو عبيدة: معمر بن المثنّى.

وكان أبو عُبَيدة يميل إلى مذهب الإباضيّة من الخوارج، وكان يبغض العرب، وقد ألّفَ في مثالبها كُتباً.

حدثنا علي بن إبراهيم البغداديّ، قال: سمعتُ عبدالله بن سليمان يقول: سمعتُ أبا حاتم السجستانيّ يقول: جاء رجل إلى أبي عُبَيدة يسأله كتابَ وسيلةٍ إلى بعض الملوك، فقال لي: يا أبا حاتم، اكتبْ له عني، والحنْ في الكتاب، فإنَّ النحوَ محدودٌ.. انتهى.

وقال المبرِّد: كان أبو زيد أعلمَ من الأصمعيّ وأبي عُبَيدة بالنحو، وكانا بعده يتقاربان.

قال أبو الطيب: والذي ثبت عندنا من علمائنا أنَّ أبا عُبَيدة كان أعلمَ الثلاثة بالنحو، ولم يكن في صاحبيه نقص إلا أنَّ لهذا القول من المبرِّد سبباً[1].

وقال السيرافيّ: كان أبو عُبَيدة من أعلم الناس بأنساب العرب، وبأيامهم، وله كتبٌ كثيرة في أيام العرب وحروبها.

قال المبرِّد: كان أبو عُبَيدة عالماً بالشعر والغريب والأخبار والنسب، وكان الأصمعيّ يشركه في الغريب والشعر والمعاني، وكان الأصمعيّ أعلمَ منه بالنحو.

وقال أبو العيناء: قال رجلٌ لأبي عُبَيدة: يا أبا عُبَيدة، قد ذكرتَ الناسَ وطعنتَ في أنسابهم، فبالله ألا عرَّفتَني: من كان أبوك؟ وما أصله؟ فقال: حدثني أبي أنَّ أباه كان يهودياً بباجروان. انتهى.

وقال ياقوت: قال التاريخيّ: حدثني يوسف بن يعقوب بن السكِّيت، قال: حدثني أبو عبدالله محمد بن عمرو الجماز، قال: أبو عُبَيدة معمر بن المثنى بن يزيد التيميّ مولى لرهط أبي بكر الصدّيق.

قال ياقوت: وهذا فهرست تصانيف أبي عُبَيدة: المجاز في غريب القرآن. مقاتل الفرسان. أيام العرب. المثالب. الفرس. نقائض جرير والفرزدق. غريب الحديث، وهو

(١) مراتب النحويّين: ١٢٣.

أول من صنَّفَ كتاباً في غريب الحديث. اللصوص. العَقَقة والبَررة. طبقات الفرسان. الأمثال. معاني القرآن. الديباج. التاج. كتاب جفوة خالد. كتاب الجيران. كتاب ابني وائل. كتاب الحدود. كتاب مناقب باهلة. كتاب صعود. كتاب البصرة. كتاب خبر الزاوية. كتاب خراسان. كتاب مغارات قيس واليمن. كتاب خبر عبد القيس. كتاب خبر ابني بغيض. كتاب خوارج البحرين واليمامة. كتاب الموالي. كتاب البُلْه. كتاب الضيفان. كتاب الطروقة. كتاب مرج راهط. كتاب المنافرات. كتاب القتال. كتاب خبر البراصين. كتاب الفرارين. كتاب البازي. كتاب العُقاب. كتاب خصي الخيل. كتاب النواشز. كتاب الأعنان. كتاب الملاحق. كتاب أيادي الأزد. كتاب الخيل. كتاب الإبل. كتاب الأسنان. كتاب المجاز. كتاب الزرع. كتاب الرَّحْل. كتاب الدلو. كتاب البكرة. كتاب السرج. كتاب اللجام. كتاب القوس. كتاب السيف. كتاب مثالب باهلة. كتاب الشوارد. كتاب الأحلام. كتاب الزوائد. كتاب نامة الرئيس. كتاب الأشراف. كتاب الشعر والشعراء. كتاب فَعَل وأفعلَ. كتاب المصادر. كتاب خَلْقِ الإنسان. كتاب النوى. كتاب الحسف. كتاب مكّة والحرم. كتاب الجمل وصِفّين. كتاب بيوتات العرب. كتاب اللغات. كتاب الغارات. كتاب المعاتبات. كتاب الملاوثات. كتاب الأضداد. كتاب مآثر العرب. كتاب الفتاكين. كتاب مآثر غطفان. كتاب الأوفياء. كتاب النجاء والحِيَل. كتاب أدعياء العرب. كتاب مقتل عثمان. كتاب قُضاة البصرة. كتاب فتوح أرمينية. كتاب فتوح الأهواز. كتاب الحُجَّاج. كتاب الكعبة. كتاب الحُمْس من قريش. كتاب فضائل الفُرس. كتاب أعشار الجُزور. كتاب الحمّالين والحمّالات. كتاب ما تلحن فيه العامة. كتاب مسلم بن قُتيبة. كتاب روشنتباذ. كتاب السواد. وفتحه. كتاب من شكر من العُمّال وحمد. كتاب غريب بطون العرب. كتاب تسمية من قتلتْ بنو أسد. كتاب الجمع والتثنية. كتاب الأوس والخزرج. كتاب محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن حسن بن حسين. كتاب الحرام. كتاب إعراب القرآن.

قال ياقوت: حدّث التنوخيّ عن ثعلب، قال: كان أبو عُبَيدة يرى رأي الخوارج،

وإذا قرأ القرآن قرأه نظراً، وكان مع معرفته إذا أنشد بيتاً لم يُلِمُّ بإعرابه، ولم يقِمِ البيت إذا أنشده، وينشده مختلف العروض، وهذا من العجب.

وقال ثعلب: جاز يونس المائة، وكان يقدُّع من الكِبر. وقارب أبو عُبَيدة المائة، وكان أبو عُبَيدة غليظ اللثغة إلا أنَّه كان قد اجتمع له علم الإسلام والجاهليَّة، وكان ديوان العرب في بيته، وإنَّما كان مع أصحابه مثل أبي زيد والأصمعيِّ نُتَفٌ بالنسبة إلى ما عنده، وكان مع ذلك قذراً وسخاً مدخولَ الدين والنسب.

وقال علاَّن الشعوبيّ: كان أبو عُبَيدة يُلَقَّب "سُبُّخت" من أهل فارس أعجميّ الأصل. قال: ولما مات لم يحضر جنازته أحد لأنَّه لم يكن يسلم منه شريف ولا غيره.

قال ياقوت: وحدَّث التاريخيّ عن الفضل بن محمد اليزيديّ عن عبد الواحد بن غياث، قال: قد سبق إلى الجواب عن مثل هذا السؤال عمر بن أبي ربيعة. قيل له: متى ولدت؟ قال: في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطَّاب، فأيُّ خيرٍ رفع، وأيُّ شرٍّ وضع. وإنِّي ولدتُ في الليلة التي مات فيها الحسن بن أبي الحسن، فأيُّ خيرٍ رفع، وأيُّ شرٍّ وضع. فقال له جعفر: مهلاً يا أبا عُبَيدة، فإنا لم نُرِد منك كلُّ هذا.

قال ابن عساكر: حدَّث عن هشام بن عروة، وأبي عمرو بن العلاء، ورؤبة بن العجَّاج، وأعين بن لبطة، وابن همام بن غالب المجاشعيّ، وغيلان بن محمد اليافعيّ، ويونس بن حبيب النحويّ.

وروى عنه: أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم، وأبو عثمان المازنيّ، وأبو حاتم السجستانيّ، وأبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم، وأبو زيد عمر بن شَبَّة النميريّ، وقيس بن حفص الدارميّ، وإبراهيم بن محمد بن عرعرة بن البرند، وعبد العزيز بن حرب الليثيّ، وعمرو بن محمد بن جعفر، وعلي بن محمد النوفليّ، وأبو غسَّان رُفَيع بن سلَمة، وأبو علي محمد بن معاوية النيسابوريّ.

سئل ابن مَعين عن أبي عُبَيدة، فقال: ليس به بأس.

وقال الجاحظ: لم يكن في الأرض خارجيّ ولا جماعيّ أعلمُ بجميع العلوم منه.

وقدم بغداد أيام الرشيد، وقرئ عليه بها أشياء من كتبه، وأسند الحديث. ولِدَ في سنة عشرٍ ومائة في الليلة التي مات فيها الحسن البصريّ، وتوفي في سنة تسع ومائتين، وقيل: سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشر، وقيل: سنة ثلاث عشر بالبصرة.

قال الخطيب: أخبرنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدويّ، أخبرني علي بن أحمد بن عبد العزيز الجرجانيّ، حدثني داود بن سليمان بن خزيمة البُخاريّ، حدثنا محمد بن إسماعيل البُخاريّ حدثنا عمرو بن محمد حدثنا أبو عُبَيدة معمر بن المثنى التيميّ حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قالت: كان رسول الله (ﷺ) يخصف نعله، وكنتُ قاعدة أغزِل، فنظرتُ إلى رسول الله (ﷺ) فجعلَ جبينُه يعرقُ، وجعل عرقه يتولّد نوراً. قالت: فبُهِتُّ فيه، فنظر إليَّ رسول الله فقال: ما لكِ بُهِتِّ؟ فقلتُ: يا رسول الله، نظرتُ إليك فجعل جبينُك يعرقُ، وجعل عرقك يتولّدُ نوراً، فلو رآكَ أبو كبير الهُذَليّ لعلمَ أنّكَ أحقُّ بشعره. قال: وما يقول يا عائشة أبو كبير الهُذَليّ؟ فقلتُ: يقول:

ومبرأ من كلّ غبر حيضه ... وفساد مرضعة وداء مغيلِ

وإذا نظرتَ إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلّلِ

قالتْ: فقام النبيّ (ﷺ) وقبَّل بين عيني، وقال: «جزاكِ الله يا عائشة عني خيراً، ما سُررتُ بشيءٍ كسروري منكِ».

أخرجه أبو نعيم الأصبهانيّ في معجم شيوخه، وابن عساكر، وابن النجّار من طُرقٍ عن داود بن سليمان.

وقال الخطيب: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكيّ حدثنا إسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسويّ، حدثنا أبو ذرّ محمد بن محمد بن يوسف القاضي إملاءً، حدثنا أبي حدثنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل حدثنا عمرو بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو عُبَيدة معمر بن المثنى حدثني هشام بن عروة حدثني أبي قال: حدثتني عائشة بنحوه. قال أبو ذرّ: سألني أبو علي صالح بن محمد البغداديّ عن حديث أبي

عُبَيدة أن أحدِّثه به، فحدثته به، فقال: لو سمعتَ بهذا عن غير أبيك عن محمد لأنكرته أشدَّ الإنكار؛ لأني لم أعلم قطّ أنَّ أبا عُبَيدة حدَّث عن هشام بن عروة شيئاً، ولكنه حسن عندي حين صار مخرجه عن محمد بن إسماعيل.

وقال الخطيب: أخبرنا أبو سعيد المالينيّ أخبرنا أبو الحسين محمد بن موسى بن عيسى، حدثنا علي بن المغيرة، حدثنا معمر بن المثنى عن أبي عمرو بن العلاء عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قالت: ما فسَّر رسول الله (ﷺ) من القرآن إلا آيات يسيرة، قوله: ﴿وتجعلون رزقكم﴾ [سورة الواقعة: الآية: ٩٢] قال: شكركم.

وأخرج الخطيب عن الصوليّ قال: إسحاق بن إبراهيم هو الذي أقدمَ أبا عُبَيدة من البصرة؛ سأل الفضل بن الربيع أن يقدمه، فورد أبو عُبَيدة في سنة ثمانٍ وثمانين ومائة بغدادَ، فأخذ إسحاق عنه، وعن الأصمعيّ علماً كثيراً.

وأخرج الخطيب عن أبي عُبَيدة، قال: أرسلَ إليَّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه، فقدمتُ عليه، وكنتُ أُخْبَرُ عن تجَبُّره، فأذن لي، فدخلتُ وهو في مجلس له طويلٍ عريض، فيه بساط واحد قد ملأه، وفي صدره فرشٌ عالية لا يُرتقى إليها إلا على كرسيّ، وهو جالس عليها، فسلّمتُ بالوزارة، فردَّ وضحك إليَّ واستدناني، حتى جلستُ معه على فرشه، ثم سألني وألطفني وبسطني، وقال: أنشدني. فأنشدته من عيون أشعارٍ أحفظها جاهليّة. فقال لي: قد عرفتُ أكثر هذه، وأريد من مُلَح الشعر. فأنشدته، فطرب، وضحك، وزاد نشاطه. ثم دخل رجلٌ في زيّ الكُتّاب له هيئة، فأجلسه إلى جانبه، وقال له: أتعرفُ هذا؟ قال: لا. قال: هذا أبو عُبَيدة علاّمة أهلِ البصرة، أقدمناه لنستفيدَ من علمه. فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا، وقال لي: إن كنتُ إليكَ لمشتاقاً، وقد سئلتُ عن مسألة، أفتأذن لي أن أعرّفك إياها؟ قلتُ: هات. قال: قال الله تعالى: ﴿طلعها كأنَّه رؤوس الشياطين﴾ [سورة الصافات، الآية: ٦٥] وإنَّما يقع الوعد والإيعاد بما قد عُرِفَ مثله، وهذا لم يُعرَف؟ فقلتُ: إنَّما كلَّم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعتَ قولَ امرئ القيس:

أيقتلُني والمشرفيّ مُضاجِعي ... ومسنونة زرق كأنياب أغوالِ

وهم لم يروا الغولَ قطّ، ولكنّه لما كان أمرُ الغولِ يهولهم أُوعِدوا به. فاستحسن الفضل ذلك، واستحسنه السائل، واعتقدتُ من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن لمثلِ هذا وأشباهه، ولما يُحتاج إليه من علمه. فلما رجعتُ إلى البصرة عملتُ كتابي الذي سمّيته "المجاز".

وأخرج الخطيب عن التوزيّ، قال: بلغ أبا عُبَيدة أنّ الأصمعيّ يعيب عليه تأليفه كتاب "المجاز في القرآن" وأنّه قال: يفسّر كتاب الله برأيه. فسأل عن مجلس الأصمعيّ: في أيّ يومٍ هو؟ فركب حماره في ذلك اليوم، ومرّ بحلقة الأصمعيّ، ونزل عن حماره، وسلّم عليه، وجلس عنده وحادثه، ثم قال له: يا أبا سعيد، ما تقولُ في الخبز؟ أيّ شيءٍ هو؟ قال: هو هذا الذي نأكله ونخبزه. فقال له أبو عُبَيدة: قد فسّرتَ كتابَ الله برأيك؛ فإنّ الله تعالى قال: ﴿أحملُ فوقَ رأسي خبزاً﴾ [سورة يوسف، الآية: ٣٦] فقال الأصمعيّ: هذا شيء بان لي فقلته، لم أفسّره برأيي. فقال أبو عُبَيدة: والذي تعيب علينا كلّه شيء بان لنا فقلنا به، ولم نفسّره برأينا. ثم قام فركب حماره وانصرف.

وأخرج الخطيب عن أبي خالد يزيد بن محمد المهلبيّ، قال: أنشدني إسحاق الموصليّ لنفسه بقوله للفضل بن الربيع يهجو الأصمعيّ:

عليكَ أبا عُبَيدة فاصطنعه ... فإنّ العلم عند أبي عُبَيدهْ

وقدّمه وآثره علينا ... ودع عنك القُريد بن القُريدهْ

وأخرج الخطيب عن أبي عثمان المازنيّ، قال: سمعت أبا عُبَيدة يقول: أُدخِلتُ على الرشيد، فقال لي: يا معمر، بلغني أنّ عندك كتاباً حسناً في صفة الخيل، أحبُّ أن أسمعه منك. فقال الأصمعيّ: وما تصنع بالكتبِ؟ يُحضَر فرس، ونضع أيدينا على عضو منه، ونسميه ونذكر ما فيه. فقال الرشيد: يا غلام، فرس. فأحضِر فرس، فقام الأصمعيّ فجعل يده على عضوٍ عضوٍ، ويقول: هذا كذا قال فيه الشاعر كذا حتى انقضى قوله. فقال لي الرشيد: ما تقول فيما قال؟ قلتُ: قد أصاب في بعض وأخطأ في

بعض، فالذي أصاب فيه مني تعلُّمَه، والذي أخطأ فيه لا أدري من أين أتى به.

وأخرج الخطيب عن أبي بكر بن الأنباريّ قال: حدثنا عبدالله بن عمرو بن لقيط، قال: لما أُخبِرَ أبو نواس أنَّ الخليفة عزم على أن يجمع بين الأصمعيّ وأبي عُبَيدة، قال: أما أبو عُبَيدة فعالِمٌ ما يزال مع أسفاره يقرأ، وهذا الأصمعيّ بمنزلة بلبل في قفص يُسمع من نغمه لحوناً، ويري كلّ وقتٍ من مُلَحه فنوناً.

وأخرج الخطيب عن ثعلب، قال: زعم الباهليّ صاحب المعاني أنَّ طلبة العلم كانوا إذا أتوا مجلس الأصمعيّ اشتروا الدرّ في سوق البعر. والمعنى أنَّ الأصمعيّ كان حسن الإنشاد والزخرفة لرديء الأخبار والأشعار حتى يحسن عنده القبيح، وأنَّ الفائدة عنده مع ذلك قليلة، وأنَّ أبا عُبَيدة كان معه سوء عبارة وفوائد كثيرة والعلم عنده جَمّ.

وأخرج الخطيب عن المبرِّد، قال: تكلَّم أبو عُبَيدة يوماً في باب من العلم ورجلٌ يكسر عينه حياله، يوهمه أنّه يعلم ما يقول، فقال أبو عُبَيدة:

يكلّمني ويخلج حاجبيه ... لأحسبَ عنده علماً دفينا

وما يدري قُبيلا من دُبيرٍ ... إذا قسم الذي يدري الظنونا

قال أبو عبادة[1]: فكُنّا نرى أنَّ البيتين لأبي عُبَيدة، وكان لا يقرّ بالشعر.

وأخرج الخطيب عن علي بن عبدالله المدينيّ أنّه ذكر أبا عُبَيدة، فأحسنَ ذكره، وصحَّح روايته، وقال: كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء الصحيح.

وأخرج الخطيب عن الخليل بن أسد، قال: أطعم محمد بن القاسم بن سهل النوشجانيّ أبا عُبَيدة مَوزاً، فكان سبب موته، ثم أتاه أبو العتاهية، فقدم إليه مَوزاً، فقال له: ما هذا يا أبا جعفر، قتلتَ أبا عُبَيدة بالموز وتريد أن تقتلني به؟! لقد استحلَيتَ قتلَ العلماء.

في كتاب نزهة المذاكرة: قال ابن الأعرابيّ: جالستُ أبا عُبَيدة، فصحَّفَ في

(١) في تاريخ بغداد: قال زياد. انظر: ٢٥٦/١٣.

حرفين، قال: شُلَّت يدك، وإنَّما هو شَلَّت يدك. وشلتُ الحجرَ وإنَّما هو أشلتُ.

وقال الطبرانيّ في المعجم الكبير[1]: حدثنا محمد بن محمد الجذوعيّ القاضي، قال: سمعتُ العباس بن الوليد النرسيّ يقول: سألتُ أبا عُبَيدة معمر بن المثنى عن تفسير قوله «إنّه ليغان عليّ قلبي» فلم يفسره لي، وسألتُ الأصمعيّ عنه فلم يفسره لي.

وفي طبقات النحويين للزبيديّ: قال الحسني: أخبرني أبو حاتم قال: أخبرني أبو عُبَيدة، قال: دفعتُ إلى جعفر بن سليمان أمثالاً في رقاع، فقيل له: كم كانت؟ قال: أربعة عشر ألف مثَل.

وقال مروان بن عبد الملك: قلتُ لأبي حاتم: يقال إنَّ أبا عُبَيدة كان يقول بالقدر. فقال: لا. وأنكر ذلك، وقال: كان يثبت القدر.

وقال أبو حاتم: ما زال أبو عُبَيدة يصنّف حتى مات. قال: وجاء إلى بغداد بطلب، ودخل على جعفر بن يحيى، فقال: مثلك لا يدخل على الخلفاء. فقال: لِمَ؟ قال: لأنه كان فيه توضّع ولثغ ولا يدخل مثله عليهم. فقال أبو عُبَيدة لجعفر: فأرجعُ خائباً؟ قال: لا، ولكن نعطيك.

قال: وكان أبو عُبَيدة قد خرج إلى فارس إلى الهلاليّ موسى بن عبد الرحمن، فأعطاه.

قال أبو حاتم: حدثني ابن قاضي شيراز، قال: قال الهلاليّ لغلمانه ولمن يخدمه: احذروا أبا عُبَيدة؛ فإنَّ كلامه ذبق. فلما جاءه، ودخل عليه وسعُّوا له، قال: فأُتي بالطعام، فجاء غلام بالغضارة، ولا علمَ له بأبي عُبَيدة، فانصبّتِ الغضارة على طرف ثوبِ أبي عُبَيدة، ففطن الهلاليّ لذلك، فقال لأبي عُبَيدة: إنَّه قد أصاب ثوبك المرق، ولكن سوف أكسوك عشرة أثواب. فقال له: لا بأبي، لا تضرَ مرقتكم، ليس لها وَدَك. قال: فهم يُسَبُّون بذلك إلى اليوم.

الذبق بدال معجمة: حمل شجرة كالغراء يلزق بجناح الطائر.

---

(١) المعجم الكبير: ٢/٣٠٢.

قال أبو حاتم: وكان الأصمعيّ إذا أراد أن يدخل المسجد يقول: لا يكون فيه ذاك. يعني أبا عُبَيدة، وكان يتوقعه، وكان يورد عليه بعض ما يجده عنده.

وقال أبو حاتم: قال أبو عمر الجَرميّ: أتيتُ أبا عُبَيدة بشيءٍ من كتابه "غريب القرآن" فقلتُ له: عمّن أخذتَ هذا يا أبا عُبَيدة فإنَّ هذا تفسير خلاف تفسير الفقهاء؟ فقال لي: هذا تفسيرالأعراب البَوّالين على أعقابهم، فإن شئت فخذه، وإن شئت فدعه.

وقال ابن الغازي: سمعتُ جماعة من أهل البصرة يقولون: كان أبو عُبَيدة يرى أنّه انفرد بعلم شعر الأعشى دون الأصمعيّ، فنظرنا إلى لفظيهما، فإذا لفظ الأصمعيّ أجزل من لفظ أبي عُبَيدة.

وسمعتُ الرياشيّ يقول: سمعتُ أبا عُبَيدة يقول: أنا أروي شعر الأعشى كلّه بغريبه.

وسئل ابن الغازي: هل بلغكَ أن أبا عُبَيدة يشرب؟ فقال: لم يزنِ أبو عُبَيدة بالشراب، إنّما كان يقال فيه: إنّه يحبّ الصبيان، وذلك مكذوبٌ عليه إلا أنّه من وقع في الناس لم يسلم منهم، وكان أبو عُبَيدة يقع في ابن المناذر، فأقبل إلى مجلس أبي عُبَيدة، وكان يجلس في مجلس يونس النحويّ، وجلس فيه بعد أبي عُبَيدة القتبيُّ، ثم أبو حاتم، فكتب ابن المناذر في قبلة ذلك المسجد:

صلّى الإله على لوطٍ وطهّره ... أبا عُبَيدة قلْ بالله آمينا

فضجر من ذلك، وامتنع من القعود في المجلس حولاً كاملاً بسبب البيت، فقيل له: قطعتَ عنا ما كنتَ تفيدنا مع ما كنتَ تنال من ثواب المجلس. فقال: لا أدخله حتى تمحوه. فمحوه وقلعوه، فقيل له: قد قلعناه إلا "لوط". فقال: والله لو تركتم الطاء مائة عام ما قعدتُ فيه.

وقال أبو بكر بن عبد الملك، قال ثعلب: قال ابن الأعرابيّ، وكان يضع من شأن أبي عُبَيدة ويقول: ما جالسته إلا مجلساً واحداً فلحن فيه في ثلاثة أحرف، قال: شَلِتُ الحجرَ، وإنّما هو أشلتُ الحجر، ولم يُسمَع ذلك إلا في الحجر فقط، قال: وكان أبو

عُبَيدة غليظ اللثغة إلا أنَّه قد اجتمع له علم الإسلام والجاهليَّة، وكان ديوان العرب في بيته، وإنَّما كان مع أصحابه مثل الأصمعيِّ، وأبي زيد، وغيرهما نُتَفٌ، وكان مع ذلك كلَّه وسخاً، توفي سنة عشرٍ ومائتين أو إحدى عشرة، وقد قارب المائة. انتهى.

قال ياقوت[1]: قال التوزيّ: أنشدني أبو عُبَيدة في برذون نفق لرجلٍ كان يُجيعه:

برذونُ عـــمـــرو لم يزل صـــامـــداً   من جـــوعـــه منقطع الصـــوتِ
وكـــان لا ينزل عن ظهـــره   ولو من الحشِّ إلى البـــيتِ
مـــا مـــات من جـــوع ولكنه   مـــات من الشـــوق إلى الموتِ

قال ياقوت[2]: وحدث التاريخيّ عن أبي العيناء عن أبي عمرو الكبيس، قال: رأيتُ أبا نواس ينشد أبا عُبَيدة مرثيته في خلف الأحمر، فقال له أبو عُبَيدة: أجَدْتَ يا أبا نواس. فقال له: يا أبا عُبَيدة، إذا متّ فمن يُجِد مرثيتك؟ فقال له: قمْ يا ابن الفاعلة.

قال[3]: وحدث عن أبي العيناء عن الأصمعيِّ، قال: دخلتُ أنا وأبو عُبَيدة ذاتَ يومٍ المسجدَ الجامع، فلما حضرنا إلى الأسطوانة التي كان يستند إليها إذا إنسانٌ قد كتبَ عليه على نحو من تسعة أذرع:

صلّى الإله على لوطٍ وشـيـعـتـه   أبا عُـبَـيـدة قلْ بالله آمـينا
فـأنتَ عندي بلا شك بقـيـتـهم   منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

فقال لي: أما ترى هذا الكتاب؟ قلتُ: بلى. قال: ويحَك يا أبا سعيد، ارقَ على ظهري أحملك أن تناله فتمحوه، فرقيتُ على ظهره، ولم أزل أتباطأ حتى كاد أبو عُبَيدة أن يتفسَّخَ تحتي، فقال لي: ويحك، اعجلْ فقد قتلتني. فقلتُ له: قد بقيت الطاء. فقال: هي أخبث حروف هذا الشعر، لعنه الله ولعن قائله وكاتبه.

قال: وحدّث عن إبراهيم بن عرعرة بن البرند، قال: لم يكن بالبصرة أحد من ذوي

(١) لم نجده في معجم الأدباء.
(٢) لم نجده في المصدر السابق.
(٣) لم نجده في المصدر السابق.

الأخطار والمروءات إلا وهو يناجي أبا عُبَيدة ويتقي لسانه.

قال: وحدّث المبرِّد عن التنوخيِّ، قال: كُنا عند أبي عُبَيدة، فجاءه رجلٌ، فقال: إني قصدتك من بلد شاسع، وأريد أن تخصّني وتصبر عليَّ. قال: أفعل. فكان يصبر له وكلّم رجلاً، فقال له يوماً: من أيِّ شيءٍ أخذت السراج؟ قال: من الإضاءة، يقال: أسرجتْ ثنايا فلان إذا لمعتْ، وأسرج الليل إذا أضاءَ بقمر أو كوكب. قال: فمن أيِّ شيءٍ أخذَ الغدر؟ قال: من التخلّف في الوفاء، وهو من الغدير؛ لأنَّ السيل غادره إلى تركه. قال: والخليج؟ قال: هو الجذيب، يسمّى بذلك لأنّه جذب عن معظم النهر والبحر، واختلجه عن الأمر اجتذبه.قال: فقولهم: اختلج الأمر في صدري؟ قال: يجب أن يكون من هذا كأنّه انجذب إليه حتى تردُّد وتحيُّر فيه. قال: فاختلاج العين قال: هو من انجذاب الأشياء عن مواضعها، والعرب إنَّما ترى في حمل الشيء على الشيء وتشبيهه به، فلو طالبتها بمثل هذا ما قامت به. قال: فنبتة خلوج؟ قال: تجتذب الإنسان والهائم. وغضب أبو عُبَيدة، وقال: ما هذا؟! ما أسجد الله لي ملائكته ولا أحضرني مع آدم إذ علّمه الأسماء كلُّها، وإنَّما يسنح لي الشيء إذا لم أسمع فيه حجة، فأقول برأيي، فربّما أصبتُ، وربُّما قاربتُ، ولعلَّ ذلك على ما تأولتُ، ولئن عدتَ إلى مثل هذا الإلحاح لألجأنَّ إلى الله، وإلى من يحضرني فيك. فعقل الرجل بعد ذلك، فكان يرفق في سؤاله.

قال ياقوت: قرأت بخطِّ عبد السلام المصريِّ عن أبي العباس المبرِّد، قال: قال أبو عُبَيدة: اعتللتُ علّةً، فأتاني أبو عمرو المديني، وخلف الأحمر ليعوداني، فوجداني ثقيلاً، فسمعتُ خلفاً يقول لأبي عمرو:

عينُ، جودي لمعمر بن المثنى

فأجازه أبو عمر بما لم أفهمه، فما زالا حتى عملا قصيدة، وأفقتُ من العلة، وتوفيا، فدخلتُ قبريهما، فجعلتُ أضربُ أستاههما باللِّبْن.

في تذكرة ابن مكتوم عن كتاب الفصوص لصاعد اللغويِّ، قال: حدثني أبو الحسن الأزديّ بالبصرة، قال: حدثنا ابن دُريد عن الأثرم، قال: حضرتُ الفضل بن

الربيع وعنده أبو عُبَيدة، والأحمر، فسألهما الفضل عن الخبر المرويِّ عن عمر[1] أنَّه قال لأبي محذورة: أما خشيت أن تنشق مُرَيطاؤك؟

أمقصور هو أم ممدود؟ فقال أبو عُبَيدة: ممدود. وقال الأحمر: مقصور. واحتجَّ، فسكتَ أبو عُبَيدة، فدخل الأصمعيّ، فسأله الفضل، فقال: بالمدّ. فقال الأحمر: لا. فقال الأصمعيّ: بلى. ولم يزل يحتجّ عليه حتى نهره الأصمعيّ.

قال صاعد: قول الأصمعيّ وأبي عُبَيدة خير من قول الأحمر؛ لأنَّ "فُعيلاء" في الكلام أكثر من "فُعيلى" لأنَّ المقصور قليل في الكلام كـ"الهُوَينا" و"القُصيرى" و"الثُّريّا"، والممدود كثير كـ"العبيراء" و"العزيراء" و"الشُّويهاء" و"المزيراء" و"والوعيداء" و"الرجيلاء" وما أشبه ذلك، ولأنَّ يحمل الكلام على ما كثرت نظائره خيرٌ من أن يحملَ على ما قلَّ ولم يتسعْ.

قال ياقوت: حدث ابن نصر، قال: حدثني الشيخ أبو القاسم بن بَرْهان النحويّ قال: قال لنا أبو الحسن السمسميّ وقد سأله رجلٌ مسألة من مسائل النوكى: حضر مجلس أبي عُبَيدة رجلٌ، فقال: رحمك الله أبا عُبَيدة، ما "العُنجيد"؟ قال: رحمك الله، ما أعرف هذا. قال: سبحان الله - أيْشٍ يذهب بك عن قول الأعشى:

يوم تُبدي لنا قتيلةُ عن جيد تليع تزينه الأطواقُ

فقال: عافاك الله، "عن" حرف جاء لمعنى، و"الجِيد" العنق. ثم قام آخر في المجلس، فقال: أبا عُبَيدة، رحمك الله، ما "الأودع"؟ قال: عافاك الله، ما أعرفه. قال: سبحانَ الله! أين أنتَ عن قول العرب: "زاحم بعود أو دع" فقال: ويحك، هاتان كلمتان، والمعنى: أو اتركْ أو ذرّ. فقام رجلٌ، فقال: رحمك الله، أخبرْنا عن "كوفا" أمنَ المهاجرين أم الأنصار؟ قال: قد رويت أنساب الجميع وأسماءهم، ولستُ أعرف منهم "كوفا". قال: فأينَ أنتَ عن قوله تعالى: ﴿والهَديَ معكوفا﴾ [سورة الفتح، الآية: ٢٥] فأخذ أبو عُبَيدة نعليه، واشتدَّ ساعيا يصيح بأعلى صوته: من أين حُشِرتْ البهائم عليَّ اليوم؟

(١) انظر لسان العرب: (مرط).

[٨٤]*

العَسكريّ أبو أحمد

الحسن بن عبدالله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم اللغويّ العلاّمة.

كان أحد الأئمة في الأدب، وهو صاحب أخبار ونوادر، وله رواية متسعة، وتصانيف مفيدة، منها كتاب التصحيف، وراحة الأرواح، والحِكَم والأمثال، وتصحيح الوجوه والنظائر، والزواجر والمواعظ، وصناعة الشعر، والمؤتلف والمختلف.

مولده يوم الخميس لستّ عشرة ليلة من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وسمع ببغداد والبصرة وأصبهان وغيرها من شيوخٍ، منهم: أبو داود السجستانيّ، وأبو القاسم البغويّ، وابن جرير، وابن دُريد، ونفطويه، وعبدان الأهوازيّ. وبالغ في الكتابة، وعَلَتْ سِنّه، واشتُهِر في الآفاق بالدين والدراية والتحديث والإتقان، وانتهت إليه رياسة التحديث والإملاء للآداب، والتدريس بقطر خَوزستان، ورحل إليه الأجِلاء للأخذ عنه والقراءة عليه.

وروى عنه الحافظ أبو القاسم الأصبهانيّ، والحافظ أبو محمد خلف بن محمد بن علي الواسطيّ، والحافظ أبو حاتم محمد بن عبد الواحد الرازيّ المعروف بـ"اللبَّان"، وأبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن البصريّ المعروف بـ"النعيميّ" وأبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقرئ الأهوازيّ، وأبو سعد أحمد بن محمد بن عبدالله بن الخليل الماليني، وأبو الحسين محمد بن الحسن بن أحمد الأهوازيّ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الوادعيّ، وعبد الواحد بن أحمد بن محمد الباطرقانيّ، وأبو الحسين

---

[*] انظر ترجمته في: الأنساب: ٤/١٩٣. معجم الأدباء: ٢/٩١١-٩١٨. إنباه الرّواة: ١/٣٤٥-٣٤٧. وفيات الأعيان: ٢/٨٣-٨٥. إشارة التعيين: ٩٥. تاريخ الإسلام: (وفيات ٣٨١-٤٠٠): ٤٩-٥١. دول الإسلام: ١/٢٣٣. سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٤١٣-٤١٥. العبر: ٢/١٦١. الوافي: ١٢/٤٩-٥٠. مرآة الجنان: ٢/٣١٢-٣١٣. البلغة: ٦٢. لسان الميزان: ٢/٢١٧. البغية: ١/٥٠٦. شذرات الذهب: ٣/٢٢٥. روضات الجنات: ٣/ ٦٠-٦٣.

أحمد بن محمد بن زنجويه الأصبهانيّ، وخلائق.

مات يوم الجمعة لسبعٍ خلونَ من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، ورثاه الصاحب بن عبّاد بقوله:

قالوا مضى الشيخُ أبو أحمد وقد رثوه بضروبِ النُّدَبْ
فقلتُ ما ذا فقدُ شيخٍ مضى لكنه فقدُ فنون الأدبْ

ذكر ذلك كلَّه الحافظ السلفيّ، ونقله من خطِّ التاج بن مكتوم في تذكرته، ونقلتُه أنا منها.

وذكر أبو نعيم في تاريخ أصبهان أنَّه توفي في صفر سنة ثلاث وثمانين.

وقال ياقوت: قيل إنَّه توفي سنة سبعٍ وثمانين.

قال الحميديّ: أنشدني عثمان بن أبي بكر بن حمدون بالأندلس، قال: أنشدني عبدالله بن محمد بكازرون، قال: أنشدنا أبو أحمد العسكريّ النحويّ لأبي عبدالله المفجع:

إذا عدوّك يوماً سما إلى حالة لم تطق بغضها
فقَبِّلْ يديه ولا تأنفن إذا لم تكن تستطع عضَّها

أخرجه ابن عساكر في تاريخه[٢] عن أبي الحسن سعد الخير بن محمد عن محمد بن أبي نصر الحميديّ.

---

(١) تاريخ أصبهان: ١/٢٧٢.
(٢) تاريخ دمشق: ٣٨/٣٢١.

[٨٥]*

العسكريّ أبو هلال

الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران.

قال ياقوت: كان موصوفاً بالعلم والفقه، والغالب عليه الأدب والشعر، وكان يتبزَّزُ احترازاً من الطمع والدناءة والتبذُّل.

روى عنه أبو سعد السمّان الحافظ، وأبو الغنائم بن حمّاد المقرئ، وأخذ هو عن أبي أحمد العسكريّ ووافقه في اسمه واسم أبيه ونسبه، وقيل أنَّه ابن أخته.

ومن تصانيفه: كتاب الصناعتين: النظم والنثر. التلخيص في اللغة. جمهرة الأمثال. معاني الأدب. شرح الحماسة. الأوائل. من احتكم من الخلفاء إلى القضاة. التبصرة. تفسير القرآن، يسمَّى المحاسن. الدرهم والدينار. العمدة. فضل العطاء على العُسر. ما تلحن فيه الخاصة. أعلام المعاني في معاني الشعر. الفرق بين المعاني. نوادر الواحد والجمع. ديوان شعره. وله قصيدة يفضّل فيها الشتاء على غيره من الفصول.

قال ياقوت: وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء غير أني وجدتُ في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة.

وذكره الباخرزيّ في كتاب دُمية القصر في شعراء العصر.

ومن شعره:

---

[*] انظر ترجمته في: دمية القصر: ١/٥٠٦-٥١١. معجم الأدباء: ٢/٩١٨-٩٢٢. إشارة التعيين: ٩٦. الوافي: ١٢/٥٠-٥٨. البلغة: ٦٢-٦٣. البغية: ١/٥٠٦-٥٠٧. طبقات المفسّرين (السيوطي): ٣٣. طبقات المفسرين (الداودي): ١/١٣٨-١٣٩. طبقات المفسّرين (الأدنه وي): ٩٦.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية.
- التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكريّ.

جلوسيَ في سوقٍ أبيعُ وأشتري ... دليلٌ على أنَّ الأنام قرودُ
ولا خيرَ في قومٍ تذلُّ كرامهم ... ويعظم فيهم نذلهم ويسودُ
ويهجوهم عني رثاثة ملبسي ... هجاءً قبيحاً ما عليه مزيدُ

وله:

إذا كان مالي مالَ من يلقط العجم ... وحالي فيكم حال من حاك أو حجمْ
فأين انتفاعي بالأصالة والحجى ... وما ربحت كفّي على العلم والحِكَمْ
ومن ذا الذي في الدهر يبصر حالتي ... فلا يلعن القرطاسَ والحبر والقلمْ

وله:

شوقي إليك وإن نأيت شديدُ ... شوق عليٌ به الإله شهيدُ
طوبى لمن أمسى يراك بعينه ... وتراه عينك إنّه لسعيدُ

وله:

لا يغرَنَّكم علوُّ لئيمٍ ... فعلوّ لا يستحقّ سِفالُ
فارتفاع الغريق فيه فضوح ... وعلوّ المصلوب فيه نكالُ

وله:

ما بالُ نفسك لا تهوى سلامتها ... وأنتَ في عرض الدنيا ترغبها
دار إذا جاءت الآمال تعمرها ... جاءت مقدمة الآجال تخربها
أراك تطلب دنيا لستَ تدركها ... فكيف تدرك أخرى لستَ تطلبها

وله:

بركوب المقبِّحات جهاراً ... يفسد الجاه والمروءة تخربْ
فاجعل الجدّ بالنهار شعاراً ... والْهُ بالليل ما بدا لك والعبْ
كم تسربلت من رداء ظلام ... ضحك اللهو منه إذ هو قطّبْ
ورأيت الهموم بالليل أدهى ... وكذاك السرور بالليل أعذبْ

وله:

عليـنا مــحــاذاة المرامي ســـهــامنا   وليس علينا أن نصــيب ولا نخطي

وله:

قـــد تــعـــاطاك شـــبـــابٌ   وتـغـــشّـــاك مـــشـــيبُ

فـــأتـى مـــا لـيس يمضـي   ومـــضـى مـــا لا يـؤوبُ

فـــتـــأهّبْ لســـقـــامٍ   ليس يـشـــفـــيـــه طبـــيبُ

لا تــوهَّـمـــه بـعـــيـــداً   إنَّـمـــا الآتـي قـــريـبُ

وقال أبو هلال العسكريّ في تفضيل الشتاء على سائر الأزمنة:

فـتـرتْ صـبـوتي وأقـصـر شـجـوي   وأتـاني الســـرور من كلِّ نـحـــوِ

إنَّ رَوْحَ الشـــتـــاء خلَّص روحي   من حـــرورٍ تشـــوي وتـكـوي

برد الماءُ والهـــواء كـــأنْ قـــد   سُـرِق البـــردُ من جـــوانح خِلوِ

ريحُـه تلمسُ الصـدورَ فـتـشـفي   وغــمــامــاته تـصــوبُ فــتــروي

لست أنسـى منه دمـــاثة دَجنٍ   ثم من بعـــده نضـــارة صـــحـــوِ

وجنوبا تبـــشِّـــرُ الأرضَ بالقطـ   ـر كـــمـــا بشَّـــر العليلُ بِبَـــروِ

وغــيـــومـــاً مطرزاتِ الحـــواشي   بومـــيضٍ من البـــروقِ وخـــفـــوِ

كلمـــا أرخـتِ الســـمـــاءُ عـــراها   جـــمـع القطر بين ســـفلٍ وعلوِ

وهي تعطيك حين هبَّت شــمـــالاً   بردَ مـــاءٍ فـــيـــهـــا ورقّـــة جـــوٍّ

وترى الأرضَ في مـــــلاءة ثلـجٍ   مـــثلِ ريطٍ لبـــســـتـــه فـــوقَ فـــروِ

واســـتـعـــار العـــرارُ منها لبـاسـاً   ســـوف يدنى من الرياح بنضـــوِ

فكأنَّ الكافـــورَ مـــوضـع تربٍ   وكـــأنَّ الجـــمـــانَ مـــوضـع قَـــروِ

ولـيــــالٍ أطلـنَ مــــدة درسـي   مثلمـا قـد مددنَ في عـمـر لـهـوي

مَـرَّ لي بعـضُـهـا بفـقـهٍ وبعضٌ   بين شـــعـــرٍ أخـــذتُ فـــيـــه ونحـــوِ

وحـــديثٍ كــأنَّه عـــقـــد ريا ... بِتُّ أرويـه للرجـــالِ وتـروي
في حـديث الرجـال روضـة أنسٍ ... بـات يُرعى بـأهلِ نُبْلٍ وسَـرو

قال ياقوت: ولبعضهم:

وأحـسنُ مـا قـرأتُ على كـتـابٍ ... بـخـطِّ العـسكريِّ أبي هـلالِ
فلو أني جـعلتُ أمـيـر جـيشٍ ... لما قـاتلتُ إلا بـالسـؤالِ
فـإنَّ الناسَ ينهـزمـون منه ... وقـد ثبـتـوا لأطرافِ المعـالي

[٨٦]*

العبديّ

أبو طالب أحمد بن بكر بن بقية النحويّ أحد الأئمة النحاة المشهورين.

قال ابن النجّار، وقال ياقوت: كان نحويًا لغوياً قيّماً بالقياس، قرأ على أبي سعيد السيرافيّ، والرُّمّانيّ، والفارسيّ، وسمع أبا عمر الزاهد، ودَعلَج السجزيّ، وأبا بكر بن شاذان، وأبا عمر محمد بن العباس بن حيويه، وأبا طاهر المخلص. روى عنه القاضي أبو الطيب الطبريّ، وأبو الفضل محمد بن عبد العزيز المهدي الخطيب، وأبو الحسين محمد محمد علي الوراق.

وله من التصانيف شرح الإيضاح. شرح مختصر الجَرميّ.

قال ياقوت: يُذكَر أنَّه أصيبَ عقله واختلَّ في آخر عمره، مات يوم السبت لعشرٍ بقين من رمضان سنة ستٍّ وأربعمائة في خلافة القادر.

[*] انظر ترجمته في: تاريخ العلماء النحويّين: ٢٣. نزهة الألباء: ٢٤٦-٢٤٧. معجم الأدباء: ١/٢٠٤-٢٠٥. إنباه الرواة: ٢/٣٨٦-٣٨٨، وفيه أنه عاش إلى قريب سنة عشرين وأربعمئة. إشارة التعيين: ٢٦. تاريخ الإسلام: (وفيات ٤٠١-٤١٠): ١٣٧-١٣٨. الوافي: ٦/١٦٦. لسان الميزان: ١/١٤١. البغية: ١/٢٩٨. ديوان الإسلام: ٣/٣١٥.

قال ياقوت: لم أجد له خبراً فأحكيه إلا ما حكى هو عن نفسه في كتاب شرح الإيضاح أنّه تكلّمَ مع أبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافيّ، قال العبديّ: وكان ابنُ السيرافيّ مكيناً في هذا الشأن على شهرته عند الناس في اللغة في ياء "تفعلين" فقال: هي علامة التأنيث والفاعل مضمر. فقلتُ له: لو كان بمنزلة التاء في "ضربت" علامة للتأنيث فقط لثبتت مع ضمير الاثنين، فاعلمْ أنَّ فيها مع دلالتها على التأنيث معنى الفاعل، فلما صار للاثنين بطل ضمير الواحد الذي هو الياء، وجاءت الألف وحدَها. فقال: هذا إذن، زبيل الحوالج كذا وكذا. وانقطع الوقت بالضحك من ابنِ شيخنا في قلّة تصرّفه.

[٨٧]*

ابن عطية

قال أبو الخطّاب بن دحية في كتاب المطرب من أشعار أهل المغرب(١): أنشدني الشيخ الفقيه الأجلّ إمام النحويين قاضي قضاة المغرب بقية أعلام مشيخة الأندلس أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخميّ، قال: أنشدني الفقيه الإمام المفسِّر النحويّ الأصوليّ القاضي بمدينة المَرِية أبو محمد عبد الحقّ ابن الإمام أبي بكر غالب

[*] انظر ترجمته في: الصلّة: ٣٨٦/٢. الخريدة (قسم الأندلس): ٥٢٩/٢-٥٤٠. قلائد العقيان: ٦٥٥/٣-٦٧٣. بغية الملتمس: ٣٨٩-٣٩١. المغرب: ١١٧/٢-١١٨. إشارة التعيين: ١٧٦-١٧٧. تاريخ الإسلام: (وفيات ٥٤١-٥٥٠): ٧٣-٧٤. سير أعلام النبلاء: ٧٦/٢٠. فوات الوفيات: ٦٠٦/١. الوافي: ٤٠/١٨-٤١. الإحاطة: ٤١٢/٣-٤١٤. الديباج المذهب: ٥٧/٢-٥٩. البغية: ٧٣/٢-٧٤. طبقات المفسّرين (الداودي): ٢٦٥/١-٢٦٧. طبقات المفسّرين: (الأدنه وي): ١٧٥-١٧٧. شجرة النور: ١٢٩/١.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- الدراسات النحوية في تفسير ابن عطية.

بن عبد الرحمن بن عطية المحاربيّ يمدح الملثمين ملوك الغرب المتقدّمين:

إذا لثَّموا بالربط خلتَ وجوههم ... أزاهر تبدو من فتوق كمائم

وإن لثَّموا بالسابريّة أظهروا ... عيون الأفاعي من جلود الأراقم

ولابن عطية عزاه إليه البدر النابلسيّ في التذييل.

داء الزمان وأهله ... داء يعزّ له العلاجْ

أطلعت في ظلمائه ... وداً كما سطع السراجْ

لمعاشر أعيا ثقا ... في من قناتهم اعوجاجْ

كالدّرّ ما لم تختبر ... فإذا اختبرت فهم زجاجْ

وأورده أيضا له، كما رواه عنه أبو الربيع بن سالم.

قالوا: صف الموتَ يا هذا وشدّته ... فقلتُ وامتدَّ مني عندها الصوتُ

بلغتكم فيه أنَّ الناس إن وصفوا ... أمراً يروّعهم قالوا: هو الموتُ

[٨٨]*

ابن عصفور

أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرميّ الإشبيليّ حامل لواء

[*] انظرترجمته في: الذيل والتكملة: (السّفر الخامس): ٤١٣/١. صلة الصّلة: ١٤٢-١٤٣. إشارة التعيين: ٢٣٦-٢٣٧. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٦١-٦٧٠): ٢٨٨-٢٩١. دول الإسلام: ١٧٢/٢. فوات الوفيات: ١٥٨/٢-١٥٩. الوافي: ١٦٥/٢٢-١٦٦. البلغة: ١٦٩-١٧٠. الدليل الشافي: ٤٨٦/١-٤٨٧. البغية: ٢١٠/٢. مفتاح السعادة: ١٣٥/١. شذرات الذهب: ٤٧٢/٥-٤٧٣. ديوان الإسلام: ٣٤٩/٣. روضات الجنات: ٢٨٣/٥-٢٨٤. شجرة النور: ١٩٧/١، وقد صحّف اسمه فسمّاهُ عليّ بن موسى.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- ابن عصفور والتصريف.

العربيّة بالأندلس.

أخذ عن أبي الحسن الدبّاج، وأبي علي الشلوبين، وتصدّر للأشغال مدة.

قال ابن الزبير: لم يكن عنده ما يؤخذ عنه سوى العربيّة، ولا تأهّل لغير ذلك.

قال الذهبيّ: ولا تعلّق له بعلم القراءات، ولا الفقه، ولا الحديث، وكان يخدم الأميرَ أبا عبدالله محمد الهنتاني صاحب تونس، ولم يكن بذاك الورع، ذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية أنّه لم يزل يرجم بالنارنج في مجلس شراب إلى أن مات.

ومن تصانيفه: الشرح الكبير على الجُمَل. والشرح الصغير عليه. والممتع في التصريف. والمقرّب، يقال إنّ حدوده مأخوذة من الجزوليّة، وزاد فيها على ما أورد على الجزوليّة، وهو نسختان. وله شرح المقرّب. وشرح الجزوليّة. وكتاب المفتاح. وكتاب الهلال. وكتاب الأزهار. وكتاب إنارة الدياجي. وكتاب البديع. ومختصر الغرّة. ومختصر المحتَسَب. ومفاخرة السالف والعذار. وشرح الحماسة. وشرح الأشعار الستة. وشرح ديوان المتنبي. وسرقات الشعراء. وغير ذلك.

ومن شعره:

لما تدنّستُ بالتفريط في كِبَري … وصرتُ مُغرى بشرب الراحِ واللعسِ
رأيتُ أنّ خضاب الشيب أستر لي … إنّ البياض قليل الحمل للدنسِ

في تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم: قال الشيخ أبو محمد إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري نزيل الخليل في المقرّب لابن عصفور:

ودونكم هذا المقرّب إنّه … يقرّب نحو العرْب في أحسن السمتِ
فينحو بحسن البسط شيخ زمخشر … ويلغز أحيانا كما ابن سبختِ
وإن تقتصد إظهار أسراره فلُذْ … بأمثلة قد أوضحته بلا أمتِ

[٨٩][*]

الفرّاء

أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن مروان - وقيل: ابن منصور - الديلميَّ إمام العربيّة مولى بني عبس من أهل الكوفة.

قال الخطيب: نزل بغداد، وأملى بها كُتبه في معاني القرآن وعلومه، وحدَّث عن قيس بن الربيع، ومندل بن علي، وخازم بن الحسين البصريّ، وعلي بن حمزة الكسائيّ، وأبي الأحوص سلاّم بن سليم، وأبي بكر بن عياش، وسفيان بن عُيينة. روى عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمّريّ، وغيرهما. وكان ثقةً إماماً.

ثم أخرج عن أبي بُدَيل الوضاحيّ، قال: أمر أمير المؤمنين المأمون الفرّاء أن يؤلّفَ ما تُجمَعُ به أصول النحو، وما سُمِعَ من العرب، وأمر أن يُفرَدَ في حجرة من حُجَر الدار، ووكّل به جواريَ وخدَماً يقمن بما يحتاج إليه حتى لا يتعلّق قلبه، ولا تتشوّف نفسه إلى شيء حتى إنّهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة، وصيَّر له الورّاقين، وألزمه الأمناء والمنفقين، فكان يملي والورّاقون يكتبون حتى صنّف "الحدود" في سنتين، وأمر المأمون بكَتبه في الخزائن، وبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس، وابتدأ يملي كتاب المعاني،وكان ورّاقيه أبو سلمة، وأبو نصر. قال: فأردنا أن نعدُّ الناس الذين اجتمعوا

---

[*] انظر ترجمته في المعارف: ٥٤٥. مراتب النحويّين: ١٣٩-١٤١. الثّقات: ٢٩٦/٩. طبقات النحويين واللغويين: ١٣١-١٣٢. الفهرست: ١٠٥-١٠٦. نور القبس: ٣٠١. تاريخ بغداد: ١٥٤/١٤-١٥٩. الأنساب: ٣٥٢/٤. نزهة الألباء: ٨١-٨٤. المنتظم: ١٧٧/١٠-١٨٠. معجم الأدباء: ٢٨١٢/٦-٢٨١٥. إنباه الرواة: ٦/٤-٢٣. وفيات الأعيان: ١٧٦/٦-١٨٢. إشارة التعيين: ٣٧٩. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٠١-٢١٠): ٢٩٣-٢٩٥. تذكرة الحفاظ: ٣٧٢/١. دول الإسلام: ١٢٨/١. العبر: ٢٧٨/١. مسالك الأبصار: ٩٠/٧-٩١. طبقات علماء الحديث: ٥٣٤/١-٥٣٥. البلغة: ٢٨٠-٢٨١. غاية النهاية: ٣٧١/٢-٣٧٢. البغية: ٣٣٣/٢. طبقات المفسّرين (الداوي): ٣٦٧/٢-٣٦٨. مفتاح السعادة: ١٦٦/١-١٦٧. شذرات الذهب: ٩٨/٢-٩٩. طبقات المفسّرين (الأدنه وي): ٢٨-٢٩. ديوان الإسلام: ٤٢٥/٣.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النّحو واللغة.

لإملاء كتاب المعاني، فلم تُضبَط. قال: فعددنا القضاة، فكانوا ثمانين قاضياً، فلم يزل يمليه حتى أتمَّه. وله كتابان في المشكل، أحدهما أكبر من الآخر.

قال: فلما فرغ من إملاء المعاني خزنه الورّاقون عن الناس؛ ليكسبوا به، وقالوا: لا نخرجه إلى أحد إلا إلى من أراد أن ننسخه له على خمس أوراقٍ بدرهمٍ. فشكا الناسُ ذلك إلى الفرَّاء. فدعا الورَّاقين، فقال لهم في ذلك، فقالوا: إنَّما صحبناك لننتفع بك، وكلّ ما صنَّفته فليس للناس به من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب، فدَعْنا نعِشْ به. قال: فقاربوهم تنتفعوا وينتفعوا. فأبوا عليه. فقال: سأريكم. وقال للناس: إني مُملٍ كتابَ معانٍ أتمُّ شرحاً وأبسطَ قولاً من الذي أمليت. فجلس يملي، فأملى "الحمدَ" في مائة ورقة، فجاء الورّاقون إليه، فقالوا: نحنُ نبلغ الناسَ ما يحبّون. فنسخوا كلَّ عشر أوراقٍ بدرهمٍ.

قال: وكان المأمون قد وكّل الفرَّاء يُلَقّن ابنيه النحو، فلما كان يوماً أراد الفرَّاء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفرَّاء يقدمانه له، فتنازعا أيّهما يقدمه؟ ثم اصطلحا على أن يقدّم كلّ واحد منهما فَرداً، فقدّماها، وكان المأمون له على كلِّ شيءٍ صاحب، فرفع ذلك إليه في الخبر، فوجَّه إلى الفرَّاء، فاستدعاه، فلما دخل عليه، قال له: من أعزُّ الناس؟ قال: لا أعرف أعزُّ من أمير المؤمنين. قال: بلى، مَن إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليّا عهد المسلمين حتى رضيَ كلّ واحدٍ أن يقدّم له فَرداً. قال: يا أميرَ المؤمنين، لقد أردت منعهما عن ذلك، ولكن خشيتُ أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرَصا عليها، وقد يُروى عن ابن عبّاس أنُّه أمسك للحسن والحسين ركابيهما حين خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر: أتمسِكُ لهذين الحدَثين ركابيهما وأنتَ أسنُّ منهما؟ فقال له: اسكتْ يا جاهل، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل. قال المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتكَ لوماً وعَتباً، وألزمتُكَ ذنباً، وما وضعَ ما فعلاه من شرفهما بل رفع من قدرهما، وبيَّن عن جوهرهما، ولقد ثبتت لي مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاثٍ: عن

تواضعه لسلطانه ووالده ومعلّمه العلمَ، وقد عوضتُهما مما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف دينار على حُسن أدبك لهما.

ثم أخرج من طريق ثعلب عن أبي نجدة، قال: لما تصدّى أبو زكريا للاتصال بالمأمون كان يتردّد إلى الباب، فلما كان ذات يومٍ جاء ثُمامة، قال: فرأيتُ أُبهة أدبٍ، فجلستُ إليه، ففاتشته عن اللغة، فوجدته بحراً، وفاتشته عن النحو، فشاهدتُ نسيج وحدِه، وعن الفقه، فوجدت رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم، وبالنجوم ماهراً، وبالطبِّ خبيراً، وبأيام العرب وبأشعارها حاذقاً، فقلتُ: من تكون وما أُظنّكَ إلا الفرّاء؟ قال: أنا هو. فدخلتُ، فأعلمتُ المأمون، فأمر بإحضاره لوقته، وكان سبب اتصاله به.

وأخرج من طريق أبي بكر بن الأنباريّ، قال: حدثني أبي، قال: سمعتُ إسماعيل بن إسحاق يقول: ما أحد برع في علم الأدلة على غيره من العلوم. قال بشر المريسيّ للفرّاء: يا أبا زكريا، أريد أن أسألك عن مسألة من الفقه. فقال: سلْ. فقال: ما تقول في رجلٍ سها في سجدتي السهو؟ قال: لا شيء عليه. قال: من أين قلتَ؟ قال: قِسته على مذاهبنا في العربيّة؛ وذلك أنَّ المصَغَّرَ عندنا لا يُصَغَّر، فكذلك لا يُلتفت إلى السهو في السهو. فسكت بشر.

وحُكي أنَّ محمدَ بنَ الحسن سأل عن هذه المسألة لا بشر.

ثم أخرج عن عبدالله بن الوليد صعوداً، قال: كان محمد بن الحسن الفقيه ابنَ خالة الفرّاء، وكان الفرّاء يوماً عنده جالساً، فقال الفرّاء: قَلَّ رجلٌ أنعمَ النظر في باب من العلم فأراد غيره إلا سهل عليه. فقال له محمد: يا أبا زكريا، فأنتَ الآنَ قد أنعمتَ النظر في العربيّة، فنسألك عن باب من الفقه. قال: هات على بركة الله. قال: ما تقول في رجلٍ صلّى فسها فسجد سجدتي السهو، فسها فيهما؟ ففكّر الفرّاء ساعةً، ثم قال: لا شيء عليه. قال له محمد: ولِمَ؟ قال: لأنَّ التصغير عندنا لا تصغيرَ له، وإنّما السجدتان تمام الصلاة، فليس للتمام تمام. فقال محمد بن الحسن: ما ظننتُ آدمياً يلد مثلك.

وأخرج عن أبي بكر بن الأنباريّ، قال: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائيّ والفرَّاء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس؛ إذ انتهت العلوم إليهما، وكان يُقال: النحوُ الفرَّاءُ، والفرَّاء أمير المؤمنين في النحو.

وأخرج عن هناد بن السريّ، قال: كان الفرَّاء يطوف معنا على الشيوخ، فما رأيناه أثبتَ سوداء في بيضاء قط، لكنّه كان إذا مرَّ حديث فيه شيء من التفسير أو متعلّق بشيء من اللغة، قال للشيخ: أعدْه عليَّ. وظننا أنَّ كان يحفظ ما يحتاج إليه.

وأخرج من طريق أبي بكر بن مجاهد، قال: قال لي محمد بن الجهم: كان الفرَّاء يخرج إلينا وقد لبس ثيابه في المسجد الذي في خندق عيوبه وعلى رأسه قلنسوة كبيرة، فيجلس، فيقرأ أبو طلحة الناقط عشراً من القرآن، ثم يقول له: أمسِك. فيملي من حفظه المجلسَ، ثم يجيء سلمة بعد أن ننصرف نحن، فيأخذ كتاب بعضِنا، فيقرأ عليه، ويغيِّرُ ويزيد وينقص، فمن ههنا وقع الاختلاف بين النسختين.

قال ابن مجاهد: وسمعتُ ابنَ الجهم يقول: ما رأيتُ مع الفرَّاء كتاباً قط إلا كتاب "يافع ويَفَعة".

وقال ابن مجاهد: قال لنا ثعلب: لما مات الفرَّاء لم يوجد له إلا رؤوس أسقاط، فيها مسائل تذكّر وأبيات شعر.

وأخرج من طريق أبي بكر محمد بن قاسم الأنباريّ، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحويّ، قال: حدثنا سلمة، قال: أملَّ الفرَّاء كُتبه كلّها حفظاً لم يأخذ بيده نسخةً إلا في كتابين: "كتاب ملازم" و"كتاب يافع ويَفَعة". قال أبو بكر بن الأنباريّ: ومقدار الكتابين خمسون ورقة، ومقدار كُتب الفرَّاء ثلاثة آلاف ورقة.

وأخرج من طريق الصوليّ، قال: قلتُ للكسائيّ: الفرَّاء أعلمُ أم الأحمر؟ فقال: الأحمر أكثر حفظاً، والفرَّاء أحسن عقلاً وأبعد فِكراً وأعلم بما يخرج من رأسه.

وأخرج من طريق أبي بكر بن الأنباريّ، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حدثنا سلمة، قال: خرجتُ من منزلي، فرأيتُ أبا عمر الجَرميّ واقفاً على بابي،

فقال لي: يا أبا محمد، امضِ بي إلى فرّائكم هذا. فقلتُ له: امضِ. فانتهينا إلى الفرّاء وهو جالس على بابه يخاطب قوما من أصحابه في النحو، فلما عزم على النهوض، قلتُ له: يا أبا زكريا، هذا أبو عمر صاحبُ البصريين يحبُّ أن تكلّمه في شيء. فقال: نعمْ، ما يقول أصحابك في كذا وكذا؟ قال: كذا وكذا. قال: يلزمهم كذا وكذا، ويفسد هذا من جهة كذا وكذا. قال: فألقى عليه مسائلَ وعرّفه الإلزامات فيها، فنهض وهو يقول: يا أبا محمد، ما هذا الرجل إلا شيطان. فكرّر ذلك مرتين أو ثلاثا.

قال الخطيب: بلغني أنّ الفرّاء مات ببغداد في سنة سبعٍ ومائتين وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة.

ثم أخرج من طريق أبي عيسى بن زهير التغلبيّ، قال: أنشدنا محمد بن الجهم السمّريّ يمدح الفرّاء:

يا طالبَ النحو التمسْ علم ما ... ألّفه الفرّاءُ في نحوِهِ
أفاد من يأتيه ما لم يكن ... يعلم من قبلُ ولم يحوِهِ
ستين حداً قاسها عالماً ... أملّها بالحفظ من شدوِهِ
على كلام العرب المنتقى ... من كلّ منسوبٍ إلى بَدوِهِ
سوى لغات ومعانٍ لقد ... أرشده الله ولم يُغوِهِ
وجمع ما احتيجَ إلى جمعه ... والوقف في القرآن أو بَدوِهِ
ومصدر الفعل وتصريفه ... في كلِّ فنٍّ جاء من نشوِهِ
إلى حروفٍ طُرَفٍ أُثبِتت ... في أول الباب وفي حشوِهِ
وصنّف المقصور والمدَّ والتـ ... ـحويلَ في الخاطئين أو شلوه
أو مثل بادي الرأي في قولهم ... يخطف البرق لدى ضوِّهِ
وفي البَهي الكلم المرتضى ... من حسنه والنهي عن سوِّهِ
رام سواه فانثنى خائبا ... وأخطأ المعنى ولم يُشَوِّهِ
فرحمة الله على شيخنا ... يحيى مع الأبرار في علوِهِ

كافاه الرحمن عنا كما ... أروى الصديُّ بالسيب من نوّه
فاصطفِ ما أملاه من علمه ... وصُنْه واستمسك به وارْوِه
وقولُ سيبويه وأصحابه ... وقطرب مشتبهٌ فازوِه
عنك وما أملى هشام وما ... صنَّفه الأحمر في زَهوِه
أو قاسم مولى بني مالك ... من المعاني قاسِمٌ عن عزوِه
فليس من يغلط فيما روى ... كحافظ يؤمَن من سهوِه
ولا ذوو ضحلٍ إذا ما اجتهدوا ... كالبحر إذ يُغرق عن رَهوِه
ولا وضيع القوم مثل الذي ... يحتلّ بالأشراف من سروِه

قال الخطيب: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، حدثنا أبو العباس عبدالله بن عبد الرحمن بن أحمد بن حمّاد السُّكّريّ إملاءً في سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة، قال: حدثنا محمد بن الجهم السمّريّ حدثنا يحيى بن زياد الفرّاء، قال: حدثني خازم بن حسين البصريّ عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك، قال: قرأ النبي (ﷺ) وأبو بكر وعمر وعثمان ﴿مالك يوم الدِّيْن﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٤] بالألف.

هذا آخر ما أورده الخطيب.

وقال ابنُ الأنباريّ: كان الفرّاء أبرعَ الكوفيين وأعلمَهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، حُكي عن ثعلب أنّه قال: لولا الفرّاء لما كانت اللغة؛ لأنّه حفظها وضبطها، ولولا الفرّاء لسقطتِ العربية؛ لأنّها كانت تُتنازَع ويدّعيها كلُّ من أراد، ويُتَكَلّم فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم، فتذهب. وأخذ النحو عن الكسائيّ، وهو والأحمر من أكبر أصحابه.

وقال غيره: قال قطرب: دخل الفرّاء على الرشيد، فتكلّم بكلام لَحَن فيه مرّاتٍ، فقال جعفر بن يحيى: إنّه قد لحن يا أميرَ المؤمنين. فقال الفرّاء: يا أمير المؤمنين، إنّ طِباع البَدوِ الإعرابُ، وطِباعَ الحَضَرِ اللحنُ فإذا تحفّظتُ لم ألحنْ وإذا رجعتُ إلى

الطبع لحنتُ. فأعجبَ الرشيد ذلك.

وكان الفرّاء يميل إلى الاعتزال، وحكى سلمة بن عاصم عن الفرّاء، قال: كنتُ أنا وبشرُ المريسيّ في بيتٍ واحدٍ عشرين سنة، لم يتعلّم مني شيئاً ولا تعلّمتُ منه شيئاً.

وقال الجاحظ: دخلتُ بغداد حين دخلها المأمون، فكان الفرّاء يجيئني وأشتهي أن يتعلّم شيئا من علم الكلام، فلم يكن له فيه طبع.

وقال ثعلب: كان الفرّاء يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في كلامه ألفاظَ الفلاسفة.

وقال سلمة بن عاصم: إني لأعجبُ من الفرّاء: كيف كان يُعظّم الكسائيّ وهو أعلم منه بالنحو؟

وقال الفرّاء: أموتُ وفي نفسي [شيء] من "حتى" لأنّها تخفض وتنصب وترفع.

وكان الفرّاء شديداً في طلب المعاش لا يستريح في بيته، وكان يجمع طول السنة، فإذا كان في آخرها خرج إلى الكوفة، فأقام فيها أربعين يوماً في أهله يُفرّقُ عليهم ما جمعه ويبرّهم، وكان لا يأكل حتى يمسّه الجوع، وخلّف مالاً كثيراً لابنٍ له شاطرٍ صاحبِ سكاكين، وأبوه زياد هو الأقطع، قُطِعتْ يده في الحرب مع الحسين بن علي، وكان مولى لأبي ثروان، وأبو ثروان مولى بني عبس.

وممن أخذ عنه الفرّاء يونس، وأهل الكوفة يقولون أنّه استكثر عنه، وأهل البصرة يدفعون ذلك. وكان الفرّاء زائد العصبيّة على سيبويه، وقيل أنّه مات وكتاب سيبويه تحتَ رأسه. وقيل أنّه كان يتتبّع خطاه؛ فلذلك كان لا يفارقه. وكان الفرّاء متديناً متورّعاً على تيهٍ وعجَبٍ وتعظُّمٍ.

وله من التصانيف: كتاب معاني القرآن، وكتاب الحدود، كتابان في المشكل كبير وصغير، كتاب البهي فيما تلحن فيه العامة، وكتاب اللغات، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن، وكتاب المصادر في القرآن، وكتاب الوقف والابتداء، وكتاب الفاخر، وكتاب آلة الكُتّاب، وكتاب النوادر، وكتاب الواو، وكتاب يافع ويَفَعة، وكتاب المذكّر والمؤنث، وكتاب

المقصور والممدود، وكتاب فعَلَ وأفعلَ.

قال ابن الأنباريّ: توفي الفرّاء في طريق مكة. وقال سلمة بن عاصم: دخلتُ على الفرّاء في علّته التي مات فيها وقد زال عقله وهو يقول: إن نصباً فنصباً، وإن رفعاً فرفعاً.

ومن شعره، وقيل إنّه لم يقل غيره:

لن تراني لك العيون بباب ... ليس مثلي يطيق ذلّ الحجابِ

يا أميراً على جريبٍ من الأرضِ ... له تسعةٌ من الحُجّابِ

جالساً في الخراب يحجبُ فيه ... ما رأينا أمارة في خرابِ

وأخرج الخطيب عن محمد بن الجهم السمريّ، قال: سمعتُ الفرّاءَ يقول: أدب النفس ثم أدب الدرس.

وفي كتاب الأضداد لابن الأنباريّ[١]: بعضُ أصحابنا يقول: إنّما سُمّيَ الفرّاء فرّاء لأنه كان يُحسن نظم المسائل، فشُبِّه بالخارز الذي يخرز الأديم، وما عُرِفَ ببيع الفِراء ولا شرائها قط. وقال بعضهم: سُمّي فرّاء لقطعه الخصوم، قال زُهير:

ولأنتَ تفري ما خلقتَ وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفري

قال أبو عبدالله محمد بن الجهم: حدثنا أبو أحمد العسكريّ بحديث فيه أنَّ النبي (ﷺ) كان يتحنَّث بغار حراء[٢]. قال أبو عبدالله: فسألتُ ابنَ الأعرابيّ عن التحنُّث، فقال: لا أعرفه. قال: وسألتُ أبا عمرو الشيبانيّ عنه وكان خيِّراً، فقال: لا أعرف "يتحنَّث" وإنّما هو "يتحنَّف" من الحنيفيّة. قال: فسألتُ الفرّاء عنه، ففكّر ساعة ثم قال: يتحنَّث يتجنَّب الحنث. يقال: قد تحنَّث الرجل إذا تجنَّب الحنث، وإذا أتاه أيضاً، كما يقال: قد يأثم إذا أتى المأثم، وإذا تجنَّبه.

(١) الأضداد: ١٥٩.

(٢) في المصدر نفسه: كان يقيم من كل سنة شهراً بحراء، وكان هذا مما تتحنَّث به قريش. انظر: ١٨٠.

وفي طبقات الزبيديّ: قال ثعلب: العرب تخرِج الإعراب على الألفاظ دون المعاني، ولا يفسِدُ الإعرابُ المعنى، فإذا كان الإعراب يُفسِدُ المعنى، فليس من كلام العرب. وإنَّما صحَّ قول الفرَّاء لأنَّه يحمل العربيّة والنحو على كلام العرب، فقال: كلّ مسألة وافق إعرابُها معناها ومعناها إعرابَها فهو الصحيح، وإنَّما لحق سيبويه الغلط لأنَّه يحمل كلام العرب على المعاني، وحكى عن الألفاظ ولم يوجد في كلام العرب ولا في أشعار الفحول إلا ما المعنى فيه مطابق للإعراب والإعراب مطابق للمعنى. قال: وما نقله هشام عن الكسائيّ فلا مطعن فيه، وما قاسه فقد لحقه الغمز لأنَّه سلك بعض سبيل سيبويه، فحمل العربيّة على المعاني، وترك الألفاظ، والفرَّاء يحمل العربيّة على الألفاظ والمعاني، فبرع واستحقَّ التقدمة، وذلك كقولك: "مات زيدٌ" ولو عاملتَ المعنى لقلتَ: "مات زيداً" لأنَّ الله هو الذي أماته، ولكنَّك عاملتَ اللفظَ، فأردتَ "سكنتْ حركاتُ زيدٍ".

وقال ثعلب: صحَّف الفرَّاء في بيت العجّاج:

حتى إذا أشرف في جوفٍ حبا

فقال: في جوفٍ جبا.

قال ثعلب: وأدركنا العلماء يؤدون في العلم أقاويل العلماء، ثم تكون العللُ بعدُ، ثم رأينا الناسَ بعد ذلك يتكلَّمون في العلم بآرائهم، ويقولون: نحن نقول، فيأتون بالكلام على طِباعهم، وبحسب ما يحسن عندهم، وهذا سبب ذهاب العلم وبطلانه.

وقال ثعلب: كان السبب في إملاء الفرَّاء كتابه في القرآن - وهو كتاب لم يُعمَل قبله ولا بعده مثلُه؛ لأنَّه لا يتهيأ لأحدٍ من الناسِ جميعاً أن يزيدَ فيه شيئاً - أنَّ عمر بن بُكير - وكان من أصحابه - كان مع الحسن بن سهل، فكتبَ إليه أنَّ الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني جوابٌ عنها، فإن رأيتَ أن تجمعَ لي أصولاً أو تجعل في ذلك كتاباً نرجع إليه. فقلتُ: فلما قرأ الكتاب، قال لأصحابه: اجتمعوا حتى أملَّ عليكم كتاباً في القرآن. وجعل لهم يوماً، فلما حضروا، خرج إليهم وكان في المسجد رجلٌ يؤذّن فيه، وكان من القرَّاء، فقال له: اقرأ. فبدأ بفاتحة الكتاب،

ففسَّرها، ثم مرَّ في الكتاب كلّه على ذلك: يقرأ الرجل ويفسّر الفرَّاء، وكتابه في القرآن في نحو ألف ورقة.

قال ثعلب: كُتب الفرَّاء لا يُوازى بها كتاب.

وفي معجم ياقوت: حدّث أبو سعيد السكّريّ عن إسماعيل اليزيديّ، قال: كان الفرَّاء يحبُّ الكلام ولم يكن له فيه حظّ، وكان يميل إلى الاعتزال.

قال: وحدَّث سلمة بن عاصم قال: سمعتُ الفرَّاء ما لا أحصي يقول: أنا أرحمُ اثنين: بليداً يطلبُ ولا يدرك، وذكيّاً لا يطلب ولا يتعلّم.

قال: وحدَّث صعود النحويّ، قال: قال الفرَّاء: نعمةُ الله تجهل مقته، وتعرِّف طاعته. قال الصوليّ: وهذا كلام يؤنس معه منه.

قال: وحدَّث سلمة قال: سمعتُ الفرَّاء يقول: سألني طاهر بن الحسين أن أصحبه إلى خزانة يرغب في مثلها، فأبيتُ. قلتُ: ولِمَ؟ قال: لأنَّه يعلّم من كنت ترى أنَّه عالم.

قال: وحدَّث محمد بن الجهم السمريّ أنَّ طاهر بن الحسين أو ابنه عبدالله وقَّع على كتاب "البهي" الذي عمله الفرَّاء:

إنَّ البَهيَّ كتابٌ ليس يفهمه ... إلا المواظب لا المشغول باللعبِ

قال: وقال ثعلب: كان السبب في إملاء الفرَّاء "الحدود" أنَّ جماعة من أصحاب الكسائيّ صاروا إليه، وسألوه أن يملي عليهم أبيات النحو، ففعل، فلما كان المجلس الثالث: قال بعضُهم لبعضٍ: إنْ دام هذا على هذا علَّم النحوَ الصبيان، والوجه أن نقعد عنه. فقعدوا، فغضب وقال: سألوني القعود فلما قعدتُ تأخّروا والله لأملينَّ النحوَ ما اجتمعَ اثنان. فأملى ذلك ستَّ عشرة سنة، ولم يُرَ بيده كتاب إلا مرّة واحدة.

قال: وحدَّث التاريخيّ، قال: كُنا عند محمد بن الجهم نقرأ عليه كتاب معاني القرآن عن الفرَّاء وبين يديه سلّة فيها كُتب الفرَّاء، فقال:

يا حبَّذا ما حوتِ السلّة ... من كتاب القرآن والملّهْ

وعلمـــهـــا أشـــهى إلى عـــالِمٍ — مـن رطبٍ يـجـنـى مـن الـنـخـلـهْ
أملّه شـــــيـخ قـــــديم لـنـا — في الجانب الشرقيّ من نهر دجلهْ
لم يملِ أهل النحـــو أمـــثـــاله — ولا رأينا بعـــــده مــــثـلهْ
عنه عـــــفـــــا الله وعنّا ولا — أرهقـــتنا قـــتـــراً ولا ذلهْ

قال ياقوت(١): وقرأتُ بخطّ أبي سعد: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الفضل العطّار أخبرنا أبو طاهر أحمد بن الحسن الباقلاّني أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسمِ العطّار حدثنا أبو العباس ثعلب، قال: قال الفرّاء(٢):

فـأقسم ما خوص العيون شوارف — روائم بوٍّ حـــائمـــات على ســـقبِ
تشـــمـــنه لو يســتطعن ارتشـــفنه — إذا سُــفْنه ازددنَ نكبــاً على نكبِ
بأوجـد مني يومَ ولّت حـــمـــولهم — وقد طُلعتْ أولى الركـاب من النقبِ
وحلّ بقلبي من جـوى الحبّ مَيْتُه — كما مات مستسقى الضّباح على ألبِ

قال البيهقيّ في شُعب الإيمان(٣): أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو العباس الأصمّ حدثنا محمد بن الجهم حدثنا الفرّاء قال: حدثني حبّان عن الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس «في قوله تعالى: ﴿حتى تستأنسوا وتسلّموا﴾ [سورة النور، الآية: ٢٧]»(٤) قال: حتى تستأنسوا: تستأذنوا. وقال: هذا مقدَّمٌ ومؤخَّر، إنّما هو حتى تسلّموا وتستأذنوا بقول: السلام عليكم ادخلْ. قال الفرّاء: والاستئناس في كلام العرب: اذهب؛ فاستأنس حتى ترى أحداً، فيكون معناه: انظروا من في الدار.

وقال البيهقيّ(٥): سمعتُ أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلميّ يقول:

(١) لم نجده في معجم الأدباء.
(٢) الأبيات استشهد بها الفراء، وهي من شعر قيس بن ذريح. انظر: الأغاني: ٢١٩/٩.
(٣) شعب الإيمان: ٤٣٨/٦.
(٤) ما بين القوسين الصغيرين زيادة لم يذكرها البيهقي في المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه: ٥٤٣/٦.

سمعتُ الحسين بن أحمد بن موسى يقول: سمعتُ الصوليّ يقول: حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا سلمة بن عاصم، قال: دخلتُ على الفرّاء أعوده، فأطلتُ وألحفتُ في السؤال، فقال لي: ادنُ. فدنوتُ، فأنشدني:

حقُّ العيادة يوم بين يومين ... وجلسة مثل لحظ الطرف بالعينِ
لا تبرمنَّ مريضاً في مسائله ... يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وقال أبو عبدالله محمد بن الجهم السمريّ الكاتب يمدح الفرّاء:

نحوه أحسن النُّحوِّ فما فيـ ... ـه معيب ولا به إزراءُ
ليس من صنعة الضعائف لكنْ ... فيه فقه وحكمة وضياءُ
حجة توضح الصواب وما قا ... ل سواهُ فباطلٌ خطّاءُ
ليس منقال بالصواب كمن قا ... ل بجهلٍ والجهلُ داء عياءُ
وكأني أراه يملي علينا ... وله واجبا علينا الدعاء
(كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشام غارة شعواءُ
تذهل المرء عن بنيه وتُبدي ... عن حذام العقيلة العذراءُ)

قال الصلاح الصفديّ[1]: هذان البيتان الأخيران لعبدالله بن قيس الرقيات، وإعرابهما مشكل.

وقال ياقوت في معجم الأدباء[2]: ذكر أبو الكرم خميس بن علي الجوزيّ الحافظ النحويّ الواسطيّ في أماليه، قال: قدم أبو سعيد السكّريّ بغداد، وحضر مجلسَ الفرّاء أبي زكريا، وهو يومئذٍ شيخ الناس، فأملى الفرّاء باباً في التصغير، قال فيه: العرب تقول: هو الهن، وتصغيره الهُنَي، وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجرّ الهنيين، وأنشد قولَ القتّال الكلابيّ:

---

(١) الوافي: ٢/٢٣٣.
(٢) لم نجده في معجم الأدباء.

يا قـاتل الله صلعـاناً تجيء بهم　　　أمُّ الـهُنَيـنـين من زند لهـا واري

فأمسكَ أبو سعيد حتى انفضَّ المجلس، وتقدَّم إليه، وأعاد عليه ما قاله، ثم قال: وليس هكذا أنشدناه أشياخنا. قال الفرَّاء: ومن أشياخُك؟ قال: أبو عبيدة، وأبو زيد، والأصمعيّ. فقال الفرَّاء: وكيف أنشدوه؟ قال:

يا قـاتل الله صلعـاناً تجيء بهم　　　أمُّ الـهُنَيـبـر من زند لهـا واري

على التصغير. ففكَّر الفرَّاء ساعةً، ثم قال: أحسن الله عنك الإفادة وحسن الأدب جزاك.

قال ياقوت[1]: هكذا وجدتُ هذا الخبر في أمالي الجوزيّ، وهو من الحُفَّاظ إلا أنَّ السكَّريَّ لم يلقَ الأصمعيّ ولا أبا عبيدة ولا أبا زيد، وإنَّما روى عمن روى عنهم كابنِ حبيب وغيره، ولعلَّ هذه الحكاية عن غير السكَّريّ.

قال ابنُ الروميّ في أبي طالب بن مسلمة النحويّ:

لو تلفَّعتَ في كسـاء الكسـائيّ　　　وتلبَّسـتَ فـروة الفـرَّاءِ
وتخلَّلتَ بالخليل وأضحى　　　سـيبويه لديك رهن سِباءِ
وتكوَّنتَ في سـوادِ أبي الأسـ　　　ـود شخصاً يكنى أبا السوداء
لأبى الله أن يعدَّك أهلُ الـ　　　ـعلم إلا من جملة الأغبياءِ

(١) لم نجده في معجم الأدباء.

[٩٠]*

أبو عليّ الفارسيّ

الحسن بن أحمد بن عبد الغفَّار بن محمد بن سليمان بن أبان إمام وقته في علم العربيّة.

قال ياقوت: ولِدَ بمدينة فَسا، ودخل بغداد سنة سبعٍ وثلاثمائة، واشتغل بها، فأخذ عن الزجَّاج، وابن السَّرَّاج، ومَبرمان، وأبي بكر الخيَّاط، وطوَّف البلاد، ودخل الشام، وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة، وجرتْ بينه وبين المتنبي مجالس.

ثم انتقل إلى بلاد فارس، وصحب عضد الدولة بن بُوَيه، وتقدَّم عنده حتى كان عضد الدولة يقول: أنا غلامُ أبي علي في النحو. وصنَّف له "الإيضاح" و"التكملة"، ويُحكى أنَّه كان يسايره يوماً في الميدان، فقال له: بم انتصبَ المستثنى في قولنا: قام القومُ إلا زيداً؟ فقال أبو علي: بفعلٍ مقدَّر تقديره "أستثني زيداً". فقال له عضد الولة: هلاَّ رفعته وقدَّرتَ الفعل "امتنع زيدٌ"؟ فقال أبو علي: هذا جوابٌ ميدانيّ، وإذا رجعتُ حرَّرتُ لك الجواب. ثم إنَّه رجع إلى منزله، ووضع في ذلك كلاماً، وحمله إليه، فاستحسنه. وقيل: إنَّه لما صنَّف له "الإيضاح" وحمله إليه، استقصره، وقال له: ما زدتَ على ما أعرف شيئاً، وإنَّما يصلح هذا للصبيان. فمضى أبو علي وصنَّفَ "التكملة" في

---

[*] انظر ترجمته في: طبقات النحويِّين: ١٢٠. الفهرست: ١٠١. تاريخ العلماء النحويين: ٢٦-٢٧. تاريخ بغداد: ٧/٢٨٥-٢٨٦. نزهة الألباء: ٢٣٢-٢٣٣. المنتظم: ١٤/٣٢٤-٣٢٥. معجم الأدباء: ٢/٨١١-٨٢٣. إنباه الرواة: ١/٣٠٨-٣١٠. وفيات الأعيان: ٢/٨٠-٨٢. إشارة التعيين: ٨٣-٨٤. تاريخ الإسلام: (وفيات ٣٥١-٣٨٠): ٦٠٨-٦٠٩. دول الإسلام: ١/٢٣١. سير أعلام النبلاء: ١٦/٣٧٩-٣٨٠. العبر: ٢/١٤٩. ميزان الاعتدال: ٢/٢٢٦-٢٢٧. مسالك الأبصار: ٧/١١٠-١١١. الوافي: ١١/٢٩٠-٢٩٢. مرآة الجنان: ٢/٣٠٥-٣٠٦. البلغة: ٥٣-٥٤. غاية النهاية: ١/٢٠٦-٢٠٧. لسان الميزان: ٢/١٩٥. النجوم الزاهرة: ٤/١٥٤-١٥٥. البغية: ١/٤٩٦-٤٩٨. مفتاح السعادة: ١/١٦٠-١٦١. روضات الجنات: ٣/٧٦-٨٢. شذرات الذهب: ٣/٢٠٧-٢٠٩.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو علي الفارسي: حياته ومكانته بين أئمة العربيّة وآثاره في القراءات والنحو.

التصريف، وحملها إليه، فلما وقف عليها عضد الدولة، قال: غضبَ الشيخ، وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو.

وكان الفارسيّ يرى رأيَ المعتزلة، وبرع من تلامذته جماعة كابن جِنّي، وأبي الحسن الربعيّ، وكان تلامذته يفضلونه في النحو على المبرِّد. وقال أبو طالب العبديّ: ليس بين سيبويه وأبي علي أبصرُ بالنحو من أبي علي. وقال ابن جنّي: كان أبو علي يقول: أخطئ في مائة مسألة لغويّة ولا أخطئ في واحدة قياسيّة.

ومن صفاء ذهنه أنّه سئل قبل أن ينظر في العروض عن خَرم "مُتَفاعِلن"، ففكّر وانتزع الجواب من النحو، وقال: لا يجوز لأنّ "مُتَفاعِلن" يُنقَلُ إلى "مُسْتَفْعِلُن" إذا خُبِنَ، فلو خُرِمَ لتعرُّض للابتداء بالساكن، فكما لا يجوز الابتداء بالساكن لا يجوز التعرّض له.

والخرمُ حذفُ الأول من البيت، والخبن تسكينُ ثانيه.

ولما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمّه، دخل عليه أبو علي، فقال له: ما رأيك في صحبتنا؟ فقال له: أنا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء، فخار الله للملك في عزيمته، وأنجحَ قصده في نهضته، وجعل العافية زادَه، والظفر تجاهه، والملائكة أنصاره. ثم أنشد:

ودّعته حيث لا تودّعه ... نفسي ولكنها تسير معهْ
ثم تولى وفي الفؤاد له ... ضيق محلٍّ وفي الدموع سَعهْ

فقال له عضد الدولة: بارك الله فيك، فإني واثق بطاعتك، وأتيقنُ صفاء طويّتك.

وقال علم الدين أبو القاسم الأندلسيّ: وجدتُ في مسائل نحويّة تُنسب لابن جنّي، قال: جرى ذكرُ الشعر بحضرة أبي علي الفارسيّ وأنا حاضر، فقال: إني لأغبطكم على قول الشعر؛ فإنّ خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي موادّه. فقال له رجلٌ: فما قلتَ قطُّ شيئاً منه؟ قال: ما أعلم أنّ لي شعراً إلا ثلاثة أبيات في الشيب، وهي قولي:

خضبتُ الشيبَ لما كان عيباً   وخضبُ الشيبِ أَوْلى أن يُعابا
ولم أخضب مخافة هجر خلٍّ   ولا عيباً خشيتُ ولا عتابا
ولكني خشيتُ يُراد مني   عقول ذوي المشيب فلن يُصابا

ومن تصانيف الفارسيّ: الحجّة. التذكرة. الإيضاح النحويّ. التكملة. الإيضاح الشعريّ. أبيات الإعراب. تعليقة على كتاب سيبويه. أبيات الأعراب. مختصر عوامل الإعراب. المقصور والممدود. الإغفال، وهو مسائل أصلحها على الزّجّاج. المسائل الحلبيّة. المسائل البغداديّة. المسائل الشيرازيّة. المسائل القصريّة. المسائل الدمشقيّة. المسائل العسكريّة. المسائل البصريّة. المسائل الكَرمانيّة. المسائل المنثورة. نقض الهاذور. الترجمة. أبيات المعاني. التتبّع لكلام أبي علي الجُبّائيّ في التفسير. تفسير قوله تعالى: ﴿إذا قُمتم إلى الصلاة﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦] المسائل المُصلَحة من كتاب ابن السرّاج. المسائل المشكلة. المسائل الذهبيّة.

مات ببغداد في ربيع الأول سنة سبعٍ وسبعين وثلاثمائة عن نيّفٍ وتسعين سنة.

قال ابنُ بابَشاذ في شرح الجُمَل: يُحكى عن أبي علي الفارسيّ أنّه حضر يوماً مجلسَ أبي بكر الخيّاط، فأقبل أصحابه على أبي علي يكثرون عليه المسائل، وهو يجيبهم، ويقيم الدلائل، فلما أنفذوا، أقبل عليه أكبرهم سنّاً وأكثرهم عقلاً وأوسعهم علماً عند نفسه، فقال له: كيف تبني من "سفرجل" مثل "عنكبوت"؟ فأجابه مسرعاً: سفرورت. فحين سمعها، قام من مجلسه، وصفّق بيديه، وخرج وهو يقول: "سفرورت سفرورت". فأقبل أبو بكر على أصحابه، وقال: لا بارك الله فيكم، ولا أحسنَ جزاءكم خجلاً مما جرى واستحياءً من أبي علي.

قال الخطيب في ترجمته: سمع علي بن الحسين بن معدان صاحب إسحاق بن راهويه، وكان عنده عنه جزءٌ واحدٌ حدثنا عنه الأزهريّ، والجوهريّ، وأبو الحسن محمد بن عبد الواحد، وعلي بن محمد بن الحسن المالكيّ، والقاضي أبو القاسم التنوخيّ.

قال لي التنوخيّ: وُلِدَ بفسا وقدم بغداد، فاستوطنها وعلتْ منزلته في النحو حتى

قال قوم من تلامذته: هو فوق المبرِّد وأعلمُ منه. وصنَّف كُتباً عجيبة حسنة لم يُسبق إلى مثلها، واشتهر ذكره في الآفاق، وبرع له غلمان حُذَّاق مثل عثمان بن جنّي، وعلي بن عيسى الشيرازيّ، وغيرهما، وخدم الملوك، ونفق عليهم، وتقدّم عند عضد الدولة حتى كان يقول: أنا غلام أبي علي الفسويّ في النحو، وغلام أبي الحسن الرازيّ في النجوم.

وكان أبو علي متهماً بالاعتزال، توفي في يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة سبعٍ وسبعين وثلاثمائة.

أخبرني[1] الأزهريّ والجوهريّ والتنوخيّ، قال الأزهريّ، وقالا: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الفارسيّ حدثنا علي بن الحسين بن معدان حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ أخبرنا النضر بن شُميل، وأبو عامر العقديّ، قالا: حدثنا شُعبة عن أبي عمران الجونيّ، قال: سمعتُ طلحة بن عبدالله - وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف - عن عائشة، قالتْ: قلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ لي جارين، فإلى أيِّهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منكِ باباً.

انتهى ما أورده الخطيب في ترجمته.

وقال ابن النجّار في تاريخه: أنبأنا عبد الخالق بن عبد الوهاب المالكيّ أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن البنا أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهريّ أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسيّ النحويّ حدثنا أبو الحسن علي بن الحسين بن معدان حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ أخبرنا عبد السلام بن حرب الملائيّ حدثنا أبو خالد الدالانيّ يزيد بن عبد الرحمن، عن أبي العلاء الأوديّ عن حميد بن عبد الرحمن الحميريّ، عن رجلٍ من أصحاب رسول الله (ﷺ) عن رسول الله (ﷺ) قال: «إذا دعاكَ الداعيان فأجبْ أقربهما باباً، فإنه أقربهما جواراً وإن سبق أحدهما فأجب الذي سبق».

---

(١) تاريخ بغداد: ٧/٢٨٥.

وقال ابن عساكر[1]: أنبأنا أبو غالب بن البنا أخبرنا أبو محمد الجوهريّ أخبرنا أبو علي الفارسيّ النحويّ حدثنا أبو الحسن علي بن الحسين بن معدان حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ أخبرنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن العريان بن الهيثم النخعيّ الأعور عن قبيصة بن جابر الأسديّ: سمعتُ عبدالله بن مسعود يقول: سمعتُ رسول الله (ﷺ) يقول: لعن الله المتنمصات والمتفلّجات والمتفلّجات والمتوشّمات اللاتي يغيرنَ خلقَ الله تعالى.

وبه

قال ياقوت: قرأتُ بخطِّ الشيخ أبي محمد بن الخشّاب، قال شيخُنا يعني أبا منصور موهوب بن الجواليقيّ: قلَّ ما ينبل عنده ممارسٌ للصناعة النحويّة ولو طال فيها باعه، ما لم يتمكن من علم الرواية، وما تشتمل عليه ضروبها، ولا سيّما رواية الأشعار العربيّة وما يتعلّق بمعرفتها من لغة وقصة، ولهذا كان مقدَّماً لأبي سعيد السيرافيّ على أبي علي الفارسيّ، وأبو علي أبو علي في نحوه، وطريقه إلى أبي سعيد معلومة، ويقول: أبو سعيد أروى من أبي علي، وأكثر تحقّقاً بالرواية، وأثرى منه فيها. وقد قال لي غير مرة: لعلَّ أبا علي لم يكن يرى ما يراه أبو سعيد من معرفة هذه الأخباريّات والأنساب، وما جرى في هذا الأسلوب كبير أمرٍ.

قال الشيخ أبو محمد: ولعمري إنّه قد حكيَ عنه أعني أبا علي أنّه كان يقول: لأن أخطئ في خمسين مسألة مما بابه الرواية أحبُّ إليَّ من أن أخطئ في مسألة واحدة قياسيّة. هذا كلامه أو معناه، على أنّه كان يقول: قد سمعتُ الكثير في أول الأمر، وكنتُ أستحيي أن أقول: أثبتوا اسمي.

قال الشيخ أبو محمد: وكثيراً ما تُبنى السقطات على الحُذّاق من أهل الصناعة النحويّة لتقصيرهم في هذا الباب، فمنه يذهبون، ومن جهته يُؤتَون. هذا كلام ابن الخشّاب.

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٠٣/٤٠.

قال ياقوت: وذكر ابن الخشّاب في بعض كُتبه، قال: حكى بعض المشايخ أنَّ عضد الدولة التمسَ من أبي علي الفارسيّ إماماً يصلي به، ويكون جامعاً إلى العلم بالقراءة العلمَ بالعربيّة. فقال: ما أعرف من اجتمع فيه مطلوب الملك إلا عبيدالله بن جرو. قال: نعمْ، إلا أنَّه يجعل الراء غيناً. فقال له أبو علي: ضع ذبابة القلم تحت لسانك لترفعه به وأكثر مع ذلك ترديد اللفظ بالراء. ففعل. فاستقام له إخراج الراء من مخرجها. قال ابن الخشّاب: ما أحسنَ ما تلطّفَ أبو علي في طبٍّ هذا.

قال ياقوت: قرأتُ بخطٍّ سلامة بن عياض النحويِّ ما صورته: وقعتُ على نسخة من كتاب "الحجة" لأبي علي الفارسيّ بالريّ في دار كُتبها التي وقفها الصاحب بن عبّاد وعلى ظهرها بخطِّ أبي علي ما حكايته: هذا - أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل، أدام الله عزّه ونصْره وتأييده وتمكينه - كتابي في [الحجة] لقُرَّاء الأمصار الذين بينت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بكتاب السبعة، فما تضمن من أثرٍ وقراءة ولغة فهو عن المشايخ الذين أخذتُ ذلك عنهم، وأسندته إليهم، فمتى أثر سيدنا الصاحب الجليل - أدامَ الله عزّه ونصره وتأييده وتمكينه - حكايةَ شيءٍ منه عنهم، أو عُنِيَ لهذه المكاتبة فَعَل، وكتب الحسن بن أحمد الفارسيّ بخطّه.

قال ياقوت: ذكر المعريّ في "رسالة الغفران" أنَّ أبا علي الفارسيّ كان يذكر أنَّ أبا بكر بن السرّاج عمل من "الموجز" النصفَ الأول لرجلٍ بزّان، ثم تقدَّم إلى أبي علي الفارسيّ بإتمامه، قال المعرّيّ: وهذا لا يقال إنَّه من إنشاء أبي علي لأنَّ الموضوع في "الموجز" هو منقول من كلام ابنِ السرّاج في "الأصول"، وفي "الجُمَل"، فكأنَّ أبا علي جاء به على سبيل النسخ لا أنَّه ابتدع شيئاً من عنده.

قال ياقوت: نقلتُ من خطِّ الشيخ أبي سعيد البستيّ من كتابٍ ألَّفه، قال: قال الأستاذ أبو العلاء الحسين بن محمد بن سهلوَيه في كتابه الذي سمّاه "أجناس الجواهر" قال: كنتُ بمدينة السلام أختلفُ إلى أبي علي الفارسيّ، وكان السلطان رسم له أن ينتصب في كلّ أسبوع يومين لتصحيح كتاب التذكرة لخزانة كافي الكُفاة.

قال: وكتبَ الصاحب بن عبَّاد إلى أبي علي: كتابي – أطال الله بقاء الشيخ، وأدام جمال العلم والأدب بحراسة مهجته وتنفيس مهلته – وأنا سالمٌ ولله حامدٌ، وإليه في الصلاة على النبي وآله راغبٌ، ولبرِّ الشيخ – أيَّده الله بكتابه الوارد – شاكرٌ، قد اعتمدتُ على صاحبي أبي العلاء أيَّده الله لاستنساخ التذكرة، وللشيخ –أدام الله عزَّه– رأيه الموفَّق في التمكين من الأصل، والإذن بعد النسخ في العرض بإذن الله تعالى.

وقال ياقوت: قرأت في معجم السفر: أنشدني أبو جعفر أحمد بن محمد بن كوثر المحاربيّ الغرناطيّ، قال: أنشدنا أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف النحويّ لنفسه بالأندلس في كتاب "الإيضاح" لأبي علي الفارسيّ النحويّ:

أضع الكرى لتحفُّظِ الإيضاحِ ... وصِلِ الغدوَّ لفهمه برواحِ

هو بغيةُ المتعلّمينَ ومن بغى ... حمْلَ الكتابِ يَلِجه بالمِفتاحِ

لأبي عليٍّ في الكتابِ إمامةٌ ... شهد الرواةُ لها بفوزِ قِداحِ

يُفضي إلى أسراره بنوافذٍ ... من علمه بهرتْ قُوى الأمداحِ

فيخاطب المتعلّمين بلفظه ... ويحلُّ مشكله بومضةِ واحي

مضتِ العصورُ فكلُّ نحوٍ ظلمةٌ ... وأتى فكان النحوُ ضوءَ صباحِ

أوصى ذوي الإعراب أن يتذاكروا ... بحروفه في الصُّحْفِ والألواحِ

فإذا همُ سمعوا النصيحةَ أنجحوا ... إنَّ النصيحةَ غِبُّها لنجاحِ

وفي تاريخ ابن النجَّار عن أبي الحسن علي بن فضَّال النحويّ، قال: كان عضد الدولة يقرأ الأدب على أبي علي الفارسيّ، ويبالغ في إكرامه، ويحضِره معه على المائدة، فلما كبر وأضرَّ كان يحضره أيضاً على العادة المستمرة، وكان من رسمه أنَّه إذا فرغ من الأكل يلتفت والفراش قائم، فيقلب الماء على يده، فاتفق يوماً أن كان الفَرَّاشُ مشغولاً، فلما التفت الشيخ لغسلِ يده، أخذ عضد الدولة الإبريق، وقلب على يده الماء، فجاء الفَرَّاشُ، فأومأ إليه: أن أمسِكْ إلى أن يفرغ، فأعطاه المنديل، فمسحَ يده، ورجع إلى مكانه، فقال الفَرَّاش: يا سيدنا، تعلمُ من قلبَ على يدك الماء؟ فقال: أنتَ.

فقال: إنَّما كان مولانا عضد الدولة. فقام الشيخ أبو علي قائماً، وقال: لو لم أجد من حلاوة العلم إلا هذا لكان فضلاً كبيراً. ثم رفع يديه نحو السماء، وقال: أكرمكَ الله الذي أكرمتني لأجله. وجعل يكرره.

في تذكرة ابن مكتوم عن ابن جنّي: كان أبو علي إذا قعد في درسه لا يرى العالمَ إلا دونه، وما كان يفكّر في أحدٍ، وكان فوق كلٍّ من نظر في هذا العلم، ولَو عاش أبو بكر، وأبو العباس، وطبقتهما لأخذوا عنه، ولو أدركه الخليل وسيبويه لكانا يتجمَّلان به ويُقِرَّانِ له بالفضل.

وفيها: قال صاعد في الفصوص:كان أبو علي يقول لي: كلما عملت شعراً تجوَّد فيه، فاعرضه عليَّ، وأمتعني به، فأني لأعجبُ ممن يقدر على نظم الكلام الحسن وتخيّر الألفاظ والمعاني، ورُمته في صِغري فلم يسنح لي فيه شيء أرضاه، وحُرِمتُه. فقلتُ: أيُّها الشيخ، فهل نظمتَ شيئاً قط؟ قال: استُر ما ستر الله. فعلمتُ أنَّه نظم، ولكنَّه لا يرضى به، قلتُ: فلو أنشدتني منه شيئاً؟ قال: من هذا فررنا، ولكني أنشدك شيئاً قلتُه في الخضاب على أن تكتمه ولا تُذيعه. قلتُ: عليَّ ذلك. فأنشدني:

خضبتُ الشيبَ لما كان عيباً ... وخضبُ الشيبِ أَوْلى أن يُعابا

ولم أخضب مخافة هجر خِلٍّ ... ولا عيباً خشيتُ ولا عتابا

ولكني خشيتُ يُراد مني ... عقول ذوي المشيب فلن يُصابا

فأخذتها عنه، ولم أذعْها ببغداد حتى خرجتُ.

قال ياقوت: أخبر أبو الحسن علي بن عمر الفرَّاء عن أبي الحسين نصر بن أحمد بن نوح المقرئ، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عبيدالله السمسميّ اللغويّ ببغداد، قال: أخبرنا أبو علي الفارسيّ، قال: جئتُ إلى أبي بكر بن السرَّاج لأسمعَ منه الكتابَ، وحملتُ إليه ما حملت، فلما انتصف الكتاب عسر عليَّ في تمامه، فقطعت عنه لتمكني من الكتاب، فقلتُ لنفسي بعد مدة: إن سرتُ إلى فارس، سُئلتُ عن تمامه، فإن قلتُ: نعمْ، كذبتُ، وإن قلتُ: لا، سقطتِ الرواية والرحلة، ودعتني الضرورة، فحملتُ إليه رزمة،

فلما أبصرني من بعيد أنشد:

وكم تجـرّعت من غـيظٍ ومن حَـزَنٍ ... إذا تجـــدّد حُـــزنٌ هوَّن الماضـي

وكم غـضـبت فـمـا باليـتم غـضـبي ... حتى رجـعتُ بقلبٍ سـاخطٍ راضـي

فـائدة: كتـابُ التذكـرة لأبي علي الفـارسـيّ من الكتبِ الجليلة بحيث إن ابن مـالك ضربَ به المَثَل في "كافيته الكبرى" فقال في باب "نِعْمَ"[(١)]:

كَ نِعْمَ مجموعاً كتابُ التذكرهْ

وعندي منه مجلّدات، ولا أعلم كَمّيته، ورأيتُ ابنَ جنّي تلميذه نقل عنه في كتاب "التعاقب" فقال: ذكر أبو علي في الجزء الستين من التذكرة. فاستعظمتُ ذلك، ثم رأيتُ ما هو أبلغ من ذلك، وهو أنَّ الشيخ جمال الدين بن هشام نقل في بعض تعاليقه التي وقفتُ عليها بخطّه، فقال: ذكر أبو علي في الجزء السابع عشر بعد المائة من التذكرة. ثم رأيتُ الشيخ شمس الدين بن الضائع ذكره في تذكرته، قال: هذه فوائد مُلخّصة من الجزء الحادي والثمانين من التذكرة لأبي علي، وما بعده إلى السادس والتسعين ، وهو المجلّد السادس منها. فعلمتُ أنَّ الأجزاءَ المذكورة أجزاءٌ حديثيّة لِطاف بحيث يكوّن كلّ ستة عشر جزءاً منها مجلداً، فالجزء إذن كُراسة أو كُراستان أو ما بين ذلك على طريقة أجزاء تاريخ الخطيب، وتاريخ ابن عساكر، ونحوهما، فأكثر ما تكون هذه التذكرة عشر مجلدات.

قال ياقوت: قرأتُ في المسائل الحلبيّة نسخة كتابٍ كتبه أبو علي إلى سيف الدولة جواباً عن كتابٍ وردَ عليه منه يردُّ فيه على ابن خالَويه في أشياء أُبلِغَها سيف الدولة عن أبي علي، نسختُه: قرأ - أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة - عبدُ سيدنا الرقعةَ النافذة من حضرة سيدنا، فوجد كثيراً منها شيئاً لم تجرِ عادة عبده به لا سيما مع صاحب الرقعة إلا أنّه يذكر من ذلك ما يدلّ على قلة تحفّظ هذا الرجل فيما يقوله، وهو قوله: ولو بقيَ عُمرَ نوحٍ ما صلح أن يقرأ على السيرافيّ مع علمه بأنَّ ابن بهزاد

(١) انظر: شرح الكافية الشافية: ١/٤٩٤.

السيرافيّ يقرأ عليه الصبيانُ ومعلِّموهم، أفلا يصحُّ أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان، هذا ما خفاء به، وهو قد خلط فيما حكاه عني، وأني قلتُ: إنَّ السيرافيّ قد قرأ عليَّ. ولم أقل هذا إنَّما قلتُ: تعلَّم مني إذ أخذ عني هو وغيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا العلم، وليس قول القائل: "تعلَّم مني" مثل "قرأ عليَّ" لأنَّه قد يقرأ عليه من لا يتعلّم منه، وقد يتعلّم منه من لا يقرأ عليه، وتعلَّمُ ابن بهزاد مني في أيَّام محمد بن السريّ وبعده لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه: كعلي بن عيسى الورَّاق، ومحمد بن أحمد بن يونس، ومن كان يطلب هذا الشأن من بني الأزرق الكُتَّاب وغيرهم، وكذلك كثير من الفُرس الذين كانوا يرونه يغشاني في صفٍّ شونيز كعبدالله بن جعفر بن درستويه النحويّ لأنَّه كان جاري بيتَ بيتَ.

وأما قوله: "إني قلت إنَّ ابنَ الخيَّاط كان لا يعرف شيئاً" فغلط في الحكاية، كيف أستجيزُ هذا وقد كلَّمتُ ابنَ الخيَّاط في مجالس كثيرة؟ ولكني قلتُ: إنَّه لا لقاء له لأنَّه دخل إلى بغداد بعد موت محمد بن يزيد، وصادَفَ أحمد بن يحيى وقد صُمَّ صمماً شديداً لا يخرقُ الكلامُ معه سمعَه، فلم يمكن تعلّمَ النحوِ منه، وإنَّما كان يعوِّل فيما كان يؤخذ عنه على ما يمليه دون ما كان يُقرأ عليه، وهذا الأمر لا ينكره أهل هذا الشأن ومن يعرفهم.

وأما قوله: "قد أخطأ البارحة في أكثر ما قاله" فاعترافٌ بما إنِ استغفر الله منه كان حسناً.

قال ياقوت: والرقعة طويلة، فيها جواب عن مسائل أُخذت عليه، كانت النسخة غير مرضية، فتركتها إلى أن يقع لي ما أرتضيه، وأكثر النُّسَخ الحلبيّات لا توجد هذه الرقعة فيها.

قال ابن جنّي في الخاطريات: قال لي أبو علي سنة ستٍّ وأربعين: ما لي صديقٌ إلا وأشتهي أن يكونَ كتاب أبي الحسن في معاني القرآن عنده.

وقلتُ له يوماً ببغداد أظنُّه سنة خمسٍ وسبعين شيئاً ذكرتُ فيه أبا الحسن علي

بن عيسى الرُّمّانيّ، وأبو الحسن إذ ذاك قد شافه الثمانين، فقال: نعمْ هو صبيّ.

وكان أبو علي في هذا الباب ونحوه جبّاراً يرى نفسه وأهل هذا الشأن بحيث هي وهم، وقد كان فيما نراه منه معذوراً بالإضافة إليهم، فإنّه كان فيه أخذاً ولا أحدَ إليه أخذاً.

وكان يُعظِّم أبا عثمان، ويكاد يعبد أبا الحسن، ولم يكن أبو العباس عنده إلا رُجيلاً.

فائدة: قال الفارسيّ في التذكرة: قولهم "المستغاث بالله" يحمل ثلاثةَ أوجُه، أحدها: أن تكون الباء زائدة في الخبر، كقولكَ "حسبُكَ به"، و"جزاءُ سيئة بمثلها"، فتقديره: "المستغاثُ اللهُ" والمستغاث يكون اسم المفعول. ويجوز أن يكون المراد به الاستغاثة، فيكون التقدير: "ذو الاستغاثة الله". ويجوز أن يكون "المستغاث" يُعنى به الاستغاثة، والباء متعلّقة بالمصدر، والخبر محذوف، أي: "واجب". ويجوز أن تكون الباء الخبرَ، كما تقول: "المرور بزيدٍ" و"الذهابُ إلى عمرو". انتهى.

تتمة: بقي من أماكن زيادتها في الخبر زيادتُها في خبر إنّ ولكنّ، وقد ذكرهما ابن مالك في التسهيل[1]، وقال ابن جنّي في سرّ الصناعة[2]: وقد زِيدت أيضاً في خبر لكنّ لشبهه بالفاعل، قال الشاعر:

ولكنّ أجراً لو فعلتِ بهَيِّنٍ ... وهل يُنكَرُ المعروفُ في الناسِ والأجرُ

أراد: "ولكنّ أجراً لو فعلتِه هَيِّنٌ"، ويجوز أن يكون معناه: "ولكنّ أجراً لو فعلتِه بشيءٍ هَيِّنٌ" أي: أنتِ تصلينَ إلى الأجر بالشيء الهيِّن، كقولك: "وجوب الشكر بالبرِّ الهينُ" وتكون الباء على هذا غير زائدة. انتهى.

وأنشدَ ابنُ مالك شاهداً على دخولها في خبر إنّ[3]، قوله:

فإنْ تنأ عنها حقبةٌ لا تلاقِها ... فإنّك مما أحدثتَ بالمجرّبِ

(١) شرح التسهيل: ٣/٢٣-٢٤.
(٢) سر صناعة الإعراب: ١/١٤١-١٤٢.
(٣) شرح التسهيل: ١/٣٧٠.

يريد: "فإنَّكَ المجرَّبُ مما أحدثته".

قال أبو حيّان[1]: ولا يتعيّن أن يكون "المجرَّبُ" خبراً لأنَّ؛ لجواز تعلُّقِ "بالمجرَّب" بقوله "ما أحدثت" وخبر إنَّ قوله "مما أحدثت" ويكون قوله" فإنَّك" على حذفِ مضافٍ: "فإنَّ نأيَك وعدم ملاقاتك مما أحدثت" أي بسبب ما أحدثت بالمجرَّب.

قال أبو حيّان[2]: وقد سُمِعَ دخولها في خبر ليت في قول الفرزدق[3]:

ألا ليت ذا العيشِ اللذيذ بدائمِ

فائدة: قال المصنِّفُ[4] في تذكرته[5]: زيادة الباء في الخبر على ثلاثة أقسام: كثير وقليل وأقلّ، فالكثير في ثلاثة مواضع، وذلك بعد "ليس" و"ما" وبعدَ "أَوَلم يروا" نحو: ﴿أَوَلم يَرَوا أنَّ الله الذي خلق السماواتِ والأرضَ ولم يعيَ بخلقهنَّ بقادرٍ﴾ [سورة الأحقاف، الآية ٣٣] وذلك لأنَّه في معنى "أوَليسَ اللهُ بقادرٍ" فهو راجعٌ إلى المسألة الأولى في المعنى. والقليل في ثلاثة مواضع: بعد كان وأخواتها منفيةً، كقوله:

وإن مُدَّتِ الأيدي إلى الزاد لم أكنْ   بأعجلِهم إذ أجشعُ القومِ أعجلُ

وبعد ظنَّ وأخواتها منفية: كقوله:

دعاني أخي والخيلُ بيني وبينه   فلما دعاني لم يجدني بقُعددِ

وبعد لا العاملة عملَ ليس، كقوله:

فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ   بمُغْنٍ فتيلاً عن سواد بن قاربِ

والأقلّ في ثلاثة مواضع: بعد أنَّ ولكنَّ وهل. انتهى.

---

(١) الارتشاف: ٣/١٢١٨-١٢١٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣/١٢١٨.

(٣) هذا عجز بيت، وصدره: يقول إذا اقلولى عليها وأقردتْ

(٤) يقصد مصنِّف المغني ابن هشام؛ ذلك أنَّه نقل هذه الفائدة في الأشباه، فقال: قال ابن هشام في تذكرته ... وذكر الفائدة. ثم إنَّ السيوطي لم يذكر هذه الفائدة بنصها في الهمع وغيره من كتبه النحويّة.انظر: الأشباه والنظائر: ٣/١٢٤-١٢٥.

(٥) يقصد تذكرة ابن هشام على ألفية ابن مالك، وهي المعروفة بأوضح المسالك، والفائدة فيه مع تصرّف يسير في الصياغة. انظر: أوضح المسالك: ١/٢٩٢-٢٩٧.

[٩١]*
قُطْرُب

محمد بن المستنير النحويّ البصريّ، ويُقال: اسمه أحمد بن محمد، ويُقال: الحسن بن محمد، والأول أصحّ.

قال ياقوت: أبو علي مولى سليم بن زياد. أخذ عن سيبويه وعيسى بن عمر، وخلف الأحمر(١)، وجماعة من العلماء البصريين، وكان حريصاً على الاشتغال، يبكِّرُ إلى سيبويه قبل حضور التلاميذ إليه، فإذا خرج رآه على بابه، فقال له: ما أنتَ إلا قُطْرُب ليلٍ. فلُقِّبَ به، والقُطْرُب دُويبة لا تزال بدأب ولا تفتُر، وكان من أئمة عصره، وكان يرى رأي المعتزلةِ النظَّاميّة، أخذ عن النظَّام مذهبه.

وقال ابنُ السكِّيت: كتبتُ عن قُطْرُب قِمَطراً، ثم تبيّنتُ أنَّه يكذب في اللغة، فليس أذكر عنه حرفاً.

وقال المرزبانيّ: لم يكن ثقة.

وقال أبو زيد: كان قُطْرُب معتزلياً متهماً في الدين.

واتصل بأبي دلف العجليّ، وأدَّبَ ولده، وحضر معه ابنه الحسن يوماً بعض

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويِّين: ١٠٩. طبقات النحويِّين واللغويين: ٢٥٩. الفهرست: ٨٣. نور القبس: ١٧٤-١٧٨. تاريخ العلماء النحويين: ٨٢-٨٤. تاريخ بغداد: ٦٧/٤. الإكمال: ٢٩٨/٧. نزهة الألباء: ٧٦-٧٧. معجم الأدباء: ٢٦٤٦/٦-٢٦٤٧. إنباه الرواة: ٢١٩/٣-٢٢٠. وفيات الأعيان: ٣١٢/٤-٣١٣. إشارة التعيين: ٣٣٨. تاريخ الإسلام (وفيات ٢٠١-٢١٠): ٣٠١. العبر: ٢٧٤/١. الوافي: ١٤/٥-١٥. مرآة الجنان: ٢٤/٢-٢٥. كتاب الوفيات: ١٥٨. البلغة: ٢٤٧-٢٤٨. طبقات النحاة واللغويين: ٢٥٩. البغية: ٢٤٢-٢٤٣. طبقات المفسرين (الداودي): ٢٥٦/٢-٢٥٧. مفتاح السعادة: ١٥٢/١-١٥٣. شذرات الذهب: ٩١/٢-٩٢. طبقات المفسرين (الأدنه وي): ٢٨. ديوان الإسلام: ١٠/٤-١١. روضات الجنات: ٢٦٥/٧-٢٦٧.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- قطرب وأثره في الدراسات النحويّة.

(١) لم يذكر ياقوت في معجم الأدباء أنه أخذ عن خلف الأحمر، انظر: ٢٦٤٦/٦-٢٦٤٧.

الحروب، فوقع في رأسه سهم، فسقط، فحامى عنه أبو دلف، وحارَبَ أشدَّ حربٍ حتى استنقذه وحمله وهو مغشى عليه، وجمع الأطباء، وأمرهم باستخراج السهم، فقالوا: إن خرج السهم ولم يخالِط الدماغ عاش، وإن خالطه لم يعشْ. ففتح الحسنُ بن قُطْرُب عينيه، وقال: انزعوه، فلو كان له دماغ ما حضر هذا الموضع. فقال أبو دلف في ذلك:

وليشكرَنَّ أبو علي قُطْرُبٌ ... مني يدا بيضاء غير عقام
رَدّي عليه فتاه بعد ثوائه ... رهنا لكلِّ مهنّدٍ قصّام
في حيث لا تجدي عليه دفاترٌ ... مرسومة برواقش الأقلام
لا النحوُ ينفعه ولا إتقانه ... علم العروضِ ومذهبَ النظّام

ومن تصانيف قُطْرُب: المثلّث في اللغة، وهو أول من وضعه. معاني القرآن، ولم يُسبَق إليه، وعليه احتذى الفرّاء. الاشتقاق. القوافي. النوادر. الأزمنة. الفرق. الأصوات. الصفات. العِلل في النحو. الأضداد. خلق الإنسان. خلق الفَرس. غريب الحديث. الهمز. المجاز في القرآن. الردّ على المُلحدين في تشابه القرآن. فَعَلَ وأفعَلَ. إعراب القرآن. الغريب المصنّف في اللغة.

قال ياقوت(١): صنّف قُطْرُب كُتباً كثيرة في اللغة والنحو والعروض ومعاني الشعر لا تُضبط كثرةً.

قال القالي في أماليه(٢): أنشدنا عبدالله بن جعفر النحويّ، قال: أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد النحويّ، قال: أنشدنا علي بن قُطْرُب لأبيه:

أشتاقُ بالنظرةِ الأولى قرينتها ... كأنني لم أسلِّف قبلها نظرا

وأورد له صاحب البارع وياقوت قوله:

إن كنتَ لستَ معي فالذكرُ منك معي ... يراك قلبي وإن غُيِّبتَ عن بصري
والعين تبصرُ من تهوى وتفقده ... وناظر القلب لا يخلو من النظرِ

(١) لم يذكر ياقوت في معجمه هذه المعلومة.
(٢) الأمالي: ٢/ ٢١٩.

قال ياقوت(١):وقال أبو ربيعة ممَوَيه في قُطْرُب:

مـا زلتُ بالكرخِ الدنيـة سـاكناً ... أرجـو الغنى وأؤمّل الآمـالا
حـتى رأيتُ أبا خـراشـة راكـبـاً ... ورأيـتُ رُزْءاً يـقلـب الأمـوالا
ورأيتُ مـثلَ أبي علي قُطْرُب ... فـيـهـا ومـثلي مـعـدمـا عـيًّالا
فـعلمتُ أنَّ الدار دارُ مـذلّةٍ ... تـضـع الـكِرامَ وتـرفـعُ الأنـذالا

وقال الزبيدي: قال قُطْرُب في قوله تعالى: ﴿خلق الإنسانُ من عَجَل﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٧] المعنى: خلقتُ العجلة منه، كقوله تعالى: ﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة﴾ [سورة القصص، الآية: ٧٦] أي لتنوء العصبةُ بها.

قال: ويُروى أنَّ أبا القاسم المهلبيَّ - وكان من تلاميذ قُطْرُب - جعل له جُعْلاً على أن يمدحه، ويقرّ له بالعلم، ويقول في ذلك شعراً، فأجابه قُطْرُب، فقال:

ذا مـا أقـرُّ به قُـطْرُبُ ... على نفـسـه لأبي القـاسـمِ
وأشـهـدَ هوداً وجَـهـمـاً عليـه ... وأشـهـدَ غَـزوان معْ عـاصـمِ
بأنْ قـال قـد بَذّني في القـيـاس ... وصـيُـرتُ في يده خـاتمي
وأعلم بالنحـو من سـيـبـويهِ ... وأجـود بالمال من حـاتمِ
بديهـتـه عند ردِّ الجـوابِ ... تـزيـد على فِطنة الـعَـالمِ
فـصـرتُ على السنّ تلمـيـذه ... وصـارَ أبو قـاسمٍ عـالِمي

(١) لم يذكر ياقوت في معجمه هذه الأبيات.

[٩٢]*
ابن قُتيبة

أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قُتيبة الدِّينَوَريّ، وقيل: المروزيّ الكاتب.

قال الخطيب: سكن بغداد، وحدَّث عن إسحاق بن راهوَيه، ومحمد بن زياد الزياديّ، وأبي الخطَّاب زياد بن يحيى، وأبي حاتم السجستانيّ، وغيرهم. وروى عنه ابنه القاضي أحمد، وابن درستوَيه، وعبيدالله بن عبد الرحمن السكَّريّ، وعبيدالله بن أحمد بن بكير، وغيرهم.

وكان ثقةً ديِّناً فاضلاً رأساً في العربيَّة واللغة والأخبار وأيام الناس، وُلِدَ ببغداد، ووليَ قضاء الدِّينَوَر، وأقام بها مدة، فنُسِبَ إليها.

وقال البيهقيّ: كان يرى رأيَ الكَرَّاميَّة.

ونقل صاحبُ المرآة عن الدارقُطنيّ أنَّه كان يميل إلى التشبيه.

قال الصفديّ: وهذا فيه بعدٌ؛ لأنَّ له مصنَّفاً في الردِّ على المُشَبِّهة.

وقال مسعود السجزيّ: سمعتُ الحاكم يقول: أجمعتِ الأمةُ على أنَّ القُتيبيَّ كذَّابٌ.

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويين: ١٣٦-١٣٧. طبقات النحويين: ١٨٣. الفهرست: ١٢٣-١٢٤. تاريخ العلماء النحويين: ٢٠٩-٢١٠. تاريخ بغداد: ١٠/١٦٨. الإكمال: ٦/٣٧٤-٣٧٥: نزهة الألباء: ١٥٩-١٦٠. المنتظم: ١٢/٢٧٦-٢٧٧. إنباه الرواة: ٢/١٤٣-١٤٧. وفيات الأعيان: ٣/٤٢-٤٤. إشارة التعيين: ١٧٢-١٧٣. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٧١-٢٨٠): ٣٨١-٣٨٢. سير أعلام النبلاء: ١٣/٢٩٦-٣٠٢. العبر: ١/٣٩٧. مرآة الجنان: ٢/١٤٢. كتاب الوفيات: ١٨٨. لسان الميزان: ٣/٢٥٧-٢٥٩. النجوم الزاهرة: ٣/٨٧-٨٨. البغية: ٢/٦٣-٦٤. طبقات المفسرين (الداودي): ١/٢٥١-٢٥٢. شذرات الذهب: ٢/٣٣٣-٣٣٤. طبقات المفسرين (الأدنه وي): ٤٤. دول الإسلام: ١/١٦٧. روضات الجنات: ٥/١٠٥-١٠٨.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن قتيبة العالم الناقد الأديب.
- ابن قتيبة اللغويّ منهجه وأثره في الدراسات اللغوية.

قال الذهبيّ: وهذه مجازفة من الحاكم، ما علمتُ أحداً اتّهمَ القُتيبيّ في نقله مع أنّ الخطيب قد وثّقه، وما أعلم الأمة أجمعت إلا على كذب الدَجّال ومُسيلِمة.

ولِد سنة ثلاث عشرة ومائتين في ذي القعدة، ومات أول ليلة من رجب سنة ستّ وسبعين، أكل هريسة، فأصاب حرارةٌ، ثم صاح صيحةً شديدة، ثم أُغميَ عليه إلى وقتِ الظهرِ، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ، فما زال يتشهّد إلى وقتِ السَّحَرِ.

ومن تصانيفه: كتاب مشكل القرآن، وكتاب معاني القرآن، وكتاب غريب الحديث، وكتاب مختلف الحديث، وكتاب جامع الفقه، وكتاب المعارف، وكتاب عيون الأخبار، وكتاب أعلام النبي (ﷺ)، وكتاب عبارة الرؤيا، وكتاب الأشربة، وكتاب التسوية بين العرب والعجم، وكتاب الأنواء، وكتاب طبقات الشعراء، وكتاب معاني الشعر، وكتاب أدب الكاتب، وكتاب الميسر والقِداح، وكتاب الوزراء، وكتاب الأبنية، وكتاب جامع النحو، وكتاب المسائل والجوابات، وكتاب القراءات، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب الخيل، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب المراتب والمناقب، وكتاب الحِكَم والأمثال، وكتاب جامع النحو الصغير، وكتاب إصلاح ما غلط فيه أبو عبيد في غريب الحديث، وكتاب الردّ على المُشَبِّهة، وكتاب العلم، وكتاب الجوابات الحاضرة، وكتاب النفس، وكتاب ما قيل في الخيل من الشعر، وكتاب مُلَح الأخبار، وكتاب ذِكر النبي ومولده ووفاته، وكتاب الضواري والبُزاة، وكتاب الفهود، وكتاب الكلاب، وكتاب السماحة، وكتاب التنبيه، وكتاب الإبل، وكتاب الوحش، وكتاب أدب القاضي، وكتاب الصيام، وكتاب الردّ على من قال بخلق القرآن، وكتاب المطر، وكتاب الشعر والشعراء، وكتاب الحجامة.

ومن شعره:

فيا مَن مودته بالعيانِ ... فإن غاب كانت مع الغائبِ
ويا مَن وفى ليَ من ودّه ... بفعلِ امرئٍ قاطعٍ قاضبِ
بأيةِ جُرمٍ قد اقصيتني ... وألقيت حبلي على غاربي

وقال أبو الطيب: كان ابن قُتيبة أخذ عن أبي حاتم، والرياشيّ، وعبد الرحمن أخي الأصمعيّ إلا أنَّه خلط علمه بحكاياتٍ عن الكوفيين، لم يكن أخذها عن ثقاتٍ، وكان يسرع في أشياء لا يقوم بها، نحو تعرّضه لتأليفِ كتابه في النحو، وكتابه في تعبير الرؤيا، وكتابه في معجزات النبي (ﷺ)، وعيون الأخبار، والمعارف، والشعراء، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء، وإن كان نفق بها عند العامة، ومن لا بصيرة له في العلم.

قال ابن الأنباريّ في كتاب الأضداد[1]: النُّبَل من الأضداد، يُقال: نَبَل للجِلّة العِظام، ونَبَل للصغار، ومن الصغار حديث النبي (ﷺ) في الغائط: «اتقوا الملاعن وأعدّوا النُّبَل» فالملاعن: الطرقات والمواضع التي يلعن الناس فيها من قذرها، والنَّبل: حجارة الاستنجاء، سُمِّيت نبلاً لصغرها. وأنكر ابنُ قُتيبة هذا، وقال: إنَّما هو " وأعدّوا النُّبَل" بضمّ النون، قال: والنُّبَل: جمع نُبلة، والنُّبلة ما انتبلتَ من الأرض من حجر، أي تناولت، فالنُّبلة اسم المُتَناوَل بمنزلة الغُرفة اسماً للمغروف، والحُسوة للشيء الذي يُحسى.

قال ابن الأنباريّ: والذي قاله ابنُ قُتيبة عندي خطأ من ثلاثة أوجهٍ، أحدها: أنَّ النُّبَل لو أُريدَ بها ما يُتناول من الأرض لجاز أن يُقال لقطع الخَزَفِ والزُّجاج وما أشبهها نُبَل، وهذا غير معروفٍ فيهما، ولا يُجاز الاستنجاء بهما. والحجة الثانية أنَّ العربَ لا تقول فَعْلة وفُعْلة بمعنى المصادر والأسماء المبنية على الأفعال، إلا إذا تكلّموا بـ"فَعلتُ" فيقولون: حسوتُ حَسوةً والحُسوة الاسم، وغَرفتُ غَرفةً والغُرفة الاسم، وخطوت خَطوةً والخُطوة الاسم، وفَرجتُ فَرجةً والفُرجة الاسم، ولا يُقال في هذا: نَبلتُ، فمتى لم يُتَكلَّم بـ"فَعلت" لم يُتَكلَّم منه بـ"فَعلة وفُعلة" ألا ترى أنَّ العربَ تقول: انتبلتُ، فغير جائز أن يقول القائل: انتبلتُ نبلة، بل يجب أن يقول: انتبلتُ انتبالة. والحجة

---

(١) الأضداد: ٩٢-٩٥.

الثالثة أنَّه قال في حديث أبي هُريرة: «لو حدَّثتُ بكلٍّ ما أعلم لرَموني بالقِشَع» والقِشَع جمعُ قَشْعة، والقَشْعة ما يقشع من الأرض من الحجر والطين والخزَف وغير ذلك، والقِشَع جمع قشعة كما تقول بدْرة وبِدَر، فنقض ابن قُتيبة بهذا على نفسه ما ادعاه في تأويل الحديث الأول؛ لأنَّه إذا صلح أن تكون القشة اسماً لما يُقشَعُ من الأرض، وأن يُقال في جمعها قِشَع صلح أن تكون النَّبلة اسماً لما يُنتَبل من الأرض، وأن يُقال في جمعها نِبَل ونَبَل، كما يُقال: حلْقة وحِلَق وحلَق، وعِبْرة وعِبَر وعَبَر.

وقال ابن قُتيبة في شعر لبيد:

كأرآم النُّبَل

فجعل هذا شاهداً لقوله. وهذا عندنا تصحيف منه إذ كانت الرواة روَتِ البيت على غير ما وصف، فاتفقوا على أنَّه قال:

كأرآم تُبَلْ[1]

وقالوا: المرنَّات: النساء اللواتي يعلِنَّ الرنَّة والأرام: الظِّباء، فشبَّه النساء بالظِّباء في تُبَل، وتُبَل اسم موضع. انتهى.

(١) جزء بيت أصله:

كلّ يومٍ صنعوا جاملهمْ ... ومُرنّات كأرام تبلْ

[٩٣]*

القَرافيّ

الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجيّ الفقيه المالكيّ الأصوليّ.

قال الصفديّ: أصله من قرية من كورة بوش من صعيد مصر الأسفل، نُسِب إلى القَرافة، ولم يسكنها، وإنّما سئل عنه عند تفرقة الجامكيّة بمدرسة الصاحب بن شُكر، فقيل: هو بالقَرافة. فقال بعضهم: اكتبوه القَرافيّ. فلزمه ذلك.

كان إماماً في الفقه والأصلين عالِماً بالتفسير وبعلومٍ أُخَر، حسنَ الشكلِ والسمتِ، ولي تدريس الصالحيّة، ومدرسة طَيْبَرْس، وصنّف كُتباً مفيدة منها: شرح المحصول، والتعليق على المنتخَب، والتنقيح، وشرحه، وأنوار البروق وأنواء الفروق، والذخيرة في الفقه، والاستبصار فيما يُدرَك بالأبصار.

قال الصفديّ: ومع هذه العلوم حكى لي بعضهم أنّه رأى له مُصنّفاً كاملاً في قوله تعالى: ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعامَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٨] فبنى هذا على الاستثناء، وظنّ أنّ الآية: "جسداً إلا"[١] فلما قيل له عن ذلك بعدَ أن خرج عن يده اعتذَرَ بأنّ الفقيه لقّنه كذلك في الصغر، ورأى الألفَ في "جسداً" فلم يجعل باله إلى أنّها ألف التنوين.

مات بدير الطين سنة اثنتين وثمانين وستّمائة، ودُفِن بالقَرافة. انتهى.

---

[*] انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٨١-٦٩٠): ١٧٦-١٧٧. الوافي: ٦/١٤٦-١٤٧. الدليل الشافي. ١/٣٩. المنهل الصافي: ١/٢٣٢-٢٣٤. روضات الجنات: ١/٣٣٦-٣٣٧.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- مقدّمة تحقيق كتاب: الاستغناء في أحكام الاستثناء.

(١) في الوافي: بشراً.

[٩٤]*
الكسائيّ

أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن عثمان من ولدِ بَهْمَن بن فيروز الأسديَ مولى بني أسد.

قال الخطيب والكمال بن الأنباريّ في النزهة: أخذ عن أبي جعفر الرؤاسيّ، ومعاذ الهَرّاء، وكان أحد أئمة القُرَّاء السبعة، وكان قد قرأ على حمزة الزيَّات، وأقرأ بقراءته ببغداد، ثم اختار لنفسه قراءة، فأقرأها الناسَ. وكان قد سمع من سليمان بن أرقم، وأبي بكر بن عياش، وسُفيان بن عُيينة، ومحمد بن عبيدالله العرزميّ، وغيرهم. وأخذ عنه أبو زكريا يحيى بن زياد الفَرَّاء، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم، وأبو عمر حفص بن عمر الدُّوريّ، وأبو توبة ميمون بن حفص، وجماعة.

وقال الفرَّاء: إنَّما تعلَّمَ الكسائيّ النحو على الكِبَر، وكان سببُ تعلُّمه أنَّه جاء يوماً وقد مشى حتى أعيا، فجلس إلى قومٍ فيهم فضلٌ، وكان يجالسهم كثيراً، فقال: قد عَيَّيْتُ. فقالوا له: أتجالسُنا وأنتَ تلحن؟ فقال: كيف لحنتُ؟ فقالوا له: إن كنتَ أردتَ من التعبِ فقل: "أعييتُ"، وإن كنتَ أردتَ من انقطاع الحيلة والتحيُّر في الأمر فقل: "عييت"

---

[*] انظر ترجمته في: المعارف: ٥٤٥. الجرح والتعديل: ٨٢/٦. مراتب النحويين: ١٢٠-١٢١. الثقات: ٤٥٧/٨. أخبار النحويِّين البصريِّين: ٦٠-٦٢. طبقات النحويين: ١٢٧-١٣٠. الفهرست: ٤٦-٤٧. تاريخ العلماء النحويين: ١٩٠-١٩٣. تاريخ بغداد: ٤٠٢/١١-٤١٢. نزهة الألباء: ٥٨-٦٤. المنتظم: ١٦٨/٩-١٧٣. معجم الأدباء: ١٧٣٧/٤-١٧٥٢. وفيات الأعيان: ٢٩٥/٣-٢٩٧. إشارة التعيين: ٢١٧-٢١٨. تاريخ الإسلام: (وفيات: ١٨١-١٩٠): ٢٩٩-٣٠٤. معرفة القراء الكبار: ١٢٠/١-١٢٨. الوافي: ٤٨/٢١-٥٢. مرآة الجنان: ٣٢٤/١-٣٢٥. كتاب الوفيات: ١٤٧-١٤٨. البلغة: ١٥٦-١٥٧. غاية النهاية: ٥٣٥/١-٥٤٠. لسان الميزان: ٢٢٧/٤. البغية: ١٦٢/٢-١٦٤. طبقات المفسرين (الدوادي): ٤٠٤-٤٠٩. شذرات الذهب: ١٦/٢. طبقات المفسرين (الأدنه وي): ٢١. ديوان الإسلام: ٦٩/٤-٧٠. روضات الجنات: ١٩٤/٥-١٩٧.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- الإمام الكسائي وآراؤه في النحو، مجلة بحوث كلية اللغة العربيّة، جامعة أم القرى، ع ٢، ١٤٠٤هـ، ٤٢٥-٤٥٢.

مخففةٌ. فأنف من هذه الكلمة، وقام من فوره، فسأل عَن من يُعلِّم النحو، فأرشدوه إلى معاذ الهَرَّاء، فلزمه حتى أنفد ما عنده، ثم خرج إلى البصرة، ولقي الخليل بن أحمد، وجلس في حلقته، فقال له رجلٌ من الأعراب: تركتَ أسداً وتميماً وعندهما الفصاحة وجئتَ إلى البصرة؟ فقال للخليل: من أينَ أخذتَ علمكَ هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة. فخرج الكسائيّ ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنّينةً حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، ولم يكن له هَمٌّ غير البصرة والخليل، فوجد الخليلَ قد مات، وجلس في موضعه يونس بن حبيب البصريّ النحويّ، فجرت بينهم مسائل أقرَّ له يونس فيها، وصدَّره في موضعه.

قال عبد الرحيم بن موسى: قلتُ للكسائيّ: لِمَ سُمِّيتَ الكسائيّ؟ قال: لأني أحرمتُ في كساء.

وقال خلف بن هشام: دخل الكسائيّ الكوفة إلى مسجد السبيع، وكان حمزة بن حبيب يقرئ فيه، فتقدَّم الكسائيّ مع أذان الفجر، فجلس وهو ملتفٌ بكساء، فلما صلَّى حمزة، قال: من تقدَّم في الوقت؟ قيل له: الكسائيّ. يعنون صاحبَ الكساء، فرمقه القوم بأبصارهم، فقالوا: إن كان حائكاً فسيقرأ سورة يوسف، وإن كان فلاّحاً فسيقرأ سورة طه، فسمعهم، فابتدأ بسورة يوسف، فلما بلغ إلى قصة الذئب، قرأ: ﴿فأكله الذيب﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٧] بغير همز. فقال له حمزة: "الذئب" بالهمز. فقال له الكسائيّ: ولذلك أهمزِ ﴿الحوت﴾ [سورة الصافّات، الآية: ١٤٢] فاقْرأْ "فالتقمه الحؤت". فقال: لا. فقال: لِمَ همزتَ الذئب ولم تهمز الحوت، وهذا (فأكله الذئب) وهذا (فالتقمه الحوت)؟ فرفع حمزة بصرَه إلى حمَّاد الأحول، وكان أكملَ أصحابه، فتقدَّم إليه في جماعة أهلِ المجلس، فناظروه، فلم يصنعوا شيئاً، وقالوا: أفِدنا يرحمك الله، فقال لهم الكسائيّ: تفهَّموا عن الحائك، تقول إذا نسبتَ الرجل إلى الذئب: قد استذأب الرجلُ، ولو قلتَ: قد استذاب بغير همزٍ لكنتَ إنَّما نسبتَه إلى الذَّوْب أي الهُزال، تقول: قد استذاب الرجل شحمه، بغير همزٍ، وإذا نسبتَه إلى الحَوت، قلتَ: قد استحات

الرجل، أي كثر أكله؛ لأنَّ الحوت يأكل كثيراً، فلا يجوز فيه الهمز، فلتلك العلة هُمِز الذئب، ولم يُهمَز الحوت، وفيه معنى آخر لا تسقط الهمزة من مفرده ولا من جمعه، وأنشدهم:

أيُّهـــــا الذئبُ وابنه وأبوه　　　　أنتَ عندي من أذؤبٍ ضــــارياتِ

قال: فسُمِّيَ الكسائيَّ من ذلك اليوم.

وله كُتبٌ كثيرة، منها: كتاب معاني القرآن، وكتاب مختصر في النحو، وكتاب القراءات، وكتاب العدد، وكتاب اختلاف العدد، وكتاب مقطوع القرآن وموصوله، وكتاب النوادر الكبير، وكتاب النوادر الأوسط، وكتاب النوادر الأصغر، وكتاب الهجاء، وكتاب المصادر، إلى غير ذلك.

وكان الكسائيّ يُعلِّم الرشيد والأمين من بعده. قال سلمة: كان عند المهدي مؤدب يؤدبُ الرشيد، فدعاه المهدي يوماً وهو يستاك، فقال له: كيف تأمر من السّواك؟ فقال: استَك يا أمير المؤمنين. فقال المهدي: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ثم قال: التمسوا لنا من هو أفهم من هذا. فقالوا: رجلٌ يُقال له علي بن حمزة الكسائيّ من أهل الكوفة، قدم من البادية قريباً. فكتبَ بإزعاجه من الكوفة. فساعةَ دخل عليه قال: يا علي بن حمزة. قال: لبيكَ يا أميرَ المؤمنين. فقال: كيف تأمر من السواك؟ فقال: سُك يا أمير المؤمنين. فقال: أحسنتَ وأصبتَ وأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال حرملة بن يحيى التجيبيّ: سمعتُ محمد بن إدريس الشافعيّ يقول: من أراد أن يتبحّر في النحو فهو عيّال على الكسائيّ.

وقال الكسائيّ: صلّيتُ بالرشيد، فأعجبتني قراءتي، فغلطتُ في كلمة ما أخطأ فيها صبيّ قطّ، أردتُ أن أقرأ ﴿لعلّهم يرجعون﴾ [سورة يوسف، الآية: ٦٢] فقرأتُ "لعلّهم يرجعين" قال: فوالله ما اجترأ الرشيد أن يردَّ عليَّ، ولكني لما سلّمتُ قال لي: يا كسائيّ، أيّ لغةٍ هذه؟ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد يعثر الجواد. فقال: أمّا هذه فنَعمْ.

قال ابن الدورقيّ: اجتمع الكسائيّ واليزيديّ عند الرشيد، فحضرتْ صلاة يُجْهَرُ فيها، فقدموا الكسائيّ، فصلّى بهم، فارتُجَّ عليه قراءة ﴿قل يا أيُّها الكافرون﴾ [سورة الكافرون، الآية: ١] فلما سلَّم قال اليزيديّ: قارئ أهلِ الكوفة يُرتَجُّ عليه (قل يا أيُّها الكافرون) فحضرت صلاةُ يُجْهَرُ فيها، وتقدَّم اليزيديّ، فصلّى، فارتُجَّ عليه في سورة الحمد، فلما سلَّم قال:

احفظْ لسانَك لا تقول فتُبتَلى إنَّ البلاءَ موكَّل بالمنطقِ

وعن أبي محمد بن حمدان، قال: كان رجلٌ يغتاب الكسائيّ، ويتكلَّم فيه. فكتبَ إليه ينهاه، فما كان ينزجر، فجاءني بعد أيامٍ، فقال لي: رأيتُ الكسائيَّ في النوم أبيضَ الوجه. فقلتُ له: ما فعل الله بك يا أبا الحسن؟ فقال: غفر لي بالقرآن إلا أني رأيتُ النبي (ﷺ) فقال لي: أنتَ الكسائيّ؟ قلتُ: نعم يا رسول الله. قال: اقرأ. قلتُ: ما أقرأُ يا رسول الله؟ قال: اقرأْ ﴿والصافّات صفًا فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً إنَّ إلهكم لواحد﴾ [سورة الصافّات، الآية: (١-٤)] وضرب بيده كتفي، وقال: لأباهيَنَّ بك الملائكة غداً.

وحكى الدوريّ، قال: كان أبو يوسف يقع في الكسائيّ ويقول: أيُّ شيءٍ يُحسِنُ؟ إنَّما يحسن شيئاً من كلام العرب. فبلغ ذلك الكسائيّ، فالتقيا عند الرشيد، وكان الرشيد يُعَظِّمُ الكسائيّ لتأديبه إياه، فقال لأبي يوسف: يا يعقوبُ، أَيْشٍ تقول في رجلٍ قال لامرأته: أنتِ طالق طالق طالق؟ قال: واحدة. قال: فإن قال لها: أنتِ طالق أو طالق أو طالق؟ قال: واحدة. قال: فإن قال لها: أنتِ طالق ثم طالق ثم طالق؟ قال: واحدة. قال: فإن قال لها: أنتِ طالق وطالق وطالق؟ قال: واحدة. قال الكسائيّ: يا أمير المؤمنين، أخطأ يعقوب في اثنتين، وأصاب في اثنتين. أما قوله: أنتَ طالق طالق طالق، فواحدة؛ لأنَّ الثنتين الباقيتين تأكيد، كما تقول: أنتَ قائم قائم قائم، وأنتَ كريم كريم كريم. وأما قوله: أنتِ طالق أو طالق أو طالق، فهذا شكٌّ، وقعتِ الأولى التي تتيقن، وأما قوله: أنتِ طالق ثم طالق ثم طالق، فثلاث؛ لأنَّه نسق، وكذلك قوله: أنتِ طالق وطالق

وطالق.

ويُحكى عن الفرّاء أنّه قال: دخلتُ على الكسائيّ يوماً وكأنّه يبكي، فقلتُ له: ما يبكيك؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد يوَجِّه إليَّ ليسألني عن الشيء، فإن أبطأتُ في الجواب لحقني منه عتب، وإن بادرتُ لم آمن من الزلل. قال: فقلتُ له: يا أبا الحسن، من يعترض عليك؟ قل ما شئتَ فأنتَ الكسائيّ. فأخذ لسانه وقال: قطعه الله إذن إن قلتُ ما لا أعلم.

مات الكسائيّ ومحمد بن الحسن في سنة ثلاثٍ وثمانين ومائة، وقيل: في سنة ستٍّ وثمانين. وقال أحمد بن كامل القاضي: مات الكسائيّ بالرّي سنة تسعٍ وثمانين ومائة هو ومحمد بن الحسن، ودفنهما الرشيد بقرية يُقال لها زَنْبَوَيه، وقال: اليوم دفنتُ الفقه واللغة.

قال محمد بن يحيى: سمعتُ عبد الوهاب بن حريش يقول: رأيتُ الكسائيَّ في النوم، فقلتُ: ما فعل الله بكَ؟ فقال: غفر لي بالقرآن. انتهى ما أورده الكمال بن الأنباريّ.

وقال أبو الطيب في مراتب النحويين: كان عالِمَ أهلِ الكوفة وإمامَهم غيرَ مُدافَعٍ أبو الحسن علي بن حمزة الكسائيّ، إليه ينتهون بعلمهم، وعليه يعوّلون في رواياتهم. أخبرنا عبد القدوس بن أحمد ومحمد بن عبد الواحد، قالا: أخبرنا ثعلب، قال: أجمعوا على أنَّ أكثر الناس كلّهم رواية وأوسعهم علماً الكسائيُّ، وكان يقول: قلَّ ما سمعتُ في شيءٍ "فعلتُ" إلا وقد سمعتُ فيه "أفعلتُ".

قال أبو الطيب: وهذا الإجماع الذي ذكره ثعلب لا يدخل فيه أهل البصرة.

أخبرنا جعفر بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن غيّاث النحويّ، قال: أخبرنا أبو نصر الباهليّ، قال: حمل الكسائيّ إلى أبي الحسن الأخفش خمسين ديناراً وقرأ عليه كتابَ سيبويه سرِاً.

وأخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن قال: أخبرنا أبو الحسن الحنفيّ، وإبراهيم

بن حميد، قالا: حدثنا أبو حاتم قال: لم يكن لجميع الكوفيين عالِمٌ بالقرآن ولا كلام العرب، ولولا أنَّ الكسائيَّ دنا من الخلفاء، فرفعوا ذكره لم يكن شيئاً، وعلمه مختلط بلا حُجج ولا عِلل إلا حكايات عن الأعراب مطروحة؛ لأنَّه كان يُلقّنهم ما يريد، وهو على ذلك أعلمُ الكوفيين بالعربيّة والقرآن، وهو قدوتهم، وإليه يرجعون.

وكان شخص مع الرشيد إلى الرّي في خَرجته الأولى، فمات هناك في السنة التي مات فيها محمد بن الحسن الفقيه، وهي سنة تسعٍ وثمانين ومائة.

وقال السخاويّ في شرح الشاطبيّة: أبو الحسن الكسائيّ من أولاد الفُرس من سواد العراق، وجدّه عبدالله بن بَهمَن بن فيروز، وهو مولى بني أسد، كوفيّ انتهت إليه الإمامة في القراءة، وخُتِمَ به قُرَّاء الأمصار، اعتمد في قراءته على حمزة، وعنه أخذ القراءة، وقرأ عليه أربع مراتٍ القرآنَ كلّه، وأخذ أيضاً عن محمد بن أبي ليلى، وعيسى بن عمر، وكانت العربيّة علمه وصناعته، واختار من آثار من تقدم من الأئمة، ومن قراءة حمزة قراءةً متوسطةً، وهو إمام عصره، وكان يقرأ على الناس ليأخذوا لفظه، وكانوا ينقطون مصاحفه على قراءته.

وقال نصير: كان الكسائيّ إذا قرأ وتكلّم كأنَّ مَلَكاً ينطقُ على فِيه.

وقال يحيى بن مَعين: ما رأيتُ بعَينيَّ هاتين أصدقَ لهجةً من الكسائيّ.

وقال أبو عمرو الداني في طبقات القُرَّاء: علي بن حمزة الكسائيّ الأسديّ النحويّ كوفيّ، يكنى أبا الحسن، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة الزيّات، وعليه اعتماده في اختياره، وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعيسى بن عمر الهمدانيّ، وروى الحروف عن أبي بكر بن عياش عن عاصم، وعن إسماعيل بن جعفر عن نافع، وأبي جعفر وشيبة، وعن زائدة بن قدامة عن الأعمش، وعن جماعة، وسمع جعفر بن محمد، وسليمان الأعمش، ومحمد بن الفضل.

روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وقُتيبة بن مهران، وحفص بن عمر، والليث بن خالد، ونُصَير بن يوسف، وميمون بن حفص، وأحمد بن

جُبير، وعيسى بن سليمان، ومحمد بن سُفيان، وأحمد بن أبي سريج، وهاشم بن عبد العزيز البربريّ، وزكريا بن وردان، وصالح بن عاصم، وسريج بن يونس، وأحمد بن أبي ذُهْل، وعبد الرحمن بن واقد، وأحمد بن منصور، والمطلب بن عبد الرحمن بن فهم، وأحمد بن واصل، والمغيرة بن شعيب، وإبراهيم بن الحريش، وإبراهيم بن زاذان، وسورة بن المبارك، وحميد بن الربيع الخزّان، وعبد القدوس بن عبد الحميد، وعبيدالله بن موسى وابنه أبو أناس واسمه هارون. هؤلاء المكثرون عنه.

ومن المقلّين عنه: يحيى بن زيادالفرّاء، ومحمد بن المغيرة، وهارون بن يزيد، وخلف بن هشام، وعلي بن خشرم[1]، وإسحاق بن أبي[2] إسرائيل، وعبد الواحد بن ميسرة القرشيّ، ومحمد بن عمر الروميّ، وعروة بن محمد الأسديّ، وزكّار[3] بن يحيى الأنماطيّ، ومحمد بن سعدان، وعون بن الحكم، وعلي بن الجعد، وحاجب بن الوليد، ومحمد بن يزيد الرفاعيّ، ويعقوب الدورقيّ، وأبو حيوة شريح بن يزيد، وعمر بن نعيم بن ميسرة، وعبدالله بن أحمد بن ذكوان، ومحمد بن عبدالله بن يزيد الحضرميّ، والفضل بن خالد النحويّ، وأحمد بن منصور النحويّ.

وسمع منه أحمد بن حنبل، ويحيى بن آدم، وانتهت إليه الإمامة في القراءة ببغداد بعد حمزة، وهو مولى بني أسد من باحَمشا.

وعن الفرّاء: مدحني رجلٌ من النحويين، وقال لي: ما اختلافك إلى الكسائيّ وأنتَ مثله في العلم؟ فأعجبتني نفسي، فناظرته، وسألته، فكأنني كنتُ طائراً يغرف من البحر بمنقاره.

مات الكسائيّ في صحبة الرشيد برَنبوَيه قرية من قُرى الري سنة تسعٍ وثمانين ومائة عن البخاريّ[4]. وقال غيره: سنة إحدى وثمانين. وقيل: سنة اثنتين وثمانين.

---

(١) في غاية النهاية: علي بن خشنام. انظر: ١/٥٣٦.
(٢) المصدر السابق: إسحاق بن إسرائيل. انظر: ١/٥٣٦.
(٣) المصدر السابق: زكريا. انظر: ١/٥٣٦.
(٤) انظر: التاريخ الكبير: ٦/١٠١.

وقيل: سنة ثلاث وتسعين. وقال أبو الحسن بن المنادي: كان له من العُمر حولَ الستين سنة. انتهى كلام الداني.

وفي تاريخ الخطيب عن أبي بكر بن الأنباريّ: كان الناس يكثرون على الكسائيّ حتى لا يضبطهم، فكان يجمعهم ويجلس على كرسيّ ويتلو القرآن من أوّله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ.

وفي معجم الأدباء لياقوت: قال إسحاق الموصليّ: لم يكن للكسائيّ في الشعر يد حتى قيل إنَّه ليس في علماء العربيّة أجهلُ منه بالشعر. واجتمع يوماً بمحمد بن الحسن في مجلس الرشيد، فقال الكسائيّ: من تبحَّر في علمٍ يهتدِ إلى جميع العلوم. فقال له محمد بن الحسن: ما تقول في من سها في سجود السهو؟ هل يسجد مرة أخرى؟ فقال الكسائيّ: لا. قال: لماذا؟ قال: لأنَّ النحاة يقولون المصغَّر لا يُصَغَّر. فقال محمد بن الحسن: فما تقول في تعليق الطلاق بالملك؟ قال: لا يصحّ. قال: لِمَ؟ قال: لأنَّ السيلَ لا يسبق المطر.

قال ياقوت: وحدَّث محمد بن إسحاق النديم، قال: قرأتُ بخطّ أبي الطيب بن أحمد الباهلي، قال: أشرف الرشيد على الكسائيّ يوماً وهو لا يراه، فقام الكسائيّ ليلبس نعليه، فابتدر الأمين والمأمون، فوضعاها بين يديه، فقبَّل رؤوسهما، وأقسمَ عليهما أن لا يُعاوِدا ذلك أبداً. فلما جلس الرشيد مجلسه، قال: أيّ الناسِ أكرمُ خدماً؟ قالوا: أمير المؤمنين له عزّة الله تعالى. فقال: بل الكسائيّ يخدمه الأمينُ والمأمونُ. وحدّثهم الحديث.

وقال ياقوت: وحدَّث المرزبانيّ عن عبدالله بن جعفر عن ابن قادم عن الكسائيّ، قال: حججتُ مع الرشيد، فقُدِّمتُ لبعض الصلوات، فصلّيتُ، فقرأتُ: ﴿ذُرِّيَّة ضِعافا خافوا عليهم﴾ [سورة النساء، الآية: ٩] فأملتُ "ضِعافا" فلما سلّمتُ ضربوني بالنِّعال والأيدي وغير ذلك حتى غُشيَ عليَّ، واتصلَ الخبرُ بالرشيد، فوجَّه من استنقذني، فلما جئته، قال لي: ما شأنك؟ فقلتُ: قرأتُ لهم ببعض قراءات حمزة الرديئة، ففعلوا بي ما بلغ أمير المؤمنين. فقال: بئس ما صنعتَ. ثم إنَّ الكسائيّ ترك كثيراً من قراءات حمزة.

وقال الزبيديّ في طبقاته: قال محمد بن الحسن السمريّ: رأيتُ الكسائيَّ بالبصرة في مجلس يونس يناظره مناظرة النظير.

وقال أبو علي القالي: سمعتُ محمد بن السري السرّاج يقول: حضر الكسائيّ مجلس يونس، فسأله: لِمَ صارت "حتى" تنصب الأفعال المستقبلة؟ فقال: هكذا خُلقتْ. فضُحِك به.

وقال عبدالله بن أبي سعد: حدثني أبو بكر عبدالله بن آدم بن خُثَم العبديّ، قال: حدثني الأحمر، قال: دخل أبو يوسف القاضي على هارون الرشيد والكسائيّ عنده يلاقيه ويمازحه، فقال له أبو يوسف هذا: الكوفيّ جد استفرغك وغلبَ عليك. فقال له يا أبا يوسف: إنّه ليأتيني بأشياء ويستميل عليها قلبي. فاقبل الكسائيّ على أبي يوسف، فقال: يا أبا يوسف، هل لك في مسألة؟ قال: نحو أو فقه؟ قال: بل فقه. فضحِك الرشيد حتى فحص برجله، ثم قال: تُلقي على أبي يوسف فقهاً؟ قال: نعمْ. قال: يا أبا يوسف: ما تقول في رجلٍ قال لامرأته: أنتِ طالقٌ إن دخلتِ الدارَ. قال: إذا دخلت الدار طلّقت. قال: أخطأتَ يا أبا يوسف. فضحك الرشيد، ثم قال: كيف الصواب؟ قال: إذا قال "أنْ" فقد وجب الفعل، وإذا قال "إنْ" لم يجب ولم يقع الطلاق. قال: وكان أبو يوسف بعدها لا يدع أن يأتي الكسائيّ.

وقال محمد بن عبد العزيز: أخبرني من أثق به أنَّ الرشيد تلقّاه الكسائيّ في بعض طريقه، فوقف عليه، وسأله عن حاله، فقال الكسائيّ: لو لم أجتنِ من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله لي من وقوف أمير المؤمنين عليٍّ لكان كافيا.

وقال الأوارجيّ الكاتب: حُدِّثتُ أنَّ الكسائيَّ النحويَّ ارتحل إلى حمزة الزيّات وعليه كساء جيِّد، فجلس بين يديه يقرأ، فقرأ ثلاثين آية، وكان حمزة لا يقرأ على أكثر من ثلاثين آية، فقال له: اقرأْ. فقرأَ أربعينَ آية، ثم قال له: اقرأْ. فقرأَ إلى أن تمَّمَ مائة آية، قال له: قُم. ثم افتقده، فقال: ما صنع صاحب الكساء الجيد؟ فسُمِّيَ الكسائيّ.

وقال ثعلب: قال سلمة: صحّف الكسائيّ في بيت الجعديّ:

وكان النكير أن تُضيفَ وتجأرا

فقال: تصيف.

وفي معجم ياقوت: حدّث سلمة بن عاصم، قال: قال الكسائيّ: حلفتُ لا أكلّم عاميًا إلا بما يوافقه ويشبه كلامه، وذلك أني وقفتُ على جارٍ فقلتُ له: بكم ذانِك البابان؟ فقال: بسلحتان. فحلفتُ أن لا أكلّم عامياً إلا بما يصلحه.

وحدث الخزنبل قال: أنشدنا يعقوب بن السكّيت لابن الجرّاح العقيليّ يمدح الكسائيّ:

ضَحوكٌ إذا زُفّ الخوانُ وزورُهُ   يحيًا بأهلاً مرحبا ثم يجلسُ
أبا حسنٍ ما جئتكم قط مطفئاً   لظى الشوقِ إلا والزجاجة تقلسُ

قال يعقوب: يريد تمتلئ حتى تفيض، ونصب قوله "يحيًا بأهلاً" على الحكاية.

وحدث المرزبانيّ عن نصير الرازيّ النحويّ، قال: قدم الكسائيّ مع هارون، فاعتلّ علة منكرة، فأتاه هارون ماشياً، فخرج من عنده وهو مغتمٌّ جداً، فقال لأصحابه: ما أظنُّ الكسائيّ إلا ميتاً. وجعل يسترجع، فجعل القوم يعزّونه، ويطيبون نفسه، وهو يظهر حزنا، فقالوا: يا أمير المؤمنين، وما له نصيب علينا بهذا؟ قال: إنّه حدثني أنّه لقي رجلاً من الأعراب عالماً غزيرَ العلم بموضع يُقال له ذو النخيلة، قال الكسائيّ: فكنتُ أغدو عليه وأروح أمتاح ما عنده، فغدوتُ عليه غدوةً من تلك الغدوات، فإذا هو ثقيل، ورأيتُ به علة منكرة. قال: فألقى نفسه وجعل يتنفس ويقول:

قدرٌ أحلّكَ ذا النخيلِ وقد ترى   وأبيَ ما لك ذو النخيل بدارِ
إلا كداركمُ بذي بقرِ الحمى   هيهات ذو بقرٍ من المزدارِ

قال الكسائيّ: فغدوتُ عليه صباحاً، فإذا هو لما به. قال: فدخلتُ الساعة على الكسائيّ، فإذا هو ينشدُ هذين البيتين، فغمّني ذلك غمّاً شديد، فمات من يومه.

قال ياقوت: وقد رويَ أن وفاة الكسائيّ كانت بطوس لا بالرّي.

قال: وحدَّث المرزبانيّ عن ابن الأعرابيّ، قال: كان الكسائيّ أعلمَ الناسِ على رهَقٍ فيه، كان يُديم شربَ النبيذ، ويُجاهر باتخاذ الغلمان الرُّوقة إلا أنَّه كان ضابطاً قارئاً عالماً بالعربيّة صدوقاً.

قال ياقوت: ولليزيديّ أشعار في الكسائيّ منها:

أفسدَ النحوَ الكسائـ ـيُّ وثنَّى ابنُ غزالهْ
وأرى الأحمرَ تيساً فاعلفوا التيسَ النُّخالهْ

وحدث المرزبانيّ عن عبدالله بن جعفر عن محمد بن يزيد عن المازنيّ والرياشيّ عن أبي زيد، قال: لما وردَ نعيُّ الكسائيّ من الرّي، قال أبو زيد: لقد دفن بها علمٌ كثير بالكسائيّ. ثم قال: قدم علينا الكسائيّ البصرةَ، فلقي عيسى والخليل وغيرهما، وأخذ منهم نحواً كثيراً، ثم صار إلى بغداد، فلقي أعرابَ الحُطمة، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسدَ بذلك ما كان أخذه بالبصرة كلّه. قال عبدالله: وذلك أنَّ الكسائيّ كان يسمع الشّاذَّ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات، فيجعل ذلك أصلاً، ويقيس عليه حتى أفسد النحو.

وقال المنذريّ في نظم الجُمان: أسمعني أبو بكر عن بعض مشايخه أنَّ الكسائيّ كان يقوم في المحراب يؤمُّ، فتشذُّ عنه القراءة حتى لا يقوم بقراءة ﴿الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٢] ثم ينحرف، فيقبل عليهم، فيملي القرآن حفظاً وتفسيرَه بمعانيه.

حدث المرزباني عن الكسائيّ، قال: أحضرَني الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومائة، وأخرج إليَّ الأمينَ والمأمونَ كأنَّهما بدران، فقال لي: كيف تراهما؟ فقلتُ:

أرى قمرَي أُفْقٍ وفَرعَي بشامةٍ يزينهما عرقٌ كريمٌ ومحتدُ
يسدّانِ آفاق السماءِ بهمةٍ يؤيدهما حزمٌ ورأيٌ وسؤددُ
سليلَي أمير المؤمنين وحائزَي مواريث ما أبقى النبيُّ محمدُ

حـيـاة وخـصـب للولـي ورحـمـة   وحـرب لأعـداء وسـيف مـهنّدُ

ثم قلتُ: فرعٌ زكا أصله وطاب مغرسه، وتمكنتْ فروعه، وعذُبتْ مشاربه، أدّاهما ملك أغرّ نافذ الأمر واسع العلم عظيم الحلم، أعلاهما فعلَوَا، وسما بهما فسمَوَا، فهما يتطاولانِ بطَوله، ويستضيئانِ بنوره، وينطقان بلسانه، فأمتعَ الله أميرَ المؤمنين بهما، وبلّغه الأمل فيهما. فقال: تعهّدهما. فكنتُ أختلفُ إليهما في الأسبوع طَرفَي النهار.

قال ابنُ النجّار في تاريخه: أنبأنا عبد الوهاب بن علي عن محمد بن عبد الباقي أنّ الحسن بن علي الجوهريّ أخبره عن أبي عمر محمد بن العباس بن حيويه، قال: أنشدنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ، قال: أنشدني أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن البزّاز: ثم كان يجالسنا في مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى النحويّ لعليّ بن حمزة الكسائيّ من شعره:

إنّما النحوُ قياسٌ يُتَّبَعْ   وبه في كلّ أمرٍ يُنتَفَعْ
فإذا ما أبصرَ النحوَ الفتى   مرَّ في المنطقِ مرّاً فاتسعْ
فاتقاه كلُّ من جالسَه   من جليسٍ ناطقٍ أو مستمعْ
وإذا لم يبصر النحوَ الفتى   هاب أن ينطقَ جبناً فانقطعْ
فتراه يرفع النصبَ وما   كان من خفضٍ ومن نصبٍ رفعْ
يقرأ القرآن لا يعرف ما   صرَّفَ الإعراب فيه وصنعْ
والذي يعرفه يقرؤه   فإذا ما شكّ في حرفٍ رجعْ
ناظراً فيه وفي إعرابه   فإذا ما عرف اللحنَ صدعْ
كم وضيعٍ رفع النحوُ وكم   من شريفٍ قد رأيناه وضعْ
فهما فيه سواء عندكم   ليست السُّنّة فينا كالبِدعْ

وقال السيرافيّ في طبقاته: كان أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيديّ مؤدب المأمون، والكسائيّ مؤدب أخيه الأمين، وكان بينهما معارضة بسبب تأديبهما الأخوين،

فقال اليزيديّ في الكسائيّ وأصحابه:

كُنا نقيسُ النحوَ فيما مضى ... على لسانِ العرب الأُوَلِ
فجاءنا قومٌ يقيسونه ... على لُغى أشياخِ قُطْرُبُلِ
فكلّهم يعمل في نقضِ ما ... به يُصابُ الحقُّ ما يأتلي
إنَّ الكسائيَّ وأشياعه ... يرقَون في النحو إلى أسفلِ

ثم إنَّ اليزيديَّ رثى الكسائيَّ ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي حنيفة، وكانا قد خرجا مع الرشيد إلى خراسان، فماتا في الطريق، فقال:

تصَرَّمتِ الدنيا فليسَ خُلُودُ ... وما قد ترى من بهجة سيبيدُ
لكلِّ امرئٍ منّا من الموت منهلٌ ... وليس له إلا عليه ورودُ
ألم ترَ شيئاً شاملاً يُنذرُ البِلى ... وأنَّ الشبابَ الغضَّ ليس يعودُ
سيأتيك ما أفنى القرونَ التي خلتْ ... فكن مستعداً فالفناء عتيدُ
أسيتُ على قاضي القضاة محمد ... فأذريتُ دمعي والفؤادُ عميدُ
وقلتُ إذا ما الخطبُ أشكلَ من لنا ... بإيضاحه يوماً وأنتَ فقيدُ
وأقلقني موتُ الكسائيِّ بعده ... وكادتْ بي الأرضُ الفضاءُ تميدُ
فأذهلني عن كلِّ عيشٍ ولَذَّةٍ ... وأرَّق عيني والعيونُ هجودُ
هما عالمانا أوديا وتُخُرِّما ... وما لهما في العالمين نديدُ
فحزني إن تخطر على القلبِ خطرة ... بذكرهما حتى المماتِ جديدُ

قال ياقوت: ولما بلغت هذه الأبيات إلى الرشيد، قال: يا يزيديُّ، لئن كنتَ تسيء بالكسائيِّ في حياته، لقد أحسنتَ بعد موته. وقيل: بل قال له: أحسنتَ يا بصريّ، لئن كنتَ تظلمه في حياته، لقد أنصفته بعد موته.

قال: وقال أبو العباس، حدثني سلمة قال: قال الفرّاء: مات الكسائيّ وهو لا يدري حدَّ "نِعْمَ وبِئسَ" ولا حدَّ "أن المفتوحة" ولا حدَّ "الحكاية"، قال: فقلتُ لسلمة: فكيفَ لم

يُناظرْ في ذلك؟ فقال: قد سألته ذلك. فقال: أشفقتُ أن أحادثه فيقول فيَّ كلمةً تُسقطني، فأمسكتُ. قال الفرَّاء: ولم يكن الخليلُ يُحسِنُ حدَّ النداء، ولا كان سيبويه يدري حدَّ التعجّب.

وقال ياقوت، وحدّث السلامي، قال: حضر مجلسَ الكسائيّ أعرابيّ وهم يتحاورون في النحو، فأعجبه ذلك، ثم تناظروا في التصريف، فلم يهتدِ إلى ما يقولون، ففارقهم، وقال:

ما زال أخذهمُ في النحوِ يُعجبني ... حتى تعاطَوا كلام الزّنجِ والرّومِ
بمفعل فُعل لا طاب من كَلِمٍ ... كأنَّه زجل الغربان والبومِ

وأخرج ابن عساكر[1] عن حرملة بن يحيى، قال: سمعتُ الشافعيّ يقول: الناس عيالٌ على هؤلاء الخمسة: من أراد أن يتبحَّر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، ومن أراد أن يتبحَّر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى، ومن أراد أن يتبحَّر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحَّر في النحو فهو عيال على الكسائيّ، ومن أراد أن يتبحَّر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان.

وأخرج الخطيب عن محمد بن صالح بن هانئ، قال: سمعتُ الفضلَ بن محمد الشعرانيَّ يقول: كان للناس رؤوسٌ؛ كان سُفيان الثوريّ رأساً في الحديث، وأبو حنيفة رأساً في القياس، والكسائيّ رأساً في القرآن، فلم يبقَ اليوم رأس في فنٍّ من الفنون أكبر من ابن الأعرابيّ فإنَّه رأس في كلام العربِ.

وقال ابنُ عساكر[2]: أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن عبدالله[3]، وأبو المظفَّر[4] عبد المنعم بن أحمد الشامكانيّ، قالا: أخبرنا أبو طاهر أحنمد بن محمود أخبرنا أبو بكر

(١) تاريخ دمشق: ٦٠/١١٧.
(٢) المصدر نفسه: ٢٦/٣٢٠-٣٢٢.
(٣) في المصدر نفسه: عبدالملك. انظر: ٢٦/٣٢٠.
(٤) في المصدر نفسه: المطهّر. انظر: ٢٦/٣٢٠.

بن المقرئ حدثنا أحمد بن الحسن بن علي بن الحسن المقرئ حدثنا محمد بن يحيى الكسائيّ المقرئ حدثني أبو مسحل عبد الوهاب بن خريش الهمدانيّ، والليث بن خالد المقرئ، وأبو محمد اليزيديّ هاشم بن محمد قالوا: حدثنا الكسائيّ علي بن حمزة عن عبد الملك عن عطاء عن أبي هُريرة، قال: قال النبي (ﷺ) للعباس بن عبد المطلب: «اللهُمَّ، اغفرْ للعباسِ، وولد العباس، ولمحبي العباس، وشيعتهم». قال أبو هريرة: ثم رأيتُ النبي (ﷺ) قد ضرب بيده على منكب العباس، فقال: «يا ربِّ، هذا عمِّي وصنو أبي، اللهُمَّ لا تفجعني به كما فجعتني بعمِّي حمزة يوم أُحد، وكان أمرُكَ يا ربِّ قدراً مقدوراً» ثم رأيتُ عينيه تذرفان بالدموع، قال أبو هريرة: ثم رأيته (ﷺ) قد رفع يديه وهو يدعو ويقول: «اللهُمَّ، اغفرْ للعباسِ ما أسرَّ وما أعلنَ، وما أبدى وما أخفى، وما كان وما يكون منه ومن ذُرِّيَّته إلى يوم القيامة». قال أبو هريرة: وكان في المجلس عبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، وعقيل، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، فقال: «هؤلاء أهلي، اللهُمَّ فأذهبْ عنهم الرجسَ، وطهِّرهم تطهيرا» قال علي بن حمزة: فحدثتُ به الرشيد، فاستحسنه، وقال: يا أبا الحسن، كلّ يومٍ تجيئنا بفائدة. ودعا بدواة وقرطاسٍ، فكتبَ بخطِّه، وقال: ما سمعتُ حديثاً قطّ أحسن من هذا. وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

قال ابن عساكر: كذا وقع في هذه الرواية، وقد أسقِطَ منه محمد بن الفضل، أخرجه الخطيب من طريق علي بن حمزة الكسائيّ عن محمد بن الفضل عن عبد الملك عن عطاء عن أبي هريرة به مختصراً.

وقال الديلميّ محمد في مسند الفردوس، وقال الخطيب: أخبرنا علي بن محمد بن عبد الملك المعدّل أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفَّار حدثنا محمد بن الجهم بن هارون النحويّ حدثنا أبو توبة ميمون بن حفص النحويّ حدثنا علي بن حمزة الكسائيّ عن أبي بكر بن عياش عن سليمان التيميّ عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، والبراء بن عازب، قالا: قرأ رسول الله (ﷺ) وأبو بكر وعمر ﴿مالكِ يوم الدين﴾ [سورة

الفاتحة، الآية: ٤].

أخبرنا محمد بن علي النهاوندي أخبرنا محمد بن أبي نصر الحميديّ أخبرنا إبراهيم النعمانيّ أخبرنا أبو العباس بن الحاج حدثنا محمد بن جعفر ....[١] حدثنا هارون بن عبد العزيز العباسيّ حدثنا أحمد بن الحسن المصريّ حدثني محمد بن يحيى الكسائيّ حدثنا أبو مسحل عبد الوهاب بن خريش حدثنا علي بن محمد الكسائيّ حدثنا الرشيد حدثنا المهدي حدثنا المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس حدثني علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد أنُّهما سمعا النبي (ﷺ) يقول: عمي العباس حصَّن فرجه في الجاهليّة والإسلام، فحرَّم الله بدنه على النار وولده، اللهمَّ هبْ مسيئهم لمحسنهم.

وأخرج الخطيب عن الفرَّاء، قال: سمعتُ الكسائيّ يقول: ربَّما سبقني لساني باللحن فلا يمكنني أن أردَّه.

وفي الطيور باب عن أبي عمر الدوريّ، قال: سمعتُ الكسائيّ يقول: كنتُ يوماً أقرأ على حمزة، فدخل سليمان، فاضطرب، فقال لي حمزة: ما هذا؟ تقرأ عليَّ وأنت مستمر حتى إذا دخل سليمان اضطربتَ؟ قلتُ: إني إذا قرأتُ عليكَ فأخطأتُ قومتَني، وإذا أخطأتُ فسمعني سليمان عيَّرَني.

قال ابن مكتوم في تذكرته: وجدتُ بخطِّ السلفيّ: أخبرنا أبو طاهر محمد بن الحسين الجنابي أنبأنا أبو الفرج محمد بن عبد الواحد الدارميّ البغداديّ: سمعتُ أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبريّ المقرئ ببغداد يقول: سمعتُ أبا عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد يقول: سمعتُ ثعلباً يقول: سمعتُ سلمة بن عاصم يقول: سمعتُ الفرَّاء يقول: سمعتُ الكسائيّ يقول: لحنُ عليةِ الناسِ الرفعُ، ولحنُ أوساطهم النصبُ، ولحنُ سفَلَتهم الخفضُ.

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

وأخرج الخطيب في تاريخه عن أبي معاذ، قال: سمعتُ الكسائيّ يقول: أحِبُّ إليَّ أن يقرأ الناسُ بالقراءة التي قراءتها القُرَّاء الذين يُقتدى بهم، وما لم يقرأ به أحدٌ من القُرَّاء فلا أحِبُّ أن يقرأ به إلا أعرابيّ هي لغته.

وقال السيرافي[(١)]: أخبرنا أبو بكر بن السَرَّاج، قال: قال المبرِّد: أخبرني أبو عثمان المازنيّ أنَّ مروانَ بن سعيد بن عبَّاد سأل الكسائيّ بحضرة يونس: أيُّ شيءٍ تشبه "أيّ" من الكلام؟ فقال: "مَن" و"ما". فقال له: كيف تقول: لأضربَنَّ من في الدار؟ قال: لأضربَنَّ من في الدار. قال: فكيف تقول: لأركبَنَّ ما تركب؟ قال: لأركبَنَّ ما تركب. قال: فكيف تقول: ضربتُ من في الدار؟ قال: ضربتُ من في الدار. قال: فكيف تقول: ركبتُ ما ركبت؟ قال: ركبتُ ما ركبت. قال: فكيف تقول: لأضربَنَّ أيَّهم في الدار؟ قال: : لأضربَنَّ أيَّهم في الدار. قال: فكيف تقول: ضربتُ أيَّهم في الدار؟ قال: لا يجوز ذلك. قال: لِمَ؟ قال: "أيّ" كذا خُلِقَتْ. قال: فغضب يونسُ، وقال: تؤذون جليسنا ومؤدب أمير المؤمنين.

وأخرج الخطيب عن أحمد بن طاهر قال: كتبَ الكسائيّ إلى الرشيد وهو يؤدب الأمين ولدَه يشكو العُزْبَة:

قلْ للخليفة ما تقول لمن ... أمسى إليكَ بحرمة يُدلي
ما زلتُ مذ صار الأميرُ معي ... عبدي يدي ومطيتي رجلي
وعلى فراشي من ينبّهني ... من نومتي وقيامه قبلي
أسعى برِجلٍ منه ثالثة ... موفورة مني بلا رِجلِ
وإذا ركبتُ أكون مرتدفاً ... قدّام سرجي راكبا مثلي
فامنُنْ عليَّ بما يُسَكِّنه ... عني وأهدِ الغمدَ للنصلِ

فأمر له الرشيد بعشرة آلاف درهم، وجارية حسناء بجميع آلاتها، وخادم،

(١) أخبار النحويين البصريين: ٥١.

ويرذون بجميع آلته.

قال ياقوت في معجم الأدباء: حُكيَ أنَّه كان يشربُ الشّراب، ويأتي الغلمان، قيل إنه أقام غلاماً يفسق به فدخل رجلٌ، فرآه الكسائيّ، فجلس ولم يره الغلام، فبقي قائماً، فقال الرجل: ما شأن هذا الغلام قائماً؟ قال: وقع عليه الفعل فانتصب.

في تاريخ الصفديّ(1): مرَّ سعيد بن وهب البصريّ يوماً هو والكسائيّ، فلقيا غلاماً جميلَ الوجه، فاستحسنه الكسائيّ، وأراد أن يستميله، فأخذ يُذاكره النحو، فلم يمِلْ إليه، وأخذ سعيد بن وهب في الشعر، فمال إليه الغلام، فبعث به إلى منزله، وبعث معه الكسائيّ، وقال: حدِّثْه وآنسه إلى أن أجيء، وتشاغل بحاجته. فمضى الكسائيّ، فما زال يُداريه حتى قضى أربه، ثم انصرف، وجاء سعيد فلم يره، فقال:

أبو حسنٍ لا يفي	فمن ذا يفي بعدَهُ
أثرت له شادنا	فصاده وحدَهُ
وأظهر لي عذره	وأخلفني وعدَهُ
سأطلبُ ما ساءه	كما ساءني جهدَهُ

وفي تاريخ ابن النجّار عن سعيد بن عروة العابد، قال: كان الكسائيّ صديقي، فلما مات رأيته في المنام بعد حولٍ، فقلتُ له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأكرمني وجمع بيني وبين محمد (ﷺ) فقال لي: ألستَ علي بن حمزة الكسائيّ؟ قلتُ: بلى. فقال: اقرأْ. فقرأتُ ﴿والصافات صفًا﴾ [سورة الصافّات، الآية: ١] حتى بلغتُ إلى ﴿شهاب ثاقب﴾ [سورة الصافّات، الآية: ١٠] فقال لي: لأباهيَنَّ بك الأمم يوم القيامة.

(1) الوافي: ١٥/١٧٠.

[٩٥]*

ابن كيسان

أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحويّ اللغويّ، قال ياقوت: وكيسان لقب، واسمه إبراهيم.

قال الخطيب: كان أحد المذكورين بالعلم والموصوفين بالفهم، وذكر أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان أنّ كيسان ليس باسم جده، وإنّما هو لقب أبيه، وكان يحفظ مذهب البصريين والكوفيين معاً في النحو لأنّه أخذ عن المبرِّد وثعلب، وكان أبو بكر بن مجاهد المقرئ يقول: إنّه أنحى منهما. مات سنة تسعٍ وتسعين ومائتين.

وقال ياقوت: ما ذكره الخطيب في وفاته لا شكٌ سهوٌ؛ وجدتُ في تاريخ أبي غالب همام بن الفضل بن المهذَّب المقرئ أنّ ابن كيسان توفي سنة عشرين وثلاثمائة. وله التصانيف والأقوال المشهورة في التفاسير ومعاني الآيات، وكان فوق الثقة.

قال أبو حيّان التوحيديّ: ما رأيتُ مجلساً أكثر فائدة وأجمعَ لأصناف العلوم وخاصة ما يتعلّق بالتحف والطُّرفِ والنُّتَفِ من مجلس ابن كيسان حتى قال الصابئ: هذا الرجل من الجنّ إلا أنّه في شكل إنسان. وكان إقباله على صاحب المرقَّعة المزّقة والعباءة الخَلَق والطِّمر البالي كإقباله على صاحب القصب والوشي والديباج.

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويِّين: ١٣٨. طبقات النحويين: ١٥٣. الفهرست: ١٢٩. تاريخ العلماء النحويين: ٥١-٥٢. نزهة الألباء: ١٧٨. المنتظم: ١٣/١٣٠. معجم الأدباء: ٥/٢٣٠٦-٢٣٠٩، وفيه أن اسمه محمد بن أحمد بن إبراهيم. إنباه الرواة: ٣/٥٧-٦٠. إشارة التعيين: ٢٨٩. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٩١-٣٠٠): ٢٤٧-٢٤٨. العبر: ١/٤٣٧. الوافي: ٢/٢٤-٢٥. مرآة الجنان: ٢/١٧٦. النجوم الزاهرة: ٣/١٩٧. البغية: ١/١٨، وفيه أن اسمه: محمد بن أحمد بن إبراهيم. طبقات المفسرين (الداودي): ٢/٥٨-٥٩. مفتاح السعادة: ١/١٥٩-١٦٠. شذرات الذهب: ٢/٤١٠-٤١١. طبقات المفسرين: (الأدنه وي): ٤٥٩. ديوان الإسلام: ٤/٨٩. روضات الجنات: ٧/٢٨٥-٢٨٦.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن كيسان النحوي: حياته، آثاره، آراؤه.

وله من التصانيف: المهذَّب في النحو. غلط أدب الكاتب. اللامات. الحقائق. البرهان. مصابيح الكتاب. الهجاء والخطّ. غريب الحديث. الوقف والابتداء. القراءات. التصاريف. الشاذانيّ في النحو. المذكّر والمؤنّث. المقصور والممدود. معاني القرآن. المختصر في النحو. المسائل. ما اختلف فيه البصريون والكوفيون. الفاعل والمفعول به. المختار في عِلل النحو.

وقال أبو الطيب: كان ابن كيسان يختار أشياء من مذهب الفرّاء يخالف فيها سيبويه، أخبرنا محمد بن يحيى، قال: كان ابن كيسان يسأل المبرِّد عن مسائل فيجيبه، فيعارضها بقول الكوفيين، فيقول: في هذا على من قاله كذا، ويلزمه كذا. فإذا رضيَ قال له: قد بقي عليك شيء لِمَ لا تقول كذا؟ فقال له يوماً وقد لزم قولاً للكوفيين ولجَّ فيه: أنتَ كما قال جرير:

أُسلِّيكَ عن زيدٍ لتَسلى وقد أرى　　　بعينيك من زيدٍ قذًى غير بارحِ

وحدثنا محمد بن عبد الواحد قال: أخبرني ابن كيسان، قال: رأيتُ في المنام الجنَّ وهم يتناظرون في كلِّ فنٍّ من العلوم، فقلتُ لهم: إلى من تميلون في النحو؟ فقالوا: إلى سيبويه. قال محمد: فأخبرتُ بهذا الحديث ثعلباً بحضرة أبي موسى الحامض، فغضب الحامض، ثم قال: قد صدق؛ إنَّما سيبويه دجّال شيطان فلذلك تميل إليه الجنّ. فأسكته ثعلب.

وقال الزبيديّ: كان ميل ابن كيسان إلى مذهب البصريين أكثر، وكان أبو بكر بن الأنباريّ شديد التعصّب عليه، ويقول: خلط، فلم يضبط مذهب الكوفيين ولا مذهب البصريين. وكان يفضِّل الزجّاج عليه.

وقال مَبرَمان: قصدتُ ابنَ كيسان لأقرأ عليه كتاب سيبويه، فامتنع، وقال: اذهبْ إلى أهله. يشير بذلك إلى الزجّاج.

[٩٦]*

اللحيانيّ

أبو الحسن علي بن حازم، وقيل: ابن المبارك.

قال ياقوت: من بني كنانة بن هُذيل بن مدركة بن الناشئ بن مُضَر. وقيل: سُمِّيَ اللحيانيّ لعظم لحيته.

قال الكمال بن الأنباريّ: كان من كِبار أهل اللغة، وله نوادر، قال سلمة: [كان اللحيانيّ أحفظَ الناسِ للنوادر عن الكسائيّ والفرّاء والأحمر، ومن نوادره أنّه حكى عن بعض العرب أنّهم يجزمون بـ"لن" وينصبون بـ"لم"، وعلى هذه اللغة قراءة من قرأ ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ [سورة الشرح، الآية: ١] بفتح الحاء. وحكى اللحيانيّ في نوادره "ذُروح"، و "ذروح وذرواح وذُرنوح وذرَحرح وذُرَّحرح".

قال ياقوت: قال ابن جنّي في الخصائص: ذاكرتُ يوماً أبا علي بنوادر اللحيانيّ، فقال: كناسة. قال: وكان أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم يقول: إنَّ كتابه لا تصله به رواية. وقدحا فيه وغضًا منه.

وقال الزبيديّ: حدثني أبو علي القالي، قال: كان الفرّاء إذا أملَّ كتابه في النوادر، ودخل اللحياني، أمسكَ عن الإملاء حتى يخرج، فإذا خرج، قال: هذا أحفظ الناسِ للنوادر.

وقال أبو الطيب: ممن أخذ عن الكسائيّ أبو الحسن اللحيانيّ صاحب النوادر، وأخذ أيضاً عن أبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعيّ إلا أنَّ عمدته الكسائيّ.

قال ثعلب: قال الأحمر: خرجتُ من عند الكسائيّ ذات يومٍ، فإذا اللحيانيّ جالسٌ،

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويين: ١٤٢-١٤٣. طبقات النحويين: ١٩٥. الفهرست: ٧٦. تاريخ العلماء النحويين: ٢٠٦-٢٠٧. نزهة الألباء: ١٣٧-١٣٨، وفيه أن اسمه علي بن حازم. معجم الأدباء: ١٨٤٣/٣-١٨٤٤، وفيه أن اسمه: علي بن المبارك. إنباه الرواة: ٢٥٥/٢، وفيه أن اسمه: علي بن حازم، وقيل: المبارك. الوافي: ٢٦٥/٢١. البلغة: ١٥٣، وفيه أن اسمه علي بن حازم.

فقال لي: ادخل، فاشفعْ لي إلى الكسائيِّ لأقرأ عليه هذه النوادر. فدخلتُ على الكسائيِّ، فقلت له: فقال: هو بغيض ثقيل الروح.

قال ثعلب: وكان اللحيانيّ ورعاً.

قال الأحمر: فقلتُ له: أحبّ أن تفعل. فأجابني، فخرجتُ إلى اللحيانيّ، فقلتُ له: قال لي كذا وكذا، فلِمَ لا تنبسط معه؟ فقال: دعني وإياه. قال اللحيانيّ: فدخلتُ عليه فإذا هو قاعد على كرسيّ ملوكيّ وعليه مقداريّة مشهرة، وعلى رأسه بطيخة، وبيده كسرة سميد وهو يفتّها للحمام. قال ثعلب: وكان السلطان قد أفسده، قال: فقال لي: ما تقول في النبيذ؟ قلتُ: أنا؟ قال: نعم. قلتُ: أحسوه ثم أفسوه. فضحك، وقال: أنتَ ظريف، فاكتمْ ما سمعت، واقرأ ما شئت. فقرأت عليه وخرجت، فإذا الحجارة تأخذ كعبي، فالتفتُ أقول: من يرمينا؟ فإذا هو من منظرٍ له يقول: من كنتَ تقرأ عليه حتى صدعته منذ اليوم.

[٩٧]*

ابن محيصن

محمد(١) بن عبد الرحمن بن محيصنِ القُرشيّ السهميّ المكّيّ.

قال الحافظ أبو عمرو الداني في طبقات القُرَّاء: أخذ القراءة عرضاً عن مجاهد، وابن جُبير، ودرباس مولى ابن عباس. روى القراءة عنه عرضاً شبل بن عبّاد، وأبو

[*] انظر ترجمته في: التاريخ الكبير: ٣١/٦. الكنى والأسماء: ٢٠٦/١. الفهرست: ٤٨. تهذيب الكمال: ٤٢٩/٢١-٤٣١. تاريخ الإسلام (وفيات ١٢١-١٣٠) ١٨٤، ٢٢٠-٢٢١. دول الإسلام: ٨٤/١. العبر: ١٢١/١. معرفة القرّاء الكبار: ٩٨/١-٩٩. ميزان الاعتدال: ٢٥٥/٥. الوافي: ١٨٥/٣. غاية النهاية: ١٦٧/٢. شذرات الذهب: ٢٨٣/١.

(١) هو قول الذهبي في معرفة القرّاء الكبار، والصفدي، وابن الجزري فيما تقدّم من كتبهم.

عمرو بن العلاء، وسمع منه حروفاً إسماعيل بن مسلم المكيّ، وعيسى بن عمر البصريّ، ويحيى بن جرجة، وروى عنه ابن جريج، وسفيان بن عُيينة.

وقيل في اسمه: محمد بن عبدالله بن محيصن، وقيل: عبد الرحمن بن محمد بن محيصن، وقيل: عبد الرحمن بن محيصن بن أبي وداعة بن صُبيرة، وقيل: عبدالله بن محيصن، وقيل: عمر بن محيصن، وقيل: عمر(١) بن عبد الرحمن بن محيصن.

قال أبو حاتم: كان ابن محيصن نحويًا. وقال: ابن مجاهد: كان عالماً بالعربيّة، وله اختيار لم يتبع فيه أصحابه ولم يُجمِع أهل مكة على قراءته كما أجمعوا على قراءة ابن كثير. وقال أبو عبيد: كان من قُرَّاء مكة عبدالله بن كثير، وحميد بن قيس، ومحمد بن محيصن، وكان ابن محيصن أعلمهم بالعربيّة، وأقواهم عليها.

[٩٨]*

المازنيّ

الإمام أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان، وقيل: بقية، وقيل: عدي بن حبيب

---

(١) هو قول البخاريّ، ومسلم، والذهبي في ميزان الاعتدال، والمزّي فيما تقدّم من كتبهم.

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويين: ١٢٦-١٢٩. أخبار النحويين البصريين: ٨٥-٩٥. طبقات النحويين واللغويين: ٨٧-٩٣. الفهرست: ٨٩-٩٠. نور القبس: ٢٢٠-٢٢٣. تاريخ العلماء النحويين: ٦٥-٧١. تاريخ بغداد: ٧/٩٦-٩٧. الأنساب: ٥/١٦٦. نزهة الألباء: ١٤٠-١٤٥. المنتظم: ١٢/١٢-١٣. معجم الأدباء: ٢/٧٥٧-٧٦٥. إنباه الرواة: ١/٢٨١-٢٩١. وفيات الأعيان: ١/٢٨٣-٢٨٦. إشارة التعيين: ٦١-٦٢. تاريخ الإسلام (وفيات ٢٤١-٢٥٠) ١٨٦-١٨٩. دول الإسلام: ١/١٤٩. سير أعلام النبلاء: ١٢/٢٧٠-٢٧٢. العبر: ١/٣٥٣. مسالك الأبصار: ٧/٩٣-٩٥. عيون التواريخ: ١٥٣-١٥٧. الوافي: ١٠/١٣٣-١٣٦. غاية النهاية: ١/١٧٩. البغية: ١/٤٦٣-٤٦٦. شذرات الذهب: ٢/٢٥٠-٢٥١. ديوان الإسلام: ٤/١٧٧-١٧٨. روضات الجنات: ٢/١٣٤-١٣٨.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو.

البصريّ من بني مازن بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وقيل: مولى بني سدوس، نزل في بني مازن، فنُسِبَ إليهم. قاله الزبيديّ.

كان إمام عصره في النحو والآداب، أخذ عن أبي عبيدة، والأصمعيّ، وأبي زيد الأنصاريّ، والجَرميّ، وغيرهم، وأخذ عنه المبرِّد والفضل بن محمد اليزيديّ، وكان مع إمامته في النحو متسعاً في الرواية، وكان يقول بالإرجاء، ولا يناظره أحد إلا قطعه لقدرته على الكلام، وقد ناظر الأخفش في أشياء كثيرة، فقطعه، وكان أخذ عنه، وقيل: لم يأخذ عنه إنَّما اختلف إليه، وقد برع فكان يناظره.

قال المبرِّد: لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان.

وقال أبو جعفر الطحاويّ: سمعتُ بكار بن قُتيبة قاضي مصر يقول: ما رأيتُ نحوياً قط يشبه الفقهاء إلا المازنيّ.

وقال أيوب: حدثني المبرِّد عن المازنيّ قال: كنتُ عند أبي عبيدة، فسأله رجلٌ: كيف تقول "عُنيتُ بالأمر"؟ قال: كما قلتَ. قال: فكيف آمُر منه؟ قال: فغلط، وقال: أُعنَ بالأمر. فأومأتُ إلى الرجل أن ليس كما قال، فرآني أبو عبيدة، فأمهلني قليلاً، ثم قال: ما تصنعُ عندي؟ قلتُ: ما يصنع غيري. قال: لستَ كغيرك، لا تجلس إليّ. قلتُ: ولِمَ؟ قال: لأني رأيتكَ مع إنسانٍ خوزيٍّ سرق مني قطيفة. فانصرفت، وحملتُ عليه إخوانه. فلما جئته قال: أدِّبْ نفسَك أولاً ثم تعلَّم الأدب.

وقال أبو الطيب: كان المازنيّ من فضلاء الناس وعظمائهم ورواتهم وثقاتهم، وكان من أهل القرآن، حدثنا غير واحد عن المبرِّد قال: حدثنا المازنيّ، قال: قرأتُ على يعقوب الحضرميّ القرآنَ، فلما ختمت رمى إليّ بخاتمه، وقال: خذه ليس لك مثل. وكذلك فعل يعقوب بأبي حاتم.

أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا علي بن شاذان عمَّن حدَّثه أنَّ أبا حاتم ختم على يعقوب سبع ختمات، ويُقال: خمسا وعشرين ختمة، وأعطاه خاتمه، وقال: أقرئ الناسَ.

وكان المازنيّ متخلِّقاً رفيقاً بمن يأخذ عنه إلا أنَّه كان في كلامه غموض، فأخبرنا

محمد بن يحيى أخبرنا محمد بن يزيد حدثنا المازنيّ قال: قرأ عليّ رجلٌ كتابَ سيبويه في مدة طويلة، فلما بلغ آخره، قال لي: أما أنتَ فجزاك الله خيراً، وأما أنا فما فهمتُ منه حرفاً.

وقال الزّجّاجيّ في أماليه(١): أخبرنا محمد بن رستم الطبريّ، قال: حضرتُ مجلسَ أبي عثمان المازنيّ، وقد قيل له: لِمَ قلَّتْ روايتك عن الأصمعيّ؟ قال: رُميت عنده بالقدر، والميل إلى مذهب الاعتزال، فجئته يوماً في مجلسه، فقال لي: ما تقول في قول الله عزَّ وجلَّ ﴿إنّا كلّ شيءٍ خلقناه بقدر﴾ [سورة القمر، الآية: ٤٩] فقلتُ: سيبويه يقول الرفع فيه أقوى من النصب في العربيّة لاشتغال الفعل بالمضمر، وأنّه ليس ههنا شيء هو بالفعل أولى، ولكن أبتْ عامة القُرّاء إلا النصب، ونحن نقرّها كذلك اتباعاً لأنَّ القراءة سُنّة. فقال لي: فما الفرق بين النصب والرفع؟ فعلمتُ مراده، فخشيتُ أن يغري بي العامة، فقلتُ: الرفع بالابتداء والنصب بإضمار فعل. وتعاميت عليه.

فقال: حدثني جماعة من أصحابنا أنَّ الفرزدق قال يوماً لأصحابه: قوموا بنا إلى مجلس الحسن البصريّ؛ فإني أريد أن أُطلِّق النُّوار، وأشهده على نفسي. فقالوا: لا تفعل، فلعلَّ نفسك تتبعها، وتندم. قال: لا بُدَّ من ذلك. فمضوا معه، فلما وقف على الحسن قال له: يا أبا سعيد، لتعلمنَّ أنَّ النُّوار طالق [ثلاثا]. قال: قد سمعتُ. فتبعتها بعد ذلك نفسه، فندم، وأنشأ يقول:

ندمتُ ندامة الكُسَعيّ لما ... غدتْ مني مطلّقة نُوارُ
وكانت جنّتي فخرجتُ منها ... كآدم حين أخرجه الضرارُ
ولو أني ملكتُ يدي ونفسي ... لكان عليَّ للقدرِ الخيارُ

وينشدون:

هي المقادير فلُمني أو فذرْ ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القدرْ

(١) انظر: مجالس العلماء: ٢٢٤-٢٢٥.

ثم أطبق نعليه، وقال: نعمَ القناعُ للقدريِّ. فأقللتُ غشيانه بعد ذلك.

توفي المازنيّ سنة تسعٍ أو ثمانٍ وأربعين ومائتين، ذكره الخطيب. وقيل: سنة ستٍّ وثلاثين ومائتين.

قال ياقوت: حدَّث المبرِّد قال: عزَّى المازنيّ بعضَ الهاشميين وكنت معه، فقال:

إني أعــزيك لا أني على ثقــةٍ ... من الحــيــاة ولكن سُنة الدينِ
ليس المعــزَّى بباقٍ بعـد ميِّتـهِ ... ولا المعــزِّي وإن عــاشَ إلى حينِ

وحدَّث المبرِّد، قال: سمعتُ المازنيّ يقول: معنى قوله: "إذا لم تستحي فاصنع ما شئت" أي إذا أصبتَ ما لا يُستحيا من مثله فاصنعْ ما شئت، وليس على مذهب العوام.

وقال الزبيديّ: قال المازنيّ: كنتُ بحضرة الواثق يوماً، فقلتُ لابن قادم: كيف تقول "نفقتك ديناراً أصلحُ من درهم"؟ فقال: "دينار" بالرفع. قلتُ: فكيف تقول "ضربك زيداً خيرٌ لك"؟ فنصب "زيداً"، فطالبته بالفرق بينهما، فانقطع، وكان ابن السكِّيت حاضراً، فقال الواثق: سله عن مثله. فقلتُ له: ما وزن "نكتلْ" من الفعل؟ فقال: "نفعل". فقال الواثق: غلطتَ. ثم قال لي: فسِّره. فقلت: "نكتل" تقديره "نفتعل" وأصله "نكتيل" فانقلبت الياء ألفاً لفتح ما قبلها، فصار لفظها "نكتال" فأسكنت اللام للجزم، لأنَّه جواب الأمر، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. فقال الواثق: هذا الجواب لا جوابك يا يعقوب. فلما خرجنا، قال لي ابن السكِّيت: ما حملك على هذا وبيني وبينك المودة الخالصة؟ فقلتُ: والله ما أردتُ تخطئتك، ولم أظنَّ أن يعزبَ عنك.

وقال المازنيّ: حضرتُ يوماً عند الواثق، فقال: يا مازنيّ، هاتِ مسألة، وكان عنده نحاة الكوفة، فقلتُ: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿وما كانت أمّك بغيًا﴾ [سورة مريم، الآية: ٢٨] لِمَ لم يقلْ "بغيّة" وهي صفة لمؤنث؟ فأجابوا بجوابات غير مرضيّة، فقال الواثق: هاتِ ما عندك. فقلتُ: لو كانت "بغيّ" على تقدير "فعيل" بمعنى "فاعلة" لحقتها الهاء مثل كريمة وظريفة، وإنَّما تحذف الهاء إذا كانت في معنى "مفعول" نحو: امرأة

قتيل، وكفّ خضيب، و "بغيّ" ههنا ليس بـ"فعيل" إنّما هو "فعول"، وفعول لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث، نحو: امرأة شكور، وبئر شطون، إذا كانت بعيدة الرشاء، وتقدير بغيّ "بغوي" قلبت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء، فصارت ياء ثقيلة نحو: سيّد وميّت. فاستحسن الجواب.

قال المازنيّ: فاستأذنته في الخروج، فقال: فهلاّ أقمتَ عندنا؟ قلتُ: لي أُخَيَّة أشفق أن أغيب عنها، فأذنْ لي. فانصرفتُ إلى البصرة، وكتبَ إلى عاملها أنَّ يدرَّ عليَّ مائة دينارٍ كلّ شهرٍ، فلما مات الواثق قُطِعت عني.

وقال أبو الطيب: أخبرنا علي بن محمد الخداشيّ، قال: بلغنا أنَّ مُغَنيَّة غنَّت بحضرة الواثق بالله:

أظُلَيمُ إنَّ مصابكم رجلاً ... أهدى السلامَ تحيةً ظلمُ

فردَّ عليها الواثق: وقال: "إنَّ مصابكم رجلٌ"، فأعادت "رجلاً"، فأعاد الردَّ عليها، فقالت: لقّنني هذا أعلمُ أهلِ زمانه. قال: ومن هو؟ قالت: المازنيّ. فقال: عليَّ به. فأُشخِص إليه، فلما مثل بين يديه قال: ما اسمك يا مازنيّ؟ قال: بكر، يا أمير المؤمنين. قال: أحسنتَ؛ كيف تروي "أظُلَيمُ" ...البيت؟ فقال: "إنَّ مصابكم رجلاً". قال: فأين خبر إنَّ؟ قال: قوله "ظلم" ومعنى "مصابكم" "إصابتكم". قال: صدقت، من خلّفتَ وراءَك؟ قال: بنتاً صغيرة. قال: فماذا قالت لك حين ودّعتها؟ قال: قول ابنة الأعشى لأبيها:

فيا أبتا لا تَرِم عندنا ... فإنّا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ

ترانا إذا أضمرتك البلا ... دُ نجفى وتُقطع منا الرحِمْ

قال: فماذا أجبتها؟ قال: بقول جرير:

ثقي بالله ليس له شريكٌ ... ومن عند الخليفة بالنجاحِ

قال: أنجحتَ. وأمر له بمالٍ ولابنته بما يصلحها، وصرفه مكرّما.

قال أبو الطيب: وقد شجر بين محمد بن عبد الملك الزيّات، وأحمد بن أبي دُؤاد

في هذا البيت الذي غلط فيه الواثق، فقال محمد: "إنَّ مصابكم رجلاً". وقال أحمد: "رجلٌ". فسألا عنه يعقوب بن السكِّيت، فحكم لأحمد بن أبي دُؤاد عصبيَّةً لا جهلاً.

فأخبرونا عن ثعلب، قال: لقيت يعقوب، فعاتبته في هذا عتابا مُمِضّاً، فقال لي: اسمع عذري: جاءني رسول ابن أبي دُؤاد، فمضيتُ إليه، فلما رآني بشَّ بي وقرّبني ورفعني، وأحفى في المسألة عن أخباري، ثم قال لي: يا أبا يوسف، ما لي أرى الكسوة ناقصة؟ يا غلام، دَستاً كاملاً من كسوتي. قال: فأُحضِر، ثم قال: كيس فيه مائتا دينار. فأحضِر، ثم قال لي: أراكبٌ أنتَ؟ قلتُ: لا، بل راجل. فقال: حماري الفلاني بسرجه ولجامه. فأحضِر، ثم قال: يسلِّم الجميع إلى غلام أبي يوسف. فشكرت له ذلك. ثم قال لي: يا أبا يوسف: أنشدتُ هذا البيت:

أظُلَيمُ إنَّ مصابكم رجلاً

فقال الوزير: إنَّما هو "رجلاً" بالنصب، وقد تراضينا بك. فقلتُ: القول ما قلتَ. فخرجتُ من عنده، فإذا رسول محمد بن عبد الملك، فقال: أجبِ الوزير. فلما دخلتُ بدرني وأنا واقف، فقال: يا يعقوب، أليس الرواية:

أظُلَيمُ إنَّ مصابكم رجلاً

فقلتُ: لا، بل "رجلٌ". فقال: اغرُب. قال يعقوب: فكيف كنتَ ترى لي أن أقول؟!

وفي معاني مشكل القرآن: جمع بعض تلامذة المبرِّد حديثي سليمان، قال: حدثني أبو عثمان المازني، قال: أنشدتْ جارية عند الواثق:

أظُلَيمُ إنَّ مصابكم رجلاً ... أهدى السلامَ تحيةً ظلمُ

فقال لها: لحنتِ. قالت: يا سيدي، أخذتُ عن أبي عثمان المازنيّ. فأمر بحملي إليه، فلما أُدخِلتُ عليه، قال لي: ما اسمُك بلغة اليمن؟ فقلتُ: بكر بن محمد. قال: اجلس. ثم قال: حدثني. فقلتُ: حدثني الأصمعيّ قال: قال لي أبو مهدية الأعرابيّ: بلغني أنَّ كتابة "الأعراب والإعراب" واحد. فقلتُ: إنَّهما ليتفقان في صورة الحروف. قال: فما لكم تقرؤون في كتاب الله ﴿الأعراب أشدُّ كفراً ونفاقاً﴾ [سورة التوبة، الآية:

٩٧] اقرؤوا "الإعراب" قال، فقال لي: لقد لقي من الغربة شراً، كيف تنشد هذا البيت:

أظُلَيمُ إنَّ مـصـابكم رجـلاً ... أهدى السـلامَ تحـيـةً ظلمُ

قال: قلتُ: "إنَّ مصابكم رجلا" يا أمير المؤمنين. قال: لحنتَ، قال: فأمسكتُ، وقلتُ: ما أقول لأمير المؤمنين حتى قال: عليٌّ بالتوزيِّ، فقلتُ: الله أكبر. فلما دخل عليه، قال: كيف تقول: "إنَّ مصابكم رجلا أو رجلٌ"؟ فقال: "إنَّ مصابكم رجلٌ" يا أمير المؤمنين. فالتفتُ إليه وقلتُ له: لحنتَ، كيف تقول: "إنَّ ضربكم زيدٌ ظلم"؟ ففهم أمير المؤمنين، وقال: أصبت يا مازني. وأمر لي بأربعمائة دينار، ولم أخرج من عنده حتى قال: استوهبوني من الله. من علة كانت به.

وقال أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجَهشياريّ في كتاب الوزراء والكُتّاب: حدّث ميمون بن مهران قال: أخبرني أبو بكر الضرير النحويّ أنَّ أبا عثمان المازنيّ إنّما أُشخِص في أيام الواثق إلى سرَّ من رأى لأنَّ الواثق غُنِّي[1] بهذا البيت:

أظُلَيمُ إنَّ مـصـابكم رجـلاً ... أهدى السـلامَ تحـيـةً ظلمُ

وأنّه سأل أحمد بن أبي دُؤاد ومحمد بن عبد الملك عن إعراب البيت، فقال أحمد: لا يكون إلا "رجل". وقال محمد: لا يكون إلا "رجلا". ثم قال: يا أمير المؤمنين، ههنا جماعة من أهل النحو، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بمسألتهم عن هذا، فعل، وبالبصرة رجل يُعرَف بأبي عثمان المازنيّ عالمٌ بالنحو مشهور. قال: أمر أمير المؤمنين بإشخاصه كَتْباً في ذلك، فقال: اكتبْ. فكتب في إشخاصه. فأُشخِصَ، فسئل عن الأمر من الشعر ولم يعلم مَن الرجلان اللذان تلاحيا فيه، فقال: إنّه لا يكون غير النصب.

قال أبو مروان عبد الملك بن محمد: حدثت عن المازنيّ أنّه قال: أشخصني الواثق من البصرة، فأدخلتُ عليه، فقال لي: يا بكر من خلّفتَ بالبصرة؟ قلت: أخت لي. قال: أصغر منك أم أكبر؟ قلتُ: أكبر. قال: فما قالت المسكينة؟ قلتُ: قالت ما قالته بنتُ

(١) في الأغاني أن المغنّي هو مخارق. انظر رواية أبي الفرج الأصفهاني للقصة في الأغاني: ٩/٢٧٠-٢٧٢.

الأعشى لأبيها:

فـيـا أبتـا لا تَرِم عندنا ... فـإنّا بخـيـرٍ إذا لـم تَرِمْ

ترانا إذا أضـمـرتك البـلا ... دُ نجـفـى وتُقطع منـا الرَّحِمْ

قال: فنظرتُ إلى دموعه تدور في عينيه، ثم قال لي: فما رددتَ عليها: قلتُ: رددتُ عليها ما قال جرير لابنته:

ثقي بالله ليس له شـريكٌ ... ومن عند الخليفة بالنجاحِ

فضحك، وقال: يا محمد بن عبد الملك: ادفعْ إليه خمسمائة دينار. فقال له محمد: يا أمير المؤمنين، وأنزلُه عندي. فقال له: نعمْ، فمضيت معه إلى منزله، فأمر فتيانه بملازمتي ما دُمتُ بسُرَّ من رأى، وأنزلني عند عبيدالله ابنه، فدفعتُ إليه الدنانير ليحفظها لي، فدفعها عبيدالله إلى أمّه، وانكسرت رجلي واعتللتُ، ومات الواثق، وحدث لمحمد بن عبد الملك ما حدث، فمضيتُ، ونسيت الدنانير، فبينا أنا ذات يوم عند صديق لي عطّار وقد أمرته بأن يجهزني لأنحدر إلى البصرة إذ أنا بجارية تسأل عن بكر المازنيّ، فأرشِدت إليّ، فقالت: قمْ معي أكلّمك. فقمتُ معها، فأدخلتني مسجداً، فإذا المرأة فيه، فقالت لي: يا هذا، قد نزل بنا ما نزل، وقد شُغِلنا بطلبك عن محنتنا، وهذه دنانيرك، فخذها، فأخذتُ الدنانير، وانحدرت.

وروى الزبيديّ هذه القصة من طرقٍ إلى قوله: "ومن عند الخليفة بالنجاح" وزاد: ثق بالنجاح إن شاء الله، إنَّ ههنا قوماً يختلفون إلى أولادنا، فامتحنهم، فمن كان منهم عالماً يُنتفع به ألزمناه إياهم، ومن كان بغير هذه الصفة قطعناه عنهم. ثم أمر، فجُمِعوا إليَّ، فامتحنتهم، فما وجدتُ طائلاً وحذروا ناحيتي. فقلتُ: لا بأسَ على أحدٍ. فلما رجعتُ إليه، قال: كيف رأيتهم؟ قلتُ: يفضل بعضهم بعضاً في علوم يفضل الباقون في غيرها، وكلٌّ يُحتاج إليه. قال لي الواثق: إني خاطبتُ منهم واحداً، فكان في نهاية الجهل في خطابه ونظره، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أكثر من يعدم منهم بهذه الصفة، ولقد

أنشدت فيهم:

إنَّ المعلِّمَ لا يزال مـضَـعَّـفـا ولو ابتنى فـوق السـمـاء بناءَ
من علَّم الصبيان أصبَوا عقله حـتى بني الخلفـاء والأمـراءَ

فقال: لله درّك يا بكر، كيف لي بك؟ قلتُ يا أمير المؤمنين إنَّ الغُنمَ والفوزَ في قربكِ والنظر إليك، ولكني ألفتُ الوحدة، وأنستُ بالانفراد، ولي أهلٌ يوحشني البعد عنهم، ويضرّ بهم ذلك، ومطالبة العادة للعادة أشد من مطالبة الطباع. فأمرَ لي بألف دينار وكسوة وطيب. وقال: لا تقطعْنا وإن لم يأتك أمرنا. قلتُ: سمعاً وطاعة. ثم ودّعته وانصرفتُ.

ثم ذُكِرتُ للمتوكّل، فأمر بإشخاصي، فلما دخلتُ عليه، رأيتُ من العُدد والسلاح والأتراك ما راعني، والفتح بن خاقان بين يديه، وخشيتُ إن سئلتُ عن مسألة ألا أجيب فيها، فلما مثلتُ بين يديه وسلّمتُ، قلتُ: يا أمير المؤمنين، أقول كما قال الأعرابيّ:

لا تـقْـلـواهـا وادلـواهـا دلْـوا إنَّ مع اليـوم أخـاه غـدوا

فاستُبرِدتُ وأخرِجتُ، ولم يُفهَم عني ما أردتُ. ثم دعاني بعد ذلك، فقال: أنشدني أحسن مرثية للعرب. فأنشدته قصيدة أبي ذؤيب:

أمن المَنون وريبه تتوجعُ

حتى أتيتُ على آخرها. فقال: ليست بشيء. فأنشدته قصيدة متمم بن نويرة:

لعـمـري ومـا دهري بتـأبين هـالكٍ ولا جَـزَعٌ مما أصـاب فـأوجـعـا

حتى أتيتُ على آخرها، فقال: ليست بشيء. فأنشدته قصيدة كعب الغنويّ:

تقول سلَيْمى ما لجسمكَ شـاحبا كـأنَّك يحـمـيك الطعـامَ طبـيبُ

قال: ليست بشيءٍ. فأنشدته قصيدة ابن المناذر في عبد المجيد:

كلّ حيٍّ لاقى الحِمـام فـمُـودي مـا لحيٍّ مـؤمَّلٍ من خلودِ

حتى أتيتُ على آخرها، فقال: ليست بشيء. ثم قال: من شاعركم اليوم بالبصرة؟ فقلتُ: عبد الصمد بن المعذّل بن غَيلان. قال: فأنشدني له. فأنشدته أبياتاً قالها في قاضينا ابن رياح:

أيا قاضيةَ البصرهْ ... قومي فارقصي قطرهْ
ومُرّي برواشنْكِ ... فما ذا البردُ والفَترهْ
أراكِ قد تثيرين ... عجاجَ القصفِ يا حُرَّهْ
وتخديشك خدّيكِ ... وتجعيدك للطُّرَّهْ

فاستحسنها واستطار بها، وأمر لي بجائزة، فكنتُ أتعمّد له أن أتحفّظَ أمثالها، وأنشده إذا وصلتُ إليه، فيصلني، وكان أبو عثمان يقول بفضل الواثق ونقص المتوكّل.

قال ياقوت: وقد رويَ عن المبرِّد أنَّ يهودياً بذل للمازنيّ مائة دينار ليقرئه كتابَ سيبويه، فامتنع من ذلك، فقيل له: لِمَ امتنعتَ مع حاجتك وعائلتك؟ فقال: إنَّ في كتاب سيبويه كذا وكذا آية من كتاب الله، فكرهتُ أن أقرئَ كتابَ الله للذمّة، فلم يمضِ على ذلك إلا مُدَيدة حتى أرسل الواثق في طلبه، وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله.

قال محمد بن إسحاق: وللمازنيّ من الكُتبِ: كتاب في القرآن كبير. كتاب عِلل النحو صغير. كتاب تفاسير كتاب سيبويه. كتاب ما تلحن فيه العامة. كتاب الألف واللام. كتاب التصريف. كتاب العروض. كتاب القوافي. كتاب الديباج في جوامع كتاب سيبويه.

وتصانيف المازنيّ كلّها لِطاف، فإنّه كان يقول: من أراد أن يُصنِّف كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي. وتخرّق كتاب سيبويه في كُمِّه عدة نُوَب.

قال ياقوت: وللمازنيّ شعر قليل، منه، ذكره المرزبانيّ:

شيئانِ يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأيُ النساءِ وإمرة الصبيانِ
أمّا النساءُ فإنّهنَّ عواهرٌ ... وأخو الصبا يجري بكلِّ عنانِ

ولما مات المازنيّ، اجتازت جنازته على أبي الفضل الرياشيّ، فقال متمثِّلاً:

لا يبعد الله أقواماً رزئتهم ... أفناهم حدثانُ الدهر والأبدُ
نمدُّهم كلَّ يومٍ من بقيتنا ... ولا يؤوبُ إلينا منهمُ أحدُ

قال المنذريّ في نظم الجُمان: سئل المازنيّ عن أهل العلم، فقال: أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف، وأهل الحديث فيهم حشو ورَقاعة، والشعراء فيهم هوج، وأصحاب النحو فيهم ثقل، وفي رواية الأخبار الظرفُ كلّه، والعلمُ هو الفقه.

وفي معاني مشكل القرآن: أخبرني سليمان عن أبي عثمان المازنيّ أنَّه قال: الأمر في القرآنِ على ستة أوجهٍ: فوجهٌ اللفظُ والمعنى فيه واحد، مثل: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [سورة البقرة، الآية: ٤٣]. والثاني: على وجه التهدُّد، مثل قوله: ﴿وذَرني والمكذِّبينَ﴾ [سورة المزمل، الآية: ١١] ﴿وشاركْهم في الأموال والأولادِ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٦٤]. والثالث: طلب، مثل: ﴿اغفر لنا وارحمنا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦] والأمرُ لمن هو دونكَ، والطلبُ لمن هو أنتَ دونه، واللفظ فيهما سواء. والرابع: لفظُه لفظُ الأمر ومعناه معنى التعجّب، مثل قوله: ﴿أسمعْ بهم وأبصرْ﴾ [سورة مريم، الآية: ٣٨] أي: ما أسمعهم وأبصرَهم! والخامس وجه لطيف، مثل قوله: ﴿وأوحى ربّك إلى النَّحْلِ أنِ اتخذي﴾ [سورة النحل، الآية: ٦٨] أي فاتخذت، ثم أكلت، فسلكت، ولم يأمرها بشيء، ولكن خبَّرَ عنها بلفظِ الأمرِ. والسادس: قوله: ﴿فانتشروا في الأرض﴾ [سورة الجمعة، الآية: ١٠] ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢] فهذا على وجه الإباحة والتخيير، وليس بحتمٍ، إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل.

وقال السيرافيّ: حدثنا أبو مزاحم حدثنا ابن أبي سعد قال: حدثنا أبو عثمان المازنيّ، قال: سألني الأصمعيّ عن هذا:

يا بشرُ يا بشرَ بني عديّ ... لأنزحَنَّ قعرَك بالدَّليّ
حتى تعودي أقطعَ الوليّ

فقلتُ: حتى تعودي قليباً أقطعَ الوليّ.

وقال الجَمَّاز يهجو المازنيّ:

كـادني المازنيّ عند أبي العـبّـ ... ـاس والفـضل مـا علمتُ كـريمُ
يا شـبـيـهَ النسـاء في كلّ فنٍّ ... إنّ كـيـدَ النسـاء كـيـدٌ عظيمُ
جـمع المازنيّ خـمسَ خِـصـالٍ ... ليس يقـوى بحـملهنّ حليمُ
هو بالشـعـر والعـروض وبالنحـ ... ـو وغـمـز الأيور طَبٌّ عليمُ
لـيس ذنبـي إليـك يا بـكـر إلا ... أن أيري عليك ليس يقـومُ
وكـفـاني مـا قـال يوسف في ذا ... إنّ ربّـي بكـيـدهـنّ علـيـمُ

وقال السيرافيّ: كان عبد الصمد بن المعذّل قد وجد من شيءٍ كان أنكره المازنيّ، أو كلام تكلّم به فيه، فقال يهجوه، وأفحشَ:

بنتُ ثمـانينَ بفـيـهـا لثـغـهْ ... شـوهاءُ وَرْهاءُ كطينِ الردغـهْ
ممشـوطةٌ لِمَـتُـهـا المُثَـمَّـغـهْ ... ملويّةٌ أصـداغـهـا المصَـمَّـغـهْ
مـخـضـوبةٌ في قُـمُـص مُـصَـبَّـغهْ ... مـتـلَبّـةٌ للصـاحب منزَغَـهْ
فـيمـا تعـافُ الخـفـراتُ مِـيلَغـهْ ... مِلسـبَـةٌ بالناقـرات ملدَغَـهْ
أعـارها الهـضـونَ منه الوَزَغَـهْ ... والظّربانُ كَـشْـحَـهُ وأرفُـغَـهْ
والديكُ أحذى الجِيدَ منها النُّغنُغهْ ... ألقتْ حُليـسـاً لي وألقتْ مَـردغَـهْ
وهامـستني بحـديثٍ فَـغـفـغـهْ ... وحلف منهـا وإفك مَـغـمـغـهْ
إنّك إن ذُقتَ حَـمِـدتَ المَـضْـغـهْ ... فـقلتُ: مـا هـاجكِ قـالت دَغـدغـهْ
فـقلتُ من أنتِ فـقـالت لي دُغـهْ ... وابنـي أبو عـثـمـانَ ذو علمِ اللغـهْ
فـاطوِ حـديثي دونه أن يبلغَـه ... همـمتُ أعلو رأسـهـا فـأدمَـغـهْ

فبلغ ذلك أبا عثمان، فقال له: يا جاهلُ، بمَ نصبتَ "فأدمَغهْ"؟ ولو لزمتَ مُجالسةَ أهل العلمِ كان أعودَ عليك.

قال ياقوت: قال المبرِّد: حدثني المازنيّ قال: مررتُ ببني عقيل، فإذا رجلٌ أسود قصير أعور أبرص أكشف قائم على تلّ سماد، وهو يملأ جواليقَ معه من ذلك السماد،

وهو يغني بأعلى صوته:

فإن تصرمي حبلي وتستكرهي وَصلي   فمثلك موجودٌ ولن تجدي مثلي

فقلتُ: صدقتَ والله، ومتى تجد ويحَها مثلك؟! فقال: بارك الله عليك، وأسمعكَ خيراً. ثم اندفع ينشد:

يا ربَّةَ المطرفِ والخلخالِ   ما أنتِ من هَمِّي ومن أشكالي

مثلك موجودٌ ومثلي غالي

[٩٩]*
المبرِّد

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسّان بن سليمان بن سعد بن عبدالله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبدالله بن بلال بن عوف، وهو ثُمالة بن أسلم بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن

[*] انظر ترجمته في: أخبار النحويين البصريين: ١٠٥-١١٣، طبقات النحويين واللغويين: ١٠١-١١٠. الفهرست: ٩٢-٩٤. نور القبس: ٣٢٤-٣٣٣. تاريخ العلماء النحويين: ٥٣-٦٥. تاريخ بغداد: ٤/١٥١. الأنساب: ١/٥١٣. نزهة الألباء: ١٦٤-١٧٣. المنتظم: ١٢/٣٨٨-٣٩٢. معجم الأدباء: ٦/٢٦٧٨-٢٦٨٥. إنباه الرواة: ٣/٢٤١-٢٥٣. وفيات الأعيان: ٤/٣١٣-٣٢٢. إشارة التعيين: ٣٤٢-٣٤٣. تاريخ الإسلام (وفيات ٢٨١-٢٩٠) ٢٩٩-٣٠١. دول الإسلام: ١/١٧٢. سير أعلام النبلاء: ١٣/٥٧٦-٥٧٧. العبر: ١/٤١٠. مسالك الأبصار: ٧/٩٥-٩٧. الوافي: ٥/١٤١-١٤٢. مرآة الجنان: ٢/١٥٦-١٥٧. كتاب الوفيات: ١٩١. البلغة: ٢٥٠-٢٥١. غاية النهاية: ٢/٢٨٠. المقفى الكبير: ٧/٤٦٦-٤٨١. لسان الميزان: ٥/٤٣٠-٤٣٣. البغية: ١/٢٦٩-٢٧١. طبقات المفسرين (الداودي) ٢/٢٦٩-٢٧٣. شذرات الذهب: ٢/٣٦١. طبقات المفسرين (الأدنه وي) ٤١-٤٢. ديوان الإسلام. ٤/١٤١-١٤٢. روضات الجنات: ٧/٢٨٣-٢٨٥.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- المبرد ودراسة كتابه الكامل.
- المبرد: حياته وآثاره ومنهجه من خلال كتابه المقتضب.
- مقدمة الشيخ المرحوم محمد عبدالخالق عضيمة لتحقيق كتاب المقتضب.

الأسد بن الغوث الأزديّ الثماليّ البصريّ.

قال ابن عساكر: حدَّث عن أبي عثمان المازنيّ، وأبي حاتم السجستانيّ، وحكى عن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير. روى عنه نِفطويه، وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيميّ، وأبو بكر محمد بن يحيى الصوليّ، ومحمد بن جعفر الخرائطيّ، وعمر بن الحسن بن مالك الأشنانيّ، وعبد الرحمن بن جعفر بن درستويه، وأبو عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب، ومحمد بن يزيد بن أبي الأزهر، وأبو سهل أحمد بن محمد بن زياد، وإسماعيل بن محمد الصفَّار، وأبو علي عيسى بن محمد الطوماريّ، وأبو بكر أحمد بن مروان الدِّيْنَوَريّ المالكيّ، وجماعة يتسع ذكرهم.

قال ياقوت: ومن تصانيف المبرِّد: الكامل. المقتضب. الروضة. الاشتقاق. الأنواء والأزمنة. القوافي. الخطّ والهجاء. المدخل إلى كتاب سيبويه. المقصور والممدود. المذكر والمؤنث. معاني القرآن. الردّ على سيبويه. الرسالة الكاملة. إعراب القرآن. الحثّ على الأدب والصدق. نسب عدنان وقحطان. الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه. . المدخل في النحو. الإعراب الوشيّ. شرح شواهد سيبويه. التعازي. ضروب الشعر. أدب الجليس. الرياض المونقة. الدواهي. الجامع لم يتمّ. معنى كتاب سيبويه. الحروف من معاني القرآن إلى سورة طه. صفات الله عزَّ وجلَّ. كتاب المادح والمفاتح. الناطق. العروض. البلاغة. معنى كتاب الأوسط للأخفش. شرح كلام العرب وتلخيص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها. ما اتفق لفظه واختلف معناه. الفاضل والمفضول. طبقات النحاة البصريين. العبارة عن أسماء الله. الحروف. التصريف. الكافي في الأخبار.

وقال الصولي في كتاب أخبار أبي تمّام(١): عمل المبرِّد كُتباً لِطافاً، فكنتُ أنتخب منها، وأقرأ عليه منها كتابا سمّاه الفطن والمحن.

في شرح المفصَّل للسخاويّ: دعا رجلٌ بالبصرة جماعة إلى منزله منهم أبو العباس المبرِّد، فغنَّت جارية لصاحب المنزلِ:

---

(١) أخبار أبي تمام: ١٥٨.

وقالوا لها هذا حبيبُكِ معرضٌ ... فقالت ألا إعراضه أيسرُ الخطبِ
فما هي إلا نظرة بتبسّمٍ ... فتصطكّ رجلاهُ ويسقط للجنبِ

فطرب الكلّ إلا المبرِّد، فقال صاحب الدار: قد كنتَ أحقُّ بالطربِ. فقالت الجارية: دعْه يا مولاي، فإنَّه سمعني أقول: "وقالوا لها هذا حبيبُكِ معرضٌ" فظنّني لحنتُ، ولم يعلم أنَّ ابنَ مسعود قرأ: ﴿وهذا بعلي شيخٌ﴾ [سورة هود، الآية: ٧٢]. فطرب المبرِّد من قولها وشقَّ ثوبه.

وقال ابن عساكر في تاريخه: ذكر أبو الفتح بن جنّي في إملاء الخاطر، قال: يُحكى أنَّ أبا عثمان المازنيَّ لما عمل كتاب "الألف واللام" سأله كافة أصحابه عن جليله، فكانوا فيه متقاربي الأحوال، ثم إنَّه سأل أبا العباس - يعني المبرِّد - عن دقيقه ومعتاصه، فأحسنَ الجواب عنه، فقال له أبو عثمان: قمْ فأنتَ المبرِّد. أي المُثبِت للحقِّ. قال أبو العباس: فغيَّر الكوفيّون اسمي هذا، فجعلوه المبرَّد بفتح الراء، وإنَّما هو بكسرها.

وقال السيرافيّ: انتهى علم النحو بعد طبقة الجَرميّ والمازنيّ إلى أبي العباس محمد بن يزيد الأزديّ، وهو من ثُمالة قبيلة من الأزد، وأخذ أبو العباس النحوَ عن الجَرميّ، والمازنيّ، وغيرهما، وكان على المازنيّ يعوِّل، يُقال إنَّه بدأ بقراءة كتاب سيبويه على الجَرميّ، وختمه على المازنيّ، وكان إسماعيل بن إسحاق القاضي وهو أقدم مولداً منه، وقد رأى الناس بالبصرة يقول: ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه. وكان مولده سنة عشر ومائتين في شوال، ومات سنة خمسٍ وثمانين ومائتين، وقيل: ستٍّ.

وقال الخطيب في ترجمة المبرِّد: شيخ أهل النحو، وحافظ علم العربيّة، كان من أهل البصرة، فسكن بغداد، وكان عالماً فاضلاً موثوقاً به في الرواية حسنَ المحاضرة مليحَ الأخبار كثيرَ النوادر.

وقال السيرافيّ: سمعتُ أبا بكر بن مجاهد يقول: ما رأيتُ أحسنَ جواباً من

المبرِّد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدِّم. قال: وسمعته يقول: لقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب.

قال: وسمعتُ نفطويه يقول: ما رأيتُ أحفظَ للأخبار بغير أسانيد منه، ومن أبي العباس بن الفرات. وكذلك خبرنا أبو بكر بن السَّرَّاج عن محمد بن خلف وكيع، وكان بينه وبين أبي العباس ثعلب من المنافرة ما لا خفاء به، وأكثر أهل التحصيل يفضِّلونه.

وأخرج الخطيب عن أبي الحسن العروضيِّ، قال: قال لي أبو إسحاق الزَّجَّاج: لما قدم المبرِّد بغداد أتيته لأناظره، وكنتُ أقرأ على أبي العباس ثعلب، وأميل إلى قولهم - يعني الكوفيين - فعزمتُ على إعناته، فلما فاتحته ألجمني بالحجة، وطالبني بالعلة، وألزمني إلزامات لم أهتدِ لها، فتبيَّنتُ فضله، واسترجحتُ عقله، وجَدَدْتُ في ملازمته.

وأخرج الخطيب عن أبي علي الكواكبيِّ، قال: قال لي أبو العباس المبرِّد: كنتُ أناظرُ بينَ يدي جعفر بن القاسم، فكان يقول: أراك عالماً اليوم. فكان هذا يُحفِظُني، فلما رأى ذلك مني، قال: قولي لك: أراك عالماً اليوم، ليس أنَّكَ عندي قبل اليوم على غير هذه الحال، ثم انتقلتَ إليها، ولكن على قول الله تعالى: ﴿والأمر يومئذٍ﴾ [سورة الانفطار، الآية: ١٩] وإن كان الأمر اليوم ويومئذٍ لله.

وأخرج الخطيب عن أبي عبدالله المفجع، قال: كان المبرِّد لعظم حفظه اللغةَ واتساعه فيها يُتهَم بالكذب، فتواضعنا على حيلة لا أصلَ لها، لنسأله عنها، لننظر كيف يجيب، وكُنَّا قبل ذلك قد تمارينا في عروض بيت الشاعر:

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستَبْقِ بعضَنا

فقال بعضنا: هو من البحر الفلانيِّ. وقال آخرون: هو من البحر الفلانيِّ، فقطَّعناه، وتردَّد على أفواهنا من تقطيعه "قِبَعضَنا" فقلتُ له: أنبئنا أيَّدك الله، ما "القبعض" عند العرب؟ فقال المبرِّد: القطن، يصدق ذلك قول أعرابيِّ:

كأنَّ سنامها حشى القِبعضا

فقلتُ لأصحابي: هو ذا ترون الجواب والشاهد إن كان صحيحاً فهو عجيب وإن

كان اختلق الجواب وعمل الشاهد في الحال فهو أعجب.

وأخرج ابن عساكر من طريق أبي سليمان الخطَّابيِّ عن الدَّقَّاق النحويِّ، قال: اجتمع أبو العباس بن شريح، وأبو العباس المبرِّد، وأبو بكر بن داود في طريقٍ، فأفضى بهم إلى مضيق، فتقدَّم ابن شريح، وتلاه المبرِّد، وتأخر ابن داود، فلما خرجوا إلى الفضاء التفتَ ابن شريح وقال: الفقه قدَّمني. وقال ابن داود: الأدب أخرني - يعني حرفة الأدب-. فقال المبرِّد: أخطأتما جميعاً: إذا صحَّتِ المودة سقط التكلُّف.

وقال أحمد بن عبد السلام في المبرِّد:

أيا طالبَ العلمِ لا تجهلَن ... وعُذْ بالمبرِّد أو ثعلبِ
تجد عند هذين علمَ الورى ... فلا تكُ كالجملِ الأجربِ
علوم الخلائق مقرونة ... بهذين بالشرق والغربِ

وقال بعضهم في المبرِّد:

وإذا يُقال من الفتى كلَّ الفتى ... والشيخ والكهل الكريم العنصرِ
والمُستضاء بعلمه وبرأيه ... وبعقله قيل ابن عبد الأكبرِ

وكتبَ بعضُهم على كتاب الروضة للمبرِّد:

لو برا الله المبرِّد ... من جحيمٍ يتوقَّدْ
كان في الروضة حقَّاً ... من جميع الناس أبردْ

ومن شعر المبرِّد، أسنده ابن عساكر في تاريخه:

لم أعاتبكَ بل مدحتك في الشعـ ... ـر ويكفيك مدحتي من عتابي
أيَّ عارٍ عليك أعظم من مد ... حٍ إذا لم تكافِه بثوابِ

ومن شعره، أسنده ابن عساكر أيضاً:

تأدَّب غير متَّكل ... على حسب ولا نسبِ
فإنَّ مروءة الرجل الشـ ... ـريف بصالح الأدبِ

وأخـرج الخطيب عن المبـرِّد قـال: قـال لي المازنيّ: يا أبا العـبـاس، بلغني أنَّك تنصرف من مجلسنا، فتصير إلى المَخيس، وإلى موضع المجانين والمعالجين، فما معك من ذلك؟ قـال: فقلتُ: إنَّ لهم طرائفَ من الكلام وعجـائبَ من الأقسـام. فقال: خـبِّرني بأعجب ما رأيتَ من المجانين. فقلتُ: دخلتُ يوماً إلى مستقرِّهم، فرأيتُ مراتبهم على مقدار بليّتهم، وإذا قوم قيام قد شُدَّت أيديهم إلى الحيطان بالسلاسل، فمررتُ على شيخٍ منهم وهو جالسٌ على حصير نظيف ووجهه إلى القبلة، فجاوزته إلى غيره، فناداني: سبحانَ الله أين السلام؟ من المجنون؟ تُرى أنا أم أنتَ؟ فاستحييتُ منه، وقلتُ: السلامُ عليكم. فقال: لو كنتَ ابتدأتَ لأوجبتَ علينا حسنَ الردّ عليك، على أنّا نصرف سوء أدبك إلى أحسنِ جهاته من العذر لأنّه كان يُقال: إنَّ للداخل على القوم دهشة. ثم قال وقد رأى معي محبرة: يا هذا أرى آلة رجلين، أرجو أن لا تكون أحدهما؛ أتجالسُ أصحاب الحديث الأغثاء أم الأدباء أصحاب النحو والشعر؟ قلتُ: الأدباء. قال: أتعرف أبا عثمان المازنيّ؟ قلتُ: نعمْ، معرفة ثاقبة. قال: فتعرف الذي يقول فيه:

وفـتـى من مـازنٍ ... سـادَ أهلَ البصرهْ
أمُّـه مَـعْـرِفـة ... وأبـوه نَـكِـرهْ

قلتُ: لا أعرفه. قال: فتعرف غلاماً له قد نبغ في هذا العصر، معه ذهن وله حفظ، قد برز في النحو، وجلس في مجلس صاحبه، وشاركه فيه، يُعرَفُ بالمبرِّد؟ قلتُ: أنا والله عين الخبير به. قال: فهل أنشدك شيئاً من عبثات شعره؟ قلتُ: لا أحسبه يقول الشعر. قال: يا سبحانَ الله، أليس هو الذي يقول:

حـبَّـذا مـاءُ العناقيـ ... ـدِ بريقِ الغانياتِ
بهـمـا ينبتُ لحـمي ... ودمـي أيُّ نباتِ
أيُّـهـا الطالبُ أشهى ... من لذيذ الشهواتِ
كُلْ بماءِ المُزنِ تفـا ... حَ الخدودِ الناعماتِ

قلتُ: قد سمعته ينشدُ هذا في مجالسِ الأنس. قال: يا سبحانَ الله، ويستحيي أن ينشدَ مثل هذا حولَ الكعبة؟ ما تسمعُ الناس يقولون في نسبه؟ قلتُ: يقولون: هو من الأزدِ أزدِ شنوءة، ثم من ثمالة. قال: أتعرفُ الذي يقول:

سألنا عن ثمالةَ كلَّ حيٍّ ... فقال القائلون: ومن ثُمالهْ
فقلتُ: محمد بن يزيدَ منهم ... فقالوا زدتنا بهمُ جَهالهْ
فقال لي المبرِّد خلِّ قومي ... فقومي مَعشرٌ فيهم نَذالهْ

قلتُ: أعرف هذه الأبيات لعبد الصمد بن المعذَّل يقولها فيه. قال: كذب والله، هذا كلام رجلٍ لا نسبَ له، يريد أن يثبتَ له بهذا الشعر نسباً. قلتُ: أنتَ أعلم. قال لي: يا هذا قد غلبتَ بخفة روحك على قلبي، وتمكَّنتَ بفصاحتك من استحساني، وقد أخَّرتَ ما كان يجب أن تقدمه: الكنيةَ، أصلحكَ الله. قلتُ: أبو العباس. قال: فالاسم. قلتُ: محمد. قال: فالأب. قلتُ: يزيد. قال: أحوجتني إلى الاعتذار إليك مما قدَّمتَ ذكره. ثم قال: يا أبا العباس، صُنْ نفسَكَ عن الدخول إلى هذه المواضع، فليس يتهيأُ لك في كلِّ وقت أن تصادفَ مثلي على هذه الحال الجميلة؛ أنتَ المبرِّد. وجعل يصفِّقُ، وانقلبت عيناه، وتغيَّرت خِلقتُه، فبادرتُ مسرعاً خوفاً من أن تبدوَ منه بادرة، وقبلتُ قوله، فلم أُعاود الدخول إلى ذلك الموضع.

أوردَ هذه الحكاية السيرافيّ في كتابه، والمرزبانيّ في مقتبسه، وابن أبي الأزهر في حدائق المجالس، وياقوت في معجمه.

وأخرج ابن النجَّار في تاريخه عن أبي الحسن بن حُذَيفة البستي قال: كان لي ميعاد من أبي العباس المبرِّد في يوم معلوم، فكتب إليَّ في يوم بارد: أطال الله بقاءك، كرهتُ أن أجمعَ عليك في هذا اليوم البرد والمبرِّد.

وأخرج ابن النجَّار عن أبي ذَرٍّ عمَّار بن محمد التميميِّ، قال: أنشدنا أبي، قال: أنشدنا المبرِّد لنفسه:

دمـوع العينِ ألسِنةُ الضـمـيـرِ ... تخـبـر عن مـخـبّـأت الصـدورِ
إذا مـا الصـبـر همَّ بحـفظ سـرٍّ ... تكلّمتِ العـيـون عن الضـمـيـرِ

وأخرج ابن النجّار عن محمد بن يحيى بن عبيدالله الخاقانيّ، قال: انصرفتُ من مجلسِ أبي العباس البرتيّ، فدخلتُ إلى أبي العباس المبرِّد، فسأله رجلٌ عن شيءٍ، فقال له: لا أدري. ثم قال له: سألتَ غيري؟ قال: نعمْ، فسألتُ أبا العباسِ ثعلباً. قال: فما قال لك؟ قال: لا أدري. قال له المبرِّد: فما لا يدريه وقد قلتُ أنّي لا أدريه لم تفاخر به.

قال ياقوت: كانتِ العداوة شائعة بين ثعلب والمبرِّد حتى ضربَ ذلك الشعراء مثلاً في أشعارهم، فقال بعضهم:

كـفى حُـزناً أنّا جـمـيـعـاً ببلدةٍ ... ويجمعنا في أرضها شرّ مشهدِ
وكلٌّ لكلٍّ مـخـلـص الودّ آمنٌ ... ولكننا في جـانب يمنه مـفـردِ
نروح ونغـدو لا تزاورَ بيننا ... وليس بمضروبٍ لنا فيه موعدِ
فـأبداننا في بلدةٍ والتـقـاؤنا ... عسـيـرٍ كلُقيا ثعلب والمبرِّدِ

في بعضِ المجاميع، قال بعضهم: كنتُ عند المبرِّد، فأنشدَ:

أعـار البـحـرُ نائلَه ... إذا مـا مـاؤه نفـدا
وإن أسـدٌ شكا جـبـناً ... أعـار فـؤاده الأسـدا

فخرجتُ أردّدهما، فإذا أنا بمجنون، فقال لي: ما أنشدَكم باردُكم المبرِّد اليوم؛ فإنّه بالأخبار أعلم منه بالأشعار؟ أما يعلمُ أنّه إذا أعار البحر نائله بقي بلا نائل وإذا أعار الأسد فؤاده بقي بلا فؤاد؟ قلتُ: فما الذي يعجبكَ؟ قال: قول القائل:

علم البـحـر الندى حـتى إذا ... مـا حكاه علَّم البـأس الأسـدْ
فله البـحـرُ مـقـرٌّ بالندى ... وله الليث مـقـرٌّ بالجَلَدْ

قال: فانصرفتُ إلى المبرِّد من الغدِ، فذكرتُ ذلك له، فضحك، وقال: أوَما تعرفه؟

هو محمد بن يزيد الكاتب، أكل ثمر البلاد فتوسوسَ، وما على البسيطة أذكى منه.

وقال الشيرازيّ في الألقاب: سمعتُ أبا الحسين محمد بن علي الحسنيّ يقول: سمعتُ إسماعيل بن محمد يقول: سمعتُ المبرِّد يقول: كنتُ غلاماً، وكان في جيراني من يهواني، ويقبل عليّ بكلٍّ لُطفٍ، وأقابله بكلٍّ جفاء، فلما مات جزعتُ عليه، وزرته ووضعتُ يدي على قبره وترحمتُ عليه، وبكيتُ، فحملتني عيناي، فرأيته في النوم، يقول:

أتبكي بعدَ فقدك لي عَليًّا ... ومن قبل الممات تسيء ليًّا
سكبت عليّ دمعك بعد موتي ... فهلا كان ذاك وكنت حيًّا
تجافَ عن البكاء ولا ترده ... فإني ما أراك صنعتَ شيًّا

قال المبرِّد: فما أذكر هذا إلا ترحَّمتُ عليه.

قال بعضهم:

عرضتُ على الخبَّازِ نحوَ المبرِّدِ ... وكُتْباً حِساناً للخليلِ بن أحمدِ
ورؤيا ابن سيرين وخطَّ مهلهلٍ ... وتوحيد عمرو بعد فقه محمدِ
وأنشدته شعر الكُميتِ وجَرولٍ ... وغنيته لحنَ العريضِ ومعبدِ
فما نفعتني دون أن قلت هاكَها ... مدورة بيضا تطنّ على اليدِ

قال ياقوت: حدَّث علي بن سُليمان الأخفش، قال: كُنا عند المبرِّد يوماً، فدخل عليه البُحتريّ، فقام له، فتعاظمَ ذلك البُحتريّ، فأنشده المبرِّد:

أتنكرُ أن أقومَ إذا بدا لي ... لأكرمَه وأعظمَه هشامُ
فلا يعجب لإسراعي إليه ... فإنَّ لمثله خُلِقَ القيامُ

وأخرج ابن عساكر من طريق أحمد بن محمد بن زياد القطَّان، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد، قال: سألتُ بشر بن سعيد المريديّ حاجةً، فتأخرت فكتبتُ إليه:

وقاك الله من إخلافِ وعدٍ ... وهضمِ أُخوةٍ أو نقضِ عهدِ

فـــأنـتَ المـرتجى أدبـاً ورأيـاً   وبيــتكَ في الذؤابة من مـعَــدً
وتجــمــعنا عِــراضٌ لازمــاتٌ   شـــداد الأسّ من حـــسبٍ وَوُدً
إذا لم تأتِ حــاجــاتي سِــراعــاً   فـقـد ضـمُنتُـهـا بِشـر بن سـعـدِ
فـــأيّ الـنـاس آمـلـه لِـبِــرٍّ   وأرجـــوه لحلٍّ أو لـعـــقـــدِ

وأخرج الخطيب، وابن عساكر من طريق أبي سعيد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكريّ، قال: حكى لنا أبو الحسن بن عمَّار أنَّ محمد بن يزيد النحويّ المبرِّد صحَّف في كتاب الروضة في قوله: "حبيب بن خدرة" فقال: "حدرة"، وفي "ربعيّ بن حراش" فقال: "خِراش"، فقال بعض الشعراء يهجوه:

كـــثــرتْ فـي المبـــرِّد الآدابُ   واســتـقلّت في عــقله الألبــابُ
غـيـر أنَّ الفـتـى كـمــا زعم النّا   سُ دعيّ مـــصـــحِّفٌ كـــذَّابُ

قال المرزبانيّ في كتاب المقتبس عن عبدالله بن عبيدالله التيمي قال: أنشدني أحمد بن أبي طاهر طيفور المروزوي لنفسه في المبرِّد. وذكر البيتين.

وأخرج الخطيب، وابن عساكر عن أحمد بن مروان المالكيّ، قال: أنشدني بعضُ أصحابنا لثعلب في المبرِّد حين مات:

مـــاتَ المبـــرِّدُ وانقــضتْ أيّامُــه   وســينقــضي بعــد المبــرِّد ثعلبُ
بيت من الآداب أصــبح نصــفــه   خــرباً وباقي نصـفِـه فسـيـخـربُ
وأرى لكم أن تكتــبــوا ألفــاظه   إن كـــانت الألفـــاظ مما تُكتَبُ

قال أبو حيّان التوحيديّ في كتاب الإمتاع والمؤانسة[1]: قال لي الوزير: حدِّثني عن اعتقادك في أبي تمّام والبحتريّ. فكان الجواب أنَّ هذا الباب مختَلَفٌ فيه، ولا سبيل إلى رفعه، وقد سبق هذا من الناس في الفرزدق وجرير، ومن قبلهما في زهير والنابغة، حتى تكلّم على ذلك الصدر الأول مع علوّ مراتبهم في الدين والعقل والبيان،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: ٣/١٨٥-١٨٦.

لكن، حدثنا أبو محمد العروضيّ عن أبي الحسن العروضي"(١) عن أبي العباس المبرِّد، قال: سألني عبيدالله بن سليمان عن أبي تمّام والبحتريّ. قال: فقلتُ: أبو تمّام يعلو علوّاً رفيعاً، ويسقط سقوطاً قبيحاً، والبحتريّ أحسن الرجلين نمطاً وأعذب لفظاً. فقال عبيدالله:

قــــد كــــان ذلك ظنّي ... وعــــاد ظنّي يقــــينا

قال الخطيب(٢): وأخبرنا علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، قال: أنشدنا أبو عمر الزاهد، قال: أنشدني خالي أبو الحسين أحمد بن إبراهيم السياريّ، قال: أنشدني المبرِّد:

النحـو يبسطُ من لسان الألكنِ ... والمرءُ تعظّمه إذا لم يلحنِ
فإذا أردتَ من العلوم أجلَّها ... فأجلُّها منها مُقيمُ الألسنِ

عمّى المبرِّدُ لتلميذه أبي عبدالله محمد بن أحمد بن الحسن بن الأصبع بينَ الحروفِ بيتاً، فاستخرجه، وقال:

قلْ لمن زانه عفافٌ ودين ... وسماح ونجدةٌ وحياءُ
والذي ساد في العلوم فما يبـ ... ـلغه ذو الكساءِ والفراءُ
قد أتانا البيت المترجم بالطيـ ... ـر وفيه النسور والعنقاءُ
فجلونا به وقد دارت الأصـ ... ـوات في مجلسٍ وطاب الطلاءُ
فظفرنا به ووفقنا اللـ ... ـه الذي باسمه تقوم السماءُ
وهو بيت لشاعر من بني مخـ ... ـزومٍ أضنتْ فؤاده أسماءُ
وحبّذا أنت يا بغوم وأسما ... ء وعيشٌ يلفّنا وخلاءُ

وقال الخطيب: أنبأنا الحسن بن علي الجوهريّ أخبرنا أحمد بن إبراهيم حدثنا أبو بكر بن أبي الأزهر، قال: كان المبرِّد يُنسَبُ إلى الأزد، فقال فيه أحمد بن عبد

(١) لم يذكر أبو حيان التوحيديّ في سنده "أبا الحسن العروضي".
(٢) تاريخ بغداد: ٤/٢٣١.

السلام الشاعر:

أنا ابنُ سـراة الأزدِ أزدِ شنوءةٍ ... وأزدِ العتيك الصدر رهط المهلَّبِ
أولئك أبناء المنايا إذا غَدَوْا ... إلى الحرب عدَّوا واحداً ألفَ مقعنبِ
حموا حرم الإسلام بالبِيض والقَنا ... وهم ضرموا نار الوغى بالتلهّبِ
وهم سبطُ أنصار النبيِّ محمدٍ ... على أعجميٍّ الخَلْقِ والمتعرِّبِ
وأنتَ الذي لا يبلغ الناسُ وصفَه ... وإن أطنبَ المُدَّاحُ مع كلِّ مُطنبِ
رأيتك والفتحَ بنَ خاقانَ راكباً ... وأنتَ عديلُ الفتحِ في كلِّ موكبِ
وكان أميرُ المؤمنين إذا دنا ... إليكَ يُطيلُ الفكرَ بعد التعجُّبِ
وأوتيتَ علماً لا يحيط بكُنهه ... علومُ بني الدنيا ولا علم ثعلبِ
يؤوب إليكَ الناسُ حتى كأنَّهم ... ببابكَ في أعلى مِنى والمحصَّبِ

وقال الخطيب: أخبرنا علي بن أيوب القمّيّ أخبرنا محمد بن عمران بن موسى أخبرني الصوليّ، قال: كُنا يوماً عند أبي العباس المبرِّد، فجاءه رجلٌ، فسلَّم عليه، واستخفى نفسه في نقابه، فأنشدَ أبو العباس:

إنَّ الزمانَ وإن شطَّتْ مذاهبه ... مني ومنك فإنَّ القلبَ مقتربُ
لن يُنقِصَ النأيُ ودّي ما حييتُ لكم ... ولا يميلُ به جِدٌّ ولا لعبُ

قال الخطيب: قال ابن المنادي: سمعنا من المبرِّد أحاديث في تضاعيف أول كتاب معاني القرآن.

قال الخرائطيّ في مكارم الأخلاق: سمعتُ محمد بن يزيد المبرِّد ينشد ويقول:

ومن لا يكفُّ الجهلَ عمَّن يجلّهُ ... فسوفَ يكفُّ الجهلُ عمن يواثبهُ
فيغلبه بالجهل من كان جاهلاً ... ويغلبه بالصمتِ من لا يجاوبه

وأخرج الخطيب[1] عن محمد بن عبدالله[2] الكاتب، قال: كنتُ يوماً عند محمد بن

(١) انظر: تاريخ بغداد: ٦/٣٦.
(٢) في المصدر نفسه: عبيدالله. انظر: ٦/٣٦.

يزيد المبرِّد، فأنشد:

جسمي معي غير أنَّ الروحَ عندكمُ ... فالجسمُ في غربةٍ والروح في وطنِ
فليعجبِ الناسُ مني إنَّ لي بدناً ... لا روحَ فيه ولي روحٌ بلا بدنِ

ثم قال: ما أظنُّ الشعراء قالت أحسنَ من هذا. فقلتُ: ولا قول الآخر:

فارقتكمْ وحييتُ بعدكمُ ... ما هكذا كان الذي يَجِبُ
فالآنَ ألقى الناسَ معتذراً ... من أن أعيشَ وأنتم غُيُبُ

قال: ولا هذا. قلتُ: ولا قول خالد الكاتب:

روحانِ لي روح تضمَّنها ... جسدٌ وأخرى حازها بلدُ
وأظنُّ غائبتي كشاهدتي ... بمكانها تجد الذي أجدُ

قال: ولا هذا. قلتُ: أنتَ إذا هويتَ الشيءَ مِلتَ إليه، ولم تعدل إلى غيره. قال: لا، ولكنَّه الحقّ. فأتيتُ ثعلباً، فأخبرته، فقال: ألا أنشدته:

غابوا فصار الجسمُ من بعدهمْ ... ما تنظر العينُ له فيَّا
بأيِّ وجهٍ أتلقَّاهمُ ... إذا رأوني بعدهم حيَّا
يا خجلتي منه ومن قولهِ ... ما ضرَّكَ الفقدُ لنا شيَّا

فأتيتُ إبراهيم بن إسحاق الحربيَّ، فأخبرته، فقال: ألا أنشدته:

يا حيائي ممَّن أحبُّ إذا ما ... قال بعد الفراق أنّي حييتُ
لو صدقت الهوى حبيباً على الصِّـ ... ـحةِ لمّا نأى لكنتَ تموتُ

قال: فرجعتُ إلى المبرِّد، فقال: أستغفرُ الله، إلا هذين البيتين. يعني بيتي إبراهيم.

وقفتُ على مجلَّدٍ فيه معاني مشكل القرآن، مما سئل عنه المبرِّد، جمع بعض تلامذته، فيه: رأيتُ المبرِّدَ سأل الزَّجَّاج يوماً، فقال: ما تقول في قوله تعالى: ﴿هذا يومُ ينفعُ الصادقينَ صدقُهم﴾ [سورة المائدة، الآية: ١١٩] لِمَ أضاف اليوم إلى الفعل، والفعل لا يُضافُ إليه؟ قال: لأنَّ أسماءَ الزمان تضافُ إلى الفعلِ. قال: فكيف تقول:

"هذا يومٌ ضحوتُه طيِّبةٌ"؟ قال: كذا أقول. قال: أخطأتَ بإجماع النحويين لأنَّ ضَحوةَ اليوم من اليوم، ولا يُضاف الشيءُ إلى نفسه، وإنَّما أضيفت أسماء الزمان إلى الفعل لمضارعتها للفعل لأنَّ الزمانَ ينقضي بمرور الساعات، والفعل كذلك.

وسأل ابنَ كيسان عن مسألة صغيرة، فأخطأ فيها، فقال: أتدري ما مثلك؟ مثلُك مثلُ رجلٍ أراد أن يُغرِقَ رجلاً في البحرِ، فغرق في الساحل، إنَّما سألتك عن هذه المسألة لأرقيك إلى ما تغلط فيه، فغلطت من الساعة وأرحتني.

وسأل الفزاريَّ، فقال: أخبرني عن "لكن" أليس هو حرف عاطف؟ قال: بلى. وحرف لا يدخل على حرف كما لا يدخل استفهام على استفهام ولا عامل على عامل؟ قال: بلى. قال: فما قوله: ﴿ولكنَّ الشياطينَ كفروا﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٢] وقوله: ﴿ولكنَّ الله رمى﴾ [سورة الأنفال، الآية: ١٧] لِمَ أدخلَ الواوَ على "لكنَّ" وهما حرفا عطف، فجمع بينهما وأحدهما مجزئ عن الآخر؟ فلم يكن عنده جواب. وأقبل يسأله أن يفسِّر ذلك له. قال: لما كانت "لكن" قد تُشَدَّد، فتعمل، فتخرج بالعمل من باب العطف، ضعفت في بابها، فقويت بالواو لأنَّها أصل النسق.

وفيه للمبرِّد في اللام استخراجٌ جميل لا مدفعَ له، وخالفه فيها الزَّجَّاج، وتعلَّق بشيءٍ مما قاله سيبويه، وأطال الخطبَ عندَ إسماعيل القاضي يدفعُ قولَ المبرِّد، وبلغت هذه المسألة ثعلباً، فقال لي المبرِّد: أما ترى ما بُليتُ به من جهلِ الزَّجَّاجِ، أنا بينه وبين البصريين ويحتجَّ بهم عليَّ؟! قلتُ: كذلك قدْرة الضعفاء، اعرضْ له بقول الشاعر: .

وضعيفةٍ فإذا أصابت فرصةً قتلتْ كذلك قدرة الضعفاءِ

فقال: أهو عندي ضعيف؟! هو والله أقلُّ من أن يكون ضعيفاً.

وفيه مسألة كان المبرِّد يسأل عنها كثيراً: قوله تعالى: ﴿فسوف تعلمون إذ الأغلالُ في أعناقهم﴾ [سورة غافر، الآية: ٧١] "إذ" لما مضى، و"سوف" لما يستقبل، فكيف يكون "فسوف تعلمون غداً ما وقع بهم أمس"؟ الجواب أنَّ الله تعالى هو العالم بما يكون في غد، فقال "سوف يعلمون بعد وقوع الأغلال في أعناقهم ما ينزل بهم من العذاب" فكأنَّ

التقدير: "إذا أثبتت الأغلال في الأعناق وقع العلم" ولا يجوز مثل هذا الكلام إلا من الله تعالى؛ لأنَّه يعلم في غد كعلمه ما كان في أمس، فالإخبار منه عن الحالين جميعا واحد.

وفيه: سألْنا المبرِّد عن قول النبي (ﷺ) "المؤمن لا يُلسَعُ من حجر مرتين" فهذا يعقوب وهو نبي قد دفع ابنه الآخر إليهم وقد لسعوه من قبلُ في يوسف، فلِمَ دفعَ إليهم الثاني وقد وتروه؟ فقال: هذه ضرورة إلى المِيرة، والضرورة تزيل الاختيار، فاستوثق منهم ولم يجد بدا من إجابتهم للحاجة إلى المِيرة. أو لفظاً يشبه هذا.

قال المبرِّد في الكامل[١]: في قوله (ﷺ) «إنَّكم لَتقلّون عند الطمع، وتكثرون عند الفزع»[٢] الفزع في كلام العرب على وجهين: أحدهما بمعنى الذُّعر، والآخر الاستنجاد والاستصراخ، وهو المراد من الحديث.

قال أبو القاسم علي بن حمزة في كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة[٣]: هذا غلط، وإنَّما المعنى الآخر الإغاثة والإصراخ لا الاستنجاد والاستصراخ، يُقال: فزع فلان فلاناً يَفْزَعُه فَزَعاً إذا أغاثه، وأنشد على ذلك أبياتاً، قال: ومنه الحديث.

وقال المبرِّد في الكامل[٤]: ارتُجَّ على فلانٍ، أي أغلِقَ عليه الكلام، وقول العامة "ارتجّ" ليس بشيءٍ إلا أنَّ التوزيَّ حدثني عن أبي عبيدة قال: يُقال "ارتَجَّ" ومعناه : وقع في رجَّة، أي في اختلاط، وهذا معنى بعيد جداً.

قال علي بن حمزة[٥]: وهذا الذي استبعده وأنكره قريب صحيح.

وقال المبرِّد[٦]: قتل بسطام بن قيس بالحَسَن، وهو جبل.

قال علي بن حمزة[٧]: وهذا غلط منه مركّب في تصحيف إنَّما الحسَن شجر

---

(١) الكامل في اللغة والأدب: ١/٢-٣.
(٢) في المصدر نفسه: «إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع» انظر: ١/٢-٣.
(٣) التنبيهات: ٩١-٩٣.
(٤) الكامل في اللغة والأدب: ١/١٥٥.
(٥) التنبيهات: ١٠٧.
(٦) الكامل في اللغة والأدب: ١/٢٩٦.
(٧) التنبيهات: ١١٦.

يسمَّى الحسن لحسنه، وهو بكثيب من الرمل، يُنسَبُ الكثيب إليه، فيُقال: نقا الحسن. ويُقال ليوم قتل بسطام يوم النقا.

قال[١]: وكان المبرِّد صُحُفِيّاً، ومن نقل اللغة عن الصُّحفِ صَحَّفَ، وإنَّما وجده: "حبل رمل" فأسقط "الرمل" وقال: جبل.

وقال المبرِّد[٢]: فأما قولهم في حاجة حوائج، فليس من كلام العرب على كثرته على ألسُنِ المولَّدين ولا قياس له.

قال علي بن حمزة[٣]: وهو في هذا مُتبعٌ للأصمعيِّ، وقد غلطا معاً، على أنَّ الأصمعيَّ رجع عن هذا القول فيما حكاه عنه ابن أخيه، والرياشيِّ، وذكرا أنَّه قال: هي جمع حائجة. وقال أبو عمرو: في نفسي منه حاجة وحائجة، والجمع حاجات وحوائج وحاجَ وحُوِد، وأنشدَ:

صريعَي مدام ما تفرَّق بيننا حوائج من إلقاح مال ولا بُخلِ

وأنشد أبو عبيدة للشمَّاخ:

تقطَّع بيننا الحاجاتُ إلا حوائج يعتسفنَ مع الجري

وأنشد أبو زيد:

مستعجلات بذوي الحوائجِ

وقال الفرَّاء: الحوائج والحاجّ والحُوج بمعنى.

ولو تشاغل أبو العباس بمُلَح الأشعار ونُتَف الأخبار وما يعرفه من النحو، كان خيراً له من القطع على كلام العرب، وأن يقول: ليس كذا من كلامهم، فلهذا رجالٌ غيره، ويا ليتهم أيضاً يسلمون. انتهى[٤].

---

(١) التنبيهات: ١١٦.

(٢) الكامل في اللغة والأدب: ١/٣٦٩.

(٣) التنبيهات: ١٢٣.

(٤) نبَّه علي بن حمزة على ما عدَّه خطأ وقع فيه المبرد في كامله، وهي في جملتها تنبيهات تدلّ على التشدّد في مقاييس الدلالة والرواية عند علي بن حمزة، والتوسّع عند المبرّد. انظر: التنبيهات: ٩١-١٨٨.

وقال الزبيديّ في طبقاته: قال أبو عبدالله بن الحسين بن سعد الكاتب، وأبو بكر بن أبي الأزهر: كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان ومُلوكيّة المُجالسة وكَرَم العشرة وبلاغة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الخطّ وصحّة القريحة وقُرب الإفهام ووضوح الشرح وعذوبة المنطق على ما ليس عبيه أحد ممن تقدّمه أو تأخر عنه.

سمعتُ إسماعيل بن إسحاق القاضي يقول: لم يرَ المبرِّد مثلَ نفسِه ممن كان قبله، ولا يرى بعدَه مثلَه.

وحدثني سهل بن أبي سهل البهزيّ، وإبراهيم بن محمد المِسمعيّ، قالا: رأينا محمد بن يزيد وهو حديث السِّنّ متصدِّراً في حلقة أبي عثمان المازنيّ يُقرَأُ عليه كتاب سيبويه، وأبو عثمان في تلك الحلْقة كأحد من فيها.

وكان سبب حمله من البصرة فيما حدثني أحمد بن حرب، قال: قرأ المتوكِّل على الله وبحضرته الفتح بن خاقان ﴿وما يُشعركم أنَّها إذا جاءت﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٩] فقال الفتح بن خاقان: يا سيدي ﴿إنَّها إذا جاءت﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٩] بالكسر. فتبايعا على عشرة آلاف دينار، وتحاكما إلى يزيد بن محمد المهلبيّ، وكان صديقاً للمبرِّد، فلما وقف يزيد على ذلك، خاف أن يُسقِطَ أحدهما، فقال: والله ما أعرف الفرقَ بينهما، وما رأيتُ أعجبَ من أن يكون باب أمير المؤمنين يخلو من عالمٍ متقدِّمٍ. فقال المتوكِّل: فليس ههنا من يُسأل عن هذا؟ فقال: ما أعرف أحداً يتقدَّمُ فتى بالبصرة ويُعرَفُ بالمبرِّد. قال: ينبغي أن يُشخَصَ. فنفذ الكتاب إلى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشميّ بأن يُشخِصَه مكرماً.

فحدثني محمد بن يزيد، قال: وردتُ سُرَّ من رأى، فأُدخِلتُ على الفتحِ بن خاقان، فقال لي: يا بصريّ، كيف تقرأ هذا الحرف: ﴿وما يُشعركم أنَّها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٩] بالكسر أو بالفتح؟ فقلتُ: إنَّها بالكسر، هذا المختار؛ وذلك أنَّ أولَ الآية ﴿وأقسموا بالله جهدَ أيمانهم لئن جاءتهم آيةٌ ليُؤمِنُنَّ بها قُلْ إنَّما الآيات

عند الله وما يشعركم أنَّها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٠٩] ثم قال تبارك وتعالى: يا محمد ﴿إنَّها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٩] باستئناف جواب الكلام المتقدم. قال: صدقتَ. وركب إلى دار أمير المؤمنين، فعرَّفه بقدومي، وطالبه بدفعِ ما تخاطبوا عليه وتبايعا فيه، فأمر بإحضاري، فحضرتُ، فلما وقعتْ عينُ المتوكّل عليَّ، قال: يا بصريّ، كيف تقرأ هذه الآية ﴿وما يُشعركم أنَّها إذا جاءت﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٩] بالكسر أو ﴿أنَّها إذا جاءت﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٩] بالفتح؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين أكبر الناسِ يقرؤها بالفتح. فضحك وضرب برجله اليسرى، وقال: أحضِرْ يا فتحُ المال. فقال: يا سيدي، إنَّه والله قال لي خلاف ما قال لك. فقال: دعني من هذا، أحضِر المال. وأخرجنا، فلم أصل إلى الموضع الذي كنتُ أُنزِلتُه حتى أتتني رُسُل الفتح، فأتيته، فقال لي: يا بصريّ، أولُ ما ابتدأتَنا به الكذب! فقلتُ: ما كذبتُ. فقال: كيف وقد قلتَ لأمير المؤمنين إنَّ الصواب ﴿وما يُشعركم أنَّها إذا جاءت﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٩] بالفتح؟ فقلتُ: أيُّها الوزير، لم أقل هكذا، وإنَّما قلتُ: أكثر الناسِ يقرؤها بالفتح. وأكثرهم على الخطأ، وإنَّما تخلصتَ من اللائمة، وهو أمير المؤمنين. فقال لي: أحسنتَ. قال أبو العباس: فما رأيتُ أكرمَ كرماً، ولا أرطبَ بالخير لساناً من الفتح.

قال الزبيديّ: ولم يكن أبو العباس محمد بن يزيد على رياسته وتفرّده بمذهبِ أصحابه وإربائه عليهم بفطنته وصحة قريحته متخلِّفاً في قول الشعر، وكان ينتحل ذلك ولا يعتزي إليه، ولا يرسم نفسه به، وله أشعار كثيرة، منها قوله وقد وَرَدَ عليه كتاب من طاهر بن الحارث مع غلام يُقال له: نَصر، في دَرجِه كتابُ التسبيبِ بأرزاقه على أموال مصر، فأجاب على الكتاب بأبياتٍ قالها على البديهة، وهي:

بنفسي أخٌ شددتُ به أزري ... فألفيته حُرّاً على العسرِ واليُسرِ
أغيبُ فلي منه ثناءٌ ومِدحةٌ ... وأحضرُ منه أحسنَ القولِ والبشرِ
وما طاهر إلا جمالٌ لصَحْبِه ... وناصرُ عافيه على كَلَبِ الدهر

تفـرَّدتَ يا خـيـرَ الورى فكفـيـتني مطالبة شنعاء ضاق بها صدري
وأحسن من وجه الحبيب وووصله كتـابٌ أتاني مُدرَجـاً بيدي نصـرِ
سُـــرِرتُ بـه لما أتـى ورأيـتـنـي غنيتُ وإن كـان الكتـابُ إلى مـصـرِ
وقلتُ رعـــاك الله من ذي مــودةٍ فقد فُتَّ إحسـاناً وقصَّر بي شكري

فهذا على البديهة.

ومما كتبَ به إلى عبيدالله بن عبدالله:

يا مــوئلاً لذوي الـهـمَّـات والخَطَرِ ومن عـمَدت لحـاجـاتي من البـشـرِ
هل أنتَ راضٍ بأن يُضـحـي نزيلُكمُ والمستـجـيبُ لكم فـي حـال مسـتـترِ
صِـفــراً من المالِ إلا مـن رجـائكمُ ولابســاً بـعـد يُسـرٍ حلّةَ العُـسُـرِ
قل للأمــيــر عُــبـيـدالله دام له عِـزُّ الإمـارة فـي طولٍ من العُـمُـرِ
بدأتَ وعـداً فـعُـد فـانظر لمنتظرٍ فـــإنَّ حقَّ تمامِ الوِردِ للصـــدَرِ
وقد بدا عودُ شكري مورقاً فـأجدْ سُـقـيـاكَ أجنيكَ منه يانعَ الثـمـرِ
فـإنَّمـا يسمُ الوسـمـيُّ مـبـتـدئاً ولـلـولـيِّ نـبــــات الروضِ والـزَّهَـرِ
والسيفُ يُجلى فإن لم تُسقَ صفحته نبـا ولم يكُ كـالمشـحـوذة البُـتُـرِ
وقـــد تقـــدَّم إحــســـانٌ إليَّ لكمْ لم أوتَ فـيـهِ من الإغراقِ في الشكُرِ
وفـي بقـــاءِ عـــبـيـــدالله لـي خلَفٌ وفـــيضُ راحـتـه المغني عن المَطَرِ

قال أبو بكر بن عبد الملك التاريخيّ: كان المبرِّد من أعلمِ الناسِ بكلِّ شيءٍ.

قال: وقال أبو عبيدة معمر بن المثنّى: لا يكون نحويٌّ شجاعاً. فقيل له: وكيفَ ذلك؟ فقال: ترونه يفرِّق بين الساكن والمتحرِّك، ولا يفرِّق بين الموت والحياة.

وقال المبرِّد: وأنا أقول أنَّه لا يكون نحويٌّ جواداً. فقيل له: وكيف ذلك؟ ترونه يفرِّق بين الهمزتين، ولا يفرِّق بين سبب الغنى والفقر. يريد الإمساك سبب من أسباب الغنى، والعطاء سبب من أسباب الفقر.

قال: وأخبرني بعض من أثق به أنَّه كان يقول: ما وضعتُ بحذاء الدرهم شيئاً إلا

رجح الدرهم في نفسي عليه، هذا مع شدة كان فيها ووجد.

وكان معه في المنزل من أقاربه سكان، فسألنا عن خبره في مأكله ومشربه، فذكروا أنَّه كان إذا أراد الأكل، دخل البيت، وأخذ الماء معه، وردَّ الباب في وجهه، وطرح الستر، فلا يعلم أحد منهم بشيءٍ من أمره.

قال أبو بكر: قال جدي: سمعتُ محمد بن يزيد يقول: النُّعَم: الإبل خاصة، وإن كان معها بقر أو شاء أو كلاهما، قيل لجميع ذلك نَعَم؛ لاتصاله بالنُّعَم، وإن أُفرِدَت الشاء والبقر لم يُقَلْ لشيءٍ منها نَعَم، وأنشد للأخطل:

فيومٌ منك خيرٌ من أُناسٍ ... كثيرٍ عندَهم نَعَمٌ وشاءُ

قال ونظير ذلك "قوم" إنَّما يُقال ذلك للرجال، إن كان معهم نساء قلت "قوم"، وإن انفردنَ لم تقل لهنَّ "قوم"، قال الله تعالى: ﴿لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهنَّ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١١] وأنشدَ لزهير:

وما أدري وسوفَ إخالُ أدري ... أقومٌ آل حصْن أم نساءُ

أخبرني إسماعيل من حفظه، قال: لما قُتِل المتوكّل بسُرَّ من رأى رَحَلَ المبرِّدُ إلى بغداد، فقدم بلداً لا عهدَ له بأهله، فكان يشهد صلاة الجمعة، فصارت حوله حلقة عظيمة، فإذا بصُرَ بهم ثعلب أرسل من تلامذته من يُفاتشُهم، فأمر يوماً إبراهيم بن السري الزجَّاج، وابن الحائك بالنهوض، وقال لهما: قُصَّا حلقة هذا الرجل. ونهض معهما من حضر من أصحابه، فلما صاروا بين يديه، قال له إبراهيم بن السري: أتأذنُ أعزَّك الله في المناقشة؟ فقال له أبو العباس: سلْ عمَّا أحببتَ. فسأله عن مسألة، فأجابه فيها بجوابٍ أقنعه، فنظر الزَّجَّاج في وجوه أصحابه متعجباً من تجويد أبي العباس للجواب، فلما انقضى ذلك، قال له أبو العباس: أقَنِعتَ بالجواب؟ فقال: نعمْ. قال: فإن قال لك قائل، في جوابنا هذا كذا، ما أنتَ راجعٌ إليه؟ وجعل أبو العباس يوهن جوابَ المسألة، ويفسده، فبقي إبراهيم باهتاً لا يحير جواباً، ثم قال: إن رأى الشيخ أعزَّه الله

أن يقول في ذلك؟ فقال أبو العباس: فإنَّ القولَ على نحو كذا أفصح، الجوابُ الأولُ. وأوهى ما كان أفسده به، فبقي الزَّجَّاج مبهوتاً، ثم قال في نفسه: قد يجوز أن يتقدم له حفظ هذه المسألة وإتقان القول فيها، ثم يتفق أن أسأله عنها، فأوردُ عليه مسألةً ثانية، ففعل أبو العباس فيها نحوَ فعله في المسألة الأولى حتى والى بين أربع عشرة مسألة، يجيب عن كلٍّ واحدة منها بما يُقنِعُ، ثم يفسد الجواب، ثم يعود إلى تصحيح القول الأول، فلما رأى ذلك إبراهيم بن السري، قال لأصحابه: عودوا إلى الشيخ، فلستُ مفارقاً هذا الشيخ ولا بدٌّ لي من ملازمته والأخذ عنه. فعاتبه أصحابه، وقالوا له: أتأخذُ عن مجهولٍ لا يُعرَفُ اسمه وتدع من قد شُهِرَ علمُه وانتشر في الآفاق ذكره؟ فقال لهم: لستُ أقول بالذكر والخمول، ولكن أقول بالعلم والنظر. فلزم أبا العباس، وسأله عن حاله، فأعلمه برغبته في النظر، وأنَّه قد حبس نفسَه على ذلك إلا ما يشغله من صياغة الزُّجاج في كلِّ خمسة أيامٍ من الشهر، فيتقوَّتُ بذلك الشهرَ كلَّه، ثم أجرى عليه في الشهر ثلاثين درهماً، وأمره أبو العباس باطِّراح كُتبِ الكوفيين، ولم يزل ملازماً له، وآخذاً عنه حتى برع من بين أصحابه.

وكان أبو العباس لا يقرئ أحداً كتاب سيبويه حتى يقرأه على إبراهيم ويُصَحِّح به كتابه، فكان ذلك أول رياسة أبي إسحاق.

وقرأ أبو العباس ثُلثَ كتاب سيبويه على الجَرميِّ، وتوفي الجَرميِّ، فكمَّله على المازنيِّ، وكان مولد أبي العباس يوم الاثنين في ذي الحجة ليلة الأضحى سنة عشرٍ ومائتين، وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ستٍّ وثمانين ومائتين، ودفنَ بمقبرة باب الكوفة، وصلَّى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي.

وقال الزَّجَّاج: لازمتُ خدمة عبيدالله بن سليمان الوزير ملازمةً قطعتني عن أبي العباس المبرِّد، وعن برِّه، وإجرائي عليه ما كان تعوده مني، ثم مضيتُ إليه يوماً، فقال لي: هل يقع حسد الإنسان إلا من نفسه؟ قلتُ: لا. قال: فما معنى قول الله سبحانه ﴿ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يردونكم من بعد إيمانكم كفَّاراً حسداً من عند أنفسِهم﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٠٩] فلم أدرِ ما وجه ذلك. فقال: ينبغي أن تعلم أنَّ ههنا أشياء كثيرة قد بقيت عليك. فاعتذرتُ ووعدته بالرجوع إلى ما كان تعوده مني. انتهى ما أورده الزبيديّ.

في تذكرة ابن مكتوم عن كتاب الفصوص لصاعد اللغويّ، قال: قال محمد: قال لي القاضي ابن أم شيبان، قال لي القاضي أبو عمر: كان بين المبرِّد وثعلب من المماظّة والمنافسة ما لم يكن بين عالمين، وكان يُكبِرُ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، وإذا دخل تلميذ أحدهما على الآخر، أمَرَ بغسلِ موضعه بعد انصرافه، وتهاجيا، فيما تداوله الناس، قال: فعهدي بأبي العباس ثعلب وأنا بين يديه في مجلسه وعنده أصحابه، إذ قيل له إنَّ أبا العباس المبرِّد مقبلٌ إليك زائراً لك وقاضياً حقَّك، فقام من مجلسه، ومشى حافياً إليه حتى أبعد من المسجد، فلما رآه المبرِّد كذلك، نزل عن حماره، وعرَّفه ما عزَّ عليه من مشيه إليه، وتعانقا ودخلا المسجد، فأجلسه ثعلب في موضعه وجلس بين يديه، وأخذا في التنصُّل من قلة الالتقاء، ولعنا الناقل عنهما، والمورش بينهما، ثم دخلا في فنون الأحاديث والمُلَح. فلم أعدل قط لحديثهما سروراً، ولا علمتُ اثنين يجتمعان على نضارة مثل ذلك الحديث، وكيف ما أدركه القلم من لفظهما، ثم تودَّعا، فشيَّعه ثعلب حتى أخذ بركابه، وانصرف، فلما رجع إلى مجلسه بقي أصحابه في حيرةٍ من أمرهما، ولم يعلموا على أيِّ شيءٍ يحملون أمرهما في تلك العداوة المفرطة وهذه الملاقاة الكريمة، فعلم ثعلب ما في نفوس أصحابه، فأنشأ يقول:

أتانا فلما بصرنا به ... حللنا الجنى وابتدرنا القياما
فلا تنكرَنَّ قيامي له ... فإنَّ الكريمَ يجلّ الكراما

وقال صاعد في الفصوص: حدثني أبو الحسين علي بن مهدي الفارسيّ: في معجم الأدباء لياقوت(١): حدَّث الزَّجَّاج، قال: أنشدنا المبرِّد:

فيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا ... رأيتُ أهل الوفاءِ والكرَمِ

(١) معجم الأدباء: ١/٥٨-٥٩.

أرسلتُ نفسي على سجيَّتها وجئت ما جئتُ غير محتشم

قال الزَّجَّاج: فقلتُ له: أليس يقول الأصمعيّ: الحشمة الغضب؟ فقال: الحشمة الغضبُ، والحشمة الاستحياء؛ لأنَّ الغضبَ والاستحياءَ جميعاً نقصانٌ في النفسِ وانحطاطٌ عن الكمال؛ فلذلك كان مخرجهما واحداً. قال: فقلتُ له: أليس الحياءُ محموداً والغضبُ مذموماً، وقد رُويَ أنَّ الحياءَ شعبةٌ من الإيمان، ورُويَ: إذا لم تستحي فاصنعْ ما شئت؟ فقال: الحياء محمود في الدِّين، وفي اجتناب المحارم، وفي الإفضال، وأمَّا في ترك الحقوق والنكوص عن الخصوم عند الحِجاج فهو نقصانٌ في النفسِ.

قال المبرِّد: وسمعتُ المازنيَّ يقول: معنى قوله: "إذا لم تستحي فاصنعْ ما شئت" أي: إذا صنعتَ ما لا تستحيي من مثله، فاصنعْ منه ما شئت، وليس على ما يذهب إليه العوامُ. وهذا تأويل حسنٌ. انتهى.

وفي معجم ياقوت[1]، قال: قرأتُ في كتاب ابنِ فَورجة المسمَّى بالفتح على أبي الفتح، قال: زعموا أنَّ أبا العباس المبرِّد وَرَدَ الدِّيْنَوَر زائراً لعيسى بن ماهان، فلما دخل عليه، وقضى سلامه، قال له عيسى: أيُّها الشيخ، ما الشاةُ المجثَّمة التي نهى النبي (ﷺ) عن أكلِ لحمها؟ فقال: هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة. فقال: هل من شاهد؟ قال: نعم، قولُ الراجز:

لم يبقَ من آلِ الحميد نَسَمهْ إلا عُنَيزٌ لجبة مجثَّمَهْ

فإذا الحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدِّينَوَريِّ، فلما دخل، قال له: أيُّها الشيخ، ما الشاة المجثَّمة التي نُهينا عن أكلِ لحمها؟ فقال: هي التي جثمت على رُكَبِها وذبِحَت من خلف قفاها. قال: فكيف تقول وهذا شيخ أهل العراق - يعني المبرِّد - يقول: هي مثل اللجبة، وهي القليلة اللبن، وأنشده البيتين[2]. فقال أبو حنيفة: أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا التفسير سمعه أو قرأه، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه. فقال المبرِّد: صدق الشيخ أبو حنيفة، فإني أنفتُ أن أرِدَ عليك من العراق وذِكري ما قد

(١) معجم الأدباء: ١/٢٥٩-٢٦٠.
(٢) شطر الرجز يسمى بيتاً.

شاع، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه. فاستحسنَ منه هذا الإقرار، وترك البهت.

قال ياقوت[1]: وحدَّث المرزبانيّ في المقتبس عن الصوليّ عن أبي علي بن عينويَه الكاتب، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: خرجتُ من منزل إلى العصر نصف النهار في تموز، فقلتُ: ليس بقربي منزل أقرب من منزل المبرِّد؛ إذ كنتُ لا أقدر أصل إلى منزلي، فجئته، فأدخلني إلى حُويشة له، وجاء بمائدة، فأكلت، وسقاني ماءً بارداً، وقال لي: أحدِّثك إلى أن تنام. فجعل يحدثني أحسنَ حديثٍ، فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان، فقلتُ: قد حضر بيتان، أنشدهما؟ فقال: ذلك إليك. وهو يظنّ أني قد مدحته، فأنشدته:

ويومٍ كحرِّ الشوق في صدر عاشقٍ ... على أنَّ منه أحرَّ وأوقدُ
ظللتُ به عند المبرِّد عاكفاً ... فما زلتُ في ألفاظه أتبرَّدُ

فقال لي: قد كان يسعك إذا لم تحمد أن لا تذمّ، وما لك عندي جزاء إلا إخراجك، والله لا جلستَ عندي بعد هذا. وأخرجني، فمضيتُ إلى منزلي، فمرضتُ من الحرّ الذي نالني مدة، فعدتُ باللوم على نفسي.

وفي معجم ياقوت[2]: قال ابن كامل القاضي: أنشدني أبو بكر العلاّف لنفسه لما مات المبرِّد:

ذهب المبرِّد وانقضتْ أيامُهُ ... وليلحقَنْ مع المبرِّد ثعلبُ
بيت من الآدابِ أصبح نصفه ... خَرِباً وباقي بيتها فسيخربُ
فابكوا لما سلب الزمان ووطِّنوا ... للدهرِ أنفسكم على ما يسلبُ
ذهب المبرِّد حيثُ لا ترجونه ... أبداً ومن ترجونه فمُغَيَّبُ
فتزوَّدوا من ثعلبٍ فبكأسِ ما ... شرب المبرِّد عن قريب يشربُ
واستخلفوا ألفاظه فكأنَّكم ... بسريره وعليه جمع ممجلبُ
وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسه ... إن كانتِ الأنفاسُ مما يُكتَبُ

(١) معجم الأدباء: ١/٢٨٥-٢٨٦.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٥٤١-٥٤٢.

فليلحَقَنْ بمن مضى متخلِّفٌ من بعده وليذهبَنْ ونذهبُ

قال: وحدّث المرزبانيّ، قال: ذكر السبب في تلقيب أبي العباس بالمبرِّد، قال عبدالله بن جعفر: سأل أبا العباس رجلٌ: لِمَ سُمّيتَ المبرِّد؟ فقال: كان سببُ ذلك أنَّ صاحبَ الشرطة طلبني للمقادمة، فكرهتُ ذلك، فدخلتُ على أبي حاتم سهل بن محمد السجستانيّ، فجاء رسول الوالي يطلبني، فقال لي أبو حاتم: ادخلْ في هذا. يعني غلاف مزمّلة فارغ، فدخلتُ فيه، وغطّى رأسَه، ثم خرج إلى الرسول، فقال: ليس هو عندي. فقال: أُخبِرتُ أنّه دخل إليك. قال: فادخلِ الدارَ وفتِّشها. فدخل وطاف في كلِّ موضع من الدار، ولم يفطن لغلاف المزمّلة، ثم خرج، فجعل أبو حاتم يصفّق وينادي على المزمّلة: المبرّد المبرّد، وتسامع الناسُ بذلك، فلهجوا به.

قال ياقوت: ولما مرض المبرِّد مرضَ الموتِ، قال له بعضُ عُوّاده: ما تشتهي؟ قال: ثلاثة أشياء: أشتهي أن يغفر الله لي وأنا أرجو أن يفعل برحمته، وأشتهي أن يفلِح ابني هذا، وهذا ما لا أظنّه يكون، وأشتهي أن يتعلّم ثعلب النحو، وهذا أبعد الثلاثة.

قال ياقوت(١): وحدَّث أبو علي الحسين بن أحمد السلاميّ في نتف الطرف، قال: ومما ظلموا به المبرِّد قول القائل فيه:

إنَّ المبرِّد ذو بردٍ على أدبه في الجدِّ منه إذا ما جدَّ أو لعبِهْ
وقلَّ ما أبصرت عيناك من رجلٍ إلا ومعناه إن فكّرتَ في لقبِهْ

ثم قال: حدثني أبو القاسم علي بن عبدالله البغداديّ، قال: إنّما سُمّي المبرِّد لشلَلٍ كان في يده، وكان ظريفاً خفيفاً.

وحدثني أبو القاسم، قال: سمعتُ المبرِّد يقول: خرجتُ من درب الثلجِ أريد الثلجيّ المحدِّث، فلقيني ابن بردٍ الخيار في الثلاجين، فسألني عن معنى قولهم: ثلج صدري، فقلتُ له: أنا المبرِّد وقد جئتُ من دربِ الثلج، وأريد الثلجيّ المحدِّث، وأنتَ ابنُ بردٍ الخيار، وقد سألتني في الثلاجين عن مسألة مثلجة، أنا والله أخشى على نفسي الكُزاز

(١) لم نجد الخبر وتوابعه في معجم الأدباء.

والفالج، والصواب أن نفترق.

قال السلاميّ: إنَّما سميت المبرِّد على الضدِّ، كما يُقال للغراب: أعور؛ من حِدة بصره، وكما يسمَّى الحبشيّ كافوراً، والضرير بصيرا.

قال ياقوت: وحدَّث المبرِّد، قال: قال رجلٌ من الرافضة الحمقى: كان جرير والفرزدق يقولان: الحمدُ لله الذي شغل السيد الحميريَّ عنا بمذهبه، وإلا لم نكن معه في شيء. فقلتُ له: إنَّهما لم يرياه. قال: فسمعا به. قلتُ: ولم يسمعا به؛ كان بعدهما. قال: فقدَّما قولاً فيه. قلتُ: ما كان الرحمن ينزل عليهما. قال: فرآهما راءٍ في النوم فقالا له هذا. قلتُ: أضغاث أحلام. فقال: والله لقد قيل هذا فيه. قلتُ: يمينٌ فاجرة. قال: أنتَ والله للتثبيت منذُ اليوم.

قال ياقوت: حدَّث المرزبانيّ، قال: حدَّثني عبدالله بن يحيى العسكريّ عن أبي جعفر محمد بن أحمد النحويّ، قال: كتب أبو العباس المبرِّد إلى بشر بن سعد المريديّ: اقتضائي إياك جعلني الله فداك اقتضاءُ من نجحت مطالبه، لضروبٍ: أحدها اعتمادي عليك بالحاجة، واختيارك على كلِّ ذي مودة، وقصدي إياك بها مع كثرة الصديق وإمكان السميع، ومع معرفتي بكثرتك وقلّتهم وما يجمعنا من قرب النسب وحقّ الأدب، وقد قلت:

وقاك الله من إخلافِ وعدٍ ... وهضم إخوة أونقضِ عهدِ
فأنتَ المرتجى أدباً ورأياً ... وبيتكَ في الذؤابة من معَدٍّ
وتجمعنا عِراضٌ لازماتٌ ... شداد الأسّ من نسبٍ وَوُدٍّ
إذا لم تأتِ حاجاتي سِراعاً ... فقد ضمَّنتُها بِشر بن سعدِ
فأيَّ الناسِ آمله لِبِرٍّ ... وأرجوه لحلٍّ أو لعقدِ

وما كنتُ أخافُ خُلفاً ممن كرم أدبه وشرف مركبه وصحّ حسبه، وإن يكن قد أخرج إليَّ العتاب، فإني أقول كما قال الشاعر:

أتناسيتَ أم نسيتَ إخائي

والتناسي من النسيانِ، وحينئذٍ أخاف أن يكون المجدُ قد ودَّع بانصرامٍ، وأن الجود قد أذنَ بانهدام، ولقد كان ظني بك أعزَّك الله، وعلمي فيك أنَّه لو تُوُسِّل بي إليك لأضعاف ما سألتك لنفسي لما احتاج المتوسِّل بي فيه من الخطاب إلا إلى أقل مما احتجتُ إليه في حاجتي، وليس ينبغي أن تنكرَ هذا الإطناب في العتاب والكتاب فإنَّما يهزّ الصارم ويذكر المؤمن، وقد قال الشاعر:

أعاتب ليلى إنَّما الهجر أن ترى ... صديقك يأتي ما أتى لا تعاتبُهْ

وأعاذني الله فيك أن تعتقد فيَّ قول الشاعر:

إذا مطلت امرأً لحاجةٍ ... فامضِ على مطله ولا تَجُدِ

قد أكثرت هاولا[1] في التوبيخ، وأسهبتُ عاتبًا في التأنيب، والذي عندي في الحقيقة ما قاله أبو العتاهية:

لا تكذبَنَّك حاجاتي أبا عمر ... فأنتَ منهنَّ بين النُّجحِ والعذرِ

فما تقضّى فإنَّ الله يسّره ... وما بعذر فاحمله على القدرِ

في تاريخ ابن النجَّار: قرأتُ على محمد بن عبد الواحد العباسيِّ عن محمد بن عبيدالله بن نصر أنَّ أبا منصور محمد بن محمد بن أحمد بن النديم أخبره عن أبي أحمد عبد السلام بن الحسين البصريِّ، قال: أنبأنا أبو الفرج أحمد بن محمد بن أحمد الصامت قراءةً ببغداد في الرُّصافة، قال: حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن منصور النحويّ المعروف بابن الخياط إملاءً، قال: كتب أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد إلى عبد العزيز بن سليمان بن معاذ يشفع في محبوس: عادتُك عندي جاريةٌ بأن أقولَ فتقبل، وأشفعَ فتشفع، فإحسانك سابق وشكري لاحق، وقد قال القائل:

برّز إحسانُك في سبقه ... ثم تلاه شُكرٌ لاحقُ

حتى إذا مُدَّ المدى بيننا ... جاء المصلي وَهُوَ السابقُ

وقد شفع إليَّ في محبوس قِبَلَك، وذكر أولياؤه أنَّه مظلوم، وكلَّمني في أمره من لم أملكْ له رداً، ولم أجد من تشفيعه بُداً، وليس أقول ما ذكروه، فأكون قد عجلتُ جحدَ

(١) هكذا في النصّ.

المنّة وكُفرَ النعمة، أنا أزعم أنَّ الشرَّ الذي في بني آدم متفرقاً مجتمعٌ فيه، فشكري إياك شكرَ من قضيَ له مثل هذه الحاجة على هذه الشريطة، وقد قال الشاعر:

لم ألقَ في الحبسِ محبوساً أسائلُه ... ما بالُ حبسِك إلا قال مظلومُ

قال: وحدثني أبو بكر بن الخياط إملاءً، قال: وكتبَ أبو العباس المبرِّد إلى عبيدالله بن سليمان حين أطلق من الحبسِ حبسِ الموفق: أوزعك الله للجليل شكرَ نعمته عندك، وألهمَكَ حمدَه على لُطفِ صنيعه بك، وأوجب لك المزيدَ من عطاياه، والسَّنيَّ من قِسَمِه بمنِّه ورحمته، أنتَ أعزَّك الله تعلم أنَّ الدنيا دارُ التواء لا دارُ استواء، إنَّ نعيمها مخلوط ببؤس، وصفوها مَشوب بكدرٍ، ومن لم يُبلَ فيها بنكبة، لم يعرف حقيقة مقدار العافية، وإنَّ ذلك كذلك، وإني آمل أملاً لا يُكدي، وأرجو رجاءً لا يخيب أن يكون جميع مكروههما قد انصرم عنك، وأن تحوي عن قليل أكثرَ أمرها، فإني أقول لك كما قال عمُّك لأبيك:

فإنَّ أمور الملك أضحى مدارها ... عليك كما دارتْ على قطبها الرحا

وكما قال الآخر:

بأيمنِ طائرٍ وأيسر فأل ... وأعلى رتبة وأجلّ حالِ
دخلت الحبس ثم خرجت منه ... خروجَ المشرفيِّ من الصقالِ
فكشّف عنك ما عانيت منه ... كما انكشف الغمار عن الهلالِ
لطول سلامة ولطول عُمْرٍ ... لقيت به الطوال من الليالي

وكما قال البحتريّ:

جعلنا فداك الدهر ليس بمنعك ... من النازلِ المشكوِّ والحادث المشكيِّ
وما هذه الأيام إلا منازل فمن منزل ... رحب ومن منزل ضنكِ
وقد هذّبتك النائبات وإنَّما ... صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبكِ
أما في نبيِّ الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوسا على الظلمِ والإفكِ
أقام جميل الصبر في الحبسِ برهة ... فآل به الصبر الجميل إلى الملكِ

[١٠٠]*
مَبْرَمان

قال ياقوت: هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل العسكريّ من عَسكر مُكرَم. لقّبه المبرِّد بمَبرَمان، مات فيما ذكره أبو محمد عبدالله بن عبد المجيد بن شِيران في تاريخه في سنة ستٍّ وعشرين وثلاثمائة.

قال: وكان مولده بأزَم من طريق رامَهرمُز من الأهواز، ومقامه بالبصرة، ولذلك يقول في شعره[١]:

من كان يأثُر عن آبائه شرفاً ... فأصلُنا أزَمٌ أصطمّة الخُوزِ

أخذ عن المبرِّد، وأكثر بعده عن الزّجّاج، وكان قيِّماً بالنحو، أخذ عنه أبو علي الفارسيّ، والسيرافيّ. وله تصانيف حِسانٌ، منها: كتاب العيون. كتاب النحو المجموع على العِلل. كتاب شرح سيبويه، لم يتمّ. كتاب شرح كتاب الأخفش. كتاب التلقين. كتاب شرح شواهد سيبويه. كتاب المجاري، لطيف. كتاب صفة شُكر المنعِم.

وهجاه أبو الحسين محمد بن محمد بن لنكك بقوله:

صُداعٌ من كلامكَ يعترينا ... وما فيه لمستمعٍ بيانُ

مُكابرةٌ ومخرقةٌ وبُهتٌ ... لقد أبرمتنا يا مَبرَمانُ

وحدَّث القاضي أبو علي التنوخيّ وغيره عن أبي هاشم عبد السلام الجُبّائيّ،

---

[*] انظر ترجمته في: مراتب النحويين: ١٣٥. أخبار النحويين البصريين: ١٠٨. طبقات النحويين واللغويين: ١١٤. الفهرست: ٩٤. تاريخ العلماء النحويين: ٤٩. معجم الأدباء: ٢٥٧٢/٦-٢٥٧٤. إنباه الرواة: ١٨٩/٣-١٩٠. إشارة التعيين: ٣٣٠. تاريخ الإسلام (وفيات ٣٢١-٣٣٠) ١٩٥-١٩٦. الإشارة إلى وفيات الأعيان: ١٦١. الوافي: ٨١/٤. مرآة الجنان: ٢١٨/٢. طبقات النحاة واللغويين: ١٩٤-١٩٥. البغية: ١٧٥/١-١٧٧. مفتاح السعادة: ١٥٨/١-١٥٩. وقد حُرِّف اسمه إلى ميرامان مرة، وإلى ميرمان أخرى. ديوان الإسلام: ١٤٠/٤. روضات الجنات: ٣٢٨/٧-٣٢٩.

(١) انظر: معجم البلدان: مادة (أزم).

قال: قلتُ لَمبرَمان: أنتَ رأسٌ في النحو، وأنا في الكلام، بحيث علمت، فعلِّمني النحوَ وأعلِّمك الكلام. فقال لي: جميع علوم الكلام لا تساوي لي ساقة بقلٍ ورسمي فيمن يقرأ علي كتاب سيبويه أن آخذ منه مائة دينار. قال: فقلتُ له: نعمْ، غير أني أسألك النَّظرة، وأرهن عندك ما يساوي أضعاف ذلك إلى أن يجيئني مالٌ لي ببغداد. فتمنَّعَ قليلاً، ثم أجاب، فعمد أبو هاشم إلى زنفيلجة حسنةٍ مغَشّاة بالأدم محلاّة، فملأها حجارة، وثقَّلها وختمها وحماها إليه، فأقرأه الكتاب، فلما تمَّمه، قال له: احمل ما لي قبَلك، وخذْ متاعَك. فقال: أنفذْ معي غلامك. فأنفذَه معه، فكتب إليه رقعة يقول فيها: قد تعذَّر عليَّ حضور المال، وأرهقني السفر، وقد أبحتكَ التصرّف في الزنفيلجة، وهذا خطي حجة ذلك. وخرج أبو هاشم لوقته إلى بغداد، فلما وقف مَبرَمان على رقعته، فتح الزنفيلجة، فإذا فيها حجارة، فقال: سخر منّا لا حيّاه الله.

وحدَّث عن ولد المبرِّد قال: في تلامذة أبي رجلان، أحدهما يسفل والآخر يعلو. فقيل له: من هما؟ قال: مَبرَمان يقرأ على أبي ويأخذ عنه كتاب سيبويه، ثم يقول: قال الزَّجّاج، فهذا يسفل. والكلابزيّ يقرأ عليه، ثم يقول: قال المازنيّ، وكان الكلابزيّ هذا قد أدرك المازنيّ، فهو يعلو.

وحدَّث الحسن بن عمر البيبيع، قال: قال لي مَبرَمان: لا ينفع العالم إلا لستة أشياء: زمان، وأسياد، وجِدة، وسهوة، وقريحة جيدة، وفراغ.

وقال ابنُ شيران: كان مَبرمَان مع علمه وأدبه ومعرفته بالنحو ساقطَ المروءة سخيفاً، وكان قد أسنَّ، فإذا أراد أن يمضي إلى بُعدٍ طرح نفسَه في طبقِ حمّالٍ، وشدَّه بحبله كما يشد حمولته، وربُّما كان في فمه نبقٌ أو غيره، وهو يأكل ويرمي النوى والقشور على الناس يتعمّد رؤوسهم، وربّما بالَ على رأسِ الحمّال، فإذا قال له: ما هذا؟ يعتذر. وله نوادر وأخبار.

[١٠١]*

مَكّيّ

ابن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسيّ النحويّ المقرئ.

قال الداني في طبقات القُرَّاء: قرويّ نزل الأندلس، يكنى أبا محمد، أخذ القراءة عن أبي الطيب بن غلبون، وعبد العزيز بن علي، ولقي أبا بكر الأدفويّ، وسمع من أبي الحسن بن فراس بمكة، وبالقيروان من أبي محمد عبدالله بن أبي زيد، ومن أبي الحسن علي بن محمد القابسيّ، نَزَل الأندلس سنة أربعٍ وتسعين وثلاثمائة، وأقام بها إلى أن توفي في المحرّم سنة سبعٍ وثلاثين وأربعمائة، وولِدَ بالقيروان سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمائة.

وقال ياقوت: مات بقرطبة لليلتين خلتا من المحرّم، ومولده لتسعٍ(١) بقين من شعبان سنة خمسٍ وخمسين. ذكر ذلك ابن بشكوال في الصلة، وقال: أصل مكيّ من القيروان، سكن قرطبة، وسمع بمكة ومصر، قال صاحبه أبو عمر أحمد بن محمد بن مهدي المقرئ: كان مكيّ من أهل التبحّر في علوم القرآن والعربيّة حسنَ الفهم والخلق جيدَ الدين والعقل كثيرَ التأليف في علوم القرآن، دخل مصر ثلاث مرات، ثم قطن

---

[*] انظر ترجمته في: الصلة: ٢/٦٣١-٦٣٣. بغية الملتمس: ٤٦٩. معجم الأدباء: ٦/٢٧١٢-٢٧١٤. وفيات الأعيان: ٥/٢٧٤-٢٧٧. إشارة التعيين: ٣٥٤. تاريخ الإسلام: (وفيات ٤٣١-٤٤٠): ٤٥٢-٤٥٤. دول الإسلام: ٤/١٢٣-١٢٤. معرفة القراء الكبار: ١/٣٩٤-٣٩٦. العبر: ٢/٢٧٣. كتاب الوفيات: ٢٤٢-٢٤٣. البلغة: ٢٦٣-٢٦٤. غاية النهاية: ٢/٣٠٩-٣١٠. طبقات المفسّرين (الداودي): ٣٣١-٣٣٢. شذرات الذهب: ٣/٤٢٥-٤٢٦. طبقات المفسّرين (الأدنه وي): ١١٤-١١٥. ديوان الإسلام: ٤/١٢٣-١٢٤.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- جهود الإمام مكي بن أبي طالب في القراءات القرآنية وإعراب القرآن الكريم.
- مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن.

(١) في معجم الأدباء: لسبع. انظر: ٦/٢٧١٢.

قرطبة، وجلس للإقراء بجامعها، وانتفع على يديه جماعات، وعظم اسمه في التلاوة، وجلَّ فيها قدره، وولي الصلاة والخطبة بالجامع، وكان خيِّراً فاضلاً متواضعاً متديناً مشهوراً بالصلاح وإجابة الدعوة.

حكى بعض أصحابه، قال: كان عندنا بقرطبة رجلٌ متسلِّطٌ على مكيّ إذا خطب، فيغمزه ويحصي عليه سقطاته، وكان مكيّ كثيراً ما يتلعثم ويتوقف، فقال مكيّ في بعض الجُمَع: أمِّنُوا على دعائي، ثم رفع يديه، وقال: اللهُمَّ اكفنيه اللهُمَّ اكفنيه، فأمّنَّا فأُقعِد الرجل. وما دخل الجامع بعدها.

قال ياقوت: ولمكيّ من التصانيف: الموجز في القراءات. التبصرة في القراءات. الكشف عن وجوه القراءات. إعراب القرآن. الرعاية في تجويد التلاوة. الهداية إلى بلوغ الغاية في تفسير القرآن، عشرة أسفار. المأثور عن مالك بن أنس في أحكام القرآن، مجلّد. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه. الإيجاز لناسخ القرآن ومنسوخه. الزاهي في اللُّمَع الدالة على مستعمل الإعراب. التنبيه على أصول قراءة نافع. الانتصاف من الأنطاكيّ فيما ردّه على أبي بكر الإدفويّ. الرسالة إلى أصحاب الأنطاكيّ في تصحيح المدّ لورش. الإبانة عن معاني القراءة. الوقف على كلا. الواعي لمجرّد علم المواريث[1]. الاختلاف في أعشار القرآن. الاختلاف بين قالون وأبي عمرو.؟ الاختلاف بين قالون وابن كثير. والاختلاف بين قالون وابن عامر. الاختلاف بين قالون وحمزة. الاختلاف بين قالون والكسائيّ. الاختلاف بين قالون وورش. شرح رواية الأعمش. اختصار الألفات.

---

(١) لم يذكره ياقوت في معجمه.

[١٠٢]*

المعرّيّ

أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أرقم بن أنور بن أسحم بن النعمان، ويُقال له: ساطع الجمال بن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن خُزيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن جلوان بن عمران بن الحاق بن قُضاعة التنوخيّ من أهل معرّة النعمان المشهورُ صاحبُ التصانيف المشهورة من بيت علمٍ وفضلٍ ورياسة، له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء.

وقال أبو العلاء الشعرَ وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد، ثم رجع إلى المعرة، وكان عجباً في الذكاء المفرط والحافظة.

ولِدَ يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة بالمعرّة، وجُدِّرَ في السنة الثانية من عمره، فعمي منه، وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر؛ لأني أُلبِستُ في الجدريّ ثوباً مصبوغاً بالعصفر، لا أعقل غير ذلك.

---

[*] انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ٤/٤٦٣-٤٦٥. دمية القصر: ١/١٥٧-١٦٥. الإكمال: ٧/٣١٨. الأنساب: ٥/٣٤٢. نزهة الألباء: ٢٥٧-٢٥٩. المنتظم: ١٦/٢٢-٢٧. الكامل في التاريخ: ٨/٣٣٩. معجم الأدباء: ١/٢٩٥-٣٥٦. إنباه الرواة: ١/٨١-١١٨. وفيات الأعيان: ١/١١٣-١١٦. إشارة التعيين: ٣٢-٣٣. تاريخ الإسلام: (وفيات: ٤٤١-٤٥٠): ١٩٨-٢٢٠. دول الإسلام: ١/٢٦٤. سير أعلام النبلاء: ١٨/٢٣-٣٩. العبر: ٢/٢٩٣-٢٩٤. نكت الهميان: ١٠١-١١٠. الوافي: ٧/٦٢-٧٥. مرآة الجنان: ٣/٥٢-٥٤. لسان الميزان: ١/٢٠٣-٢١٤. شذرات الذهب: ٣/٤٥٥-٤٥٨. طبقات المفسّرين (الأدنه وي): ١١٨-١١٩. أوجه التحرّي عن حيثيّة أبي العلاء المعرّي. ديوان الإسلام: ٤/١٨٧-١٨٩. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ٤/٧٨-١٧٢؛ وضمنه كتاب (الإنصاف والتحرّي في دفع الظلم والتجرّي عن أبي العلاء المعرّي) لابن العديم.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- مع المعرّي اللغوي.

قال أبو سعد السمعانيَ في كتاب النسب: ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزيَ أنُه كان قاعداً في مسجده بمعرّة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه، قال: وكنتُ أقمتُ عنده سنين، ولم أرَ أحداً من أهل بلدي، فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة، فرأيته وعرفته، فتغيّرتُ من الفرح، فقال لي أبو العلاء: أَيْشٍ أصابك؟ فحكيتُ له أني رأيتُ جاراً لي بعد أنْ لم ألقَ أحداً من أهل بلدي سنين. فقال لي: قمْ فكلِّمه. فقمتُ وكلّمته بلسان الأذربية شيئا كثيراً إلى أن سألتُ عن كلِّ ما أردتُ، فلما رجعتُ وقعدتُ بين يديه، قال لي: أيّ لسانٍ هذا؟ قلتُ: هذا لسانُ أذربيجان. فقال لي: ما عرفتُ اللسان ولا فهمته غير أني حفظتُ ما قلتما. ثم أعاد عليٌ اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه جميع ما قلت، وقال جاري: فتعجّبتُ غاية التعجّب؛ كيف حفظ ما لم يفهمه.

وكان اطلاعه على اللغة وشواهدها أمراً باهراً، دخل على المرتضى أبي القاسم يوماً، فعثر برجل، فقال: من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً. وسمعه المرتضى، فأدناه، واختبره، فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء، فأقبل عليه إقبالاً كثيراً.

وكان المعرّيَ يتعصّب للمتنبي، ويفضّله على بشّار، وأبي نواس، وأبي تمام، وكان المرتضى يبغضه ويتعصّب عليه، فجرى يوماً ذكره، فتنقّصه المرتضى، وجعل يتتبع عيوبه، فقال المعرّيَ: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ

لكفاه فضلاً. فغضب المرتضى، وأمر به، فسُحِبَ برجله، وأُخرِجَ من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أيٌ شيءٍ أرادَ الأعمى بذكر هذه القصيدة؛ فإنٌ للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها؟ فقيل: السيدُ أعرفُ. فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتكَ مَذمَّتي من ناقصٍ ... فهي الشهادة لي بأنيَ كاملُ

ولما رجع المعرّيّ لزم بيته، وسمّى نفسَه رهين المحبسين، يعني حبس نفسه في المنزل، وحبس بصره بالعمى.

وكان قد رحل أولاً إلى طرابلس، وكانت بها خزائن كتبٍ موقوفة، فأخذ منها ما أخذ من العلم، واجتاز باللاذقية، ونزل ديراً كان به راهبٌ له علمٌ بأقاويل الفلاسفة، فسمع كلامه، فحصل له بذلك شكوك.

والناسُ مختلفون في أمره، والأكثرون على إلحاده وكُفره.

قال ياقوت: كان متهماً في دينه يرى رأي البراهمة لا يرى إفساد الصورة، ولا يأكل لحماً، ولا يؤمن بالرسُل، ولا البعث والنشور. وحَكَمَ الذهبيّ بزندقته، وطوّل ترجمته، وذكر له فيها قبائح.

وقال الباخرزيّ في حقّه: ضرير ما له في أنواع الأدب ضريب، ومكفوف في قميص الفضل ملفوف، ومحجوب خصمه الألدّ محجوج، قد طال في ظلال الإسلام أناه، ولكن ربّما رشح بالإلحاد إناه، وعندنا خبر بصره، والله العالم ببصيرته، والمطلع على سريرته، وإنّما تحدّثتِ الألسُن بإساءته لكتابه الذي زعموا أنّه عارضَ به القرآن، وعَنوَنه بـ "الفصول والغايات" محاذاة بالسور والآيات حتى قال فيه القاضي أبو جعفر محمد بن إسحاق البحّاثي الزوزنيّ قصيدة أولها:

كلبٌ عوى بمعرّة النعمانِ ... لما خلي عن ربقة الإيمانِ
أمعرّةَ النعمانِ ما أنجبتِ إذ ... أخرجت منكِ معرّة العميانِ

وجماعة يقولون إنّه مكذوب عليه ومختلق، وقد صنّف في تبرئته الصاحب كمال الدين بن العديم كتاباً سمّاه "دفع التجرّي عن أبي العلاء المعرّيّ" قال فيه: قرأتُ بخطّ أبي البشر شاكر بن عبدالله بن سليمان المعرّيّ: كان أبو العلاء يُرمى من أهل الحسد بالتعطيل، ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قَصْداً لهلاكه، وإيثاراً لإتلاف نفسه، فقال في ذلك:

حــــاول إهـواني قـــوم فـــمـــا ... واجـــهـــتـــهم إلا بـإهـوانِ
يـحـــرشـــوني بـســعـــاياتهم ... فـــغــــيـــروا نيـــة إخـــواني
لـو اســتطاعــوا لوشـــوا بي إلـى ... المريخ في الشـــهب وكـــيـــوانِ

وقال أيضاً:

سـيـرت ذكـرك في البـلاد كـأنَّه ... مـسكٌ لسـامـعـه يضـمّخ أو فـمـا
وترى الحـــجـــيج إذا أرادت ليلة ... ذِكـراك أوجب فـدية من أحـرمـا

قال ياقوت: كأنَّه يقول: إنَّ ذِكرك طِيْبٌ، والطِّيبُ يوجب الفدية على المحرِم.

ومن شعره:

رددت إلى مـليكِ الخـلقِ أمـــري ... فلم أســأل مـــتى يقعُ الكســوفُ
وكم سلم الجَـــهـــول من المنايا ... وعـــوجِلَ بالحِـمـامِ الفـيلسـوفُ

قال الخطيب في ترجمته: كان حسنَ الشعر جَزْلَ الكلام فصيحَ اللسانِ غزيرَ الأدبِ عالماً باللغة حافظاً لها، ذكر لي القاضي أبو القاسم التنوخيّ أنَّه ورد بغداد، وصنَّف كُتباً في اللغة، وعارضَ سوراً من القرآن، وحكى عنه حكايات مختلفة في اعتقاده حتى رماه بعض الناس بالإلحاد، وكان يتزهَّد ولا يأكل اللحمَ، ويلبس خشنَ الثيابِ. انتهى.

قال ياقوت: قال ابن الهبَّاريّة أنشدني أبو زكريا الخطيب التبريزيّ، قال: أنشدني أبو العلاء المعرّيّ لنفسه:

أرى جـيل التـصـوّفِ شـرَّ جـيلٍ ... فـــــقـل لـهـم وأهـون بـالحـلـولِ
أقـــال الله حـين عـــبـــدتموه ... كلوا أكلَ البـهـائم وارقـصـوا لي

ذكر مصنَّفات أبي العلاء المعرّيّ، منقول من تذكرة الصلاح الصفديّ وخطِّه:
كتاب الهمزة والردف في القضاء. وذمّ الدنيا، اثنان وسبعون جزءاً. تفسير الهمزة والردف، جزء واحد. كتاب الفصول والغايات في الزهد والعظات، ستة أجزاء. كتاب

الحرّة في وعظ النساء، تسعة عشر جزءاً. كتاب سيف الخطبة، جزآن. كتاب تضمين الآي، أربعة أجزاء. كتاب خطب الخيل، جزء واحد. كتاب سجع الحمائم، أربعة أجزاء. كتاب السادن في تفسير الفصول والغايات، جزء واحد. كتاب رسيل الراموز، جزء واحد. كتاب منار الفائق، جزء واحد. كتاب الفائق، أربعة عشر جزءاً، كتاب الرسائل الصغار، أربعون جزءاً. كتاب خادم الرسائل، جزء. كتاب رسالة الصاهل والشاحج، جزء. كتاب أسنان الصاهل والشاجح، جزء. كتاب رسالة الغفران. جزء. كتاب تفسير رسالة الغفران، جزء. كتاب رسالة السيف، جزآن. كتاب رسالة الإغريض، جزء. كتاب سجع القينة، جزء. كتاب رسالة الملائكة، جزء. كتاب الحلْي الحلِي، جزء. كتاب السجع السلطانيّ، أربعة أجزاء. كتاب خماسية الراح، جزء. كتاب رونقة الواعظ، جزء. كتاب تفسير خطبة الفصيح، جزء. كتاب إسعاف الصديق في النحو، ثلاثة أجزاء. كتاب تفسير أمثلة سيبويه، جزء. وغريبها من غريب الكتاب، جزء. ومن شرح كتاب سيبويه، جزء. كتاب قاضي الحقّ في النحو، جزء. كتاب الفتحيّ في النجوم، جزء ولم يتمّ. تعليق الخُمَس في تفسير الجمل، جزء. كتاب مثقال التعلم في العروض، جزء. كتاب القوافي مختصر كتاب مجد الأنصار، جزء. كتاب سقط الزّند، جزء. كتاب صنو الزند في تفسيره، جزء. كتاب لزوم ما لا يلزم، ثلاثة أجزاء. كتاب استغفرْ واستغفري في المنظوم، ثلاثة أجزاء. كتاب الرياشي المصطفى، جزء. كتاب جامع الأوزان في اللغز، ثلاثة أجزاء. كتاب زجر النائح، جزء. كتاب راحة اللزوم، ثمانية أجزاء. كتاب اللامع العزيزيّ في شرح ديوان أبي الطيب، ستة أجزاء. كتاب ذكرى حبيب تفسير شعر أبي تمام، أربعة أجزاء. كتاب عبث الوليد في شرح شعر البحتريّ، جزء. كتاب فضائل علي بن أبي طالب، جزء. كتاب تفسير شواهد الجمهرة، ثلاثة أجزاء.فقط تمّ. كتاب ملقى السيل، جزء. كتاب حرز الخيل ودعاء الأيام وغير ذلك. عشرة أجزاء. كتاب شعر على وزن قطر الميزان، جزء. كتاب الأيك والقصر، وهو مطوّل إلى الغاية رُويت منه أجزاء بعد المائة.

وقال أبو الرضا عبد الواحد بن الفرج بن نوت المعرّيّ يرثي أبا العلاء المعرّي:

سُمر الرياح وبيض الهندِ تشتورُ في أخذ ثارك والأقدار تعتذرُ
والدهر فاقدٌ أهلَ العلمِ قاطبةً كأنَّهم بكَ في ذا القبر قد قُبِروا
فهل ترى بك دار العلم عالمة أن قد تزعزع منها الركن والحجرُ
العلم بعدك غمدٌ فات منصله والفهم بعدك قوسٌ ما لها وترُ

قال الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم المنذريّ في جزءٍ له: أنبأنا الحافظ أبو الحسن على بن المفضّل بقراءتي عليه أخبرنا الحافظُ أبو طاهر السلفيّ، قال: سمعتُ أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفيّ يقول: سمعتُ القاضي أبا الطيب الطبريّ طاهر بن عبدالله يقول: كتبتُ إلى أبي العلاء المعرّيّ حين قدمَ بغداد:

وما ذات دارٍ لا يحلّ لحالبٍ تناوله واللحم منها محلَّلُ
لمن شاء في الحالين حيّاً وميتاً ومن رام شرب الدرّ فهو مُضَلَّلُ
إذا طعَنت في السّنّ فالطعم طيّب وآكله عند الجميع مُعَقَّلُ
وخرفانها للأكلِ فيها كرارة فما لحصيف الرأي فيهنّ مأكلُ
وما يجتبي معناه إلا مُبَرِّزٌ عليمٌ بأسرار القلوبِ محصّل

فأجابني وأملى على الرسول في الحال ارتجالاً:

جوابانِ عن هذا السؤال كلاهما صوابٌ وبعض القائلين مضلّلُ
فمن ظنّه كرماً فليس بكاذبٍ ومن ظنّه نخلاً فليس يجهَلُ
لحومهما الأعناب والرُّطَب الذي هو الحِلّ والدرّ الرحيق المسلسلُ
ولكنْ ثمار النخل وهي غضيضة تمرّ وغصن الكرْم يُجنى ويؤكلُ
يكلفني القاضي الجليل مسائلاً هي النجم قدراً بل أعزّ وأطولُ
ولو لم أجِب عنها لكنتُ بجهلها جديراً ولكن من يودّك مقبلُ

فأجابه القاضي عن ذلك بقوله:

أنار ضـمـيـر من يعـزّ نظيـرُه | من الناسِ طُرّاً سابغ الفضلِ مكملُ
ومن قلبـه كـتْب العلوم بأسـرها | وخـاطره في هذه النار مـشـعلُ
تسـاوى له سـرّ المعـاني وجـهرها | ومـعـضلهـا بادٍ لديه مـفـصّلُ
ولما أفـاد الحب قـاد منيـعـه | أسـيـرا بأنواع البـيـانِ بلبّلُ
وقـرّبه من كلّ فـهمٍ بكشـفـه | وإيضـاحـه حـتى رآه المغـفّلُ
وأعـجبُ منه نظمـه الدّرّ مـسرعـاً | ومـرتجـلاً من غـيـر مـا يتـمـهّلُ
فـيخـرج من بحـر ويسـمـو مكانه | حـلالاً إلى حـيث الكواكبُ تنزلُ
فـهنأه اللـه الكريمُ بفـضلِه | مـحـاسنه والعـمـر فـيـهـا مطوّلُ

فأجابه مرتجلاً إملاءً على الرسول:

ألا أيُّهـا القـاضـي الذي بدهائه | سـيـوف على أهل الخـلاف يسلُّ
فـؤادك مـعـمـور من العلم آهلٌ | وصـبـرك في كلّ المسـائل يقـبلُ
فـإن كنتَ بين الناسِ غـيـرَ ممول | فـأنتَ من الفـهم المصـون مموّلُ
إذا أنتَ خلّطت الخـصوم مـجادلاً | فـأنتَ لهـا مـثل الحـمـائم أجـدلُ
كـأنّك من فِي الشـافـعيّ مـخـاطبٌ | ومن قلبـه تمْلى فـمـا تتـمـهّلُ
وكيف ترى علم ابنِ إدريسَ دارساً | وأنتَ بإيضـاح الهـدى مـتكَفِّلُ
تفضّلتَ حتى ضـاق ذرعي تكرّمـا | فـعلتَ وكـفّي عن جـوابك أجـملُ
لأنّك في كُنه الثُّـريا فـصـاحـةً | وأعلى ومن يبـغي مكانك أسـفلُ

ومن شعر أبي العلاء، أسنده ابن النجّار في تاريخه:

أنا حـاتم طولَ الحـيـاةِ وإنّـمـا | فطري الحـمـام ويومُ ذاك أعـيّـدُ
لونان من صـبـح وليلٍ لوّنا | شـعـري وأضـعـفني الزمـانُ الأيّدُ
قـالوا فـلانٌ جـيّـدٌ لصـديقـه | لا تكذبوا مـا في البـرية جـيّـدُ
فـأمـيـرهم نال الإمـارة بالخنا | وتقـيّـهم بصـلاته يتـصـيّـدُ
كن من تشـاء مـهجنا أو خـالصـاً | فـإذا رُزقتَ غنى فـأنت السـيـدُ

وله:

دُعـــيت أبا الـعـــلاء وذاك مَينٌ ... ولكنَّ الصـــحـــيح أبو النزولِ

دعـوا هذا الـحـديث وجـهّـزوني ... فـإني قـد عـزمتُ على الرحـيلِ

وله:

قــضى الله أنَّ الآدميَّ مــعــذَّبٌ ... إلى أن يقولَ العـالِمـون به قـضى

فـــهنِّئ ولاة الميت عند رحـــيله ... أصابوا تراثا واستراح الذي مضى

قال ابن العديم: ومن شعره الدالّ على صحّة اعتقاده قولُه:

ترتاح في الصـيف إلى أشـهـر الـ ... ـقَـرِّ وفي شـتـاك للصـيفِ

فـخف إلـهـاً عـزَّ سلطانه ... وجـلَّ عن أيـن وعن كـيـفِ

وقال ابن النجّار: أنبأنا أحمد بن طارق، قال: أنشدنا محمد بن أحمد بن سعدان، أنشدنا الحسن بن علي بن القحف أنشدنا أبو العلاء المعرّيّ لنفسه:

مـسـتـحـدث النعـمـة لا ترجُـه ... في نفـسـه من فـقـرها فـقـرُ

جنَّ له الدهر فـقـد خـاف أن ... يـعـقـل في أيامـه الدهـرُ

وقال ابن النجّار: أنبأنا القاضي أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد اليعمريّ عن أبي عامر محمد بن سعدون الحافظ، قال: أنشدنا أبو عبدالله محمد بن أبي بكر عتيق بن محمد التميميّ النهروالي المتكلّم لأبي العلاء المعرّيّ:

ضـحكنا وكان الضـحْك منا سفاهةً ... وحُقَّ لسُكّانِ البـسـيطة أن يبكوا

وتحطِمنا الأيام حـتى كـأننا ... زجـاجٌ ولكن لا يُعـادُ لنا سـبكُ

فقال: فردَّ عليه أبو عبدالله الجبائيّ المتكلّم، فقال:

كـذبتَ وبيت الله حلفـة صـادقٍ ... سـيـسـبلنا بعـد الثرى من له الملكُ

ونرجع أجسـاماً صِحـاحاً سليمةً ... تعارف في الفردوس ما عندنا شكُّ

وقال ياقوت[١]: قرأتُ في ديوان شعر أبي رشاد أحمد بن محمد بن القاسم

(١) معجم الأدباء: ٢/٥١٤.

الإخسيكثيّ الملقَّب بذي الفضائل بخطِّه: أنشدت لأبي العلاء المعرّيّ:

هفتِ الحنيفة والنصارى ما اهتدت ... ومجوسُ جارت واليهود مضلَّلَهْ
اثنان أهل الأرضِ ذو عقلٍ بلا ... دينٍ وآخرُ ديِّنٌ لا عقلَ لهْ

فقلتُ مجيباً:

الدين آخذه وتاركُهُ ... لم يخفَ رشدهما وغيُّهما
رجلان أهل الأرض قلت فقل ... يا شيخَ سوءٍ أنتَ أيُّهما

[١٠٣]*

المهدويّ المفسِّر

أبو العباس أحمد بن عمَّار.

قال ابن مكتوم في تذكرته: نقلتُ من خطِّ السلفيِّ، قال: عالمٌ جليلٌ، ومؤلِّف نبيل، وفي تواليفه كثرة، ومن جملتها: كتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، لم يُسبَقْ إلى مثله، وكتاب الهداية في القراءات، وكتاب شرح الهداية، وكان جوَّالاً في البلاد فقيهاً مقرئاً نحوياً لغوياً، وتواليفه تدلّ على علمه، روى عنه أبو محمد عالم بن الوليد المخزوميّ المالقيّ، وكان يسمع الغناء من جوارٍ له قَينات، فيرغَبُ عنه لذلك كثير من المغاربة.

وقال ياقوت في معجم الأدباء: أحمد بن محمد بن عمَّار بن مهدي بن إبراهيم

---

[*] انظر ترجمته في: الصلة: ١/٨٦-٨٧. معجم الأدباء: ٢/٥٠٨-٥٠٩. إشارة التعيين: ٤٢. تاريخ الإسلام: (وفيات ٤٣١-٤٤٠): ٤٩٩. معرفة القراء الكبار: ١/٣٩٩. مسالك الأبصار: ٧/٢١٥. الوافي: ٧/١٦٩. غاية النهاية: ١/٩٢ وفيه أنه توفي بعد الثلاثين وأربعمئة نقلاً عن الذهبي. طبقات المفسِّرين (السيوطي): ١٩. طبقات المفسِّرين: (الداودي): ١/٥٦-٥٧. طبقات المفسِّرين: (الأدنه وي): ٩٧، ١١١-١١٢. ديوان الإسلام: ٤/٢٢٣.

المهدويّ أبو العباس المقرئ، ذكره الحميديّ، فقال: أصله من المهديّة من بلاد القيروان، ودخل الأندلس في حدود الثلاثين والأربعمائة، أو نحوها وكان عالماً بالقراءات والأدب متقدماً، ذَكَرَه في بعضُ أهلِ العلم بالقراءات، وأثنى عليه، وأنشدني له في ظاءات القرآن:

ظنّت عظيمة ظلمنا من حظّها ... فظللتُ أوقظها لتكظم غيظها
وظعنت أنظر في الظلام وظلّه ... ظمآن أنتظر الظهور لوعظها
ظهري وظفري ثم عظمي في لظى ... لا ظاهرت لحظّها ولحفظها
لفظي شواظ أو كشمس ظهيرة ... ظُفْرٌ لدى غُلُظ القلوب وفُظَها

[١٠٤]*
المطرّزيّ

قال ابن النجّار: ناصر بن عبد السيد بن علي المطرّزيّ أبو الفتح بن أبي المكارم الأديب من أهل خوارزم، كان من أعيان مشايخها في علم الأدب، قرأ على أبي المؤيّد الموفق بن أحمد المكيّ خطيب خوارزم، وعلى والده أبي المكارم حتى برع في معرفة النحو واللغة، فصار واحدَ زمانه، وصنّف كُتباً حِساناً، وشرح المقامات لابن الحريريّ، وكان قد شذا طرفا من الفقه على مذهب أهل العراق، وشيئا من الكلام على مذاهب المعتزلة، وكان شديد التعصّب داعيةً إلى الاعتزال، قدم علينا بغداد في آخر سنة إحدى وستمائة، فحجَّ، وعاد، وكتبنا عنه، وقُرئ عليه ببغداد شيءٌ من مصنّفاته، وسمعتُ

[*] معجم الأدباء: ٦/٢٧٤٠. ذيل تاريخ بغداد: ١٧٩/٢١. إنباه الرواة: ٣/٣٣٩-٣٤٠. التكملة لوفيات النقلة: ٢/٢٧٩-٢٨٠. وفيات الأعيان: ٥/٣٦٩-٣٧١. إشارة التعيين: ٣٦١. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٠١-٦١٠): ٣٩١-٣٩٢. سير أعلام النبلاء: ٢٨/٢٢. الجواهر المضية: ٣/٥٢٨-٥٢٩. العسجد المسبوك: ٣٤٤. تاج التراجم: ٣٠٩. البغية: ٢/٣١١. ديوان الإسلام: ٤/١٨٥-١٨٦. روضات الجنات: ٨/١٦٣-١٦٥.

بعضها منه، ووقف شيئا منها بمشهد أبي حنيفة بباب الطاق.

أخبرنا أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرِّزيّ بقراءتي عليه ببغداد لما قدمها حاجًّا، قلتُ له: أخبرني أبو عبدالله محمد بن علي بن أبي سعد السامريّ، قال: أنبأنا الحسن بن سليمان الخجنديّ أخبرني إسماعيل بن أحمد البيهقيّ أخبرني أبي أنبأنا أبو القاسم بن أبي هاشم أخبرنا أبو جعفر بن دحيم أنبأنا محمد بن الحسين بن أبي الحسين أخبرنا أبو حذافة أنبأنا إبراهيم بن طهمان عن عمرو بن عامر، وعبد الوارث عن أنس عن النبي (ﷺ) قال: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، ثم بدا لي، فزوروها، فإنَّها تُرِقّ القلب، وتُدمِع العين، وتُذَكِّر الآخرة، فزُوروا ولا تقولوا هُجْراً»(١).

أنشدنا المطرِّزيّ لنفسه:

وزند ندى فواضله وَرِيٌّ ... وزند رُبًى فضائله نضيرُ

ودرّ حلاله أبدا ثمين ... ودرّ نواله أبداً غزيرُ

سألتُ المطرزيّ عن مولده، فقال: في رجب سنة ستٍّ وثلاثين وخمسمائة بخوارزم. وبلغنا أنّه توفي بها في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة عشرٍ وستمائة.

[١٠٥]*

ابن معزوز

....

....(٢)

(١) انظر: كنز العمال: ١٥/٧٦١.

[*] انظر ترجمته في: إشارة التعيين: ٣٨٩. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٢١-٦٣٠): ٢٤٢، وفيه أن اسمه يوسف بن المعزوز. الوافي ٢٩/١٥٩. ديوان الإسلام: ٤/٢٨٣-٢٨٤.

(٢) هو يوسف بن إبراهيم القيسيّ، وقيل ابن معزوز المتوفّى سنة ٦٢٥ هـ فسح له السيوطي صفحتين.

[١٠٦]*

ابن معطٍ

هو الإمام زين الدين أبو الحسين يحيى بن معطٍ[1] بن عبد النور الزواويّ المغربيّ النحويّ الفقيه الحنفيّ.

ولد سنة أربعٍ وستين وخمسمائة، وسمع بدمشق من ابن عساكر وغيره، وقرأ العربيّة على الجزوليّ، وأقرأ النحو بدمشق مدة، ثم بمصر، وتصدَّر بالجامع العتيق، وحمل الناس عنه، وكان إماماً مبرزاً في العربيّة شاعراً مُحسِناً، وكان أحد الشهود بدمشق، وصنَّف في العربيّة: الألفيّة، والفصول، وحضر مع العلماء عند الملك الكامل، وكان الكامل على ذهنه مسائل في العربيّة، فسألهم عن قول القائل: "زيدٌ ذُهِبَ به" هل يجوز في "زيد" النصب؟ فقالوا: لا. فقال ابن معط: يجوز النصب على أن يكون المرتفع بـ"ذهب" المصدر الذي دلَّ عليه "ذهب" وهو "الذهاب" وعلى هذا فموضع الجار والمجرور الذي هو به النصبُ، فيجيء في باب "زيد مررتُ به" ويجوز في "زيد" النصب، وكذلك ههنا. فاستحسن الكامل جوابه، وأمره بالسفر إلى مصر، فسافر إليها، وقرَّر له معلوماً جيداً، لكنَّه لم تطل حياته بعد ذلك، توفي سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة، وله قصائد مطولة في الملك الأمجد، منها قوله:

---

[*] انظر ترجمته في: معجم الأدباء: ٢٨٣١/٦. ذيل الروضتين: ٢٤٢/٥-٢٤٣. إنباه الرواة: ٤٤/٤-٤٥. التكملة لوفيات النقلة: ٢٩٢/٣-٢٩٣. وفيات الأعيان: ١٩٧/٦. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٢١-٦٣٠): ٣٣١-٣٣٢. دول الإسلام: ١٣/٢. سير أعلام النبلاء: ٣٢٤/٢٢. العبر: ٢٠١/٣-٢٠٢. الجواهر المضية: ٥٩٢/٣-٥٩٣. العسجد المسبوك: ٤٤٧. تاج التراجم: ٣٢٢-٣٢٣. شذرات الذهب: ٢٣١/٥. ديوان الإسلام: ٢٨٩/٤.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- مقدمة تحقيق كتاب الفصول الخمسون.

(١) ويقال: ابن عبدالمعطي. انظر: وفيات الأعيان: ١٩٧/٦. سير أعلام النبلاء: ٣٢٤/٢٢. التكملة لوفيات النقلة: ٢٩٢/٣.

ذهب الشبابُ ورونقُ العمرِ الشهيّ وأتى المشيبُ ورنْق النورَ البهيّ

وقال الصلاح الصفديّ في تذكرته: أنشدني شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود لزين الدين بن معطٍ النحويّ:

قالوا تلقَّبَ زين الدين فهو له نعتٌ جميلٌ به قد زيّن الأمنا
فقلتُ لا تعجبوا منه فذا لقبٌ وقفٌ على كلِّ نحسٍ والدليلُ أنا

قال: وأنشدني أيضاً لابن معطٍ:

ولما تبدّى لي من السجف حاجب ومقلةُ ليلى من وراء نقابِها
بعثتُ رسولَ الدمع بيني وبينها لتأذن في قربي وتقبيل بابِها
فما سلّمت إلا بإيماضِ طرفها ولا سمحت إلا بلثم ترابِها

انتهى.

قلتُ: البيتان الأولان ليسا له، فقد قال ابن النجّار في تاريخ بغداد: أنشدنا أبو منصور محمد بن المنذر من لفظه، قال: أنشدني محمد بن أسعد بن الحكيم الملقّب بـ"زين الدين" لنفسه في رجلٍ من أهل دمشق، يقال له: ابن الجنوبي، وكان يُلقّب بـ"زين الدين":

قالوا تلقّب زين الدين مفتخرا نجل الجنوبيّ مَن قد جمّل الأمنا
فقلت لا تعجبوا منه فذا لقبٌ وقْفٌ على كلِّ عثٍّ والدليل أنا

قال جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن سحمان الشريشيّ يمدح ابن معطٍ وألفيته:

الدُّرّة المنظومة الألفيّه أجلّ ما في الكتبِ النحويّهْ
لكونها في حجمها صغيره جليلة في قدرها كبيره
قد ضبطت أصل كلام العربْ واختصرت ما في طوال الكتبْ
من أجلِ ذاك لُقِّبت بالدّرّه واشتُهرت في الناسِ أيّ شهره

نظّمـهـا الشـيخ الإمـام يحـيى | فـذكـره يبـقى بهـا ويحـيى
على مـرور الدهر والأعـصـارْ | وحـيـثـمـا حلّت من الأمـصـارْ
فـرحـمـة الله مع السـلامْ | عليـه من عَـلاّمـةٍ إمـامْ

نقلتـهـا من خطّ ابن مكتـوم، قـال: نقلتـهـا من خطّ مـحـيي الدين عـبـد اللطيف ابن الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، وقد قرأها على ناظمها، وعليها تصحيحه.

[١٠٧]*

ابن مالك

محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك العلاّمة الأوحد جمال الدين أبو عبدالله الطائيّ الجيّانيّ الشافعيّ النحويّ نزيل دمشق.

قال الذهبيّ: ولد سنة ستمائة أو إحدى وستمائة، وسمع بدمشق ابن مكرم، والحسن بن صياح، والسخاويّ، وغيرهم، وأخذ العربيّة عن غير واحدٍ، وجالَسَ بحلب ابن عمرون، وغيره، وتصدّر بحلب لإقراء العربيّة، وصرف همّته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، وحاز قصب السبق، وأربى على المتقدمين، وكان إماماً في

[*] انظر ترجمته في: إشارة التعيين: ٣٢٠-٣٢١. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٧١-٦٨٠): ١٠٨-١١١. دول الإسلام: ١٧٤/٢. العبر: ٣٢٦/٣. مسالك الأبصار: ١٨٩/٧-١٩٠. فوات الوفيات: ٣٧٦/٢-٣٧٨. الوافي: ٢٨٥/٣-٢٨٩. طبقات الشافعية الكبرى: ٦٧/٨-٦٨. كتاب الوفيات: ٣٣٢. غاية النهاية: ١٨٠/٢-١٨١. السلوك: ٨٨/٢. طبقات النحاة واللغويين: ١٢٣-١٣٥. الدليل الشافي: ٦٤٢/٢. البغية: ١٣٠/١-١٣٧. شذرات الذهب: ٤٨٢/٥-٤٨٣. ديوان الإسلام: ٢٣٩/٤-٢٤٠. روضات الجنات: ٧٦/٨-٨١.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- الدراسات اللغوية عن ابن مالك بين الفقه وعلم اللغة.

القراءات وعللها، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشيها، وأما النحو والتصريف فكان فيه بحراً لا يُجارى، وحبراً لا يُبارى، وأما أشعار العرب التي يُستَشهدُ بها على اللغة والنحو، فكانت الأئمة الأعلام يتحيَّرون فيه، ويتعجَّبون من أين يأتي بها، وكان نظم الشعر سهلاً عليه رجزُه وطويلُه وبسيطُه وغير ذلك، هذا مع ما هو عليه من الدين المتين، وصدق اللهجة، وكثرة النوافل، وحسن السمت، ورقَّة القلب، وكمال العقل، والوقار، والتؤدة.

أقام بدمشق مدة يصنِّف ويشتغل، وتصدَّر بالتربة العادليَّة، والجامع المعمور، وتخرَّج به جماعة كثيرة، وصنَّفَ تصانيف مشهورة.

روى عنه ابنه الإمام بدر الدين محمد، والشمس بن أبي الفتح، والشمس بن جعفر، والقاضي بدر الدين بن جماعة، والعلاء بن العطَّار، وأبو بكر المزّيّ، وأبو الحسين اليونينيّ، وأبو عبدالله الصيرفيّ، والشهاب محمود، والشهاب بن عمر، وناصر الدين شافع بن عبد الظاهر، وخَلْقٌ. مات في ثاني شعبان سنة اثنين وسبعين وستمائة.

وقال البهاء بن النحَّاس يرثيه:

قلْ لابنِ مالك إن جرتْ بكَ أدمُعي	خمراً يحاكيها النجيع القاني
فلقد جرحت القلب حين نُعيتَ لي	فتدفَّقت بدمائه أجفاني
لكن يهون ما أُجِنّ من الأسى	علمي بنقلته إلى رضوانِ

ذِكر مؤلفاته: رأيتُ في مطالعتي في تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم أنَّ بعضهم نظم تصانيف الشيخ جمال الدين بن مالك في أبيات، قال الشيخ تاج الدين: وقد أهملَ أشياء أخَرَ من مؤلفاته. قال: وقد نظمتها مُذيّلاً عليه وهأنا أورد نظمها مبيّناً، وهي هذه:

سقى الله ربَّ العرشِ قبرَ ابن مالك	سحائب غفران تُغاديه هُطَّلا
فقد ضمَّ شملَ النحو من بعد شتِّه	وبيَّن أقوال النحاة وفصَّلا

بألفيّة تسمّى الخلاصة قد حوت خلاصة علم النحو والصرف مكمّلا
وكافية مشروحة أصبحت تفي اعمري بالعلمين فيها تسهّلا
ومختصر سمّاه عمدة لاقط يضمّ أصول النحو لا غير مجملا
وبيّن معناه بشرح منقّح أفادَ به ما كان لولاه مهملا

هذا لابن مكتوم.

وآخر سمّاه بإكمال عمدة فزادَ عليها في البحوث وعلّلا
وصنّف للإكمال شرحا مبيّناً معانيه حتى غدت ربّةَ انْجلا
ولاسيّما التسهيل لو تمّ شرحه لكان كبحر ماجَ عذْباً وسلسلا
ونظّم في الأفعال أيضاً قصيدةً فسهّل منها كلّ وعر وذلّلا
وأرجوزة تحوي المثلّثَ بيِّنا مربّعة المصراع غرّاء تُجتلى
وصنّفَ في المقصور أيضا قصيدةً وضمّنها الممدودَ أيضاً فكمّلا
وأتبعها شرحاً لها متضمّناً بيانَ معانيها بها متكفّلا

هذا لابن مكتوم.

وأعرب توضيحاً أحاديث ضُمِّنتْ صحيح البخاريَّ الإمام وسهّلا
ويكفيه ذا بين الخلائق رفعةً وعند النبيِّ المصطفى متوسّلا
فيا ربِّ عنّا جازه الآنَ خيرَ ما جزيتَ وليّاً لم يزل متفضّلا
وفي الضاد والظا قد أتى بقصيدة وأتبعها أخرى بوزنين أصّلا
وبيّنَ في شرحيهما كلّ ما غدا على الذهن معتاصاً فأصبحَ مجتلى
ونظّم أخرى في الذي يهمزونه وما ليس مهموزا بشرح لها تلا
وجاء بنظم للمفصّل بارع رفيع على المنظوم يدعى المؤصّلا
وعرّف بالتعريف في الصرف أنّه إمام غدا في كلّ فضل وفضّلا
وفي شرح ذا التعريف فصل كلّ ما أتى مجملا فيه وبيّن مشكلا

وصنَّف فيما جا بأفعلَ معْ فَعُلْ كتابا لطيفاً للمهمِّ محصِّلا
وألَّفَ في الإبدالِ مختصراً له دعاه الوِفاق فاق تصنيف منْ خلا
ونظَّم في علم القراءات موجزاً قصيداً يسمَّى المالكيَّ مبجَّلا
وأرجوزةً في الظاء والضاد قد حوى بها لهما معنى لطيفاً وحصَّلا
وآخر لم أدرِ اسمه غير أنَّه على نحو نظمِ الحوْز منظومة انجلا
فجملتها عشرون تتلو ثمانياً فدونكها نسخا وحفظا لتنبلا

وقد رأيتُ له غير ما ذكر في هذه الأبيات كتاباً سمَّاه نظم الفوائد، وهو ضوابط وفوائد منظومة ليست على رَوِي واحد.

قال الصلاح الصفدي[1]: والمقدمة الأسديَّة لابن مالك صغيرة صنَّفها باسم ولده تقي الدين محمد المعروف بالأسد. وقال الذهبيّ: صنَّف له الألفيَّة، فلم يحذق في نحو، وكان يجلس بحانوت الشهود، ومات سنة تسعٍ وسبعمائة.

وقال سعد الدين محمد بن العربيِّ الشاعر المشهور، وهو ولد الشيخ محيي الدين بن العربي الصوفيِّ المشهور صاحب الفصوص، يمدح ابن مالك:

إنَّ الإمامَ جمالَ الدين جمَّله ربُّ العُلى ولنشرِ العلمِ أهَّلَهُ
أملى كتاباً له يسمَّى الفوائد لم يزل مفيداً لذي لبٍّ تأمَّلَهُ
فكلُّ مسألةٍ في النحوِ يجمعها إنَّ الفوائد جمعٌ لا نظيرَ لهُ

قال الصلاح الصفديّ: هذه الأبيات مدح بها كتاب تسهيل الفوائد، وهي مليحة إلى الغاية إلا أنَّ فيها إقواء.فردَّ عليه قاضي القضاة محيي الدين المالكيّ الأنصاريّ بأنَّ له كتاباً غير التسهيل يدعى الفوائد، وهو المقصود بهذه الأبيات.

(١) الوافي: ١/ ١٦٦.

[١٠٨]*

ولده بدر الدين محمد

ابن محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك الإمام بدر الدين ابن الإمام جمال الدين الطائيّ الجيّانيّ الشافعيّ الدمشقيّ النحويّ ابن النحويّ.

قال الصلاح الصفديّ: كان إماماً ذكيّاً فَهِماً حادّ الخاطر إماماً في المعاني والبيان والبديع والعروض والمنطق، جيدَ المشاركة في الفقه والأصول، أخذ عن والده، وجرى بينه وبين والده صورةٌ، سكن لأجلها بعلبكَ، فقرأ عليه بها جماعة، منهم بدر الدين بن زيد، فلما مات والده، طُلِبَ إلى دمشق، وولي وظيفة والده، وسكنها، وتصدّى للاشتغال والتصنيف، وكان اللعبُ يغلبُ عليه والعِشرة.

حكى لي الشهاب محمود حكاية جرت له مع الأمير علم الدين سنجر الدواداويّ، وهي غريبة ما أؤثر ذكرها، وحكى لي غيره أيضاً عنه ما يوافقها من اللعب.

وكان إماماً في موادّ النظم من العروض والنحو والمعاني والبيان والبديع، ولم يقدر على نظم بيت واحد، ولقد حضرت إليه رقعة من صاحبٍ فيها نظم أراد أن يجيبه عنها بنظم، فجلس في بيته من بكرة إلى صلاة العصر ولم يقدر على بيت واحد حتى استعان بجارٍ له في المدرسة على الجواب.

وقيل لي إنّه أملى على قول ابن جلنك:

والبان تحسبه سنانيراً رأت ... قاضي القضاة فنفّشت أذنابها

---

[*] انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٨١-٦٩٠): ٢٨٣-٢٨٤. العبر: ٣/٣٦٣. الوافي: ١/١٦٥-١٦٦. طبقات الشافعية الكبرى: ٨/٩٨. عيون التواريخ: ٢١/٣٩٥. مرآة الجنان: ٤/١٥٣. السلوك: ٢/٢٠١. المقتفى الكبير: ٧/٣٠-٣١. طبقات النحاة واللغويين: ٢٤٧. البغية: ١/٢٢٥. مفتاح السعادة: ١/١٨١. شذرات الذهب: ٦/٦١. ديوان الإسلام: ٤/٢٤٠-٢٤١. روضات الجنات: ٨/٨١-٨٣.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن الناظم النحوي.

كُراسة، وتكلَّم على ما في هذا البيت من علوم البلاغة.

ومن تصانيفه: شرح الألفيَّة، وهو شرح فاضل منقَّى منقَّح لم تُشرَحْ بأحسنَ ولا أسدُّ ولا أجزلَ منه على كثرة شروحها، والمِصباح اختصر فيه معاني وبيان المِفتاح، وهو في غاية الحُسن، وقيل أنَّه وضع أكبر منه وسمَّاه روضة الأذهان، وإلى الآن لم أره.

ورأيتُ له مقدمة في المنطق، ومقدمة في العروض، وقيل أنَّه حضر مجلس الشيخ شمس الدين الأيكيِّ، وكان يعرف الكشّاف معرفة مليحة، فقعد لا يتكلَّم والأيكي يذكر درسه إلى أن طال الكلام، فقال له: يا شيخ بدر الدين: لأيٍّ شيء ما تتكلَّم؟ فقال: ما أقول ومن وقت تكلَّمت فيه إلى الآن عددتُ عليك إحدى وثلاثين لَحنة.

مات قبل الكهولة من قوانج كان يعتريه كثيراً في سنة ستٍّ وثمانين وستمائة بدمشق، ودفِنَ بمقبرة باب الصغير، وكثر التأسُّف عليه.

هذا كلّه كلام الصفديِّ. وقال(١) أبو حيّان:

ألا إنَّ تسهيل الفوائد في النحو ... كتاب غريب كلّ نادرة يحوي
هل الكتْب إلا أنجُمٌ وهو شمسها ... سناهنَّ يُمحى إن بدت أيُّ محوِ

وقال التاج بن مكتوم:

ألا إنَّ التسهيل روضٌ لذي العلم ... ومنثوره يربى على اللؤلؤ النظمِ
حوى كلَّ حسناء من النحو زيِّنتْ ... بجودة تأليفٍ تروق أخا الفهمِ
لئن قلَّ حجماً فالغنى بصغيره ... أو اعتاص لفظا فالزُّلال من الصمٍّ

في تذكرة العلامة شمس الدين بن الصائغ: تستعمَل صيغة الأمر في معانٍ جمعها جمال الدين بن مالك في قوله:

أوجبْ أبحْ أرشدِ اسخرْ مُنَّ أكرِمْ أهنْ ... عجِّزْ تمنَّ ادعُ لوِّنْ سَوِّ محتقرا

(١) حقّ هذا الكلام أن يكون في ترجمة ابن مالك لا في ترجمة ابنه.

هَدِّدْ بأعـذارها ملحـقـهـا أدباً فقد جمعْتَ معاني افْعلْ بغير مَرا

في تذكرة ابن مكتوم: قال الشيخ أبو محمد إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبريّ نزيل الخليل في ابن مالك:

خـذوا نقلَه واستمسكوا بحباله وإيّاكمُ تعليلَه واختيارَه
فـذاك صـحيحٌ في المذاهب كلِّها وضـعِّف هذا من أجاد اعتبارَه

[١٠٩]*

الأمين المحليّ

الشيخ أمين الدين أبو بكر محمد بن علي بن موسى بن عبد الرحمن الأنصاريّ المحليّ.

قال الذهبيّ: أحد أئمة النحو بالقاهرة، تصدَّر لإقرائه، وانتفع الناسُ به، وله تصانيف حسنة، منها: أرجوزة في العروض، وله شعر. مات ليلة الثاني عشر من ذي القعدة سنة ثلاثٍ وسبعين وستمائة عن ثلاث وسبعين سنة، ودفِنَ بالقرافة.

وقال ابن مكتوم في تذكرته، ومن خطِّه نقلتُ: مولده في رمضان سنة ستمائة، وقرأ الأدب، وبرع فيه، وله تصانيف في العربيّة، منها: كتاب المفتاح، وكان أحد الفضلاء المشهورين، حدثنا عنه شيخنا تقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق الشافعيّ بكتاب المفتاح من تصنيفه بقراءته على مؤلفه ببعضه، وأجازه، وأنشدنا غير مرة، قال: أنشدنا لنفسه.

وقال الصلاح الصفديّ في تاريخه: أنشدني الشيخ تقي الدين بن السُّبكيّ، قال:

---

[*] انظر ترجمته في: إشارة التعيين: ٣٣٤. تاريخ الإسلام: (وفيات ٦٧١-٦٨٠): ١٢٧-١٢٨. عيون التواريخ: ٢١/٦٠-٦١. الوافي: ٤/١٣٣-١٣٤. الدليل الشافي: ٢/٦٥٧. السلوك: ٢/٩١. طبقات النحاة واللغويين: ٢٠٧. البغية: ١/١٩٢.

أنشدني الشيخ تقي الدين محمد بن عبد الخالق الصائغ المقرئ، قال: أنشدني لنفسه أمين الدين المحليّ:

عليكَ بأربابِ الصدور فمن غدا ... مضافاً لأرباب الصدور تصدَّرا
وإياك أن ترضى صحابةَ ساقطٍ ... فتنحطُّ قدراً من عُلاك وتُحقَرا
فرفعُ أبو من ثم خفض مزمِّلٍ ... يحقق قولي مغرياً ومحذِّرا

قال الصفديّ: ومن شعره ما كتبه في مرضه لبعض الأكابر:

يا ذا الذي عمَّ الورى نفعُه ... ومن له الإحسان والفضلُ
العبد في منزله مدنفاً ... وقد جفاه الصَّحبُ والأهلُ
فروَّجه البقلُ ويا ويحَ من ... فروَّجه في المرض البقلُ

قال: ومن شعره ما كتبه إلى مريض:

إن جئتُ نلتُ ببابكَ التشريفا ... وإن انقطعتَ فأوثرِ التخفيفا
وورحقِّ حبي فيك قدْماً إنني ... عُوفيتَ أكره أن أراكَ ضعيفا

قال ابن مكتوم في تذكرته، ومن خطّه نقلتُ: حدثني شيخنا أبو حيّان من لفظه، ومن خطّه كتبتُ، قال: أخبرنا العدل كمال الدين عبد القادر المعروف بـ"ابن منهال" قال: أخبرنا الأمين المحليّ النحويّ هو مؤلف كتاب المفتاح والناظم في العروض، قال: قعدتُ في القيسارية عند صاحبٍ لي بزّاز، وإذا بامرأة وسط النساء حسنة الصورة قد جلست عنده، فقلتُ لها: أنتِ ذات زوج؟ قالت: لا. فقلتُ لها: هل تختارين أن أتزوجك؟ قالت: نعم. فاتفقنا على أن نكتب الكتاب غدَ يومنا ذلك، فلما أصبحنا دخلت جامع عمرو بن العاص، وقلتُ: أول ما أحدّث فيه هو فأل هذه المرأة، وإذا بإنسانٍ قد سألني عن إعراب قول الشاعر:

وتلك عجوز لا رعى الله قربها ... على وجهها بالفاحشات شهودُ
تقود إذا حاضت وإن طهرت زنت ... فتلك التي يُزنى بها وتقودُ

ففحصنا عن المرأة فإذا هي قوّادة قحبة.

[١١٠]*
المالقيّ

....

....(١)

[١١١]*
النضر بن شُميل

ابن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عنترة بن زهير بن عمر بن جلهمة بن حجر بن خزاعيّ بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم - كذا ساقه محمد بن إسحاق النديم في الفهرست - البصريّ المازنيّ.

قال الداني في طبقات القُرَّاء: يكنى أبا الحسن، سكن مَرو، روى الحروف عن هارون بن موسى الأعور عن أبي عمرو، وسمع ابن عَون، وهشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد، وعَوفاً الأعرابيّ، وشعبة، وسليمان بن المغيرة. روى عنه الحروف: محمد بن يحيى القُطعيّ، والفضل بن أسد، ومحمد بن قدامة السرخسيّ. وسمع منه إسحاق

---

[*] انظر ترجمته في: الإحاطة: ١/٧٧-٨٠. الدرر الكامنة: ١/١١٥-١١٦. البغية: ٣٣١-٣٣٢.

(١) هو أحمد بن عبدالنور المتوفَّى سنة ٧٠٢هـ، فسح له السيوطي صفحتين لم يكتب فيهما شيئا.

[*] انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى: ٧/٣٧٣. المعارف: ٥٤٢. تاريخ الدارمي: ١٢٠. مراتب النحويين: ١٠٨. الثقات: ٩/٢١٢. طبقات النحويّين: ٥٥-٦١. الفهرست: ٨١-٨٢. نور القبس: ٩٩-١٠٤. نزهة الألباء: ٧٣-٧٥. معجم الأدباء: ٦/٢٧٥٨-٢٧٦١. إنباه الرواة: ٣/٣٤٨-٣٥٢. تهذيب الكمال: ٢٩/٣٧٩-٣٨٤. إشارة التعيين: ٣٦٤-٣٦٥. البلغة: ٢٧٥. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٠١-٢١٠): ٤١١-٤١٥. تذكرة الحفاظ: ١/٨/٤٧٧-٤٧٨. الجرح والتعديل: ٨/٤٧٧-٤٧٨. دول الإسلام: ١/١٢٧. سير أعلام النبلاء: ٩/٣٢٨-٣٣٢. الكاشف: ٢/٣٢٠. الوافي: ٢٧/٧٨-٧٩. التذكرة: ٣/١٧٦٨. غاية النهاية: ٢/٤٤١. لسان الميزان: ٧/٤١١. البغية: ٢/٣١٦-٣١٧. مفتاح السعادة: ١/١٠٧. شذرات الذهب: ٢/٧٨-٧٩. ديوان الإسلام: ٤/٢٩٨.

بن راهويه، وإسحاق بن منصور.

وقال القُتبيّ: هو من بني مازن، وكان من أهل البصرة، وانتقل إلى مَرو، وكان صاحبَ غريب وشعر ونحو وحديث ومعرفة بأيام الناس وفقه.

وقال يحيى بن مَعين: هو ثقة. قال البخاريّ: مات النضر بن شُميل سنة أربعٍ ومائتين. وقال في موضع آخر: سنة ثلاث. وقال عبدالله بن الجارود: توفي أول سنة أربعٍ.

وقال الحافظ جمال الدين المزّيّ في تهذيب الكمال: روى عن إسرائيل بن يونس، وإسماعيل بن أبي خالد، وأشعث بن عبد الملك، وبهز بن حكيم، وبيهس بن فهدان، وحمّاد بن سَلَمة، وحميد الطويل، والخليل بن أحمد النحويّ، وداود بن أبي الفرات، وسعيد بن أبي عروبة، وسليمان بن المغيرة، وسوار بن أبي حمزة، وشعبة بن الحجاج، وصالح بن أبي الأخضر، وصالح بن رستم أبي عامر الخزاز، وعباد بن منصور، وعبدالله بن عون، وعبد الجليل بن عطية، وعبد الرحمن بن عبدالله المسعوديّ، وعبد العزيز بن الربيع الباهليّ، وعبد الملك بن جريج، وعثمان بن غياث، وعمر بن أبي زائدة، وعوف بن أبي جميلة الأعرابيّ، والقاسم بن الفضل الحدانيّ، وكثير بن قاروندا، وكهمس بن الحسن، ومحمد بن عمرو بن علقمة، وموسى بن مروان المعلّم، والنهاس بن قهم، والهرماس بن حبيب، وهشام بن حسّان، وهشام بن أبي عبدالله الدستوائيّ، وهشام بن عروة، ويحيى بن شُميل بن يعفر المازنيّ، ويونس بن أبي إسحاق، وأبي قُرّة الأسديّ الصيداويّ، وأبي مصلح الخراسانيّ، وأبي نعامة العدويّ.

روى عنه أحمد بن أبي رجاء الهرويّ، وأحمد بن سعيد الدارميّ، وأحمد بن سعيد الرباطيّ، وأحمد بن عبّاد التميميّ، وأحمد بن عمرو الجرشيّ، وأحمد بن محمد بن شبّوية المروزيّ، وإسحاق بن راهويه، وإسحاق بن منصور الكوسج، وأيوب بن الحسن النيسابوريّ الزاهد، وبشر بن الحكم العبديّ، وبيان بن عمرو البخاريّ، وأبو عمّار الحسين بن حُريث المروزيّ، والحسين بن داود بن معاذ، والحسين بن منصور

السلَميّ، وخلاّد بن أسلم، ورجاء بن المرجّى، وأبو زيد سعيد بن الربيع الهرويّ، وسعيد بن صالح النيسابوريّ، وسعيد بن يزيد بن عطيّة التيميّ، وسليمان بن سالم البلخيّ المصاحفيّ، وأبو داود سليمان بن معبد السنجيّ وعامر بن خداش النيسابوريّ، وعبدالله بن عبد الرحمن الدارميّ، وعبدالله بن منير المروزيّ وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبديّ، وعبدة بن عبد الرحيم المروزيّ، وأبو قدامة عبيدالله بن سعيد السرخسيّ، وعتيق بن محمد الجرشيّ، وعلي بن الحسين الذُهليّ الأفطس، وعلي بن المديني، وعمرو بن هشام النسويّ، وعمرو بن زرارة النيسابوريّ، والليث بن خالد البلخيّ، ومحمد بن الحكم المروزيّ الأحول، ومحمد بن نافع[1] النيسابوريّ، ومحمد بن علي بن الحسن بن شقيق، ومحمد بن عمرو بن زياد الدرابجرديّ، ومحمد بن قدامة السلَميّ البخاريّ، ومحمد بن كيسان التميمي النيسابوريّ، ومحمد بن مقاتل المروزيّ، ومحمد بن يوسف البيكنديّ، ومحمود بن غيلان المروزيّ، ومعاذ بن أسد المروزيّ، ومقاتل بن المهلب، ونصر بن زياد النيسابوريّ القاضي، وهدية بن عبد الوهاب المروزيّ، ويحيى بن محمد بن أعين وهو ابن أبي الوزير المروزيّ، ويحيى بن محمد بن معاوية اللؤلؤيّ، ويحيى بن معين، ويحيى بن يحيى النيسابوريّ.

قال يحيى بن معين والنسائيّ: ثقة. وقال ابن المدينيّ: من الثقات. وقال أبو حاتم: ثقة صاحب سُنّة. وقال محمد بن خاقان: سئل عبدالله بن المبارك عن النضر بن شُميل، فقال: دُرّة بين مَروتين ضائعة. يعني كورة مَرو، وكورة مَرو الروذ. وقال العباس بن مصعب المروزيّ: بلغني أنّ عبدالله بن المبارك سئل عن النضر بن شُميل، فقال: ذاك أحدُ الأحدين، لم يكن أحدٌ من أصحاب الخليل يُدانيه. وقال العباس أيضاً: كان النضر بن شُميل إماماً في العربيّة والحديث، وهو أول من أظهر السُنّة بمَرو وجميع خراسان، وكان أروى الناس عن شعبة، وأخرج كُتباً كثيرة لم يسبقه إليها أحد، وكان وليَ قضاء مَرو.

---

(١) في . . ز...ع. انظر: ٣٨٢/٢٩.

وقال أبو بكر بن منجوية: كان النضر بن شُميل من فصحاء الناس وعلمائهم بالأدب وبأيام الناس، مات بمَرو. وقال عبدالله بن قهزاد: مات في آخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاثٍ ومائتين، ودُفِنَ أولَ يومٍ من المحرَّم.

وقال أحمد بن سعيد الدارميّ: سمعتُ النضر قبل موته بقليل يقول: أنا ابن ثمانين. وكان مرضه نحواً من ستة أشهر.

وقال محمد بن إسحاق النديم في الفهرست في ترجمته: بصريّ الأصل، نزل مَرو الروذ، وهي بلاد مازن، وأخذ عن الخليل، وعن فُصحاء الأعراب، وله من الكتب: كتاب الصفات. كتاب كبير يحتوي على عدة كُتب، ومنه أخذ أبو عبيدة كتابه الغريب المصنَّف، قال أبو الحسن بن الكوفيّ: الجزء الأول يحتوي على خلق الإنسان، والجود والكرم، وصفات النساء. الجزء الثاني يحتوي على الأخبية والبيوت، وصفة الجبال والشِّعاب، والأمتعة. الجزء الثالث يحتوي على الإبل فقط. الجزء الرابع يحتوي على اليم، الطير، الشمس، القمر، الليل، النهار، الألبان، الكمأ، الآبار، الحِياض، الأرسية، الدلاء، الخمر. الجزء الخامس يحتوي على الزرع، الكرم، العنب، أسماء البقول، الأشجار، الرياح، السحاب، الأمطار، كتاب السلاح، خلق الفرس. وله بعد ذلك من الكتب المصنَّفة ما لا يدخل في هذا الكتاب: كتاب الأنواء. كتاب المعاني، كتاب غريب الحديث. كتاب المصاقبة. كتاب المدخل إلى كتاب العين. انتهى.

وقال الشيرازيّ في الألقاب: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى الحافظ أخبرنا أبو الفضل العباس بن أحمد بن حمدان المافروخيّ حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن ناصح بن فَورك حدثنا النضر بن شُميل، وقال العسكريّ في الأمثال[1]: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي يحيى حدثنا إبراهيم بن ناصح حدثنا النضر بن شُميل، قال: كنتُ أدخل على المأمون أمير المؤمنين في سَمَره، فدخلتُ عليه ذات ليلة وعليَّ قميصٌ مرقوع، فقال لي: يا نضرُ، ما هذا التقشُّف؛ تدخل على أمير المؤمنين في

(١) جمهرة الأمثال: ٤٢٩/١. باختلاف يسير نتيجة الجمع بين روايات الحكاية.

هذه الخُلقان؟ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين: أنا شيخٌ ضعيف وحرّ مَرو شديد فأتبرّد بهذه الخُلقان. قال: لا، ولكنّك قَشِفٌ. فألوينا الحديث، فأجرى أمير المؤمنين ذكر النساء، فقال:حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبيّ عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله (ﷺ) «إذا تزوج الرجل المرأةَ لدينها وجمالها كان فيها سدادٌ من عَوَز» فقلتُ: صدق يا أمير المؤمنين هشيم؛ حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله (ﷺ) «إذا تزوّج [الرجل] المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِدادٌ من عَوَز» قال: وكان متكئا، فاستوى جالساً، فقال: يا نضر، كيف قلت "سداد"؟ قلتُ: يا أمير المؤمنين: السَّداد ههنا لحن. قال: وكيف؟ قلت: وإنّما لحن هشيم، وكان هشيم لحّانة، فتبع أمير المؤمنين لفظه. قال: وما الفرق بينهما؟ قلت: السَّداد: القصدُ في الدين، والسِّداد: البلغة، وكلّ ما سددت به شيئا فهو سِداد. قال: وتعرف العرب ذلك؟ قلتُ: نعم، هذا العرجيّ يقول:

أضاعوني وأيُّ فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسِداد ثغرِ

قال: قبّح الله من لا أدب له. فأطرق مليّاً، فقال: أنشدني أخلبَ بيتٍ للعرب. قلتُ: ابن بيضٍ حيث يقول في الحكم بن مروان:

تقول لي والعيون هاجعةٌ ... أقِمْ علينا يوماً فلم أُقِمِ
أيُّ الوجوه انتجعتَ قلتُ لها ... وأيَّ وجهٍ إلا إلى الحَكَمِ
متى يقل حاجبا سرادقه ... هذا ابن بيضٍ بالباب يبتسمِ
قد كنتُ أسلمتُ فيك مقتبلاً ... فهاتِ إذ حلَّ أعطني سَلَمي

قال: أحسن ما شاء، فأنشدني أنصفَ بيتٍ للعرب. قلتُ: ابن عروبة[1] المديني حيث يقول:

(١) في معجم الأدباء: عروة. انظر: ٢٧٥٩/٦.

إني وإن كــان ابن عــمي واغــراً لمزاحـم مـن خـلـفــــه وورائـه
ومـعـدّه نصـري وإن كـان امـرأ مـتـبـاعـداً في أرضـه وسـمـائه
وأكـون والـيَ سـرِّه فـأصـونه حـتى يـحين علـيَّ وقتُ أدائـه
وإذا الحـوادث أجـحـفت بسوامـه قـربت صـحـيـحـتنا إلى جـربائه
وإذا دعا باسـمي ليـركبَ مـركبـاً صـعـبـاً ركبتُ له على سيسائه
وإذا رأيتُ عليـه بُرداً ناضـراً لم تُلفني مـتـمنيـاً لردائه

قـال: أحسنَ والله مـا شـاء، فـأنشـدني أقنعَ بيتٍ للعرب. قلتُ: راعي الإبل حيث يقول:

أطلبُ مـا يطلبُ الكريم من الرزق لنفـسي وأحـسِنُ الطلَبـا
وأطلبُ الدرَّة الصـفَـا ولا أطلب أحـلاف غـيـرها خلبـا
إنِي رأيتُ الفـتى الكريمَ إذا رغّـبـتـه في صنيـعـةٍ رغـبـا
والنـذل لا يطلب العـلاء ولا يعطيك شـيـئـاً إلا إذا رَهِبـا
مـثل الحـمـار الموقَّع السـوء لا يُحسِنُ مـشـيـاً إلا إذا ضُـرِبا
ولم أجـد عـزة الخـلائق إلا الدين لما اعـتـبـرتُ والحَـسَـبـا
قـد يُرزق الحـافظ المقيم ومـا شـدَّ بعـيس رحـلاً ولا قَـتَـبـا

قـال: أحسن مـا شاء، مـا مالُك يا نضر؟ قلتُ: أُرَيضـة لي بمَرو الروذ أتصابُّها وأتمزّزها. قال: أفلا نفيدك مع ذلك مالاً؟ قلتُ: إني إلى ذلك لمحتاج. فأخذ القرطاسَ، وكتبَ، ولا أدري ما كتب، فقال: كيف تقول من التراب إذا أمرت أن يُترب؟ قلتُ: أتربْه. قال: فهوَ ماذا؟ قلتُ: مُترَب. قال: فمن الطين؟ قلتُ: طنْه. قال: فهوَ ماذا؟ قلتُ: مَطين. قال: هذه أحسن من الأول. ثم قال: يا غلام: أتربْه وطِنْه. ثم صلَّى بنا العشاء، ثم قال لخادمه: تبلغ معه إلى الفضل. فأتيته، فلما قرأ الكتاب، قال: يا نضر، إنَّ أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم؛ فما كان السبب؟ فأخبرته ولم أكذبه، قال: لحنتَ أمير المؤمنين؟! فقلتُ: لا، إنَّما لحن هُشيم، وكان هشيم لحّانة، فتبع لفظه، وقد تتبع ألفاظه

الفقهاء. وأمرَ لي الفضل من عنده بثلاثين ألفاً، فأحرزتُ ثمانين ألفاً بحرف استفاده مني.

وفي كتاب التذييل للبدر النابلسيّ: ذكر أبو عبيدة أنَّ النضر بن شُميل خرج من البصرة، فشَيَّعه من أهل البصرة ثلاثة آلاف رجل، ما فيهم إلا محدِّث أو نحويّ أو لغويّ أو عروضيّ أو أخباريّ، فلما صار بالمربد، جلس، فقال: يا أهل البصرة، يعزُّ عليَّ فراقكم، والله لو وجدتُ في كلِّ يومٍ كَيلَجة من باقّلاء ما فارقتكم. قال: فلم يكن فيهم أحد يتكلّف له ذلك. ذكره أبو عبيدة في مثالب أهل البصرة، وأورد ذلك الزبيديَ في طبقاته، والمعافى بن زكريا، وياقوت في معجمه.

قال الزبيديّ: قال ابن أبي رزمة: سأل رجلٌ النضرَ بن شُميل أن يقرأ عليه ويترسَّلَ ويزيده في الدولة، فقال النضر:

تسألني أم الحسين جَمَلا ... يمشي رويداً ويكون أوَّلا

وفي معجم ياقوت: قال النضر: أقمتُ بالبادية أربعين سنة.

وروى الحاكم في تاريخه عن أحمد بن سعيد الدارميّ، قال: سمعتُ النضر بن شُميل يقول:

يحبُّ بقائي المشنقون ومدتي ... إلى أجلٍ لو يعلمون قريبِ

وما هو إلا أرذل العمر بعدما ... لبستُ شبابي كلّه ومشيبي

وروى أيضا عن بشر بن الحكم، قال: قال النضر بن شُميل:

كريمٌ هزَّ فاهتزّ ... كذاك السيد البزّ

كسهم هزّ فارتز ... وعرق السوء يرتزّ

قال البيهقيّ في شعب الإيمان(١): أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، قال: قرأتُ بخطِّ أبي عمرو المستملي: سمعتُ أحمد بن سعيد الدارميّ سمعتُ النضر بن شُميل يقول:

---

(١) شعب الإيمان: ٧٧/٦.

ما سعد أحدٌ باستغناء رأي، ولا هلك امرؤ عن مشورة.

وقال أيضاً[1]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ سمعتُ أبا سعيد أحمد بن محمد بن إبراهيم الفقيه يقول: سمعتُ محمد بن أبي سهل الرباطيَّ المروزيَّ يقول: سمعتُ أبا مشعر عبد الملك بن محمد السعديَّ يقول: قال لي النضر بن شُميل: يا أبا مشعر، اكتبْ عني هذه الأبيات؛ فإنَّها أحسن ما قالته العرب:

نعود على ذي الجهلِ منا بحلمنا ... ونأبى فلا نأتي الدنيء من الأمرِ
وإن نحنُ أيسرنا ذلَّلنا لجارنا ... وإن نحن أعسرنا عززنا على العسرِ
ألا إنَّ شرُّ الناسِ من بطر الغنى ... وأرذل منه المستكين على الصبرِ[2]

وأخرج ابن النجَّار في تاريخه من طريق أبي بكر بن الأنباريِّ عن أبيه، قال: مرض النضر بن شُميل، فدخل الناسُ يعودونه، فقال له حدثٌ منهم: يا عم، مسح الله ما بك. فقال: يا غلام: لحنك أعظم من علّتي عليَّ، قل: مَصَحَ الله ما بك؛ أوَما سمعتَ قول الأعشى:

وإذا ما الخمرُ يوماً أزبدتْ ... أفلَ الإزبادُ منها فمَصَحْ

قال: يا عم، قد تنوب السين عن الصاد. قال: واعِلّتاه، قتلتني والله، إذن قل لأبي صالح "يا أبا سالح"، وقل: قال "رصول الله". إنَّما تنوب السين عن الصاد في أربع مواضع: عند العين، فتقول: "زعتر وصعتر". وعند الطاء، فتقول: "السطح والصطح". وعند الخاء، فتقول: "سخي والصخي". وعند القاف، فتقول: "سقر وصقر" فأما في غير ذلك فلا يا غلام؛ قد قضيتَ وطراً من عيادتنا وزدتَ في علّتنا، فإن شئتَ أن لا تعود إلينا فافعل.

وأورد هذه الحكاية الزُّبيديّ في طبقاته، والحريريّ في درّة الغواص[3].

---

(١) شعب الإيمان: ٦/٢٦٣.
(٢) في المصدر نفسه: وإنّ ذلّ منه المستكين... انظر: ٦/٢٦٣.
(٣) درة الغواص: ١٩.

[١١٢]*

أبو جعفر بن النحّاس

أحمد بن محمد بن إسماعيل النحويّ.

قال ياقوت: من أهل مصر، رحل إلى بغداد، وأخذ عن أصحاب المبرِّد، وعن الأخفش علي بن سليمان، ونفطويه، والزّجَّاج، وغيرهم، ثم عاد إلى مصر، وسمع بها جماعة، منهم: أحمد بن محمد بن سلامة الطحاويّ، والنسائيّ، وبكر بن سهل الدمياطيّ، ومحمد بن جعفر الأنباريّ، وسمع بالرملة من عبيدالله بن إبراهيم البغداديّ، والحسين بن عمر بن أبي الأحوص، وجماعة، وقرأ كتاب سيبويه على الزّجَّاج ببغداد، ولما عاد إلى مصر اشتغل بالتصنيف في علوم القرآن والأدب، فيُقال أن تصانيفه تزيد على خمسين مصنَّفاً، منها: تفسير عشرة دواوين للعرب، وإعراب القرآن، ومعاني القرآن، والناسخ والمنسوخ، والكافي في علم العربيّة، والمقنع ذكر فيه اختلاف البصريين والكوفيين، وشرح المعلقات السبع، وشرح المفضّليات، وشرح أبيات الكتاب، ومعاني الشعر، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الإعراب، وكتاب الاشتقاق لأسماء الله تعالى، وأخبار الشعراء، وصناعة الكُتّاب، وأدب الكُتّاب، وأدب الملوك، والتفاحة في النحو، ولم يكن له مُشاهد، وإذا خلا بقلمه جوَّد وأحسنَ، وكان لا ينكر أن يسأل أهل النظر والفقه، ويُفاتشهم عمَّا أشكلَ عليه في تصانيفه.

---

[*] انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين: ٢٢٠-٢٢١. المنتظم: ٧٥/١٤. معجم الأدباء: ٤٦٨/١-٤٧٠. إنباه الرواة: ١٣٦/١-١٣٩. إشارة التعيين: ٤٥. تاريخ الإسلام: (وفيات ٣٣١-٣٤٠): ١٥٥-١٥٦. مسالك الأبصار: ٢٧٥/٧. الوافي: ٢٣٧/٧-٢٣٨. كتاب الوفيات: ٢١٣. طبقات المفسّرين (الداودي): ٦٨/١-٧٠. مفتاح السعادة: ٧٣/٢-٧٤. طبقات المفسّرين (الأدنه وي): ٧٢. ديوان الإسلام: ٣٢٠/٤-٣٢١. روضات الجنات: ٢١٧/١-٢١٨.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- أبو جعفر النحاس.
- منهج أبي جعفر النحّاس في شرح الشعر.

قال قاضي القضاة بالأندلس وهو المنذر بن سعيد البلوطيّ: أتيتُ وابن النحّاس في مجلسه بمصر يملي في أخبار الشعراء شعرَ قيس المجنون حيث يقول:

خليليَ هل بالشـام عينٌ حـزينةٌ ... تبكي على نجـدٍ لعلّي أعـينها
قد أسلمها الباكون إلا حمامة ... مطوقـة باتت وبات قـرينها
تجاوبها أخرى على خَيزرانةٍ ... تكاد يدنيها من الأرضِ لينُها

فقلتُ له: يا أبا جعفر، ماذا أعزّك الله باتا يصنعان؟ فقال لي: وكيف تقوله أنتَ يا أندلسيّ؟ فقلتُ له: "بانت وبان قرينها" فسكتَ، وما زال يستثقلني بعد ذلك حتى منعني كتابَ العين، وكنتُ ذهبتُ إلى الانتساخ من نسخته، فلما قطع بي، قيل لي: أين أنتَ عن أبي العباس بن ولّاد، فقصدته، فلقيت رجلاً كاملَ العلم والأدب حسنَ المروءة، فسألته الكتابَ، فأخرجه إليَّ، ثم تندَّم أبو جعفر لما بلغه إباحة أبي العباس الكتابَ لي، وعاد إلى ما كنتُ أعرفه منه.

قال: وكان أبو جعفر لئيمَ النفسِ شديدَ التقتير على نفسه، وكان رُبَّما وهِبتْ له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم، وكان يأبى شراء حوائجه بنفسه، ويتحامل فيها على أهل معرفته.

مات بمصر لخمسٍ خلون من ذي الحجة سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمائة. ذكر ذلك كلّه الزُّبيديّ. وقال غيره: وحُبِّبَ إلى الناسِ الأخذ عنه، وانتفع به خلق.

جلس على درج المقياس بالنيل يُقطِّع شيئا بالعروض من الشعر، فسمعه جاهل، فقال: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد، فدفعه برجله في النيل، فمات غريقاً سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة.

[١١٣]*

ملك النحاة

أبو نزار الحسن بن صافي.

قال ابن المستوفي في تاريخ إربل[1]، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وياقوت: مولى حسين الأرمويّ التاجر البغداديّ، ولِد ببغداد سنة تسعٍ وثمانين وأربعمائة في الجانب الغربيّ بشارع دار الرقيق، فانتقل إلى الجانب الشرقيّ، وقرأ به العلوم، وسمع الحديث من أبي طالب الزينبيّ، وقرأ علم المذهب على الشيخ أحمد الأشنهيّ الشافعيّ، وعلم أصولِ الدين على الشيخ أبي عبدالله المغربيّ القيروانيّ، وأصول الفقه على أبي الفتح بن برهان، وعلم الخلاف على أسعد الميهنيّ، والنحو على أبي الحسن علي بن أبي زيد الفصيحيّ الأستراباذيّ، وقرأه الفصيحيّ على الشيخ عبد القاهر الجرجانيّ.

وفُتِح له الجامع، ودرُّس فيه، ثم سافر إلى خراسان وكَرمان وغزنة، ثم دخل الشام، فأقام بدمشق إلى أن مات بها يوم الثلاثاء، ودُفِن يوم الأربعاء التاسع من شوال سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة، ودُفِن بمقبرة باب الصغير، وكان صحيحَ الاعتقاد كريمَ النفسِ.

وله من المصنَّفات: الحاوي في النحو، مجلّدان. العمدة في النحو، مجلّد. المنتخب

[*] تاريخ دمشق: ١٣/٧١-٧٦. معجم الأدباء: ٢/٨٦٦- ٨٧٣. طبقات الفقهاء الشافعيّة: ٢/٧٣٧. إنباه الرواة: ١/٣٤٠-٣٤٥. إشارة التعيين: ٩١-٩٢. تاريخ الإسلام: (وفيات ٥٦١-٥٧٠): ٣١٤-٣١٧. العبر: ٣/٥٥. مسالك الأبصار: ٧/١٢٦-١٣٢. الوافي: ١٢/٣٧-٣٩. مرآة الجنان: ٣/٢٩١. طبقات الفقهاء الشافعية: ٢/٧٣٧. البلغة: ٥٩-٦١. البغية: ١/٥٠٤. شذرات الذهب: ٤/٤١٠. ديوان الإسلام: ٤/١٤٦.
ومن الدراسات الحديثة عنه:
- ملك النحاة: حياته وشعره ومسائله العشر مع ردّ أبي محمد عبدالله بن برّي عليها.

(١) لم نجد له ترجمة في المطبوع من تاريخ إربل.

في النحو، مجلّد. المقتصد في التصريف، مجلّد. أسلوب الحقّ في تعليل القراءات العشر والشواذّ، مجلّد. التذكرة السفريّة، انتهت إلى أربعمائة كراسة. العروض، مجلّد. الحاكم في الفقه على مذهب الشافعيّ، مجلّدان. مختصر في أصول الفقه. مختصر في أصول الدين. المقامات حذا فيه حذو الحريريّ. ديوان شعره ومنه في مدح النبيّ (ﷺ):

لله أخلاقُ مطبوعٍ على كَرَمٍ ... ومن به تشرف العلياءُ والكرَمُ
أغرُّ أبلجُ يسمو عن مساجلةٍ ... إذا تذوكرتِ الأخلاقُ والشيَمُ
سمتْ علاكَ رسولَ الله فارتفعتْ ... عن أن يسير في إثباتٍ لها قلمُ
يا من رأى الملأ الأعلى فراعهم ... وعاد وهو على الكوثر يحتكمُ
يا من له دانت الدنيا وزخرفت الـ ... أخرى ومن بعلاه تفخر النَّسَمُ
يا من به عادَ وجه الحقِّ متضحاً ... من بعد أن ظوهرت بالباطل الظُّلم
ومن تواضع جبريل الأمين له ... ودون حقٍّ بهاه هذه القِسَمُ
علوتَ عن كلِّ مدحٍ يستفاضُ فما ... الحلال إلا الذي سموه والعظمُ
على علاك سلامُ اللهِ متصلاً ... ما شئت والصلوات الغرّ تبتسمُ

قال ياقوت: أنشدني عفيفُ الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الفضل أحمد بن عبد الوهاب المعروف بابنِ الصيرفيِّ الدمشقيِّ، قال: أنشدني فتيان بن علي بن فتيان الأسديّ النحويّ في ملك النحاة، وكانت قد عضّت يده سنّور:

عتبتُ على قِطِّ ملكِ النحاة ... وقلتُ أتيت بغير الصوابِ
عضضت يداً خلقتْ للندى ... وبَثِّ العلوم وضرب الرِّقابِ
فأعرضَ عني وقال اتئد ... أليس القطاط أعادي الكلابِ

قال: فبلغته هذه الأبيات، فغضب منها إلا أنّه لم يدرِ من قالها، ثم بلغه أني قلتها، وبلغني ذلك، فانقطعتُ عنه حياءً منه مدة، وكتبتُ إليه شعر اعتذار فيه، فكتبَ إليَّ:

يا خليليَّ نلتُـمـا النعـمـاءَ وتسنّمـتـمـا العُلى والعَـلاءَ
ألما بالشـاغـور والمسـجـد المعـمو ر واسـتـمـطِرا به الأنـواءَ
وامنحا صاحبي الذي فـيـه مني كلُّ يومٍ تحـيـةً وثـنـاءَ
ثم قـولا له اعـتـبـر بالذي فُـهْـ ـتَ به مـادحـاً فكان سـمـاءَ
وقـبلنا فـيـه اعـتـذارك عـمّـا قـاله الجـاهلون عنك افـتـراءَ

وقال فيه حسّان المعروف بالعرقلة، وكان له صديق يدعى زيداً تولى حسبة مصر، وكان أبو نزار يُكثر من ذِكر مصر:

قـد جُنُّ شـيـخي أبو نزار يذكـر مـصـر وأينَ مـصـرُ
واللـه لو حلَّـهـا لقـالوا فـقـاهِ يا زيدُ فـهـو عـمـرو

وله فيه:

قل لابن صـافي الَجـمَل سـارق علم الجُـمَلِ
صـدعتَ بالنحـو الورى رحم عـيـال الدؤلي

انتهى ما في تاريخ إربل.

وقال ياقوت: كان ملك النحاة ظريفاً مطبوعاً يحكم على أهل التمييز بحكم ملكِه، فيقبل ولا يستثقل، فيقول: هل سيبويه إلا من رعيّتي وحاشيتي، ولو عاش ابنُ جنّي لم يسعه إلا حملُ غاشيتي. قال العماد: وكان يستخفّ بالعلماء فقال إذا ذُكِرَ واحدٌ منهم، قل: كلبٌ من الكلاب. فـقـال له رجل: أنتَ إذن لستَ ملك النحـاة بل ملك الكلاب. فاستشاط غضباً، وقال: أخرجوا عني هذا الفضوليّ.

وله عشر مسائل استشكلها في العربيّة سمّاها: "المسائل العشر المتعبات إلى الحشر" وقد أجاب عنها العَلَم السخاويّ في كتابه سفر السعادة.

ورُؤيَ في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: أنشدته قصيدةً ما في الجنّة مثلها، وهي:

يا هذه اقصري عن العَذلِ فلست في الحِلِّ وَيْكِ من قبلي
يا ربِّ ها قد أتيتُ معترفاً بما جنته يداي من زَلَلِ
ملآنَ كفٍّ بكلِّ مأثمةٍ صفرَ يدٍ من محاسن العملِ
فكيف أخشى ناراً مسعَّرةً وأنت يا ربُّ في القيامةِ لي

قال: فوالله منذُ فرغتُ من إنشادها ما سمعتُ حسيسَ النارِ.

ومن شعره:

حنانيكَ إن جادتك[1] يوماً خصائصي وهالك أصناف الكلام المسخَّرِ
فسلْ منصفاً عن حالتي[2] غيرَ جائرٍ يخبرك أنَّ الفضلَ للمتأخِّرِ

وقال:

عنَّ لها أن تزورني سَحَرا فحدثوها لشقوتي سَمَرا
جارية كلّما خضعتُ لها قالت عُدِمتَ النحاة والشُّعَرا
طويلة القَدِّ واللسانِ فما أدري أأهجو أم أمدحُ القِصَرا

وقال يفتخر للعرب على العجم، أورده ابن عساكر في تاريخه:

أتنكرينَ الحقَّ أختَ دارمِ إذا أصخْتِ لمقالِ عالِمِ
سألتني عن العلى وأهلها فلم أكنْ يا هنْتا بكاتِمِ
للعرب الفخرُ القديمُ في الورى فأعرضي عن نبأ الأعاجِمِ
هم الذين سبقوا إلى الهُدى فهو لديهم قائمُ المواسِمِ
أشذَّ عن سمعي أحاديث نَدا كعب الندا وفرط جودِ حاتِمِ
وإنَّهم إن نهضوا لغارةٍ شنُّوا على أُسْدِ الشرى الضراغِمِ
ثلّوا عروشَ الفُرسِ في إسلامهم وكفرهم بكلِّ ضربٍ صارمِ

---

(١) في معجم الأدباء: راعتك. انظر: ٢/٨٦٨.
(٢) المصدر نفسه: قالتي. انظر: ٢/٨٦٨.

وزحـزحـوا كِـسـراهـم عن مُلكه　　بالمشـرفـيَّـاتِ وباللهـازِمِ
فنكست التـيـجـانُ عن رؤوسـهـا　　مـا راع من بطش ذوي العـمـائم
فـقلْ لمهـيـار انتـبـهْ من رَقـدةٍ　　أضـغـاثهـا هـازئة لحـالِمِ
بالعـرب اسـتُـوضِح نهجُ سـؤدد　　وهـم قُـدَى العـالَمِ في المكارِمِ
أعطاهـم اللـه العـلا لأنَّهـم　　قـوم النبيِّ المصطفى من هاشِمِ
فـخـرُهم باقٍ على الدهر مـا　　إن عـاد فـخـر دارس المعـالِمِ
خُصت خوافي العجم عن علاهم　　وخـذِلوا بقـصـيـر القـوادِمِ
أثنى على بيـانـهم ربُّ العلى　　فـهل لـهـذا المجـد من مـقـاوِمِ
وكلٌ من يحـتـال لانتـقـاصـهم　　يرفل في مُـرط حـسـودٍ ظالِمِ
فليـبقَ من عـاداهم مـضَلَّلا　　فـمـا لداءِ حـاسـدٍ من حـاسِمِ

ومن شعره:

يا ابنَ الذين ترفَّعوا في مجدهم　　وعلت أخامصُهم فروعَ شمامِ
أنا عـالمٌ ملِك بكسـر اللام في　　مـا أدَّعـيـه لا بفـتـحِ اللامِ

ومن أخباره، قال ياقوت: كان سمحاً جواداً يضمُّ يده على المائة والمائتين ويمشي وهو منها صفر اليدين مولعاً باستعمال الحلاوات السكَّريَّة، وإهدائها إلى جيرانه، وخلع عليه نورُ الدين محمود يوماً خلعةً سَنيَّة، فمضى إلى منزله، فرأى في طريقه حلْقةً مجموعة على تيسٍ يُخرِج الخبايان فلما وقف عليه للفرجة، قال معلِّمُ التيس: قد وقف في حلقتي رجلٌ عظيم القدرِ شاسع الذِّكر ملِك أعلمُ الناسِ وأكرمهم وأجملهم، فأرني إيَّاه. فشقَّ ذلك التيسُ الناسَ، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة، فلم يتمالك أن ألقى عليه الخلعة، فبلغ ذلك نور الدين، فعاتبه، وقال: استخفافاً فعلتَ هذا بخِلعتنا؟ فقال: عذري في ذلك واضح؛ لأنَّ في هذه المدينة زيادة على مائة ألفِ تيس، فما فيهم من عرفني إلا هذا التيس، فجازيته على ذلك. فضحك نور الدين منه.

قال ياقوت: وقال أحمد بن منير يهجو ملك النحاة، وكان قد كتب إلى بعض القضاة "القاضوي":

أيا ملكَ النحوِ والحاء من | تهجّيه من تحتُ قد أعجموها
أتانا قياسُك هذا الذي | يعجم أشياء قد أعربوها
ولما تصنّعت في القاضويّ | غدا وجه جهلك فيه وجوها
وقالوا قفا الشيخ إنّ الملوك | إذا دخلوا قرية أفسدوها

فبلغت أبياته ملك النحاة، فأجابه بأبياتٍ منها:

أيا ابنَ منيرٍ حسبتَ الهجاءَ | رتبة فخرٍ فبالغتَ فيها
جمعت القوافي من ذا وذا | وأفسدتَ أشياء قد أصلحوها
فقالوا قفا الشيخ إنّ الملوكَ | إذا أخطأتْ سُوقةٌ أدّبوها

[١١٤]*

البهاء بن النحّاس

قال الصلاح الصفديّ في تاريخه: محمد بن إبراهيم بن أبي عبدالله محمد بن أبي نصر الإمام العلاّمة حجة العرب بهاء الدين أبو عبدالله بن النحّاس الحلبيّ النحويّ شيخ العربيّة بالديار المصريّة.

ولد في سلخ جمادى الآخرة سنة سبعٍ وعشرين وستمائة بحلب، وسمع من ابن

[*] انظر ترجمته في: إشارة التعيين: ٢٨٦-٢٨٨. دول الإسلام: ٢٠١/٢. العبر: ٣٩٢/٣. معرفة القرّاء الكبار: ٧٢٩/٢. مسالك الأبصار: ٢٧٨/٧-٢٨٢. أعيان العصر: ١٩٤/٤-٢٠١. فوات الوفيات: ٢٨٩/٢-٢٩١. الوافي: ١٠/٢. غاية النهاية: ٤٦/٢. طبقات النحاة واللغويين: ٢٧-٢٨. الدليل الشافي: ٥٧٩/٢-٥٨٠. البغية: ١٣/١-١٤. درّة الحجال: ٢٦١/٢. شذرات الذهب: ١١٤/٦. روضات الجنات: ٢١٨/١-٢١٩.

اللتي، والموفق بن يعيش النحويّ، وأبي القاسم بن رواحة، وابن خليل، ووالده، وقرأ القرآن على أبي عبدالله الفارسيّ، وأخذ العربيّة عن جمال الدين بن عمرون، ورحل معه لما خربت حلبُ وقرأ القرآنَ على الكمال الضرير، وأخذ عن بقايا شيوخها، ثم جلس للإفادة، وتخرّج به جماعة من الأئمة وفضلاء الناس.

وكان من أذكياء بني آدم، وله خبرة بالمنطق، وإقليدس، وهو مشهور بالدين والصدق والعدالة مع اطّراح الكُلفة وصِغر العمامة، مشى في الليل بين القصرين بقميص وطاقية على رأسه فقط، وكان حسنَ الأخلاق فيه ظَرَفُ النحاةِ وانبساطُهم، وكان له صورة كبيرة في صدور الناس، وكان بعض القضاة إذا انفرد بشهادة حكَمه فيها وثوقاً بديانته، وكان معروفاً بحلِّ المشكلات والمعضلات، واقتنى كُتباً نفيسة كثيرة، ولم يتزوّج قط، وكان له أوراد من العبادة.

قال قطب الدين عبد الكريم: كان كثيرَ التلاوة كثيرَ الذّكر كثيرَ الصلاة ثقةً حجةً يسعى في مصالح الناس؛ حُكيَ لي عن القاضي الرئيس عماد الدين إسماعيل بن القيسرانيّ أنّه لم يأكل العنب. قال: لأنّه كان يحبّه فآثر أن يكون نصيبه في الجنّة.

ولما فرغت المدرسة المنصوريّة بين القصرين فوّض إليه السلطان المنصور تدريس التفسير بها، وكان مرتاضَ الأخلاق حتى يكون وقت الاشتغال يتنكر، وكان رُبّما سئم فقام وكمّل إلقاء الدرس للطلبة بين القصرين وهم يمشون، وكان لا يتكلّم في حلّ النحو إلا بلغة العوام لا يراعي الإعراب.

أخبرني الشيخ أبو حيّان، وعليه قرأ في الديار المصريّة: قال: كان الشيخ بهاء الدين والشيخ محيي الدين محمد بن عبد العزيز الماروي المقيم بالإسكندريّة شيخي الديار المصريّة، ولم ألقَ أحداً أكثرَ سماعاً منه لكتب الأدب، وانفرد بسماع صِحاح الجوهريّ، وكان كثيرَ العبادة والمروءة والترحّم على من مات من أصحابه لا يكاد يأكل شيئاً وحدَه، ينهى عن الخوض في العقائد، وله تردّد إلى من ينتمي إلى الخير، وولي التفسير بجامع ابن طولون وبالقبة المنصوريّة، وله تصدير في الجامع الأقمر، وتصادير

بمصر، ولم يصنِّف شيئاً إلا ما وجدناه من إملائه على الأمير سنان الدين الروميّ شرحاً لكتاب المقرّب لابن عصفور، وذلك من أول الكتاب إلى باب الوقف أو نحوه.

توفي يوم الثلاثاء السابع من جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة.

وكنتُ وإياه نمشي بين القصرين، فعبر علينا صبيّ جميل، وكان مصارِعاً، فقال الشيخ بهاء الدين: لننظم كلٌّ منا في هذا المصارع، فنظم الشيخ بهاء الدين:

مصارعٌ تصرع الآسادُ سمرتُه ... تيهاً فكلّ مليحٍ دونه هَمَجُ
لما غدا رُاجحاً في الحسنِ قلتُ لهم ... عن حسنه حدِّثوا عنه ولا حرَجُ

ونظم الشيخ أبو حيّان:

سباني جمالٌ من مليح مُصارعٍ ... عليه دليلٌ للملاحةِ واضحُ
لئن عزَّ منه المثل فالكلُّ دونه ... وإن خفَّ منه الخصرُ فالردفُ راجحُ

قال الصلاح الصفديّ: أما قول الشيخ بهاء الدين فإنَّه منحطّ، ما أتى فيه من مصطلح القوم إلا بلفظة "راجح" لا غير، وأما قول الشيخ أبي حيّان فإنَّه الغاية لأنَّه أتى بلفظ المثل والدون والراجح.

وأنشدني الشيخ أبو حيّان، قال: أنشدني الشيخ بهاء الدين لنفسه يخاطب الشيخ رضيّ الدين الشاطبيّ، وقد كلَّفه أن يشتري له قَطراً:

أيُّها الأوحد الرضيّ الذي طا ... ل علاءً وطاب في الناسِ نَشْرا
أنتَ بحرٌ لا غروَ إن نحنُ وافيـ ... ـناك راجين من نَداك القَطرا

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه يرثي الشيخ أحمد المصريّ النحويّ:

عزاؤك زينَ الدين في الفاضل الذي ... بكتْه بنو الآداب مَثنى وموحَدا
فهم فقدوا منه الخليلَ بن أحمدٍ ... وأنتَ ففارقتَ الخليلَ وأحمدا

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه مما يكتب على منديل:

ضاعَ مني خصرُ الحبيبِ نحولا ... فلهذا أُضحي عليه أدورُ

لطفتْ خِـرقــتـي ودقّت فــجلّت ... عن نظيـرٍ لما حَكَتـهـا الخـصـورُ
أكــتـمُ الســرُّ عن رقــيبٍ لهــذا ... بي يُخــفـي دمــوعَــه المهــجــورُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه:

إنـي تركـتُ لذي الورى دُنيــــاهـم ... وظللـتُ أنـتظرُ الممــــاتَ وأرقـبُ
وقطعتُ في الدنيا العلائقَ ليس لي ... ولدٌ يموتُ ولا عــقــــارٌ يخـــربُ

وأنشدني الشيخ نجم الدين الصفديّ، قال: أنشدنا المذكور لنفسه:

قـلتُ لما شـــــرّطوه وجـــــرى ... دمــه القـاني على الخـدِّ اليـقـقْ
ليس بدعـــاً مـــا أتوا في فـــعله ... هـو بدرٌ ســـتـــروه بالشــــفقْ

وكتب الشيخ بهاء الدين الخطَّ الفائق المنسوب، وقرأ عليه الجماعة كلّهم من أهل عصره في مصره، وقرأ عليه الشيخ شمس الدين الذهبيّ جزء شيء(١)، وغالب روايات الشيخ أبي حيّان كُتب الأدب عنه.

وأخبرني الشيخ نجم الدين الصفديّ أنّه كان يحفظ ثلث صِحاح الجوهريّ. انتهى ما ذكره الصلاح في تاريخه.

رأيتُ بخطِّ الإمامِ محيي الدين عبد القادر القرشيّ الحنفيّ في تذكرته، قال: رأيتُ بخطِّ شيخنا أبي الفتح بن سيد الناس، قال: رأيتُ في تعاليق بخطِّ شيخنا الإمام العلامة بهاء الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن النحّاس الحلبيّ النحويّ، قال: كتبتُ لصاحبنا الإمام العالمِ أبي عمرو بن سيد الناس صدرَ كتاب:

يُثني عليكَ لســـــانه وبنانه ... ويودّ لو مــعك انقــضت أزمــانُهُ
يشـتـاق منك فـضـائلاً مـا مـثلها ... إلا الغــمــام مــواصِــلاً هتّــانُهُ

فكتبَ إليَّ صدرَ جوابه:

بهــــاء الدين للدنيـــا قـــوامٌ ... إمـــامٌ في العلوم بلا امـــتــراء

(١) في أعيان العصر: جزأين. انظر: ٤/٢٠١.

فــقــد ســافــرتهــا شــرقــاً وغــرباً فلم أبصـــرْ بهـــا مـــثلَ البـــهـــاءِ

وقال الصلاح الصفديّ في تذكرته: أنشدني الشيخ أثير الدين أبو حيّان إجازة للشيخ بهاء الدين بن النحّاس:

قــالوا حــبــيبك قــد تبــدّى شــيــبُــه فــــإلامَ قلبك فــي هــواه يــهــــيــمُ
قلت اقــصــروا فــالآن تمُّ جــمــاله وبدا ســِــفـــاه فـــتى عليـــه يلومُ
الصــــبح غـــرته ونلت عـــذاره ليل وشــعــر الشــيب فــيــه نجــومُ

[١١٥]*
هشام

ابن معاوية الضرير، يكنى أبا عبدالله.

قال ياقوت: قال المرزبانيّ: من أهل الكوفة، وأحد أعيان أصحاب الكسائيّ، مات في سنة تسعٍ ومائتين، وله من التصانيف: مختصر في النحو. كتاب القياس. كتاب الحدود.

قال وكيع في الغرر: أنشدني أحمد بن زهير أنشدتني ملَك جارية هشام الضرير النحويّ:

قــابلتَ بالحــزنِ صــبري كي يقومَ به فــجــارَ حــزني على صــبري فــأفناهُ

---

[*] انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين: ١٣٤. الفهرست: ١١٠. نور القبس: ٣٠٢. نزهة الألباء: ١٢٩-١٣٠. معجم الأدباء: ٢٧٨٢/٦. إنباه الرواة: ٣/٢٦٤-٢٦٥. إشارة التعيين: ٣٧١. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٠١-٢١٠): ٧٤٨. نكت الهميان: ٣٠٥. البلغة: ٢٧٩. البغية: ٢/٣٢٨. روضات الجنات: ٨/١٩٤.

[١١٦]*

ابن عبد الوارث

هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث.

قال ياقوت: وهو ابن أخت أبي علي الفارسيّ، وعن خاله أخذ علم العربيّة، وطوّف البلاد، ونزل بنيسابور دفعات، وأملى بها من الأدب والنحو ما سارت به الرُّكبان، ووزر لبعض الملوك، ثم جاور بمكة، ثم قطن جرجان إلى أن مات بها في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، وقرأ عليه أهلها، ومنهم عبد القاهر الجرجانيّ، وليس له أستاذ سواه، وللصاحب أبي القاسم بن عبّاد إليه مكاتبات معروفة.

ولأبي الحسين كتاب في الهجاء، وكتاب ماهية الشعر.

وحضر يوماً عند رئيس، فسأله أن يجيز قول الشاعر:

سرى يخبط الظلماء والليل عاكفٌ ... حبيبٌ بأوقات الزيارة عارفُ

فقال أبو الحسين:

وما خلتُ أنَّ الشمسَ تطلع في الدجى ... ولا خلتُ أنَّ الوحشَ للإنس آلفُ
ولجلج إذ قال السلام عليكم ... ولا عجب إنْ لجلج القولَ حالفُ
وقمتُ أفدِّيه وقلبي كأنَّه ... من الرعب مقصوص من الطير جارفُ
ولما سرى عنه اللثام بدت له ... محاسن وجهٍ حسنُه متناصِفُ
وطال تناجينا ورقَّ حديثنا ... ودارت علينا بالرحيق المراشفُ
ولا غرو إلا باقل بخياله ... يسامحنا في وصله ويجازفُ
فيا لك ليلاً قد بلغت به المنى ... يدافعني طوراً وطوراً يساعفُ

[*] انظر ترجمته في: يتيمة الدهر: ٤/٤٤٤-٤٤٩. نزهة الألباء: ٢٥١-٢٥٢. معجم الأدباء: ٦/٢٥٢٣-٢٥٢٤. إنباه الرواة: ٣/١١٦-١١٧. المحمدون: ٢٣٤. الوافي: ٣/٩، وفيه أن اسمه محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالوارث. طبقات النحاة واللغويين: ١٠٧-١٠٨. البغية: ١/٩٤.

كـــأن يد اليـــام فـــينا بوصله أيادي ابن حسّان لدى السـوالف
إذا ادّخـر الأمـوال قـومٌ فـذخـره صنائع إحـســـانٍ له وعــوارفُ

وله أيضاً:

ولا غـصنَ إلا مـا حـواه قـبـاؤه ولا دعصَ إلا مـا خَـبَـتـه مـآزرُهْ
وأمضى من السيف المنوط بخصره إذا شيم سيفٌ تنتضيه محـاجرُهْ

ومن شعره في وصف فرس:

ومُطَهَّمٍ مـا كنتُ أحسبُ قـبله أن السروجَ على البـوارق توضعُ
وكـأنَّمـا الجـوزاء حين تصـوَّبتْ لَبَبٌ عليــه والثـريا بُرقـعُ

[١١٧]*

الواحديّ

أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي.

قال ياقوت: أصلهم من ساوة، وكان هو وأخوه عبد الرحمن من أولاد التجّار، فاشتغل بالعلم وحدَّث، وكان إماماً مفسِّراً نحوياً، أنفق أيام صِباه في التحصيل، وأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأمة، وقرأ على أحمد بن محمد أبي الفضل العروضيّ الأديب صاحب أبي منصور الأزهريّ، وأخذ النحو عن أبي الحسن

[*] انظر ترجمته في: معجم الأدباء: ٤/١٦٥٩-١٦٦٤. الكامل في التاريخ: ٨/٤٦٨. إنباه الرواة: ٢/٢٢٣-٢٢٥. إشارة التعيين: ٢٠٩. تاريخ الإسلام: (وفيات ٤٦١-٤٧٠): ٢٥٧-٢٦٠. دول الإسلام: ٢/٤. العبر: ٢/٣٢٤. طبقات الشافعية الكبرى: ٥/٢٤٠-٢٤٣. غاية النهاية: ١/٥٢٣. البغية: ٢/١٤٥. طبقات المفسِّرين (السيوطي): ٦٦-٦٧. طبقات المفسِّرين (الداودي): ١/٣٩٤-٣٩٦. مفتاح السعادة: ٢/٥٧-٥٨. شذرات الذهب: ٤/١٩-٢٠. ديوان الإسلام: ٤/٣٧٢-٣٧٣. طبقات المفسِّرين (الأدنه وي): ١٢٧-١٢٨. روضات الجنات: ٥/٢٤٤-٢٤٦.

الضرير القُهُنْدزيّ، ودأبَ في العلوم، وسافر في طلب الفوائد، ولازم مجلسَ الثعالبيّ، وحصَّل من عنده التفسير، وأخذ القراءات عن الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستيّ، والأستاذ أبي عثمان سعيد بن محمد الجيليّ، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسيّ، وقد ذكر في مقدمة تفسيره "البسيط" أشياخَه، وما قرأه عليهم.

وسمع أبا طاهر بن محمد الزياديّ، وأبا بكر أحمد بن الحسن الحيريّ، وأبا إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، وخلقا غيرهم روى عنهم مثل أحمد بن عمر الأرغيانيّ، وعبد الجبّار بن محمد الخوارزميّ، وطائفة من العلماء، وقعد للإفادة والتدريس سنين، وتخرّج به طائفة من الأئمة.

وكان عديمَ النظير في وقته حتى كان الغزاليّ يقول: من أراد أن يسمع التفسير كأنَّه من فم رسول (ﷺ) فعليه بتفسير الواحديّ.

ومن تصانيفه: البسيط، والوسيط، والوجيز، كلّ ذلك في تفسير القرآن، وقد قيل للغزاليّ لما صنَّف كتبه المعروفة: ما عملتَ شيئاً؛ أخذت الفقه من نهاية المطلب لإمام الحرمين، وأسماء الكتب من الواحديّ. وله كتاب أسباب النزول، وكتاب الدعوات والفصول، وكتاب المغازي، والتحبير في شرح الأسماء الحسنى، وكتاب تفسير النبيّ (ﷺ)، وكتاب الإغراب في الإعراب، وكتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف، وشرح ديوان المتنبي وعَدَّ الناس ذلك من معاداة المتنبي.

توفي الواحديّ في جمادى الآخرة بنيسابور سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة.

ومن شعره:

تشوّهت الدنيا وأبدت عوارها ... وضاقت عليَّ الأرضُ بالرحب والسعةْ
وأظلمَ في عيني ضياء نهارها ... لتوديع من قد بان عني بأربعةْ
فؤادي وعيشي في المسرة والكرى ... فإن عاد عاد الكلّ والإنس والدعةْ

قال أبو سعد السمعانيّ في كتاب التذكرة: كان الواحديّ حَقيقاً بكلِّ احترام

وإعظام، لكن كان فيه بسط اللسان في الأئمة المتقدمين حتى سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن يسار بنيسابور مُذاكرةً يقول: كان علي بن أحمد الواحديّ يقول: صنَّف أبو عبد الرحمن السلميّ كتاب حقائق التفسير، ولو قال إنَّ ذلك تفسير القرآن لكفر به.

قال ياقوت: وذكره الحسن بن المظفَّر النيسابوريّ في كتاب وصلة اليتيمة، فقال: أبو الحسن علي بن أحمد الواحديّ النيسابوريّ هو الذي قِيل فيه:

قد جُمِع العَالَم في واحدِ ... عالِمِنا المعروف بالواحدي

قال: ومن غُرر شعره:

أيا قادماً من طوسَ أهلا ومرحبا ... بقيتَ على الأيام ما هبَّتِ الصَّبا

لعمري لئن أحيا قدومكَ مُدنَفاً ... بحبِّكَ صباً في هواك معذَّبا

يظلُّ أسيرَ الوجدِ نَهْبَ صبابةٍ ... ويمشي على جمر الغضا متقلِّبا

فكم زفرةٍ قد هجتها لو زفرتها ... على سدٍّ ذي القرنينِ أمسى مُذَوَّبا

وكم لوعةٍ قاسيتُ يومَ تركتني ... ألاحظ منكَ البدرَ حين تغيَّبا

وعاد النهارُ الطَّلْقُ أسودَ مظلماً ... وعاد سنا الإصباح بعدكَ غيهبا

وأصبح حُسنُ الصبرِ عني ظاعناً ... وحدَّدَ نحوي البين ناباً ومخلبا

فأقسمُ لو أبصرتَ طرفي باكياً ... لشاهدتَ دمعاً بالدماء مخضَّبا

مسالكُ لهوٍ سدَّها الوجدُ والجوى ... وروضُ سرورٍ عاد بعدكَ مجدبا

فِداؤكَ روحي يا ابن أكرمِ والدٍ ... ويا مَنْ فؤادي غير حُبَّيه قد أبى

[١١٨]*

يونس

ابن حبيب الضبّيّ النحويّ البصريّ، يكنى أبا عبد الرحمن.

قال الداني في طبقات القُرّاء: روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، وروى عنه الحروف إبراهيم بن الحسن التبّان.

قال البخاريّ: هو أبو عبد الرحمن، سمع زياد بن عثمان بن زياد بن أبي سُفيان.

وقال القتبيّ:هو مولى لبني ضَبّة. وقال غيره: كان من أهل جُبُّل. قال القُتبيّ: مات سنة اثنتين وثمانين ومائة ابنَ ثمانٍ وثمانين سنة.

وقال أبو الطيب: حدثنا جعفر بن محمد أخبرنا علي بن سهل بن شاذان سمعتُ أبا حاتم يقول: سمعتُ أبا عبيدة يقول: اختلفتُ إلى يونس أربعين سنة أملأ كلَّ يومٍ الواحي من حفظه. وكان النحو أغلب عليه، ودخل المسجد يوماً وهو يُهادى بين اثنين من الكِبَر، فقال له رجل يتهمه على مودته: وبلغتَ ما أرى؟ قال: هو الذي ترى فلا بُلِّغْتَه.

قال أبو الطيب: وقد أخذ يونس عن أبي عمرو وغيره، وكان شديد الاختصاص برؤبة.

وقال السيرافيّ: وأما يونس بن حبيب فإنّه بارع في النحو من أصحاب أبي عمرو بن العلاء، وقد سمع من العرب، وروى عنه سيبويه وأكثرَ، وله قياس في النحو ومذاهبُ ينفرد بها، وقد سمع منه الكسائيّ والفرّاء. كانت له حلقة بالبصرة بها أهل العلم وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية.

---

[*] انظر ترجمته في: المعارف: ٥٤١. مراتب النحويين: ٤٤-٤٧. الثقات: ٩/٢٩٠. أخبار النحويين البصريين: ٥١. طبقات النحويين واللغويين: ٥١-٥٣. نور القبس: ٤٨-٥٥. نزهة الألباء: ٤٧-٥٠. إنباه الرواة: ٤/٧٤-٧٨. إشارة التعيين: ٣٩٦-٣٩٧. تاريخ الإسلام: (وفيات ١٨١-١٩٠): ٤٨٠-٤٨١. الجرح والتعديل: ٩/٢٣٧. الوافي: ١٧٧-١٧٩. غاية النهاية: ٢/٤٠٦. البغية: ٢/٣٦٥. طبقات المفسّرين (الداودي): ٢/٣٨٥. شذرات الذهب: ١/٤٨٢.

روى الأصمعيّ عن يونس، قال: قال لي رؤبة بن العجّاج: حَتّامَ تسألني عن هذه البواطيل وأزخرفها لك؟ أما ترى الشيبَ قد بلغ في لحيتك؟

وذكر عمر بن شبّة عن خلاد بن يزيد عن يونس النحويّ، قال: ثلاثة والله أشتهي أن أُمَكَّنَ من مناظرتهم يوم القيامة: آدم عليه السلام، فأقول له: قد مكّنك الله عزّ وجلّ من الجنّة، وحرّم عليك شجرة، فقعدت لها حتى ألقيتنا في هذا المكروه. ويوسف عليه السلام، أقول له: كنتَ بمصر وأبوك بكنعان بينك وبينه عشرة مراحل يبكي عليك حتى ابيضّت عيناه، لِمَ لَمْ ترسل إليه؛ إني في عافية وتريحه مما كان فيه من الحزن. وطلحة والزبير، أقول لهما؛ علي بن أبي طالب بايعتماه بالمدينة وخلعتماه بالعراق؛ لِمَ؟ أيُّ شيءٍ أحدثَ؟ انتهى.

وقال ابن الأنباريّ: قال ثعلب: جاوز يونس المائة، وقيل: عاش ثمانياً وثمانين سنة، ومات سنة ثلاثٍ وثمانين ومائة.

وقال القالي في أماليه[1]: حدثنا أبو بكر بن دُريد حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس، قال: كنتُ عند أبي عمرو بن العلاء، فجاءه شُبَيل بن عروة الضُّبَعيّ، فقام إليه أبو عمرو، فألقى له لبدة بغلته، فجلس عليها، ثم أقبل عليه يحدّثه، فقال شُبَيل: يا أبا عمرو، سألتُ رؤبتكم هذا عن اشتقاق اسمه، فما عرفه. قال يونس: فلما ذكر رؤبة لم أملك نفسي، فرجعتُ إليه، ثم قلتُ له: لعلّك تظنُّ أنَّ مَعَدَّ بن عدنان أفصح من رؤبة وأبيه، فأنا غلام رؤبة، فما الرُّوبة، والرُّوبة، والرؤْبة، والرُّؤْبة، والرُّؤَبة؟ فلم يحر جواباً، وقام مغضباً، فأقبل عليّ أبو عمرو، وقال: هذا رجلٌ شريف يقصد مجلسنا ويقضي حقوقنا، وقد أسأتَ فيما واجهته به. فقلتُ له: لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة.

ثم فسّر لنا يونس، فقال: الروبة: خميرة اللبن، والرُّوبة: قطعة من الليل، وفلان لا يقوم بروبة أهله: أي بما أسندوا إليه من أمورهم، والروْبة جمام ماء الفحل، والرؤْبة مهموزة القطعة تدخلها في الإناء تشعب بها الإناء.

---

(١) الأمالي: ١/٧٤.

وحدثنا[1] أبو حاتم عن الأصمعيّ، قال: سمع يونس رجلاً ينشد:

استودَعَ العلمُ قرطاساً فضَيَّعه   وبئسَ مستودعُ العلمِ القراطيسُ

فقال: قاتله الله، ما أشدُّ ضنانته بالعلم، وصيانته للحفظ! إنَّ علمك من روحك، ومالك من بدنك، فصُن علمك صيانتك روحك، ومالك صيانتك بدنك.

وقال القالي: حدثنا أبو الحسن حدثنا محمد بن يزيد عن أبي المحلَّم، قال: أنشدتُ يونسَ أبياتاً من رجز، فكتبها على ذراعه، ثم قال لي: إنَّك لَجَيَّاءٌ بالخير.

وقال وكيع في الغُرر: حدثني محمد بن أبي علي حدثني سليمان بن عيَّاذٍ حدثني محمد بن مناذر، قال: كنا عند يونس، فأتاه مروان بن أبي حفصة، فقال: يا أبا عبد الرحمن، ما تقول في قول زهير:

فبِتنا عُراةً عند رأسِ جوادنا   يقاتلنا عن رأسه ونقاتلهْ

فقال يونس: عراة ليس عليهم ثياب. فقال: ما صنعت شيئاً. ثم أدارها على القوم، فكلُّهم يقول بقوله، فقال لي: ما تقول يا فتى؟ فقلتُ: عراة من العُرواء. قال: أصبتَ.

في شرح الكامل لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد البَطليوسيّ: حكى التوزيَّ عن أبي عبيدة أنَّ جعفر بن سليمان قدم من عند المهديّ، فبعث إلى يونس بن حبيب، فقال: إني وأمير المؤمنين اختلفنا في قول الفرزدق:

والشيبُ ينهضُ في السواد كأنَّه   ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

فما الليلُ والنهار فيه؟ فقال يونس: الليل الليل بالذي عُرِف، والنهار النهار الذي تعرف. فقال جعفر: زعم المهدي أن الليل فرخ الكَروان، والنهار فرخ الحُبارى. قال أبو عبيدة: والقول عندي ما قاله يونس، ويذهب قوم إلى أنَّ المراد بالصياح في البيت انصداع الفجر من قولهم: انصاح النبتُ إذا انشقَّ، كما قال أوس:

وأصبح الروضُ والقِيعانُ مُترَعةً   من بين مُرْتَتِقٍ منها ومنصاحِ

(١) الأمالي: ١/٢٦٩.

وقوم يجعلونه الصياح الذي هو الدعاء، وهو الصحيح. وهنا مجاز واستعارة لأنَّ النهارَ لما كان آخذاً في الإقبال، وكان الليل آخذاً في الإدبار شَبَّهوا النهار باللازم الذي من شأنه أن يصيح على الملزوم، كما قال الشمَّاخ:

ولاقت بأرجاء البسيطة ساطعاً   من الصبح لما صاح بالليل نَفرا

وقال البيهقيّ في شعب الإيمان[1]: أخبرنا أبو جعفر المستملي أخبرني محمد بن يحيى الناقد حدثنا العباس بن أحمد بن العباس الأصبهانيّ حدثنا إبراهيم بن ناصح سمعتُ النضر بن شُميل يقول: كنا نأتي يونس بن حبيب النحويّ، فنسأله عن غريب الحديث، فحدثته بهذا الحديث، فقلت: حدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول (ﷺ) يا أبا هريرة، زُرْ غبّاً تزددْ حُبّاً. فأنشدَنا يونسُ بن حبيب في هذا المعنى:

اغبب زيارتك الصديق   يراك كالثوب استجدّهْ

إنَّ الصديقَ يملّه   أن لا يزال يراك عندهْ

وقال[2]: سمعتُ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان يقول: سمعتُ والدي يقول سمعتُ بعضَ أهلِ الأدب يقول عن أبي حاتم عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: سئل يونس بن حبيب النحويّ عن المَثَلِ المشهورِ "كمُجير أم عامر" فقال: خرج فتيان من العرب للصيد، فأثاروا ضبعاً ففلتتْ من أيديهم، ودخلت خِباء لبعض العرب، فخرج إليهم، فقال: والله لا تصلون إليها وقد استجارت بي. فخَلّوه وإياها، فلما انصرفوا عمد الرجل إلى خبز وسمن ، فثَرده وقرَّبه إليها، فأكلت حتى شبعت، وتمددت في جانب الخِباء، وغلبَ الأعرابيَّ النومُ، فلما استثقلَ وثبت إليه، فقرضتْ حَلْقَه وبقرت بطنَه وأكلت حشوته وخرجت تسعى، وجاء أخو المقتول، فلما نظر إليه أنشأ يقول:

---

(١) شعب الإيمان: ٦/٣٢٦-٣٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ٧/٤٥٣.

ومن يصنعِ المعروفَ في غيـر أهله ... يُلاقِ الذي لاقى مُـجيرُ امِّ عـامـرِ
أعدُّ لهـا لما اسـتـجـارت ببيـتـه ... قـراها من البـان اللقـاح الغـرائرِ
فـأشـبـعـهـا حـتى إذا مـا تمَلأت ... فَـرَتْه[1] بأنيــابٍ لهــا وأظافــرِ
فقل لذوي المعروف هذا جـزاء من ... يجـود بمعـروفٍ إلى غـيـر شـاكـرِ

وقال البيهقيّ[2]: أخبرنا أبو ذرّ الهرويّ أخبرنا عمر بن أحمد الواعظ ببغداد، وأبو مسلم الكاتب بمصر قالا: حدثنا أبو بكر بن دُريد حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس، قال: كان في محراب غمدان بصنعاء ثلاثة أسطر مكتوب في صدره: سلِّط السكوتَ على لسانكَ إن كانت العافيةُ من شأنكَ. وفي الجانب الأيمن: السلطان نارٌ فانصرف عن مكافحتها. وفي الجانب الأيسر: ولِّ الثكلَ[3] أمَّ غيرك.

وقال وكيع في الغُرر: حدثني محمد بن سعد بن الحسن الكُرانيّ حدثني إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضي، قال: كلَّم يونس بن حبيب النحويّ أبي في حاجة، فأبطأ عليه، فقعد له يوماً على الطريق، فقال:

وتغـــزلُ يوم تغـــزِل لا يســـاوي ... صنيـعك في صـديقكَ نصفَ مُـدِّ

فقضى أبي حاجته، فقعد له يوماً آخر، فلما مرَّ به، قال:

ومـا اسـتـجنأتَ في رجلٍ خَـبيـئاً ... كَدَين الصـدق أو حـسنِ العـتيقِ
ذوو الأحســاب أكرمُ مـخـبـراتٍ ... وأصــبـرُ عند نائبــة الحـقــوقِ

وأخرج ابن عساكر[4] من طريق أبي القاسم الزّجّاجيّ: حدثنا محمد بن الحسن بن دُريد حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ سمعتُ يونس بن حبيب يقول: سمعتُ رجلاً

---

(١) في شعب الإيمان: فرطه. انظر: ٧/٤٥٣.
(٢) المصدر نفسه: ٧/٥٠.
(٣) في المصدر نفسه: ولِّ الكلام غيرك. انظر: ٧/٥٠.
(٤) تاريخ دمشق: ٣٤/٢٠٣.

ينشدُ:

استودَعَ العلمُ قرطاساً فضَيَّعه — وبئسَ مستودعُ العلمِ القراطيسُ

فقال: قاتله الله، ما أشدَّ صيانته للعلم، وصيانته للحفظ! علمك من روحك، ومالك من بدنك، فصُن علمَك صيانتك روحك، ومالك صيانتك بدنك.

وأخرج ابن عساكر[1] من طريق أبي بكر بن دُريد، قال: أنشدَنا التوزيّ عن أبي عبيدة عن يونس:

خُلقانِ لا أرضى فعالهما — تيه الغنى ومَذلّة الفقرِ
فإذا غنيتَ فلا تكن بَطِراً — وإذا افتقرتَ فَتِهْ على الدّهرِ
واصبرْ فلستَ بواجدٍ خُلقاً — أدنى إلى فرجٍ من الصبرِ

في كتاب معاني مشكل القرآن: قال يونس: قال لي ابنُ أبي إسحاق: العربيّةُ بعضُها آخذٌ برقاب بعضٍ.

وأخرج أبو الفرج الأصبهانيّ في الأغاني[2] عن أبي عبيدة، قال: جاء رجل إلى يونس، فقال له: مَن أشعرُ الثلاثة؟ قال: الأخطل. قلنا: مَن الثلاثة؟ قال: أيّ ثلاثة ذُكِروا فهو أشعرهم. قلنا: عمّن تروي هذا؟ قال: عن عيسى بن عمر، وابن أبي إسحاق الحضرميّ، وأبي عمرو بن العلاء، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن الذين ماشوا الكلام وطرقوه لا كأصحابكم هؤلاء لا نحويون ولا بدويون. فقلت للرجل: سَلْه؛ وبأيّ شيءٍ فضّلوه؟ قال: فإنّه كان أكثرهم عددَ طوال جِياد ليس فيها سقط ولا فحش، وأشدّهم تهذيباً للشعر. فقال أبو وهب الدقّاق: أما إنَّ حمّاداً وجِناداً كانا لا يُفَضّلانه. فقال: وما حمّاد وجناد؟ لا نحويان ولا بدويان ولا يبصران الكسور ولا يُفصحان، أنا أحدثك عن أبناء تسعين أو أكثر أدّوا إليَّ أمثالهم، ماشوا الكلام وطرقوه حتى وضعوا أبنيته، فلم

(١) تاريخ دمشق: ٥٩/٤٢٥.
(٢) الأغاني: ٨/٢٩٣-٢٩٤.

يَشذَ عنهم زنة كلمة، وألحقوا السليم بالسليم، والمضاعف بالمضاعف، والمعتل بالمعتل، والأجوف بالأجوف، وبنات الياء بالياء، وبنات الواو بالواو، فلم تخفَ عنهم كلمةٌ عربيّة، وما علم حمّاد وجناد؟

وقال الزبيديّ في طبقاته: قال أبو عبيدة: لم يكن عند يونس علمٌ إلا ما رآه بعينه.

وقال أبو الحطّاب زياد بن يحيى: مَثَلُ يونس مثَلُ كوز ضيّق الرأس لا يدخله شيء إلا بعُسر، فإذا دخله لم يخرج منه. يعني لا ينسى.

وقال أبو زيد النحويّ: ما رأيتُ أبذلَ للعلم من يونس.

وقال يونس: ما بكتِ العربُ شيئاً ما بكت الشباب، وما بلغتْ كُنهه.

وقال يونس: ليسَ لحاقنٍ ذُكاء.

وقال ابن سلاّم: سمعتُ يونس يقول: إنّما سُميت اللمة لمة لأنّها ألمّت بالأذنين.

قال ابن سلاّم: وسأل بكّار بن محمد يونسَ، فقال: ما العَجيز من الرجال؟ قال: لا أعرفه. قال: فما المَليخ؟ قال: إذ جئت بالمليخ، فالعجيز الذي لا يأتي النساء، والمليخ الذي لا يولد له. انتهى.

وفي تعاليق أبي علي الآمديّ: قال المبرِّد: سئل يونس عن شاعرين حَيين، فقال: نحن لا نقضي بين الشعراء الأحياء، إنّما نقضي بين الشعراء الموتى؛ لأنّا نخاف الهجاء.

[١١٩]*

اليزيديّ

يحيى بن المبارك بن المغيرة العدويّ مولى عديّ بن عبد مناف بن تميم من الرباب.

قال الداني في طبقات القُرّاء: نحويّ بصريّ، سكن بغداد، يكنى أبا محمد، أخذ القراءة عرضا عن أبي عمرو بن العلاء، وهو الذي خلَفَه في القيام بالقراءة، وسمع عبد الملك بن جريج.

روى القراءة عنه أولاده: محمد وعبد الله وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وابن ابنه أحمد بن محمد، وأبو عمر الدوريّ، وأبو شعيب السوسيّ، وأبو حمدون الطيب بن إسماعيل، وعامر بن عمر الموصليّ، وأبو خلاّد سليمان بن خلاّد، ومحمد بن سعدان، وأحمد بن جبير، ومحمد بن شجاع، وأبو أيوب الخياط، وأحمد بن واصل، ومحمد بن عمر الروميّ، والجصّاص بن أشعث، وجعفر المعروف بغلام سجادة، وأبو حمزة الواعظ. وسمع منه الغريب وروى عنه الحروف أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وقد خالف أبا عمرو في أحرفٍ يسيرة اختارها لنفسه.

وأخطأ القُتبيّ في اسمه، فقال: عبد الرحمن بن المبارك(١).

وقال: أحمد بن عبد الرحمن الوليّ: إنّما سُميَ اليزيديّ لصحبته يزيد بن منصور خال المهدي، ولم يكن يزيدياً إنّما كان عَدوياً. ومحله من الصدق ومنزلته من الثقة لعدة من شيوخنا بعضهم أهل عربية، وبعضهم أهل قرآن وحديث، فقالوا: ثقة صَدوق لا يُدفع عن سماع ولا يُرغَبُ عنه في شيء غير ما يتوهّم عليه من الميل إلى المعتزلة، وقد

---

[*] انظر ترجمته في: المعارف: ٥٤٤. مراتب النحويين: ١٥٥. طبقات النحويّين واللغويين: ٦١-٦٦. الفهرست: ٢٦٦. تاريخ بغداد: ١٤/١٥٢-١٥٣. نزهة الألباء: ٦٩-٧٢. معجم الأدباء: ٦/٢٨٢٧-٢٨٢٩. إنباه الرواة: ٤/٣١-٣٩. تاريخ الإسلام: (وفيات ٢٠١-٢١٠): ٤٥٠-٤٥٢. دول الإسلام: ١/١٢٦. العبر: ١/٢٦٤. معرفة القراء الكبار: ١/١٥١-١٥٢. غاية النهاية: ٢/٣٧٥-٣٧٧. البغية: ٢/٣٤٠. مفتاح السعادة: ٢/٣٠. شذرات الذهب: ٢/٧٢. ديوان الإسلام: ٤/٤٠٦.

(١) المعارف: ٥٤٤.

روى عنه الغريب أبو عبيد، وكفى به، وما ذاك إلا عن معرفة منه به.

توفي اليزيديّ بمرو سنة اثنتين ومائتين. وقيل أنّه مات بالبصرة. والأول أصحّ.

وقال ابن المنادي: قيل إنّه بلغ من السن دون المائة بأعوام يسيرة، وحدثني عبدالله بن أحمد الكُتبيّ، قال: حدثنا محمد بن أبي علي النحويّ، قال: كان اليزيديّ مؤدب المأمون، وخرج معه إلى خراسان وتوفي بها.

وقال الكمال أبو البركات الأنباريّ في طبقات الأدباء في ترجمته: أبو محمد اليزيديّ المقرئ صاحب أبي عمرو بن العلاء مولى لبني عَدي بن عبد مناف، وإنّما قيل له اليزيديّ؛ لأنّه صحب يزيد بن منصور خال المهدي يؤدب ولده، فنسب إليه، ثم اتصل بالرشيد، فجعله مؤدب المأمون، وكان الكسائيّ مؤدب أخيه الأمين، وكان عالماً باللغة والنحو وأخبار الناس، ولم يكن في النحو في طبقة الخليل وسيبويه والأخفش.

وكان قد أخذ علم العربيّة عن أبي عمرو بن العلاء، وعبدالله بن أبي إسحاق الحضرميّ، والخليل بن أحمد. وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ، وغيرهما.

وقال أبو حمدون الطيب بن إسماعيل: شهدت ابنَ أبي العتاهية وقد كتب عن أبي محمد اليزيديّ قريباً من ألف جلدٍ عن أبي عمرو بن العلاء خاصة - يكون ذلك نحو عشرة آلاف ورقة؛ لأنّ تقدير الجلد عشر ورقات - وأخذ عن الخليل من اللغة أمراً عظيماً، وأخذ عنه العروض إلا أنّ اعتماده على أبي عمرو بن العلاء لسعة علم أبي عمرو باللغة.

وكان اليزيديّ يعلّم بحذاء دار أبي عمرو، وكان أبو عمرو يميل إليه ويُدنيه لذكائه.

وكان اليزيديّ صحيحَ الرواية ثقةً صدوقاً، وألّف من الكتب: كتاب النوادر في اللغة على مثال نوادر الأصمعيّ الذي عمله لجعفر بن يحيى، وألّفَ كتاب المقصور والممدود، ومختصراً في النحو، وكتاب النقط والشكل، وغير ذلك.

وكان في أيام الرشيد مع الكسائيّ ببغداد في مسجدٍ واحدٍ يُقرئان الناس.

قال الأثرم: دخل اليزيديّ يوماً على الخليل وعنده جماعة وهو جالس على وسادة، فأوسع له، فجلس معه اليزيديّ على وسادته، فقال له اليزيديّ: أحسَبُني قد ضيَّقتُ عليك. فقال الخليل: ما ضاق مكان على اثنين متحابين، والدنيا لا تسع اثنين متباغضين.

ويُروى أنَّ المأمون سأل اليزيديَّ عن شيء، فقال: لا، وجعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين. فقال: لله درّك! ما وُضِعت واو موضعاً قط في لفظٍ أحسن منها في هذا. ووصله بعَطيّة سَنيّة.

وكان اليزيديّ الغايةَ في قراءة أبي عمرو بن العلاء، وبروايته بقراءة أصحابه. والمعتزلون يزعمون أنّه كان مُعتزلياً. والله أعلم بصحة ذلك.

وكان اليزيديّ أحدَ الشعراء، وله جامع شعر وأدب، وفيه قصيدته التي يمدح بها نَحْوِيي البصرة، ويهجو نحويي الكوفة التي أولها:

يا طالبَ العلم ألا فابكِه ... بعد أبي عمرو وحمّادِ
وابن أبي إسحاق في علمه ... والزين في المشهد والنادي
عيسى وأشباه لعيسى وهل ... يأتي لهم دهرٌ بأندادِ
هيهات ألا قائلاً عنهم ... أرسَوا له الأصل بأوتادِ
فهو لمنهاجهم سالك ... لفضلهم ليس بجحّادِ
ويونس النحويّ لا تنسَه ... ولا خليلاً حيةَ الوادي
وقل لمن يطلب علماً ألا ... نادِ بأعلى شرفٍ نادِ
يا خليفة النحو به مغرب ... عنقاء أودت ذات إصعادِ
أفسده قومٌ وأزرَوا به ... من بين أعيام وأوغادِ
ذوي مَراءٍ وذوي لُكنةٍ ... لئامَ آباءٍ وأجدادِ
لهم قياسٌ أحدثوه لهم ... قياسَ سوء غير منقادِ
فهم في النحو ولو عُمِّروا ... أعمارَ عادٍ في أبي جادِ

أمّـا الكسـائيّ فـذاك امـرؤ ... في النحـو جـارٍ غـيـرُ مِـزوادِ
وهو لمن يـأتيـه جـهـلا به ... مـثل سـراب البِـيـد للعـادي

وله أيضا في ذَمِّ أهل الكوفة:

كُنا نقيسُ النحوَ فيما مضى ... على لسـانِ العـرب الأوَلِ
فـجـاء أقـوامٌ يقـيـسـونه ... على لُغى أشـيـاخِ قُطْربُلِ
فكلّهم يعـمل في نقضِ مـا ... به يُصـابُ الحقُّ مـا يأتلي
إنَّ الكسـائيّ وأشـيـاعـه ... يرقَـون في النحـو إلى أسـفلِ

وله أيضاً قصيدة يرثي فيها الكسائيّ، ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، وكانا قد خرجا مع الرشيد إلى خراسان، فماتا في الطريق، فمنها:

تصَـرّمتِ الدنيـا فليسَ خُلُودُ ... ومـا قد ترى من بهجـة سيـبيـدُ
لكلِّ امـرئ منّا من الموت منهلٌ ... ولـيس لـه إلا عـلـيـه ورودُ
ألم ترَ شـيـبـاً شـامـلاً يُنذرُ البِلى ... وأنَّ الشـبـابَ الغضَّ ليس يعـودُ
سيفنيك ما أفنى القرونَ التي خلتْ ... فكن مـسـتـعـداً فـالفناء عـتـيـدُ
أسيتُ على قاضي القضاة محمد ... فـأجـريتُ دمـعي والفـؤادُ عـمـيـدُ
وقلتُ إذا مـا الخطبُ أشكلَ مَن لنا ... بإيضـاحـه يومـاً وأنتَ فـقـيـدُ
وأقلقني مـوتُ الكسـائيّ بعـده ... وكـادتْ بي الأرضُ الفـضـاءُ تميدُ
وأذهلني عن كلِّ عـيـشٍ ولَذَّةٍ ... وأرّق عـيـني والعـيـونُ هـجـودُ
همـا عـالمانا أوديا وتُخُـرِّمـا ... ومـا لهـمـا في العـالمين نديدُ
فحزني إن تخطرْ على القلبِ خَطرةٌ ... بذكـرهـمـا حـتى الممـات جـديدُ

هذا آخر كلام ابن الأنباريّ. وكان لليزيديّ خمسة بنين كلّهم علماء أدباء شعراء مُصنِّفون، وهم: محمد، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وعبيدالله.

قال الخطيب(١): أخبرنا محمد بن علي بن الفتح الحربيّ، وعبد الملك بن عمر

(١) تاريخ بغداد: ١٣/١٦-١٧.

الرزّاز قالا: أخبرنا علي بن عمر الحافظ حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم البرمكيّ حدثنا أبو عبدالله محمد بن يحيى الكسائيّ حدثنا أبو الحسن الليث بن خالد المقرئ حدثنا أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيديّ عن أبي عمرو بن العلاء عن الحسن عن أنس بن مالك أنَّ النبي (ﷺ) قال: «القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه».

وقال الزّبيديّ في طبقاته: قال الفضل اليزيديّ: انصرف اليزيديّ من كُتّابه يوماً، فقعد المأمون مع غلمانه ومن يأنس به وأمر حاجبه أن لا يأذن عليه لأحد، وهو صبي في ذلك الوقت، فبلغ اليزيديّ خبره، فسار إلى الباب، فمُنِع، فكتبَ إليه:

هذا الطُّفَيليّ على الباب ... يا خيرَ أخدانٍ وأصحابِ
خُبِّرتُ أنَّ القومَ في لذّةٍ ... يصبو إليها كلُّ أوّابِ
فصيِّروني واحداً منكم ... أو أخرجوا لي بعض أترابِ

فأذن له، فدخل، فانقبض المأمون، فقال له: أيّها الأمير، عُد إلى انبساطك، فإنّما جئت على أن أكون نديماً لا معلّماً.

ومن قول اليزيديّ يعتذر إلى المأمون من شيءٍ تكلّم به وهو يسكر:

أنا المذنبُ الخَطّاءُ والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنبٌ لما عُرِفَ العفوُ
سكرت فأبدت مني الكأسُ بعض ما ... كرهتُ وما إن يستوي السُّكْرُ والصحوُ
ولا سيما إن كنتُ عند خليفةٍ ... وفي مجلسٍ ما إن يجوز به اللغوُ
فإن تعفُ عني ألفِ خطوي واسعاً ... وإن لا يكن عفوٌ فقد قصر الخطوُ

ومن قوله في الكسائيّ، وكان يُماظّه:

يا رجلاً خفَّ عنده الثِّقلُ ... حتى به صار يُضربُ المَثَلُ
ثقلت حتى لقد خففت كما ... سمُجت حتى ملُحتَ يا رجلُ

قال إسماعيل بن أبي محمد: كان لأبي شعر كثير في الرشيد، وجعفر بن يحيى، وغيرهما، فلما حضره الموتُ، أخذ علينا أن لا نُخرِجَ له من غير المواعظ حرفاً. ومن قوله قصيدته المشهورة:

مَــن يــلُــمِ الــدهــرَ ألا   فــالدهرُ غــيــر مُــعــتَــبِــهْ

وفيها أمثال جِيادٌ وحِكمةٌ. انتهى ما أورده الزَّبيديّ. وقال في ترجمة ولده أبي عبدالله محمد[1]: أخذت من شعر أبي معنى، فاستحسنه الناسُ، وغلبتْ عليه حتى سقط ما قاله، قال أبي أبو محمد:

مـتى مـا تسـمـعي بقـتـيل حبٍّ   أصِـيبَ فـإنني ذاك القـتـيلُ

وقلتُ أنا:

أتيـتكَ عـائذاً بك مـنك   لمـا ضـاقـتِ الحِـيَـلُ

وصـيَّـرني هـواك وبـي   لحـيـني يُضـرَبُ المَثَلُ

فـإن ظفـرتْ بكم نفـسي   فـمـا لاقـيـتـه جَلَلُ

وإن قـتل الـهـوى رجـلاً   فـإنـي ذاكـم الـرجـلُ

قال ياقوت: حدَّث المرزبانيّ، قال: قال أبو عمران موسى بن سلمة: كان الأصمعيّ يُملي عليَّ شيئا في أمر البخل، فأتيتُ أبا محمد اليزيديّ لأكتبَ عنه شيئاً من النوادر، ثم أنصرف من عنده إلى الأصمعيّ، فقال: من أينَ جئت؟ فقلتُ: من عند أبي محمد اليزيديّ. فقال: ما كنتُ أظنُّ أنَّ العربيّة تكون باللُّكنة حتى رأيته، ولم يملِ عليَّ شيئاً مما وعدني به، فرجعتُ إلى أبي محمد، فقال: ما جاء بك؟ فأخبرته الخبر، فقال: بَكِّرْ إليَّ غداً. فبكَّرتُ إليه، فأملى عليَّ:

ابن لـي دَعـيَّ يدعـى أصـمـع   أقـفـرُ ربـاعك أم أهـلـهْ

ومـن أنـتَ هـل أنـتَ إلا امـرؤٌ   إذا صـحَّ أصـلـك مـن بـاهـلـهْ

ولـلجـاهـليِّ عـلى خـبـزه   كـتـاب لا تـأكلـه الآكلـهْ

قال: فأتيتُ الأصمعيَّ، فأخبرته، وأنشدته، فقال لي: وفعلتَ ذلك؟ قلتُ: نعمْ. قال: أما والله إنَّه شاعر خبيثٌ.

---

(١) انظر: طبقات اللغويين والنحويين: ٧٦-٨٤.

[١٢٠]*

ابن يسعون

....

.... (١)

[١٢١]*

ابن يعيش

محبّ(٢) الدّين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي بن المفضّل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حيّان القاضي بن بشر بن حيّان الأندلسيّ الموصليّ الأصل الحلبيّ المولد والمنشأ.

---

[*] انظر ترجمته في: إشارة التعيين: ٣٩٤. البلغة: ٢٩٣-٢٩٤. البغية: ٢/٣٦٣. ديوان الإسلام: ٤/٤١١.

(١) هو يوسف بن يبقى الأندلسي المتوفّى سنة ٥٤٠ هـ فسح له السيوطي صفحتين لم يكتب فيهما شيئا.

[*] انظر ترجمته في: إنباه الرواة: ٤/٤٥-٥٠. وفيات الأعيان: ٧/٤٦-٥٣. إشارة التعيين: ٣٨٨. تاريخ الإسلام (وفيات ٦٤١-٦٥٠) ٢٣٣-٢٣٥. سير أعلام النبلاء: ٢٣/١٤٤-١٤٥. العبر: ٣-٢٤٩. المعين في طبقات المحدّثين: ٢٠٣. مسالك الأبصار: ٧/١٨٢-١٨٤. الوافي: ٢٩/١٨-٢٠. مرأة الجنان: ٤/٨٣-٨٤. العسجد المسبوك: ٥٤١-٥٤٢. البلغة: ٢٨٩. النجوم الزاهرة: ٦/٣٥٥. البغية: ٢/٣٥١-٣٥٢. مفتاح السعادة: ١/١٣١-١٣٢. شذرات الذهب: ٥/٣٥١. ديوان الإسلام: ٤/٤١٠. روضات الجنات: ٥/٣١٠-٣١١. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ٤/٣٨٣-٣٨٦.

ومن الدراسات الحديثة عنه:

- ابن يعيش النحويّ.
- ابن يعيش وشرح المفصّل.

(٢) المشهور المتداول أنّه موفّق الدين.

كذا ساق نسبه عزّ الدين الحسينيّ في كتاب التكملة لوفيات النَّقَلة[1]، وقال: ولِدَ في رمضان سنة ثلاثٍ وخمسين وخمسمائة بحلب، وسمع بالموصل من خطيبها أبي الفضل عبدالله بن أحمد الطوسيّ، وغيره، وبحلب من القاضي أبي سعد عبدالله بن محمد بن أبي عصرون، وأبي الفرج يحيى بن محمود الثقفيّ، والقاضي أبي الحسن أحمد بن محمد الطوسيّ، وأبي البقاء خالد بن محمد بن القيسرانيّ، وبدمشق من العلاّمة أبي اليمن زيد بن الحسن الكِنديّ. وحدَّث بحلب، وكان ماهراً في النحو والتصريف فاضلاً، وله تصانيف مشهورة، مات بحلب في سَحَر الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وأربعين وستمائة.

وقال الصلاح الصفديّ في ترجمته: كان يُعرف بابن الصائغ، وكان من كِبار أئمة العربيّة، تخرَّج به أهل حلب، وطال عمره، وشاع ذِكره، وأخذ النحو عن أبي السخاء فتيان الحلبيّ، وأبي العباس البيزوريّ المغربيّ، وليسا بمشهورين، وقدم دمشق، وجالَسَ الكِنديّ، وروى عنه الحافظُ ابن الظاهريّ، وأبو بكر بن أحمد الدشتيّ، وهو آخر مَن حدَّث عنه، وكان طويلَ الروح حسنَ التفهيم، وعامة فضلاء حلب تلامِذته، وشرح المفصَّل للزمخشريّ، والتصريف الملوكيّ لابن جنّي، وكان ظريفاً مطبوعاً خفيفَ الروح مع سَكينة ورزانة، وله نوادر كثيرة.

قال ابن خَلكان: كان يوماً عند القاضي بهاء الدين بن شَدّاد قاضي حلب، فجرى ذِكر زرقاء اليمامة، وأنَّها كانت ترى الشيء من المسافة البعيدة حتى قيل إنَّها تراه من مسافة ثلاثة أيام، فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من ذلك، فقال الشيخ: أنا أرى الشيء من مسافة شهرين. فتعجَّب الكلُّ من قوله، وما أمكنهم أن يقولوا له شيئاً، فقال له القاضي: كيف هذا يا موفقَ الدين؟ قال: لأني أرى الهلالَ. قال: كنتَ تقول من مسافة كذا وكذا سنة. فقال: لو قلتُ هذا عرف الحاضرون غرضي، وكان قصدي الإبهام.

---

(١) المطبوع منه يتوقف عند سنة ٦٤٢هـ اي قبل وفاة ابن يعيش بسنة.

قال ابن خَلكان: وحضرته وهو يشرح قول الشاعر:

أيا ظبيـةَ الوعسـاءِ بينَ جـلاجل   وبين النقـا أأنتِ أم أمّ سـالمِ

وقد طوَّل شرحَ هذا البيت، وأفصحَ، والشخص الذي شرُحِ له ساكتٌ مُنصِتٌ إلى الآخر، ثم قال: يا سيدي، أيْشٍ في المليحة ما يشبه الظبية؟ قال: قرونها وذنبها. فضحك الحاضرون، وخجل الرجل.

وقال ياقوت: سألتُ ابنَ يعيش أن يُنشِدني من شعره، فقال: لا أعرف لنفسي شعراً إلا أبياتاً قلتها في الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب، وهي:

يا أيُّها الملك الميمونُ طائره   ومن سحاب نداه الدهر هَطَّالُ

ومن صوارمه في كلِّ معركةٍ   جوازم وطُلى أعدائه أقفالُ

ما زال يخسفني دهرٌ حوادثُه   حُولٌ لأهلِ النهى والفضلِ يغتالُ

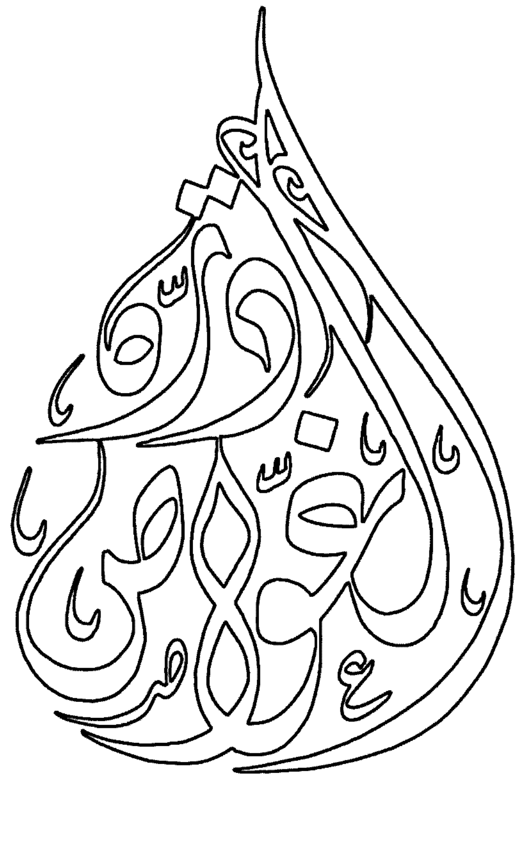
حتى انضويتُ إلى أحشاء برّك بي   لما ظلمت ولما حالتِ الحالُ

وقلتُ من حيثُ آمالي مهاجرةٌ   إليك يا من له فضلٌ وإفضالُ

لي حُرمة الضيفِ والجار القديم ومَن   أتاكم وكهول الحيِّ أطفالُ



الفهارس الفنيّة



١- فهرس الآيات القرآنية

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

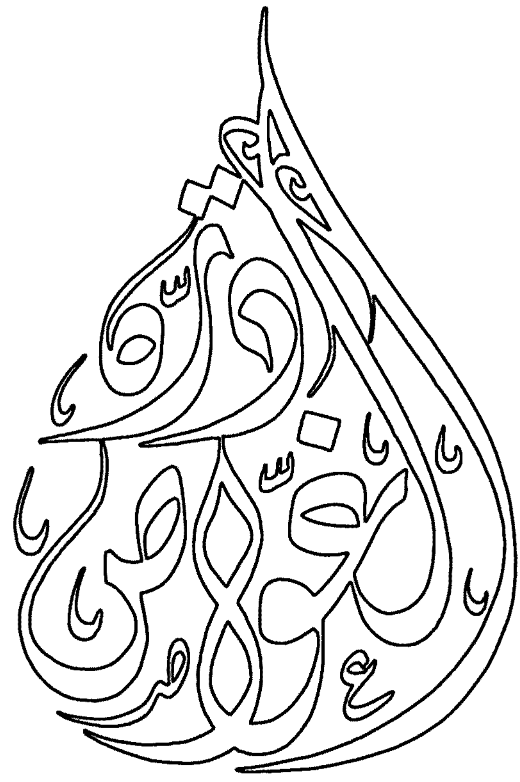
سورة يونس

سورة هود



٢- فهرس الأحاديث النبويّة

٣- فهرس الأقوال


درة الغواص

٤- فهرس الشعر

الباء

والبـان تحسب سنانيـراً رأت	قاضي القضاة فنغّشت أذنابَها	١	٧٥٦
أمِـنْ زيـنـبَ ذي الـنـارُ	قُـبـيلَ الصبحِ مـا تخـبُـو	٢	١٧
يـنـاجي ربَّـه بـاللـحن لـيثٌ	لذاك إذا دعـاهُ لا يُجـابُ	١	٢٢
الاقـيتَ أهوالاً وهيّجتَ كـربةً	وأورثتَ أحـزاناً لـهنُّ كـروبُ	٦	٥٠
نِعم المحـدِّثُ والنديمُ كـتـابُ	تلهـو به إذا خـانك الأحـبـابُ	٢	٥١
ولما رأيتُ البَـيْنَ قـد جـدَّ جِدُّه	ولم يبقَ إلا أن تزولَ الركـائبُ	٢	٧٧
ثـمـتُ حـوائجي ووذأت بِشـرا	فبئس معرَّسُ الركبِ السِّغابُ	١	١١٦
إذا ما خلوتَ الدهر يوماً فلا تقلْ	خلوتُ ولكنْ قلْ عليَّ رقـيـبُ	٤	١٣١
يُعـابثنَ بالقـضـبـان كلّ مفلّجٍ	به الظُّلـم لم تفللْ لـهنَّ غُـروبُ	٣	١٣٢
تُبـارز أُسْدَ الغابِ وهي خوادرٌ	وتقـتلنا في السلم عينٍ كـواعبُ	٢	١٤٣
فـإنْ تفـركْكَ علـجـةُ آل زيدٍ	ويعـوزْكَ المرقّق والصِّنابُ	٢	١٥٨
تطيبُ النفسُ أن تلقى حليـمـا	غـذاه العلم والظنُّ المصـيبُ	٣	١٧١
وقـصـير دوحٍ لاعبتـه شمـائل	لنسيمهن لدى الصباح هـبوبُ	٣	٢٢٧
أخِلاّي لو غيرُ الحِمام أصـابكم	عتبت ولكنْ ما على الدهر مَعْتَبُ	١	٢٦١
وقـبلكَ داوى الطبـيبُ المريضَ	فـعـاش المريضُ ومـات الطبـيبُ	٢	٢٧٥
بلِّـغـا عـني المنـجِّمَ أنـي	كـافـرٌ بالذي قـضـتِ الكواكبُ	٢	٢٧٧
وقـائل ورأى من حـجتي عـجـبا	كم ذا التواري وأنت الدهر محجوبُ	٣	٣٠٤
إنّ الغصـون إذ قومتها اعتدلت	ولا يلين إذا قـومـتـه الـخـشـبُ	٢	٣٣٨
ليسَ السـيـادة أكمـامـاً مطرزةً	ولا مراكب يجري فوقها الذهبُ	٤	٣٩٢
قـالوا مـحـا الجُدريّ مـهجـتـه	قـسـمـاً بربّ سنّي لقـد كـذبوا	٢	٤٢١
تقـيـه وقـد أيقنتَ أنك ممكن	فكيف لو استيقنتَ أنّك واجبُ	٢	٤٧٦
إذا اشتملت على اليأس القلوبُ	وضـاق لما به الصـدر الرحـيبُ	٥	٥٣٤
أنـفـتُ مـن الـذلّ عـنـد الملـوك	وإن أكـرمـوني وإن قـرّبوا	٢	٦٠٧

الثاء

لروضة من رياض الحَزْن أو طرفٌ	من القرية حَزْن غير محروثِ	٢	١٥٩
أماطتْ لقاحاً عن أقاحي الدمائثِ	تمثل أساريع الحقوق العثاعثِ	٢	٣١٨
فنعم أخو الجُلَّى ومستنبط الندى	وملجأ محزون ومفزع لاهثِ	٢	٣٢١
العلم والمعلوم قد أدركته	وسماعك البحر المحيط فحدِّثِ	٣	٥٦٢

الجيم

داء الزَّمان وأهله	داء يعزّ له العلاجْ	٤	٦٣٨
حتى إذا ما قضتِ الحوائجا	وملأت حُلابها الخلانجَا	٢	١١٧
أما ترى رأسي حاكى لونه	طيرة صبحٍ تحت أذيال الدجى	١٢	٣٢٥
فسيَّانِ بيتُ العنكبوت وجَوْسَقٌ	رفيع إذا لم تُقضَ فيه الحوائجُ	١	١١٥
أدرِ المدامة فالنسيمُ مؤرَّج	والروض مرقوم البرودِ مدبَّجُ	٣٢	٢٢٨
الخوضُ في لجج الدنيا يلجُّ بكم	كأنها لججٌ خواضها لججُ	٢	٣٨١
هو المنطق الجزل الذي قذفت به	ولجةُ فكرٍ بحره يتموَّجُ	٤	٣٩٦
مصارعُ تصرعُ الآساد سمرتُه	تيهاً فكلَّ مليحٍ دونه هَمَجُ	٢	٧٧٧
ياربَّ ربُّ القُلُصِ النواعجِ	مستعجلات بذوي الحوائجِ	٢	١١٦
بدأن بنا لا راجيات لخُلْصةٍ	ولا يائسات من قضاءِ الحوائجِ	١	١١٧

الحاء

مسيرة الأرواح	مع الوجوه الصِّباحْ	٨	٣٩٣
وإذا ما الخمر يوماً أزبدت	أفلَ الإزبادُ منها فمَصَحْ	١	٧٦٧
يا زمرةَ الشعراءِ دعوةَ ناصحٍ	لا تأملوا عند الكرام سماحا	٢	٨٢
فإنَّ أمور الملك أضحى مدارها	عليك كما دارت على قطبها الرحا	١	٧٣٤
ومستامةٍ تستامُ وهي رخيصةٌ	تباعُ بساحاتِ الأيادي وتُمسَحُ	١	٥٧
أدرْ كأسَ المدام فقد تغنَّى	بفرع الأيك طائره الصدوحُ	٣	٨١
وحارفَ الهيفُ الشمال وأذنتْ	مذانب منها اللدن والمتصوِّحُ	١	١٥٤

إلى جذم مال قد نهكنا سوامه	وأعراضُنا فيه بواقٍ صحائحُ	١	١٥٥
فضائلكم فَضَلْنَ الناسَ طرًا	وساعدها على الجود السماحُ	٣	٢٤١
أنا جسمٌ للحُميّا	والحُميّا ليَ روحُ	٢	٢٨٥
ما أعجب النيلَ ما أحلى شمائله	في ضفتيه من الأشجار أدواحُ	٣	٢٨٦
وقد كان حمداً كاسمه حمد الورى	شمائل فيها للثناء ممادحُ	٤	٣٠٥
فيا حزنا أن لا حياة لذيذة	ولا عمل يرضى به الله صالحُ	١	٣١٥
ومستنبحٍ بات الصدى يستتيههُ	إلى كلِّ صوتٍ وهو في الليل جانحُ	٢	٣٤٥
أمكّة هل تدرين ماذا تضمنت	بمقدم جار الله منك الأباطحُ	٦	٣٨٥
تغيّرت البلادُ ومن عليها	فوجه الأرضِ مغبرٌ قبيحُ	٢	٤٦٤
هذي السديرة والغدير الطافح	فاحفظ فؤادك إنني لك ناصحُ	١٦	٥٤٥
شربنا بمصباح السّماء مدامةً	بشاطي غدير والأزاهرَ تنفحُ	٢	٥٨٢
ألا بأبي وغير أبي غزال	أتى وبراحه للشرب راحُ	٢	٥٨٢
خرجوا ليستشقوا وقد نشأت	بحريّة قمنٌ بها السّحُّ	٣	٥٨٢
سباني جمالٌ من مليحٍ مصارع	عليه دليل للملاحة واضحُ	٢	٧٧٧
أهدي إليك خلاصتي ومودتي	قبل اللقاء تعارفُ الأرواحِ	٢	٢١١
أهلا بمن أهدى إليّ صحيفةً	صافحتُها بالروح لا بالراحِ	٢	٢١١
أضع الكرى لتحفّظ الإيضاحِ	وصلِ الغدوّ لفهمه برواحِ	٨	٦٥٩
أسلّيكَ عن زيد لتسلى وقد أرى	بعينيك من زيدٍ قذىً غير بارحِ	١	٦٩٢
ثقي بالله ليس له شريكٌ	ومن عند الخليفة بالنجاحِ	١	٦٩٩/٧٠٢
وأصبح الروض والقيعان مترعة	من بين مرتتق منها ومنصاحِ	١	٧٨٦

الخاء

وغدير رقّت حواشيه حتى	بان في قعره الذي كان مُناخا	٢	١٢٧
قلبي رهينٌ بنيسابور عند أخٍ	ما مثله حين تستقري البلاد أخُ	٢	٣٠٤

الدّال

ألا إنّ عيناً لم تَجُدْ يومَ واسطٍ	عليك بجاري دمعها لجمودُ	٤	١٣
أولئك قومي إن بنوا أحسنوا البنا	وإنْ عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا	١	٢٠
ولله جاراي اللذانِ أراهما	قريبينِ مني والمزارُ بعيدُ	٣	٥٨
فالأمر مردودٌ إلى أمره	وأمره ليس له ردُّ	١	٨٨
ولو أني استزدتك فوق ما بي	من البلوى لأعوزك المزيدُ	٢	١٧٦
كنتُ إذا ما أتيتُ غيا	أقول بعد الشيب أرشدُ	٢	٢١٨
عيونٌ ما يلمّ بها رقادُ	ولا يمحو محاسنها السهادُ	٥	٣٢١
المرءُ ما دام حيّاً يُستهانُ به	ويعظم الرزءُ فيه حين يفتقدُ	١	٣٦١
وأعجبُ شيء سمعنا به	عليلٌ يعاد فلا يوجدُ	١	٥٨٥/٤١٣
إذا لم يكن للمرء مال ولم يكن	له طرق يسعى بهنّ الولائدُ	٣	٤٥٧
تمتّ بقربي الزّنيبنين كلاهما	إليك وقربي خالد وسعيدُ	١	٥١٩
هل الوجد خافٍ والدموع شهود	وهل مكذبٌ قول الوشاة جحودُ	٣	٥٤٤
سألتكم يا مقرئ الغربِ كلِّه	وما من سؤال الحبر عن علمه بدُّ	٣	٥٥٢
عجبْت لأهل القيروان وما مدّوا	لها قصر سوءات وفي همزها مدّوا	١٠	٥٥٣
ألا أيّها الأستاذ والله راحمٌ	وغافر لهوٍ ظلمتُ دهركم تشدُو	١٨	٥٥٤
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت	حميمك فاعلم أنها ستعودُ	٢	٥٩٨
جلوسي في سوق أبيع وأشتري	دليلٌ على أن الأنام قرودُ	٣	٦٣٤
شوقي إليك وإن نأيت شديدُ	شوق عليّ به الإله شهيدُ	٢	٦٣٤
أرى قمَرَي أفْق وفَرْعَي بشامةٍ	يزينهما عرق كريم ومحتدُ	٤	٦٨٣
تصرّمت الدنيا فليس خلود	وما قد ترى من بهجة سيبيدُ	١٠	٧٩٤/٦٨٥
لا يبعد الله أقواماً رزئتهم	أفناهم حدثان الدهر والأبدُ	٢	٧٠٥
روحان لي روح تضمّنها	جسد وأخرى حازها بلدُ	٢	٧١٩
ويومٍ كحرّ الشوق في صدر عاشق	على أنّ منه أحدٌ وأوقدُ	٢	٧٣٠

أنا حـاتم طول الحـيـاة وإنّمـا	فطري الحـمـام ويوم ذاك أعـيّدُ	٥	٧٤٥
وتلك عـجـوز لارعى الله قـربها	على وجهها بالفاحشات شهودُ	٢	٧٥٩
هو العلم لا كالعلم شيء تراودهْ	لقد فاز باغيه وأنجح قاصدهْ	١١٠	٢٥٢
إذا الـرّجـــال ولدت أولادهـا	واضطربت من كبر أعضادُها	٢	٥٢٩
لا مـرحـبـا بغـدٍ ولا أهلاً به	إنْ كان تفريقُ الأحبةِ في غدِ	١	١٥
واستُحصِد القرنُ الذي أنا منهم	وكفى بذاك علامةً لحصادي	١	٢٣
فــإن تـبـــدّلتُ بـآدي أدا	لم يك ينآد فــأمـــسى أنآدا	٣	٣٢/٢٤
أبصـارهُنَّ إلى الشباب مـائلةٌ	وقـد أراهنَّ عني غيـرَ صُدّادِ	١	٣٣/٢٤
وأكرمُ نفسي أنني إنْ أهنتُها	لعمرك لا تكرُمُ على أحدٍ بعدي	١	٤٤
حـين ترديّت رداءَ الـهــــوى	واســتـحكمت لي عـقـد الودِّ	٢	٧٧
حلفتُ وتشـــهـــدُ روحي بما	أقــاســيـه من هـجـرك الزائدِ	٣	٨١
إنْ غبتم صورة عن ناظري فما	زلتم حضوراً على التحقيق في خلدي	٢	٢١٧
قد قلت لما أنْ سمعت مباحثا	في الذات قرّرها أجلّ مـفـيـدِ	٢	٢٥١
من لم يكن للظّباء صاحبَ صيد	فـــعليـــه بمجلس ابن دريدِ	٢	٣٢٠
صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسه	فلمـا عـلاهُ قـال للباطل أبعـدِ	١	٣٢٠
هـجـــرتك لا قلى مني ولكن	رأيت بقـاء ودّك في الصـــدودِ	٣	٣٢٦
سقى الغيث أكناف الحِمى من محلّه	إلى الحقن من رمل اللوى المتقاودِ	٨	٣٢٩
لو كنت يوم الوداع شـاهدنا	وهنَّ يطفــئن لوعــة الوجـدِ	٣	٣٢٩
إذا جاوزتْ من ذات عرق ثنيّة	فقلْ لأبي قابوس ماشئت فارعدِ	٢	٣٧١
شـعـره أمطر شـعـري شـرفـا	فـاعـتلى منه ثيـاب الحـسـدِ	٢	٣٩٩
يا طالب النّحـــو ألا فـــابكِه	بعـد أبي عــمـرو وحـمّـادِ	٤	٥٨٨
لا يرهب ابن العمّ ما عشت صولتي	ولا أختشي من خشية المتهدّدِ	٢	٦٠٠
حـتّى تحـاجـزن عن الذّواد	تحــاجُـــزَ الرِّي ولم تكادي	١	٦٠٤

الذال

الرّاء

ذهبتُ للمجد والساعون قد بلغوا	جـهـد المقلّ وشـدّوا دونه الأُزرا	٣	١١١
وأصــفـر من ضـرْبِ دار الملوكِ	تلوح على وجــهــه جــعــفــرا	١	١١٤
أتيت رسولَ الله إذ جاء بالهدى	ويتلو كـتـابا واضحَ الحقِّ نيِّرا	٢	١٧٦
يا أهلَ ذا المعنى وُقـيـتمْ شـرّا	ولا لقــيـتم مــا بقـيـتم ضُــرّا	٢	٢٠٩
قد كان ظنّي أنّ الشيبَ يرشدني	إذا أتى فــإذا غــيـي به كـثُــرا	٣	٢١٧
مــات أثيـر الدين شـيـخ الورى	فـاسـتـعرَ البـارق واسـتـعـبرا	٣٦	٢٣٨
أسامعُ أخبار الرسول لك البشرى	لقد سُدْتَ في الدنيا وقد فُزت في الأخرى	١٤	٢٥٩
وزهدني في جــمــعي المال أنّه	إذا ما انتهى عند الغني فارق العمرا	٢	٢٦٠
إذا ما انتـهى علمي تناهيت دونه	أطال فـأملى أم تناهى فـاقصـرا	١	٢٩٩
أخوها أبوها والضوى لا يضيرها	وسـاق أبيـهـا أمّـها عقِرت عقـرا	١	٣٠١
جميع قرى الدنيا سوى القرية التي	تبـوّأها داراً فـداء زمـخـشـرا	٤	٣٨٠
وما نـاصر الإسلام إلا ابن بجدةٍ	مـحيط بعلمٍ لا يحيطُ به الورى	٢	٣٨٣
وكم للإمـام الفـرد عندي من يدٍ	وهاتيك مما قــد أطاب وأكـثـرا	١١	٣٨٣
هو النفس الصّعّاد عن كبدٍ حرّى	إلى أن أرى أمّ القرى مرّة أخرى	٥	٣٨٧
كما لو أردنا أن يخيل شبـابنا	مـشيـباً ولم يأنِ المشيب تعذّرا	٣	٤٢٥
صــبــاح الـهـداية قـد أسـفــرا	بسـفـر السـعـادة مستـبـشـرا	١٦	٤٩١
فتى كان في وطء الحلال مساتراً	فـأعلن في وطء الحـرام جـهـارا	٤	٤٩٢
وكنّا جـمـيـعاً فـرّق الدّهر بيننا	إلى الأمد الأقصى فمن يأمن الدهرا	١	٥٢٠
إذا الحـصـريَ اللئـيم انتـحى	وظلّ بهــذا الـورى ســاخــرا	٢	٥٨٣
أشتـاقُ بالنظرة الأولى قرينتـها	كـأنني لم أسلّف قـبلهـا نظرا	١	٦٦٦
أوجبْ أبعْ أرشدِ اسخرْ مُنّ أكرمْ أهنْ	عجِّز تمنَّ ادعُ لوِّنْ سوِّ محتقرا	٢	٧٥٨
عليك بأرباب الصّدور فمن غدا	مضافاً لأرباب الصدور تصدّرا	٣	٧٥٩
عنَّ لهــا أن تزورني ســحَــرا	فـحـدثوها لشـقـوتي سـمـرا	٣	٧٧٣

أيّهـا الأوحـد الرضـي الذي طا	ل عـلاء وطاب في الناس نشـرا	٢	٧٧٧
ولاقت بأرجاء البسيطة ساطعاً	من الصبح لما صاح بالليل نفرا	١	٧٨٧
لما فـرغنا من نظام الجـوهرهْ	أعورت العين وفضّ الجمهرَهْ	٣	٤١٦
أبى الزّجـاج إلا شـتم عِـرضي	لينفـعـه فـأثمـه وضـرّه	٤	٤٢٣
وفـتـى من مـازنٍ	سـاد أهل البـصـرَهْ	٢	٧١٢
خذوا نقله واستمسكوا بحباله	وإياكم تعليله واختـيـارَه	٢	٧٥٨
مـا يُنجي من الغَـمَـرات إلا	بَراكـاءُ القـتـالِ أو الفـرارُ	١	١٨
وعـينانِ قـال الله كـونا فكانتـا	فعولانِ بالألبابِ ما تفعلُ الخمرُ	١	٥٢
إذا قُـتلنا فـلا يبكي لنا أحـدٌ	قـالتْ قـريشٌ ألا تلكَ المقـاديرُ	٢	٥٩
لقد كنتُ أخشى أن تكون ملالةٌ	فقد وقع الأمر الذي كنت أحذرُ	٢	٨١
تكادُ يدي تندى إذا ما لمستُها	وينبتُ في أطرافها الورقُ الخُضْرُ	١	١١٣
فـإن أصـبِحْ تخـالجني هـمـومٌ	ونفسٌ في حـوائجـهـا انتشـارُ	١	١١٦
إذا ما يعيب الناس عابوا فأكثروا	عليك وأبدَوا منك ما كنت تسترُ	٢	١٣٧
أرى بصـري فـي كلّ يوم وليلة	يكِلُّ وخطوي عن مداهنٌ يقصرُ	٣	١٥٠
زعـمتَ أن العُـدار خِـدني	وليس خِـدنا لـيَ الـعُـدارُ	٥	١٨٣
فكان مجنّي دون من كنتُ أتقي	ثلاثُ شخوص كاعبانِ ومعصرُ	١	١٩٩
إنْ تغـيبـوا عن العـيون فـأنتم	في قلوب حـضـوركم مسـتمـرٌّ	٢	٢١٧
أفـادنا شـيـخنا الأثيـرُ	ولـم يـزلْ رأيـه يـنـيـرُ	٦	٢٤٠
ما جاد بالرفد إلا وهو معتذرٌ	ولا عـفـا قطّ إلا وهو مـقـتـدرُ	٢	٢٤١
ولو كلّما كلبٌ عوى ملتُ نحوه	أجـاوبه إنّ الكلابَ كـثـيـرُ	٢	٢٦٠
والنيبُ إن تعُـر مني رِمّة خلقا	بعـد الممـات فـإني كنتُ أتّئـرُ	١	٣٠٠
شرّ السباع العوادي دونه وَزَرٌ	والناسُ شـرّهـم مـا دونه وَزَرُ	٢	٣٠٣
انظروا كـيف تخـمـد الأنوارُ	انظروا كـيف تسـقط الأقـمـارُ	٢	٣٠٥

يقولون مصر قد أنابتْ وأقلعتْ	وقد سعدتْ من بعد شقوتها مصرُ	١	٣٠٨
وذي أوجــهٍ لكنه غــيــر بائحٍ	بسرٍّ وذي الوجهين للسرِّ مظهرُ	٢	٣٠٨
من كلِّ زاهرة ترقــرق بالندى	فكأنّهـــا عينٌ إليك تحـــدرُ	٥	٣٣٠
لا تحــــسبنْ أنَّ بالـكُتـ	ـبِ مـثلنا سـتـصـيـرُ	٢	٣٣٢
بادرْ إلى العيش والأيام راقدة	ولا تكنْ لصـروف الدهر تنتظرُ	٢	٣٣٢
أتعـجب أنني أمـسي فـقـيرا	ويحظى بالغنى الغمـر الحقيرُ	٢	٣٣٣
ومـا المرء إلا الأصـفران لسانه	ومعقوله والجسم خلقٌ مصوَّرُ	٢	٣٤٥
وأستكبر الأخبـار قبل لقـائه	فلما التقينا صغر الخبرَ الخبرُ	١	٣٧٧
وإذا سفيه غضّني في مجلسٍ	وهناك من غرر الأكارم معشرُ	٢	٣٨٧
ألا يا مـسـتـعـيـر الكتب دعني	فـإنّ إعـارة المكتـوبِ عـارُ	٢	٣٨٧
شـغف الفـؤاد نواعم أبكار	بردتْ فـؤاد الصَّبِّ وهي حـرارُ	٥	٤٨٤
نفسي تروم أموراً لست تدركها	مـا دمت احذر ما يأتي به القدرُ	٢	٥٣٥
ياسـيـدي والذي يعـيـدك من	نظم قـريضٍ يصـدى به الفكرُ	٢	٥٤٦
وقـائلة أتهـفـو للغـواني	وقـد أضـحى بمفـرقك النهـارُ	٢	٥٨٢
أنت يا صـاحب الكتـاب ثقـيل	وقليل من الثـقـيل كـثـيـرُ	١	٦٠٨
شفَّ المؤمل يوم الحـيرة النظرُ	ليت المؤمل لم يُخلق له بصـرُ	١	٦١٦
ولكنّ اجـراً لو فـعلتِ بهـيّنٍ	وهل يُنكر المعروف في الناس والأجرُ	١	٦٦٣
ندمت ندامـة الكسـعيِّ لما	غــدت منّي مطلّقـة نُوارُ	٣	٦٩٧
سمر الرياح وبيض الهند تشتورُ	في أخـذ ثارك والأقدار تعتذرُ	٤	٧٤٤
مـسـتـحـدث النعـمـة لا ترجـهُ	في نفـسـه من فـقـرها فـقـرُ	٢	٧٤٦
وزند ندى فـــواضله وريٌ	وزند ربُى فـضـائله نضـيـرُ	٢	٧٤٩
قـد جُنَّ شـيـخي أبو نزار	يذكـر مـصـرَ وأين مـصـرُ	٢	٧٧٢
ضاع منّي خصر الحبيب نحولا	فلهـذا أضـحي عليـه أدورُ	٣	٧٧٧

بكت للفـراقِ وقـد راعـهـا	بكاء الحـبـيبِ لفـقـد الديارِ	٢	٣٢٩
تمتَّعْ من شـمـيم عِـرار نجـدٍ	فـمـا بعـد العـشـيّة من عِـرارِ	١	٣٤٣
إليك إله الخلقِ وجـهي وهمـتي	وأنت الذي أدعوك في السرّ والجهرِ	٢	٣٥٩
أبـرِقْ وأرعـــــدْ يا يـزيـ	ـدُ فـمـا وعـيـدك لـي بضـائرِ	١	٣٧١
واستعجمت دار ميّ ما تكلّمنا	والدار لو كلّمـتنا ذاتُ أخـبـارِ	١	٣٧٣
ومروّعـة بمشـيب رأسي أقبلت	تبكي فقلْت لها ودمـعي جاري	٢	٣٨١
كانت مساءلة الركبان تخبرني	عن أحمد بن دؤاد أطيبَ الخبرِ	٢	٣٧٧
مـات أبوبكر وكـان امـرأ	أدهـم فـي آدابه الـغـــرٍّ	٢	٤٠٣
على الغَزْلى مني السلام وربّما	لهوت بها في ظلّ مخضَرةٍ زُهْرِ	١	٥٣٠
وقـالوا تطهـرْ إنّه يوم جـمـعـة	فـرحت من الحمام غـير مطهّرِ	٤	٥٣٦
قـالـوا حـبيبك ملتـاث فقلت لهم	نفسي الفداء له من كلّ محذورِ	٢	٥٦١
حـدثٌ مـفظعٌ وخطبٌ جليل	دقّ عن مثله اصطبار الصبورِ	٨	٥٧٩
ولابن الطراوة نـحـو طري	إذا شـمّـه الناس قـالوا خـري	١	٥٨٢
إنّ امـرأ دنيـاه أكـبـر همّـه	لمستمسكٌ منها بحبل غـرورِ	١	٥٩٨/٥٩٣
مـا زلْت أفـتـح أبواباً وأغلقـهـا	حـتى أتيت أبا عمرو بن عـمـارِ	١	٥٩٥
أبنيّ إنّ من الرّجـال بهـيـمـة	في صورة الرجل السميع المبصرِ	٢	٦١١
ولأنت تفـري مـا خلقت وبعـ	ـض القـوم يخلق ثم لا يفـري	١	٦٤٧
يا قاتل الله صلعاناً تجيء بهم	أم الـهُنَينين من زند لهـا واري	١	٦٥٢
إن كنت لست معي فالذكر منك معي	يراك قلبي وإن غُيّبت عن بصري	٢	٦٦٦
قـدرٌ أحلّك ذا النخيل وقد ترى	وأبيّ مـالك ذو النخـيل بدارِ	٢	٦٨٢
وإذا يقـال من الفـتى كلّ الفـتى	والشيخ والكهل الكريم العنصرِ	٢	٧١١
دمـوع العين ألسنة الضـمـيـر	تخـبـر عن مخـبّـآت الصـدورِ	٢	٧١٤
بنفـسـي أخٌ شـددت به أزري	فألفيته حرّاً على العُسر واليُسرِ	٧	٧٢٤

يا مونلاً لذوي الهمات والخطرِ	ومن عمدت لحاجاتي من البشرِ	١٠	٧٢٥
لا تكذبنّك حاجاتي أبا عمر	فأنت منهنّ بَيْن النّجعِ والعذرِ	٢	٧٣٣
أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا	ليوم كريهة وسداد ثغرِ	١	٧٦٤
نعودُ على ذي الجهل منا بحلمنا	ونأبى فلا نأتي الدنيء من الأمرِ	٣	٧٦٧
حنانيك إن جادتك يوماً خصائصي	وهالك أصناف الكلام المسخَّرِ	٢	٧٧٣
ومن يصنع المعروف في غير أهله	يلاقِ الذي لاقى مجيرُ امِّ عامرِ	٤	٧٨٨
خُلقان لا أرضى فعالهما	تيه الغنى ومذلة الفقرِ	٣	٧٨٩
ناديتُ والبحر الخضمَّ معارضٌ	بحراً فجودك لا ينضب ببرِّهِ	٣	٢٢٥
يا باريَ القوسِ برياً ليس يصلحهُ	لا تظلم القوسَ أعطِ القوس باريها	١	٤٥٥
يا واصفاً ربّه بجهل	لم تقدر الله حقّ قدرِهْ	٣	٤٧٦
ألا خلا في القبور ذو خطر	فزره يوماً وانظر إلى خطرِهْ	٢	٥٥١
مرّ بها ناسياً لوحشتها	وهو إليها يجدّ في سفرِهْ	٥	٥٥٢
إلى ديار البلى فحلّ بها	يا ليت شعري ما كان من خبرِهْ	٤	٥٥٢
	الحاء		
كريمٌ هزّ فاهتزّ	كذاك السيد البزّ	٢	٧٦٦
علم الأصول بفخر الدين منتصرٌ	به يصول بإعجاب وإعجازِ	٣	٣٦٦
من كان يأثرُ عن أبائه شرفا	فأصلنا أزم أصطمّه الخوزِ	١	٧٣٥
	السّين		
أقام الخبيص لعوّاده	فعوّاده مثل عرف الفرسْ	١	٦٠٨
إذا ما شئتَ أن تصنـ	ـعَ شيئاً يُعجِبُ الناسَا	٥	١٣
من اللجيميّين أرباب القرى	ليست به واهنة ولا نَسا	١	١٥٦
أقاضي المسلمين حكمت حكما	أتى وجه الزمانِ به عبوسا	٢	٢٨٥
وأبصرْنَ أنّ النقعَ صارت نِطافُه	فراشا وأنّ البقل ذاوٍ ويابسُ	١	١٥٤

قرارتها كسرى وفي جنباتها	مهىً تدريها بالقسيّ الفوارسُ	٢	١٧٢
يا أيّها المشتكي عبسا وما جرمت	إلى القبائل من قتلٍ وإيباسُ	٢	٢٩١
يلي الفذَّ منها توأمٌ ثم بعده	رقيبٌ وحِلس بعده ثمّ نافسُ	٢	٤٩٣
سبحان من ليس له أنيسُ	ولا له في عرشه جليسُ	١	٥٧٣
أمّا الطعام فكل لنفسك ما اشتهت	والبس ثيابك ما اشتهته الناسُ	١	٦١٢
ضحوك إذا زفّ الخوان وزوره	يحيّا بأهلاً مرحباً ثم يجلسُ	٢	٦٨٢
استودع العلمُ قرطاساً فضيّعه	وبئس مستودع العلم القراطيسُ	١	٨٩/٧٨٦
نجمتْ نجومي أمسِ طالِعُها	سعدٌ ونجمي اليومَ ذو نحسِ	٥	١٥
يا أحسنَ الناسِ إنساناً وأملحَهم	هل باشتكائي إليك الحبُّ من باسِ	٢	٤٩
هلمَّ نمحُ الذي قد كان أوله	ونحْدِث الآن إقبالاً من الراسِ	٢	٥٠
شيخٌ لنا من ربيعة الفرس	ينتف عثنونه من الهَوَسِ	٢	٢٠٧
وسيف السلاطين مستأثرٌ	بأنس السماعِ وحسوِ الكؤوسِ	٨	٢١٤
ضيفٌ ألمّ بنا من أبرع الناسِ	لا ناقضٌ عهدَ أيامي ولا ناسي	١٧	٢٥٠
اليوم أعلمُ ما يجيء به	ومضى بفضل قضائه أمسِ	١	٢٧٠
والسعيد الرشيد من شكر النا	س له سعيه بمالِ الناسِ	١	٣٠٨
والشقيُّ الشقيُّ من ذمّه النا	سُ على بخله بمال الناسِ	١	٣٠٨
قالوا نراك تطيل الصمت قلتُ لهم	ما طول صمتيَ من عيٍّ ولا خرسِ	٥	٣١٦
مرسى السيادة سن سنّة سيفه	محروسة مسعودة التأسيسِ	٨	٣٦٤
إمام محبّ ناشئ متصدّق	وباك مصلٍّ خائف الباسِ	٣	٥٦٢
لما تدنّستُ بالتفريط في كِبَري	وصرت مغرى بشرب الراح واللعسِ	٢	٦٣٩
ومنوّع الحركات يلعبُ بالنهى	لبس المحاسنَ عند خلعِ لباسِهْ	٤	٢٨٥

الشّين

أرمّق العيش على برْضٍ فإنْ	رمتَ ارتشافاً رُمْتَ صعبَ المنتشا	٣	٢٩٩

كـأنّك تندبُ في ذنب كـبش	تدلدلُ هكذا والكبشُ يمشي	١	١٦٩
كـأنّك صـعوة في أصل حشٍّ	أصـاب الحشّ طشّ بعد رشّ	١	١٦٩

الصّاد

أذللْتَ كـرْمـانَ وعـرّضـتـهـا	لجحفلٍ مثل عديدِ الحصَا	٤	٣١٥
أيا قاضية البصرهْ	قومي فارقصي رقْصَهْ	٤	٧٠٤
وأخٍ رخُصتُ عليه حتى ملّني	والشيء مملولٌ إذا ما يرخصُ	٢	٣٣٢
خالقتُ أبناء الزمان فلم أجد	من لم أرمَ منه ارتيادي مُخلصي	٢	٥٥١
إذا رأوا جملاً يأتي على بُعد	مدّوا إليه جميعاً كفّ مقتنصِ	٢	٥٨١

الضّاد

أسمَعَني شاتمي عبد بني مسمعٍ	فصُنْتُ عنه النفس والعرضا	٢	١٣٨
شاتمني كلبُ بني مسمعٍ	فصُنْتُ عنه النفسَ والعرضا	٢	٣٤٤
قضى الله أنّ الآدميّ معذّبٌ	إلى أن يقول العالمون به قضى	٢	٧٤٦
إذا عدوّك يوماً سما	إلى حالة لم تطق بغضَها	٢	٦٣٢
سرى زائراً في ليلة كان بدرها	غزالاً له طرف يعافي ويُمرِضُ	٥	٢٩٠
قل للعميد أخي العلى الفياضِ	أنا قطرة من بحرك الفياضِ	٩	١٢٤
جزاك عفوي على الذنوب فقد	أمنتَ عند الذنوب إعراضي	٤	١٩٥
هذا عمرو يستعفي من	زيد عند الفضل القاضي	٣	٢٦٨
وكم تجرّعت من غيظ ومن حَزَنٍ	إذا تجدّد حُزن هوّن الماضي	٢	٦٦١

الطاء

أفدي إماماً وميض البرق منصرعٌ	من خلف خاطره الوقّاد حين خطا	٢	٨٣
لا تخطُوَنَّ إلى خطءٍ ولا خطإٍ	من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا	٢	٢١٠
عليك حروف هن خير غوامض	قيود كتاب جلّ شانا ضوابطُهْ	٣	٤٦٩

علينا محاذاة المرامي سهامنا	وليس علينا أن نصيب ولا نخطي	١	٦٣٥

الظاء

مـــا أنتَ إلا الحُـــفظهْ	تـكـتـبُ لـفْـظَ الـلُـفَـظَـهْ	١	٧
يا من يزيد تمقّـــتــــاً	وتبــاغــضــاً في كلّ لحظَهْ	٢	٢٦٩
ظنّت عظيمة ظلمنا من حظّها	فظلتُ أوقظها لتكظم غـيظَها	٤	٧٤٨
في العلم للعلمــــاء إنْ	يتـــفـــهـــمــوه مــواعظُ	٥	١٦٧
نبّـهْ جفونَك للصباح وأيقظِ	وانظرْ نهاية كلّ حسنٍ والحظِ	٢٧	٢٢٩

العين

اقـتـربوا قِـرْفَ القِـمعْ	إنـي إذا المـوتُ كـنَـعْ	٥	٣٦٩
حـسـبي بعلمي إن نفعْ	مـــا الذلّ إلا في الطمعْ	٤	٣٧٠
إنّمـا النحـو قـياس يتّـبع	وبه في كل أمــرٍ يُنتــفعْ	١٠	٦٨٤
لو أنّ صــورةَ مَنْ أهوى ممثّلةٌ	وصورتي لاجتمعنا في الجدار معًا	٢	١٤
وإلا رسوم الدار قفراً كأنّها	كتابٌ محاه الباهليّ ابن أصمعا	١	١٦
وذات قـدمٍ عـارٍ نواشـرُها	تصـمتُ بالماء تولباً جـدعـا	١	٥٢
وأخذتَ أطراف الكلام فلم تدعْ	قـولاً يقـال ولا بديعـاً يدّعى	١	٩١
لا يبرح المرء يستقري مضاجعه	حتى يبيت بأقصاهنّ مضطجعا	٤	٢٨٣
وأنكرتني وما كان الذي نكرت	من الحوادث إلا الشيبَ والصلعا	١	٥٩٨/٥٩٣
أتبكي على ليلى ونفسك باعدتْ	مزارك من ليلى وسعياكما معا	٥	٦١١
لعمري وما دهري بتأبين هالكٍ	ولا جَزَعٍ مما أصاب فأوجعا	١	٧٠٣
كــفّــاه لم تُخلقــا للندى	ولم يكُ بخلُهـــا بدْعَـــهْ	٣	٢٧٦
ودّعــتــه حين لا تودّعــه	نفسي ولكنها تسير معَهْ	٢	٦٥٤/٣١٩
تشوّهت الدنيا وأبدت عوارها	وضاقت عليّ الأرض بالرحب والسعَهْ	٣	٧٨٢
أمـا لو أعي كلّ مـا أسـمعُ	وأحـفظ من ذاك مـا أجـمعُ	٧	٥١

وآخــر منهم أجــررتُ رمــحي	وفي التــجليَّ مــعــبلةٌ وقــيعُ	١	٥١
ماذا لقيتُ من المستعربين ومنْ	تأسيس نحوهم هذا الذي ابتدعوا	٩	٦٥
هذا مــصــيــفــهم وهذا المربعُ	فـعلامَ لا تحكي العقيقَ الأدمُع	١٠٥	٩٥
ذكرت المطايا والعيونُ هواجعُ	فـهبَّ كما هبَّ الرياح الزعازعُ	٧	١٢٢
وكذّبتُ طرفي فيك والطرف صادقُ	وأسمعت أذني منك ما ليس يُسْمعُ	١	١٤٠
وللكبــيــر رثيــات أربعُ	الرُّكبــتــانِ والنســا والأخــدعُ	٢	١٥٦/٢٠٢
إنْ خـال لونُ الرأسِ عن حــاله	ففي خضابِ الرأسِ مُستمتعُ	٢	١٦٨
حنُّ إلى كــأســه الخليعُ	لما بــدا الــنــورُ والــربــيــعُ	٣	٢٦٤
بملتـفـتـيـه للمـشـيب طوالعُ	ذوائد عن ورد التصابي روادعُ	١٥	٣٢٢
لم ينسِنا كافي الكفاة مصابه	حتّى رمانا فيك خطب مـضلعُ	٣	٤٦٧
يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ	أنتَ المعــدّ لكلّ مــا يُتــوقّعُ	٧	٤٨٠
فبتّ كأني ساورتني ضـئيلة	من الرقش في أنيابها السّمّ ناقعُ	١	٥٨٨
فـمـا جـبنوا أنا نشـدّ عليـهم	ولكن رأوا ناراً تحشّ وتسـفـعُ	١	٥٩٥
ومُطَهِّم مـا كنت أحـسب قـبله	أنّ السّروج على البوارق توضعُ	٢	٧٨١
ويشتمني المرء اللئيم فلا أرى	كفاءً لعرضي عرضـه فأجامعُهْ	٤	١٣٨
زنيمٌ تداعــاه الرجــال زيادة	كما زِيدَ في عرض الأديم أكارعُهْ	١	٣٠٠
يا أمَــةَ اللهِ ألم تســمــعي	مـا قـال عـبدالملك الأصـمـعي	٢	١٨
واحــدة أعــضـلكمْ أمــرُها	فـكـيـف لـو دُرتُ عـلـى أربـعِ	١	٣٠
ألفـة النحـيب كم افـتـراق	أظلّ فكان داعـيـة اجـتـمـاعِ	١	١٣٦
ولـيـس فــــرحُ الأوباتِ إلا	لموقــــوف على ترَحِ الوداعِ	١	١٣٦
قـالوا أبو حـيـان غـيـر مُدافَع	ملك النحـاة فـقلتُ بالإجـمـاعِ	٢	٢٥١
عَذُبَ الفـراقُ لنا قُـبيل وداعنا	ثم اجْـــرعناه كــسُمٍّ ناقـعِ	٢	٣٢٩
بينا تعــانقــه الكمـاة وروغـه	يومــا أتيح له كـجــزء سلفعِ	١	٣٣٧

يقولون لي هلا نهضت إلى العُلا	فما لذّ عيش الصابر المتقنعِ	١٣	٣٩٤
رعيُ روض المنى على الحرّ عار	إن روْض المنى وخيم المراعي	٤	٣٩٦
هجوت زبّان ثمَ جئت معتذراً	من هجوِ زبّان لم تهجو ولم تدعِ	١	٥٩٤

الغين

دع الهمّ بالرّزق يا غافلاً	فربّك منه لنا قد فرغْ	٧	٦١١
بنت ثمانين بفيها لثغهْ	شوهاء ورْهاء كطين الروغَهْ	١٠	٧٠٦

الفاء

لو أنّ حيّاً وائلاً من التلفْ	لوألتْ شغواءُ في رأس شعفْ	١٠	٢٧٩
مولاي مولاي أجرني فقد	أصبحت في دار الأسى والحتوفْ	٢	٢٨٥
كلفتُ بالبديع من جماله	إنّ البديع بالبديع ذو كلفْ	٣	٣٩١
لا دُرُّ دُرّ بناتِ الدهرِ إذ فجعتْ	بالأصمعيّ لقد أبقتْ لنا أسفا	٢	٢٧
لو لم يكنْ لي أباء أسودُ بهم	ولم يُثْبِّت رجالُ الغرب لي شرفا	٣	٥٥٩/٨١
كساني عامرٌ وكسا بنيه	عِطاف المجد إنّ له عطافا	١	٩٥
سلامٌ كأزهارِ الربيعِ نضارةً	وحسنا على شيخ الشيوخِ الذي صفا	٣	٢١٥
سقى الله بطن الأيك أو طفّ واكفا	تجلّل بطن الأيك أو رقّ وارفا	٢	٤٠٥
إنْ جئت نلْتُ ببابك التشريفا	وإن انقطعت فأوثرِ التخفيفا	٢	٧٥٩
تشبَّهَ في النحو بالأخفشين	فجاء بأعجوبة مُطرِفَهْ	٣	٦٦
ببدر الدين ذي الهِمَمِ المنيفهْ	سما رأيُ الإمام أبي حنيفَهْ	٢	٢٨٦
لجماعة سمَوا هواهم سُنّة	وجماعة حمير لعمري مؤكفهْ	١	٤٠٧
شبّهت جهلاً صدر أمة أحمد	وذوي البصائر بالحمير المؤكفهْ	١٨	٤٠٨
وجماعة كفروا برؤية ربهم	هذا ووعد الله ما أن يخلفَهْ	٣	٤٠٩
لجماعة كفروا برؤية ربهم	ولقائه فهمُ حمير مؤكفهْ	٩	٤٠٩
عجباً لقوم ظالمين تستروا	بالعدل ما فيهم لعمري معرفهْ	٢	٤٠٩

الكاف

ارضَ للناس جـمـيـعـا	مـثل مـا ترضى لنفسكْ	٣	٣٠٣
يا طالبَ الرزقِ إنّ الرّزق في طلبكْ	والرزق يأتي وإن أقللت من تعبكْ	٣	٤٦٠
وانصـر علـى آل الصّليب	وعـابديه اليـوم آلكْ	١	٤٨٧
يصيبُ ولا يدري ويخطئ وما درى	وكـيف يكون النُّوْكُ إلا كـذلكا	١	٢٥
يا غـياثَ البـلادِ في كل مـحْلٍ	مـا يريد العـبادُ إلا رضـاكـا	٢	٤٥
لو كنت تعلمُ مـا أقـول عـذرتني	لو كنت تعلم مـا تقـول عـذلتُكا	٢	٢٧٤
مارستَ من لو هوتِ الأفلاك من	جـوانب الجـوّ عليـه مـا شكا	١	٣١٦
تغنَّمْ سكون الحـادثات فـإنّهـا	وإن سكنتْ عـمّـا قليل تحـرّكُ	٢	٣٠٤
أطمـعني حب الملوك امـرؤ	يحـتـاج بالرغم إليـه الملوكُ	٢	٤٧٢
ضحكنا وكان الضحْك منا سفاهةً	وحُقّ لسكان البسيطة أن يبكوا	٢	٧٤٦
كـذبت وبيت الله خلقـة صـادقٍ	سيسلبنا بعد الثرى من له الملكُ	٢	٧٤٦
أقـول لما جـاءني نعـيُـهُ	بُعـداً وسُـحـقـاً لك من هـالكِ	٢	٤٨
كـأنّه قَـعبُ نُضـار مكّي	أو جـبنة من جبن بعلبكي	٢	١٥٧
يا ابن اللهيب جعلت مذهب مالك	يدعـو الأنام إلى أبيك ومـالكِ	٢	٢٨٦
شكوت إلى الأيام سوء صنيعها	ومن عجب باكٍ تشكّى إلى المبكي	٢	٣٩٧/٣٨١
جعلنا فداك الدهر ليس بمنعك	من النازل المشكوّ والحادث المشكيّ	٥	٧٣٥

اللام

الحـمـد لله على كلِّ حـالْ	قـد أطفـأ الماءُ سـراج الجـمالْ	٢	٨١
النـاسُ حـول قـبـابه	أهل الحـوائجِ والمسـائلْ	١	١١٦
أيّـهـا المـاطلُ دَيـنـي	أمَـلـيٍّ وتمـاطـلْ	٢	٣٢٣
إن أردت الإنجاب فانكح غريباً	وإلى الأقـربين لا يتـوصّلْ	٢	٣٩١
يؤمّل دنيـا لتـبـقى له	فـوافى المنيـة دون الأملْ	٢	٥٢٠

أحـبّـه حبّ الشـحـيح مـاله	قـد كـان ذاق الفـقـر ثمّ نالَه	١	٤٣١/٤٢٩
يا حـبّـذا مـا حـوت السلّة	من كـتـاب القـرآن الملّهْ	٥	٦٤٩
أفـسـد النحـوَ الكسـائـ	ـي وثنّى ابنُ غـزالَـهْ	٢	٦٨٣
هفتِ الحنيفة والنصارى ما اهتدت	ومجوس جارت واليهود مضللّهْ	٢	٧٤٧
إنّ الإمـام جـمـال الدين جـمّله	ربّ العُلى ولنشـر العلم أهلَهْ	٣	٧٥٥
ابن لي دعيّ يدعى أصـمـع	أقـفـرُ رباعك أم أهلَهْ	٣	٧٩٦
أليس من العجائبِ أنّ شخصاً	أصـيـمعَ باهليّـاً يستطيلُ	٢	٢٦٩/٩
تعلّمْ فليس المرءُ يُخلَقُ عـالماً	وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلُ	٢	٢٨
من عفّ خفّ على الوجوه لقاؤه	وأخو الحوائجِ وجهه مبذولُ	١	١١٦
هـي فـذّ وتوأم ورقـيـب	ثمّ حِلس ونافس ثم مُسبِلُ	٣	٢١٨
سُئِلوا فـأبَوْا فلقـد بَخِلوا	فلبئسَ لعمـرك مـا فـعلوا	٢	٢٦٧
أقيموا بني أمّي صدورَ مطيّكم	فـإنّي إلى قومٍ سواكم لأميلُ	١	٢٨١
إنّ بالشّـعْبِ الذي دون سلْعٍ	لقـتـيـلاً دمـه لا يُطَلُّ	١	٢٨١
وقد ألفتْ زهر النجوم رعايتي	فإن غبتُ عنها فهي عني تسألُ	٢	٣٢٢
يا زيدُ زادك ربّي من مواهبه	نُعمى يقصّر عن إدراكها الأملُ	٣	٣٣٣
إذا رأيت امرأ في حال عسرته	مـواصِـلاً لك مـا في ودّه خللُ	٢	٣٣٨
نهـاية إقـدام العـقـول عـقـال	وأكـثـر سـعي العـالمين ضـلالُ	٥	٣٦٢
لا تضـجرنّ فـمـا سواك مؤمّل	ولديك يحـسن للكرام تذلّلُ	٣	٤٧٠
لكلّ اجتماعٍ من خليلين فُرقة	وإنّ بقـائي بعـدكم لقليلُ	٣	٣٧٢
إذا صدق الجدّ افترى العم للفتى	مكارم لا تُكرى وإن كذب الخالُ	١	٤٩٧
ألا إنّ إخـوان الثـقـات قليل	وهل إلى ذاك القليل سـبـيلُ؟	٢	٥٦٩
ودّع أمـيـمـة حـان منك رحـيل	إن الوداع من الحـبـيب قليلُ	١	٥٩٩
وسألت من لا يستجيب فكنت في اسـ	ـتخباره كمجيب من لا يسألُ	١	٦٠٧

أني لعمر الذي خطّت مناسمها	تخدى وسيق إليه الباقر العثلُ	١	٦١٥
لا يغــــرّنكم علوٌّ لئـــــيمٍ	فــعلوّ لا يســتــحق سِـفــالُ	٢	٦٣٤
وإن مدّت الأيدي إلى الزاد لم أكن	بأعجلهم إذ أجشعُ القوم أعجلُ	١	٦٦٤
وإذا أتتك مــذمــتي من ناقصٍ	فــهي الشــهادة لي بأنيَ كـاملُ	١	٧٤٠
ومــا ذات دار لا يحلّ لحــالبٍ	تناوله واللحم منهــا مــحلّلُ	٥	٧٤٤
جوابان عن هذا السؤال كلاهما	صـوابٌ وبعض القـائلين مـضلّلُ	٦	٧٤٤
أنا ضــمــيــر من يعــزّ نظيــرُه	من الناس طُرّاً سابغ الفضل مكملُ	٨	٧٤٥
ألا أيّهـا القـاضي الذي بدهائه	سيوف على أهل الخلاف يُسلُّلُ	٨	٧٤٥
ياذا الذي عمّ الورى نفــعـــه	ومن له الإحــســان والفـضـلُ	٣	٧٥٩
يا رجــلاً خفّ عنده الثــقلُ	حــتى به صــارُ يُضــربُ المثلُ	٢	٧٩٥
متى ما تسمعي بقتـيل حبٍّ	أصــيبَ فـإنني ذاك القــتـيلُ	١	٧٩٦
أتيــــتك عــــائذاً بك منك	لما ضــــــاقت الحــــيلُ	٤	٧٩٦
يا أيهـا الملك الميــمـون طائره	ومن سـحـاب نداه الدهر هطّالُ	٦	٧٩٩
كلَ حيٍّ قــاضٍ عليـــه زواله	وإلى هذه الســبــيل مــآلُهْ	٣٦	١٠٢
ولا تعترضْ للأمر تُكفى شؤونه	ولا تنصــحَن إلا لمن هُوَ قـابلُهْ	١	١٧٣
ويومـاً كـإبهـام القطاة مـحبَّبٌ	إليّ هـواه غــــالب ليٌ باطلُهْ	٣	٢٨٣
أبت لك أن يخشى عدوك صولةً	عليــه إذا مــا أمكنتك مـقـاتلُهْ	٢	٢٣٨
فتىً كان يعلو مفرق الحق قوله	إذا الخطباء الصيِّد عضّل قيلُها	١	٤٦٢
وذي خطل بالقـوْل يحسب أنه	مصيبٌ فما يلمم به فـهو قائلُهْ	١	٤٦٢
يسرّ الفتى ما كان قدّم من تُقى	إذا عــرف الداء الذي هو قـاتلُهْ	١	٥٣١
فبتنا عراه عند رأس جوادنا	يقــاتلنا عن رأســه ونقــاتلُهْ	١	٧٨٦
لا مـــالَ إلا العطاف تؤزرهُ	أمُّ ثلاثين وابنة الجـــبلِ	٢	٢٢/١١
عُـصْــرَتُهُ نطفــةٌ تضــمّنهــا	لِصبٌ تلقّى مــواقعَ السَــبَلِ	٢	٢٢

صـريعَيْ مـدامٍ مـا يفـرّق بيننا	حـوائجُ من إلقـاح مـالٍ ولا نخْلِ	١	١١٧/١١٦
نهـارُ المرءِ أمـثلُ حين تُقـضى	حـــوائجُـــه من الليل الطويلِ	١	١١٦
دفـنـتُ بـدر الـتـم بـالمـوصـل	فـلا سـقـاه الغـيث من منزلِ	٣	١٢٢
أتعرف في الدنيا كريماً تؤمّه	لدفع ملمٍّ أو لبـــذل جـــزيلِ	٥	١٣٩
زمـــاننا صـــعبٌ وإخـــواننا	أيديهم جـــامـــدةُ البـــذلِ	٤	١٥٠
فيا جَبَلَيْ شيبان لا زلتما لها	حليفَيْ فخارٍ في الورى وتفضّلِ	٦	١٥٢
نهك الهواجرُ والسُّرف نجداتها	فعُـيونهـا كـمدافع الأوشـالِ	١	١٥٥
يا جـــمـــالاً جـــمّل الله به	علماء العصرِ جيلاً بعد جيلِ	٩	٢٢٢
أحـــيـيتَ بالقـصــد الجليل	مـــا مـــات من علم الخليلِ	٢	٢٢٢
ألامُ على تسهاد جفني في الدجى	ويدأب فكري في اقتناص الفضائلِ	٢٤	٢٤٢
أبلغْ سليمان أني عنك في سعةٍ	وفي غنى غير أني لستُ ذا مالِ	٢	٢٧٤/٢٦٥
ولو نشـــر الخليل له لعـــفّت	بـلادتـه عـلـى فـطـن الخـلـيـلِ	١	٢٦٩
لولا الإله وأنني مـتــخـوّفٌ	مما أقـول لقـيت قـبـر خليلِ	٢	٢٦٩
مـــا أقـــبحَ النسك بســآلِ	وأقـــبحَ البـــخلَ بذي المالِ	٥	٢٧٤
يسقون من وِرَد البريصَ عليهم	بردى تصـفّق بالرياح السلسلِ	٢	٢٩٨
وما غربة الإنسان في شقة النوى	ولكنهـا والله في عـدم الشكلِ	٢	٣٠٣
شفاء العمى حسنُ السؤال وإنّما	يطيل العمى طول السكوتِ على الجهلِ	٢	٣٣٧
حكم جرى قبل خلق الخلق في الأزل	فليس ينقض بالتدبيـر والحيَلِ	٢	٣٥٩
ريح الشمالِ عساك أن تتحمّلي	خدمي إلى الصدر التمام الأفضلِ	٢٠	٣٦٣
وجوّل فكري في البلاد فلم يقع	على رجل في علمه غيـر راجلِ	٢	٣٨٣
يا من يرى مدّ البعوض جناحها	في ظلمـة الليل البـهـيم الأليلِ	٣	٣٨٧
خليليَّ هل تُجدي عليَّ فضائلي	إذا أنا لم أرفع على كلّ جاهلِ	١٧	٣٩٥
أيا شـقـيق الرصـاصِ والجبلِ	ويا قـــريع الأيّام في الثـــقلِ	٧	٤٥٨

الميم

ابن عـشـرٍ من السنين غـلامٌ	رُفِـعَتْ عن مـاله الأقـلامْ	١٠	١٤٢
سلطان علم النحـو أسـتـاذُنا	الشيخ أثير الدين حَبر الأنامْ	٢	٢٣٧
أرى الشيب مذ جاوزتُ خمسين دائبا	يدبُّ دبيت الصبح في غسق الظلمْ	٢	٣٢٣
منعـمـاً بلّغ تحـيـاتي إلى	شيخنا العلامة الحبر العلمْ	٦	٣٨٥
لا تلبـسنَّ حـريراً	لبس الحـرير مـحـرّمْ	٢	٣٨٧
إذا كان مالي مال من يلقط العجم	وحاليَ فيكم حال من حاك أو حجمْ	٣	٦٣٤
فـيـا أبتـا لا ترمِ عندنا	فـإنا بخـيـرٍ إذا لم ترِمْ	٢	٧٠٢/٦٩٩
كـفَّـاكَ كفٌّ مـا تليق درهمـا	جوداً وأخرى تقطر بالسيفِ دمًا	١	٢٩
خليليَّ إنْ قام الهوى فاقعدا به	لعنًا نقضّي من حوائجنا رمًا	١	١١٦
طاف الخيالان فـهاجا سقما	خـيـال تكنى وخـيـال تكتمـا	٢	١٧٦
النحـو علمٌ بأحكام الكلام ومـا	من التغايير يعروا اللفظَ والكلما	٧	٢٢٧
خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ	تحت العجاج وأخرى تعلك اللجُما	١	٢٨١
لقد شجَني في أم رأسي عزمه	فأصبحتُ من عزم الإمام أميما	٥	٢٨٣
يقولون لي فيك انقباض وإنّما	رأوْا رجلاً عن موقف الذلّ أحجما	١٤	٢٩٤
يلومونني إذ ما وجدت ملائما	ومالي مُليمٌ حين سُمْتُ المكارما	٣٦	٥٤٩
عليك بأصحاب الحديث فإنّهم	على نهج للدين لا زال معلمـا	٤	٥٦٩
ومـن يـغـوَ لا يعـدم	عـلـى الـغـيِّ لائـمـا	١	٦٠٤
أتانا فلمـا بصـرنا به	حللنا الجنى وابتدرنا القيـاما	٢	٧٢٨
سيرت ذكرك في البلاد كأنه	مسك لسامعه يضمح أو فما	٢	٧٤٢
الدين أخـذه وتاركـهُ	لم يخف رشدهما وغيّهما	٢	٧٤٧
محلمةُ العاقل عن ذي الخنا	توقظه إن كـان في محلمَهْ	١٣	٢١٣
سِمْ سِمـةً تحسن آثارُها	واشكر لمن أعطى ولو سِمْسِمَهْ	٢	٢٦٣
أيا من حوى الآداب طرًا ونالها	وحاز المعالي قدَّها وتوامَها	١٠	٢٤٨

يا دارُ أين البـــيضُ والأرامُ	أم أين جـيــرانٌ عليّ كـــرامُ	٧	٤٨١
قــالوا غـداً يأتي ديار الحـمى	ويـنـزل الـركـب بمـغـنـاهـمُ	٤	٤٩٠
فاق الرّشـيد فـاتّت بحـره الأُمَمُ	وصـدّ عن جـعـفرٍ ورداً له أمَمُ	١	٤٩١
ووجـهٍ نقيّ اللون صـافٍ يزينه	مع الجـيد لُبّاتٌ لهـا ومـعـاصـمُ	١	٥٣٦
لا ينعش الطرق إلا مـا تخـونه	داعٍ يناديه باسم الماء مـبـغـومُ	١	٦٠٦
أظليم إن مــصــابكم رجـــلا	أهدى السّـــلام تحـيــة ظلمُ	١	٦٩٩/٧٠٠/٧٠١
كـادني المازني عند أبي العـبّ	ـاس والـفـضل مـا علمت كـريمُ	٦	٧٠٦
لم ألقَ في الحبس محبوساً أسائله	مـا بال حـبسك إلا قـال مظلومُ	١	٧٣٤
لله أخـلاقُ مطبـوعٍ على كـرمٍ	ومن به تشـرفُ العليـاء والكرمُ	٩	٧٧١
قـالوا حـبيبك قـد تبدّى شـيبـه	فــإلام قلبك فـي هـواه يـهــيمُ	٣	٧٧٩
ألا حبّذا سعدى وحبّ مقامـها	ألا حـبـذا أن تسـتقلّ خـيامُـهـا	٥	٣٩١
توقّ خصالاً خوف نسيان ما مضى	قــراءة ألواح القـبـور وتديمُهـا	٥	٤٩١
أيا ملك النحـــاة والحــــاء من	تهجيه من تحتُ قـد أعجموها	٤	٧٧٥
ما زال أخذهم في النحو يعجبني	حتى سمعتُ كلام الزّنج والرّومِ	١	٦٥/٦٨٦
ومن يسـأمْ من الأسـفـار يومـاً	فـإني قـد سـئـمتُ من المقـامِ	٢	١٢١
فلو كنت في جبٍّ ثمـانين قـامـة	ورقّـيتَ أسـبـابَ السـمـاء بسلّمِ	١	١٥١
لولا أميـمةُ لم أجزعْ من العدَمِ	ولم أجُب الليـالي حِنْدِسَ الظُّلَمِ	٢	١٥٣
يديت على ابن حساسِ بن وهب	بأسـفلِ ذي الجـذاة يدَ الكريمِ	١	١٥٥
وخـلا الذباب بها فليس ببارحٍ	غـردا كـفـعل الشـارب المترنّمِ	٢	١٧١
مـــاذا لقـــيتُ اليـــوم من	مـــتــمـــجّنٍ خنث الكلامِ	١٣	٢٠٢
رجاؤك فلساً قد غدا في حبائلي	قنيصـاً رجـاءً للنتـاج من العُقمِ	٢	٢٤٠
لو غـيـركم علقَ الزبيـرُ بحـبله	أدى الجــوار إلى بني العـوّامِ	١	٢٦١
يا سـائلي عن اقـتـبـاسِ العلمِ	من رَجَــزٍ أو غــيــره من نظمِ	٣٤	٢٤٣

ألا إن التسهيل روض لذي العلم	ومنثوره يربى على اللؤلؤ النظمِ	٣	٧٥٧
تقول لي والغيوم هاجعة	اقمْ علينا يوماً فلم أقمِ	٤	٧٦٤
أتنكرين الحقّ أخت دارمٍ	إذا أصاخت لمقال عالمِ	١٧	٧٧٤
يا ابن الذين ترفعوا في مجدهم	وعلت أخامصهم فروع شمامِ	٢	٧٧٤
أيا ظبية الوعساء بين جلاجل	وبين النقا أأنت أم أم سالمِ	١	٧٩٩

النّون

قتلوا كسرى بليلٍ مُحرِماً	فتولَّى لم يُمتَّعْ بكفنْ	١	١٨
قفي شفتي في موضع الطبل ترتقي	كما قد أبحتِ الطبل في جيدك الحسنْ	٢	٤٦
هوِّنْ عليك الأمر صفحا يَهُنْ	فقل ما سكنت إلا سكنْ	٥	١٣٩
أعاذلتي أقصري	أبغْ جدتي بالمنَنْ	١	١٥١
نصبوا اللحم للبزا	ةِ على ذروتي عدنْ	٣	١٩٧
لو أرادوا عفافنا	نقَّبوا وجهك الحسنْ	١	١٩٥
أبرزوا وجهك الجميـ	ـلَ ولاموا من افتتنْ	١	٢٠٣
قل لقومٍ لا يتوبون	وعلى الإثم يصرّونْ	٣	٤٧٢
مالكَ تجري إلينا غيرَ ذي رسنٍ	وقد تكون إذا نجريكَ تُعيينَا	٢	١٢
ارفع ضعيفكَ لا يجرْ بك ضعفُه	يوماً فتدركه العواقب ما جنى	٢	٥٣
بلغتُ من العمر ثمانينا	وكنت لا أملُ خمسينا	٣	١٣٣
إنّ العيون التي في طرفها حَوَرٌ	قتلننا ثمّ لم يُحيينَ قتلانا	٢	١٤٣
بلِّغْ رسائل منّا خفٌ محملُها	على قلائصَ لم يحملْنَ حِيرانا	١	١٥٩
وحديثٍ ألذه هو ممّا	ينعتُ الناعتون يوزن وزنا	٢	١٦٨
إنّ الدراهمَ والنساءَ كلاهما	لا تأمنَنَّ عليهما إنسانا	٢	٢٤٠
أبا سليمان سرْ في الأرض أو فأقمْ	فأنت عندي دنا مثواك أو شطنا	٢	٣٠٥
إنّ بالمشرق فينا	جبل العلم ابن سينا	٢	٣٦٥

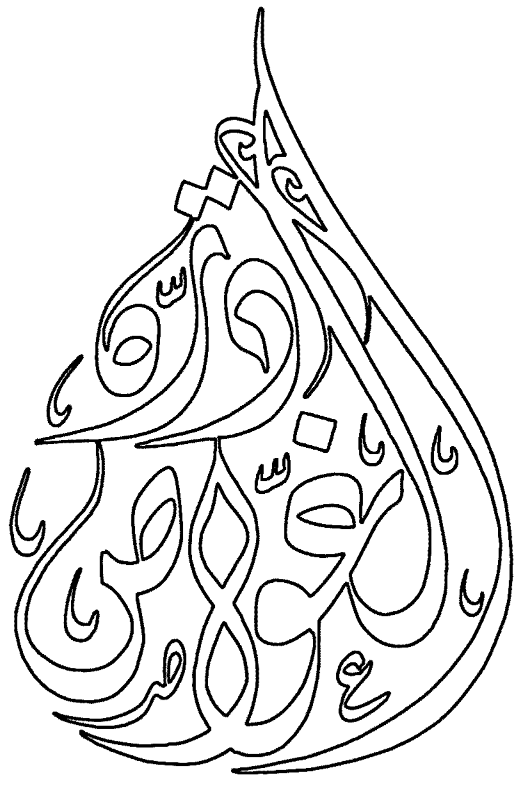
أعلمـــاً علمـــاً يقـــينا	أنّ ربّ العــــــــالمينـا	٣	٣٦٥
قـــد تركنا قـــد نســـينا	حكمــة الشـيخ ابن ســينا	٣	٣٦٥
نـحن بالجـــــهل ابتلينا	نـحن بالحـــــمق رُمـــينا	٦	٣٦٥
فلو وازن الدنيا تراب زمخشر	لأنّك منهـا زاده الله رحـجـانا	١	٣٨٠
ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى	سبيلٌ فإنّ الأمن في ذاك واليمنا	١٠	٤٦٨
بحـــمـــد اللهِ ربّ العـــالمينا	وربّ العـرش أبداً مُسـتـعـينا	٢٢٦	٥١٧/٤٩٥
وأم لم تزل تؤتى حــــرامــــا	وحـــلالاً لا يتـــعب الواطينا	٢	٤٩٥
يكلّمني ويخلع حـاجـبـيـه	لأحـسـب عنده علمــاً دفـينا	٢	٦٢٥
صلّى الإله على لوطٍ وطهّـره	أبا عـبـيـدة قل بالله أمـينا	١	٦٢٨/٦٢٧
قـــــد كـــــان ذلك ظنّي	وعـــــاد ظنّي يـقـــــينا	١	٧١٧
قالوا: تلقب زين الدين فهو له	نعتٌ جمـيلٌ به قـدر زين الأمنا	٥	٧٥١
قالوا تلقّب زين الدين مفتخرا	نجل الجنوبيّ من قد جمّل الأمنا	٢	٧٥١
سمين الضواحي لم تؤرقه ليلةٌ	وأنعمَ أبكار الـهـمـوم وعُـونَـهـا	١	٥٣
قل ليـــحـــيى بن علي	والأقـــــــاويـلُ فـنـونُ	١٣	١٢٤
ربّمـا عـارض القـوافي رجـال	بقـــوافٍ فـــتنتني وتلينُ	٢	٢١٨
أيّ غـدٍ مع يدٍ دَدٌ ذو حـــروف	طاوعت في الرّويّ وهي عـيـونُ	٢	٢١٩
مـا يقـول الفـقـيـه أيّده الله	ولا زال عنده الإحـــســـانُ	٢	٢٢٠
كـان بحـراً من العلوم فلمّـا	فـاظ بالنفس غـاض بحـر مـعينُ	٢	٥٧٩
صُداعٌ من كلامك يعترينا	ومـا فـيـه لمسـتـمـع بيـانُ	٢	٧٣٥
خليليّ هل بالشّـام عين حزينةٌ	تبكي على نجـدٍ لعلّي أعـينُهـا	٣	٧٦٩
يُثني عليك لســانه وبنانه	ويودّ لو مـعك انقضت أزمـانُهُ	٢	٧٧٨
أنّى جَزَوا عـامـراً عني بفعلهم	أم كيف تجزونني السوء من الحسنِ	٢	٤١
أيا سـائلي عن كُنْه عليـاه إنّه	لأعطيَ مـا لم يعطَهُ الثـقـلانِ	٢	٨٢

أيا جبلي نعمان إنّ حصاكما	ليحصى وما تحصى مناقب نعمانِ	٢	٣٩٨
إذا سألوني عن حالتي	وطولت عذراً فلم يمكنِ	٣	٤٧٢
أخفيت سقمي حتى كاد يخفيني	وهممت من حبّ عزّون فعزّوني	٢	٤٧٦
لما أجابَ بلا طمعت في وصله	إذ حرف "لا" حرفان معتنقانِ	٢	٤٨٠
أشرت إليها بالجفون أنيني	فقولك يشفي يا أسيم أنيني	٢	٤٨٧
ومن بعد ما زلت تولت بشاشتي	ونادمت روعات الزمان أنيني	١	٤٨٧
نفسي الفداء لسائلٍ وافاني	بمسائل فاحت كغصن البانِ	٢٤	٤٩٣
إذا ما رمْت نقل السّبعة الزم	لتظفرَ بالمنى حِرْزَ الأماني	٥	٥٥٥
قد رفع العجّاج بيتاً فادعني	باسمي إذا الأنساب طالت يكفني	١	٥٦٧
حقّ العيادة يوم بَيْن يومين	وجلسة مثل لحظ الطرف بالعينِ	٢	٦٥١
إنّي أعزيك لا أنّي على ثقة	من الحياة ولكن سنة الدينِ	٢	٦٩٨
شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما	رأي النساء وإمرة الصبيانِ	٢	٧٠٤
النحو يبسط من لسان الألكن	والمرء تعظمه إذا لم يلحنِ	٢	٧١٧
جسمي معي غير أنّ الرّوح عندكمُ	فالجسم في غربة والروح في وطنِ	٢	٧١٩
كلب عوى بمعرّة النعمان	لما خلي عن ربقة الإيمانِ	٢	٧٤١
حاول إهواني قوم فما	واجهتهم إلا بإهوانِ	٣	٧٤٢
قل لابن مالك إن جرت بكَ أدمعي	خمراً يحاكيها النجيع القاني	٣	٧٥٣

الهاء

ابنُ اللهيب دعاني	دعاء غير نبيهْ	٢	٢٨٥
ابنُ دريدٍ بقرهْ	وفيه عيٌ وشَرَهْ	٣	٣١٤
قل للأمير مقالةً	من ناصحٍ فطنٍ نبيهْ	٢	٥٥٥/٥٥١
من قال حسبي من الورى بشر	فحسبيَ اللهُ حسبي اللهُ	٢	٢٢٧
قال لي اعتلّ من هويت حسودا	قلْت أنت العليل ويحك لا هو	٣	٤٣٠

غُذيت بعلم النحو إذ درّ لي ثديا	فجسمي به ينمى وروحي به تحيا	٦٠	٢٥٧
خليليَّ إنْ كانت بسامَرَّ ميتتي	فإياكما في البرّ أن تدفنانيا	١	٣٣٩
رُبَّ ميتٍ قد صار بالعلم حيًا	ومبقّى قد مات جهلاً وغيًا	٢	٣٤٤
إذا نحن أدلجنا وأنت إمامُنا	كفى لمطايانا بذكراك حاديا	١	٣٤٧
فلو كنت أعمى أخبط الأرضَ بالعصا	أصمَّ ونادتني أجبت المناديا	١	٦١٦
أتبكي بعد فقدك لي عليًا	ومن قبل الممات تسيء ليًا	٣	٧١٥
غابوا فصار الجسم من بعدهمْ	ما تنظر العين له فيًا	٣	٧١٩
أجمع المحي وشيخٌ	مثلهُ في العصبيَهْ	٤	٢٢٣
صفراءُ لا من سقمٍ مسَّها	كيف وكانت أمَّها الشافيهْ	٢	٣٠٨
الدّرة المنظومة الألفيَّهْ	أجل ما في الكتب النحويّهْ	٧	٧٥١
أطرباً وأنت قِنَّسريُّ	وإنّما يأتي الصِّبا الصَّبيُّ	٢	٣٠٧
قعودي لا يردّ الرزق عنّي	ولا يدنيه إن لم يُقض شيٌ	٤	٤٢٣
تقطّع بيننا الحاجات إلا	حوائج يعتسفن مع الجريٍّ	١	٧٢٢



٥- فهرس الأنصاف والأجزاء الشعرية

٦- فهرس مصادر المؤلِّف



٧- فهرس التراجم حسب ترتيب المؤلف (منهج الشهرة)

٨- فهرس التراجم حسب الترتيب الهجائي

٩- فهرس المصادر والمراجع

- ابن أبي الربيع السبتي إمام أهل النحو في زمانه، مجلة المناهل، المغرب، ع ٢٢، ١٩٨٢م.
- ابن بري وجهوده في النحو واللغة والتصريف، عيد مصطفى درويش، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ابن جنّي النحويّ، فاضل السامرائيّ، دار النذير، بغداد، ١٩٦٩م.
- ابن الحاج النحوي، حسن موسى الشاعر، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦م.
- ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه: شرح مقصورة ابن دُريد، تحقيق ودراسة: محمود جاسم محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن درستويه: عبدالله بن جعفر بن المرزبان الفارسي، عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤م.
- ابن دريد حياته وتراثه اللغوي والأدبيّ، السيد مصطفى السنوسي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.
- ابن السكيت اللغوي، محيي الدين توفيق إبراهيم، بغداد، ١٩٦٩م.
- ابن سيده، عبدالكريم شديد محمد النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٤م.
- ابن الشجري ومنهجه في النحو، عبدالمنعم أحمد التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٤م.
- ابن عصفور والتصريف، فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٠م.
- ابن قتيبة العالم الناقد الأديب، عبدالحميد سند الجندي، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن قتيبة اللغويّ منهجه وأثره في الدراسات اللغوية، عبدالجليل مغتاظ عودة التميمي، جامعة سبها، ليبيا.
- ابن كيسان النحوي، حياته، آثاره، آراؤه، محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام،

القاهرة، ط١، ١٩٧٥م.
- ابن الناظم النحوي، محمد علي حمزة سعيد، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٧م.
- ابن هشاما لأنصاريّ: آثاره ومذهبه النحويّ، علي فودة نيل، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٥م.
- ابن هشام النحويّ: عصره، بيئته، فكره، مؤلفاته، منهجه، ومكانته في النحو، سامي عوض، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧م.
- ابن يعيش النحويّ، عبدالإله نبهان، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م.
- ابن يعيش وشرح المفصّل، عبداللطيف محمد الخطيب، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٩م.
- أبو جعفر النحاس، أحمد خطاب العمر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨م.
- أبو حاتم السجستانيّ الراوية، سعيد جاسم الزبيدي، دارأسامة، عمّان، ط١، ١٩٩٨م.
- أبو الحسين بن الطراوة وأثره في النحو، محمد إبراهيم البنا، دار بوسلامة، تونس، ط١، ١٩٨٠م.
- أبو حيان النحوي، خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م.
- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، أحمد مكي الأنصاريّ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- أبو زيد الأنصاري ونوادر اللغة، محمد عبدالقادر أحمد، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ١٩٨٠م.
- أبو عبيدة معمر بن المثنى، نهاد الموسى، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٥م.
- أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو، رشيد عبدالرحمن العبيدي، بغداد، ١٩٦٩م.
- أبو علي الفارسي: حياته ومكانته بين ائمة العربية وآثاره في القراءات والنحو، عبدالفتاح شبلي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.

- أبو عمرو بن العلاء اللغوي والنحوي ومكانته العلمية، عبدالله محمد الأسطى، الدار الجماهيريّة، ليبيا، ط١، ١٩٨٧م.
- أبو محمد الحريري صاحب المقامات، أحمد أمين مصطفى، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م.
- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، بدوي أحمد طبانة، القاهرة، ١٩٥٢م.
- أبجد العلوم، السيد صدّيق بن حسن خان القنّوجي، وضع حواشيه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٧م.
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، عبدالصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين محمد بن عبدالله بن الخطيب، شرحه وضبطه: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- أخبار أبي تمام، محمد بن يحيى الصولي، تحقيق: خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، علي بن يوسف القفطي، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٩٠٨م.
- أخبار النَّحويّين البصريّين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافيّ، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.
- أخبار وتراجم أندلسية، أحمد بن محمد السلفي، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣م.
- اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى، ابن سعيد المراكشي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة، القاهرة، ١٩٥٩م.

- اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط، بدر ناصر البدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م.
- ارتشاف الضَّرَب من لسان العرَب، أبو حيان الأندلسيّ: تحقيق ودراسة: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، أحمد بن محمد التلمساني المقرّي، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، ١٩٧٨م.
- أساس البلاغة، جارالله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.
- أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، الحسن بن أحمد المعروف بالأسود الغندجانيّ، تحقيق: محمد علي سلطاني، دمشق، ١٩٧١م.
- الاستغناء في أحكام الاستثناء، أحمد بن إدريس المعروف بالقرافي، تحقيق: طه محسن، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٢م.
- الإشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبيّ، تحقيق: إبراهيم صالح، دار ابن الأثير، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويّين، عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني، تحقيق: عبدالمجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، الرياض، ١٩٨٦م.
- الأشباه والنظائر، جلال الدين عبدالرحمن السيوطيّ، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- إصلاح ما غلط فيه أبو عبدالله النمري في معاني أبيات الحماسة، الحسن بن أحمد المعروف بالأسود الغندجاني، تحقيق: محمد علي سلطاني، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٩٨٥م.
- الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة، رحاب عكاوي، دار الفكر العربيّ، بيروت، ١٩٩٨م.
- الأصمعيّ وجهوده في رواية الشّعر العربيّ، إياد عبدالمجيد إبراهيم، دار الشؤون

الثقافية، بغداد، ١٩٨٩م.
- الأضداد، محمد بن القاسم الأنباريّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠م.
- أعلام مالقة، أبوعبدالله بن عسكر، تحقيق: عبدالله المرابط الترغي، دار المغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٩م.
- الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، راجعه: عبدالوهاب بن منصور، ط٢، ١٩٦٧م.
- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ الحلبيّ، دار القلم العربيّ، حلب، ط٢، ١٩٨٨م.
- أعيان العصر وأعوان النصر، خليل بن أيبك الصفديّ، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، الحافظ ابن ماكولا، صححه: عبدالرحمن بن يحيى اليماني، طبعة مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٢، بيروت.
- الأمالي، إسماعيل بن القاسم القالي، نسخة الهيئة المصرية العامة للكتّاب، مصر، ١٩٧٥م.
- أمالي الزجّاجيّ، عبدالرحمن بن إسحاق الزجّاجيّ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- أمالي ابن الشجريّ، هبة الله بن علي الحسني الشجريّ، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- الإمام جلال الدين السيوطيّ فقيهاً ولغوياً ومحدّثا ومجتهداً، بحوث مختارة من الندوة التي أقامتها المنظة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع جامعة الأزهر في القاهرة.

- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطيّ: مَعْلَمة العلوم الإسلاميّة، إياد خالد الطبّاع، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.
- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطيّ وجهوده في الحديث وعلومه، بديع السيد اللحام، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.
- الإمام الطبري، محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠م.
- الإمام الطبري في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته، مجموعة بحوث نشرتها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، ١٩٩٢م.
- الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره، علي محمد العماري، دار التحرير، القاهرة، ط١، ١٩٦٩م.
- الإمام الكسائي وآراؤه في النحو، مجلة بحوث كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ع٢، ١٤٠٤هـ.
- أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، بهجة عبدالغفور الحديثي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط٢، ١٩٩١م.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان علي بن محمد التوحيدي، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة.
- إنباه الرّواة على أنباه النحاة، جمال الدين علي بن يوسف القفطيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٦م.
- الأنساب، عبدالكريم بن محمد المعروف بأبي سعد السمعاني، تعليق: عبدالله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- الإنصاف والتحرّي في دفع الظلم والتجرّي عن أبي العلاء المعريّ، الكمال عمر بن أحمد بن العديم، ضمن كتاب: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، راغب الطباخ الحلبي، دار القلم العربيّ، حلب، ط٢، ١٩٨٩م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، ط٥.

- أوجه التحري عن حيثية أبي العلاء المعري، يوسف البديعيّ، المعهد الإفرنسيّ، دمشق، ١٩٤٤م.
- الإيضاح في علل النحو، عبدالرحمن بن إسحاق الزجّاجيّ، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.
- الإيضاح لشرح المفصل لابن الحاجب، دراسة: موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٧٦م.
- البخلاء، أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٤.
- البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين العمري، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
- البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- برنامج شيوخ الرعيني، علي بن محمد المعروف بالرعيني، تحقيق: إبراهيم شبّوح، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٢م.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي، عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع، تحقيق: عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٨٦م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى المعروف بالضبّيّ، دار الكاتب العربيّ، مصر، ١٩٦٧م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبدالرحمن السيوطيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة.
- البُلغة في تاريخ أئمة اللغة، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢م.

- تاج التراجم، زين الدين بن قاسم المعروف بابن قطلوبغا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ١٩٩٢م.
- تاج العروس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.
- تاريخ آداب اللغة العربيّة، جرجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر المعروف بابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: محمود فهمي حجازي، وحسن محمود إسماعيل، الهيئة المصريّة العامة للكتّاب، مصر، القسم السادس، ١٩٩٥م.
- تاريخ أصبهان، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، تحقيق: سفن ديدرنح، ليدن: بريل، ١٩٣١م.
- تاريخ إربل، المبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفى الإربلي، تحقيق: سامي الصقار، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبيّ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغداديّ، ومعه ذيول تاريخ بغداد: المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطيّ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٧٧م.
- تاريخ الدارمي، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: أحمد محمد، مركز البحث العلميّ، مكة المكرّمة، ١٩٨٠م.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- تاريخ العلماء النحويّين من البصريين والكوفيين وغيرهم، المفضّل بن محمد التنوخيّ،

تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، مصر، ط١، ١٩٨٩م.

- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

- تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد) أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغداديّ، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، تصنيف: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

- التحدّث بنعمة الله، جلال الدين السيوطيّ، تحقيق: هيثم خليفة طعيمي، المكتبة العصريّة، صيدا، ٢٠٠٣م.

- تحفة القادم، محمد بن عبدالله المعروف بابن الأبار، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

- التحليل الدلالي في الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، محيي الدين محسب، دار الهدى، القاهرة، ٢٠٠١م.

- التخمير (شرح المفصّل في صنعة الإعراب)، القاسم بن الحسين الخوارزميّ، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٠.

- التدوين في تاريخ قزوين، عبدالكريم بن محمد الرافعيّ القزوينيّ، تحقيق: عزيز الله العطارديّ، دار الباز، مكّة المكرمة، طبع بيروت، ١٩٨٧م.

- التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، محمد بن علي العلويّ، تحقيق: رفعت فوزي عبدالمطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

- تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبيّ، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، ١٩٥٥م.

- التذكرة الحمدونيّة، محمد بن الحسن المعروف بابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- ترجمة الشّعرانيّ لشيخه السيوطيّ، دراسة وتحقيق: سمير الدروبيّ، مجلة مؤتة

للبحوث والدراسات، مج ٨، ع ٦، ١٩٩٣م.

- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- تطوّر الآراء النحويّة عند ابن هشام الأنصاريّ، حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمّان، ١٩٩٤م.
- التفكير الصوتي عند الخليل، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- تقويم الفكر النحوي عند الأعلم الشنتمري في ضوء علم اللغة الحديث، فتوح خليل، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- تكملة الإكمال، محمد بن عبدالغني البغدادي المعروف بابن نقطة، تحقيق: عبدالقيوم عبدربّ النبي، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، ١٩٨٧م.
- التكملة لوفيات النقلة، زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبدالرحمن المنذريّ، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهريّ، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- التنبيهات، علي بن حمزة الأصفهاني، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، دار المعارف، القاهرة، مطبوع مع كتاب المنقوص والممدود ليحيى بن زياد المعروف بالفرّاء.
- جارالله محمود بن عمر الزمخشري: حياته وشعره، عبدالستار ضيف، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- الجاحظ: حياته وآثاره، طه الحاجريّ، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.
- الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، جميل جبر، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٩م.
- جذوة الاقتباس في ذِكْر مَنْ حلّ من الأعلام مدينة فاس، أحمد ابن القاضي

المكناسيّ، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٤م.
- الجرمي: حياته وآراؤه النحوية، محمد أحمد سحلول، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- جلال الدين السيوطيّ: مسيرته العلميّة ومباحثه اللغويّة، مصطفى الشكعة، الدار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
- جلال الدين السيوطيّ: عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغويّ، طاهر سليمان حمودة، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- جلال الدين السيوطيّ وأثره في الدراسات اللغويّة، عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، المعافى بن زكريا النهروانيّ، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣م.
- جمال القُرّاء وكمال الإقراء، علم الدين السخاويّ، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ١٩٨٧م.
- جمهرة الأمثال، الحسن بن عبدالله المعروف بأبي هلال العسكريّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط٢.
- جهود الإمام مكي بن أبي طالب في القراءات القرآنية وإعراب القرآن الكريم، شرف الدين الراجحيّ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م.
- الجهود اللغوية لابن السراج، مجدي إبراهيم يوسف، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة، عبدالقادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشيّ، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، مكتبة الإيمان، مصر، ١٩٧٨م.
- حازم القرطاجني، حياته وشعره، كيلاني حسن سند، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٦م.
- حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، سعد مصلوح، عالم الكتب،

القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.
- حُسْن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، طبعة مصطفى فهمي الكتبي، القاهرة، ١٩٠٣م.
- حواشي ابن بري وابن ظفر على درة الغوّاص في أوهام الخواص، دراسة وتحقيق: أحمد طه حسانين، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٩٠م.
- حياة جلال الدين السيوطيّ مع العلم من المهد إلى اللحد، سعدي أبوجيب، دار المناهل، دمشق، ١٩٩٣م.
- خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصبهانيّ، القسم العراقي، تحقيق: محمد بهجة الأثري وجميل سعيد. قسم شعراء الشام، تحقيق: شكري فيصل. قسم شعر مصر، تحقيق: أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس. طبعات مختلفة في مكان النشر وزمانه.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغداديّ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتّاب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: محمد علي النجّار، مشروع النشر المشترك، بغداد، ط٤، ١٩٩٠م.
- خلف الأحمر: الشاعر العالم، فضل عمّار العماري، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٨م.
- الخليل بن أحمد؛ أعماله ومنهجه، مهدي المخزوميّ، مطبعة الزهراء، بغداد، ط١، ١٩٦٠م.
- الدراسات اللغوية عند ابن مالك بين الفقه وعلم اللغة، غنيم عبدالكريم الينبعاوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٨م.
- الدراسات اللهجيّة والصوتية عند ابن جني، حسام النعيمي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.
- الدراسات النحوية في تفسير ابن عطية، ياسين جاسم، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، فاضل صالح السامرائيّ، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧١م.
- دراسة في المعاجم العربية: كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني، فرنرديم، ترجمة: حسن محمد الشماع، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الرياض، ١٩٨٠.
- دُرة الحجال في أسماء الرجال، أحمد بن محمد المكناسيّ، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلانيّ، ضبطه وصححه: عبدالوارث محمد علي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- الدرس الدلالي في خصائص ابن جني، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، تحقيق: فهيم محمد علوي شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- دليل مخطوطات السيوطيّ وأماكن وجودها، إعداد: محمد الشيباني، وأحمد الخازندار، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط٢، ١٩٩٥م.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن المعروف بالباخرزيّ، تحقيق ودراسة: محمد ألتونجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- دول الإسلام، شمس الدين الذهبيّ، تحقيق: عبدالله إبراهيم الأنصاريّ، إدارة إحياء التراث الإسلاميّ، قطر، ١٩٨٨م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي المعروف بابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.
- ديوان ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق: عمر سالم، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٣م.
- ديوان ابن عُنين، محمد بن نصر المعروف بابن عنين، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ط٢.

- ديوان ابن نباته المصري، جمال الدين محمد بن محمد، نشرة محمد القلقيلي، القاهرة، ١٩٠٥م.
- ديوان أبي حيان، محمد بن يوسف، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٩م.
- ديوان أبي نواس، الحسن بن هاني، شرحه وضبطه: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٨م.
- ديوان الإسلام، محمد بن عبدالرحمن بن الغزيّ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- ديوان بشار بن بُرد، جمعه وشرحه وكمله: محمد الطاهر عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٦م.
- ديوان الشافعيّ، محمد بن إدريس الشافعيّ، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار ابن زيدون، بيروت.
- ديوان الشريف الرضي، محمد بن الحسين، تحقيق: محمود مصطفى حلاوي، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م.
- ديوان علي بن جبلة العكوك، علي بن جبلة، جمع وتحقيق: زكي ذاكر العاني، دار السعادة، بغداد، ١٩٧١م.
- ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت.
- ديوان كشاجم، محمود بن الحسين المعروف بكشاجم، تحقيق: النبوي عبدالواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، علي بن بسّام الشنتريني، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- الذّيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن محمد بن عبدالملك المراكشي،

تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- رايات المبرزين وغايات المميزين، علي بن موسى المعروف بابن سعيد المراكشيّ، تحقيق: النعمان عبدالمتعال القاضي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٩٧٣م.
- الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك، جامعة دمشق، دمشق، ط١، ١٩٦٣م.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي، تحقيق: أسدالله إسماعيليان، مكتبة إسماعيليان، طهران، ١٩٧٠م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم الأنباريّ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.
- الزجاجي: حياته وآثاره ومذهبه النحوي من خلال كتابه الإيضاح، مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٤م.
- الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة، عبدالحسين المبارك، جامعة البصرة، العراق، ١٩٨٢م.
- السابق واللاحق في تباعد ما بين راويين عن شيخ واحد، أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغداديّ، تحقيق: محمد مطر الزهرانيّ، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٢م.
- سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، ١٩٩٤م.
- سنن الترمذيّ (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى الترمذيّ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبيّ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م.
- سيبويه النحوي: حياته، كتابه، مصادر ترجمته ومراجعها، هيثم الشيخ عبدو، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٠م.
- السيوطيّ النحويّ، عدنان محمد سلمان، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٦م.
- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، عبدالحي بن أحمد المعروف بابن العماد الحنبلي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد محمد مخلوف، دار الكتاب العربيّ، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة عام ١٣٤٩هـ.
- شرح أبيات إصلاح المنطق، يوسف بن عبدالله بن السيرافيّ، تحقيق: ياسين محمد السواس، الدار المتحدة، دمشق، ١٩٩٢م.
- شرح أبيات الجمل، عبدالله بن محمد بن السّيد البطليوسيّ، تحقيق: عبدالله الناصير، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٠م.
- شرح أبيات مُغني اللبيب، عبدالقادر بن عمر البغداديّ، تحقيق: عبدالعزيز رباح، وأحمد يوسف دقّاق، دار المأمون للتراث، دمشق.
- شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- شرح شعر المتنبي لابن الإفليلي، إبراهيم بن محمد، دراسة وتحقيق: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.
- شرح غوامض كتاب سيبويه المسمّى تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، علي بن محمد المعروف بابن خروف، تحقيق: خليفة محمد خليفة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٩٥م.
- شرح الكافية الشافية، جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك، تحقيق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

- شرح كتاب سيبويه للرمّانيّ، تحقيق ودراسة: المتولي أحمد رمضان الدميريّ، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٩٧م. الجزء الأول دراسة مستقلة عن الرماني وشرحه لكتاب سيبويه.
- شرح اللُّمَع، عبدالواحد بن علي المعروف بابن بَرْهان العُكبريّ، تحقيق: فائز فارس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.
- شرح اللُّمَع في النحو، القاسم بن محمد الواسطيّ، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، الحسن بن عبدالله العسكريّ، تحقيق: السيد محمود يوسف، منشورات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، دمشق.
- شرح المقدمة الجزولية الكبير، عمر بن محمد الشلوبين، دراسة وتحقيق: تركي بن سهو العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- الشعور بالعور، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ، دار عمّار، عمّان، ط١، ١٩٨٨م.
- الصلّة، خلف بن عبدالملك المعروف بابن بشكوال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٦م.
- الطالع السعيد الجامع أسماء أنجباء الصعيد، جعفر بن ثعلب المعروف بالأدفويّ، تحقيق: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.
- الطبري: السيرة والتاريخ، عبدالرحمن حسين العزاوي، وزارة الإعلام، العراق، ١٩٨٩م.
- طبقات الأمم، صاعد بن أحمد الأندلسيّ، وضع المقدمة، السيد محمد بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٧م.
- طبقات الشافعية، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الإسنويّ، تحقيق: كمال يوسف، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- طبقات الشافعيّة الكبرى، تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكيّ، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.
- طبقات علماء الحديث، محمد بن أحمد الصالحي، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحيّ، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، والقاهرة.
- طبقات الفقهاء الشّافعيّة، تقي الدين الشهرزوري (مع التهذيب والمستدرك) تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢م.
- طبقات المحدّثين بأصبهان والواردين عليها، عبدالله بن محمد المعروف بأبي الشيخ، تحقيق: عبدالغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان صالح، مكتبة العلوم والحِكم، المدينة المنورة، ١٩٩٧م.
- طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي، تحقيق: علي محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- طبقات النحاة واللغويين، محمد بن أحمد الأسدي المعروف بابن قاضي شهبة (قسم المحمدين) تحقيق: محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٤م.
- ظاهرة التعدّد والكثرة في مؤلّفات السيوطيّ، سمير الدروبيّ، مجلة المنارة، مج٤، ع٣، ١٩٩٩م.
- العبر في خبر مَنْ عبر، شمس الدين الذهبيّ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٥م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسيّ، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، عمر بن علي المعروف بابن الملقن، تحقيق: أيمن نصر وسيد مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- علوم النحو والعربيّة في الموصل ضمن موسوعة الموصل الحضارية، مجموعة مؤلفين، جامعة الموصل، العراق، ط١، ١٩٩٢م.
- عيسى بن عمر الثقفي: نحوه من خلال قراءته، صباح عباس السالم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٥م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة، ضبطه وصححه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- عيون التواريخ، محمد بن شاكر الكتبي، من سنة ٢١٩-٢٥٠، تحقيق: عفيف نايف حاطوم، ج١٢، ج٢٠، ج٢١، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم داود، وزارة الإعلام، العراق، سنة ١٩٧٧م، ١٩٨٠، ١٩٨٤م على التوالي.
- غاية النّهاية في طبقات القُرّاء، محمد بن محمد المعروف بابن الجزريّ، نشر: براجشتراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣م.
- الغرّة المخفيّة في شرح الدرة الألفية، أحمد بن الحسين المعروف بابن الخبّاز، تحقيق: حامد محمد العبدلي، دار الأنبار، بغداد، ط١، ١٩٩٠م.
- الغنية: فهرست شيوخ القاضي عياض، القاضي عياض، تحقيق: ماهر زيد جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
- الفتح القريب على مُغني اللبيب، جلال الدين السيوطيّ، دراسة وتحقيق: عبدالمجيد فلاح، رسالة ماجستير جامعيّة، جامعة دمشق، ١٩٩٩م.
- الفتح المواهبي في ترجمة الإمام الشاطبي، أحمد بن محمد المصري القسطلانيّ، تحقيق: إبراهيم محمد الجرمي، دار الفتح، عمّان، ط١، ٢٠٠٠م.

- فحولة الشعراء (سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي وردّه عليه في فحولة الشعراء) تحقيق: محمد عودة سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، محمد صالح الزركان، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٣م.
- فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه، الأسود الغندجانيّ، تحقيق: محمد علي سلطاني، دار النبراس، دمشق، ط١، ١٩٨٠م.
- الفرق بين الحروف الخمسة، عبدالله بن محمد بن السِّيد البطليوسي، تحقيق: عبدالله الناصير، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م.
- الفصول الخمسون، يحيى بن عبدالمعطي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الفصول في العربية، سعيد بن المبارك بن الدهان، تحقيق: فائز فارس، دار الأمل ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- فهرس مؤلَّفات السيوطيّ المنسوخ في عام ٩٠٢هـ، جلال الدين السيوطيّ، دراسة وتحقيق: يحيى محمود ساعاتي، مجلة عالم الكتب، مج١٢، ع٢، ١٩٩١م.
- فهرس مخطوطات السيوطيّ، جلال الدين السيوطيّ، دراسة وتحقيق: يحيى محمود ساعاتي، مجلة عالم الكتب، مج١٢، ع٤، ١٩٩١م.
- الفهرست، محمد بن إسحاق النديم، ضبط وفهرسة: يوسف علي طويل وأحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكُتبي، تحقيق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عبدالحي اللكنوي، مكتبة ندوة المعارف، الهند، ١٩٦٧م.
- القزويني وشروح التلخيص، أحمد مطلوب، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٧م.
- قصائد ومقطعات (ديوان حازم القرطاجنيّ) حازم بن محمد القرطاجني، تحقيق:

محمد الحبيب، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٢م.
- القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة، عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، تحقيق: طارق نجم عبدالله، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١، ١٩٨٥م.
- قطرب وأثره في الدراسات النحوية، محمد عاشور محمد، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، الفتح بن محمد المعروف بابن خاقان، تحقيق: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٩م.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين الذهبيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- الكامل، محمد بن يزيد المبرِّد، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م
- الكامل في التاريخ، علي بن محمد المعروف بابن الأثير، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- كتاب الأسماء والصِّفات، أحمد بن الحسين البيهقيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.
- كتاب الثقات، محمد بن حبّان، تحقيق: عبدالخالق الأفغانيّ، ١٩٦٨م.
- كتاب الجرح والتعديل، عبدالرحمن بن محمد الرازي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، نسخة مصورة.
- كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، عبدالله بن محمد بن السِّيد البطليوسيّ، تحقيق: سعيد عبدالكريم سعودي، دار الطليعة، بيروت.
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (مع الذيل) عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسيّ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

- كتاب الضعفاء والمتروكين، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
- كتاب فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب، شيرويه بن شهردار الديلمي، ومعه (مسند الفردوس) دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧م.
- كتاب الفصيح، أحمد بن يحيى المعروف بأبي العباس ثعلب، تحقيق ودراسة: عاطف مدكور، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- كتاب المجروحين، محمد بن حبّان، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٩٧٦م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جارالله محمود بن عمر الزمخشريّ، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- كشف الظنون عن أسامي الكُتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزّيّ، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٧م.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، دار الفكر العربيّ، بيروت.
- لسان الميزان، أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني، دار الفكر.
- لطائف اللطف، عبدالملك بن محمد الثعالبيّ، تحقيق: عمر الأسعد، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠م.
- المؤرخ أبوشامة وكتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، حسين عاصي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

- المبرد: حياته وآثاره ومنهجه من خلال كتابه المقتضب، جمعة المبروك عون، معهد الإنماء العربيّ، بيروت، ١٩٨٨م.
- المبرد ودراسة كتابه الكامل، عبدالله الخطيب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م.
- المرتجل في شرح الجمل، عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب، تحقيق: علي حيدر، دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٢م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
- مجالس ثعْلب، أحمد بن يحيى المعروف بأبي العباس ثعلب، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
- مجالس العلماء، عبدالرحمن بن إسحاق الزجّاجيّ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.
- المحلى "وجوه النصب"، أحمد بن الحسن المعروف بابن شقير، تحقيق: فائز فارس، دار الأمل، الأردن، ط١، ١٩٨٧م.
- محمد بن دريد وكتابه الجمهرة، شرف الدين علي الراجحيّ، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- محمد بن القاسم بن الأنباري وجهوده في النّحو والصرف واللغة، محمد عطا موعد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- المختار من كتاب الفصوص، صاعد بن الحسين البغدادي، اختار النصوص وقدّم لها: مظهر الحجي، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠١م.
- المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه، محمد عبدالمطلب البكاء، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠١م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، عبدالله بن أسعد المعروف باليافعيّ، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- مراتب النحويّين، عبدالواحد بن علي المعروف بأبي الطيب اللغويّ الحلبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٤م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن فضل الله العُمري، السفر السابع، تحقيق: عبدالعباس عبدالجاسم، إصدارات المجمع الثقافي، الإمارات العربيّة المتحدة، ٢٠٠٢م.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
- مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- المستوفى في النحو، علي بن مسعود المعروف بالفرخان، تحقيق: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربيّة، القاهرة، ١٩٨٧م.
- مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم القرطاجي، منصور عبدالرحمن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- المطرب من أشعار أهل المغرب، عمر بن الحسن المعروف بابن دحية، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرين، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م.
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، الفتح بن محمد بن خاقان، تحقيق: محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- مع المعري اللغوي، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- المعارف، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: ثروة عكاشة، منشورات الشريف الرضيّ، إيران، ط١، ١٩٩٥م.
- معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ الروميّ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٧٩م.
- معجم السفر، أحمد بن محمد السلفي، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، دار الفكر،

بيروت، ١٩٩٣م.
- معجم الشعراء، محمد بن عمران المرزباني، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبرانيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- معجم طبقات الحُفّاظ والمفسّرين مع دراسة عن الإمام السيوطيّ ومؤلفاته، إعداد ودراسة: عبدالعزيز عزالدين السيروان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.
- المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، محمد بن عبدالله المعروف بابن الأبّار، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.
- معجم مؤلفات السيوطيّ المخطوطة بمكتبات المملكة العربيّة السعوديّة العامة، ناصر سعود عبدالله السلامة، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنيّة، السلسلة (٣) رقم ٢٨، الرياض، ١٩٩٦م.
- المعرّب من الكلام الأعجميّ على حروف المعجم، موهوب بن أحمد الجواليقيّ، تحقيق: ف. عبدالرحيم، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٠م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
- المغرب في حُلى المغرب، عبدالملك بن سعيد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م.
- المغني في الضُّعفاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبيّ، تحقيق: نور الدين عتر، إدارة إحياء التراث الإسلاميّ، قطر، ١٩٨٧م.
- مُغني اللبيب عن كُتب الأعاريب، جمال الدين عبدالله بن يوسف المعروف بابن هشام الأنصاريّ، قدّم له: حسن حمد، راجعه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- مفتاح السّعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كُبري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.

- مقامات الحريري، القاسم بن علي الحريريّ، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت.
- مقامات الزمخشري، جارالله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- المقتضب، محمد بن يزيد المعروف بأبي العباس المبرّد، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٩م.
- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، نشرة دار الكتب العلميّة، بيروت.
- المقفّى الكبير، تقي الدين المقريزيّ، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربيّ، جعفر نايف عبابنة، دار الفكر، عمّان، ط١، ١٩٨٤م.
- مكتبة الجلال السيوطيّ، أحمد الشرقاويّ إقبال، مطبوعات دار المغرب، الرباط، ١٩٧٧م.
- مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، أحمد حسن فرحات، دار الفرقان، عمّان، ط١، ١٩٨٣م.
- ملك النحاة: حياته وشعره ومسائله العشر مع ردّ أبي محمد عبدالله بن برّي عليها، حنّا جميل حدّاد، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٢م.
- من تاريخ النحو العربي شعراً؛ داليّة أبي حيان الغرناطي، حسن الملخ، مجلة تراث، الإمارات العربية المتحدة، ع١٤، ٢٠٠٠، ٢٨-٣٠.
- ملء العيبة بما جمع في طول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين، محمد بن عمر بن رشيد.
- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، عبدالغافر بن إسماعيل الفارسيّ، تحقيق: محمد أحمد عبدالعزيز، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٩م.
- المنجم في المعجم، جلال الدين السيوطيّ، دراسة وتحقيق: إبراهيم باجس عبدالمجيد، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٥م.

- المنتقى من أخبار الأصمعيّ، محمد بن عبدالواحد، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧م.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبدالرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- المنجم في المعجم (معجم شيوخ السيوطي)، جلال الدين عبدالرحمن السيوطيّ، دراسة وتحقيق: إبراهيم باجس عبدالمجيد، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، محمد العريبي، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت، ١٩٩٢م.
- منهج أبي جعفر النحاس في شرح الشعر، أحمد جمال العمري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.
- منهج الأخفش الأوسط في الدراسات النحويّة، عبدالأمير محمد أمين الورد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٥م.
- منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
- المنهل الصّافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي الأتابكيّ، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.
- الموشح (مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صنعة الشعر)، محمد بن عمران المرزبانيّ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، علّق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- النحو في مجالس ثعلب، أحمد عبداللطيف محمود، دار الثقافة العربية، ١٩٩١م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباريّ، تحقيق: إبراهيم السامرائيّ، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٩٨٥م.

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، المحسن بن علي التنوخي، تحقيق: عبّود الشالجي، بيروت، ١٩٧٢م.
- نُصرة الثائر على المثل السّائر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ، تحقيق: محمد علي سلطاني، منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧١م.
- النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ١٩٨٣م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرّيّ التلمسانيّ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، يوسف بن أحمد اليغموريّ، تحقيق: رودلف زلهايم، دار فرانتس شتاينز، طبع بيروت، ١٩٦٤م.
- هِجَرُ العلمِ ومعاقلُه في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.
- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، مطبوع مع كتاب كشف الظنون، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- ولاية الخليل بن أحمد، ضمن رسالة همزة أمحمد، وكسر نون تونس، تصنيف: قطب الأئمة أمحمد بن يوسف الملقب بأطفيش، دراسة وتحقيق: حسن خميس الملخ، مجلة الحياة، معهد الحياة، الجزائر، العدد السادس، ٢٠٠٢م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٠- الفهرس التفصيلي

[٢٨]

الحريريّ

[٣٣]

الخليل بن أحمد ٢٦٤

[٩٤]

الكسائي ٦٧٣

١١- فهرس المحتويات

تم بحمد الله

تطلب منشوراتنا من:

- الأردن: إربد- عالم الكتب الحديث هاتف 96227272272+ فاكس 96227269909+
  عمّان: جدارا للكتاب العالمي- هاتف 0796535399 .
- الإمارات- الشارقة: مكتبة الجامعة هاتف 97165726001+ ص. ب 4540.
- لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية- تلفاكس 804811- 961580481+ ص. ب (11- 9424).
- مصر- القاهرة: مكتبة مدبولي 6 ميدان طلعت حرب- هاتف 5756421- فاكس 5752854.
  القاهرة: الدار المصرية اللبنانية- 16 عبد الخالق ثروت هاتف 3910250 فاكس 3909618 ص. ب 2022 برقياً دار شادو.
  القاهرة: دار الوفاء 2 درب الأتراك- الأزهر هاتف 4502813 تلفاكس 4502812.
  القاهرة- دار الكتاب الحديث 94 شارع عباس العقاد مدينة نصر هاتف 2752990 فاكس 2752992.
  القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع هاتف 200576140+ تلفاكس 2025799907+.
- السعودية: الرياض: العبيكان- تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة هاتف 4654424/ 4160018 وجميع فروعها في المملكة.
  جدة: كنوز المعرفة- الشرقية شارع الستين هاتف 6510421- 6514222 فاكس 6516593
  مكة المكرمة: مكتبة إحياء التراث الإسلامي- الزاهر هاتف 5445984 فاكس 5436620.
- العراق: بغداد- مكتبة الذاكرة- الأعظمية هاتف 4257628 تلفاكس 4259987- الثريا 8821621241714+ .
- فلسطين- رام الله: دار الشروق- شارع مستشفى رام الله هاتف 97022975632+ فاكس 97022975633+.
  غزة: مكتبة اليازجي تلفاكس 2867099/ 2835669-8-970+ .
- ليبيا: دار الرواد- ذات العماد- برج (4) هاتف 218213350332+ .
- الكويت: دار العروبة للنشر والتوزيع- النقرة- شارع قتيبة- مقابل مجمع النقرة الشمالي هاتف 2664626 فاكس 2610842 .
  مكتبة ذات السلاسل هاتف 9652466255+ .
- المغرب: الرباط- مكتبة دار الأمان- زنقة المأمونية- مقابل وزارة العدل هاتف 037723276 فاكس 037200055 .
  الدار البيضاء: دار الثقافة- 32- 34 هاتف 022302375- 022307644- فاكس 0220006511- 022443048.
- تونس: مركز الموسوعات والكتاب- نهج أحمد البليلي هاتف 71335829 فاكس 71342124 .
- الجزائر: أمين للتسويق الدولي للكتاب العلمي والجامعي- تلفاكس 21321773355+ حسين داي (16040) الجزائر.
  الدار الجزائرية المصرية للكتاب تلفاكس 21321541135+ .
  دار الكتاب للبحث العلمي هاتف 0272994257 الجزائر.
  دار بهاء الدين للنشر والتزيع- جامعة منتوري قسنطينة- عمارة الآداب رقم 18- هاتف وفاكس 0021331904141.
  دار الوليد للتوثيق- فيلا رقم 05 حي اللوز بن عمران بو مرداس- تلفاكس 21324830310+ .
  دار النهضة الجزائرية- تجزئة ن2- قطعة رقم 93- إدارية الجزائر- هاتف 021353508+ .
- السودان: الخرطوم- الأستاذ الدكتور عباس محجوب- هاتف 249122468208+- 249912581660+.

KANSO PRINTING

عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع
اربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الاسلامي
تلفون: 00962-27272272 خلوي 079/5264363
فاكس: 00962-27269909
صندوق بريد (3469) الرمزي البريدي (21110)
البريد الإلكتروني almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com

جدارا للكتاب العالمي
للنشر والتوزيع
عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس
خلوي: 079/5264363